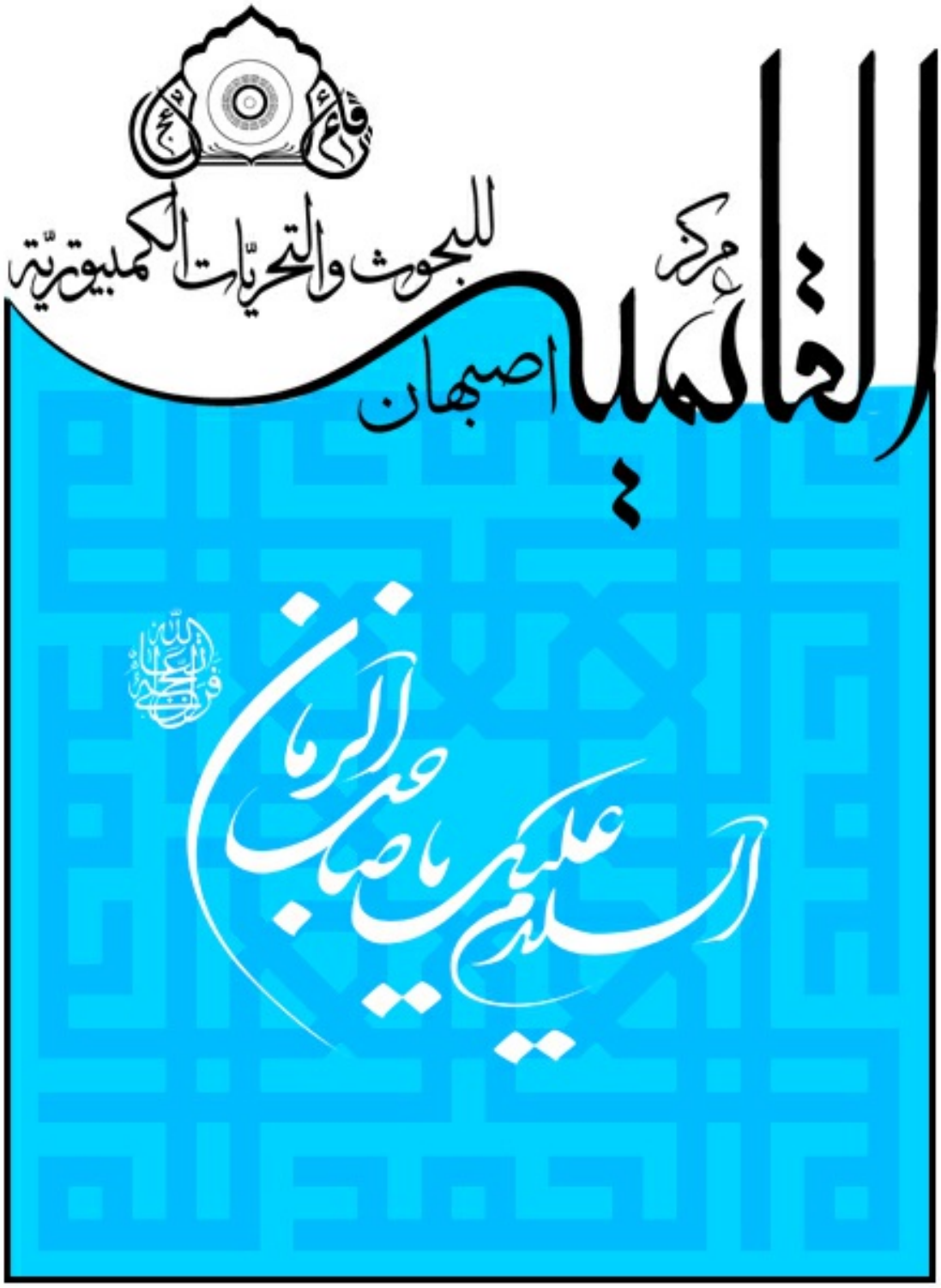

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

الإسلامُ دينُ الفِطرة

تحت إشراف:
الفقيه والمرجع الديني الأعلى
سماحة آية الله العظمى المنتظري

بسم الله الرحمن الرحیم

الاسلام دين الفطره

كاتب:

آيت الله العظمى حسينعلى منتظرى

نشرت فى الطباعة:

ارغوان دانش

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵

الاسلام دین الفطره ----- ۲۹

اشاره ----- ۲۹

اشاره ----- ۲۹

«فهرس المواضیع» ----- ۳۶

تمهید: ----- ۷۰

الدّین ----- ۷۴

اشاره ----- ۷۴

ما هو الدّین؟ ----- ۷۶

فطریه الدّین ----- ۷۶

الغایه من الدّین ----- ۷۸

اشاره ----- ۷۸

أ - التوعیه ----- ۷۹

ب - الحُکم ----- ۸۰

ج - تعیین المسؤولیات ----- ۸۱

د - معرفه الکَوْن ----- ۸۲

جواب عن سؤال ----- ۸۴

النفور من الدّین ----- ۸۵

شمولیه الدّین ----- ۸۸

مجال تعالیم الدّین ----- ۸۹

العقل والدّین ----- ۹۱

شمولیه فهم الدّین ----- ۹۳

مدخلیه الافتراضات المسبقه فی فهم الدّین ----- ۹۴

یُسر الدّین ----- ۹۸

التدیّن ---- ۹۹
الأدیان ---- ۱۰۱
ختم النبوّه ---- ۱۰۳
الدّین والتطوّر ---- ۱۰۵
الإسلام ---- ۱۰۸
الشیعه ---- ۱۰۹
الباب الأوّل: الإعتقادات ---- ۱۱۲
اشاره ---- ۱۱۲
العقیده ---- ۱۱۴
اشاره ---- ۱۱۴
العقیده الحقّه ---- ۱۱۵
الإیمان ---- ۱۱۶
درجات الإیمان ---- ۱۱۷
ما یجب الإیمان به ---- ۱۱۹
ضروره الإیمان ---- ۱۲۰
فوائد الإیمان ---- ۱۲۲
العلم والإیمان ---- ۱۲۴
العقائد الباطله ---- ۱۲۵
اشاره ---- ۱۲۵
الشرک ---- ۱۲۶
الکفر ---- ۱۳۱
اللّه ---- ۱۳۳
اشاره ---- ۱۳۳
طرق معرفه اللّه ---- ۱۳۴
اشاره ---- ۱۳۴
منهج الإمام الصادق علیه السلام فی إثبات وجود اللّه ---- ۱۳۵

الإنسان، آیه اللّه ----- ۱۳۶
نفی الصدفه ----- ۱۳۸
معرفه اللّه أمر فطری ----- ۱۳۸
صفات اللّه ----- ۱۴۱
اشاره ----- ۱۴۱
قرب اللّه ----- ۱۴۲
عدم رؤیه اللّه ----- ۱۴۳
قدره اللّه ----- ۱۴۶
علم اللّه ----- ۱۴۷
عدل اللّه ----- ۱۴۷
التوحید ----- ۱۵۰
اشاره ----- ۱۵۰
المراد من وحدانیه اللّه ----- ۱۵۱
مراتب التوحید ----- ۱۵۲
المرتبه الکامله للتوحید ----- ۱۵۳
الأدلّه علی وحدانیه اللّه ----- ۱۵۴
أقسام التوحید ----- ۱۵۶
اشاره ----- ۱۵۶
۱ - التوحید فی الذات ----- ۱۵۷
۲ - التوحید فی الصفات ----- ۱۵۷
۳ - التوحید فی الأفعال ----- ۱۵۸
۴ - التوحید فی العباده ----- ۱۵۹
افعال اللّه ----- ۱۶۲
نظام فعل اللّه ----- ۱۶۲
دور الموَکّلیٰن ----- ۱۶۳
اللّوح المحفوظ و لوح المحو والإثبات ----- ۱۶۳

قواعد أفعال اللّه ----- ۱۶۴
هدفیه أفعال اللّه ----- ۱۶۵
مشیئه اللّه ----- ۱۶۵
القضاء والقدر ----- ۱۶۵
اشاره ----- ۱۶۵
هل یمکن تغییر القدر؟ ----- ۱۶۹
هل الإنسان مجبر؟ ----- ۱۷۰
لا جبر و لا تفویض ----- ۱۷۲
الإیمان بالقضاء والقدر ----- ۱۷۳
السُّرور ----- ۱۷۴
النبوّه ----- ۱۷۸
الحاجه إلیٰ الدلیل والهدایه ----- ۱۷۸
اشاره ----- ۱۷۸
ضروره بعث النبیّ فی المصادر الدینیه ----- ۱۸۰
سؤال حول محدودیه المنطقه التی بعث فیها الأنبیاء ----- ۱۸۲
إتمام الحجه ----- ۱۸۳
مکانه الأنبیاء ----- ۱۸۳
الأُصول المشترکه بین الأنبیاء ----- ۱۸۴
اشاره ----- ۱۸۴
۱ - الدعوه إلیٰ التوحید ----- ۱۸۴
۲ - الإخبار عن الآخره ----- ۱۸۵
۳ - الإصلاح الأخلاقی والاجتماعی ----- ۱۸۵
اصطفاء الأنبیاء ----- ۱۸۶
الوحی ----- ۱۸۷
اشاره ----- ۱۸۷
تشخیص الوحی من قبل النبیّ ----- ۱۸۸

طرق إثبات النبوّه ----- ۱۸۸
اشاره ----- ۱۸۸
المعجزه ----- ۱۸۹
اشاره ----- ۱۸۹
حقیقه المعجزه ----- ۱۸۹
المعجزه و قانون العلّیه ----- ۱۹۰
الهدف من المعجزه ----- ۱۹۰
اختلاف المعجزات ----- ۱۹۱
عصمه الأنبیاء ----- ۱۹۲
اشاره ----- ۱۹۲
حقیقه العصمه ----- ۱۹۲
منشأ العصمه ----- ۱۹۳
ردّ علی شبهه ----- ۱۹۳
علم الأنبیاء ----- ۱۹۵
اشاره ----- ۱۹۵
علم الغیب عند الأنبیاء ----- ۱۹۵
التفاوت بین الأنبیاء ----- ۱۹۶
بشریه الأنبیاء ----- ۱۹۷
سیره الأنبیاء ----- ۱۹۸
خاتم الأنبیاء ----- ۲۰۱
سیره رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم ----- ۲۰۲
اشاره ----- ۲۰۲
عبادته ----- ۲۰۳
مداراه الناس ----- ۲۰۴
النظافه والزینه ----- ۲۰۴
الاعتدال ----- ۲۰۵

موقفه من الأعداء ---- ۲۰۶
الزهد والبساطه ---- ۲۰۶
معجزه النبیّ محمد صلی الله علیه و آله و سلم ---- ۲۰۷
اشاره ---- ۲۰۷
القرآن و أسلوبه ---- ۲۰۹
تواتر و قطعیه نص القرآن ---- ۲۱۰
الإمامه ---- ۲۱۲
اشاره ---- ۲۱۲
أهمّیّه الإمامه ---- ۲۱۲
شروط الإمامه ---- ۲۱۳
۱ - العلم ---- ۲۱۳
۲ - العصمه ---- ۲۱۴
۳ - التحلّی بصفات النبیّ ---- ۲۱۵
۴ - الصبر ---- ۲۱۵
۵ - الزهد ---- ۲۱۶
الطریق إلیٰ معرفه الإمام ---- ۲۱۷
الإمامه الخاصّه ---- ۲۱۸
الإمامه بَعد النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم ---- ۲۱۸
خلیفه النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم علی أساس القرآن ---- ۲۲۱
الولایه ---- ۲۲۴
اشاره ---- ۲۲۴
الولایه التکوینیه والولایه التشریعیه ---- ۲۲۶
إمامه الإمام علیّ علیه السلام فی الروایات ---- ۲۲۸
نبوءه رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم ---- ۲۳۰
هواجس النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم من العصبیه الجاهلیه ---- ۲۳۰
الإمام علی علیه السلام والخلافه ---- ۲۳۱

الأئمه الإثنا عشر ----- ۲۳۲
اشاره ----- ۲۳۲
أسماء الأئمه علیهم السلام ----- ۲۳۳
اختیار الأئمه علیهم السلام ----- ۲۳۴
أهلیه الأئمه علیهم السلام ----- ۲۳۶
الإمامه فی الطفوله ----- ۲۳۸
آخر حجج اللّه ----- ۲۳۹
اشاره ----- ۲۳۹
ظهور المهدی (عج) ----- ۲۴۰
انتظار ظهور المهدی (عج) قبل ولادته ----- ۲۴۱
ولاده الإمام المهدی (عج) ----- ۲۴۲
غیبه الإمام المهدی (عج) ----- ۲۴۲
الحکمه من غیبه إمام الزمان (عج) ----- ۲۴۴
طول عمر إمام الزمان (عج) ----- ۲۴۵
إنتظار الفرج والحکمه منه ----- ۲۴۵
الآخره ----- ۲۴۷
اشاره ----- ۲۴۷
أجَل الإنسان ----- ۲۴۸
الموت ----- ۲۴۹
سهوله و صعوبه النزع ----- ۲۵۰
الخوف من الموت ----- ۲۵۱
البرزخ ----- ۲۵۱
سؤال القبر ----- ۲۵۲
علل مشارف القیامه ----- ۲۵۳
زمان وقوع القیامه ----- ۲۵۴
قرب وقوع القیامه ----- ۲۵۴

أهوال القیامه ----- ۲۵۵
الحشر والمعاد ----- ۲۵۸
هل المعاد جسمانی أم روحانی؟ ----- ۲۶۱
الحساب ----- ۲۶۳
تجسّم الأعمال ----- ۲۶۵
الشفاعه ----- ۲۶۷
الصراط ----- ۲۶۸
الجنّه ----- ۲۶۹
جهنّم ----- ۲۷۰
الباب الثانی: الأخلاق ----- ۲۷۳
اشاره ----- ۲۷۳
علم الأخلاق ----- ۲۷۵
فلسفه الأخلاق ----- ۲۷۵
النظام الأخلاقی فی الإسلام و خصائصه ----- ۲۷۷
اشاره ----- ۲۷۷
۱ - التحول فی الأخلاق ----- ۲۷۷
۲ - الواقعیه ----- ۲۷۸
۳ - الاهتمام بالجوانب الوجودیه للإنسان ----- ۲۷۹
اشاره ----- ۲۷۹
النفس و أقسامها ----- ۲۷۹
اشاره ----- ۲۷۹
النفس الأمّاره ----- ۲۷۹
النفس اللّوامه ----- ۲۸۱
النفس المُلْهَمَه ----- ۲۸۲
النفس المطمئنه ----- ۲۸۲
۴ - الاعتدال ----- ۲۸۲

٥ - الترابط بين الأخلاق والعباده ---- ٢٨٤
٦ - التقوى ركيزه للأخلاق ---- ٢٨٥
٧ - الاعتزاز بالنفس ---- ٢٨٨
٨ - الأسره التربويه ---- ٢٨٩
٩ - الثبات والمرونه فى القضايا الأخلاقيه ---- ٢٩١
١٠ - شموليه النظام الأخلاقى فى الاسلام ---- ٢٩٢
اشاره ---- ٢٩٢
هدف النظام الأخلاقى فى الاسلام ---- ٢٩٣
أُسس النظام الأخلاقى فى الإسلام ---- ٢٩٤
مكانه النظام الأخلاقى فى الاسلام ---- ٢٩٥
الأخلاق الفرديه ---- ٢٩٧
السلوک الشخصى ---- ٢٩٨
اشاره ---- ٢٩٨
الإخلاص ---- ٣٠٠
العُجب ---- ٣٠١
الجاه و حُبّ الشهره ---- ٣٠٢
حُبّ الدنيا ---- ٣٠٣
الزهد ---- ٣٠٥
القناعه ---- ٣٠٧
الصبر ---- ٣٠٨
الدعاء والتوسل ---- ٣٠٩
الأخلاق الأُسَرِيّه ---- ٣١٢
اشاره ---- ٣١٢
الزوج والزوجه ---- ٣١٢
الوالدان والأولاد ---- ٣١٥
الأقارب ---- ٣١٦

صِلةُ الرَحم ---- ٣١٧
الأخلاق الاجتماعيه ---- ٣١٨
اشاره ---- ٣١٨
العزله والتواصل ---- ٣١٩
حُسْنُ الخُلق ---- ٣١٩
علاقه الأُخُوَّه والإيمان ---- ٣٢٠
الموقف من المُنكَرات ---- ٣٢١
المحبّه ---- ٣٢٢
أصدقاء السوء ---- ٣٢٤
الأصدقاء الصالحون ---- ٣٢٥
الكلام ---- ٣٢٥
النميمه ---- ٣٢٧
الغِيبه ---- ٣٢٧
النفاق ---- ٣٢٩
الكذب ---- ٣٣٠
السبّ ---- ٣٣٠
التكبّر ---- ٣٣١
الحَسَد ---- ٣٣٣
الغضب ---- ٣٣٣
العصبيه ---- ٣٣٥
الحلم ---- ٣٣٦
العفّه ---- ٣٣٧
الإحسان ---- ٣٣٨
التراحم والمودّه ---- ٣٣٩
المداراه ---- ٣٤٠
آداب المعاشره ---- ٣٤٢

أخلاق الأُمراء والمسؤولين ---- ۳۴۳
اشاره ---- ۳۴۳
۱ - الصفح ---- ۳۴۵
۲ - تهذیب النفس ---- ۳۴۷
۳ - مداراه الناس ---- ۳۴۸
۴ - رفض التملّق و اجتناب سیره الجبابره ---- ۳۵۰
۵ - کتمان السرّ ---- ۳۵۳
۶ - اجتناب الغضب ---- ۳۵۳
۷ - اجتناب الکِبْر ---- ۳۵۴
۸ - سعه الصدر ---- ۳۵۵
۹ - المداراه ---- ۳۵۶
۱۰ - الحلم ---- ۳۵۷
۱۱ - العداله ---- ۳۵۷
الباب الثالث: التکالیف و المسؤولیات ---- ۳۶۰
اشاره ---- ۳۶۰
الأحکام ---- ۳۶۲
اشاره ---- ۳۶۲
أفضلیه التشریع الإلهی ---- ۳۶۳
مصادر التشریع ---- ۳۶۴
اشاره ---- ۳۶۴
۱ - القرآن ---- ۳۶۴
۲ - السُنّه (قول، فعل و تقریر المعصوم) ---- ۳۶۵
۳ - الإجماع ---- ۳۶۵
۴ - العقل ---- ۳۶۶
الاجتهاد و تاریخه ---- ۳۶۶
اشاره ---- ۳۶۶

١ - دور تعلّم و نشر الأحكام ---- ٣٦٧
٢ - دور الاجتهاد الابتدائى ---- ٣٦٧
٣ - دور الاجتهاد التخصُّصى ---- ٣٦٨
التقليد ---- ٣٦٨
اشاره ---- ٣٦٨
شروط مرجع التقليد ---- ٣٦٩
التكليف ---- ٣٧٠
اشاره ---- ٣٧٠
شروط التكليف ---- ٣٧١
الفرق بين التكليف والحق ---- ٣٧٢
أبواب الفقه ---- ٣٧٣
العبادات ---- ٣٧٤
اشاره ---- ٣٧٤
الصلاه ---- ٣٧٤
اشاره ---- ٣٧٤
أهمّيه الصلاه ---- ٣٧٤
الصلوات الواجبه ---- ٣٧٦
مقدّمات الصلاه ---- ٣٧٧
اشاره ---- ٣٧٧
وقت الصلاه ---- ٣٧٧
مكان المصلّى ---- ٣٧٧
القِبله ---- ٣٧٩
ثياب المصلّى ---- ٣٨٠
الطهاره ---- ٣٨٠
اشاره ---- ٣٨٠
أ - الطهاره الظاهريه ---- ٣٨٠

اشاره ---------- ۳۸۰
النجاسات ---------- ۳۸۱
طرق إثبات النجاسه ---------- ۳۸۲
طرق تنجّس الأشياء الطاهره ---------- ۳۸۲
المطهّرات ---------- ۳۸۲
۱ - الماء ---------- ۳۸۲
الماء القليل والكر ---------- ۳۸۳
۲ - الأرض ---------- ۳۸۴
۳ - الشمس ---------- ۳۸۴
۴ - الاستحاله ---------- ۳۸۵
۵ - ذهاب ثلثی العصير العنبی ---------- ۳۸۵
۶ - الانتقال ---------- ۳۸۵
۷ - الإسلام ---------- ۳۸۵
۸ - التبعيه ---------- ۳۸۶
۹ - زوال عين النجاسه ---------- ۳۸۶
۱۰ - استبراء الحيوان الجلّال ---------- ۳۸۶
۱۱ - غيبه المسلم ---------- ۳۸۶
ب - الطهاره المعنويه ---------- ۳۸۶
اشاره ---------- ۳۸۶
الوضوء ---------- ۳۸۷
الوضوء الترتيبی والارتماسی ---------- ۳۸۷
شروط الوضوء ---------- ۳۸۸
مبطلات الوضوء ---------- ۳۸۹
الغسل ---------- ۳۸۹
الأَغسال الواجبه ---------- ۳۹۰
كيفيه الغسل ---------- ۳۹۱

أحكام الغسل ---- ٣٩١
أحكام الجنابه ---- ٣٩٢
ما يحرم على الجنب ---- ٣٩٢
أحكام الحيض ---- ٣٩٣
التيمُّم ---- ٣٩٣
كيفيه التيمم ---- ٣٩٤
ما يصحّ به التيمم ---- ٣٩٤
موارد التيمم ---- ٣٩٥
واجبات الصلاه ---- ٣٩٥
أحكام الصلاه ---- ٣٩٧
مستحبات الصلاه ---- ٣٩٨
مبطلات الصلاه ---- ٣٩٩
صلاه المسافر ---- ٤٠٠
صلاه الجماعه ---- ٤٠١
شروط صلاه الجماعه ---- ٤٠٢
شروط إمام الجماعه ---- ٤٠٢
الصلوات الواجبه الأُخرى ---- ٤٠٢
صلاه الجمعه ---- ٤٠٢
كيفيه صلاه الجمعه ---- ٤٠٣
شروط إمام الجمعه ---- ٤٠٣
صلاه العيدين ---- ٤٠٤
كيفيه صلاه العيد ---- ٤٠٤
صلاه الآيات ---- ٤٠٥
وقت صلاه الآيات ---- ٤٠٦
كيفيه صلاه الآيات ---- ٤٠٦
أحكام الموتى ---- ٤٠٧

الاحتضار ---- ۴۰۷
أحكام ما بعد الوفاه ---- ۴۰۷
غسل الميّت ---- ۴۰۷
أحكام غسل الميّت ---- ۴۰۸
الحنوط و أحكامه ---- ۴۰۸
أحكام تكفين الميّت ---- ۴۰۹
أحكام صلاه الميّت ---- ۴۰۹
الدفن ---- ۴۱۰
صلاه الوحشه ---- ۴۱۱
نبش القبر ---- ۴۱۱
الصوم ---- ۴۱۲
اشاره ---- ۴۱۲
من لايجب عليهم الصوم ---- ۴۱۳
مبطلات الصوم ---- ۴۱۴
أحكام الصوم ---- ۴۱۵
تكريم شهر رمضان ---- ۴۱۶
الاعتكاف ---- ۴۱۶
اشاره ---- ۴۱۶
شروط الاعتكاف ---- ۴۱۷
أحكام الاعتكاف ---- ۴۱۷
الحج ---- ۴۱۸
اشاره ---- ۴۱۸
۱ - الجانب العبادى للحج ---- ۴۱۸
۲ - تأثير الحج فى الرقى والبقاء الثقافى ---- ۴۲۲
۳ - الجانب الاجتماعى والسياسى للحج ---- ۴۲۳
شروط وجوب الحج ---- ۴۲۴

أقسام الحج ---- ۴۲۵
اشاره ---- ۴۲۵
کیفیه حج التمتّع ---- ۴۲۵
۱ - عمره التمتّع ---- ۴۲۶
۲ - حج التمتّع ---- ۴۲۷
العمره المفرده ---- ۴۲۸
زیاره قبر النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم و أهل البیت علیهم السلام ---- ۴۲۸
النذر والعهد والقسم ---- ۴۲۹
الأُسره ---- ۴۳۲
مکانه و أهمیه الأُسره ---- ۴۳۲
الزواج ---- ۴۳۳
العلاقه الطبیعیه بین المرأه والرجل ---- ۴۳۳
الزواج نوع من العباده ---- ۴۳۳
الاهداف الأساسیه من الزواج ---- ۴۳۵
اختیار الزوج ---- ۴۳۵
اشاره ---- ۴۳۵
۱ - الحریّه فی اختیار الزوج ---- ۴۳۶
إذن الأب فی زواج ابنته ---- ۴۳۶
۲ - معاییر اختیار الزوج ---- ۴۳۷
۳ - من لایقع الزواج بینهم (المحارم) ---- ۴۳۸
عقد الزواج ---- ۴۴۰
دور المرأه فی صیانه العفاف فی المجتمع ---- ۴۴۰
أحکام النظر واللّمس والصوت ---- ۴۴۱
الواجبات الأُسریه ---- ۴۴۲
اشاره ---- ۴۴۲
النفقه و إداره شؤون الأُسره ---- ۴۴۴

من تجب إعالتهم ---- ۴۴۶
حقوق الطفل ---- ۴۴۶
الأعمال المستحبه بعد الولاده ---- ۴۴۷
الزواج المؤقت ---- ۴۴۷
اشاره ---- ۴۴۷
لماذا الزواج المؤقت؟ ---- ۴۴۷
أحكام الزواج المؤقّت ---- ۴۴۹
تعددُّ الزوجات ---- ۴۵۰
اشاره ---- ۴۵۰
شروط تعدد الزوجات ---- ۴۵۱
الطلاق ---- ۴۵۲
اشاره ---- ۴۵۲
قيود وقوع الطلاق ---- ۴۵۳
أقسام الطلاق ---- ۴۵۴
أ - الطلاق البائن ---- ۴۵۴
ب - الطلاق الرجعى ---- ۴۵۵
أحكام العِدّه ---- ۴۵۶
عدّه الطلاق ---- ۴۵۶
المرأه التى لا عدّه عليها ---- ۴۵۶
عدّه المرأه فى الزواج المؤقت ---- ۴۵۷
عدّه الوفاه ---- ۴۵۷
ما يجب على المرأه فى عدّه الوفاه ---- ۴۵۷
التغذيه ---- ۴۵۸
اشاره ---- ۴۵۸
۱ - اللُّحوم ---- ۴۵۸
أ - الحيوانات الحلال اللّحم ---- ۴۵۸

شروط ذباحه الحيوان ---- ۴۵۹
أحكام الصيد بالأسلحه ---- ۴۶۰
صيد الأسماک ---- ۴۶۱
ب - الحيوان المحرّم اللحم ---- ۴۶۱
۲ - المأكولات المأخوذه من غير الحيوان ---- ۴۶۱
المأكولات الحرام المأخوذه من غير الحيوان ---- ۴۶۲
أ - النجاسات ---- ۴۶۲
ب - المواد المضرّه ---- ۴۶۲
ج - السوائل والأشربه المحرمه ---- ۴۶۲
أحكام الأطعمه ---- ۴۶۲
وسائل الترفيه والتسليه ---- ۴۶۳
المسابقات ---- ۴۶۴
أحكام بعض الوسائل الترفيهيه ---- ۴۶۵
۱ - الغناء ---- ۴۶۵
۲ - الألعاب السحريّه ---- ۴۶۵
۳ - إحضار الأرواح والتنويم المغناطيسى ---- ۴۶۵
۴ - القمار ---- ۴۶۶
۵ - المخدرات ---- ۴۶۶
الاقتصاد ---- ۴۶۷
أهميه الاقتصاد ---- ۴۶۷
القوانين الاقتصاديه ---- ۴۶۸
الفقر؛ أسبابه و تأثيراته ---- ۴۶۹
الملكيه و أنواعها ---- ۴۷۰
اشاره ---- ۴۷۰
الملكيه العامّه ---- ۴۷۱
الملكيه الخصوصيه ---- ۴۷۲

الثراء ---- ۴۷۲
الإسراف والتبذير ---- ۴۷۳
العمل والسعی ---- ۴۷۴
شروط الملکیه ---- ۴۷۵
الوصیه ---- ۴۷۵
الإرث ---- ۴۷۷
الغصب ---- ۴۷۸
المحجور علیه ---- ۴۷۸
أنواع المعاملات ---- ۴۷۹
الأحکام العامّه للمعاملات ---- ۴۸۲
أنواع البیع ---- ۴۸۲
موارد فسخ المعامله ---- ۴۸۳
آداب البیع والشراء ---- ۴۸۴
الاحتکار والتسعیر ---- ۴۸۴
المعاملات الباطله ---- ۴۸۵
الأعمال المحرّمه ---- ۴۸۶
النقد ---- ۴۸۶
القَرض الحسَن ---- ۴۸۷
الربا ---- ۴۸۷
المعامله والربا ---- ۴۸۸
اشاره ---- ۴۸۸
أنواع الربا ---- ۴۸۹
المصارف ---- ۴۸۹
الکُمبِیاله (السند) ---- ۴۹۰
التکالیف المالیه ---- ۴۹۰
اشاره ---- ۴۹۰

١ - الإنفاق ---- ۴۹۲
٢ - النهی عن تکدیس الثروه ---- ۴۹۲
٣ - إیتاء الزکاه ---- ۴۹۳
اشاره ---- ۴۹۳
مصرف الزکاه ---- ۴۹۴
زکاه الفطره ---- ۴۹۵
۴ - الخمس ---- ۴۹۵
اشاره ---- ۴۹۵
مصرف الخمس ---- ۴۹۶
السیاسه ---- ۴۹۷
الدّین والحکومه ---- ۴۹۷
الحکومه، ضروره اجتماعیه ---- ۴۹۷
الغایه من إقامه الحکومه ---- ۴۹۸
القدره علی تنفیذ القوانین و حمایه المجتمع ---- ۴۹۹
الحکومه وسیله لتحقیق الأهداف الدینیه ---- ۵۰۰
أنواع الحکومات، والحکومه الدینیه ---- ۵۰۱
اشاره ---- ۵۰۱
أ - الحکم الاستبدادی والمطلق ---- ۵۰۱
ب - الحکم الدستوری ---- ۵۰۳
ج - الحکم الدینی الدستوری ---- ۵۰۴
خصائص الحکم الدینی ---- ۵۰۴
الاستفاده من التجارب البشریه فی الحکم ---- ۵۰۶
الفصل بین السلطات ---- ۵۰۷
الحکومه: وکاله أم ولایه ---- ۵۰۸
أ - الوکاله، عقد جائز ---- ۵۰۸
ب - الحکومه، عقد لازم ---- ۵۰۹

ج - الولایه مستقاه من العهد والمیثاق ---- ۵۱۰
د - البیعه و دورها فی شرعیه الحکومه ---- ۵۱۲
القید الزمانی للمناصب الحکومیه ---- ۵۱۳
السُبُل القانونیه لعزل الحاکم ---- ۵۱۴
شروط الحاکم ---- ۵۱۵
اشاره ---- ۵۱۵
أ - الإسلام والإیمان ---- ۵۱۶
ب - النضوج العقلی ---- ۵۱۷
ج - حُسن التدبیر والسیاسه ---- ۵۱۸
د - العلم والإجتهاد ---- ۵۱۹
ه - العداله ---- ۵۲۱
و - حُسن الخُلُق ---- ۵۲۳
کیفیه الحکم ---- ۵۲۳
اشاره ---- ۵۲۳
أ - صیانه الحریّات الفردیه والإجتماعیه ---- ۵۲۴
ب - المساواه أمام القانون ---- ۵۲۵
ج - الإشراف العام علی المسؤولین ---- ۵۲۶
د - الرضا العام ---- ۵۲۸
ه - التساهل ---- ۵۲۹
و - حفظ المصلحه العامّه داخلیاً و خارجیاً ---- ۵۳۰
ز - اجتناب إثاره التوتّر ---- ۵۳۲
ح - الاقتصاد فی النفقات ---- ۵۳۳
ط - حفظ حقوق الأقلّیّات ---- ۵۳۳
الأحکام السیاسیه ---- ۵۳۷
اشاره ---- ۵۳۷
أ - الواجبات السیاسیه والاجتماعیه الفردیه ---- ۵۳۷

اشاره ----- ۵۳۷
صلاه الجماعه، والجمعه والعیدین ----- ۵۳۸
الحجّ، تجمع عبادی - سیاسی دولی ----- ۵۳۹
الأمر بالمعروف والنهی عن المنکر ----- ۵۴۰
رعایه القوانین الاجتماعیه ----- ۵۴۲
التقیّه والکتمان ----- ۵۴۳
المشارکه فی الحیاه الاجتماعیه و عدم العزله ----- ۵۴۴
ب - الواجبات السیاسیه - الاجتماعیه العامه للمسلمین ----- ۵۴۴
اشاره ----- ۵۴۴
۱ - الشؤون الثقافیه ----- ۵۴۵
أ - التعلیم والتربیه العامّه ----- ۵۴۵
ب - الدعوه إلی الدّین ----- ۵۴۶
ج - العلاقات الثقافیه الدولیه ----- ۵۴۷
د - الکُتُب و وسائل الإعلام ----- ۵۴۸
۲ - الشؤون الاقتصادیه ----- ۵۴۹
أ - الأنفال ----- ۵۵۰
ب - المباحات العامّه ----- ۵۵۱
ج - الضرائب ----- ۵۵۱
د - الخمس والزکاه ----- ۵۵۲
ه - الأوقاف العامّه ----- ۵۵۲
العلاقات الاقتصادیه الدولیه ----- ۵۵۲
العداله الاقتصادیه ----- ۵۵۳
۳ - الشؤون السیاسیه ----- ۵۵۵
أ - الوحده والأخوّه الإسلامیه ----- ۵۵۵
ب - حوار الأدیان ----- ۵۵۶
ج - التعایش السلمی ----- ۵۵۷

د - المعاهدات الدوليه ---- ۵۵۸
ه - تقيّه المداراه ---- ۵۵۹
و - الإصلاح بين الناس فى السياسه الخارجيه والداخليه ---- ۵۶۱
ز - الاستقلال التام ---- ۵۶۲
۴ - الشؤون العسكريه والأمنيه ---- ۵۶۲
أ - تأسيس و إداره القوات المسلّحه ---- ۵۶۳
ب - الجهاد والدفاع ---- ۵۶۳
ج - السلام والأمن ---- ۵۶۵
د - تأمين الطرق والحدود والمدن فى زمان الصلح ---- ۵۶۵
ه - الأمن والمخابرات ---- ۵۶۶
۵ - الشؤون القضائيه ---- ۵۶۸
أ - القضاء و شروطه ---- ۵۶۹
ب - كيفيه القضاء ---- ۵۷۰
ج - الحدود والتعزيرات ---- ۵۷۲
د - القصاص ---- ۵۷۳
ه - الديّات ---- ۵۷۴
و - المرحله الثالثه من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ---- ۵۷۴
ز - الردّه و حكم المرتد ---- ۵۷۵
ح - الإساءه إلى النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم والتجديف ---- ۵۷۷
ط - السجن والسجناء ---- ۵۷۹
ى - العفو عن المحكومين ---- ۵۸۲
الأحكام فى خدمه الأهداف ---- ۵۸۳
اشاره ---- ۵۸۳
أ - ضروره الانسجام فى الأحكام الاجتماعيه ---- ۵۸۳
ب - طريقيه الأحكام الشرعيه ---- ۵۸۴
ج - الأهداف النهائيه هى الأحكام السياسيه والاجتماعيه ---- ۵۸۶

المصادر ---------- ۵۸۹
تعریف مرکز ---------- ۶۰۵

الاسلام دین الفطره

اشاره

عنوان و نام پدیدآور : الاسلام دین الفطره/ تحت اشراف المنتظری.

مشخصات نشر : قم: ارغوان دانش ، ۱۴۲۹ق. = ۱۳۸۷.

مشخصات ظاهری : ۵۴۴ ص.

شابک : ۶۰۰۰۰ ریال ۷-۱۲-۲۷۶۸-۹۶۴-۹۷۸ :

وضعیت فهرست نویسی : برون سپاری.

یادداشت : عربی.

یادداشت : کتابنامه: ص. [۵۳۳] - ۵۴۰؛ همچنین به صورت زیرنویس.

موضوع : اسلام -- بررسی و شناخت

موضوع : اسلام -- عقاید

شناسه افزوده : منتظری ، حسینعلی ، ۱۳۰۱ - ۱۳۸۸.

رده بندی کنگره : BP۱۱ /الف ۶۸۴ ۷۸۳۱

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۰۲

شماره کتابشناسی ملی : ۱۵۷۴۴۹۲

وضعیت رکورد : رکورد کامل

ص :۱

اشاره

الاسلام دين الفطره

تحت اشراف المنتظرى

ص :۳

المنتظری، حسین علی، ۱۳۰۱ -.

الإسلام دینُ الفطره / تحت إشراف آیه اللّه العظمی حسین علی المنتظری - قم: ارغوان دانش، ۱۴۲۹ ه = ۱۳۸۷ ه. ش.

۵۴۴ صفحه.

۶۰۰۰۰ ریال ۷-۱۲-۲۷۶۸-۹۶۴-۹۷۸: NBSI

فهرست نویسی بر اساس اطلاعات فیپا.

کتابنامه: ص [۵۳۳]-۵۴۰، همچنین به صورت زیرنویس.

۱. الإسلام. بحث و عرض. ۲. الإسلام. العقائد. ۳. الإسلام. بلسان واضح.

۴. الأخلاق الاسلامی. الف. العنوان.

۵ الف ۸ م / ۱۱ ۲۹۷ PB

۱۳۸۷

«الإسلام دینُ الفِطره»

تحت إشراف: سماحه آیه اللّه العظمی المنتظری

- الناشر: ارغوان دانش

المطبعه: عترت

الطبعه: الأُولی

تاریخ النشر: صیف ۱۳۸۷ (شعبان المعظم ۱۴۲۹)

عدد النسخ: ۳۰۰۰ نسخه

سعر النسخه: ۶۰۰۰ تومان

الرقم الدولی: ۷-۱۲-۲۷۶۸-۹۶۴-۹۷۸

- مرکز التوزیع: قم، شارع الشهید محمّد المنتظری، الزقاق ۸

هاتف: ۱۴-۳۷۷۴۰۰۱۱(۰۲۵) * فکس: ۳۷۷۴۰۰۱۵ * جوال: ۰۹۱۲ ۲۵۲ ۵۰۵۰

البرید الإلکترونی: AMONTAZERI@AMONTAZERI . COM .

«فهرس المواضيع»

تمهيد:... ۱۹

الدّين ۲۳

ما هو الدّين؟... ۲۵

فطريه الدّين... ۲۵

الغايه من الدّين... ۲۷

أ – التوعيه... ۲۸

ب – الحُكم... ۲۹

ج – تعيين المسؤوليات... ۳۰

د – معرفه الكَوْن... ۳۱

جواب عن سؤال... ۳۳

النفور من الدّين... ۳۴

شموليه الدّين... ۳۷

مجال تعاليم الدّين... ۳۸

العقل والدّين... ۴۰

شموليه فهم الدّين... ۴۲

مدخليه الافتراضات المسبقه فى فهم الدّين... ۴۳

يُسر الدّين... ۴۷

التديّن... ۴۸

الأديان... ۵۰

ختم النبوّه... ۵۲

الدّین والتطوّر... ۵۴

الإسلام... ۵۷

الشیعه... ۵۸

الباب الأوّل: الإعتقادات ۶۱

العقیده... ۶۳

العقیده الحقّه... ۶۴

الإیمان... ۶۵

درجات الإیمان... ۶۶

ما یجب الإیمان به... ۶۸

ضروره الإیمان... ۶۹

فوائد الإیمان... ۷۱

العلم والإیمان... ۷۳

العقائد الباطله... ۷۴

الشرک... ۷۵

الکفر... ۸۰

اللّه ۸۲

طرق معرفه اللّه... ۸۳

منهج الإمام الصادق علیه السلام فی إثبات وجود اللّه... ۸۴

الإنسان، آیه اللّه... ۸۵

نفی الصدفه... ۸۷

معرفه اللّه أمر فطری... ۸۷

صفات اللّه... ۹۰

قرب اللّه... ۹۱

عدم رؤیه اللّه... ۹۲

قدره اللّه... ۹۵

علم اللّه... ۹۶

عدل اللّه... ۹۶

التوحید... ۹۹

المراد من وحدانیه اللّه... ۱۰۰

مراتب التوحید... ۱۰۱

المرتبه الکامله للتوحید... ۱۰۲

الأدلّه علی وحدانیه اللّه... ۱۰۳

أقسام التوحید... ۱۰۵

۱ - التوحید فی الذات... ۱۰۶

۲ - التوحید فی الصفات... ۱۰۶

۳ - التوحید فی الأفعال... ۱۰۷

۴ - التوحید فی العباده... ۱۰۸

افعال اللّه... ۱۱۱

نظام فعل اللّه... ۱۱۱

دور المُوَكَّلِيْن... ۱۱۲

اللّوح المحفوظ و لوح المحو والإثبات... ۱۱۲

قواعد أفعال اللّه... ۱۱۳

هدفيه أفعال اللّه... ۱۱۴

مشيئه اللّه... ۱۱۴

القضاء والقدر... ۱۱۴

هل يمكن تغيير القدر؟... ۱۱۷

هل الإنسان مجبر؟... ۱۱۸

لا جبر و لا تفويض... ۱۲۰

الإيمان بالقضاء والقدر... ۱۲۱

الشُرور... ۱۲۲

النبوّه ۱۲۶

الحاجه إلى الدليل والهدايه... ۱۲۶

ضروره بعث النبيّ فى المصادر الدينيه... ۱۲۸

سؤال حول محدوديه المنطقه التى بعث..... ۱۳۰

إتمام الحجه... ۱۳۱

مكانه الأنبياء... ۱۳۱

الأُصول المشتركه بين الأنبياء... ۱۳۲

۱ - الدعوه إلى التوحيد... ۱۳۲

۲ - الإخبار عن الآخره... ۱۳۳

۳ - الإصلاح الأخلاقی والاجتماعی... ۱۳۳

اصطفاء الأنبیاء... ۱۳۴

الوحی... ۱۳۵

تشخیص الوحی من قبل النبیّ... ۱۳۶

طرق إثبات النبوّه... ۱۳۶

المعجزه... ۱۳۷

حقیقه المعجزه... ۱۳۷

المعجزه و قانون العلّیه... ۱۳۸

الهدف من المعجزه... ۱۳۸

اختلاف المعجزات... ۱۳۹

عصمه الأنبياء... ۱۴۰

حقيقه العصمه... ۱۴۰

منشأ العصمه... ۱۴۱

ردّ على شبهه... ۱۴۱

علم الأنبياء... ۱۴۳

علم الغيب عند الأنبياء... ۱۴۳

التفاوت بين الأنبياء... ۱۴۴

بشريه الأنبياء... ۱۴۵

سيره الأنبياء... ۱۴۶

خاتم الأنبياء... ۱۴۹

سيره رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم... ۱۵۰

عبادته... ۱۵۱

مداره الناس... ۱۵۲

النظافه والزينه... ۱۵۲

الاعتدال... ۱۵۳

موقفه من الأعداء... ۱۵۴

الزهد والبساطه... ۱۵۴

معجزه النبيّ محمد صلى الله عليه و آله و سلم... ۱۵۵

القرآن و أسلوبه... ۱۵۷

تواتر و قطعیه نص القرآن... ۱۵۸

الإمامه ۱۶۰

أهمّیّه الإمامه... ۱۶۰

شروط الإمامه... ۱۶۱

۱ – العلم... ۱۶۱

۲ – العصمه... ۱۶۲

۳ – التحلّی بصفات النبیّ... ۱۶۳

۴ – الصبر... ۱۶۳

۵ – الزهد... ۱۶۴

الطریق إلی معرفه الإمام... ۱۶۵

الإمامه الخاصّه... ۱۶۶

الإمامه بَعد النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم... ۱۶۶

خلیفه النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم علی أساس القرآن... ۱۶۹

الولایه... ۱۷۲

الولایه التکوینیه والولایه التشریعیه... ۱۷۴

إمامه الإمام علیّ علیه السلام فی الروایات... ۱۷۶

نبوءه رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم... ۱۷۸

هواجس النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم من العصبیه الجاهلیه... ۱۷۸

الإمام علی علیه السلام والخلافه... ۱۷۹

الأئمه الإثنا عشر... ۱۸۰

أسماء الأئمه عليهم السلام... ۱۸۱

اختيار الأئمه عليهم السلام... ۱۸۲

أهليه الأئمه عليهم السلام... ۱۸۳

الإمامه فى الطفوله... ۱۸۵

آخر حجج اللّه... ۱۸۶

ظهور المهدى (عج)... ۱۸۷

انتظار ظهور المهدى (عج) قبل ولادته... ۱۸۸

ولاده الإمام المهدى (عج)... ۱۸۹

غیبه الإمام المهدی (عج)... ۱۸۹

الحکمه من غیبه إمام الزمان (عج)... ۱۹۱

طول عمر إمام الزمان (عج)... ۱۹۲

إنتظار الفرج والحکمه منه... ۱۹۲

الآخره ۱۹۴

أجَل الإنسان... ۱۹۵

الموت... ۱۹۶

سهوله و صعوبه النزع... ۱۹۷

الخوف من الموت... ۱۹۸

البرزخ... ۱۹۸

سؤال القبر... ۱۹۹

علل مشارف القیامه... ۲۰۰

زمان وقوع القیامه... ۲۰۱

قرب وقوع القیامه... ۲۰۱

أهوال القیامه... ۲۰۲

الحشر والمعاد... ۲۰۴

هل المعاد جسمانی أم روحانی؟... ۲۰۷

الحساب... ۲۰۹

تجسّم الأعمال... ۲۱۱

الشفاعه... ۲۱۳

الصراط... ۲۱۴

الجنّه... ۲۱۵

جهنّم... ۲۱۶

الباب الثانی: الأخلاق ۲۱۹

علم الأخلاق... ۲۲۱

فلسفه الأخلاق... ۲۲۱

النظام الأخلاقی فی الإسلام و خصائصه... ۲۲۳

۱ - التحول فی الأخلاق... ۲۲۳

۲ - الواقعیه... ۲۲۴

۳ - الاهتمام بالجوانب الوجودیه للإنسان... ۲۲۵

النفس و أقسامها... ۲۲۵

النفس الأمّاره... ۲۲۵

النفس اللّوامه... ۲۲۶

النفس المُلْهَمَه... ۲۲۷

النفس المطمئنه... ۲۲۷

۴ - الاعتدال... ۲۲۷

۵ - الترابط بین الأخلاق والعباده... ۲۲۹

۶ - التقوی رکیزه للأخلاق... ۲۳۰

۷ - الاعتزاز بالنفس... ۲۳۳

۸ - الأُسره التربویه... ۲۳۴

٩ – الثبات والمرونه فى القضايا الأخلاقيه... ٢٣٦

١٠ – شموليه النظام الأخلاقى فى الاسلام... ٢٣٧

هدف النظام الأخلاقى فى الاسلام... ٢٣٨

أُسس النظام الأخلاقى فى الإسلام... ٢٣٩

مكانه النظام الأخلاقى فى الاسلام... ٢٤٠

الأخلاق الفرديه... ٢٤٢

السلوك الشخصى... ٢٤٣

الإخلاص... ۲۴۵

العُجب... ۲۴۶

الجاه و حُبّ الشهره... ۲۴۷

حُبّ الدنيا... ۲۴۸

الزهد... ۲۵۰

القناعه... ۲۵۲

الصبر... ۲۵۳

الدعاء والتوسل... ۲۵۴

الأخلاق الأُسَرِيّه... ۲۵۷

الزوج والزوجه... ۲۵۷

الوالدان والأولاد... ۲۶۰

الأقارب... ۲۶۱

صِلهُ الرَحم... ۲۶۲

الأخلاق الاجتماعيه... ۲۶۳

العزله والتواصل... ۲۶۴

حُسْنُ الخُلق... ۲۶۴

علاقه الأُخُوَّه والإيمان... ۲۶۵

الموقف من المُنكَرات... ۲۶۶

المحبّه... ۲۶۷

أصدقاء السوء... ۲۶۹

الأصدقاء الصالحون... ٢٧٠

الكلام... ٢٧٠

النميمه... ٢٧٢

الغِيبه... ٢٧٢

النفاق... ٢٧٤

الكذب... ٢٧٥

السبّ... ٢٧٥

التكبّر... ٢٧٦

الحَسَد... ٢٧٨

الغضب... ٢٧٨

العصبيه... ٢٨٠

الحلم... ٢٨١

العفّه... ٢٨٢

الإحسان... ٢٨٣

التراحم والمودّه... ٢٨٤

المداراه... ٢٨٥

آداب المعاشره... ٢٨٧

أخلاق الأُمراء والمسؤولين... ٢٨٨

١ - الصفح... ٢٩٠

٢ - تهذيب النفس... ٢٩٢

۳ – مداراه الناس... ۲۹۳

۴ – رفض التملّق و اجتناب سیره الجبابره... ۲۹۵

۵ – کتمان السرّ... ۲۹۸

۶ – اجتناب الغضب... ۲۹۸

۷ – اجتناب الکِبْر... ۲۹۹

۸ – سعه الصدر... ۳۰۰

۹ – المداراه... ۳۰۱

۱۰ – الحلم... ۳۰۲

۱۱ – العداله... ۳۰۲

الباب الثالث:

التكاليف و المسؤوليات ۳۰۵

الأحكام... ۳۰۷

أفضليه التشريع الإلهى... ۳۰۸

مصادر التشريع... ۳۰۹

۱ – القرآن... ۳۰۹

۲ – السُنّه (قول، فعل و تقرير المعصوم)... ۳۱۰

۳ – الإجماع... ۳۱۰

۴ – العقل... ۳۱۱

الاجتهاد و تاريخه... ۳۱۱

۱ – دور تعلّم و نشر الأحكام... ۳۱۲

۲ – دور الاجتهاد الابتدائى... ۳۱۲

۳ – دور الاجتهاد التخصُّصى... ۳۱۳

التقليد... ۳۱۳

شروط مرجع التقليد... ۳۱۴

التكليف... ۳۱۵

شروط التكليف... ۳۱۶

الفرق بين التكليف والحق... ۳۱۷

أبواب الفقه... ۳۱۸

العبادات ۳۱۹

الصلاه... ٣١٩

أهمّيه الصلاه... ٣١٩

الصلوات الواجبه... ٣٢١

مقدّمات الصلاه... ٣٢٢

وقت الصلاه... ٣٢٢

مكان المصلّى... ٣٢٢

القِبله... ٣٢٣

ثياب المصلّى... ٣٢٤

الطهاره... ٣٢٤

أ - الطهاره الظاهريه... ٣٢٤

النجاسات... ٣٢٥

طرق إثبات النجاسه... ٣٢٦

طرق تنجّس الأشياء الطاهره... ٣٢٦

المطهِّرات... ٣٢٦

١ - الماء... ٣٢٦

الماء القليل والكر... ٣٢٧

٢ - الأرض... ٣٢٨

٣ - الشمس... ٣٢٨

٤ - الاستحاله... ٣٢٩

٥ - ذهاب ثلثى العصير العنبى... ٣٢٩

٦ – الانتقال... ٣٢٩

٧ – الإسلام... ٣٢٩

٨ – التبعيه... ٣٣٠

٩ – زوال عين النجاسه... ٣٣٠

١٠ – استبراء الحيوان الجلّال... ٣٣٠

١١ – غيبه المسلم... ٣٣٠

ب – الطهاره المعنويه... ٣٣٠

الوضوء... ٣٣١

الوضوء الترتيبى والارتماسى... ٣٣١

شروط الوضوء... ٣٣٢

مبطلات الوضوء... ٣٣٣

الغسل... ٣٣٣

الأَغسال الواجبه... ٣٣٤

كيفيه الغسل... ٣٣٥

أحكام الغسل... ٣٣٥

أحكام الجنابه... ٣٣٦

ما يحرم على الجنب... ٣٣٦

أحكام الحيض... ٣٣٧

التيمُّم... ٣٣٧

كيفيه التيمم... ٣٣٨

ما يصحّ به التيمم... ٣٣٨

موارد التيمم... ٣٣٩

واجبات الصلاه... ٣٣٩

أحكام الصلاه... ٣٤١

مستحبات الصلاه... ٣٤٢

مبطلات الصلاه... ٣٤٣

صلاه المسافر... ٣٤٤

صلاه الجماعه... ٣٤٥

شروط صلاه الجماعه... ۳۴۶

شروط إمام الجماعه... ۳۴۶

الصلوات الواجبه الأُخرى... ۳۴۶

صلاه الجمعه... ۳۴۶

کیفیه صلاه الجمعه... ۳۴۷

شروط إمام الجمعه... ۳۴۷

صلاه العیدین... ۳۴۸

کیفیه صلاه العید... ۳۴۸

صلاه الآیات... ۳۴۹

وقت صلاه الآیات... ۳۵۰

کیفیه صلاه الآیات... ۳۵۰

أحکام الموتی... ۳۵۱

الاحتضار... ۳۵۱

أحکام ما بعد الوفاه... ۳۵۱

غسل المیّت... ۳۵۱

أحکام غسل المیّت... ۳۵۲

ألحنوط و أحکامه... ۳۵۲

أحکام تکفین المیّت... ۳۵۳

أحکام صلاه المیّت... ۳۵۳

الدفن... ۳۵۴

صلاه الوحشه... ۳۵۵

نبش القبر... ۳۵۵

الصوم... ۳۵۶

من لايجب عليهم الصوم... ۳۵۷

مبطلات الصوم... ۳۵۸

أحكام الصوم... ۳۵۹

تكريم شهر رمضان... ۳۶۰

الاعتكاف... ۳۶۰

شروط الاعتكاف... ۳۶۱

أحكام الاعتكاف... ۳۶۱

الحج... ۳۶۲

۱ - الجانب العبادی للحج... ۳۶۲

۲ - تأثیر الحج فی الرقی والبقاء الثقافی... ۳۶۶

۳ - الجانب الاجتماعی والسیاسی للحج... ۳۶۷

شروط وجوب الحج... ۳۶۸

أقسام الحج... ۳۶۹

کیفیه حج التمتّع... ۳۶۹

۱ - عمره التمتّع... ۳۷۰

۲ - حج التمتّع... ۳۷۱

العمره المفرده... ۳۷۲

زیاره قبر النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم و أهل البیت علیهم السلام... ۳۷۲

النذر والعهد والقسم... ۳۷۳

الأُسره ۳۷۶

مکانه و أهمیه الأُسره... ۳۷۶

الزواج... ۳۷۷

العلاقه الطبیعیه بین المرأه والرجل... ۳۷۷

الزواج نوع من العباده... ۳۷۷

الاهداف الأساسیه من الزواج... ۳۷۹

اختیار الزوج... ۳۷۹

۱ - الحریّه فی اختیار الزوج... ۳۸۰

إذن الأب فی زواج ابنته... ۳۸۰

۲ - معاییر اختیار الزوج... ۳۸۱

۳ - من لایقع الزواج بینهم (المحارم)... ۳۸۲

عقد الزواج... ۳۸۴

دور المرأه فی صیانه العفاف فی المجتمع... ۳۸۴

أحکام النظر واللّمس والصوت... ۳۸۵

الواجبات الأُسریه... ۳۸۶

النفقه و إداره شؤون الأُسره... ۳۸۸

من تجب إعالتهم... ۳۹۰

حقوق الطفل... ۳۹۰

الأعمال المستحبه بعد الولاده... ۳۹۱

الزواج المؤقت... ۳۹۱

لماذا الزواج المؤقت؟... ۳۹۱

أحکام الزواج المؤقّت... ۳۹۳

تعددُّ الزوجات... ۳۹۴

شروط تعدد الزوجات... ۳۹۵

الطلاق... ۳۹۶

قیود وقوع الطلاق... ۳۹۷

أقسام الطلاق... ۳۹۸

أ - الطلاق البائن... ۳۹۸

ب - الطلاق الرجعى... ٣٩٩

أحكام العِدّه... ٤٠٠

عدّه الطلاق... ٤٠٠

المرأه التى لا عدّه عليها... ٤٠٠

عدّه المرأه فى الزواج المؤقت... ٤٠١

عدّه الوفاه... ٤٠١

ما يجب على المرأه فى عدّه الوفاه... ٤٠١

التغذيه... ٤٠٢

١ - اللُّحوم... ٤٠٢

أ – الحيوانات الحلال اللّحم... ۴۰۲

شروط ذباحه الحيوان... ۴۰۳

أحكام الصيد بالأسلحه... ۴۰۴

صيد الأسماك... ۴۰۵

ب – الحيوان المحرّم اللحم... ۴۰۵

۲ – المأكولات المأخوذه من غير الحيوان... ۴۰۵

المأكولات الحرام المأخوذه من غيرالحيوان... ۴۰۶

أ – النجاسات... ۴۰۶

ب – المواد المضرّه... ۴۰۶

ج – السوائل والأشربه المحرمه... ۴۰۶

أحكام الأطعمه... ۴۰۶

وسائل الترفيه والتسليه... ۴۰۷

المسابقات... ۴۰۸

أحكام بعض الوسائل الترفيهيه... ۴۰۹

۱ – الغناء... ۴۰۹

۲ – الألعاب السحريّه... ۴۰۹

۳ – إحضار الأرواح والتنويم المغناطيسى... ۴۰۹

۴ – القمار... ۴۱۰

۵ – المخدرات... ۴۱۰

الاقتصاد ۴۱۱

أهميه الاقتصاد... ۴۱۱

القوانين الاقتصاديه... ۴۱۲

الفقر؛ أسبابه و تأثيراته... ۴۱۳

الملكيه و أنواعها... ۴۱۴

الملكيه العامّه... ۴۱۵

الملكيه الخصوصيه... ۴۱۶

الثراء... ۴۱۶

الإسراف والتبذير... ۴۱۷

العمل والسعى... ۴۱۸

شروط الملكيه... ۴۱۹

الوصيه... ۴۱۹

الإرث... ۴۲۱

الغصب... ۴۲۲

المحجور عليه... ۴۲۲

أنواع المعاملات... ۴۲۳

الأحكام العامّه للمعاملات... ۴۲۶

أنواع البيع... ۴۲۶

موارد فسخ المعامله... ۴۲۷

آداب البيع والشراء... ۴۲۸

الاحتكار والتسعير... ۴۲۸

المعاملات الباطله... ۴۲۹

الأعمال المحرّمه... ۴۳۰

النقد... ۴۳۰

القَرض الحسَن... ۴۳۱

الربا... ۴۳۱

المعامله والربا... ۴۳۲

أنواع الربا... ۴۳۳

المصارف... ۴۳۳

الكُمبِياله (السند)... ۴۳۴

التكاليف الماليه... ۴۳۴

۱ - الإنفاق... ۴۳۶

۲ - النهى عن تكديس الثروه... ۴۳۶

۳ - إيتاء الزكاه... ۴۳۷

مصرف الزكاه... ۴۳۸

زكاه الفطره... ۴۳۹

۴ - الخمس... ۴۳۹

مصرف الخمس... ۴۴۰

السياسه ۴۴۱

الدين والحكومه... ۴۴۱

الحكومه، ضروره اجتماعيه... ۴۴۱

الغايه من إقامه الحكومه... ۴۴۲

القدره على تنفيذ القوانين و حمايه المجتمع... ۴۴۳

الحكومه وسيله لتحقيق الأهداف الدينيه... ۴۴۴

أنواع الحكومات، والحكومه الدينيه... ۴۴۵

أ - الحكم الاستبدادى والمطلق... ۴۴۵

ب - الحكم الدستورى... ۴۴۷

ج - الحكم الدينى الدستورى... ۴۴۸

خصائص الحكم الدينى... ۴۴۸

الاستفاده من التجارب البشريه فى الحكم... ۴۵۰

الفصل بين السلطات... ۴۵۱

الحكومه: وكاله أم ولايه... ۴۵۲

أ – الوكاله، عقد جائز... ۴۵۲

ب – الحكومه، عقد لازم... ۴۵۳

ج – الولايه مستقاه من العهد والميثاق... ۴۵۴

د – البيعه و دورها فى شرعيه الحكومه... ۴۵۶

القيد الزمانى للمناصب الحكوميه... ۴۵۷

السُبُل القانونيه لعزل الحاكم... ۴۵۸

شروط الحاكم... ۴۵۹

أ – الإسلام والإيمان... ۴۶۰

ب – النضوج العقلى... ۴۶۱

ج – حُسن التدبير والسياسه... ۴۶۲

د – العلم والإجتهاد... ۴۶۳

ه – العداله... ۴۶۵

و – حُسن الخُلُق... ۴۶۷

كيفيه الحكم... ۴۶۷

أ – صيانه الحريّات الفرديه والإجتماعيه... ۴۶۸

ب – المساواه أمام القانون... ۴۶۹

ج – الإشراف العام على المسؤولين... ۴۷۰

د – الرضا العام... ۴۷۲

ه - التساهل... ۴۷۳

و - حفظ المصلحه العامّه داخلیاً و خارجیاً... ۴۷۴

ز - اجتناب إثاره التوتّر... ۴۷۶

ح - الاقتصاد فی النفقات... ۴۷۷

ط - حفظ حقوق الأقلّیّات... ۴۷۷

الأحکام السیاسیه... ۴۸۱

أ - الواجبات السیاسیه والاجتماعیه الفردیه... ۴۸۱

صلاه الجماعه، والجمعه والعیدین... ۴۸۲

الحجّ، تجمع عبادی - سیاسی دولی... ۴۸۳

الأمر بالمعروف والنهی عن المنکر... ۴۸۴

رعایه القوانین الاجتماعیه... ۴۸۶

التقیّه والکتمان... ۴۸۷

المشارکه فی الحیاه الاجتماعیه و عدم العزله... ۴۸۸

ب - الواجبات السیاسیه الاجتماعیه العامه..... ۴۸۸

۱ - الشؤون الثقافیه... ۴۸۹

أ - التعلیم والتربیه العامّه... ۴۸۹

ب - الدعوه إلی الدین... ۴۹۰

ج - العلاقات الثقافیه الدولیه... ۴۹۱

د - الکُتُب و وسائل الإعلام... ۴۹۲

۲ - الشؤون الاقتصادیه... ۴۹۳

أ - الأنفال... ۴۹۴

ب - المباحات العامّه... ۴۹۵

ج - الضرائب... ۴۹۵

د - الخمس والزکاه... ۴۹۶

ه - الأوقاف العامّه... ۴۹۶

العلاقات الاقتصادیه الدولیه... ۴۹۶

العداله الاقتصادیه... ۴۹۷

۳ - الشؤون السیاسیه... ۴۹۹

أ - الوحده والأخوّه الإسلامیه... ۴۹۹

ب – حوار الأديان... ۵۰۰

ج – التعايش السلمی... ۵۰۱

د – المعاهدات الدوليه... ۵۰۲

ه – تقيّه المداراه... ۵۰۳

و – الإصلاح بين الناس فی السياسه..... ۵۰۵

ز – الاستقلال التام... ۵۰۶

۴ – الشؤون العسكريه والأمنيه... ۵۰۶

أ – تأسيس و إداره القوات المسلّحه... ۵۰۷

ب – الجهاد والدفاع... ۵۰۷

ج – السلام والأمن... ۵۰۹

د – تأمين الطرق والحدود والمدن فی..... ۵۰۹

ه – الأمن والمخابرات... ۵۱۰

۵ – الشؤون القضائيه... ۵۱۲

أ – القضاء و شروطه... ۵۱۳

ب – كيفيه القضاء... ۵۱۴

ج – الحدود والتعزيرات... ۵۱۶

د – القصاص... ۵۱۷

ه – الديّات... ۵۱۸

و – المرحله الثالثه من الأمر بالمعروف..... ۵۱۸

ز – الردّه و حكم المرتد... ۵۱۹

ح - الإساءه إلى النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم والتجديف... ۵۲۱

ط - السجن والسجناء... ۵۲۳

ى - العفو عن المحكومين... ۵۲۶

الأحكام فى خدمه الأهداف... ۵۲۷

أ - ضروره الانسجام فى الأحكام الاجتماعيه... ۵۲۷

ب - طريقيه الأحكام الشرعيه... ۵۲۸

ج - الأهداف النهائيه هى الأحكام..... ۵۳۰

المصادر... ۵۳۳

تمهید:

(بسم اللّه الرّحمن الرّحیم)

الحمد للّه ربّ العالمین والصلوه والسلام علی خیر خلقه محمّد و آله الطاهرین

الإنسان کیانٌ مرکّبٌ من شیئین؛ روح و جسد. و قد خلقه اللّه ببالغ حکمته و جمیل تدبیره لغایه ذات أهمیه قصوی. فالغایه من حیاته هی أن یتکامل و تنضج شخصیّته و یسیر علی الطریق المؤدیه نحو الکمال الإلهی المطلق. فَلو شاء الإنسان أن یحثّ الخُطا نحو هذا الهدف، لکی یرتقی و یسیر نحو التکامل، فلابّد من ضمان متطلباته الروحیه إلی جانب متطلباته الجسدیه. و هذا ما یستدعی بطبیعه الحال توجیهاً و ارشاداً و هدایه. والدّین یؤدّی هذه الوظیفه و ینهض بهذه المهمّه. فهو یقدّم للإنسان منهجاً کفیلاً- بتوفیر متطلّباته، و هی المتطلّبات التی یتعذر نیل الکمال إلّابها. کما أن الدّین یسلّط الأضواء علی حقائق یحتاجها بنو الإنسان فی حیاتهم المعنویه، مما لا-یمکن استیعابه بالعقل أو بالحس و لا بالحدس والظنون. و بعض التعالیم التی یبسطها بین یدیه من سنخ آخر یفوق التجربه والإدراک العقلی مثل عالم الآ-خره و عالم الغیب، و إن کان الأصل الذی یکون به الثواب والعقاب، أصل عقلی.

الملاحظه الأُخری فی ما یخص مکانه الدّین هو تأثیره الخاص فی دفع الإنسان إلی ممارسات أشیاء یهتدی إلیها بالعقل. و دور الدّین لا غنیً عنه فی تحفیز الإنسان علی فعل العمل الصالح و اجتناب کل قبیح و رذیله. و من الحقائق المشهوده هی أنّ الدّین ینظّم الحیاه و یجعلها ذات نسق متسق و انضباط تام، و یزوّد الإنسان بمقدره علی التکیف مع مصاعب الحیاه و تحمل مشاقّها و تیسیر العسیر منها. کما أنّ الاعتقاد بالیوم الآخر یهوّن من شدّه المصائب التی قد تتکالب علیه بسبب السیر علی طریق الحق.

الدّین یضفی علی المجتمع انسجاماً و اتّساقاً، و ینقل العادات والتقالید الصحیحه

والأصيله والتراث الثقافى من جيل إلى آخر. و مما لايخفى أيضاً أنّ الدّين يغمر الحياه بالبهجه والنشاط، فضلاً عن نشر و ترسيخ القيم الأخلاقيه فى الوسط الاجتماعى.

و علاوه على دوره فى تلبيه الحاجات والمتطلّبات الفرديه، فإنّه يلبى المتطلّبات الاجتماعيه أيضاً. و هذا يعنى أنه يقدّم أفضل عون للإنسان على بسط الأمن والحريّه والعداله التى يمكن فى ضوئها نشر و تفعيل القيم المعنويه.

و بناءً على ما سبق ذكره يتّضح أن للدين دوراً فى غايه الأهميه و لذلك لابُدّ من معرفته، والاطّلاع على حقيقه تعاليمه جهد الإمكان.

و أُولى المسؤوليات التى تفرض نفسها على المؤمن هى أن يتعرّف على الدّين عن وعى و بصيره، معتمداً فى ذلك على العقل و على المصادر الدينيه. و إذا عرف الإنسان دينه و ما فيه من تعاليم و ارشادات و ما يتطلع إليه من أهداف و غايات، يكون بذلك قد عرف سُبُل الحياه و هذا ما يسهّل عليه طبعاً وضع المنهج الكفيل بالارتقاء به نحو الرقى والتكامل. و انطلاقاً من هذه الضروره كُرِّس جانب مهم من رساله الأنبياء للتعريف بالدين و إبلاغ رسالته.

و على العموم يمكن القول إنّ للإنسان ثلاث مراحل وجوديه:

١ – مرحله العقل والتفكير، و هى أعلى المراحل، و بها يتميّز عن الحيوانات.

٢ – مرحله الأهواء والغرائز والعواطف.

٣ – مرحله البدن والأعضاء والجوارح.

المرحلتان الاخيرتان خاضعتان لسيطره و إداره المرحله الأُولى. و معيار التكليف وجود المرحله الأُولى. والحيوانات ساقط عنها التكليف لأنها فاقده لها.

الدّين غايه تنظيم و ضبط و تكامل المراحل الثلاثه. و لذلك فهو يتألّف من ثلاثه مكوّنات:

١ – المعتقدات والمعارف.

٢ – الأخلاق.

٣ – الأحكام العمليه.

قطع علماء و فقهاء الإسلام منذ زمن بعيد أشواطاً طويله على طريق التعريف

بالـدین و مختلف جوانبه، و ألّفوا الکتب التی یتسنّی للناس أن یطلعوا من خلالها علی أصول الدّین، والأخلاق والأحکام. و لقد کـانت لـدیهم صوره واضـحه بـأن کـل زمـان له ظروفه و متطلباته التی تسـتدعی وضع مؤلفات تتناسب مع التطوّر الفکری لـذی المجتمع و تواکب حاجاته.

و استجابه لهذا الواقع فقد کُتبت مؤلفات تتناول المیادین الثلاثه؛ العقائد، والأخلاق، والأحکام، حتی بلغت الأمور حداً أخذ معها حجم الموضوعات یزداد یوماً بعد آخر، و أخذ حجم الرسائل العملیه یتضـخّم بالأسئله الفقهیه فی مجال الأحکام. و قد أدّت کل هذه الأسالیب مجتمعه إلی أن تکون عامّه الناس غیر قادره علی الاستفاده من هذه الرسائل إلّافی القلیل النادر، و نادراً ما یُتاح لها معرفه أصول العقائـد والمعـارف والأخلاق. و هـذا ما یـدعو فقهاء الإسـلام و علماءَه إلی أن یهتموا - إضافه إلی الرسائل العملیه التی تشـتمل علی الأحکام و قسم من الفروع الفقهیه - بجوانب الإسـلام الأُخری و تبیین المعارف الإسـلامیه بأسلوبها التخصصی والمُبسّـط، لمختلف المسـتویات الثقـافیه لأبناء الأمّه، و یتکفّلوا إلی جانب ذلک بمهمه الرد علی الشـبهات الجدیـده والتساؤلات التی تراود أذهان الناس أحیاناً و خاصّه جیل الشباب.

جاء تألیف هـذا الکتاب اسـتجابه لهـذه الضـروره. والغایه من تقدیم معرفه إجمالیه لمنظومه المسائل الاعتقادیه والأخلاقیه و نبذه عن الأحکام الضروریه لعموم الناس.

نأمل أن یکون خطوه علی طریق تحقیق هذه الغایه.

فی الختام أودّ أن أعرب عن شـکری و تقـدیری لکل الساده الأفاضل الـذین ساهموا فی إعداد و تألیف و تعریب هذا الکتاب. و نسأل اللّه لهم جزیل الأجر والثواب.

و أدعوا جمیع الاـخوه والأـخوات إلی تشـجیع و حثّ أبنـائهم علی قراءه الکتب الـدینیه التی تتنـاول المعـارف والأخلاـق والقیم الإسلامیه.

والسلام علی جمیع إخواننا المؤمنین و رحمه اللّه و برکاته.

ربیع الأوّل ۱۴۲۷

حسین علی المنتظری

الدّين

اشاره

ص:۲۳

ما هو الدّين؟

الـدّين بمعنى الجزاء، والقانون، والعاده، والعباده، والطاعه.(۱) و قـد وردت هـذه الكلمه فى القرآن الكريم بهذه المعانى: (مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) (۲) فـاللّه تعـالى مالـك يوم الجزاء، (ما كانَ لِيَأْخُـذَ أَخاهُ فِى دِينِ الْمَلِكِ) (۳) أى مـا كان يسـتطيع حبس أخيه وفقاً لقانون الملك. (أَلا لِلّهِ الدِّينُ الْخالِصُ) (۴) أى اعلموا أنّ الطاعه الخالصه للّه.

و أمّا فى المعنى الاصـطلاحى، فتطلق كلمه الـدّين على بعض الأُمور المقـدّسه التى لها صـله وثيقه بذات الإنسان، و تلبّى حاجاته المعنويه، و تروى ظمأه. و فى رأينا إنّ هذا لايكون حقاً إلّاإذا كان مُنزلاً من اللّه تعالى. و فى هذه الحاله فقط يصحّ إطلاق تسميه الدّين عليه حقيقه. و قد ورد فى القرآن الكريم صراحه: (وَ مَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ) (۵) أى أنّ كل مَن يطلب ديناً آخر غير الإسلام لن يقبل منه أبداً.(۶)

تُستعمل كلمه الدّين أحياناً فى مقابل الشريعه، و يُراد به اصول الدّين، بينما تضمّ الشريعه الجوانب الأخلاقيه والفقهيه.

فطريه الدّين

الفَطر: بمعنى الشق طولاً. و «الفِطره» مصدر نوعى بمعنى خلق و إبداع الشىء، بحيث

۱- – الفيروزآبادى، القاموس المحيط، ج ۴، ص ۲۲۵.

۲- – سوره الفاتحه (۱)، الآيه ۴.

۳- – سوره يوسف (۱۲)، الآيه ۷۶.

۴- سوره الزمر (۳۹)، الآيه ۳.

۵- سوره آل عمران (۳)، الآيه ۸۵.

۶- تجـدر الإشـاره إلى أنّ مقوله الـدّين المقبول عنـد اللّه متفـاوته من حيث الجزاء على العمل الصالـح، و كما يلاحظ فى آيات أُخرى من القرآن الكريم أن أتباع سائر الأديان إن كانوا يؤمنون باللّه و يعملون عملاً صالحاً، سيكون لهم أجرهم.

يظهر منه عمل خاص. والفطره - كالغريزه والطبع - عباره عن ميل و نزوع ذاتى. أى أنّ الموجود الفطرى هو ما خلق بحيث يكون له توجّه ذاتى نحو شىء معين بدون تعليم و تجربه، مثل فهم الحسن والقبح. و مثل هذا التوجّه والانجذاب الذاتى ليس أمراً مادياً و خاضعاً للمقاييس، و لايمكن حسابه و تقييمه بالحسابات الماديّه. و للُامور الفطريه خصائص و هى أنّها: عموميه، ذاتيه، ثابته لاتتبدل، غير ماديه.

إنّ النظر الدقيق فى ميول الناس و سلوكهم يكشف بكل جلاء عن حقيقه، و هى أنّ لبنى الإنسان توجهات و ميولاً باطنيه. فبنو الإنسان على العموم يبدون ميلاً نحو الجمال، والسلوك الاخلاقى، و حُبّ الحقيقه، و حُبّ الاستطلاع والانبهار بالموجودات المتميّزه، والميل إلى الكشف عن الأماكن والأشياء الجميله، والاعتناء بالذات، و إظهارها بمظهر حميد حسن، و إنفاق أموال طائله من أجل التوصل إلى الحقيقه، والرغبه فى إظهار سلوك أخلاقى حميد منذ الأيام الاُولى لإدراكهم العقلى. فلماذا كل هذه الميول؟ والجواب: لأنّ الأخلاق الحميده كالصدق والأمانه جزء من الفطره الاُولى للإنسان، أمّا الأخلاق السيئه كالاحتيال والخُداع والكذب فهى تتعارض مع الفطره؛ لأنها دخيله على فطره الإنسان السليمه.

الإنسان بطبيعته يبجّل الكائنات العظمى و ينحنى إجلالاً لها، بل قد يصل به الحال إلى عبادتها. و هذا ما يكشف عنه تاريخ البشريه بكل جلاء، و هناك شواهد داله على فطريه هذا الميل فى ذات الإنسان، تتجلى فى ظهور الأديان والممارسات العباديه الغريبه، و تقديم القرابين لتلك الآلهه التى يقع عليها اختياره، و تضرّعه لها بهدف استعطافها و نيل القرب منها، فضلاً عن اتخاذ السحر كوسيله للنفوذ إلى قلوبها، إضافه إلى ما يحتفظ به الكهنه من أحراز و أوراد للتعامل مع تلك الآلهه. و يكشف تاريخ الإنسان أنّ حياته كانت حافله بالأسرار والألغاز. و كان الاعتقاد بوجود عالم غيبى غامض غير هذا العالم المادى، من الحقائق المشهوده فى تاريخه. و ما عباده الظواهر الطبيعيه أو حتى عباده الأصنام إلّاتعبير عن هذا الميل الذاتى، و إن كان من المحتمل - طبعاً - وقوع انحراف عن الإراده الأصليه عند ممارسه هذا الميل. و على العموم فإنّ الميل إلى العباده يعكس احد معانى فطريه الدّين.

و قد صرّح القرآن الكريم عن هذه الحقيقه بقوله: (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللّهِ الَّتِی فَطَرَ النّاسَ عَلَيْها لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللّهِ ذلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ) .(۱)

إنّ فطريه الدّين تعنى أنّ الدّين جاء إلى الناس بما يميلون إليه بفطرتهم الذاتيه.

و أمّا الوجه الآخر لفطريه الدّين فهو أن الناس يسعون إلى العثور على القوانين والأحكام التى تضمن لهم سعادتهم، بيد أنّ ما يتوصلون إليه فى هذا المضمار لايحقق لهم هذه الغايه، لذلك فهم يتطلعون إلى سبيل أكثر وثوقاً. والدّين هو السبيل الموثوق الذى يسعى الناس بجدٍ للعثور عليه.

أمّا الجانب الثالث لفطريه الدّين فيعزى إلى نزعه المنفعه والكمال عند الإنسان.

فالإنسان يسعى على الدوام فى سبيل تحقيق مصلحته و منفعته الذاتيه، ليتسنّى له إضافهً إلى تحقيقها، بلوغ مرتبه أعلى على طريق التكامل. و لاشكّ فى أنّ مُتابعه الطريق الآمن لبلوغ الكمال و جنى المنفعه الذاتيه تمثل قضيه حيويه لبنى الإنسان. والدّين و ما فيه من تعاليم يرشدهم إلى هذا الطريق الآمن.

إذاً و فطريه الدّين هى التى تلبّى نزعه الإنسان إلى العباده، و ترشده إلى طريق آمن نحو السعاده، و تضمن له تحقيق منفعته و بلوغ ما يصبو إليه من الكمال.

الغايه من الدّين

اشاره

نبدأ كلامنا حول هذا الموضوع بإثاره عدد من الأسئله و هى: ماذا سيحصل لو لم يكن هناك دين؟ و هل الحياه متعذره بلا دين؟ ألا يكفى عقل الإنسان و تجاربه لرسم مصيره؟

رغم أنّ المجتمعات البشريه لم تعش تجربه حياتيه خاليه من الدّين - بما يعنيه من أمر يتعاطى مع الفطره - يمكن فى ضوئها بيان حاله الحياه بدون وجود الدّين، و لكنّ واقع الحال ينبئنا عن مدى ضروره الدّين، و أنه من المتعذر أن تكون حياه الناس خاليه منه. فوجود الدّين يدور مدار حياه الإنسان. و من غير الممكن وجود الإنسان مجرّداً من هويته

۱- سوره الروم (۳۰)، الآيه ۳۰.

الإنسانيه، فميله الذاتى إلى ممارسه الشعائر الدينيه جزء من هويته. و يمكن القول بعباره أخرى: إنّ الدّين عباره عن استجابه مناسبه لنداء الفطره. و يؤدى الدّين بالدرجه الأُولى عدّه وظائف مهمه، و يضطلع تبعاً لذلك بأدوار مهمه فى الحياه. و يمكن إيجاز وظائف الدّين - فضلاً عمّا سبق ذكره - بما يلى:

أ - التوعيه

يكتسب الناس عاده الكثير من التجارب عند إداره شؤون حياتهم والتعاطى مع الواقع المحيط بهم. و هم عاده يكتسبون أو يكتشفون كل ما يلزم لحياتهم و سلامتهم والدفاع عن كيانهم. و رغم كل ذلك، فهناك جوانب فى الحياه لاتخضع للتجربه، و إخضاعها للتجربه يعنى فقدان كل شىء. و من الأُمور التى يتعذّر على الإنسان تلمّسها حتى عن طريق الحدس والظن، وجود كائنات غير ماديه فى هذا الوجود، و كيفيه تدبير شؤون هذا الكَوْن، و مصيره، و بعث الناس من جديد فى عالم آخر، و ما شابه ذلك. و قد تحدّث القرآن الكريم عن رسُل أرسلهم اللّه ليعلّموا أقوامهم: (كَما أَرْسَلْنا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آياتِنا وَ يُزَكِّيكُمْ وَ يُعَلِّمُكُمُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَهَ وَ يُعَلِّمُكُمْ ما لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ) .(۱)

فقد تحدثت هذه الآيه عن نوعين من التعليم: تعليم الكتاب والحكمه، و تعليم الأشياء التى لايمكن أن يتعلّمها الناس إلاّ عن طريق الأنبياء بواسطه الوحى.

تظهر تجارب بعض النحل والاتجاهات مثل البوذيه، أنّ البوذيين على الرغم من إنكارهم لِما وراء الطبيعه و لبعث الأنبياء،(۲) غير أنهم يتّصفون بمسلكيه أخلاقيه شبيهه بما تدعو إليه الأديان التوحيديه، و يُعزى سبب ذلك إلى ما تنطوى عليه البوذيه من تعاليم معنويه.

وانطلاقاً من ذلك يبدو أنّ المتديّنين استطاعوا تحقيق ما هو صالح و ما ينبغى لهم العمل

۱- سوره البقره (۲)، الآيه ۱۵۱.

۲- - هذا على فرض أن بوذا لم يكن نبياً و لم يكن دينه ديناً سماوياً، و اعتبرناه مجرّد إنسان دعا إلى الاهتمام بالجوانب المعنويه.

به، عن طريق الوحى والتعاليم الدينيه على نحو أفضل، سواء على صعيد الاعتقاد بما فى هذا العالم من حقائق خفيه و ظاهره، أو عن طريق السلوك الفردى والجماعى. فعلاقه الفرد مع ربّه، و مع أبناء جنسه، و حتى مع البيئه المحيطه به، من جمله الأُمور التى تعالجها التعاليم الدينيه. و من الطبيعى أنّ كشف حقائق هذه الأشياء متعذّر على البشر، و لكن لايمكن لأحد الحزم بأنّ ما توصل إليه بنو البشر و جرّبوه هو ما ينبغى أن يكون دون غيره.

و يتضح من خلال رسالات الأنبياء أنّهم لم يكونوا يرتضون أىّ نوع من العلاقه بين العبد و ربّه. و ليس كل أنواع العلاقه بين العبد و ربّه - اى كل ما يُعبر عنه باسم العباده - مقبوله.

إنّ علاقه البشر مع بعضهم من قبيل علاقه المرأه بالرجل، و علاقه الجيران، والرجال مع أزواجهم، والأبناء مع آبائهم، والعلاقه بين أتباع الدّين الواحد، و غير ذلك، تقوم أحياناً على التجربه و رعايه المصالح العامّه. كما يؤكّد الدّين على المصالح المعنويه والأُخرويه التى لايمكن التوصّل إليها بالتجربه. فالناس قد يحسبون الخير شرّاً، أو يرون فى الشر خيراً،(١)

غير أنّ الواقع ليس كذلك: (وَ لا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِما آتاهُمُ اللّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ ما بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيامَهِ...) .(٢)

ب - الحُكم

يؤدّى الدّين دوراً فى موضوع الحكم بين الناس و البتّ فى ما ينشأ بينهم من خصومات.

فالتعارض بين المصالح يوقع الناس أحياناً فى نزاعات و خصومات. و أفضل الحلول لمثل هذه المنازعات هو القضاء فيها، مع أخذ كل جوانب مصالحهم بنظر الاعتبار، و إصدار الحكم فيها تبعاً لِما تقتضيه مصلحتهم فى الدنيا والآخره: (... فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ وَ أَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ...) .(٣)

و فى ضوء الملاحظتين المذكورتين آنفاً، لابُدّ من التنبيه إلى أنّ الدّين يؤازر عقل الإنسان للوصول إلى ما يحتاجه من حقائق، و يُعتبر بمثابه محكّ تُقاس به معطيات العقل و

١- - «عَسى ان تكرهوا شيئاً و هُوَ خيرٌ لكم وَ عَسى ان تُحِبّوا شَيئاً و هُوَ شرٌّ لكم»؛ سوره البقره (٢)، الآيه ٢١٦.

٢- سوره آل عمران (٣)، الآيه ١٨٠.

٣- سوره البقره (٢)، الآيه ٢١٣.

يتقرر خطؤهـا من صوابها. والعقل رغم ما يتسم به من قـدرات إلّاأنّه يقع أحياناً أسـيراً لأهواء النفس و يبقى عاجزاً عن إدراك ما هو حسن، بل قد يسوق الإنسان أحياناً إلى الفساد و إراقه الدماء.

فـالكثير من الحروب والـدمار كـان الموجّه والقائـد إليها هو العقل. و انطلاقاً من ذلك لابُدّ من وجود قوه رادعه و هاديه أُخرى تأخذ بزمام العقل.

ج – تعيين المسؤوليات

وضع الـدّين على رأس اهتمامـاته إبلاـغ النـاس بتكـاليفهم، أو مـا يمكن أن نسـمّيه بتعبير آخر: هـدايتهم. فعلى الناس تكاليف و مسؤوليات فى كل ما يواجههم من شؤون الحياه.

و هـذه المسؤوليه إن كـانت معيّنه عن طريق الوحى فهى عين الواقع. إضـافه إلى أن المرء إذا تعرض لأـيّه مؤاخـذه أو مساءله فى هذا المضـمار لايمكنه أن يدّعى الجهل بما عليه من التكاليف: (إِنّا أَوْحَيْنا إِلَيْكَ كَما أَوْحَيْنا إِلى نُوحٍ وَ النَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَ أَوْحَيْنا إِلى إِبْراهِيمَ وَ إِسْماعِيلَ وَ إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ الْأَسْباطِ وَ عِيسى وَ أَيُّوبَ وَ يُونُسَ وَ هارُونَ وَ سُلَيْمانَ وَ آتَيْنا داوُدَ زَبُوراً * وَ رُسُلًا قَدْ قَصَصْناهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَ رُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَ كَلَّمَ اللّهُ مُوسى تَكْلِيماً * رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ لِئَلّا يَكُونَ لِلنّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّهٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَ كانَ اللّهُ عَزِيزاً حَكِيماً) .(۱)

إنّ مـا يعلّمه الـدّين للنـاس – سـواء فى بـاب الاعتقـادات أم فى بـاب الأحكـام – إنّمـا يهـدف إلى إيصـالهم إلى مرحله الكمـال والسـعاده اللّذين يُعتبران من الحاجات الأساسـيه لكل إنسان. و لابُدّ من الإشاره إلى أن مثل هذا الكمال و هذه السـعاده لايتوقّف تحقيقهمـا على التطوّر المادى و اضـلال وسائل العيش المرفّه؛ إذ كثيراً ما يحصل الناس على هـذه المعطيات و لكنّهم لايشـعرون بأنهم قد بلغوا السـعاده والكمال، و نحن نرى كثيراً من الناس ينالون ما يصـبون إليه من رفاه مادّى، و لكنهم يواصـلون السعى من أجل نيل السعاده. فى حين أنّ اللّه

۱– سوره النساء (۴)، الآيات ۱۶۳–۱۶۵.

عزّوجلّ قد بَيَّن فی سیاق ما شرّعه من أحکام الدّین بأن الالتزام بما أمر به من عباده و جهاد و تقوی کفیل بإیصال العبد إلی ساحل النجاه والسعاده: (... اتَّقُوا اللّهَ وَ ابْتَغُوا إِلَیْهِ الْوَسِیلَهَ وَ جاهِدُوا فِی سَبِیلِهِ لَعَلَّکُمْ تُفْلِحُونَ) .(۱)

د – معرفه الکَوْن

إضافه إلی ما سبق ذکره، للدین تأثیرات و معطیات أُخری فی أذهان الناس و قلوبهم، لاتقل عن الغایه الأساسیه التی جاء من أجلها الدّین. فالدین یعلّم الإنسان مایجعله یعیش فی انسجام و تناغم مع العالم الذی یعیش فیه؛ لأنّه فی حاله انعدام مثل هذا الانسجام بین الإنسان والعالم المحیط به تصبح الحیاه عسیره، و یشعر الإنسان معها بالخواء والضیاع.

و رغم أن الإنسان لادور له فی صنع العالم الذی یعیش فیه، أو لیس لدیه معلومات وافیه عن بدایته و نهایته، غیر أنّ التحلیل والرؤیه التی یقدّمها الدّین للإنسان عن الکَوْن والحیاه یذلّلان أمامه الکثیر من هواجس الحیاه و آلامها، و یبعثان فی نفسه الأمل بحیاته و مستقبله، و ینتشلانهِ من عواصف الأزمات الروحیه، و یخلقان لدیه القدره علی التکیّف مع المصاعب والشدائد، و ینتزعانهِ من ظلمه الأوهام و مشاعر الخواء والعبثیه، و ینقلانه إلی ظروف إیجابیه: (وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا مُوسی بِآیاتِنا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَکَ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَی النُّورِ...) .(۲)

الإنسان المؤمن والمتدیّن یعتبر نفسه عبداً للّه، و یدرک أنّ العالم مخلوق، و أنّ الخالق إله رحیم تمتد خیمه رأفته و لطفه لتظلّل بظلالها کل شیء فی هذا الوجود. و هو یستشعر قرب العلاقه بینه و بین اللّه، و لاتخالجه مشاعر الغربه عن هذا الکَوْن. و هو لاینظر إلی الآلام والمتاعب کشوکه تعیقه عن مواصله الدرب. و یلمس مشیئه اللّه فی کل شیء و علی کل حال. و فی ضوء مثل هذا الفهم والشعور یأخذ علی عاتقه عبء المسؤولیه والالتزام.

و یحمل علی الدوام مشاعر ایجابیه إزاء العالم، و هو یعیش کل شیء فی هذا الوجود لِما یمثّله من آیه داله علی خلق اللّه.

۱- سوره المائده (۵)، الآیه ۳۵.

۲- سوره ابراهیم (۱۴)، الآیه ۵.

و اخيراً، فإنّ الدّين يمثّل بالنسبه إليه ملاذاً معنوياً فى الظروف العصيبه و فى أوقات الشدائد، و باعثاً على الأمل والبهجه فى ظروف العافيه والراحه. و يرى فيه طاقه لاتنضب عند ما يتخلّى عنه الجميع، فيولّد فى نفسه النشاط والحيويه.

الدّين يربّى الإنسان على حاله من الاتزان أساسها التوكّل عند الفقر، والاحتراز من الانانيه والطغيان عند الغنى. و يستنقذ الإنسان من الجمود والضحاله الماديه، و يخلع عليه طابع النضاره والحيويه، و يمنحه الحصانه: (مَنْ عَمِلَ صالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَياةً طَيِّبَةً) . (۱) و فى المقابل يواجه المعرضون عن دين اللّه و عن ذكر اللّه ضنكاً و عسراً فى الحياه حتى و إن كانوا يتقلّبون فى وافر النعمه والرفاه: (وَ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَ نَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيامَهِ أَعْمى) . (۲) أمّا المؤمن باللّه، فيعيش حياه زاخره بالمعنويه، و هى الحياه التى يصفها القرآن الكريم بالحياه الطيّبه، بعيداً عن الرذيله والفساد والانحطاط، و تغمرها البهجه الروحيه: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلّهِ وَ لِلرَّسُولِ إِذا دَعاكُمْ لِما يُحْيِيكُمْ) .(۳)

إنّ ما سبق ذكره لاينطبق على الحياه الفرديه فحسب، و إنّما يشمل الحياه الاجتماعيه أيضاً، فعندما يعيش كل واحد من أفراد المجتمع فى حاله من الاتزان الروحى والحياه المعنويه، فهذا يعنى أنّ ذلك المجتمع يعيش فى صفاء كصفاء الحياه فى المدينه الفاضله، حيث تقوم العلاقات الاجتماعيه وفقاً للمُثُل والقيم السماويه، و تكون الحياه فيه خاليه من كل أنواع الضيق والاستياء، والقلق والمخاوف.

إنّ الدّين بصفته دافعاً ذاتياً يحمل للبشريه ضمانه تنفيذيه للمبادىء الأخلاقيه.

فالأحكام الدينيه إضافه إلى ما فيها من إرشادات و نصائح مؤكّده على السلوك الأخلاقى، و ما تدعو إليه من قواعد أخلاقيه كثيره، فهى تحمل العناصر الكفيله بحثّ الإنسان على الالتزام بالوازع الأخلاقى. فعلى الرغم ممّا تتسم به الأخلاق من طابع فطرى، غير انها تبقى هشّه و واهنه بسبب ما يتهددها من وساوس و مغريات نابعه من ذات الإنسان أو من

۱- – سوره النحل (۱۶)، الآيه ۹۷.

۲- – سوره طه (۲۰)، الآيه ۱۲۴.

۳- سوره الأنفال (۸)، الآيه ۲۴.

خارجها، بحیث لایتسنّی الحفاظ علیها بأسالیب القهر والإکراه و ذلک لأنَّ الأخلاق ذات دوافع ذاتیه تُبادر إلیها النفس طواعیه. و هذا یعنی أنها لاتتوج بالعمل والتطبیق إلّا بالتشجیع والحوافز الذاتیّه، والدّین یضطلع بهذا الدور الحیوی أیضاً.

و فی الختام تجدر الإشاره إلی أنّ تعالیم الدّین حملت للبشریه بشائر الحضاره والمدنیه المبنیه علی فکره التدین. و یمکن القول: إنّ ازدهار کثیر من العلوم رهین بالدین. و مع أن مثل هذه المعطیات لم تکن هی الغایه الأساسیه للدین، غیر أن الدّین قدّمها للمجتمع البشری کهدیه کبری.

جواب عن سؤال

و فی ضوء ما عرضناه من صوره عن الدّین، قد یتبادر إلی الأذهان سؤال مفاده: إن هذه التوضیحات بشأن الدّین انّما کانت لزمن کان فیه الإنسان یفتقر إلی التطوّر و لم تکن لدیه إمکانات واسعه، فجاء الدّین لتسکین معاناه و آلام مجتمعات العصور المظلمه التی کانت تنعدم لدیها بوارق الأمل بالمستقبل، أمّا الیوم، فقد تطوّر الإنسان و أصبحت لدیه الکثیر من الإمکانیات، و بلغت الصناعه ذروتها، و حتی الفضاء غدا مسخّراً للإنسان، و غیر ذلک من معالم التقدم التقنی والعلمی الذی ساهم فی حلّ أسرار الحیاه و ألغازها لصالح البشریه، و بلغ الإنسان ذروه الرفاه، فما الحاجه إلی الدّین و مسکّناته؟

والجواب هو: أنّ الدّین لیس مهنه یؤدّی تعلّمها إلی تسکین الآلام و إزاله الاضطراب، و إنّما هو شعور قلبی تتمخض عنه الآثار والمعطیات التی سبق ذکرها. و إضافه إلی ما یجلبه الدّین من تقدّم و رفاه، فإنّ الشیء المهم الذی یُعطی الحیاه معناها هو الجانب المعنوی فیها، و هو ما یُنال عاده بفضل الدّین. فتنظیم العلاقات بین الناس، و راحه البال والسکینه، حقائق لایمکن بلوغها بالرفاه وحده. فمن المعروف أنّ وجود الإنسان فی هذه الدنیا لاینحصر فی الجانب المادّی حتی یمکن القول: إنّ مقوّماتها و أسبابها متوفّره و لم یعد للدین أیّ دور فی الحیاه. فکلّما تعاظم التطوّر العلمی والصناعی، ازدادت حاجه الإنسان إلی الشؤون المعنویه والأخلاقیه. و مهما کسب من الأُمور المادیه، یغدو - إن کان مجرّداً من المعنویه -

أشدّ حرصاً و أبعد عن القناعه.

إنّ التطوّر المادی والصناعی لایهب الإنسان حیاه طیّبه ملیئه بالعداله والإنصاف والروح الإنسانیه، بل إنّ الإنسان أدرک بالتجربه أنّ التطوّر العلمی والتقنی لایحلّ مشاکله الروحیه، فالاکتشافات و ما رافقها من تطوّر أتاحت لأصحابها التفوّق علی خصومهم، و ربّما ممارسه الظلم علی من وقع تحت سلطتهم، فی حین أنّ البشر بحاجه إلی سلوک أخلاقی قویم، و هذا ما یأتی عن طریق الدّین.

النفور من الدّین

و هنا قد یتبادر إلی الأذهان سؤال مفاده: إن کانت للدین کل هذه الفوائد، اضافه إلی حاجه الإنسان الماسّه إلیه، فلماذا یواجه علی الدوام مثل هذا الهجوم، و یظهر لنا أن الکثیرین ینفرون منه، أو یرفضون قبول الدّین الحق؟ و إن کان الدّین من المتطلّبات الفطریه للإنسان، فلماذا یأبی البعض الانضواء تحت لوائه، بل یرفضون قبول أی دین؟

إنّ الفهم الذی یلزم الصحیح للإجابه عن السؤال المذکور، یستدعی الفصل بین مجموعتین: الأُولی: هم کل من آمنوا بدین و شعروا بأنّه یلبی حاجاتهم، فهم بطبیعه الحال یعتبرونه حقاً مطلقاً، و لایقبلون أی دین غیره. والثانیه: هم کل من لم یؤمنوا بدینٍ، أو تخلّوا عنه بَعد الإیمان به، و تُطلق علیهم تسمیه الکفره.

بالنسبه إلی الجماعه الأُولی، لایمکن وصفها بالنفور من الدّین حتی و إن کانت علی غیر الدّین الحق؛ لأنَّ اعتناق أی دین یمثل فی واقع الحال استجابه لحاجه قلبیه، و أداءً لتکلیف، و تلبیه لنداء الفطره. و أکثر الناس فی العالم یعتنقون دیناً و یعیشون معه و یشعرون بالانشداد إلیه.

و أمّا الذین لایؤمنون بدین أو أعرضوا عنه بَعد الإیمان به، فقد یُعزی سبب ذلک الی العوامل التالیه:

أ - للإنسان جوانب و نوازع شتّی، و من الطبیعی فإنّ الاهتمام ببعضها یؤدی إلی تجاهل الأُخری. فقد یهتم الإنسان باللّذائذ العابره و یتغاضی عن غیرها من المتطلّبات، و هو ما قد

يؤدّى بالنتيجه إلى عدم بروزها بوضوح، أو قد يحلّ محلّها بديل زائف كمن يشعر بالجوع فيتناول أطعمه تسدّ الشهيه بدلاً من تناول أطعمه مفيده.

ب - أن يأتى سلوك الإنسان و ردّ فعله من مزيج من المشاعر والقوّه العقليه. و متى ما سار الشعور والعقل سيراً متزناً بعيداً عن الإفراط والتفريط، يكون فعلهما منسجماً، و ينتهج الإنسان على أثر ذلك منهجاً معتدلاً، و يتصرف تصرفاً عقلانياً فى الوقت المناسب، أو يتصرف وفقاً للمشاعر والأحاسيس فى الموضع المناسب أيضاً.

و عند التعامل مع المفاهيم والمقولات الدينيه، إذا كان هناك انسجام بين العقل والمشاعر، سيكون موقع الدّين فى النفس قوياً و رصيناً، و لكن لو تم تجاهل أحدهما فسوف يخرج عن حدّ الاتزان، فإذا عطّل العقل و تعامل مع الدّين من منطلق المشاعر فلن يجد فيه سوى مجموعه من الشعارات والغيبيات والخوارق. و من الطبيعى أنّ مثل هذا التوجّه يخلق فجوه بين الدّين والعقلانيه، و يظهر الدّين و كأَنّه ممّا لايمكن الدفاع عنه دفاعاً عقلياً.

كما أنّ التعامل العقلى الصرف مع الدّين، يجعل المرء يقف حائراً و لايجد إجابه مقنعه إزاء الكثير من المفاهيم ذات الطابع التعبّدى المحض. و نتيجه لعدم اقتناع العقل، يجد الإنسان نفسه مدفوعاً إلى الإعراض عن الدّين. كما أنّ النظره العقليه الصرفه إلى الدّين قد تصوّر الحاجات الفطريه للانسان، و كأَنّها أشياء وهميه فيعرض عنها، ثم يحاول اصطناع بديل عن الدّين. و قد حذّرت النصوص الدينيه من هذه النزعه، فقد روى عن الإمام السجّاد عليه السلام أنّه قال: «إنّ دين اللّه لايُصابُ بالعقول الناقصه»(۱) والمراد من ذلك هو ان يُستعان لهذه المهمّه بمحض العقل و ليس بالعقل المحض. فالبارى عزّوجلّ يجعل اعتباراً للعقل المحض، أمّا ما يضل الإنسان فهو الاكتفاء بمحض العقل.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «واعلموا انّهُ ليس من علمِ اللّهِ و لا من أمرِهِ أن يأخذَ أحدٌ من خلقِ اللّهِ فى دينِهِ بهَوىً و لا رأيٍ و لا مقائيس».(۲)

۱- - المجلسى، بحارالأنوار، ج ۲، ص ۳۰۳، الحديث ۴۱.

۲- الحرّ العاملى، وسائل الشيعه، الباب ۶ من أبواب صفات القاضى، ج ۲۷، ص ۳۷، الحديث ۲.

و جاء فی حدیث عن أمیرالمؤمنین علیه السلام أنّه قال: «إنّ المؤمن أخذَ دینهُ عن ربّهِ و لم یأخذهُ عن رأیه».(۱)

و لاشکّ فی أنّ مثل هـذه المواجهه بین العقل والدّین، لاتأتی علی الدوام من النزعه العقلیه المفرطه، بل کثیراً ما یؤدی عدم فهم کُنه و حقیقه مفهوم من المفاهیم الـدینیه إلی زعزعه الإیمان. و قـد یکون عـدم التوجیه العقلانی لجوانب من الدّین مدعاه لردود فعل سلبیه من العقل تجاه الدّین.

و بنـاءً علی ذلک ینبغی السـعی - فی ذات الوقت الـذی یکون هناک انسـجام بین العقل والمشاعر - لتبیین المفاهیم التی تتطلب توجیهاً عقلانیاً.

ج - التأثیر السـلبی لبعض الشخصـیات التی تعـدّ أنفسـها رموزاً دینیه، و لمن یوصـفون بالقدوات المعنویه، فی نفوس و تدیّن مَن یأخـذون دینهم عنهم. فالسـلوک المتناقض للرموز الـدینیه مع أحکام الـدّین، یترک تأثیرات سـیئه فی نفوس الأفراد، و قد یکون سبباً لنفورهم من الدّین. و لعل تأثیر هذا العامل فی ظروف معیّنه یفوق تأثیر العوامل الأُخری.

د - کذلک تؤدّی النظره المادیه، إلی إنکار المفاهیم الدینیه، والشک فیها بسبب عدم القدره علی قیاسها بالمعاییر المذکوره؛ أو قد لایجد المرء إجابه وافیه عنها. و هو ما ینتهی - بالنتیجه - بأصحاب هذه النظره إلی الابتعاد عن الدّین.

ه - عوامل البیئه والتربیه تـدخل فی عـداد العوامل التی قـد تحجب المرء منـذ البـدایه و بالتدریـج عن الشؤون المعنویه والـدینیه. فهناک من الناس من ینشأون - بسبب ظروف البیئه والتربیه - علی عادات و تقالید و ثقافه من نوع خاص و یتخذونها دیناً لهم.

و لاشـکّ فی أنّ طبیعه الأفراد و إرادتهم و عزمهم لها دورها فی تعیین مـدی تأثیر العوامل، و لایمکن القول: إن الإنسان خاضـع لتأثیر العوامل الخارجیه وحدها.

و مع کل ذلک یبدو أنّ ضرر هذه العوامل یلحق بالمؤسسات والمظاهر الدینیه، و إلّافإنّ أصل الدّین شمس لاتغرب.

۱- المصدر السابق، ص ۴۵، الحدیث ۲۱.

شموليه الدّين

جاء فی روايه عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إنّ اللّه تبارک و تعالی أنزل فی القرآن تبيان كل شیء، حتی واللّه ما ترک اللّه شيئاً يحتاج إليه العباد. حتی لايستطيع عبدٌ يقول:

لو كان هذا نزل فی القرآن؟ إلّاو قد أنزله اللّه فيه».(۱)

يدل هذا الحديث إضافه إلی أحاديث أُخری و آيات قرآنيه، علی أن كل ما يحتاجه الناس قد جاء فی تعاليم الدّين، و أنّ كل شیء قد ورد ذكره فی الدّين. و قد عبّر القرآن الكريم عن هذه التعليمات الشامله بقوله: (تَفْصِيلَ كُلِّ شَیْ ءٍ) (۲) و (تِبْياناً لِكُلِّ شَیْ ءٍ) .(۳)

و لتسليط الضوء علی معنی شموليه الدّين ينبغی الالتفات إلی أنّ شموليه كل شیء تُقاس بالشیء نفسه، و بالهدف المراد تحقيقه من ورائه. فأیّ شیء إن كان فيه كل ما يلزمه فهو كامل و شامل. والدّين غير مستثنیً من هذه القاعده. و شموليه الدّين و كماله، تتمثل فی ما يتضمّنه من تعليمات علی طريق هدايه الإنسان نحو الغايه المرسومه، و هو ما يُعبَّر عنه بالهدايه. و سرّ هذه التعليمات، هو إيجاد علاقه متناسبه بين الإنسان و عالم الوجود. و مجموعه التعاليم الدينيه تكشف عن حقيقه أنّ الغايه من الدّين هی الهدايه. ففی الآيتين المذكورتين آنفاً وردت بَعد الجملتين المذكورتين كلمه (هُدیً) و هی تبيّن الغايه العامّه للدين.

إنّ المراد من قول الإمام الصادق عليه السلام: «إنّ اللّه أنزل فی القرآن تبيان كل شیء حتّی واللّه ما ترک شيئاً يحتاج إليه العباد»،(۴) و كذا قول الإمام الباقر عليه السلام: «إنّ اللّه تبارک و تعالی لم يدع شيئاً تحتاج إليه الأُمّه إلّاأنزله فی كتابه و بيّنه لنبيّه».(۵) إنّ الدّين فيه دعوه الناس إلی اللّه و بيان للقيم المعنويه، و هی أُمور لاسبيل للناس إليها بغير الدّين. و علی هذا الأساس، لاينبغی أن يرتجی من الدّين ما يمكن تحقيقه بالعقل الفردی أو الجماعی.

۱- الكُلَينی، الكافی، ج ۱، ص ۵۹، الحديث ۱.

۲- - سوره يوسف (۱۲)، الآيه ۱۱۱.

۳- سوره النحل (۱۶)، الآيه ۸۹.

۴- - الكُلَينی، الكافی، ج ۱، ص ۵۹، الحديث ۱.

۵- - المصدر السابق، الحديث ۲.

مجال تعاليم الدّين

التوجّه الأساسى للدين، هو دعوه الناس إلى اللّه و إلى إصلاح أُمورهم بأنفسهم.

و جوهر الدّين، هو توجّه الناس إلى اللّه، واليقين بأنّه حاضر فى كل مكان و ناظر إلى كل شىء.

إذا سلّمنا بأنّ قبول الدّين أمرٌ اختيارىٌ و قلبىٌّ، فعلينا الإجابه عن السؤال التالى: إن كان الدّين يكتفى بتقديم الإرشادات اللازمه للناس، و يتحاشى التدخل فى شؤونهم، و إنّما يتركهم على حالهم و لايكلفهم بأيه مسؤوليه إلى يوم القيامه حيث يُنظر هناك فى أعمالهم، ثم إنّ الكثير منهم انحرفوا و وقعوا فى الضلال بسبب انعدام الرقيب والناظر، فهل يكون الدّين فى مثل هذه الحاله قد بلغ الغايه المنشوده منه؟

و بعباره أُخرى، إذا لم ينجح المصلحون الدينيون فى إصلاح الأُمور بالإرشاد والموعظه، و أدّت العوامل الخارجيه المدعومه بالأجهزه الإعلاميه والوساوس النفسيه إلى إغواء الناس، فهل تقع على المؤمنين مسؤوليه إيجاد مؤسسات تتكفل بمهمه السهر على حمايه القيم الدينيه؟

والجواب هو: إن الغايه الأساسيه للدين هى الهدايه والإرشاد إلى الطريق القويم، و من يطلب السعاده هو الذى ينبغى أن يختار الطريق و يسير عليه. و هذا طبعاً مما لاإكراه فيه و لا إجبار، و إنّما ينبغى أن يحصل التدين عن رغبه و إقدام ذاتى. والإكراه فى مثل هذا الحال لايؤدّى إلى التديّن.

نعم، هناك مجموعه من الأحكام الهادفه إلى تنظيم الشؤون والعلاقات الاجتماعيه، و لكن الغايه إجراء هذه الأحكام بنفسها، و لايشترط فيها القصد والنيّه، و هذه الأحكام شبيهه بالقوانين الموجوده فى كل مكان فى العالم و هى إلزاميه، و عليها تتوقّف مسيره الحياه الاجتماعيه. و هى حتى و إن لم يرد فيها أمر مباشر، فإنّ مجرّد الأمر بها يستدعى إيجاد المؤسسه الكفيله بإجرائها، كما هو الحال بالنسبه إلى الأحكام القضائيه التى يُراد من ورائها إحقاق حقوق الناس، و لكن ليس فى برنامج الدّين – طبعاً – تقديم نمط خاص

للحياه، كأن يـدعو إلى حياه بدويه أو حضـريه أو قرويه. و إنّما يدعو الدّين الناس حيثما كانوا إلى الالتزام بمجموعه من التعاليم، والعيش وفقاً لِما يقتضـيه الدّين. والدّين لايجيز - طبعاً - تعدّى الحدود التى رسمها، سواء أكانت على صعيد الفرد أم على صعيد المجتمع.

الـدّين يقـدّم منهجـاً عامـاً للحيـاه، و لاـيبيّن أسـلوباً خاصاً لحل المشاكل الاجتماعيه، فهو - على سبيل المثال - ينظر باهتمام إلى قضـيه العداله الاجتماعيه لِما يُمثّله الظلم و فقدان العداله من عائق أمام سـعاده الناس و إقبالهم على عباده اللّه. أمّا أساليب معالجه هـذه القضـيه فقد تُركت إلى الناس ليتعاملوا معها حسب ظروفهم و أجوائهم و بيئتهم، و لم يأمرهم الدّين باتباع اسـلوب أو منهج معين لحلّها، و ذلك لأنَّ تدخل الدّين فى أمثال هذه الأُمور يجرّه إلى معضلات كثيره و يزيحه من ساحه الحياه، بسبب ما يستجد فيهـا من تطوّرات و تغييرات لتحل محلّه المعطيات التجريبيه والعلميه، و عندئـذ تتكشف لبنى الإنسان عـدم كفاءه الـدّين و عـدم قدرته على بعث الازدهار والتقدم. فى حين أنّ الدّين يؤدى دوره فى ما يقدّمه على الدوام من إرشادات و مواعظ لرعايه الأُصول والقيم. و انطلاقـاً من ذلـك تُلاحـظ فى تعليمـات الأنبيـاء - بكـل جلاء - أحكام تهـدف إلى تنظيم العلاقات الاجتماعيه تنظيماً عادلاً، و من ذلك مثلاً، قول البارى تعالى فى كتابه الكريم: (وَ لا تَنْقُصُوا الْمِكْيالَ وَ الْمِيزانَ إِنِّى أَراكُمْ بِخَيْرٍ...) .(۱)

و فى ضوء مـا سـبق ذكره يتّضـح أنّ الـدّين لاـيرمى إلى الـدعوه إلى الاكتشافات، والصـناعه، والزراعه، و تربيه الحيوانات، و بناء المدن و ما شابه ذلك، و إنّما يُعنى بتعيين الأُصول والمبادىء و يدعو إلى الالتزام بها.

عنـد المقارنه بين نظره الـدّين إلى الـدنيا والآخره، يجعل الـدّين من الآخره هـدفه الأساسـى. و بدون الدّين لايهتدى الإنسان إلى الطريق الموصل إلى السعاده الأُخرويه.

و هذا الكلام لايعنى طبعاً أنّ الدّين لايولى أهمّيه للدنيا؛ فالسـعاده فى الآخره يمرّ طريقها عبر هذه الدنيا، بل إنّ السعاده الأُخرويه تنتفى ما لم يتم تبيين العلاقات الصحيحه فى الدنيا.

ولو كان الدّين قد تجاهل الدنيا لعُدَّ ذلك تقصير منه فى بيان السبيل إلى سعاده الآخره.

۱- سوره هود (۱۱)، الآيه ۸۴.

العقل والدّين

العقـل يعنى فى الأصـل الإمساك والاسـتمساك كعقل البعير بالعقال،(۱) و هو يعنى اصـطلاحاً القوّه الـتى يكون بهـا التمييز بين القبح والحُسن.(۲)

تحـدثت النصوص الأخلاـقيه عن القوى الثلاـث الشـهويه والغضـبيه والعقليه. والفـارق بين العقـل التقليـدى الـذى يُقرن بالشـهوه والغضب، والعقل الحديث، هو أنّ العقل التقليدى ذوطابع فردى، و هو ما يُسمّى بالعقل الغريزى. بينما العقل الحديث عقل نقّاد و قائم بذاته، و يكشف عن ذاته عن طريق الحوار وتبادل الآراء، و له بطبيعه الحال مكانه قيّمه.

و سواء اعتبرنـا العقـل خاضـعاً لتأثير الأُمور الفطريه (العقل الغريزى)، أم خازناً يحمل الكثير من التجارب والمكنوزات العلميه، أم صـاحب رؤيه فى المجـال العملى «العقـل العملى»، أم غيره «العقـل النظرى»، فعلى جميـع هـذه الاعتبـارات ثبت بـأنه ينطوى على قدرات هائله. والعقل يزود الإنسان بالمعرفه إلى جانب ما يزوده به الوحى. و يمكن القول:

إنّ هناك طريقين لاستقاء المعرفه، أحدهما الوحى، والآخر العقل. والمصادر الدينيه أثنت على العقل و قالت فى وصفه ما يلى:

۱ – العقـل حجه اللّه: «الحُجّهُ فيمـا بين العبـاد و بين اللّه، العقـل».(۳) و قـد ذم اللّه عزّوجـلّ فى عـدّه آيـات من كتابه الكريم من لايتفكرون فى آيات اللّه و حقّانيه الأنبياء.(۴) و وردت مشـتقات كلمه العقل فى القرآن تسعاً و أربعين مرّه، و جاءت كلمه «أُولو الألباب» ستّ عشره مره، كما وردت كلمات: القلب، والفؤاد، والفكر، مرات عديده فى القرآن الكريم.

۲ – يُعتبر العقـل من المسـتقلات العقليه، إلى جانب الكتاب والسُـنّه والإجماع، أىّ أنّه من المصادر المسـتقلّه للأحكام الـدينيه. و كمثال على ذلك، إنّ العقل يدرك بصوره مستقله حُسن العدل و قُبح الظلم. و هذا العقل مشابه من عدّه جوانب لِما يُسمّى اليوم بالعقل

۱– – الراغب الاصفهانى، مفردات ألفاظ القرآن، ص ۵۷۸.

۲– الفيروزآبادى، القاموس المحيط، ج ۴، ص ۱۸.

۳– – الكُلَينى، الكافى، ج ۱، ص ۲۵، الحديث ۲۲.

۴– – سوره المائده (۵)، الآيه ۷۵؛ سوره المؤمنون (۲۳)، الآيه ۷۰؛ سوره العنكبوت (۲۹)، الآيه ۶۳.

المستقل أو العقل الحديث.

جاء فی روایات عن رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم و عن الأئمه المعصومین علیهم السلام أنهم وصفوا العقل بأنه أفضل شیء: «ما قسّم اللّه للعباد شیئاً أفضل من العقل».(۱) و وُصفَ أعلم الناس بأمر اللّه، بالأحسن عقلاً: «أعلمهم بأمر اللّه أحسنهم عقلاً»(۲) و إنّ کمال إیمان المؤمن رهن بکمال عقله: «لایکونُ المؤمنُ مؤمناً، حتی یکون کامل العقل».(۳)

و من ناحیه أُخری وصف العقل بعدم القدره علی إدراک کُنه و حقیقه الدّین فی کل الظروف والأوضاع، و أنه عاجز عن فهم جزئیات الدّین والأُمور القدسیه: «اِنّ دینَ اللّه لایصاب بالعقول الناقصه».(۴)

السؤال الذی یتبادر إلی الأذهان هنا هو: کیف یمکن التوفیق بین هاتین الرؤیتین؟ حیثُ تری إحداهما أنّ اعلم الناس بأمر اللّه أکملهم عقلاً، و أنّ کمال إیمان المؤمن بکمال عقله، بینما تری الأُخری أنّ دین اللّه لایدرک بالعقول.

نعم! إنّ العقل أفضل ما یدرک به أمر اللّه وتُفهم به الحقائق، و بدونه لایکون علی الإنسان تکلیف، والعقل یکشف طریق استنباط الأحکام. و قد یُعد العقل أحیاناً بمثابه قرینه لفهم القرآن والسنه، والاستدلال العقلی یجعل القلب مهیئاً لقبول الشیء. والدّین یمدّ العقل و یدفعه نحو التفکیر. فقد نُقل عن الإمام علی علیه السلام أنه قال فی کلمه له: «وَ یُثِیرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ».(۵) فالدین یعلّم العقل أشیاء لایتسنی له تعلّمها بدون الدّین.

إنّ العقل و رغم کل ما یتّسم به من قدرات، إلّاأنه عاجز عن الإحاطه بجمیع الحقائق، بسبب ما یشوبه من أهواء و أوهام و تقالید بالیه و تعالیم مغلوطه، والأهم من کل ذلک إنه معرّض للوقوع فی الخطأ. و فی ضوء ذلک لایمکن الوثوق بصواب ما یتوصل إلیه العقل.

۱- – الکُلَینی، الکافی، ج ۱، ص ۱۲، الحدیث ۱۱.

۲- – المصدر السابق، ص ۱۶، الحدیث ۱۲.

۳- المجلسی، بحارالأنوار، ج ۱، ص ۱۰۹، الحدیث ۵.

۴- المصدر السابق، ج ۲، ص ۳۰۳، الحدیث ۴۱. تجدر الإشاره إلی أن هذا الحدیث نقله ابن عصام عن الکلینی، غیر أن الکلینی نفسه لم یورده فی مذمّه العقل (ج ۱، ص ۵۷) و هذا هو الحدیث الوحید الوارد فی ذم العقل. و نظراً إلی أنه ورد مقروناً بقیود مثل الناقصه والآراء الباطله والمقاییس الفاسده فمن المحتمل جداً انه یشیر إلی تیار فکری خاص کان فی زمن الإمام السجاد علیه السلام.

۵- الشریف الرضی، نهج البلاغه، الخطبه ۱، ص ۴۳.

فتبيين المتطلّبات الأساسيه للروح و ما يكتنف طريق الإنسان من مصاعب يستلزم مصدراً وثيقاً، و ذلك هو الدّين والتعاليم القادمه عن طريق الوحى. و هناك بطبيعه الحال أُمور لايدركها العقل ما لم يرشده إليها الوحى، مثل عالم الغيب، و عالم الملائكه، والحياه الآخره.

شموليه فهم الدّين

إنّ مصدرى الدّين - و هما الكتاب والسنّه - طبقاً لِما ورد فيهما، يمكن لكل الناس فهمهما، و هما ليسا حكراً على طبقه أو فئه بعينها: (وَ ما كانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْ لا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَهٍ مِنْهُمْ طائِفَهٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِى الدِّينِ...) ، (١)(لَقَدْ أَنْزَلْنا إِلَيْكُمْ كِتاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَ فَلا تَعْقِلُونَ) .(٢)

وردت تأكيدات مكرره على التفكّر فى آيات اللّه، و على التعلُّم واكتساب المعرفه، و أنّ الإعراض عن تعلّم الدّين دلاله على البداوه،(٣) و أنّ اللّه لاينظر إلى من لايسعون لتعلّم الدّين.(۴) و هذا مما يدل بكل جلاء على إمكانيه فهم الدّين من قبل جميع الناس..

و رغم أنّ فهم الدّين متاح لجميع الناس و ليس حكراً على فئه معيّنه، إلّاأنّ ذلك لايعنى أنه مجرّد من القواعد والضوابط، بل لايمكن التوصل إلى حقيقه الدّين إلّابرعايه اصول الفهم. فالدين عباره عن مجموعه من التعليمات والإرشادات الإلهيه التى ابلغت فى مده زمنيه، و قد أخذت بنظر الاعتبار عند تشريعه ظروف و مقتضيات الزمان والمكان.

و جاءت بعض أحكامه مجمله فى حين جاء بعضها الآخر مفصّلًا و ناظراً إلى موارد خاصه، و بعضها قد نسخ، بينما يشكّل فهم البعض الآخر أرضيه للتوصل إلى الحقيقه. و كان ابتعاد الأجيال اللاحقه عن صدر الإسلام، و امتزاج الأذهان بالعادات والتقاليد الشائعه فى كل إقليم و ولايه، أن تترك تلك العوامل تأثيرها فى فهم الدّين على نحو متفاوت، و إلى احتمال وقوع تحريف و دسّ فى الدّين.

و فى ضوء ذلك لابُدّ أن يحرز العاملون فى حقل التحقيق فى الدّين، الشروط اللازمه

١- - سوره التوبه (٩)، الآيه ١٢٢.

٢- سوره الأنبياء (٢١)، الآيه ١٠.

٣- - الكُلينى، الكافى، ج ١، ص ٣١، الحديث ۶.

۴- المصدر السابق، الحديث ٧.

لهذه المهمه ثم يجتهدون فی الدّين، كما هو الحال فی سائر العلوم. إلّاأنّه - و للأسف طبعاً - من الظواهر غير المحبّذه أن ينبری من ينبری للإدلاء برأيه فی قضايا الدّين - بكل أبعاده وسعته - من غير حيازه الشروط اللازمه. فی حين يعتقد فی المجالات الأُخری برأی أصحاب النظر و أصحاب الاختصاص.

من الطبيعی أنّ الدّين يختلف عن سائر مجالات الحياه بسبب حُبّ الناس له و تعلّقهم به، و لهذا فالمرجو هو أن تُراعی عند إدلاء النظر فی قضاياه القواعد والأُصول المسلّمه، و ضوابط الاجتهاد، و فهم الدّين والمقدمات الضروريه لها، و لاينبغی لأحد أن يَظنّ فی نفسه القدره علی الفهم والاستنباط الصحيح للأحكام قبل حيازه المقدمات التمهيديه لهذه المهمّه، و إنهاء المراحل العلميه اللازمه لها.

مدخليه الافتراضات المسبقه فی فهم الدّين

ربّما يقترن فهم الدّين - فضلاً عن القواعد والأُصول اللازمه - بافتراضات مسبقه يكون لها تأثير واضح فی فهمه. أمّا بالنسبه إلی مدی تأثير هذه الافتراضات المسبقه فی فهم الدّين، و هل يمكن التوصل إلی حقيقه الدّين مع وجودها، فهو مما ينبغی التأمل فيه بدقّه.

فقد ظهرت طيله تاريخ الاجتهاد فی الدّين و جهات نظر متفاوته فی الفهم بين الفقهاء والمتكلمين، و انبثقت علی أثر ذلك نِحَل و مشارب شتّی. فهل كانت كل تلك الاجتهادات صحيحه و تمثّل حقيقه المعطيات الدينيه؟

لاشكّ فی أن من يسمعون الوحی أو كلام الأولياء يحملون فی أذهانهم تصورات عن تلك المفاهيم، بل قد تكون لديهم تصوّرات حتی عن اللّه، والملائكه، والمعاد، والجنّه، والعباده، والتضرّع إلی اللّه و كيفيه ارتباط العباد به. و هذا ما بيّنه قول الإمام الباقر عليه السلام:

«كلُّ ما ميَّزتموهُ بأوهامكم فی أدقِّ معانيهِ مخلوقٌ مصنوع مثلكم، مردود إليكم و لعلّ النملَ الصغارَ تتوهّمُ انَّ للّهِ تعالی زبانيتين».(۱)

۱- المجلسی، بحارالانوار، ج ۶۶، ص ۲۹۲ و ۲۹۳، الحديث ۲۳.

هنـاک عوامل تؤثر فی فهم الـدّین، و تجعل کل من یشاء یسـتنتج منه ما یشاء، و من ذلک التطوّر الـذی قـد یطرأ علی مرّ الزمان علی بعض المفاهیم، والتغیّرات الاجتماعیه و ما یرافقها من تبدّلات فی أوضاع المجتمعات، إضافه إلی ما تبتغی التیارات المختلفه انتزاعه من فهم یصب فی سیاق تطلّعاتها. فهل هذه کلها من الدّین، والسائرون علیها سائرون علی الطریق الصحیح القویم؟ أم أنّه یُعتبر مثل هذا الفهم تطویعاً للمفاهیم الدینیه وفقاً لمشتهیات الأذهان والرغائب؟

إنّ التفاوت فی تفسیر الدّین والاسـتنباط منه، شیء صحیح طبعاً، و لکن لاینبغی هنا إغفال قضیه مهمّه، و هی أنّ من تلقّوا الدّین و أبلغوه کـانوا علی اتصـال بـالوحی من جهه، و علی صـله مع النـاس من جهه أُخری. و کان من المهام الملقاه علی عاتق الأنبیاء تبیین الـدّین للناس علی وجه دقیق: (یا أَهْلَ الْکِتابِ قَدْ جاءَکُمْ رَسُولُنا یُبَیِّنُ لَکُمْ کَثِیراً مِمّا کُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْکِتابِ...) ، (۱)(وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ رَسُولٍ إِلاّ بِلِسانِ قَوْمِهِ لِیُبَیِّنَ لَهُمْ) ، (۲)(وَ أَنْزَلْنا إِلَیْکَ الذِّکْرَ لِتُبَیِّنَ لِلنّاسِ ما نُزِّلَ إِلَیْهِمْ وَ لَعَلَّهُمْ یَتَفَکَّرُونَ) .(۳)

عندما أدّی حمله الوحی رسالاتهم فی تبیین الآیات الإلهیه کما ینبغی، تکوّن لدی الناس والمتلقین فهم جماعی متقارب للأشیاء، و کـان هنـاک اتفاق فی الآراء حول مختلف القضایا. و هو ما أدّی إلی إیجاد سیره المتشـرعه التی انتقلت تـدریجیاً إلی الأجیال اللاحقه.

و قد أدّی أوصـیاء الأنبیاء و خاصه أوصـیاء النبیّ محمد صـلی الله علیه و آله و سلم هذه المهمه الخطیره؛ إذ کان لهم حضور بین الناس مدّه طویله و جابهوا یومذاک ما دخل فی الدّین من بدع و تحریفات، و بیّنوا للناس حقیقه الدّین، و قاربوا بین وجهات نظر المتـدیّنین رغم اختلاـف الرؤی والأفهـام. و قـد انتهت هـذه الجهود إلی إیجـاد فهم عرفی و جمـاعی، و رسم منهـج واضـح بین المتشرعین.

وقعت فی الأدیان السابقه للإسلام تغییرات، و هی ما یُعبّر عنها بالتحریفات والبدع.

و قد کشف القرآن عن هذا الواقع بقوله تعالی: (فَبِما نَقْضِهِمْ مِیثاقَهُمْ لَعَنّاهُمْ وَ جَعَلْنا قُلُوبَهُمْ

۱- – سوره المائده (۵)، الآیه ۱۵.

۲- سوره ابراهیم (۱۴)، الآیه ۴.

۳- سوره النحل (۱۶)، الآیه ۴۴.

قاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَواضِعِهِ وَ نَسُوا حَظًّا مِمّا ذُكِّرُوا بِهِ) . (۱) کثیراً ما جاء هذا النمط من التعاطی مع أحکام الدّین انطلاقاً من دوافع نفعیه، أو لفرض المعتقدات والرؤی والأذواق الفکریه علی تعالیم الدّین، و هو ما یفضی بالنتیجه إلی وضع الدّین ضمن دائره ضیّقه. و هذا المنهج بیّنه القرآن الکریم عند وصفه لموقف بعض الیهود من الإسلام:

(أَ فَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَ قَدْ كانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ ما عَقَلُوهُ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ) .(۲)

و بالإضافه إلی ذکر القضیه الآنفه فی القرآن، هناک أیضاً آیات تبیّن أنّ ما أراده اللّه هو الدّین الحقیقی، و لایحق للآخرین - و حتی النبیّ - أن یضیف إلیها إضافه: (تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ * وَ لَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنا بَعْضَ الْأَقاوِيلِ * لَأَخَذْنا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنا مِنْهُ الْوَتِينَ) .(۳)

لاریب فی أنّ الخوض فی المباحث الدینیه من غیر رعایه القواعد اللازمه، یثیر المخاوف من احتمال وقوع تحریف فی الدّین. والتحریف بطبیعه الحال لایقتصر علی التحریف اللفظی فحسب، و إنّما قد یکون التحریف معنویاً أحیاناً، أی أن نستفید من قضیه دینیه علی وجهه غیر الوجهه التی أرادها الدّین. و قد ورد فی کتاب اصول الکافی باب حول البدعه والرأی والمقاییس فی الدّین، و تناول فی أحادیث هذا الباب آثار البدعه والمبتدعین، و وصف فی سیاقه الأحکام الإلهیه بأنّها ممّا لایقبل التغییر والتبدّل:

«حلالُ مُحَمَّدٍ حَلالٌ أبداً إلی یَومِ القیامَه و حَرامُهُ حرامٌ أبداً إلی یَومِ القیامَه».(۴) و هذا حدیث صحیح و دلالته واضحه. و استناداً إلی مفاد هذا النوع من الأدلّه لایمکن حمل أی إسناد إلی الدّین و أی فهم له علی محمل الصحّه.

نذکر من ذلک علی سبیل المثال أنّ بعض التأویلات الباطله التی تذهب إلیها بعض الفرق لاتتناسب مع ظواهر الألفاظ، و لا مع قواعد فهم الدّین. إنّ منهج النظر إلی الدّین نظره سطحیه تزایلها الأحاسیس، والتشبّث اعتباطاً (و من غیر دلیل) بآیه أو روایه، و إصدار

۱- - سوره المائده (۵)، الآیه ۱۳.

۲- سوره البقره (۲)، الآیه ۷۵.

۳- سوره الحاقّه (۶۹)، الآیات ۴۳-۴۶.

۴- - الکُلینی، الکافی، ج ۱، ص ۵۸، الحدیث ۱۹.

حکم دینی علی أساسها لایُعدّ من الصواب. بینما المنهج الذی یتّبعه ذووالاختصاص فهو یقوم علی قواعد واُسس معروفه، و فی ضوء ذلک یجرون عملیه الاستنباط، و بشکل یتماشی مع سائر فقرات الدّین وجوهره و حقیقته. و فی مثل هذه الحاله یمکن قبول تباین الأفهام مثلما یحصل عاده بین الفقهاء و حتی المتکلمین.

إنّ جوهر و حقیقه الدّین لیس أمراً مغلقاً و متعذّر المنال، و إنّما یعنی الغایه من تشریع الدّین، والهدف المراد من بعث الأنبیاء و إنزال الکتب، و هو الرقی الأخلاقی والمعنوی لبنی الإنسان.

و من الضروری أیضاً استذکار هذه القضیه، و هی أن المراد من ثبات الأحکام الإلهیه - الذی أُشیر إلیه فی الحدیث الآنف ذکره - هو الحفاظ علی حکم الشریعه مع بقاء موضوع الحکم؛ و ذلک لأنَّ نسبه أی حکم إلی موضوعه کنسبه العله إلی المعلول، و لایمکن عقلاً زوال المعلول مع بقاء العلّه. و علی هذا الأساس ففی حاله تغیّر الموضوع، و هو ما یعنی بالنتیجه زوال الموضوع الأول، یتغیر حُکْمه. و هذا التغییر یمکن أن یقع بطرق شتّی، منها:

تبدّل ماهیّه موضوع الحکم، کالاستحاله فی الأشیاء النجسه، و انطباق أحد العناوین الثانویه علی الموضوع عرضاً، وتزاحم حُکْمین فی مقام الامتثال علی فرض رجحان أحدهما علی الآخر، و انتهاء الموسم فی الأحکام الموسمیه، و زوال العلّه فی الحالات التی یکون فیها الحکم منصوص العلّه. و فی کل الحالات المذکوره رغم أنّ کشف مصالح أو مفاسد الأحکام المتغیّره لایتیسّر إلّاللشارع المقدّس، و لکن إذا تبدّل الحکم فمن المؤکّد أنّ المصالح أو المفاسد لابُدّ و أن یطالها التغییر والتبدّل. و علی أساس ذلک یمکن للفقیه - فی مجال الأحکام غیر التعبّدیه - إذا أیقن - استناداً إلی تشخیص ذوی الاختصاص - بتغیّر المصلحه والمفسده الواقعیّتین، بحیث یکون بقاء الحکم الأول عبثاً، یمکنه استنباط حکم جدید. والحقیقیه هی أنّ الحکم السابق فی مثل هذه الموارد لم یتغیّر، و إنّما الذی تغیّر هو موضوعه الحقیقی و هو المصالح والمفاسد الواقعیه، و أمّا إطلاق عباره تغییر الحکم علیه فهو نابع من التسامح فی التعبیر.

يُسر الدّين

إن المشـرّع للـدين هـو اللّه عزّوجـلّ، و قـد جعـل تشـريعه لصالـح النـاس. والنـاس على مسـتويات متبـاينه مـن القـدرات العقليه والمؤهّلات والاسـتعدادات الفكريه. فبعضـهم ضـعفاء من حيث الاسـتعداد و بعضهم الآخر أقوياء. و قد راعى الدّين أحوالهم فى تشـريعاته. والدّين ينسـجم مع الفطره، و هذا يعنى أنه لايمكن أن يكون عسـيراً و معقّداً و منهكاً و باعثاً على الأذى. فلو أنّ الدّين فرض فرائض عسـيره على المكلّفين لكان مـدعاه لابتعاد الناس عنه، و فرارهم من طروحاته المعنويه. و هـذا نقض للغرض الـذى من أجله جاء الدّين، و لايتيح له تحقيق أهدافه.

إنّ الغـايه من انسـجام الـدّين مع الطبيعه و فطره النـاس، هى تربيتهم. و من الطبيعى أنّ الشـدّه والقسـر والاـكراه فى تطبيق فرائض الدّين لايأتى بالنتيجه المنشوده، لأنّ ذلك يتعارض مع طبيعه الإنسان. قال اللّه تعالى: (ما يُرِيدُ اللّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَ لكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ...) ، (١)(... وَ يُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّباتِ وَ يُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبائِثَ وَ يَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَ الْأَغْلالَ الَّتِى كانَتْ عَلَيْهِمْ...) .(٢)

إنّ يسر التكاليف الدينيه لايعنى رفعها أو زوالها أو خلوّها من المصاعب كلياً.

فالتكـاليف الـدينيه مقرونه بالمشـقه، و لكن إذا كـان هنـاك تعلّق قلبى بها، و رغبه و انـدفاع ذاتى لأدائها، فهى تبعث فى النفس بهجه و لذّه لايشعر معها بأيه معاناه أو مشقّه.

و على الرغم من سـهوله التكاليف الدينيه و مبدأ التيسير على العباد فى الأعمال الدينيه، بيد أنّ هناك تكاليف ذات مشقّه، أو أنّ بعض الناس لاتحـدوه رغبه فى أدائها. و هذا الشـعور بعدم الرغبه يؤدّى بحد ذاته إلى جعل التكليف أشقّ و أعسـر. و قد وصـف البـارى عزّوجلّ شـعور الإنسان تجاه بعض التكاليف بالتململ والإستياء كما فى قوله تعالى: (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتالُ وَ هُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَ عَسى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَ عَسى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَ

١- – سوره المائده (۵)، الآيه ۶.

٢- سوره الأعراف (٧)، الآيه ١۵٧.

هُوَ شَرٌّ لَكَمْ) .(۱)

و لابـد من الالتفات إلى أنّ أصل تشـريع التكليف إنّما جعل من أجل صـقل النفس وتهذيبها و كمالها، و هذا مما لاينال من غير تعب و عناء و مشـقّه. والعسـر الذى تصطبغ به بعض الفرائض الدينيه أشبه ما يكون بالتمارين المتواصله التى يمارسها رياضى، أو كاحتمـاء المريض من بعض الأشـياء المحببه إليه، وامتنـاعه عن تناولهـا، أو مـداومته على تناول أشـياء تفرض عليه حالته تناولها، حتى و إن كـان يشـمئز منها. مع كل ذلك فإنّ مشـقّه التكليف لاتقع على الجميع، و إنّما يُرفع التكليف حيثما لاتُطاق المشـقه. و هذه قاعده عامّه و هى أنّ كل إنسان يقع عليه من التكليف على قدر طاقته.

التديّن

التـديّن يعنى الالـتزام بالـدين والعمـل وفقـاً له. والتـديّن يتطلب التزامـاً قلبياً، و لايكفى منه العمل بالظواهر، فحرمه التظاهر والرياء والعجب و غيرها تكشف عن أنّ الأعمال الـدينيه تُقبل إذا جاءت عن نيه صالحه، و قصدِ نيل رضا اللّه تعالى، أمّا إذا شابتها شائبه من الريـاء، وقُصـد بهـا غير وجه اللّه، فلاـ تعـدّ تـديّناً. بل إنّ التظاهر والرياء فى بعض الأعمال يوجب بطلانها، و إذا أدّى الإنسان فريضه دينيه من غير نيّه و قصـد فلاـ تُقبـل منه، و تكون مثـل مئات الأعمال اليوميه، والعمل إنما يعتبر من الـدّين إذا ما جاء لوجه اللّه، و حتى الأُمور المباحه إذا أدّاها المرء بقصد القربه إلى اللّه يكون لها الأثر الوضعى للتديّن، وتُقرّبُه إلى ربّه.

للدين مجموعه من الآداب والشـعائر التى يمكن وصفها بالقشريات والظواهر. و حتى هذه الأُمور - فضلاً عن صورتها الظاهريه - لهـا طبقه داخليه أيضـاً و هى التسـليم للّه. و أداء الأعمال الظاهريه علامه دالّه على الميل والرغبه الباطنيه للشـخص، و لكن يمكن أن تكون فى الوقت ذاته خـداعاً و تحايلاًـ أو عـاده دأب على ممارسـتها. و يصـح التـديّن فيمـا إذا كـان هنـاك ترابط وثيق بين الأعمال الظاهريه وجوهرها و حقيقتها. و أمّا إذا جاءت هذه الأعمال

۱- سوره البقره (۲)، الآيه ۲۱۶.

بدافع العاده أو بقصد الخداع فستكون ذات تأثير سلبی؛ أو لاتكون ذات أثر دينی فی النفس علی الأقل.

إنّ للتدين مراتب. والعباد ليسوا كلهم علی درجه واحده من الرغبه والاستعداد. فالبعض قد يصل إلی درجات عليا من التدين علی أثر الاستعداد والمثابره والمجاهده. والبعض الآخر قد لاينال مثل هذه الدرجات لسبب. و درجه تديّن العباد يعلمها اللّه، و لايحقّ لأحد أن يحاسبهم علی مرتبه تديّنهم. و حتی لو كانت للتدين تجليات ظاهريه فحقيقته باطنيه، و لايحق لأحد تصنيف عباد اللّه وفقاً لدرجات تديّنهم.

هناك ملاحظه مهمه ينبغی الانتباه لها بشأن التديّن، و هی أنّ وصف حقيقه التديّن بأنّه شأن يتعلق بالنفس، قد يفهمه البعض أنه مجرّد تطهير للنفس من الرذائل والقبائح، و أنّ الظواهر والفرائض الدينيه غير ذات أهمّيه. والتصوّر فی هذه الرؤيه هو أنه إذا كان المراد من التديّن التسليم للّه والتقرّب إليه، فإنّ القلب منشغل علی الدوام بذكر اللّه و لاحاجه لظواهر الشريعه، و أنّ التوجّه الداخلی يكفی لتحقيق الغايه المنشوده من التديّن.

نعم! إنّ حقيقه التدين أمر داخلی، و لكن ظواهر الشريعه جزء لايتجزّأ من الدّين، و إنّما جُعلت لأجل الحفاظ علی ذلك الجوهر. و كانت الغايه من ذلك أن تمتزج الصوره الظاهريه للتدين بجوهره و حقيقته، و أن ينصب الاهتمام علی الاثنين معاً؛ إذ لايتحقق التدين بدونهما معاً.

التدين هو الالتزام بجميع أحكام الدّين. و أمّا التبعيض فيها و انتقاء البعض منها و رفض الباقی فلا يُعتبر من التدين. و قد وصف اللّه عزّوجلّ هذه الظاهره بالكفر، فقال فی كتابه الكريم: (إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللّهِ وَ رُسُلِهِ وَ يُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللّهِ وَ رُسُلِهِ وَ يَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَ نَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذلِكَ سَبِيلاً * أُولئِكَ هُمُ الْكافِرُونَ حَقًّا وَ أَعْتَدْنا لِلْكافِرِينَ عَذاباً مُهِيناً) .(1)

۱- سوره النساء (۴)، الآيتان ۱۵۰-۱۵۱.

الأديان

يظهر من تاريخ البشريه أنّ سلوك المجتمعات كان حافلاً بالميل إلى الدّين. و يمكن القول: إنّ تاريخ الإنسان و تاريخ الدّين شيء واحد و متطابق. و هذا ما تكشف عنه المصادر الإسلاميه أيضاً. واستناداً إلى ما ورد فى القرآن الكريم فإنَّ الإنسان الأول و هو آدم عليه السلام كان قد تحدّث عن أمر اللّه و نهيه له، و بعثه بالنبوّه.(۱) و استجابه لِما تمليه عليهم ميولهم و متطلباتهم فقد اصطنع الناس لأنفسهم أدياناً، أو جاءهم الأنبياء بدين حق من اللّه تعالى.

كالأديان التى جاء بها موسى عليه السلام و عيسى عليه السلام و نبيّنا محمد صلى الله عليه و آله و سلم.

و نحن هنا لسنا بصدد تسليط الضوء على الجوانب التاريخيه للدين؛ و إنّما بصدد معرفه هل إنّ لكل واحدٍ من الأديان نصيب من الأحقيه أم لا؟ و هل إنّ من يعتنقون ديناً جرياً وراء مقتضيات بيئتهم و تربيتهم، يُقبل منهم أم لا؟

و هنا يمكن تقسيم الأديان إلى طائفتين: الأديان الوضعيه، والأديان التى جاء بها الأنبياء من اللّه تعالى و أبلغوها للناس. فالأديان الوضعيه بما أنها ليست منزله من اللّه و لاجاء بها الأنبياء فهى كبقيه المعطيات البشريه تفتقر للقدسيه، حتى و إن أطلقت عليها تسميه الدّين.

و ما عُرف من الأديان الإلهيه هى: اليهوديه، والمسيحيه، والإسلام.

و هناك رأى يفيد أنّ المجوسيه (الديانه الزرادشتيه)، و ديانه الصابئه تعدّ فى عداد الأديان السماويه أيضاً و يستند هذا الرأى إلى الآيات القرآنيه التى ذكرت أسماء هؤلاء، كقوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ الَّذِينَ هادُوا وَ النَّصارى وَ الصّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ عَمِلَ صالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ) ، (۲)(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ الَّذِينَ هادُوا وَ الصّابِئِينَ وَ النَّصارى وَ الْمَجُوسَ وَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَهِ) .(۳)

و لكنّ الحق أنّ هذه الآيه لاتفيد بأن المجوسيه كانت ديناً سماوياً، رغم أنّ الأخبار

۱- – سوره البقره (۲)، الآيه ۳۰؛ سوره آل عمران (۳)، الآيه ۳۳.

۲- – سوره البقره (۲)، الآيه ۶۲.

۳- سوره الحج (۲۲)، الآيه ۱۷.

الوارده تفید بأن المجوس أصحاب کتاب سماوی.

یعتقد المجوس بکتاب سماوی و بنبوّه زرادشت. و یدّعی الصابئه أنّ لهم کتاباً سماویاً و أنهم یؤمنون باللّه، والملائکه، والجنه، والنار، و بعض الأنبیاء.(۱)

تعرضت الأدیان للتحریف تدریجیاً فی معناها و فی محتواها. و هو ما یعنی بالنتیجه أنها فقدت دورها، فبعث اللّه علی أثر ذلک نبیاً جدیداً.

کان کل واحد من الأنبیاء فی زمن ظهوره یدّعی أحقیّته، و یعلن نسخ الشریعه السابقه له و انتهاء عهدها. و لکل نبیٍّ فی الوقت الحاضر أتباع فی شتّی أرجاء العالم، و یدافعون عن وجودهم و أحقیّتهم.

أظهر الأنبیاء فی زمن بعثتهم أُموراً خارقه للعاده کالمعجزات من أجل إثبات أحقیّتهم.

و علی صعید آخر جاء کل دین بتعالیم مختلفه عن تعالیم الدّین الآخر، و لم تقتصر علی مجرد الاعتقاد بالأُمور الغیبیه. فالیهود یعتبرون المعیار فی صحّه المعتقد، الإیمان بنبوّه موسی علیه السلام، و أمّا المسیحیون فیرون معیار الانتماء للمسیحیه، الإیمان بنبوه المسیح علیه السلام، بینما یری المسلمون أنّ الاعتقاد بنبوه محمد صلی الله علیه و آله و سلم خاتم الأنبیاء هو معیار الدّین المقبول عند اللّه.

من الواضح طبعاً أنّ مجرّد الاعتقاد بموسی علیه السلام الذی عاش قبل عده آلاف من السنین، والاعتقاد بالمسیح علیه السلام الذی عاش قبل ألفی سنه، أمر غیر مقبول لدی من بُعث إلیهم آخر الأنبیاء. والسبب الذی یدعو إلی اعتناق الدّین القدیم هو ذات السَبب الذی یدعو إلی اعتناق الدّین الخاتم. إذ بَعد ظهور الأدیان اللاحقه لایکفی التشبّث بالأدیان السابقه لإثبات أحقّیتها. فعندما یُبعث رسول من اللّه و یقدّم الأدله الکافیه لإثبات حقّانیّته، یکون مبعثه کمبعث أوّل نبی. و لایجوز لأحد رفض اعتناق الدّین الجدید بسبب اعتقاده بدین وتقالید معیّنه. و قد تحدّث القرآن الکریم عن أقوام سابقین وقفوا ضد الأنبیاء و لم یستجیبوا لدعواتهم و کانت ذریعتهم أنهم أخذوا عن آبائهم ما کان لدیهم من معتقدات وتقالید

۱- للاطلاع علی مزید من المعلومات حول الصابئه راجع کتاب: دراسات فی ولایه الفقیه و فقه الدوله الإسلامیه. ج ۳، ص ۳۹۲-۴۱۲.

موروثه: (قالُوا أَ جِئْتَنا لِتَلْفِتَنا عَمّا وَجَدْنا عَلَيْهِ آباءَنا وَ تَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِياءُ فِي الْأَرْضِ وَ ما نَحْنُ لَكُما بِمُؤْمِنِينَ) .(۱)

إذا أعلن أتباع الأديان السابقه تمسكهم بمعتقداتهم رغم ظهور دين جديد، فهناك حالتان يمكن تصوّرهما لهذا الوضع وهما: أن يكونوا مؤمنين حقّاً بدينهم السابق و لم تثبت لهم أحقيه الدّين الجديد، أو أنّهم يرفضون الدّين الجديد عناداً و مكابره. و فى الحاله الأُولى يُقبل إيمانهم بدينهم القديم، والإسلام يعترف بوجودهم: (لَيْسُوا سَواءً مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ أُمَّةٌ قائِمَةٌ يَتْلُونَ آياتِ اللّهِ آناءَ اللَّيْلِ وَ هُمْ يَسْجُدُونَ) .(۲)

و أمّا فى الحاله الثانيه فإنّ من يرفضون الدّين الحق عناداً و تعصباً فهم الكفار الذين يرفضون الانصياع للأنبياء: (يا أَهْلَ الْكِتابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآياتِ اللّهِ وَ أَنْتُمْ تَشْهَدُونَ) .(۳)

ختم النبوّه

بعث خاتم الأنبياء قبل حوالى ألف و أربعمائه و أربعين سنه، و أعلن ضمن إبلاغه رساله اللّه، ختم الوحى والنبوّه. و هذا ما صرّح به القرآن الكريم الذى هو آخر الكتب السماويه:

(ما كانَ مُحَمَّدٌ أَبا أَحَدٍ مِنْ رِجالِكُمْ وَ لكِنْ رَسُولَ اللّهِ وَ خاتَمَ النَّبِيِّينَ) .(۴)

هناك شىء ينبغى التنبيه إليه، و هو أنّ أنبياء كثيرين بعثوا على مدى الزمان، و لكن اللّه بعث نبياً واحداً لآخر الزمان مهما امتد، و لايُبعث نبىٌّ من بَعده أبداً.

والسؤال الذى يتبادر إلى الأذهان هنا هو: إذا كان الدّين من المتطلّبات الأساسيه للبشر، و هو يتعرّض على مرّ الزمن للتحريف والتغيير، و يفقد كفاءته و تأثيره، ثم إنّ هناك مستجدات تطرأ على الحياه، فلماذا لايُشرع دين جديد ليواكب كل عصر فى تلبيه المتطلّبات المستجده للبشر؟ و قبل الإجابه عن هذا السؤال لابُدّ من تسليط الضوء على الأُمور التاليه:

١ - أن ختم النبوه و تشريع دين ثابت لآخر الزمان لايعنى ختم الهدايه.

۱- سوره يونس (۱۰)، الآيه ۷۸.

۲- سوره آل عمران (۳)، الآيه ۱۱۳.

۳- سوره آل عمران (۳)، الآيه ۷۰.

۴- سوره الأحزاب (۳۳)، الآيه ۴۰.

۲ – من أسباب بعثه أنبياء كثيرين فی بقاع مختلفه من الأرض هو أنّ أداء رساله اللّه ما كان يكتمل بنبی واحد أو بضعه أنبياء، فی حين أنّ آخر الزمان شهد اكتمال أداء الرساله و يمكن أن تكون رساله النبیّ الخاتم فی متناول أيدی جميع الناس بكل سهوله. و فی مثل هذه الحاله لاتبقی ثمه حاجه لدين جديد.

۳ – الناس القدماء لم يبلغوا حدّاً من التجربه والعقلانيه بحيث يستطيعون استدامه حياتهم الجماعيه بلا أنبياء و بلا تعاليم تأتيهم تباعاً من السماء، والمحافظه علی الدّين الذی انزل إليهم والاستفاده منه فی تلبيه متطلّباتهم الدينيه، بينما فی آخر الزمان يبلغ الناس مرحله من الرقی يستطيعون معها مواصله حياتهم مستنيرين بهدی آخر رساله سماويه، و بها يُلبّون متطلباتهم المعنويه.

۴ – كانت الشرائع والكتب السماويه فی العهود السالفه تتعرض للتحريف والتغيير بسبب انعدام المستلزمات الضروريه، فی حين لايهدد مثل هذا الخطر آخر كتاب و دين سماوی.

۵ – الدّين الخاتم يضم جميع القضايا التی يحتاجها الإنسان، و يقوم ذووالأهليه العلميه باستنباطها من بين ثناياه و وضعها فی متناول أيدی الآخرين.

۶ – الدّين الخاتم كامل: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِی وَ رَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً...) . (۱) و كل ما بلغ كماله لا داعی لإعاده النظر فيه. و كل ما يحتاجه البشر ورد فيه مجملاً، و أمّا التفاصيل الجزئيه فلا ضروره للخوض فيها. و ليس هذا فحسب، بل ان طرحها يؤدّی إلی الإنغلاق و انسداد باب المعرفه.

۷ – آخر الكتب السماويه، و أوصياء النبیّ صلی الله عليه و آله و سلم، و علماء الدّين، يؤدّون دورهم علی مدی الزمان ويُهَيّئون الأذهان كما ينبغی، و عن هذا الطريق تنتقل القضايا اللازمه إلی الأجيال اللاحقه.

إنّ الأديان السماويه السابقه مثل سُلّم صفوف الدراسه الجامعيه، والإسلام آخر صفّ

۱– – سوره المائده (۵)، الآيه ۳.

فیها، حیث یصل الطلبه هناک إلی حدٍّ من المعرفه والفهم والعلم لایحتاجون معها إلی معلم و مرشد جدید، و إنّما یقبلون هم بأنفسهم علی التفکیر والتحقیق.

الدّین والتطوّر

بقیت الأدیان السابقه تتبدل تبعاً لِما یمرّ به الإنسان من تجارب جدیده، و ما یستجد من ظروف و مقتضیات، ویُشرّع علی أثر ذلک دین جدید من اللّه تعالی، لیحل محل الدّین السابق، و یواکب التطوّرات التی تحصل فی المفاصل المهمّه من الحیاه. واستمرت هذه التبدلات متواصله إلی حین عصر ختم النبوّه، حیث أخذت الأحکام تُشَرّع فی عصر ظهور آخر الأدیان السماویه (الإسلام) علی نحو تدریجی، و تبعاً للظروف و مدی استعداد الناس، ونُسخت فی الوقت ذاته أحکام أُخری کانت قد شُرّعت من قبل. و قد بَیّن اللّه سبحانه و تعالی هذه الحقیقه علی النحو التالی: (ما نَنْسَخْ مِنْ آیَهٍ أَوْ نُنْسِها نَأْتِ بِخَیْرٍ مِنْها أَوْ مِثْلِها...) .(۱)

و بَعدما تم تشریع جمیع جوانب آخر الأدیان أعلن ختم النبوّه. و غدا ما شُرع من اصول و کلیّاته أمراً ثابتاً لایقبل التغییر والتبدّل، وسیبقی الدّین الإسلامی ثابتاً و خالداً إلی یوم القیامه.

قطع الإنسان و لایزال یقطع أشواطاً طویله علی طریق التقدّم، واستطاع أن یُسخّر الطبیعه لخدمته علی نحو یدعو للدهشه، و أخذ یُدخل کثیراً من التعدیلات التی شملت الإنسان نفسه والحیوان والکائنات النباتیه والطبیعیه لأجل تحسینها والاستفاده منها علی نحو أمثل، و لکن بعض هذه التغییرات تتعارض مع مبادیء الدّین؛ لأنَّ کل واحد منها یأتی علی حساب شیء آخر. و من الأمثله علی ذلک تبدیل الجنس، و تحسین النسل، والتلقیح الصناعی، و تحدید النسل من خلال إحداث تغییرات فی الجسم، وزَرْع الأعضاء. والسؤال الذی یُثار هنا هو: هل یقرّ الدّین مثل هذه التغییرات أم یرفضها؟ فإن کان یقرّها، کیف یمکن

۱- سوره البقره (۲)، الآیه ۱۰۶.

حلّ هذا التعارض؟ و بعباره أَخرى كيف يتسنى للدين مواكبه هذه المتغيّرات المتزايده؟

إنّ التطوّر الذى ينجزه الإنسان له جوانب سلبيه وأُخرى إيجابيه. أمّا السلبيه منها فلا يماشيها الدّين و لايُتأمّل منه مماشاتها. والمراد من التطوّر السلبى تلك التغييرات التى لاتؤخذ فيها مصلحه الإنسان بنظر الاعتبار، حتى و إن كان ظاهرها يوحى بالإيجابيه، لأَنَّ الجديد لايحمل بشائر الخير والصلاح دائماً. و أمّا التغييرات التى تساهم فى تذليل سبل الحياه، و تنسجم مع العقل والتجربه والمبادىء الإنسانيه، فلا ينظر إليها الدّين نظره سلبيه.

و يمكن شرح كيفيه استجابته للتطوّرات على النحو التالى:

للناس جوانب ثابته لايؤثر فيها التغيير والتبدّل. والدّين فى هذا المجال ثابت أيضاً و يُلبّى تلك المطاليب الثابته. والدّين فيه جوانب اعتقاديه، و أخلاقيه، و عمليه. والجوانب الاعتقاديه تتعلق بتلك الجوانب الثابته التى ليس من المنطقى ان يحصل أى تغيير فيها. نعم قد تؤدّى بعض المعطيات والإنجازات العلميه حول العالم، أو التفسير العلمى للعالم، إلى تغيير نظره بعض الناس إلى الكوْن و علاقته بمبدأ الوجود؛ فتوحى بعدم أو قلّه تأثير اللّه والقوى غير الماديه. و مهما كانت التطوّرات فإنّها لاتؤثّر فى واقع العالم. و هى قد تُحدث تغييراً فى أمور جزئيه و لكنها لاتُفسد النظام العام للوجود، و لاتُبطل مفعول نظام العليّه، و لاتنقض القوانين السائده فى عالم الوجود أو تبدّلها. فالاعتقادات قائمه على واقع الوجود، و ان الناس يجب أن يؤمنوا استناداً إلى ما هو قائم. و هذا الواقع الثابت يستدعى اعتقادات ثابته لاتبدّل فيها. و لهذا فالأديان السابقه مهما حصل فيها من تغيير، بقى هذا الجانب منها ثابتاً لايقبل التغيير.

أما بالنسبه إلى التعاليم الأخلاقيه، فهى ذات صله وثيقه بالطبيعه الإنسانيه. والكثير من الوصايا الأخلاقيه للدين جاءت من باب الإرشاد بحكم العقل أو الفطره. والناس يدركون هذا الجانب من الأمور الأخلاقيه حتى من غير وجود التعاليم الدينيه. و أمثال هذه التعليمات تستمد جذورها من الناس أنفسهم، و هى كسابقتها ثابته و تُعدّ من المتطلّبات الأساسيه لبنى الإنسان، و لايمكن الاستغناء عنها مهما تقدّم اجتماعياً و علمياً و صناعياً و عقلياً، و هى من لوازم الإنسان سواء كان متخلّفاً أم متطوّراً.

بعض هذه التعاليم يتعلّق بكيفيه عباده اللّه، و لهذا نادراً مايطالها تغيير. و مهما كان التطوّر فهو غير قادر على أن يكشف للناس خطأها أو صوابها. و هذه الطائفه من التعاليم ثابته لاتقبل التغيير.

أمّا الجانب المعنى بتنظيم العلاقات الاجتماعيه، فقد لاينسجم فى بعض الحالات مع مايحصل من تطوّرات. و هناك جوانب رئيسيه تابعه لمبادىء إنسانيه ثابته كالعداله، والتعاون، و حقوق الناس، و حسن المعاشره، و ما شابه ذلك. و هى عند التعارض مع المبادىء المذكوره تسقط من الاعتبار. قال تعالى فى كتابه الكريم: (لَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلَنا بِالْبَيِّناتِ وَ أَنْزَلْنا مَعَهُمُ الْكِتابَ وَ الْمِيزانَ لِيَقُومَ النّاسُ بِالْقِسْطِ) .(۱)

و ينبغى خلال كل ذلك الالتفات إلى عدم إهمال و تجاهل الأهداف الكليه للدين فى ضوء ما يحصل من تطوّرات، بحيث لايؤدّى عمل أو موقف إلى إلغاء حكم دينى؛ و ذلك لأن الأحكام تابعه لمصالح، و تلك المصالح تابعه لظروف و مقتضيات واقعيه. جاء فى كتاب فقه الرضا عليه السلام: «... لم يحرّم اللّه الا ما فيه الضرر والتلف والفساد»(۲) و مع ذلك فقد جُعلت فى الأحكام الدينيه نفسها آليّات تُكسبها قابليه التطابق مع الظروف والمقتضيات فى المواضع اللازمه. فهناك آيات تدل على أن بعض الأحكام رغم قداستها تتصف بالمرونه و يمكن أن تتبدل فى ظروف خاصه أو حتى تُعطّل، مثلما هو الحال فى رفع الحرمه عن الميته و لحم الخنزير و ما شابه ذلك. و هذا يعبّر عن حقيقه و هى أن الأحكام تابعه لمقتضيات و ظروف، و هى تدور مدارها و تنتفى بانتفائها.

و مع كل هذا فإنّ بقاء باب الاجتهاد فى الأحكام الدينيه مفتوحاً، يعدّ بحد ذاته حلاًّ لكثير من المستعصيات. فالفقيه الجامع للشرائط يمكنه استناداً إلى الأصول تطبيق الأحكام على الموضوعات والاجتهاد فى تطبيقها. والاجتهاد يحظى بتأييد الدّين، و هو يمهّد الطريق

۱- سوره الحديد (۵۷)، الآيه ۲۵.

۲- - النورى، الميرزا حسين، مستدرک الوسائل، الباب ۱ من أبواب الأطعمه المحرمه، ج ۱۶، ص ۱۶۵، الحديث ۵. تجدر الإشاره إلى ان مضمون هذا الكلام جاء فى روايه وردت عن الإمام الباقر عليه السلام فى حرمه الخمر. راجع: الصدوق، علل الشرائع، الباب ۲۳۷، ج ۲، ص ۱۹۶، الحديث ۱.

لکی یتماشی الدّین مع مستجدّات کل عصر. قال الإمام الصادق علیه السلام: «إنّما علینا أن نُلقیَ إلیکم الأصول و علیکم أن تفرّعوا».(۱) و روی عن الإمام الرضا علیه السلام أنه قال: «علینا ألقاء الأصول و علیکم التفریع».(۲)

و علی العموم یمکن القول فیما یخص جمیع الأحکام العملیه للإسلام: أما أن المجتهد العارف بمقتضیات الزمان یستخرج الملاک القطعی للحکم الشرعی، أو أنه لایستخرجه، و فیما إذا استخرج الملاک القطعی للحکم الشرعی، فأما أن یکون ذلک الملاک ثابتاً لایقبل التغییر، أو أنه خاضع للتغییر والتبدل تبعاً لتبدّل الظروف والأحوال. و فی الحاله الأخیره یبدی المجتهد رأیه فی تغیّر ذلک الحکم و تطابقه مع مستجدّات الزمان. والکثیر من أحکام الإسلام السیاسیه والاجتماعیه من هذا القبیل.

الإسلام

کلمه (الإسلام) مشتقه من ماده «سَلِمَ» التی تعنی (التسلیم). و هذا الاسم هو ما اختاره اللّه لدینه کما جاء فی القرآن: (إِنَّ الدِّینَ عِنْدَ اللّهِ الْإِسْلامُ) . (۳) کما صرّح القرآن الکریم أیضاً فی موضع آخر بکمال و شمولیه هذا الدّین، بقوله تعالی: (الْیَوْمَ أَکْمَلْتُ لَکُمْ دِینَکُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَیْکُمْ نِعْمَتِی وَ رَضِیتُ لَکُمُ الْإِسْلامَ دِیناً) . (۴) والنبیّ الذی جاء بهذا الدّین هو محمد بن عبداللّه صلی الله علیه و آله و سلم، الذی اصطفاه اللّه بَعد حوالی ستمئه سنه من میلاد المسیح علیه السلام فی مکه المکرمه لإبلاغ دینه إلی الناس بتمامه، و لیکون خاتمه النبوات والشرائع السماویه.

الدّین الإسلامی امتداد للشرائع السماویه السابقه و مکمّل لها. و هو دین الدنیا والآخره علی حد سواء. و قد حرّم هذا الدّین الرهبانیه، و لکنّه امتدح الزهد. و قد أباح الإسلام للإنسان الاستفاده الصحیحه من النعم الإلهیه، غیر أنّه فی الوقت نفسه حرّم التهالک علی

۱- – الحر العاملی، وسائل الشیعه، الباب ۶ من أبواب صفات القاضی، ج ۲۷، ص ۶۱-۶۲، الحدیث ۵۱.

۲- المصدر السابق، ص ۶۲، الحدیث ۵۲.

۳- – سوره آل عمران (۳)، الآیه ۱۹.

۴- – سوره المائده (۵)، الآیه ۳.

الدنيا والإفراط فی طلب ملذّاتها: (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِینَهَ اللّهِ الَّتِی أَخْرَجَ لِعِبادِهِ وَ الطَّیِّباتِ مِنَ الرِّزْقِ...) .(۱)

یتألف الإسلام من ثلاثه مکوّنات و هی: الاعتقادات، والأخلاق، والفقه. و قد شبّهوا منشأ هذا التقسیم بمراحل وجود الإنسان، و قالوا بأنَّ المرحله الاُولی تمثّل المرحله العلیا للإنسان و هی العقل والفکر و إلیهما تنتهی الاعتقادات والرؤیه الکَوْنیه التی یحملها الإنسان. و أمّا المرحله الثانیه فهی عباره عن المرحله المتوسّطه التی تدخل ضمن إطارها الغرائز والعواطف والمشاعر و ما ینبغی فعله لضبطها وتهذیبها، والأخلاق هی التی تضطلع بمثل هذا الدور طبعاً. والمرحله الثالثه تمثل الوجود النازل للإنسان و یتألف من الأعضاء والجوارح التی یُعنی الفقه ببحث ما یتعلّق بها من وظائف.

و فی ضوء ذلک قُسّم هذا الکتاب الذی بین أیدیکم و هو کتاب «الإسلام دین الفطره» - إلی ثلاثه أبواب، و هی: الاعتقادات، والأخلاق، والتکالیف والمسؤولیات.

الشیعه

ینقسم المسلمون إلی فرق و مذاهب متعدده مثل: الزیدیه، الحنبلیه، الشافعیه، المالکیه، والحنفیه، والشیعه الاثنی عشریه، والاسماعیلیه، و فرق أُخری. و هذه الفرق والمذاهب تشترک و تتفق علی الاعتقاد علی الاُصول الأساسیه للإسلام، کالتوحید، والنبوّه، والمعاد، و کتاب اللّه. و کلهم متفقون علی تکریم واحترام الإمام علی علیه السلام والسیده فاطمه علیها السلام. أمّا الفرق الأساسیه فی الإسلام فهی عباره عن المذاهب الستّه الأربعه والمذهب الشیعی.

والفارق الأساسی بینها هو أنّ الشیعه یؤمنون بعصمه الإمام علی علیه السلام و فاطمه الزهراء علیها السلام، إضافه إلی أحد عشر إماماً آخرین من ذرِّیه علی علیه السلام.

و علی هذا الأساس فإنّ الشیعه تطلق اصطلاحاً علی أتباع الإمام علی علیه السلام والسیده فاطمه علیها السلام والائمه المعصومین. والشیعه هم من یعتقدون بأن الخلافه والإمامه قد جعلت

۱- سوره الأعراف (۷)، الآیه ۳۲.

من بَعد رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم مباشره إلى الإمام على عليه السلام، و هم يستندون فى ذلك الى نص متواتر جاء فيه: إنّ علياً نصب يوم الثامن عشر من ذى الحجه فى السنه العاشره للهجره عند غدير خم، بأمر من اللّه، على يد النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم لمنصب الولايه والإمامه بَعد النبىّ.

واصطلاح الشيعه هذا أطلقه رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم فى زمان حياته على أتباع الإمام على عليه السلام. فقد روى عن جابر بن عبداللّه الأنصارى أنه قال: «كنا عند النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم فأقبل على، فقال النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم: والذى نفسى بيده إنّ هذا و شيعته لهم الفائزون يوم القيامه».(۱)

و قال ابن عباس: «لمّا نزلت الآيه: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ أُولئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّهِ) (۲) قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم لعلى: هم أنت و شيعتك».(۳) و نقل الشيخ المفيد عن الإمام محمد الباقر عليه السلام أنه قال: «سُئِلت امّ سلمه زوج النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم عن على بن أبى طالب عليه السلام فقالت: سمعت رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم يقول: إنّ علياً و شيعته هم الفائزون».(۴)

من البديهى أنّ هذه الأحاديث لاتعنى أنّ مجرّد الانتماء إلى التشيّع يكون مدعاه لغفران الذنوب والنجاه أو الفوز يوم القيامه، و أنّ كلّ مَن لاينتمى إلى الشيعه - و إن لم يكن عن جحود و عناد - لا ينجو يوم القيامه.

و قد كانت كلمه الشيعه شائعه فى عصر النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم حتى أنّ جماعه من أصحابه كسلمان و أبى ذر والمقداد و عمار بن ياسر رضوان اللّه عليهم كانوا يُعرفون بالشيعه.(۵)

۱- - السيوطى، الدر المنثور، ج ۸، ص ۵۳۸، ذيل الآيه الأخيره من سوره البيّنه.

۲- - سوره البيّنه (۹۸) الآيه ۷.

۳- البحرانى، السيّد هاشم، البرهان فى تفسير القرآن، ج ۸، ص ۳۵۱، الحديث ۱۳؛ ابن شهر آشوب، المناقب، ج ۳، ص ۶۸.

۴- - المفيد، الارشاد، ج ۱، ص ۴۲-۴۳؛ المجلسى، بحارالأنوار، ج ۶۵، ص ۷، الحديث ۱؛ ص ۹، الحديث ۵؛ ص ۲۲، الحديث ۳۹.

۵- سعد بن عبداللّه الأشعرى القُمّى، المقالات والفرق، ص ۱۵، الرقم ۵۰.

الباب الأوّل: الإعتقادات

اشاره

ص:۶۱

العقیده

اشاره

العقیـده: تعنی انشـداد فکر الإنسان و ذهنه إلی شـیءٍ، وتخصـیص حیّزٍ له فی قلبه. و تأتی کلمه الاعتقاد عاده فی وصف ما یربط الشـخص من و شائـج بما یعتقـد به. و هـذا یعنی بطبیعه الحال أنّ العقیده نوع من التصدیق الذی یتعلق به خاطر المرء، سواء کان حقاً أو باطلاً، واقعیاً کان أم وهمیاً. والعقیده حصیله لنمط من أنماط المعرفه التی قد تکون دعائمها راسیه علی أوهام و ظنون، أو ربّمـا تکون عقیـده اکتسـابیه. و فی مثل هـذه الحاله، یبلغ المرء درجه من الثقه بمعتقـده، بحیث إنه یجاهر به و یعلنه علی رؤوس الأشهاد، بل و قد یبدی تعصبه له و تمسکه به.

العقیـده إفراز لاـ إرادی مبعثه الفکر، و ینحصـر تـأثیر الإنسان فی تقویمه و توجیهه و لا تأثیر له فی أصل منشـئه. والإنسان مجبول علی أن لایکون خلواً من عقیـدهٍ، و هی عاده الإطار الذی یتحرک ضـمنه الفکر والسـلوک. بل یبدو أنّ الاعتقاد یؤلف جزءاً من تکوین الإنسان.

العقیـده أمر لامنـاص منه، حتی أنّ أصـل وجودهـا لاـیتطلّب دعوه إلیها، و لایسـتدعی تحریضاً و حثّاً علیها. ولغالبیه الناس رؤاهم واعتقـاداتهم بمـا یجری حولهم فی هـذا العـالم. و کـل شـخص یختار عقیـدته فی ضوء ظروفه الفکریه و بیئته التربویه و یتعایش معها. غیر أنّ القضـیه المهمه، هی صواب المعتقد و أحقیّته، فما کلّ ما یعتنقه المرء من المعتقدات صحیح و صائب. فهو کثیراً ما یرث معتقداته من محیط الاُسره أو البیئه الاجتماعیه التی یشبّ و یترعرع بین أحضانها. و فی مثل هذه الأجواء، یتبلور قوام العمود الفقری لمعتقـداته التی یؤدی ترسـیخها إلی أن ینزع المرء فی حیـاته نزعه دینیه. بیـد أنّ أمثال هـذه المعتقـدات لاتکاد تخلو من خرافات و أوهام، أو ربّما کانت واهیه و بعیده عن الرصانه، بحیث تضمحل

و تتلاشی عند أدنی شبهه. فمجرّد شیوع شیء بین الناس لایعد برهاناً علی صوابه. و حتی المؤمنون قد تتغلغل بین ثنایا معتقداتهم وسلوکهم مکوّنات مغلوطه. و هذا ما یفرض علینا بطبیعه الحال استقاء معتقداتنا من مناهلها السلیمه، و إحکام بنائها.

العقیده الحقّه

العقیده الحقّه: هی ما قامت علی العقل السلیم ویُقرّ صوابها الوحی والأنبیاء علیهم السلام، أو کانت مستقاه من الوحی الذی جاؤوا به. و یمکن القول بکلمه أدق: إنّ المعیار الذی تُقاس به أحقیّه العقیده هو مدی تطابقها مع الوحی والفطره، و انسجامها مع الموازین العقلیه. فإنْ کانت الاعتقادات الدینیه تتّسق مع ما تقضی به موازین العقل و أثبتت علی مرّ الزمن مقدرتها علی تلبیه المتطلّبات الدینیه لبنی الإنسان، فهذا یعنی أنها حقّه.

إنّ مجرّد إطلاق تسمیه الدّین علی مجموعه من التعالیم والأحکام، أو محض ادعاء من یدّعی بأنه قد جاء بدین من عند اللّه، لایُعدّ برهاناً کافیاً علی الحقّانیه؛ إذ ربّما یستغل بعض ذوی المکر والحیله جهل الناس و یبتدعون لهم دیناً من عند أنفسهم، وربّما یجد هذا الدّین أتباعاً و أنصاراً إلی أمدٍ. والقول الفصل فی هذا المضمار هو إنّ احقیّه الدّین لابُدّ أن تثبت ببراهین قطعیه، و أن تکون مختومه بخاتم التأیید الإلهی.

قد تکون هناک بین مکوّنات الدّین تعالیم و أحکام یتعذّر الحصول علی تفسیر عقلی لها، و لایمکن فهمها علی وجه الدقّه. و هذه الأُمور إن کانت مدعومه بأدله رصینه تُثبت أنها من الدّین، فهی من غیر شکّ جزء من الدّین و لابُدّ من الإیمان بها؛ و ذلک لأن اللّه تعالی قد أنزل أحکاماً و فرض علی عباده العمل بها تعبّداً و إظهاراً للطاعه، و بعضها ذات أسرار خفیّه وضعت للاختبار والعبودیه. فعندما یثبت أنّ هناک حُکْماً أمر به اللّه، فلا مناص من القبول به.

و علی أیه حال فإنّ ما ینبغی علی کل مسلم، بل و علی کل إنسان، هو أن یکون لدیه إلمام - ولو بسیط - بالمعتقدات الحقّه والباطله، لیتسنّی له اختیار الحق والصحیح منها و هضمه و تمثیله فی حیاته، واجتناب الفاسد والباطل منها.

الإيمان

كلمه الإيمان: مشتقه من «أمن» الذى هو ضد الخوف.(۱) والإيمان عباره عن شغف قلبى يأتى كحصيله لنوع من المعرفه التى يمازجها حُبّ و اندفاع، و يعقبها حصول الفراغ والأمن والراحه للقلب. و لابُدّ من التنبيه إلى أنّ مجرد الرغبه فى الشىء أو الوعى له ليست إيماناً.

فنحن نحب الكثير من الأشياء كالبلدان والأشخاص والأطعمه والثياب، و لكننا لانقول إننا نؤمن بها. و إنما الإيمان عباره عن التعلّق والانشداد القلبى الذى يمازجه نوع من الوعى تجاه أُمور حسيّه تاره أو غير حسيّه تاره أُخرى. كالإيمان باللّه و بالغيب، أو بموضع ذى أثر معنوى.

الإيمان يبعث فى الروح الطمأنينه و ينتشلها من خلجات الشكّ والريب، و يبلغ بها ساحل الأمن الفكرى واليقين. يقول الإمام على عليه السلام فى وصف الإيمان بأنه مأمن لمن يلجه:

«مَن آمَنَ أمِنَ».(۲)

المؤمن ينتزع ذاته بإيمانه مما يعتريه من ريب و يصل ساحل الأمن. والأمن والإيمان يعودان من حيث الاشتقاق اللُّغوى إلى مصدر واحد.

المؤمن الذى يعيش بإيمانه قلّما تزعزعه عوادى الدهر، و هو أشبه ما يكون بالجبل الراسخ الذى لاتزعزعه العواصف. و لاتتسرّب إلى قلبه مخاوف ذهاب النفس والمال والولد والجاه والمكانه الاجتماعيه. و لاتهزهزه أمثال هذه الهزاهز المريره. و إنما يسلم قياده - لمجابهتها - إلى ربّه: (وَ لَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَىْ ءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَ الْجُوعِ وَ نَقْصٍ مِنَ الْأَمْوالِ وَ الْأَنْفُسِ وَ الثَّمَراتِ وَ بَشِّرِ الصّابِرِينَ * اَلَّذِينَ إِذا أَصابَتْهُمْ مُصِيبَهٌ قالُوا إِنّا لِلّهِ وَ إِنّا إِلَيْهِ راجِعُونَ) .(۳)

ورد فى حديث شريف وصف حقيقه الإيمان بأنّه التسليم المطلق للّه.(۴) و هذا ما

۱- - الفراهيدى، الخليل بن أحمد، كتاب العين، ج ۱، ص ۱۰۸.

۲- الخوانسارى، جمال الدّين، شرح غُرَر الحِكَم، ج ۵، ص ۲۳۱۴، الحديث ۷۶۳۹.

۳- سوره البقره (۲)، الآيتان ۱۵۵-۱۵۶.

۴- - الكلينى، الكافى، ج ۲، ص ۵۲-۵۳، الحديث ۱.

استجلاه اللّغوی المعروف ابن منظور حین قال فی معنی الإیمان: الإیمان إظهار الخضوع، والقبول للشریعه و لما أتی به النبی صلی الله علیه و آله و سلم، و اعتقاده و تصدیقه بالقلب.(۱) و لاریب فی أنّ مثل هذا المعنی لایتحقق إلّاعن طریق الارتباط الوثیق بالله. فمن یُسْلِم قلبه لله بکل کیانه، لایجد الشکُّ إلیه من سبیل، بل یتبدل إیمانه إلی طمأنینه، و یعیش علی الدوام فی سکینه واستقرار. (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِینَ آمَنُوا بِاللّهِ وَ رَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ یَرْتابُوا) . (۲) و فی مقابل هذه الطائفه هناک طائفه أُخری خالیه من الإیمان، و من الطبیعی أنّها تعیش علی الدوام فی شکّ و حیره: (إِنَّما یَسْتَأْذِنُکَ الَّذِینَ لا یُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَ الْیَوْمِ الْآخِرِ وَ ارْتابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِی رَیْبِهِمْ یَتَرَدَّدُونَ) .(۳)

درجات الإیمان

للإیمان درجات تتوقف کل واحده منها علی مدی معرفه و انشداد المرء إلی ربّه، و هی تبدأ من مرحله الإقرار باللّسان حتی تبلغ أسمی الرتب «وَ سُئِلَ [علی علیه السلام] عَنِ الإیمان فَقَالَ: الإیمان مَعْرِفَهٌ بِالْقَلْبِ، وَ إِقْرَارٌ بِاللِّسَانِ، وَ عَمَلٌ بِالْأَرْکَانِ».(۴) و کلّما کان اهتمام الإنسان بالأُمور غیر الإلهیه و غیر المعنویه أشد، ینحدر إیمانه نحو الضعف: (ما جَعَلَ اللّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَیْنِ فِی جَوْفِهِ) (۵) و یُقاس إیمان القلب حسب درجه تعلّقه باللّه من جانب، و بالأشیاء الأُخری من جانب آخر. فإن کان یمیل إلی الدنیا والآخره و إلی اللّه والأُمور الدنیویه بدرجه واحده، فقیمه إیمانه تکون فی تلک الدرجه. و من الطبیعی أنّ الأشیاء ذات السنخ الواحد والتی لایوجد تعارض بینها و لاتزاحم، لامُشاحّه و لا إشکال فی أن یکون الإیمان بها جمیعها فی عرض واحد، کالإیمان بالکتب السماویه، والأنبیاء، والمعاد. و حتی فی هذه الأُمور تتباین درجات الإیمان تبعاً لمعرفه کل شخص و رغبته.

۱- – ابن منظور، لِسان العرب، ج ۱، ص ۱۱۴.

۲- – سوره الحجرات (۴۹)، الآیه ۱۵.

۳- سوره التوبه (۹)، الآیه ۴۵.

۴- – الشریف الرضی، نهج البلاغه، الحکمه ۲۲۷، ص ۵۰۸.

۵- – سوره الأحزاب (۳۳)، الآیه ۴.

و على أيه حال، فإنَّ للإيمان درجات، و يمكن أن يُستحثّ ويُستنهض نحو مراتب أسمى. والعكس صحيح أيضاً؛ إذ يؤدّى إهماله إلى اضمحلاله و ضموره.

روى عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: إذا أذنب الرجل خرجت فى قلبه نكته سوداء، فإن تاب انمحت.(۱) و ورد فى حديث آخر عنه: «إنّ الإيمان عشر درجات بمنزله السلّم يصعد منه مرقاه بَعد مرقاه، فلا يقولَنَّ صاحب الاثنين لصاحب الواحد: لست على شيء».(۲)

و ورد أيضاً فى حديث آخر عنه: «ان اللّه عزّوجلّ وضع الإيمان على سبعه أسهم... فمن جعل فيه هذه السبعه الأسهم فهو كامل...».(۳)

يفهم من هذه الملاحظه التى تضمّنتها هذه الروايه و من آيات و روايات أُخرى، أنه لايجوز التعامل مع الناس على أساس درجه و نوع إيمانهم، وجعل حقوقهم الاجتماعيه خاضعه لما يعتنقونه من معتقدات.(۴)

قال عبدالرحيم القصير: كتبت إلى أبى عبداللّه الصادق عليه السلام رساله مع عبدالملك بن أعين أسأله فيها عن الإيمان، فكتب إلىَّ: «الإيمان هو الإقرار باللسان و عقد فى القلب و عمل بالأركان».(۵)

و فى هذه الروايه و روايات أُخرى جُعِل الإقرار باللِّسان جزءاً من الإيمان. و لابد طبعاً من الانتباه إلى أنّ الإقرار هو فى الواقع بدايه الإيمان، و طالما لم يتغلغل الإيمان فى القلب فما هو بإيمان. فقد صرّح القرآن الكريم بأنَّ الإقرار اللِّسانى الذى صدر من الأعراب ليس إيماناً، وانّما هو مجرّد دخول فى الإسلام: (قالَتِ الْأَعْرابُ آمَنّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَ لكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنا وَ لَمّا يَدْخُلِ الْإِيمانُ فِى قُلُوبِكُمْ) .(۶)

و أيّدت آيه أُخرى هذه الحقيقه مبيّنه أنّ الإقرار وحده ليس إيماناً (وَ مِنَ النّاسِ مَنْ

۱- – الكلينى، الكافى، ج ۲، ص ۲۷۱، الحديث ۱۳.

۲- – المصدر السابق، ص ۴۴ و ۴۵، الحديث ۲.

۳- الكلينى، الكافى، ج ۲، ص ۴۲.

۴- راجع من جمله ذلك: رساله الحقوق، ص ۱۵ و ۳۲-۳۹؛ كرّاسه درس الخارج فى المكاسب المحرّمه، تحت عنوان «سبّ المؤمن»، تتمه «حرمه سبّ الإنسان بما هو إنسان»، ص ۵-۷.

۵- الكلينى، الكافى، ج ۲، ص ۲۷، الحديث ۱.

۶- سوره الحجرات (۴۹)، الآيه ۱۴.

يَقُولُ آمَنّا بِاللّهِ وَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَ ما هُمْ بِمُؤْمِنِينَ) .(۱)

و من جانب آخر يُنظر إلى العمل بالتكاليف كجزء من الإيمان، حيث ينبغى القول: إنّ العمل شبيه بالإقرار و هو يأتى كإفراز و كأثر للإيمان، و لكنّه ليس الإيمان نفسه. والحقيقه هى أنّ من يدّعى الإيمان إذا لم يعمل وفقاً لما يقتضيه إيمانه، فذلك مؤشر على أنّه لا إيمان له. فالعمل دلاله على صدق المدّعى. و إن لم يقترن الإيمان بالعمل فمعنى ذلك عدم صدق الإيمان. و ما يتعيّن على المؤمن هو أن يقترن إيمانه بالعمل. والسعاده إنما تأتى من اقتران هذين الأمرين معاً. و ذكرهما إلى جانب بعضهما فى القرآن الكريم دليل على أنّ الإيمان شىء آخر غير العمل، و أنّ المؤمن من ينعقد قلبه على شىء و يظهر فى عمله و سلوكه، قال اللّه تعالى: (وَ مَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصّالِحاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّهَ) .(۲)

هناك علاقه طرديه متبادله بين الإيمان والعمل الصالح؛ فكلّما كان الإيمان أقوى ازداد العمل الصالح. و كلما ازداد العمل استحكم الإيمان. فالعمل ثمره الإيمان، والإيمان منطلق و حافز للعمل الصالح. و قوام العمل الصالح رهن بالإيمان.

من الطبيعى أنّ نيل معالى الرتب الإيمانيه رهين بالعمل والمجاهده. فهناك من يستطيعون تمتين إيمانهم، و يكونون على الدوام منصاعين لأمره، و يجعلون قلوبهم حرماً للّه لايدخلها غيره.(۳) إنّ مجاهده المؤمنين ترفعهم إلى منزله رفيعه و تجعلهم فى عداد أولياء اللّه و أحبائه.

ما يجب الإيمان به

المؤمن: هو من يؤمن باللّه و بالمعاد والنبوّه و ضروريات الدّين (وَ الْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَ مَلائِكَتِهِ وَ كُتُبِهِ وَ رُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَ قالُوا سَمِعْنا وَ أَطَعْنا غُفْرانَكَ

۱- سوره البقره (۲)، الآيه ۸.

۲- سوره النساء (۴)، الآيه ۱۲۴.

۳- - المجلسى، بحارالانوار، ج ۶۷، ص ۲۵، الحديث ۲۷.

رَبَّنا وَ إِلَيْكَ الْمَصِيرُ) . (۱) و إنكار هذه الأمور كفر (وَ مَنْ يَكْفُرْ بِاللّهِ وَ مَلائِكَتِهِ وَ كُتُبِهِ وَ رُسُلِهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً) . (۲) فالمؤمن هو من يؤمن باللّه و بصفات جماله وجلاله و ربوبيّته و وحدانيّته، و أنه هو الخالق والمدبّر لكل عالم شؤون الوجود، و ينزِّهه عن كل شرك و نقص.

إنّ التصديق بالنبوّه و بأنّ كل الأنبياء مبعوثون من اللّه عزّوجلّ، جزء من الإيمان. و من مستلزمات الإيمان أيضاً الاعتقاد بالنبوه و بشخص النبيّ، و بالوحى والكتاب السماوى والملائكه. و فى هذا المجال يُعتبر الإيمان بآخر الرسل النبى محمد بن عبداللّه صلى الله عليه و آله و سلم و كتابه السماوى، و كل ما أبلغه للناس من ضروريات الدّين، و أوصيائه، من الأوامر الإلهيه القطعيه، و عدم الإيمان بها يخرج المرء من الجماعه المؤمنه.

كما يُعتبر الإيمان بالبرزخ، والمعاد، والجنّه، والنار، والصراط، والشفاعه، والجزاء والعذاب من اصول الدّين، و لايتحقق الإيمان الكامل إلّابالاعتقاد بها قلبياً.

الأُصول الأساسيه للإيمان هى الاعتقاد باللّه و بالنبوّه و بالمعاد. و أمّا بقيه الأُمور فهى تبع لها و منبثقه منها، و هى من متعلّقات الإيمان التى لاسبيل إلى إنكارها.

و يمكن القول بكلمه أُخرى: إنّ ما ينبغى الإيمان به هو اللّه الذى يخضع كل شىء لإرادته و مشيئته. والأنبياء، والوحى، والكتب السماويه، والملائكه و رسله، والمعاد أيضاً هو الرجوع إليه سبحانه، والدّين هو أحكامه المفروضه.

ضروره الإيمان

الإيمان والمعتقد من المتطلّبات الأساسيه للإنسان، و هما فى الوقت ذاته تكليف ملقىً على عاتقه، و أهميّتهما بالنسبه إليه كالطعام. فمثلما يحتاج الإنسان إلى الطعام، فهو يحتاج أيضاً إلى العقيده والإيمان. و يمكن القول من باب التمثيل - لا الاستدلال مثلما أنّ الإنسان لايؤذن له بتناول أى طعام كان لسدّ جوعه؛ إذ ربّما تُعتبر بعض الأطعمه بمثابه سمّ قاتل له،

۱- - سوره البقره (۲)، الآيه ۲۸۵.

۲- - سوره النساء (۴)، الآيه ۱۳۶.

كـذلك الحـال أيضاً بالنسـبه إلى الإيمان؛ إذ يجب عليه أن يـدقِّق و ينقّب بشأنه غايه ما يمكن؛ و ذلك لأنّ عمله و سـلوكه إنّما ينتظم وفقاً لما يختاره من المعتقدات والإيمان.

و فى ضوء ما سبق ذكره هناك، ملاحظتان مهمّتان تسترعيان الانتباه فى ما يخص ضروره الإيمان: أولاهما هى أنّ الإيمان - كما سبق ذكره - عباره عن تعلّق و انشداد.

و يمكن القول بعبـاره أُخرى: إنّ الإيمـان والكفر من شؤون القلب و خاضـعان لإـرادته. فكيف يمكن غرس مثل هـذه الحاله فى القلب، أو دعوه الآـخرين إليهـا؟ إنّ الاعتقـاد أمر قلبى، و إقبـال القلب عليه أو رفضه له يتوقف على ظروف خاصّه. فبعض الناس تبعـاً لظروفه النفسيه والتربويه قـد تسـتهويه بعض الأُـمور و يميل إليها، و قـد ينفر من أُمور أُخرى و يتجنّبها. فهو قـد يحب بعض الأماكن، والأطعمه، والصور، و حتّى الناس، و لكنّه ينفر و يشمئز من أشباهها و مثيلاتها. بينما يستقبح آخرون تلك الأشياء نفسها و ينفرون منها كليّاً.

و فى مثل هذا الوضع هل من المنطقى أن يُقال: ينبغى الإيمان ببعض الاشياء والتعلّق بها، و كره أشياء أُخرى والكفر بها؟

و أمّـا الملاحظه الأُخرى فهى: ما الـداعى للإيمان بأُمور معيّنه على وجه الخصوص بحيث يؤدى إنكارها و عـدم الاعتقاد بها إلى استحقاق العذاب؟

أمّا بالنسـبه إلى الملاحظه الأُولى فهى رغم أنّ الحب والبغض - و هما من خصائص النفس - أُمور لا إراديه، بَيْـد أنّ مقـدّماتهما بيـد الإنسـان نفسه. فعلى الرغم ممـا يبـدو ظاهريـاً من أنّ الكثير من نوازع الحب والكره تأتى من غير مقـدّمات، لكن الواقع ليس كذلك.

و لاشكّ فى أنّ كل محبّه أو كراهيه تُعزىء الى علل و مقدّمات كثيراً ما تكون اختياريه.

يمكن تحويل المحبّه إلى عـداء، أو تقليص المحبّه و تضـخيم العـداء. فالإيمان خاضع لمقـدّمات و شـروط؛ فإن توفّرت مقدّماته العقليه والحسيّه تنغرس عند ذاك بذور الإيمان، و هكذا الحال بالنسبه إلى الكفر أيضاً.

و بعبـاره أُخرى: إنّ وجود النـاس و ميولهم الـذاتيه تمتزج عاده بالعقيـده والإيمان. و هم إن لم ينشَـدُّوا إلى حقيقه عالم الوجود، فقد يصـنعون لأنفسـهم ركيزه من حجر و خشب يصـنعون منها أوثاناً يتعلّقون بها. إذاً فالأولى، بل إنّ الضـروره تفرض أن يكون التعلّق والانشداد إلى

حقیقه الوجود، و أن لاتحل محلّه أشیاء أخری تافهه. و هذا هو سر دعوه الأنبیاء إلی أصول الإیمان، وجعل الأصول الجزئیه من تکالیف الناس الذین إذا أنکروها شملهم العذاب الإلهی. و هذا ما حصل بالفعل حیث وقع العذاب علی أقوام أنکروها بعناد.

فهی من باب الظروف والخلفیات المتوفّره لدی الأفراد. إذاً فالدعوه إلی الإیمان أمر عقلانی، و کذا الدعوه إلی تمهید مقدّماته، إذ إنها مقدّمات اختیاریه.

و أما ما یخص الملاحظه الثانیه: فمن الضروری الإیمان ببعض الأُمور سویه، و لایمکن الفصل بینها والإیمان بقسم منها و رفض القسم الآخر انطلاقاً من التکوین والتوجُّهات الخاصه بکل إنسان. فشخصیه الإنسان تتبلور من خلال میوله و تعلّقاته و أفکاره. و کلّما کانت هذه الأُمور أقرب إلی حقائق الوجود تتبلور شخصیته علی نحو أفضل و أقوم، و کلّما کانت وهمیه و بعیده عن الواقع یبتعد الإنسان عن هویّته أکثر فأکثر. و من البدیهی أنّ أهم واقع فی نظام الوجود هو مبدؤه المدبّر له الذی إلیه المعاد.

إنّ مرکز ثقل الوجود هو اللّه عزّوجلّ. والوجود کُلّه منه و إلیه. و فی ضوء ذلک فإنّ أی مرکز آخر ینشدّ إلیه الإنسان و یتعلّق به لیس إلّاوهماً، و لایزیده إلّابُعداً عن حقیقه الوجود و عن هویته الذاتیه. فالإنسان لایهدیه إلی الطریق القویم فی معترک الحیاه، و لایرشده إلی مبدأ الوجود إلّاهذه الهویه التی لایصل بدونها إلی أیه غایه.

فوائد الإیمان

۱ - الإیمان - کما ذکرنا من قبل - ناجم عن حاجه أساسیه لدی الإنسان. و هذا یعنی أولاً و بالذات، أنّ الإنسان یسعی تلبیه لهذه الحاجه. و فی الوقت ذاته یمثل الإیمان ملاذاً حصیناً له، والتمسّک به یجعل منه کالجبل الراسخ الصامد فی وجه الأمواج العاتیه. أمّا الأحزان والأفراح فلیست لدی المؤمن إلّاأُموراً عابره کالزبد الطافی فوق سطح الماء.

۲ - الإیمان حصن حصین یقی المؤمن من الأعاصیر الجارفه، و یبلغ به إلی ساحل الأمان، و یصونه من الخواء والعبثیه. والتیارات الجارفه لاتثیر الأمواج فی محیط الإیمان الهادیء. والإیمان إن کان حقیقیاً فهو کفیل بصیانه الإنسان من دواعی القلق. والمؤمن یری

للوجود هـدفاً و غايه، و يرى لـذاته دوراً سامياً فى هـذا الوجود. والمؤمن راضٍ بقضاء اللّه و قدره، و يعيش حياه تغمرها السـكينه والطمـأنينه. و هو يعيش دومـاً فى ذكر اللّه، و يرى اللّه عزّوجـلّ هو الـذى يـدبّر شؤون الوجود مراعيـاً جميع المصالـح (إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ وَ يَقْدِرُ إِنَّهُ كانَ بِعِبادِهِ خَبِيراً بَصِيراً) .(۱)

و قلب المؤمن زاخر بمحبه اللّه و بالإيمان بمن يُظلُّ عالم الوجود بظلال رحمته.

والإيمان يرسم أمام ناظرى المؤمن مستقبلاً مشرقاً و زاهراً، و يبعث فى قلبه الأمل، و لايدع اليأس يتسرّب إلى نفسه.

۳ – الإيمان يخلق فى ذات المؤمن حاله تجعله يرى أنّ كل شـىء للّه، و انطلاقاً من ذلك يكون على استعداد لبذل كل كيانه فى سبيله (وَ مِنَ النّاسِ مَنْ يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللّهِ) .(۲)

والآخرون ينتفعون عاده من تضـحيه المؤمن كأنصار رسول اللّه صـلى الله عليه و آله و سـلم الـذين وصـفهم القرآن.(۳) والإيمان يربّى المؤمن على نحو يجعله فى أقسـى الظروف سبّاقاً إلى التضـحيه و متهافتاً على البذل والعطاء، و يغلب المؤمن الواحد عشـره من الكفار.(۴)

۴ – للمؤمن بصيره نافذه يستشرف بها الحوادث و يتخذ ما يناسبها من المواقف:

«المؤمن ينظر بنور اللّه».(۵) و (اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ) .(۶)

۵ – الإيمـان يجعل المؤمن قنوعاً بما عنـده، و لايبيـح له إطلاقاً التطاول على حرمه الغير لنيل المزيـد من المكاسب، بل يحثّه على الجود بمـا يملـك على غيره، و أن يكرّس جهـده فى سبيـل الارتقاء بمسـتوى الآخرين و تحسـين أوضاعهم. و أن يضـمر المحبّه لعباد اللّه و يحفظ حرماتهم. و أن يكون من ذوى العفو والرحمه. و من الطبيعى أنّ مثل هذه النوازع

۱– سوره الاسراء (۱۷)، الآيه ۳۰.

۲– سوره البقره (۲)، الآيه ۲۰۷.

۳– – سوره الحشر (۵۹)، الآيه ۹.

۴– سوره الأنفال (۸)، الآيه ۶۵.

۵– – الصدوق، عيون أخبار الرضا، ج ۲، ص ۶۱، الحديث ۲۵۰.

۶– سوره البقره (۲)، الآيه ۲۵۷.

والتوجّهات تبعث على بناء مجتمع يرضاه اللّه، و أن يأتى ذلك كلّه طواعيه و بعيداً عن دواعى القهر والإكراه.

۶ - المؤمنون موضع رعـايه اللّه ولطفه: (إِنّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنا وَ الَّذِينَ آمَنُوا فِى الْحَياهِ الـدُّنْيا) (۱) و ينزل البـارى تعالى عليهم بركاته بسبب إيمانهم: (وَ لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرى آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَفَتَحْنا عَلَيْهِمْ بَرَكاتٍ مِنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ) .(۲)

۷ - الإيمـان يـدعو المؤمن إلى فعـل الخير، و يجعـل عليه رقيبـاً دائماً من نفسه. و ينهاه عن افتعال الشـر و إثاره الفتنه. و يفهم فى ضوء مـا سـبق ذكره أنّ جمـاعه المؤمنين يغمرهـا حُبّ اللّه و احترام خلق اللّه. و أفراد هـذه الجمـاعه يعيشون حياه زاخره بالبهجه والسرور، و يحلّون ما يعرض لهم من مشكلات بروح أخويه و بالتعاضد والتكافل.

العلم والإيمان

لابـد فى البـدايه من التنبيه إلى أنّ المراد من العلم هنـا هو المعنى الأعم للكلمه، أى مجمـل الوعى والمعرفه، و ليس العلم بمعناه الاصطلاحى الذى يشير إلى العلم التجريبى.

هناك بين العلم والإيمان تفاوت، و إن كان الإيمان ينطوى بحـدّ ذاته على نوع من المعرفه والوعى، بيد أنّ الإيمان ليس علماً، و لا العلم إيماناً. بل و ليس ثمّه بين هذين الاثنين من تلازم قطعى. فهناك أشـياء كثيره نعرفها لكنّنا لانؤمن بها. و فى الوقت نفسـه هناك أُمور نؤمن بها و لكنّنا لاندرك كُنهها و حقيقتها، مثل عالم الغيب، والملائكه، و غير ذلك.

و قـد ورد فى القرآن الكريم أنّ أهل الكتاب كانوا يعرفون رسول اللّه صـلى الله عليه و آله و سـلم كما يعرفون أبناءهم، و لكنّهم لم يؤمنوا به.(۳) و فى المقابل جاء فى وصـفه للمتقين أنهم يؤمنون بالغيب.(۴) و على هذا الأساس يتبين أنّ معرفه الشىء لاتعنى بالضـروره الإيمان به، أو أن يسـتتبع العلم به إيماناً به. فهناك من الناس من يدرك حقيقه شـىء و كنهه و لكنّه لايؤمن به لدواعٍ مختلفه، من قبيل ما يحمله من خلفيات ذهنيه، أو لخصال فيه تحجبه عن ذلك.

۱- - سوره غافر (۴۰)، الآيه ۵۱.

۲- سوره الأعراف (۷)، الآيه ۹۶.

۳- - سوره الأنعام (۶)، الآيه ۲۰.

۴- - سوره البقره (۲)، الآيتان ۲-۳.

و قـد رد فی القرآن الکریم وصف لبعض أهل الکتاب حیث أنهم بَعدما تکشّف لهم أنّ لاسـلام حقّ حاولوا ثنی المسـلمین عنه: (وَدَّ کَثِیرٌ مِنْ أَهْلِ الْکِتابِ لَوْ یَرُدُّونَکُمْ مِنْ بَعْدِ إِیمانِکُمْ کُفّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ ما تَبَیَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ) .(۱)

إنّ لکلٍّ مِن العلم والإیمان تأثیر حاسم فی الآخر، و یتباین مـدی هـذا التأثیر تبعاً لظروف کل واحد منهما. فتأثیر العلم فی الإیمان سواء فی انبثـاقه أو فی ترسـیخه، خـاضع للتوجهـات الفکریه والمیول القلبیه. فـإن کـان هناک مَن ینقّب و یتقصّی للحصول علی معلومـات حول شـیء مـا، فمن الطبیعی أنه یمیـل إلیه و یؤمن به، إن کـان یتساوق مع توجهاته الفکریه، و إلّا فلن تقوده معلوماته إلی الإیمان به. نـذکر علی سبیل المثال، إنّ مَن یضع علی بساط البحث کتاباً سـماویاً بقصد العثور علی مواطن الضـعف والنقص فیه، لایکون له أیّ تأثیر فیه. و أما مَن یعکف علی دراسـته عن شغف، و بهدف العثور علی حقیقهٍ، فسیزید ذلک من رغبته فیه و یدفعه إلی الإیمان به. إنّ لکلٍّ مِن العلم والإیمان آثاراً وتبعات. فالإیمان ذو توجّه معنوی و هادف، بینما العلم یمنح المرء وعیاً و معرفه، و یضع بین یـدیه أسـباب القوّه و یزیـد من قدراته، و لکن عدم التلازم بین هذین الأمرین، و عدم مواکبه أحدهما للآخر، کثیراً مـا یکون مـدعاه لمشاکـل لاتحمـد عقباهـا، فـالمؤمن إن لم یتسـلّح بالعلم یقع ضـحیّه للتخلّف، والعالِم المجرّد من الإیمان یصنع أدوات مدمّره تهدد حیاه بنی البشر بأنواع الکوارث والفجائع.

العقائد الباطله

اشاره

إنّ کـل عقیـده لایقرّهـا الوحی، و لا کتاب سـماوی، و لا تنسـجم مع العقل والفطره فهی باطله. والعقیـده الباطله بإیجاز هی ما لا تسلیم فیها للّه: (وَ مَنْ یَبْتَغِ غَیْرَ الْإِسْلامِ دِیناً فَلَنْ یُقْبَلَ مِنْهُ) .(۲)

والعقیده الباطله لیست کلها باطله علی الدوام، و إنّما قد تکون مزیجاً من حق و باطل.

و یصح العمل بها عندما تکون حقّاً، و لکنّها تفقد کفاءتها بمرور الزمن، علی اعتبار أنها قد

۱- سوره البقره (۲)، الآیه ۱۰۹.

۲- سوره آل عمران (۳)، الآیه ۸۵.

شُرّعت لمرحله زمنیه معیّنه، و قد انقضی زمانها و بُعث دین جدید من اللّه عزّوجلّ یَنقضُها.

و هذا ما یستدعی طبعاً العدول عنها و اعتناق عقیده الدّین الجدید.

و بما أنّ اجتناب العقیده الباطله یتسنّی عن طریق التعرّف علی المعتقدات الباطله، و نظراً إلی أنّ معرفه الحق بشکل أفضل رهینه بمعرفه الباطل، استناداً إلی قولهم - تُعرف الأشیاء بأضدادها - نشیر هنا فی حدود ما یسمح به هذا الموجز إلی موردین:

الشرک

الشرک لغه: بمعنی وجود شیء مشترک لاثنین فصاعداً، و یعنی اصطلاحاً: الاعتقاد بوجود شریک للّه.(۱) والمشرک: مَن حاد عن التوحید، و کما هو واضح من أصل الکلمه، فإنّه یقر بوجود اللّه و لکنه یعتقد بشریک له، أو یؤمن بأنّ لبعض الموجودات أثراً أو تأثیراً مستقلاً عن إراده اللّه.

الشرک، من الاعتقادات التی حاربها الإسلام بکل صورها و أسالیبها. و قد وصف القرآن الکریم الشرک بالظلم العظیم،(۲) والافتراء علی اللّه،(۳) و ممّا یبغضه اللّه،(۴) والذنب الذی لایغتفر.(۵) والشرک أمر وهمی مبعثه الظن(۶) والجهل. و قد وصف اللّه نفسه بأنه أجلّ من أن یُشرک به: (فَتَعالَی اللّهُ عَمّا یُشْرِکُونَ) (۷) و نعت المشرکین بالنجس بسبب افترائهم علی اللّه.(۸)

اتّخَذَ الشرک صوراً شتّی علی مرّ العصور منها:

۱ - الشرک الصریح کعباده الأصنام.

۲ - شرک الریاء، و هو ما یتحدّث عنه علم الأخلاق.

۳ - الغلو و عباده الشخصیه.

۱- - الراغب الاصفهانی مفردات ألفاظ القرآن، ص ۴۵۱-۴۵۲.

۲- - سوره لقمان (۳۱)، الآیه ۱۳.

۳- سوره النساء (۴)، الآیتان ۴۸، ۵۰.

۴- سوره الأعراف (۷)، الآیات ۷۰، ۷۱، ۱۵۲.

۵- - سوره النساء (۴)، الآیه ۴۸.

۶- سوره یونس (۱۰)، الآیه ۶۶.

۷- - سوره الأعراف (۷)، الآیه ۱۹۰.

۸- سوره التوبه (۹)، الآیه ۲۸.

۴ – الشرک الحدیث، کاتخاذ العلم والتقنیه ربّاً من دون اللّه، واستخفاف الإنسان بذاته أمام الأشیاء التی صنعها بنفسه.

و کل أنواع الشرک سواء منها البدائی أم الجدید تشترک فی عنصر واحد.

تطوّر الشرک من أنواع بدائیه بسیطه کاتخاذ الخشب والحجاره شرکاء للّه، إلی أن اتّخَذَ صوراً أُخری معقّده تبعاً لتطوّر التجربه البشریه. ففی العصور الغابره حین لم یکن الإنسان قد خبر التطوّر الصناعی الموجود فی عالم الیوم، کان لایعرف إلّاالطبیعه و عناصرها، فعبدها و عبدالشمس والقمر والکواکب الأُخری، و لکن هذه الأشیاء اضمحلت تدریجیاً و حلّت محلها أشیاء و مفاهیم أُخری. ففی الماضی کانوا یتوهّمون أنّ اللّه یمکن أن یُری، و هذا ما دفعهم إلی اختیار عناصر من الطبیعه أو مما یصنعونه بأیدیهم و اتخاذه مظهراً له؛ فیبنون لها المعابد و یقدّمون لها النذور والقرابین، و یشرّعون لها رسوماً و شعائر، و یتولّی الکهنه إدارتها.

و کانت مظاهر الطبیعه القاهره و ما یقع من أحداث مریره و حلوه، تدفع الإنسان إلی البحث عن مسبّباتها. فکان کل قوم یختارون شیئاً وفقاً لِما تذهب إلیه بهم الظنون، و یعزون إلیه کل الأسباب والمسبّبات بل حتی أنهم یعتبرونه إلهاً و یتوسلون إلیه خشیه منه، و یعبدونه تقرباً إلیه و حفاظاً علی أنفسهم منه.

کتب المؤرخ المعروف (المسعودی) عن الأقوام الذین عاشوا بَعد طوفان نوح ما یلی:

بَعدما و فی نوح علیه السلام لقومه بما وعدهم من العذاب الإلهی، کان الناس من بَعده لایجحدون الصانع، إلّاأنهم دخلت علیهم شبهه بَعد ذلک لترکهم البحث واستعمال النظر، و مالت نفوسهم إلی الدِّعه و ما تدعو، الیه الطبائع من الملاذ والتقلید، و کان فی نفوسهم هیبه الصانع، والتقرّب إلیه بالتماثیل و عبادتها، لظنّهم أنها مقرّبه لهم إلیه.(۱)

و کتب أیضاً حول أهالی الهند والصین ما یلی: کان کثیر من أهل الهند والصین یعتقدون بأنّ اللّه عزّوجلّ جسم، و أنّ الملائکه أجسام لها أقدار، و أنّ اللّه تعالی و ملائکته احتجبوا

۱- المسعودی، مروج الذهب، ج ۲، ص ۱۴۵.

بالسماء، فدعاهم ذلک إلی أن اتّخَذوا تماثیل و أصناماً علی صوره الباری عزّوجلّ، و بعضها علی صوره الملائکه، و یعبدونها و یقرّبون لها القرابین، و ینذرون لها النذور.(۱) و کتب فی ذلک أیضاً: إنّ البعض اعتبروا النجوم والکواکب أقرب الاجسام المرئیه إلی اللّه تعالی، و أنّ کل ما یحدث فی هذا العالم فإنّما هو علی قدر ما تجری به الکواکب عن أمر اللّه، فعظّموها و قرّبوا لها القرابین، وجعلوا لها أصناماً و تماثیل علی صورها و أشکالها. و فی بلاد فارس رأوا أنّ النار أشبه شیء بضوء الشمس والکواکب؛ فعظّموها علی اعتبار أنّ النور أفضل من الظلمه.(۲)

إنّ نزعه التقدیس لدی الإنسان کانت تدفعه أحیاناً إلی أن یبحث عن صنم و یعتبره مظهراً للّه، و یعکف علی عبادته. و ذهب آخرون إلی تقدیس کائنات ذات قدره خارقه.

بینما جعل آخرون من الملائکه شرکاء للّه. و هناک من الناس من یرفع بعض الأنبیاء إلی منزله اللّه و یثنون علیه إلی درجه العباده، والحال أنّ عملهم هذا قائم علی أوهام و ظنون.

و کمثال علی ذلک أنّ النبیّ عیسی علیه السلام حین ولد بمعجزه من غیر أب،(۳) وتکلم و هو فی المهد،(۴) و کانت له معجزات کبری کإحیاء الموتی و إبرار الأکمه والأبرص،(۵) عظمت هذه الأُمور فی أعین الناس إلی درجه أنهم جعلوه بمنزله اللّه. و قد ورد فی القرآن الکریم أنّ اللّه جلّ شأنه سأل عیسی عن ذلک: (وَ إِذْ قالَ اللّهُ یا عِیسَی ابْنَ مَرْیَمَ أَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنّاسِ اتَّخِذُونِی وَ أُمِّی إِلهَیْنِ مِنْ دُونِ اللّهِ) .(۶)

إنّ ذکر هذه القضیه فی القرآن الکریم ینمّ عن أنه لاینبغی وضع أیّ موجود فی منزله تفوق منزلته، أو جعله بمنزله اللّه، أو اعتباره مؤثّراً بذاته فی عالم الوجود، مهما کانت له من منزله مقرّبه عند اللّه.

و من البدیهی أنّ هذا العمل شرک، والشرک باطل. و لذلک قال عیسی المسیح علیه السلام فی جواب اللّه: (قالَ سُبْحانَکَ ما یَکُونُ لِی أَنْ أَقُولَ ما لَیْسَ لِی بِحَقٍّ إِنْ کُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ

۱- – المصدر السابق، ص ۲۳۶.

۲- المصدر السابق، ص ۲۳۶-۲۳۷.

۳- – سوره آل عمران (۳)، الآیات ۴۵، ۴۷.

۴- – سوره مریم (۱۹)، الآیتان ۲۹ و ۳۰.

۵- سوره آل عمران (۳)، الآیه ۴۹.

۶- سوره المائده (۵)، الآیه ۱۱۶.

عَلِمْتَهُ) (۱) ثم واصل جوابه قائلاً: (ما قُلْتُ لَهُمْ إِلاّ ما أَمَرْتَنِی بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللّهَ رَبِّی وَ رَبَّکُمْ) .(۲)

هـذه التوجُّهات والنوازع البشـريه و أمثالها حدت بالأنبياء إلى أن يعلنوا للناس أنهم أُناس مثلهم، و لكن يوحى إليهم، و ليس لهم دور فى هذا العالم سوى النبوّه.(۳)

حظيت الأصـنام التى كان الناس يصنعونها من الحجاره والخشب بمكانه رفيعه، حيث كانت تمثّل أحياناً مظهر رحمه اللّه، و كياناً أُسـطورياً يُعبد، فى حين أنها جمادات لاتضـر و لاتنفع: (وَ يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ ما لا يَضُرُّهُمْ وَ لا يَنْفَعُهُمْ) ، (۴) و لم يكن ذلك انطلاقاً من أحقيّتها، و إنّما بسبب ما كانت تمثّله من تقليـد متوارث عن الآباء: (ما يَعْبُدُونَ إِلاّ كَما يَعْبُدُ آباؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ) ، (۵) و كانوا يخوضون صراعاً مع الأنبياء حول تلك الأوثان و يصرّون على معتقداتهم.(۶) و كان هناك من عبده الأوثان من يتخذ منها وسيله للتقرّب إلى اللّه: (ما نَعْبُدُهُمْ إِلاّ لِيُقَرِّبُونا إِلَى اللّهِ زُلْفى) (۷) و يصفونها بالشفعاء عند اللّه:

(هؤُلاءِ شُفَعاؤُنا عِنْدَ اللّهِ) .(۸)

إنّ الاعتقـاد بتـأثير موجودات غير اللّه فى هـذا العـالم، إنّمـا هو من عمـل المشـركين و يجب إنكاره. و من الواضـح - طبعاً - أنّ الشفاعه إذا كانت بإذن اللّه مع الاعتقاد بوجود علل فى طول إراده اللّه لايعتبر شركاً، بل هو عين التوحيد. أمّا الشرك المنهى عنه فهو عباده غير اللّه أو تقديسه إلى درجه تشعر بعباده غير اللّه فيه.

إذاً هذا هو الشـرك الصـريح الذى كان حسب الطباع البسـيطه للإنسان القديم، غير أنّ الشرك اتّخَذَ على مرّ الزمن مظاهر أُخرى أعقد، و بالنتيجه صار التخلّص منه أعقد ممّا كان فى الماضـى. اليوم فقدت الأصـنام المنحوته من الحجر والخشب قيمتها و حلّت محلّها النوادى، والأحزاب، والمنتجات الصناعيه، والدول، و ما شابه ذلك، و قلّما يمارس إنسان

۱- - سوره المائده (۵)، الآيه ۱۱۶.

۲- سوره المائده (۵)، الآيه ۱۱۷.

۳- سوره فصلت (۴۱)، الآيه ۶.

۴- - سوره يونس (۱۰)، الآيه ۱۸.

۵- - سوره هود (۱۱)، الآيه ۱۰۹.

۶- - سوره هود (۱۱)، الآيه ۵۳.

۷- - سوره الزمر (۳۹)، الآيه ۳.

۸- سوره يونس (۱۰)، الآيه ۱۸.

اليوم توحيد اللّه عملياً، و إنّما يتوجّه بذلك نحو أرباب آخرين اتّخّذَهم من دون اللّه، و يرتجى منهم نظم شؤون هذا العالم.

و من أخطر أنواع الشرك هو الشرك الخفى، أو ما يُعرف بالرياء، و هو ما وصفه أميرالمؤمنين عليه السلام بقوله: «واعْلَمُوا أَنَّ يَسِيرَ الرِّيَاءِ شِرْك»(۱) و هو أن يتظاهر الشخص أمام الآخرين بالورع والتقوى، و يستغل الأعمال العباديه لتحقيق مآرب أُخرى. و من المؤسف أنّ ظاهره الرياء تزدهر حيثما يكون هناك بناء اجتماعى مغلوط. و من الطبيعى أنّ المرائى لايحصل على سوى التعب والمشقّه.

و هناك صوره أُخرى من الشرك قلّما يُنظر إليها بعين الاهتمام، و إنّما تحوّلت إلى ظاهره مألوفه، و هى طاعه أدعياء الزعامه الدينيه الذين يُحرّمون حلال اللّه ويُحلّلون حرام اللّه فى سبيل مصالحهم الذاتيه. يقول أبو بصير: سألت الإمام الصادق عليه السلام عن قول اللّه عزّوجلّ:

(اتَّخَذُوا أَحْبارَهُمْ وَ رُهْبانَهُمْ أَرْباباً مِنْ دُونِ اللّهِ) (۲) فقال: أما واللّه ما دعوهم إلى عباده أنفسهم. ولو دعوهم إلى عباده أنفسهم لما أجابوهم، و لكن أحَلّوا لهم حراماً و حرّموا عليهم حلالاً؛ فعبدوهم من حيث لايشعرون.(۳) و جاء فى حديث آخر: واللّه ما صلّوا لهم و لاصاموا، و لكنّهم أحَلّوا لهم حراماً و حرّموا عليهم حلالاً فاتبعوهم.(۴) و جاء فى حديث آخر أيضاً: إنهم أطاعوهم فى معصيه اللّه فكانوا أربابهم من دون اللّه.(۵)

و لعل هذا السبب هو الذى حدا ببنى أُميّه إلى منع الناس من تعلّم الشرك، لكى يتسنّى لهم فرض الشرك عليهم بسهوله. فقد روى عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال فى وصف سياسه بنى أُميّه إزاء علماء الدّين ما يلى: إنّ بنى أُميّه أطلقوا للناس تعليم الإيمان، و لم يطلقوا لهم تعليم الشرك، لكى إذا حملوهم عليه لم يعرفوه.(۶)

۱- – الشريف الرضى، نهج البلاغه، الخطبه ۸۶، ص ۱۱۷.

۲- – سوره التوبه (۹)، الآيه ۳۱.

۳- – الكُلينى، الكافى، ج ۲، ص ۳۹۸، الحديث ۷.

۴- – البرقى، المحاسن، ص ۲۴۶، الحديث ۲۴۵.

۵- الحُويزى، نور الثقلين، ج ۲، ص ۲۰۹، الحديث ۱۱۴.

۶- الكُلينى، الكافى، ج ۲، ص ۴۱۵-۴۱۶، الحديث ۱.

والشرک قد یکون فی ذات اللّه؛ أی ان یتخذ من موجود شریکاً للّه، و قد یکون فی صفاته؛ أی أن یری للّه صفات هی لیست من ذاته و إنّما زائده علیها. و قد یکون الشرک فی الأفعال؛ أی جعل شرک للّه فی أفعاله؛ أو قد یکون شرکاً فی العباده؛ أی عباده غیر اللّه إلی جانب عباده اللّه.

الکفر

الکفر فی اللغه: بمعنی ستر الشیء، و وُصِف اللیلُ بالکافر لستره الأشخاص، والزارع لستره البذر فی الأرض.(۱) والکفر فی الواقع احتجاب عن الحق، وستر الحق. و فی ضوء هذا المعنی سمّی جحود النعمه کفراناً.

الکفر اصطلاحاً: یعنی إنکار العقیده الحقّه و عدم الإیمان بها مع العلم بحقّانیّتها. و یعنی إنکار ما یجب الإیمان به أو إنکار شیء ضروری من ضروریات الدّین، سواء أنکرها ابتداءً أم بَعد الإیمان بها، و هو ما یسمی بالرده أو الارتداد.

بما أنّ الدّین والتدیّن یتحقق من خلال الاعتقاد بمجموعه من الأُصول، لهذا فالکفر هو إنکارها عناداً؛ أی أن یکون عن وعی و إراده.

و باستثناء إنکار الأُصول الثلاثه و هی: التوحید، والنبوّه، والمعاد، ینطبق معنی الکفر أیضاً علی إنکار أمر ضروری من الدّین عن وعی و عناد، والاعتقاد بما یجب تنزیه اللّه عنه، کالقول: إن له شریکاً،(۲) والقول، إنّ له ولداً، و تجریده من إحدی صفاته، و خاصه صفه الربوبیه والهیمنه علی الکَوْن.(۳)

بما أنّ الکفر إنکار للعقیده الحقّه عن قصد و إراده، فهو ینم عن ظاهره مرضیه، و یعنی أنّ الکافر إنسان مریض و متعصب ومُنکِر للحق. و هذا یدل علی أنّ عقل الکافر لایسمح له بالتفکرُّ فی حقائق الوجود و إدراک کُنهها: (کَذلِکَ یَطْبَعُ اللّهُ عَلی قُلُوبِ الْکافِرِینَ) .(۴)

و

۱- – الراغب الاصفهانی مفردات ألفاظ القرآن، ص ۷۱۴.

۲- – سوره المائده (۵)، الآیه ۷۳.

۳- سوره الرعد (۱۳)، الآیه ۵.

۴- – سوره الأعراف (۷)، الآیه ۱۰۱.

نظراً إلى أنّ الكافر مُنكِر للحقيقه فقد وصفه اللّه بعمى القلب و عدم التعقّل: (صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ) . (۱) و إذا وصل الكافر إلى هذه المرحله فلا جدوى من السعى لهدايته؛(۲) لأنه كالحيوان الذى لايتناهى إلى سمعه من الكلام إلّاالأصوات، و لايعى من دعوه الحق إلّاهمهمه، و لذلك يتولّد فى نفسه تدريجياً نفور من الحق،(۳) و لايبقى ثمّه طريق لهدايته.(۴)

إنّ ما سبق من الكلام ينطبق على من يختار الكفر عن وعى و إراده و عناد، و أمّا الكفر الذى يأتى بسبب الجهل أو البيئه التربويه من غير إصرار و لا عناد فهو قابل للإصلاح.

و أبرز شاهد على ذلك، المُنكِرون الذين استجابوا لدعوه الأنبياء فى ما بعد، و صاروا من أنصارهم والمؤمنين بهم.

من الطبيعى أنّ من يستر الحق عن قصد و إراده، يفقد القدره على إدراك الحقائق، و لاتكون لعمله أيّه قيمه معنويه؛ لأَنَّ قيمه العمل تأتى من خلال النيّه، والكافر يفتقر إلى النيّه الخيّره. و لهذا فقد شبّه اللّه عزّوجلّ فى كتابه الكريم ما يفعله الكافر من عمل صالح - فى الظاهر - بالسراب،(۵) و شبهه فى آيه أُخرى برمادٍ تذروه الرياح.(۶)

و على الرغم من أنّ الكافر فى ضلال، غير أنّه يتمتع بنعم إلهيه وفيره. و هذه النعم تأتى طبعاً فى سياق سُنّه من السنن الإلهيه، و هى أنّ اللّه تعالى يمنح الرزق لجميع العباد، غير أنّ ذلك لايعنى طبعاً أنّ اللّه يتركهم على حالهم أو أنهم فى أمان من غضب اللّه،(۷) و إنّما يمهلهم إلى أجل و لكن ليس فيه خير له،(۸) ثم يواجهون غضب اللّه و يقعون فى أشد العذاب.

۱- - سوره البقره (۲)، الآيه ۱۷۱.

۲- - سوره البقره (۲)، الآيه ۶.

۳- - سوره فاطر (۳۵)، الآيه ۴۲.

۴- سوره البقره (۲)، الآيه ۲۶۴.

۵- سوره النور (۲۴)، الآيه ۳۹.

۶- سوره ابراهيم (۱۴)، الآيه ۱۸.

۷- - سوره البقره (۲)، الآيه ۱۲۶.

۸- سوره آل عمران (۳)، الآيه ۱۷۸.

اللّه

اشاره

اللّه اسم تكتنفه الأسرار، و لكن فى الوقت ذاته رؤوف رحيم. و أكثر بنى آدم يدركونه و يمدون أيديهم إليه بالدعاء والتضرّع. و كل واحد منهم يعرفه فى حدود معلوماته و يتصوّره ضمن دائره وعيه. وله أسماء مختلفه لدى كل شعب و قوم. و لايوجد فى هذا العالم إلّاقليل من الناس لايعرفون اللّه.

الإيمان بوحدانيّه اللّه قوام كل الأديان السماويه. و كل معتقداتها مستمدّه من اللّه و منبثقه عنه. و يعود الإيمان باللّه فى قِدَمِهِ إلى قِدَمِ وجود الإنسان. و قد كان أكثر الناس فوق الكره الأرضيه منذ بدايه ظهور الخليقه إلى يومنا، يؤمنون باللّه و يعبدونه بشكل أو بآخر تبعاً للمجتمعات التى عاشوا فيها، و طبيعه نظرتها إلى مُبدىء الوجود وصفاته. لقد كانت غرائز العبوديه للّه و مناجاته من أقدم و أدوم انطباعات الروح لدى الإنسان، و هى التى تدفعه نحو اللّه.

يتضح من خلال دراسه آثار الحياه البشريه أنّ الإنسان حيثما وجد كانت هناك عباده لموجود يفوق الموجودات الأُخرى. و هذا يعنى أنّ الأنبياء لم ينزلوا العباده للناس وانّما علّموهم العباده الصحيحه، و كيف ينبغى أن يُعبد اللّه، هذا إضافه إلى إزاله الشرك من أذهان الناس لكى لايُعبد إلى جانب اللّه موجود آخر.

والبرهان الساطع على هذه الحقيقه، هو القرآن الكريم الذى تحدّث عن عباده اللّه، و نفى الشرك عنه بكل صوره وصيغه، أكثر ممّا تحدّث عن معرفه اللّه على أساس إثباته. و هذا الأُسلوب بحد ذاته يدلّ على أنّ وجود اللّه لايحتاج إلى إثبات، و أنّ الإنسان يعرف اللّه بالفطره. ففطره الإنسان تدلّه على وجود اللّه، إضافه إلى ما تمثّله من مصدر لمعرفه اللّه.

فالإنسان كان منذ البدايه موحّداً و يعبد إلهاً واحداً. و أمّا ما ذكره التاريخ من اتخاذ الإنسان

للأصنام والقمر والكواكب آلهه، و أشار إليه القرآن الكريم، فهو من الانحرافات التى وقعت فى ما بَعد.

طرق معرفه اللّه

اشاره

وجود اللّه بـديهى إلى درجه أنّه لايحتـاج إلى إثبـات. و قـد عَمَّ كـل الوجود بلطفه. و كـل الوجود منبثق بفضل جوده و كرمه. و حيثمـا ينظر المرء يرى معـالم وجوده بكـل جلاء. و هو باسـط ظله على الوجود كله، بل لايمكن تصور الوجود بـدونه. و تـدبيره مشهود فى كل شىء بجلاء. فهل ثمه حاجه إلى دليل لإثبات وجود النهار؟ فوجود اللّه أسطع من ضوء النهار.

كل إنسان و حتى الطفل يرى أنّ لكل حادث علّه. و على هـذا الأساس تراه يبحث عن أسـباب و علل الأحـداث والوقائع. والذين يعلمون بـأن لكـل ظـاهره علّه يحرصون عـاده على البحث عنهـا. ولو كان الافتراض المسـبق لـديهم أنّ كل شـىء يقع عن طريق الصدفه لَما توجهوا نحو الاكتشافات، و لكان عملهم فى هذا المضمار عبثاً.

لاشكّ فى أنّ مظاهر الخلق كلّما كانت أكثر تعقيـداً و عظمه، دلّت على مـدى عظمه و قـدره صانعها. و لهذا السـبب فنحن نطلق تسـميه الحكيم على خالق هـذا الكَوْن الـذى نعيش فيه و لانعرف إلّاشـيئاً يسـيراً عنه. فهذا الوجود على درجه من العظمه والتعقيد والنظم بحيث لايمكن أن يكون بلا خالق، أو يكون خالقه فاقـداً للقدره والحكمه. فإنّ ما كشـفه علماء الأحياء والفلك و غيرهم حتى الآن لايكاد يمثّل إلّاشيئاً يسيراً من هذا الوجود، و لم يعرفوا من أسراره إلّاالقليل.

إنّ كتاب الطبيعه حافل بالأسـرار، و لكن من المتعذّر على الإنسان كشـفها و دراستها كلّها، غير أنّ الاطلاع عليها يفتح أمامه آفاقاً جديده، و يدعوه إلى التأمل فى ما تزخر به من تنوّع و دقّه و إتقان. فكيف يمكن القول: إنّ هذا حصل صدفه و من غير تدبير؟ و لهذا كان الرسل يسألون أقوامهم: (قالَتْ رُسُلُهُمْ أَ فِى اللّهِ شَكٌّ فاطِرِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ) . (۱) فهذه لغه

۱- – سوره ابراهيم (۱۴)، الآيه ۱۰.

معبّره عن إدراک وجود اللّه، و هی لغه یفهمها کل بنی الإنسان. و لهذا السبب استعملها الأنبیاء.

فکل ما فی هذا الکَوْن یُعتبر بمثابه دلائل علی وجود خالق مدبّر: (إِنَّ فِی خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلافِ اللَّیْلِ وَ النَّهارِ لَآیاتٍ لِأُولِی الْأَلْبابِ) .(۱)

إنّ ما جاء فی القرآن من عبارات دالّه علی أنّ مثل هذه الآیات لایعقلها إلّاذووالألباب، انّما یُراد به التنبیه إلی أنّ الآیات معروضه أمام جمیع الناس، و لکن لایوفّق الجمیع إلی الاستفاده منها، و إنّما یوفق البعض إلی الاهتداء بها، و لایهتدی بها غیرهم.

منهج الإمام الصادق علیه السلام فی إثبات وجود اللّه

قال هشام بن الحکم: کان زندیق بمصر یبلغه عن أبی عبداللّه علیه السلام، فخرج إلی المدینه لیناظره فلم یصادفه بها، فقیل له: هو بمکّه فخرج الزندیق إلی مکّه و نحن مع أبی عبداللّه علیه السلام، فقاربنا الزندیق - و نحن مع أبی عبداللّه علیه السلام - فی الطواف فضرب کتفه کتف أبی عبداللّه علیه السلام، فقال له جعفر علیه السلام: ما اسمک؟ قال: إسمی عبدالملک، قال: فما کنیتک؟ قال:

أبو عبداللّه، قال: فمن الملک الذی أنت له عبد، أمن ملوک السماء أم من ملوک الأرض؟ و أخبرنی عن ابنک، أعبد إله السماء أم عبد إله الأرض؟ فسکت، فقال أبو عبداللّه علیه السلام: قل ما شئت تخصم. قال هشام بن الحکم، قلت للزندیق: أما ترد علیه؟ فقبّح قولی، فقال له أبوعبداللّه علیه السلام: إذا فرغت من الطواف فأتنا، فلمّا فرغ أبو عبداللّه علیه السلام أتاه الزندیق فقعد بین یدیه و نحن مجتمعون عنده، فقال للزندیق: أتعلم أنَّ للأرض تحتاً و فوقاً؟ قال: نعم، قال:

فدخلت تحتها؟ قال: لا، قال: فما یدریک بما تحتها؟ قال: لا أدری إلّاأنّی أظنُّ أن لیس تحتها شیءٌ، قال أبو عبداللّه علیه السلام: فالظنُّ عجز ما لم تستیقن.

قال أبوعبداللّه علیه السلام: فصعدت إلی السماء؟ قال: لا، قال: فتدری ما فیها؟ قال: لا، قال فأتیت المشرق والمغرب فنظرت ما خلفهما؟ قال: لا، قال: فعجباً لک لم تبلغ المشرق،

۱- سوره آل عمران (۳)، الآیه ۱۹۰.

و لم تبلغ المغرب، و لم تنزل تحت الأرض، و لم تصعد إلى السماء، و لم تجز هنالك فتعرف ما خلقهن؟ و أنت جاحد ما فيهنَّ؟ و هل يجحد العاقل ما لايعرف؟ فقال الزنديق: ما كلّمنى بهذا أحد غيرك، قال أبو عبداللّه عليه السلام: فأنت فى شكّ من ذلك فلعلَّ هو، أو لعلَّ ليس هو، قال الزنديق: و لعلَّ ذاك: فقال أبو عبداللّه عليه السلام: أيّها الرجل ليس لمن لايعلم حجّه على من يعلم، فلا حجّه للجاهل، يا أخا أهل مصر تفهَّم عنّى فإنّا لانشكُّ فى اللّه أبداً، أما ترى الشمس والقمر والليل والنهار يلجان و لايشتبهان، يذهبان و لايرجعان قد اضطرا، ليس لهما مكان إلّا مكانهما؟ فإن كانا يقدران على أن يذهبا و لايرجعان فَلِمَ يرجعان؟ و إن لم يكونا مضطرّين فَلِمَ لايصير اللّيل نهاراً والنهار ليلاً؟ اضطُرّا واللّه يا أخا أهل مصر إلى دوامهما، والذى اضطرَّهما أحكم منهما و أكبر منهما، قال الزنديق: صدقت.

ثمَّ قال أبو عبداللّه عليه السلام: يا أخا أهل مصر الذى تذهبون إليه وتظنّونه بالوهم، فإن كان الدهر يذهب بهم لِمَ لايردُّهم؟ و إن كان يردُّهم لِمَ لايذهب بهم؟ القوم مضطرّون يا أخا أهل مصر، السماء مرفوعه، والأرض موضوعه، لم لاتسقط السماء على الأرض؟ و لم لاتنحدر الأرض فوق طاقتها فلا يتماسكان و لايتماسك من عليهما؟ فقال الزنديق: أمسكهما واللّه ربّهما وسيّدهما، فآمن الزنديق على يدى أبى عبداللّه عليه السلام. فقال له حمران بن أعين: جعلت فداك إن آمنت الزنادقه على يديك فقد آمنت الكفّار على يدى أبيك. فقال المؤمن الذى آمن على يدى أبى عبداللّه عليه السلام: اجعلنى من تلامذتك. فقال أبو عبداللّه عليه السلام لهشام بن الحكم:

خذه إليك فعلّمه. فعلّمه هشام فكان معلّم أهل مصر و أهل الشام، و حسنت طهارته حتّى رضى بها أبو عبداللّه عليه السلام.(۱)

الإنسان، آيه اللّه

لو نظر الإنسان إلى الطعام الذى يتناوله يومياً لأدرك بأنه و ما فيه من فائده و تنوّع مخلوق خالق حكيم. فالطعام خلق بشكل يلبّى متطلّبات كل أعضاء البدن من العظم

۱- الصدوق، التوحيد، ص ۲۹۳-۲۹۵، الحديث ۴.

واللحم والشعر والأورده والجلد والدهون و غير ذلك. و من غير الممكن أن يكون هذا قد خلق بغير تدبير. (فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسانُ إِلى طَعامِهِ * أَنّا صَبَبْنَا الْماءَ صَبًّا * ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا * فَأَنْبَتْنا فِيها حَبًّا * وَ عِنَباً وَ قَضْباً * وَ زَيْتُوناً وَ نَخْلاً * وَ حَدائِقَ غُلْباً * وَ فاكِهَةً وَ أَبًّا * مَتاعاً لَكُمْ وَ لِأَنْعامِكُمْ) .(۱)

و قد خُلق الناس بشكل يتكيّفون به مع البيئه المحيطه بهم. و قدره و طاقه بدن الإنسان و روحه متناسبتان مع الأوضاع المختلفه و يعتريهما ضعف و قوّه و يتغيّران بالإمكانيات المتاحه فى عالم الطبيعه، فيزول ما يلمّ بهما من ضعف. و جُعلت فى البدن أجهزه قادره على الكشف عن تلك المخاطر المحتمله. و هناك مؤشّرات تبيّن ما يلمّ بالبدن من اضطراب فى نظمه الكلّى. فالحراره والبروده والسُعال و ما شابه ذلك هى بمثابه تحذيرات تُطلق للإنسان لمعرفه الأخطار المحتمله والسعى إلى التخلّص منها. و كل هذا النظم ينم عن صانع حكيم.

الإنسان مظهر للعالم الذى يعيش فيه. و يمكن القول أنه هو العالم الأكبر. فكل ما فى هذا العالم قد أودع فيه بنحوٍ ما. و لهذا فإنَّ معرفه الإنسان تؤدّى إلى معرفه خالقه. (سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِى الْآفاقِ وَ فِى أَنْفُسِهِمْ حَتّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ) .

الإنسان يحتاج إلى النوم لمواصله الحياه، و عليه أن يرتاح. ثم أنه يستيقظ من بعد النوم، (وَ جَعَلْنا نَوْمَكُمْ سُباتاً) .(۲)

الإنسان يتكلم بقطعه لحم و حنجره من اللحم،(۳) و خلقت له من ذلك البدن نفسه أذن سامعه و عين باصره.(۴) و حسب تعبير أميرالمؤمنين عليه السلام: «اعْجَبُوا لِهَذَا الْإِنْسَانِ يَنْظُرُ بِشَحْمٍ وَ يَتَكَلَّمُ بِلَحْمٍ وَ يَسْمَعُ بِعَظْمٍ وَ يَتَنَفَّسُ مِنْ خَرْمٍ».(۵) و رغم ان الإنسان مخلوق من طين و تراب غير أنه خلق بجسم و صوره متناسقه،(۶) و جُعل الناس على صور و أشكال شتّى، و صارت لهم لغات مختلفه.(۷) و أودعت فى البدن قوى و طاقات مدهشه

۱- سوره عبس (۸۰)، الآيات ۲۴-۳۲.

۲- سوره النبأ (۷۸)، الآيه ۹.

۳- - سوره الرحمن (۵۵)، الآيتان ۳ و ۴؛ سوره البلد (۹۰)، الآيه ۹.

۴- - سوره الأنعام (۶)، الآيه ۴۶.

۵- - الشريف الرضى، نهج البلاغه، الحكمه ۸، ص ۴۷۰.

۶- - سوره الكهف (۱۸)، الآيه ۳۷.

۷- - سوره الروم (۳۰)، الآيه ۲۲.

مُحيّره للعقول. فهذا المخلوق العجيب يدل بحد ذاته و بلا أی دليل آخر، على وجود خالق مدبّر.

نفی الصدفه

ربّما يُحمل كل ما فی هذا الوجود من أُمور كثيره على أنها جاءت حصيله لصدفه، او أنها ظهرت فجأه و بدون تدبير سابق، و لكن لو كان الأمر كذلك كيف يمكن تجاهل الحقائق والنظم المشهود فی تدبيرها؟ و كيف حصل كل ذلك؟ و من أين نشأت هذه الأشياء؟ هل يمكن إنكار أو تجاهل كل ذلك؟ أم نعتبر ذلك كُلّه حصل مصادفه و فی توافق عجيب من غير أن يكون له صانع و مدبّر، و نؤمن بأنَّ كل شیء جاء من غير مادّه وصوره سابقه؟ و هل يُصدّق أنّ الوجود بكل عظمته قد حصل بلا صانع؟ و كل شیء فيه يسير فی اتجاه مرسوم له ولتحقيق هدف معيّن، من غير أن يكون هناك مهندس وضع له تصميمه وهندسته؟ و هل يصدق أحد أنّ طائره مثلاً تُصنع من غير هندسه وتصاميم وتطير فی الهواء وتقطع المسافات و تنقل الركّاب؟ و هل يصدّق أحد أنّ البواخر التی تمخر عباب البحار والمحيطات ظهرت من تلقاء ذاتها و أنها تسير من غير ربّان، و تعرف من تلقاء ذاتها الموانیء التی يجب أن ترسی فيها و تحمل البضائع والركّاب و تنقلهم حيث ما ينبغی نقلهم؟ و هل يتقبّل العقل أنّ موجودات عجيبه و معقّده كالإنسان ظهرت إلى الوجود ذاتياً و لم يكن لها خالق و مدبّر؟ كيف يمكن القبول بأنّ عالماً بهذه العظمه، من تنوّع الموجودات، يظهر إلى الوجود و يسير ملايين السنوات فی مدار صحيح، و يتدبّر أمره من غير وجود مدبّر حكيم؟

معرفه اللّه أمر فطری

تمثّل أعمال و تصرفات كل إنسان مظهراً لمعرفته و ميوله الباطنيه. و نحن نستطيع أن نعرف من خلال تصرف كل إنسان و طريقه تعامله و نمط معيشته، عقيدته و أهدافه. كما أنّ الآثار المتبقيه من الإنسان القديم، تقدّم لنا دليلاً قاطعاً على أنّ الإنسان كانت له ميول بالإضافه إلى حاجته للمتطلبات الماديه من قبيل الماء والنوم والتعليم و غير ذلك حاجات

معنویه أیضاً، و هذه المیول کانت من الدوافع التی تدفعه للقیام بفعالیّاته. فالحضارات انعکاس لمتطلبات البشر المادیه والمعنویه. و هناک علامات و آثار مستفیضه من الأُمم الماضیه تدلّ علی أنّ المجتمع البشری کان مولعاً بذات مقدّسهٍ غیر متناهیه و کان یعبدها، و ظهور الحضارات یؤیّد هذا الأمر. و هذا المیل الباطنی موجود عند الانسان المعاصر أیضاً، و هو مجبول علیه بصوره ذاتیه و من دون أیِّ تعلیم، و علی الرغم من أنّ هذا المیل الباطنی قد یتضاءل بمرور الزمن، بتأثیر الاحتیاجات المتنوعه، أو قد یشبع الإنسان هذا المیل الباطنی لدیه بالتوجّه إلی رموز غیر واقعیه.

وجود اللّه واحد من هذه المیول والتوجُّهات الباطنیه. والفطره السلیمه تذعن بوجود ذات غیر متناهیه حکیمه و مقدّسه ذات قدره و علم کامل. وخیر مثال علی هذا ما جاء فی القرآن الحکیم: (وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَیَقُولُنَّ اللّهُ) (۱) و کذلک الأمر بالنسبه إلی خلق العالم (وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ لَیَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِیزُ الْعَلِیمُ) .(۲)

تکشف الحوادث العصیبه والمآزق والمخاطر التی یتعرض لها الإنسان عن هذا المیل الباطنی بوضوح. و توجد فی القرآن الکریم آیات متعدده تحکی لسان حال أُناس أُحیط بهم فی وسط البحر الهائج المتلاطم الأمواج، و قد أشرفوا علی الغرق و لیست لدیهم أیه وسیله للنجاه؛ فی تلک الحال یُظهِر هؤلاء ما یکمن فی صدورهم و یطلبون الغوث والنجاه من اللّه العظیم. کما جاء فی قوله تعالی: (هُوَ الَّذِی یُسَیِّرُکُمْ فِی الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ حَتّی إِذا کُنْتُمْ فِی الْفُلْکِ وَ جَرَیْنَ بِهِمْ بِرِیحٍ طَیِّبَهٍ وَ فَرِحُوا بِها جاءَتْها رِیحٌ عاصِفٌ وَ جاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ کُلِّ مَکانٍ وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِیطَ بِهِمْ دَعَوُا اللّهَ مُخْلِصِینَ لَهُ الدِّینَ لَئِنْ أَنْجَیْتَنا مِنْ هذِهِ لَنَکُونَنَّ مِنَ الشّاکِرِینَ) .(۳)

الفطره: عباره عن مجموعه من الخصائص التی ولدت مع الإنسان منذ بدء الخلیقه. فی أعماق کل إنسان هناک توجهات إلی المعارف والاعتقادات والمیول أرقی من تلک الموجوده عند المخلوقات الأُخری، من قبیل حُبّ الخیر والفضیله، والانشداد إلی الکمال،

۱- - سوره الزخرف (۴۳)، الآیه ۸۷.

۲- سوره الزخرف (۴۳)، الآیه ۹.

۳- سوره یونس (۱۰)، الآیه ۲۲.

والميل إلى الحبّ والعباده. و هذه نماذج من الفطره الإنسانيه هى التى تشكل أساس القيم الإنسانيه؛ حيث تتيح هذه القيم للإنسان إمكانيه الإستعانه بهذه الهدايه الباطنيه - طالما لم يستحوذ عليه الكفر والشرک، والضلال ورَيْن الذنوب - للسير نحو السعاده والفوز. و من ضمن الميول الفطريه عند الإنسان التوجه إلى اللّه و عبادته. و معرفه اللّه الفطريه تعنى: أنّ كل إنسان و حسب تكوينه الوجودى يعرف اللّه من غير تعليم. و هذا الأمر لاينبثق من فهم عقلى بل منشؤه القلب والرغبه والميل الباطنى.

نزعه الانشداد إلى اللّه أمر فطرى مغروس فى وجود الإنسان، و هو نوع من الانجذاب المعنوى، يعنى أن الإنسان جبل على نحو لايستغنى معه عن العباده. و لهذا ترى أنّ جميع الناس يمارسون العباده بشكل أو آخر. و هذا يدلّ على أن العباده جزء من الفطره البشريه، أى إنَّ البشر - بالفطره - له ميل ورغبه فى التقرّب إلى شىء مقدس و منزّه و عظيم. و هذا الميل موجود عند جميع البشر.

عندما ندقق فى الحالات النفسيّه للإنسان ندرک أنّه محب للحُسن والكمال، و هو لايقف عند حدٍّ معيّن أو محدود فى حبّه للكمال. بل يتطلع الى أعلى مراتب الكمال؛ لأنّه مولع بالكمال المطلق و لايكتفى بالمرتبه التى يصل إليها.

إنّ الإنسان و بحسب تكوينه الروحى الخاص خُلق مجبولاً على البحث عن اللّه.

الرغبه إلى اللّه و عباده اللّه مغروستان فى ذات الإنسان فطريّاً، وهما تمثّلان نوعاً من الانجذاب المعنوى بين قطبين هما: قلب الإنسان و مشاعره من جهه، و مركز الوجود (أى المبدأ الأعلى والكمال المطلق) من جهه أُخرى.

فى سريره و فطره كل إنسان هناک ميل إلى اللّه، مثلما توجد المعرفه الحضوريّه التى لاتحتاج إلى واسطه بالنسبه لذاته المقدّسه، أى إنّ الإنسان - و بدون تعلُّم - يستشعر فى عمق باطنه و بصوره جليّه بأنه مشدود إلى وجود متعالٍ كاملٍ قائمٍ بذاته، و أنه يصل إلى الرشد والمعرفه والكمال تحت علم و تدبير و ربوبيّه ذلک الوجود المتعالى، و هذه هى أوّل مرحلهٍ من مراحل الهدايه التى غرست تكوينياً فى سريره الإنسان. وتُعتبر هذه المرحله من مراحل الهدايه الإجماليه. حيث إن الهدايه التفصيليه يمكن إدراكها عن طريق العقل

والشرع. و ذلک لأنَّ أی میل یستلزم وجود نوع من التوجّه والعلم بالنسبه للشیء الذی یمیل إلیه.

عندما یکون هناک شعور باطنی لدی الإنسان بالمیل إلی اللّه، فلابّد أن تکون لدیه معرفه به، و إلّافلا یمکن أن یکون هناک میل إلی مجهولٍ مطلق، و لایمکن أن یمیل الإنسان إلی شیء لیس لدیه أیُّ علم به.

هذه النزعه الذاتیه لدی الإنسان تتجلی بشکل أوضح فی الشدائد والظروف العصیبه، مثلما هو الحال بالنسبه إلی من یرکبون سفینه و یأتیها الطوفان فیدعون اللّه عن إخلاص و یطلبون منه النجاه (فَإِذا رَکِبُوا فِی الْفُلْکِ دَعَوُا اللّهَ مُخْلِصِینَ لَهُ الدِّینَ فَلَمّا نَجّاهُمْ إِلَی الْبَرِّ إِذا هُمْ یُشْرِکُونَ) . (۱)(وَ إِذا غَشِیَهُمْ مَوْجٌ کَالظُّلَلِ دَعَوُا اللّهَ مُخْلِصِینَ لَهُ الدِّینَ) .(۲)

صفات اللّه

اشاره

للّه صفات و أفعال یمکن للبشر معرفتها، و إن کانت هذه المعرفه معرفه محدوده. طبعاً ذات اللّه لایمکن معرفتها، و لکن صفاته و أفعاله المتجسّده فی هذا العالم، یمکننا فهمها و معرفتها.

یروی عبدالرحیم بن عتیک القصیر: کتبتُ علی یدی عبدالملک بن أعین إلی أبی عبداللّه علیه السلام: «أنّ قوماً بالعراق یصفون اللّه بالصوره و بالتخطیط، فإن رأیت - جعلنی اللّه فداک - أن تکتب إلی بالمذهب الصحیح من التوحید. فکتب إلی: سألت - رحمک اللّه عن التوحید و ما ذهب إلیه من قِبَلَک، فتعالی اللّه الذی لیس کمثله شیء و هو السمیع البصیر، تعالی عمّا یصفه الواصفون المشبّهون اللّه بخلقه المفترون علی اللّه، فاعلم - رحمک اللّه - أنّ المذهب الصحیح فی التوحید ما نزل به القرآن من صفات اللّه جلّ وعزّ، فانف عن اللّه تعالی البطلان والتشبیه، فلا نفی و لاتشبیه».(۳)

إنّ أفضل طریق لمعرفه صفات اللّه، هو الرجوع إلی المصادر الدینیه. و مع أنّ اللّه هو

۱- - سوره العنکبوت (۲۹)، الآیه ۶۵.

۲- سوره لقمان (۳۱)، الآیه ۳۲.

۳- الکلینی، الکافی، ج ۱، ص ۱۰۰، الحدیث ۱.

مصدر لكل صفات الكمال، و لكن لايحق لأىٍّ أحد أن يصفه بما يشاء من الصفات.

يوصف اللّه سبحانه بنوعين من الصفات: الصفات السلبيه والصفات الثبوتيه.

الصفات السلبيه أو الجلاليه: و هى الصفات التى يتنزّه عنها اللّه و لايتّصف بها، كأن يكون ممكن الرؤيه أو أن يكون جسماً، أو أن يتّصف بالجهل أو أن يحتاج إلى النوم والطعام، أو أن يكون موضعاً للحوادث و....

الصفات الثبوتيه أو الجماليه: و هى الصفات المعبّره عن كمال اللّه، و يمكن أن نجمع بين هذين النوعين من الصفات (السلبيه والثبوتيه) فنقول: إنَّ اللّه جامع لكل الكمالات، و لذا فلا نقص و لاعيب فيه.

و هناك تقسيم آخر لصفات اللّه، و هى أن تُقسّم إلى ذاتيه و فعليّه.

الصفات الذاتيه: و هى الصفات المرتبطه بذات اللّه والمختصه بها و لاتقبل الإنفكاك عنها، مثل العلم والقدره والحياه.

الصفات الفعليه: و هى الصفات المرتبطه بأفعال اللّه، و هى الصفات المنتزعه من فعل اللّه، والتى قد انتُزعت من موضوع الفعل. و بالطبع فإنَّ جميع صفات اللّه عين ذاته و لاتلحق به من الخارج.

والاختلاف بين هذين القسمين من الصفات، هو أنّ الصفات الذاتيه هى دائماً عين ذاته، والصفات الفعليه منبثقه من الذات أيضاً، و لكنَّها متوقفه على تحقُّق الفعل فى الخارج مثل الخالقيه والرازقيه و....

يتّصف اللّه بجميع صفات الكمال و ليس فيه أىُّ نقص: فوجود أى نوع من النقص أو عدم وجود الكمالات اللازمه فى اللّه، يعنى أنه لايتّصف بالصفات اللازمه لأن يكون إلهاً، والحال أنّه إله، إذاً فهو يتّصف بجميع صفات الكمال.

قرب اللّه

بسبب الوجود غير المتناهى للّه، فهو حاضر فى كل مكان، و لايمكن أن ننسب له نسبه

القرب أو البعد (وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ) . (۱) و لذا فإنّ الآيات والروايات التى تحثّ على السعى للتقرُّب إلى اللّه جاءت لتحثّ الإنسان على السعى ليكون محبوباً عند اللّه و حبيباً له. و أن يشعر بأنّه قريب إلى اللّه و فى رعايته، و إلّافإن الجميع خاضعون لسنن ربِّ العالمين و تحت نظره.

جاء فى روايهٍ أن معنى الآيه (الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى) (۲) هو أنّ اللّه قريب من جميع الموجودات على حدٍّ سواء، و هذا يعنى أن قربه جلَّ وعلا من شىء لايعنى بعده عن شىء آخر. ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: إستوى من كل شىء، فليس شىء أقرب إليه من شىء.(۳)

و قال عليه السلام: استوى فى كل شىء فليس شىء أقرب إليه من شىء لم يبعد منه بعيد و لم يقرب منه قريب. استوى فى كل شىء.(۴)

عدم رؤيه اللّه

يشير القرآن بصراحه إلى أنَّ اللّه لايُرى (ذلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمْ لا إِلهَ إِلّا هُوَ خالِقُ كُلِّ شَىْ ءٍ فَاعْبُدُوهُ وَ هُوَ عَلى كُلِّ شَىْ ءٍ وَكِيلٌ * لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ وَ هُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصارَ وَ هُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) .(۵)

للإنسان بُعدان: مادى و معنوى. و فى وجود الإنسان ميول غير ماديه أيضاً، و لكن بما أنّ البشر بالدرجه الأُولى مولود عالم الطبيعه و هو مستأنس بها، لذا فإن ميله إلى المظاهر الطبيعيه أكثر و أقوى. فهو يقبل بسهوله الأشياء المحسوسه والمرئيه والخاضعه للتجربه، أمّا الأُمور غير المحسوسه والتى يحتاج إثباتها إلى برهان و دليل فإن قبولها يكون بصعوبه و بعد تردد و تأمّل.

مع أنّ البشر باحث عن اللّه فطرياً، و يؤمن بقوى ما وراء الطبيعه والغيب، و لكنّه يسعى

۱- – سوره ق (۵۰)، الآيه ۱۶.

۲- – سوره طه (۲۰)، الآيه ۵.

۳- الكلينى، الكافى، ج ۱، ص ۱۲۸، الحديث ۷.

۴- الكلينى، الكافى، ج ۱، ص ۱۲۸، الحديث ۸.

۵- سوره الأنعام (۶)، الآيتان ۱۰۲ و ۱۰۳.

إلى أن يُبـدّلها إلى رموز طبيعيه. و لهـذا فقد اصـطنع لنفسه أشـكالاً من الخشب والحجر والمواد الطبيعيه و أخذ يقدّسـها. إنّ قيام الإنسان بهذا العمل نابع من هذه الذات التى فيه والتى تبحث - بطبيعتها - عن الكمال والتعالى. فهو يُحب أن يكون له ربٌّ جليل و أن يعبده، و فى الوقت نفسه يستطيع الوصول إليه والإحساس به...

النزعه الحسيه عند الإنسان دفعته إلى اتخاذ أشياء طبيعيه كمظاهر ترمز الى قوى ما وراء الطبيعه. و قد أدّى المزج بين هذه النوازع الذاتيه الجامحه و مظاهر الطبيعه إلى ظهور الشـرك. و يعود سـبب ذلك طبعاً إلى رغبته فى رؤيه الأشياء التى يرغب فيها و يميل إليها.

و هو يحمل مثل هذا التصوّر عن اللّه أيضاً؛ إذ يَظنّه مرئياً و ملموساً و حسيّاً.

ذكر اللّه عزّوجلّ عن بنى اسـرائيل أنهم قـد شاهـدوا معجزات كثيره على يـد النبىّ موسـى عليه السـلام، غير أنّهم رغم كل ذلك طلبوا منه أن يريهم اللّه (فَقَدْ سَأَلُوا مُوسـى أَكْبَرَ مِنْ ذلِكَ فَقالُوا أَرِنَا اللّهَ جَهْرَهً فَأَخَذَتْهُمُ الصّاعِقَهُ بِظُلْمِهِمْ) . (۱) و جاء فى قسم آخر من قصّتهم بـأنهم مـا إن أنجـاهم اللّه من ظلم آل فرعون، و فلق لهم البحر ليعبروه، و أهلك من لاحقوهم، وقعت أبصارهم على قوم كـانوا يعبـدون الأصـنام، فاسـتهواهم ذلك العمل و طلبوا من موسـى أن يجعل لهم إلهاً مثل إله هؤلاء القوم: (وَ جاوَزْنا بِبَنِى إِسْرائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلى أَصْنامٍ لَهُمْ قـالُوا يـا مُوسَـى اجْعَلْ لَنا إِلهاً كَما لَهُمْ آلِهَهٌ قالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ) (۲).

عند الحديث عن عدم القدره على رؤيه اللّه أو بعباره أُخرى: لماذا لم يكن اللّه مرئياً؟ لابُدّ من أخذ عده ملاحظات بنظر الاعتبار:

۱ - أن إدراك الإنسان محدود. فالعين تسـتطيع رؤيه الأجسام فى ظروف معيّنه كأن تكون على درجه معيّنه من الوضوح والقرب والحجم. فالأجسام الصـغيره لايمكن رؤيتها بالعين المجرّده، و كـذلك الأشـياء البعيده والأشـياء التى لم تُخلق بَعد. فلابّد إذاً من توفّر بعض الشـروط لرؤيه أو لمس أو سماع أو شمّ الأشياء. و من غير المنطقى إنكار وجودها بسبب عدم توفر الظروف المناسبه، أو عدم مقدره الحواس على أن تقوم بدورها، أو بسبب

۱- - سوره النساء (۴)، الآيه ۱۵۳.

۲- سوره الأعراف (۷)، الآيه ۱۳۸.

وجودها خارج نطاق الحواس.

الحواس أشبه شیء فی عملها بشبکه صید الأسماک. فشبکه الصید تستطیع صید الأسماک فی ظروف معیّنه، کأن تتصف بالقدره علی صید أسماک بأحجام مختلفه، و أن تکون هناک أسماک فی متناولها. فحتی أفضل الشباک لاتستطیع صید سمکه واحده فی البر.

أو إذا أُلقیت فی البحر شبکه کثیره الشقوق فهی أیضاً لاتصید سمکاً. فهل یمکن فی مثل هذه الظروف الجزم بعدم وجود السمک. فانعدام التناسب المنطقی بین الأشیاء و بالنتیجه عدم الترابط الصحیح بینها لایعدُّ دلیلاً علی عدم الوجود.

۲ - کلُّ حاسه من حواس الإنسان تعمل ضمن النطاق الخاص بها. و من العبث ان یُرتجی منها ما هو ابعد من ذلک. والحواس تستطیع إدراک الأُمور الماديه فحسب. واللّه لیس ماده.

۳ - الحواس مجرّد وسائل، و أمّا مهمّه تحلیل المعلومات التی تأتی عن طریق الحواس، فهی من واجب النفس. فالمعلومات القادمه عن طریق العین تنعکس فی الذهن وبَعد ذلک تحصل عملیه الرؤیه و یتحقق الإدراک. إذاً فالحواس مقدّمه لعمل الذهن.

۴ - هناک کائنات کثیره فی هذا الوجود لایراها الإنسان و لکنّه فی الوقت ذاته یوقن بوجودها، کالهواء، والجاذبیه، والمجال المغناطیسی، والتیار الکهربائی، والعواطف، والمحبّه، والعداوه، والحقد، والحسد، والعقل و غیرها، و لکن لایمکن لمسها أو رؤیتها أو تذوّقها و ما إلی ذلک. و إنّما یُفهم وجودها من خلال معطیاتها و نتائجها.

۵ - إضافه إلی الحواس الظاهریه یتمتّع الإنسان بحواس أُخری أیضاً. و مثلما ندرک المحسوسات بالعین المجرّده، نستطیع استشعار الأُمور غیر المحسوسه بالحواس الباطنیه.

نذکر من ذلک مثلاً- أننا نستطیع إدراک بعض الحقائق عن طریق القلب إذا طهُر من اقتراف الذنوب. قال یعقوب بن إسحاق: کتبتُ إلی أبی عبداللّه علیه السلام أسأله کیف یعبد العبد ربّه و هو لایراه؟! فوقّع علیه السلام: یا أبایوسف! جلّ سیدی و مولای والمنعم علیَّ و علی آبائی، أن یُری. قال: و سألته هل رأی رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم ربّه؟ فوقّع علیه السلام: إن اللّه تبارک و تعالی أری

رسوله بقلبه من نور عظمته ما أحب.(۱)

و جاء فی روایه أُخری أنّ رجلًا من الخوارج دخل علی الإمام الباقر علیه السلام فقال له: یا أباجعفر، أیَّ شیء تعبد؟ قال: اللّه، قال: رأیته؟ قال: لم تره العیون بمشاهده العیان، و لکن رأته القلوب بحقائق الإیمان، لایعرف بالقیاس، و لایدرک بالحواس، و لایشبه بالناس، موصوف بالآیات، معروف بالعلامات، لایجور فی حُکْمه، ذلک اللّه لا إله إلّاهو. قال: فخرج الرجل و هو یقول: اللّه أعلم حیث یجعل رسالته.(۲)

(۳)

و روی أیضاً عن الإمام الصادق علیه السلام أنّه قال: جاء حبر إلی أمیرالمؤمنین علیه السلام فقال:

یا أمیرالمؤمنین، هل رأیت ربَّک حین عبدته؟ فقال: ویلک، ما کنت أعبد ربّاً لم أره. قال:

و کیف رأیته؟ قال: ویلک، لاتدرکه العیون فی مشاهده الأبصار، و لکن رأته القلوب بحقائق الإیمان.(۴)

قدره اللّه

القدره: هی استطاعه فعل شیء أو ترکه. والباری تعالی یتحلّی بمثل هذه الصفه. و هی فیه علی درجه من الوضوح بحیث لاتحتاج إلی إثبات؛ فاللّه کُلّه علم و قدره. والآثار التی تدل الإنسان علی وجود اللّه تدلّه أیضاً علی قدرته. و هو تعالی خالق العالم، والخالق لایمکنه أن یخلق بلا قدره. هذا من جانب، و من جانب آخر، إن لم یکن اللّه قادراً فمعنی ذلک أنه ناقص و یفتقد الکمال.

فی مخلوقات اللّه عجائب دالّه علی أنّ لخالقها قدره تفوق القدره العادیه. فهو ذو قدره بحیث أنّه یستطیع فعل کل شیء: (إِنَّ اللّهَ عَلی کُلِّ شَیْ ءٍ قَدِیرٌ) .(۵)

و رغم أنّ القدره الإلهیه مطلقه غیر أنّها قد لاتتعلق ببعض الأُمور. فالمفاهیم التی نعرفها تُقسم من حیث تعلّق القدره إلی عدّه أنواع: فهناک أشیاء یمکن القیام بها بسهوله، و فعلها

۱- الصدوق، التوحید، ص ۱۰۸، الحدیث ۲.

۲- سوره الأنعام (۶)، الآیه ۱۲۴.

۳- الصدوق، التوحید، ص ۱۰۸، الحدیث ۵.

۴- المصدر السابق، ص ۱۰۹، الحدیث ۶.

۵- سوره البقره (۲)، الآیه ۱۴۸.

يتوقف على التناسب بين صاحب القدره و ذلك الشيء. فالشخص العادى يستطيع حمل وزن عادى فى الظروف الاعتياديه، و لكن هناك أشياء تفوق قدرته كأن يتكوّن الوزن من عدّه أطنان.

و هناك أشياء لايمكن وقوعها؛ بمعنى أنها ذاتياً غير قابله للتحقق. جاء فى روايه أنّ أميرالمؤمنين عليه السلام سُئل: هل يقدر ربُّك على أن يُدخل الدنيا فى بيضه دون أن يصغّر الدنيا أو يكبّر البيضه؟ فقال: ويلك إنّ اللّه لايوصف بالعجز والذى سألتنى لايكون.(۱)

علم اللّه

اللّه عليم مطلق: (وَ اللّهُ بِكُلِّ شَیْ ءٍ عَلِیمٌ) . (۲) و هو تعالى يعلم بالمخلوقات قبل خلقها و بَعده. و علمه لايقتصر على ما هو ظاهر من أُمور العالم، و إنّما لديه علم تام بما هو خاف منها أيضاً: (إِنِّی أَعْلَمُ غَیْبَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ أَعْلَمُ ما تُبْدُونَ وَ ما كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ) .(۳)

إنّ إحاطه اللّه بكلّ شيء و علمه المطلق، يعنى أنه لاتخفى عليه خافيه. فهو فى كل مكان و قبل كل شيء. و ما يُعتبر غيباً بالنسبه لنا إنّما هو مكشوف عند اللّه، و هو محيط بتفاصيل كل شيء و إلّافإنّه إن لم يكن كذلك يوصف بالجهل. و هذا طبعاً يتعارض مع كماله.

و نسبته إلى الأشياء متساويه، و علم الغيب والشهاده عنده سبحانه على حدّ سواء.

(عالِمِ الْغَیْبِ لا یَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقالُ ذَرَّهٍ) .(۴)

عدل اللّه

العدل: هو وضع كل شيء فى موضعه المناسب. والقاضى إذا حكم بإعطاء صاحب الحق حقّه يوصف حُكْمه بالعدل؛ لأنه جعل الحق فى موضعه المناسب. والعداله التى تشترط فى إمام الجماعه من اجتناب الكبائر و عدم الإصرار على الصغائر، تنطوى على هذه الحقيقه

۱- الصدوق، التوحيد، ص ۱۳۰، الحديث ۱۰؛ المجلسى، بحارالأنوار، ج ۴، ص ۱۴۳.

۲- - سوره البقره (۲)، الآيه ۲۸۲.

۳- سوره البقره (۲)، الآيه ۳۳.

۴- سوره سبأ (۳۴)، الآيه ۳.

أيضاً. و ذلك لأنَّ المعصيه خروج عن المسار الذى رسمه اللّه. و فى ضوء التعريف السابق للعداله، فإنّ اللّه عزّوجلّ عادل. و هو يفعل العدل فى حُكْمه بين الناس: (وَ أَنَّ اللّهَ لَيْسَ بِظَلاّمٍ لِلْعَبِيدِ) .(۱)

لصفه العدل أهمّيه تفوق سائر صفات اللّه، لسببين:

۱ - أن كان كل شىء فى الكَوْن من فعل اللّه، و هو الذى يخلق أفعال الناس، فلماذا يحاسبهم عليها؟ فما توجيه ما وعد به من شديد العذاب و ما علاقه ذلك بعدله؟ و هل من المعقول أن يجبر اللّه الناس على الظلم والقبائح، و يخلقهم بالشكل الذى يجعلهم يرتكبون هذه الآثام ثم يحاسبهم عليها؟.

۲ - هناك تفاوت بين الناس لايمكن إنكاره، من حيث تكوينهم الجسمى و من حيث وضعهم المعاشى. فالبعض مصاب بعاهات جسديه و آخرون يعانون من آلام و مصاعب، و قسم من الناس يموت مبكّراً، والبعض يقع تحت تسلط الظلمه والجبابره فلا يهنأ فى حياته و لايتذوق طعم السعاده. فلماذا خلق اللّه هذه الحالات؟ فكيف تجتمع العاهات والشقاء والظلم مع العدل؟ فلو كان هناك موجود آخر غير اللّه يخلق الشرور والقبائح فذلك يستلزم الشرك و نسبه النقص إلى اللّه، و إن كان اللّه تعالى هو الذى خلقها وارتضاها فهذا لايتماشى مع عدله، و لابُدّ أن يكون ناجماً عن نقص فيه.

فهاتان القضيّتان جعلتا صفه العداله عند اللّه تختلف عن سائر صفاته، الأمر الذى أدّى فى النهايه الى وقوع جدل بين المسلمين حول عدل اللّه.

أمّا بالنسبه إلى القضيه الأُولى: فلاشكّ فى أنّ اللّه هو خالق كل شىء، و من ذلك أنّه هو خالق الإنسان و فعل الإنسان. فهو تعالى السبب الأساسى لكلّ حادثه و لكل موجود، و لكن الناس لديهم أيضاً قدره على التصميم والإراده، وهم يفعلون أفعالاً حسنه أو قبيحه بإرادتهم؛ و بذلك يسجّلون لأنفسهم بأيديهم مصيراً حسناً أو سيّئاً.

لقد خلق اللّه الإنسان حرّاً و أودع فيه حريّه الاختيار، لكى يختار بإرادته الحق أو

۱- سوره آل عمران (۳)، الآيه ۱۸۲.

الباطل. و على هذا، فإنّ اقتراف القبائح إنّما هو من فعل الناس أنفسهم، و يقومون به بإرادتهم وهم مسؤولون عن عملهم. و طالما كان الأمر كذلك، يتضح أنّ ثواب المحسنين وعقاب المسيئين أمر منطقى و موجّه. و هذا أقل ما يرتجى من إلهٍ حكيم و عادل. فاللّه لايجبر أحداً على فعل، لكى لايبدو عمله قبيحاً فيما لو عاقب أحداً على سوء فعله.

إذا ارتكب الإنسان المعاصى، واقترف فسقاً و فجوراً، وهضم حقوق الآخرين و ظلمهم من جهه، و قام بأعمال حسنه من جهه أُخرى، كأن قام بمساعده المحتاجين و بادر إلى فعل الخيرات، فان أُخذت هذه الأعمال على حدٍّ سواء و لم يُجاز على الحُسن و على القبيح من أفعاله، فإنّ هذا الحال لايتناسب مع عدل اللّه و لاينسجم مع حِكمته. فَهل من العدل أن يستوى من يفعل السيئات و يظلم مع من يفعل الخيرات ويُحسن؟ و هل يستوى المحسنون والمسيئون؟ و هل من الحكمه أن يتساوى من يتحمّلون المشقّه و يؤدون ما عليهم من تكاليف و فرائض و يجتنبون اللذائذ المحرّمه، مع المتهتّكين والظلمه والفُسّاق؟ العقل يحكم بأنَّ مثل هذا التساوى بعيد عن العقل والحكمه.

و أمّا بالنسبه إلى القضيه الثانيه: فإنّ ما يعانيه البعض من عاهات و ما يقع لبعضهم الآخر من موت مبكّر، و ما يوجد بين الناس من تفاوت فى القدرات والمؤهّلات و ما شابه ذلك، فهى أُمور تعود إلى ما يقع فى العالم من وقائع وتغيّرات. إنّ اللّه هو المصدر الأساسى لكل التحوّلات والأحداث فى العالم، و لكنّ هذه التحوّلات تقع ضمن قواعد وسنن. أى أنّ اللّه خلق العالم ليسير فى إطار مجموعه من الأسباب والمسبّبات. فكل علّه تنتج معلولها حسب مقتضياتها. فإن تَمّت الظروف والمقتضيات يأتى المعلول تاماً و متناسباً مع علّته، و إلّافإنّه يأتى ناقصاً. فالعاهات البدنيه، والموت المبكر، والآلام والأمراض، والمعاناه، تأتى كلها نتيجه لتفاعل عوامل طبيعيّه، و قد جُعلت العوامل الطبيعيه فى نظام الخلقه لتقدّم معطياتها بشكل شمولى، و عند التعارض مع بعضها يتضرّر المعلول بالعامل الغالب و يحصل النقص.

و علاوه على ذلك، فإنّ ما يعطيه اللّه فهو من جوده و فضله. والإكثار أو الإقلال فى العطاء للبعض خاضع لمدى استيعابهم و للظروف المحيطه بهم. و ما يقع لبعض الناس من

مساوىء لايُعزى إلى اللّه، و إنّما إلى الظروف التى يعيشون فيها.

و خلاصه الكلام هى أنّ العدل يصدق حيثما يكون لأحد حق و يجب أداء حقّه له، و إذا لم يُعط فهذا ظلم و عدم التزام بالعدل. إنّ البارى عزّوجلّ حينما يُعطى الناس إنّما يعطيهم بجوده و فضله. و هذا يعنى أنّ ما لدى الأفراد و ما يفتقرون إليه غير ناجم عن عدم عدل اللّه و إنّما سببه شىء آخر.

التوحيد

اشاره

التوحيد: هو الاعتقاد بوجود مبدأ واحد لهذا الكَوْن. ويُطلق هذا الاصطلاح على اللّه وحده دون سواه، للدلاله على ماله من وجود أزلى و أبدى و أنه لا- شريك له و لا- هو مركب لا من حيث الذات و لا من حيث الصفات، و يتّصف بالعلم المطلق والكمال المطلق. و لايمكن تصوّر أىِّ نوع من الارتباط والاحتياج بشأنه. و هو عباره عن ذاتٍ حاويه لكل الكمالات.

و هو مدبّر عالم الوجود، و بإرادته وتقديره ظهرت الموجودات، و هى تسير فى نظام متناسق وفقاً لمشيئته.

و يقع فى مقابل التوحيد، الشرك. و للشرك مظاهره التى منها الثنويه والتثليث، و تعدد الآلهه. فالثنويه ترى أنّ للوجود مبدأين: مبدء الخير و مبدء الشر. أمّا التثليث فيؤمن بأنَّ مبدأ الوجود واحد، و لكنّه فى الوقت ذاته ثلاثه، و أنّ الأقانيم الإلهيه ثلاثه، و لكل واحد منها مرتبه الإله، و أنّ الأب والإبن و روح القدس هم اللّه. و مع أنهم يقولون إنّا نعتقد بجوهر واحد لا أكثر، و لكنّ قولهم هذا يستدعى القول بالكثره العدديه للّه. و كان هناك أقوام يعتقدون بوجود آلهه بعدد أنواع الكائنات و كانوا يعبدونها، حيث كانوا يؤمنون بوجود الكثير من أرباب الأنواع و أنّ لكل شىء ربّه النوعى. و هذه المعتقدات كلها شرك و لاتتفق مع التوحيد. فالتوحيد هو الاعتقاد بوجود إلهٍ واحد فى كل الجوانب والمجالات.

المراد من وحدانیه اللّه

المراد من وحدانیه اللّه هی أنّه واحد لایقبل التقسیم، و صفاته عین ذاته و لاتعدد فیها.

و وحدانیّته فی الأُلوهیه أنه لا شریک له فی العباده. و قدرته و علمه و حیاته لیست کقدره و علم و حیاه الآخرین؛ لأنّ صفات اللّه عین ذاته.

أمّا تقسیم صفات اللّه و فصلها عن ذاته، فهو من عندنا و نحن نقوم به فی مقام المعرفه، و أمّا هو تعالی فلا یقبل التعدد والتقسیم: (وَ إِلهُکُمْ إِلهٌ واحِدٌ لا إِلهَ إِلّا هُوَ الرَّحْمنُ الرَّحِیمُ) .(۱)

والمقصود بأنّ اللّه واحد لیس الوحده العددیه التی نطلقها علی سائر الأشیاء، فالوحده العددیه والکثره المنبثقه عنها من صنع اللّه؛ و ذلک لأَنَّ العدد یستلزم المحدودیه بینما الذات الإلهیه مطلقه فی جمیع الکمالات و لا محدودیه لها (وَ هُوَ الْواحِدُ الْقَهّارُ) ، (۲)(وَ هُوَ الْعَلِیمُ الْقَدِیرُ) ، (۳)(أَنَّ الْقُوَّهَ لِلّهِ جَمِیعاً) ، (۴)(أَنَّ اللّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِینُ) .(۵)

فهذه الآیات و غیرها من الآیات المشابهه لها تدلّ علی ذات اللّه المطلقه و صفاته الکمالیه، و أنه لا شریک له و لا شبیه لا فی الذات و لا فی الصفات. و لهذا فلا معنی للوحده العددیه بشأنه؛ لأَنَّ أیَّ وجود و کمال فی الأصل للذات، و ما لایفترض وجود ثان له لایوصف بالعدد، لأنَّ العدد دلیل علی المحدودیه.

ذکروا إنَّ أعرابیاً قام یوم الجمل إلی أمیرالمؤمنین علیه السلام فقال: یا أمیرالمؤمنین أتقول: إنّ اللّه واحد؟ قال: فحمل الناس علیه، قالوا: یا أعرابی، أما تری ما فیه أمیرالمؤمنین من تقسّم القلب، فقال أمیرالمؤمنین علیه السلام: دعوه، فإن الذی یریده الأعرابی هو الذی نریده من القوم، ثم قال: یا أعرابی، إنّ القول فی أن اللّه واحد علی أربعه أقسام: فوجهان منها لایجوزان علی اللّه عزّوجلّ، و وجهان یثبتان فیه، فأما اللذان لایجوزان علیه، فقول القائل: واحد یقصد به

۱- سوره البقره (۲)، الآیه ۱۶۳.

۲- - سوره الرعد (۱۳)، الآیه ۱۶.

۳- - سوره الروم (۳۰)، الآیه ۵۴.

۴- سوره البقره (۲)، الآیه ۱۶۵.

۵- سوره النور (۲۴)، الآیه ۲۵.

باب الأعداد، فهذا ما لايجوز، لأن ما لا ثانی له لایدخل فی باب الأعداد، أما ترى أنه كفر من قال: ثالث ثلاثه.(۱) و قول القائل: هو واحد من الناس، یرید به النوع من الجنس، فهذا ما لایجوز علیه، لأنّه تشبیه، وجَلّ ربنا عن ذلك و تعالی. و أمّا الوجهان اللّذان یثبتان فیه فقول القائل: هو واحد لیس له فی الأشیاء شبه، كذلك ربُنا، و قول القائل: إنه عزّوجلّ أحَدِیُّ المعنی، یعنی به أنه لاینقسم فی وجود و لا عقل و لا وَهم كذلك ربنا عزّوجلّ.(۲)

مراتب التوحید

من أعمق المباحث فی باب المعارف هو بحث التوحید. و یختلف فهم التوحید تبعاً لاختلاف أفهام الناس. و رغم كل ذلك فالناس حسبما تملی علیهم فطرتهم، متّفقه آراؤهم فی أصل وجود ذات الباری تعالی. أمّا اختلاف أفهام الناس حول التوحید، فهو أنّ البعض قد جعلوا إله هذا العالم كالأصنام والأحجار والأخشاب التی یصنعونها بأیدیهم، و فهموا من دعوه الأنبیاء إلی التوحید فی حدِّ الوحده العدیه: (أَ جَعَلَ الْآلِهَهَ إِلهاً واحِداً إِنَّ هذا لَشَیْ ءٌ عُجابٌ) .(۳)

أمّا الصفات الكمالیه التی یذهب إلیها الناس فی بیان ذات اللّه، فلابّد و أنّها تنطوی علی المحدودیه التی تطبع تلك الألفاظ. و لهذا السبب یقول اللّه عزّوجلّ: (سُبْحانَ اللّهِ عَمّا یَصِفُونَ * إِلاّ عِبادَ اللّهِ الْمُخْلَصِینَ) ، (۴) و یقول أیضاً: (وَ لا یُحِیطُونَ بِهِ عِلْماً) ، (۵)(وَ ما قَدَرُوا اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ) .(۶)

جاء عن أمیرالمؤمنین علیه السلام أنّه قال: وَ لَاتُقَدِّرْ عَظَمَهَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ عَلَی قَدْرِ عَقْلِك فَتَكُونَ مِنَ الْهَالِكِینَ.(۷) و لعل هذا هو السبب الذی جعل الروایات تكثر من تنزیه اللّه. فكل صفه نثبتها له لابُدّ و ان یكون إلی جانبها تنزیه له؛ لأَنَّ بیاننا قاصر عن الإفصاح عن

۱- – اشاره إلی الآیه: (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِینَ قالُوا إِنَّ اللّهَ ثالِثُ ثَلاثَهٍ)، سوره المائده (۵)، الآیه ۷۳ و هی حول المسیحیین الذین یعتبرون اللّه ثالث ثلاثه؛ أی اللّه، و روح القدس و عیسی علیه السلام.

۲- الصدوق، التوحید، ص ۸۳ و ۸۴، الحدیث ۳.

۳- سوره ص (۳۸)، الآیه ۵.

۴- – سوره الصافّات (۳۷)، الآیتان ۱۵۹ و ۱۶۰.

۵- سوره طه (۲۰)، الآیه ۱۱۰.

۶- سوره الأنعام (۶)، الآیه ۹۱.

۷- – الشریف الرضی، نهج البلاغه، الخطبه ۹۱، ص ۱۲۵.

وجوده المطلق.(۱)

ورد عن الإمام الباقر علیه السلام أنه قال: «تَکَلَّموا فی خَلْقِ اللّه تَعالی و لاتَتَکلّمُوا فِی اللّهِ، فَإنَّ الکلامَ فِی اللّهِ لایَزدادُ صاحِبُهُ إلّا تَحَیُّراً».(۲)

و للتوحید مراتب، و هذا ما جعل الموحدین متفاوتین فی هذا المجال، فقد یکون هناک من هم موحّدون فی التوحید الذاتی، و لکنّهم یقعون فی الشرک فی التوحید العبادی و فی الطاعه. فالشیطان - کما قال أمیرالمؤمنین علیه السلام - عَبَدَ اللّه سته آلاف سنه،(۳) و لکنه تکبّر و عصی أمر ربّه. و هذا یعنی أنه لم یکن لدیه توحید فی الطاعه. و علی صعید آخر قد یکون هناک من لدیه إخلاص تام فی العباده، و لکن التوحید الأفعالی غیر مکتملٍ لدیه. ثم إنّ هناک الکثیر ممّن یکثرون من العباده والذکر والتسبیح، و لکنهم ضعفاء فی التوکل علیه والاستعانه به، و عدم التعویل علی ذوی الجاه والمنصب والمال.

و خلاصه القول هی أنّ الموحّد هو من یؤمن بأن اللّه واحد و یخضع تعظیماً له، و لایتّکل إلّا علیه، و یوقن بأنَّ کل شیء منه، و لیس فی الوجود ما یضاهیه أو یضارعه.

المرتبه الکامله للتوحید

للتوحید - بما یعنیه من الاعتقاد بوحدانیّه اللّه - مراتب. و مرتبته الکامله هی الإیمان بأن للّه العلم والقدره والکمال والخلق والرزق والإحیاء والإماته، و أن الخضوع والعباده له وحده، و أن لایتذلل الإنسان و لایمرّغ خدّه فی التراب لأحدٍ سواه، و ان لایرجو إلّارحمته، و لایخشی إلّاسخطه.

و أمّا علی صعید العقیده والعمل فیجب الخضوع والانصیاع له وحده. و هذا ما نقل عن أمیرالمؤمنین علیه السلام فی قوله: «و کمال توحیده الاخلاص له».(۴) و ینص القرآن علی أنّ أیّه

۱- الشریف الرضی، نهج البلاغه، الخطب ۱۵۲ و ۱۶۳ و ۱۸۶؛ الصدوق، التوحید، ص ۳۰۸، الحدیث ۲؛ الکُلینی، الکافی، ج ۱، ص ۱۳۸، الحدیث ۳؛ المجلسی، بحارالأنوار، ج ۴، ص ۳۰۴؛ المفید، الاختصاص، ص ۲۳۶.

۲- الکُلینی، الکافی، ج ۱، ص ۹۲، الحدیث ۱.

۳- - الشریف الرضی، نهج البلاغه، الخطبه ۱۹۲، ص ۲۸۷.

۴- - المصدر السابق، الخطبه ۱، ص ۳۹.

طاعه عمیاء لغیر اللّه شرک و مخالفه للتوحید. فبعض أهل الکتاب الذین أسلموا قیادهم لعلمائهم من غیر تروٍّ، اعتبر القرآن عملهم هذا بمثابه عباده لغیر اللّه، و قال فی وصفهم:

(اتَّخَذُوا أَحْبارَهُمْ وَ رُهْبانَهُمْ أَرْباباً مِنْ دُونِ اللّهِ وَ الْمَسِیحَ ابْنَ مَرْیَمَ وَ ما أُمِرُوا إِلاّ لِیَعْبُدُوا إِلهاً واحِداً لا إِلهَ إِلاّ هُوَ سُبْحانَهُ عَمّا یُشْرِکُونَ) .(۱)

الأدلّه علی وحدانیه اللّه

۱ - الانتظام والانسجام یدلّان علی وجود منهج متناغم مع ظروف جمیع المجالات والقطاعات. فلو کان فی هذا الکَوْن مدبّران لشؤونه لاختلّ النظم فیه قطعاً؛ لأن کلّ واحد منهما یرید العمل وفقاً لإرادته. إذاً فالانتظام والانسجام اللّذان یحکمان هذا الکَوْن الفسیح، و عدم وجود أیِّ خلل أو عیب فیه، یدلّان علی وجود مدبّر واحد یدیره بدقّه و إتقان.

و هذا العالم الذی نعیش فیه یتّصف بمثل هذا الانسجام والاتقان؛ و هناک تناسق تام بین موجوداته. فکلّ واحد منها فی موضعه الصحیح، و یکمّل کلّ واحد منها الآخر. و کل هذا یدلّ علی أنّ مدبّره واحد لا شریک له.

لو کان فی هذا العالم عدّه آلهه، فلابدّ أن تکون له - حسبما تقتضی أُلوهیته - إراده مستقله عن غیره، و غیر منسجمه و لا متوافقه مع إراده سائر الآلهه، و هو ما یوقع العالم طبعاً فی فوضی. أی أنّ کثره الآلهه تعنی أنّ کل واحد منهم یسعی إلی تحقیق إرادته، و من الطبیعی أن تکون إراده کل واحد منهم متعارضه مع إراده غیره، و عند التطبیق تتعارض الإرادات و ینهار کلّ شیء فی هذا العالم. ویُفصح القرآن الکریم عن هذا الاستدلال بعباره موجزه و هی قوله تعالی: (لَوْ کانَ فِیهِما آلِهَهٌ إِلاَّ اللّهُ لَفَسَدَتا فَسُبْحانَ اللّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمّا یَصِفُونَ) .(۲)

لو کان فی الوجود آلهه متعدده لکان لکلّ واحد منهم مخلوقاً، ولسعی کلٌّ وراء خالقه، و لوقع العالم علی أثر ذلک فی تعارض، ولحاول کلّ واحد منهم - بحکم أُلوهیته المطلقه - السیطره علی العالم و إخضاع کل الکائنات لتدبیره، و هذا ما یفضی بالنتیجه إلی نشوب

۱- سوره التوبه (۹)، الآیه ۳۱.

۲- سوره الأنبیاء (۲۱)، الآیه ۲۲.

صراعات، و يفضى إلى توقّف النظم فى العالم فينهار و يتلاشى. و قد رسم البارى تعالى صوره يبيّن فيها مثل هذا الحال فى قوله: (مَا اتَّخَذَ اللّهُ مِنْ وَلَدٍ وَ ما كانَ مَعَهُ مِنْ إِلهٍ إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلهٍ بِما خَلَقَ وَ لَعَلا بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ سُبْحانَ اللّهِ عَمّا يَصِفُونَ) .(۱)

جاء فى روايه أنّ الإمام الصادق عليه السلام قال: «فلمّا رأينا الخلق منتظماً، والفلك جارياً، واختلاف الليل والنهار، والشمس والقمر، دلّ صحّه الأمر والتدبير و ائتلاف الأمر على أنّ المدبّر واحد».(۲)

۲ - و جاء فى نهايه الروايه التى نقلها هشام بن الحكم عن الإمام الصادق عليه السلام برهان أو دليل آخر على وحدانيه اللّه، و هو ما يُسمّى ببرهان الفُرجه، و هو كالآتى: فإن قلت إنهما اثنان لم يخل من أن يكونا متفقين من كل جهه، أو مفترقين من كل جهه، فلمّا رأينا الخلق منتظماً، والفلك جارياً، والتدبير واحداً والليل والنهار، والشمس والقمر دلّ صحه الأمر والتدبير وائتلاف الأمر على أن المدبّر واحد، ثم يلزمك إن ادعيت اثنين فرجه ما بينهما حتى يكونا اثنين فصارت الفرجه ثالثاً بينهما قديماً معهما فيلزمك ثلاثه، فإن ادعيت ثلاثه لزمك ما قلت فى الاثنين حتى تكون بينهم فرجه فيكونوا خمسه، ثم يتناهى فى العدد إلى ما لا نهايه له فى الكثره.(۳)

و قد جاء فى صدر هذه الروايه أنّ زنديقاً جاء إلى الإمام الصادق عليه السلام و عرض عليه أسئله حول الوحدانيه والتعدديه فى الآلهه، فقال له الإمام عليه السلام: لايخلو قولك إنهما اثنان أن يكونا قديمين قويين، أو ضعيفين، أو يكون أحدهما قوياً والآخر ضعيفاً، والمراد بالقوىّ أن يكون قادراً على فعل الكلّ و فاعلاً له بالإراده مع استبداده به، والمراد بالضعيف الذى لايقوى على فعل الكلّ و لايستبد به و لايقاوم القوى، فإن كانا قويين فلِمَ لايدفع كلّ منهما صاحبه و يتفرد به، أى يلزم منه عدم وقوع الفعل و إن كان أحدهما ضعيفاً فيلزم من ضعف وجوده احتياجه إلى العلّه الموجده.

۱- سوره المؤمنون (۲۳)، الآيه ۹۱.

۲- الصدوق، التوحيد، ص ۲۴۴، الحديث ۱.

۳- الكُلينى، الكافى ج ۱، ص ۸۱، الحديث ۵.

۳ – الدليل الآخر على وحدانيه اللّه هو عدم وجود آثار لإله آخر، و من ذلك الرساله؛ فكل الأنبياء الذين بعثوا حتى الآن قالوا إنهم قد أُرسلوا من قبل إلهٍ واحد، و لم يظهر حتى الآن نبى يزعم بأنه مبعوث من قبل إله آخر. قال الإمام على عليه السلام فى سياق وصاياه لابنه الحسن عليه السلام: «وَاعْلَم يا بُنَىَّ! انّه لَو كانَ لِربّكَ شَريك لَأَتَتْكَ رُسُلِه وَ لَرأيْتَ آثارَ مُلكِه وَ سُلطانِه وَ لَعَرفتَ افعالَهُ وَ صِفاته وَ لكنَّه إلهٌ واحدٌ كَما وَصَف نَفْسَه لايضادّه فى مُلكِهِ احَدٌ».(۱)

۴ – أن وجود إله آخر فى العالم يعنى وجود نقص فى اللّه، و أنّ هذا الإله يفتقر إلى كمالات إلهٍ آخر، والإله الآخر يفتقر إلى كمالات هذا الإله. إذاً فكلاهما ناقصان. و من الطبيعى أنّ افتراض وجود إله ناقص يتنافى مع أُلوهيّته؛ و ذلك لأَنَّ اللّه وجود مطلق و ذات كامله. ولو كان فيه نقص لَما أصبح أهلاً للأُلوهيه.

أقسام التوحيد

اشاره

يُقسم التوحيد إلى عدّه اقسام و هى: التوحيد فى الذات، والتوحيد فى الصفات، والتوحيد فى الأفعال، والتوحيد فى العباده. والتوحيد ليس مفهوماً دينياً و سماوياً فقط، و إنّما التوحيد الواقعى هو أن يتجلّى – فضلاً عن الاعتقاد – فى السلوك الفردى والاجتماعى؛ أى فى الأخلاق والعمل، و إلّافإنه يبقى شيئاً نظرياً كسائر العلوم التى تدوّن فى الكتب و لايظهر له أىُّ أثر فى الواقع الخارجى.

و نحن عندما نتأمل فى تعاريف و مفاهيم التوحيد التى سنشرحها فى ما يلى تحت عناوين التوحيد فى الذات، و فى الصفات، و فى الأفعال، و فى العباده، نخلص إلى نتيجه مؤدّاها أنّ هذا المعنى من التوحيد لاينطوى سوى على استقلال الإنسان فى مقابل قوى و آلهه التسلط والقهر فى الأرض، و يمنح الإنسان شعوراً بالقوّه والاعتزاز بالذات، و هذا طبعاً من مستلزمات المجتمع المدنى السليم. و بعباره أُخرى: إنّ ما يُسمّى اليوم باسم

۱– الشريف الرضى، نهج البلاغه، الكتاب ۳۱، ص ۳۹۶.

المجتمع المدنی یمکن الوصول إلیه بشکل أیسر عن طریق التفکیر والحیاه التوحیدیه الحقیقیه.

۱ – التوحید فی الذات

و هو یعنی الاعتقاد بأن ذات اللّه واحده لاتقبل التعددیه، و لاتوجد ذات أُخری إلی جانب ذات اللّه. روی أنّ رجلاً جاء إلی الإمام الحسن بن علی علیه السلام و قال له: یابن رسول اللّه، صف لی ربّک حتی کأنی أنظر إلیه، فأطرق الحسن بن علی علیه السلام ملیاً، ثم رفع رأسه، فقال:

الحمد للّه الذی لم یکن له أول معلوم و لا آخر متناهٍ، و لا قبل مدرک، و لا بعد محدود، و لا أمد بحتی و لا شخص فیتجزّأ، و لا اختلاف صفه فیتناهی، فلاتدرک العقول و أوهامها، و لا الفِکَر و خطراتها، و لا الألباب و أذهانها صفه فتقول: متی، و لا بدأ ممّا، و لا ظاهر علی ما، و لا باطن فیما، و لا تارک، فهلّا خلق الخلق فکان بدیئاً بدیعاً، ابتدأ ما ابتدع، وابتدع ما ابتدأ، و فعل ما أراد و أراد ما استزاد، ذلکم اللّه ربُّ العالمین».(۱)

و روی الإمام الصادق علیه السلام، قال: خرج رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم علی أصحابه فقال: ما جمعکم هنا؟ قالوا: اجتمعنا نذکر ربّنا و نتفکّر فی عظمته، فقال: «لن تُدرکوا التفکر فی عظمته».(۲)

و هذه الوصیه تزیح الستار عن حقیقه، و هی أنّ إدراک الذات الإلهیه متعذر؛ لأنها ذات لا متناهیه، بل إنّ مثل هذه المحاولات لا ثمره منها، و قد توقع الإنسان فی ورطه فکریه مردّها عدم التناسب بین فکره و بین تلک الذات المطلقه، و هذا ما یخرجه عن حد السلوک المعتدل، و یطبع حیاته بالاضطراب. و علی هذا الأساس ینبغی أن یعتقد الإنسان باللّه من غیر أن یفکّر فی ذاته، و إنّما یفکّر فی صفاته و مخلوقاته.

۲ – التوحید فی الصفات

و یعنی الاعتقاد بأن صفات اللّه تعالی – المتّصف بجمیع صفات الکمال – هی عندما

۱– الصدوق، التوحید، ص ۴۵۵، باب النهی عن الکلام، الحدیث ۵.

۲– – المصدر السابق، الحدیث ۴.

تصدر إلى الواقع عين بعضها و عين ذاته. فذاته واحده و فيها كل صفات الكمال من علم، و قدره، و حكمه و ما شابه ذلك، و لكنّ هذه الصفات ليست زائده أو مضافه إلى وجود اللّه، بل إنها عين وجوده؛ و ذلك لأنّه لو كانت صفه أو مجموعه صفات متمايزه و خارجه عن ذاته، لاستلزم ذلك التركيب فى ذاته، و هذا يعنى أنّه يحتاج إلى مجموعه من الصفات. و هذا بطبيعه الحال يتعارض مع ذاته الغنيه.

٣ – التوحيد فى الأفعال

و معناه أنّ كلّ ما يجرى فى العالم إنّما هو من فعل اللّه، و لا شريك له فى أفعاله. فهو الخالق والرازق والمدبّر لكلّ الكَوْن، لايعينه أحد فى أفعاله، و ليس من أحد قادر على إعانته بشىء من ذلك. و هو غنى عن غيره فى خلق العالم و إداره شؤونه. و هكذا الحال أيضاً فى إرسال الأنبياء و تشريع الدّين. و كلّ شىء خاضع لقدرته. و هو تعالى المؤثّر الوحيد فى أعمال عباده، و لا أحد غيره يؤثّر فيها. و لهذا ينبغى أن يتوجّه إليه المؤمنون فى أعمالهم: (وَ قُلِ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِى الْمُلْكِ وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِىٌّ مِنَ الذُّلِّ وَ كَبِّرْهُ تَكْبِيراً) .(١)

كما أنّ من تصرّفوا فى عالم الوجود من الأنبياء عليهم السلام بإذن اللّه فى مواقف خاصّه، كالنبى عيسى عليه السلام الذى صنع من الطين طيراً أو أحيا نفساً ميته،(٢) و غير ذلك، إنّما كان ذلك بإذن اللّه، و لم تكن لهم استقلاليه فى فعلهم. والتوحيد فى الأفعال لايعنى طبعاً أن لا أحد يستطيع القيام بعمل فى عالم الوجود؛ لأنَّ الناس يقومون فى كلّ يوم بما لايُحصى من الأعمال، كما أنّ هناك منهم من يفعل ذلك إلحاداً و من غير اعتقاد بخالق العالم و مدبّره. إنّ التوحيد فى الأفعال معناه التمسّك بالاعتقاد بأنَّ كلّ شىء فى الوجود خاضع لربوبيه اللّه، و لا شىء يقع خارج أمره. و على هذا الأساس فإنّ الموحّد يعتبر نفسه ملزماً بأداء أعماله فى سياق مشيئه اللّه، و بالتوكّل عليه والإستعانه به.

١- سوره الإسراء (١٧)، الآيه ١١١.

٢- – سوره آل عمران (٣)، الآيه ۴٩.

۴ – التوحید فی العباده

فی الرؤیه التوحیدیه – إضافه إلی الإیمان بوحدانیه اللّه فی الذات، والصفات، والأفعال – یجب الخضوع له وحده، والامتثال لأمره، وعبادته وحده. و هذا هو ما یُسمّی بتوحیده فی العباده. والتوحید فی العباده هو آخر مراحل معرفه اللّه، و أدقّ درجات الإیمان والعبودیه. فقد یکون المرء موحّداً فی رؤیته، و لکنّه مشرک فی فعله وسلوکه.

فإبلیس کان علی الصعید النظری یحمل نظره توحیدیه، و یؤمن بوحدانیه مبدیء الوجود، و یعلن عن براءته فی یوم القیامه من شرک المشرکین و کفر الکافرین،(۱) و لکنّه عصی أمر ربّه فخرج بذلک من صفوف الموحّدین.

إنّ العباده خاصه باللّه، و لیس لأحبّ عباد اللّه إلیه نصیب من هذه العباده، بل هم أیضاً یتعیّن علیهم عباده اللّه. و انطلاقاً من هذا فقد لفت القرآن الأنظار إلی هذه القضیه بشأن الأنبیاء، و هی أنّ إنزال الکتب السماویه علیهم، وجعلهم حکّاماً بین الناس، و إعطاءهم منصب النبوّه، لایبیح لهم أبداً أن یأمروا الناس بالعبودیه لهم إلی جانب عباده اللّه: (ما کانَ لِبَشَرٍ أَنْ یُؤْتِیَهُ اللّهُ الْکِتابَ وَ الْحُکْمَ وَ النُّبُوَّهَ ثُمَّ یَقُولَ لِلنّاسِ کُونُوا عِباداً لِی مِنْ دُونِ اللّهِ وَ لکِنْ کُونُوا رَبّانِیِّینَ...) .(۲)

جاء فی بیان شأن نزول هذه الآیه أنّ أبا رافع القرظی الیهودی، جاء برفقه رئیس وفد نصاری نجران إلی رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم و قالوا له: أترید یا محمد أن نعبدک و نتّخذک إلهاً؟ فقال:

معاذ اللّه أن أعبد غیر اللّه أو آمر بعباده غیر اللّه، ما بذلک بعثنی و لا بذلک أمرنی».(۳)

ربّما تکون الآیه بشأن النصاری الذین قالوا بأُلوهیه عیسی علیه السلام، کما ورد ذلک فی تفسیر علی بن إبراهیم القُمّی: إنّ عیسی لم یقل للناس إنّی خلقتکم فکونوا عباداً لی من دون اللّه، و لکن قال لهم: کونوا ربّانیین.(۴)

۱– – سوره ابراهیم (۱۴)، الآیه ۲۲.

۲– سوره آل عمران (۳)، الآیه ۷۹.

۳– الواحدی، اسباب النزول، ص ۸۰ و ایضاً: الطبرسی، مجمع البیان، ج ۱، ص ۴۶۶، ذیل الآیه.

۴– علی بن ابراهیم القُمّی، تفسیر القُمّی، ج ۱، ص ۱۰۶.

لقد نهى القرآن صراحه عن اتخاذ الأنبياء أرباباً: (وَ لا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَهَ وَ النَّبِيِّينَ أَرْباباً أَ يَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) .(۱)

عند إلقاء نظره إجماليه على آيات القرآن الكريم تتضح أمامنا هذه الحقيقه، و هى أنّ دعوه الأنبياء تركّز بشكل أساسى على توحيد اللّه، و توحيده فى العباده معناه اجتناب الشرك و إطاعه اللّه وحده، و خشيته: (قالَ يا قَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ * أَنِ اعْبُدُوا اللّهَ وَ اتَّقُوهُ وَ أَطِيعُونِ) .(۲)

إنّ التوحيد يعنى محاربه الآلهه المزيّفه والأصنام المُنتحله التى وضعها الطغاه للناس بهدف استعبادهم. (... أَ تَتَّخِذُ أَصْناماً آلِهَهً...) .(۳)

يمكن القول بإيجاز: إنّ هدف الأنبياء هو نشر توحيد اللّه فى العباده و محاربه منتحلى الأُلوهيه من دون اللّه: (وَ سْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنا أَ جَعَلْنا مِنْ دُونِ الرَّحْمنِ آلِهَهً يُعْبَدُونَ) .(۴)

هناك فى عالم الوجود أُناس و كائنات لهم مكانه مرموقه، و منزله مقرّبه عند اللّه، و قد جعل اللّه لهم مكانه كريمه بين الناس، و دعاهم إلى احترامهم وتكريمهم. و لعلّ هذه المكانه تبلغ أحياناً حدّ الأمر بالإيمان بهم مع التهديد بشديد العقاب لمن يكفر بهم. و رغم كل ذلك فإنّ تكريمهم واحترامهم لاينبغى أن يبلغ مرحله عبادتهم، فهذا يتنافى مع التوحيد. و يجب أن يكون تكريمهم و حتى التوسّل بهم فى الحدّ الذى أذن به اللّه. و قد كشف القرآن الكريم و عند حديثه عن أهل الكتاب و ما كانوا يطلقونه من تقوّلات اعتباطيه بشأن أنبيائهم، عنّفهم على غلوّهم فيهم و قولهم غير الحق بشأنهم، وجعلهم فى مكانه أعلى ممّا أراد اللّه لهم:

(يا أَهْلَ الْكِتابِ لا تَغْلُوا فِى دِينِكُمْ وَ لا تَقُولُوا عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَ كَلِمَتُهُ أَلْقاها إِلى مَرْيَمَ وَ رُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللّهِ وَ رُسُلِهِ وَ لا تَقُولُوا ثَلاثَهٌ انْتَهُوا خَيْراً لَكُمْ إِنَّمَا اللّهُ إِلهٌ واحِدٌ سُبْحانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ...) .(۵)

۱- سوره آل عمران (۳)، الآيه ۸۰.

۲- سوره نوح (۷۱)، الآيتان ۲ و ۳.

۳- سوره الأنعام (۶)، الآيه ۷۴.

۴- سوره الزخرف (۴۳)، الآيه ۴۵.

۵- سوره النساء (۴)، الآيه ۱۷۱.

جاء فی روایه أنّ رجلًا جاء إلی رسول اللّه و قال له: یا رسول اللّه، نسلّم علیک کما یُسلّم بعضنا علی بعض؟ أفلا نسجد لک؟ فقال: لاینبغی أن یُسجد لأحد من دون اللّه، و لکن أکرموا نبیّکم واعرفوا الحق لأهله».(۱)

لقد کان الأنبیاء والأولیاء مطیعون للّه أکثر من غیرهم، و کانوا فی هذا المضمار مثالاً و قدوه یحتذی بهم الناس. و کانوا یصفون أنفسهم بأنهم عباد للّه، و یفتخرون بذلک. و کان الأنبیاء یحذرون أشد الحذر من أن یقول فیهم الناس بأکثر مما یتّصفون به، و کانوا یجتنبون؛ بل و یتبرّأون من أی عمل یضعف نوازع التوحید فی نفوس الناس، و یعود علیهم ولو بشائبه من شوائب الشرک.

روی عن أمیرالمؤمنین علیه السلام أنه قال: «یهلک فیَّ اثنان و لا ذنب لی: مُحبّ مفرط، و مبغض مفرّط. و إنا لنبرأ إلی اللّه عزّوجلّ ممّن یغلو فینا فَیرفعَنا فوق حدّنا کبراءه عیسی ابن مریم علیه السلام من النصاری. قال اللّه عزّوجلّ: (وَ إِذْ قالَ اللّهُ یا عِیسَی ابْنَ مَرْیَمَ أَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنّاسِ اتَّخِذُونِی وَ أُمِّی إِلهَیْنِ مِنْ دُونِ اللّهِ...) و قال عزّوجلّ: (لَنْ یَسْتَنْکِفَ الْمَسِیحُ أَنْ یَکُونَ عَبْداً لِلّهِ) . و قال أیضاً: (مَا الْمَسِیحُ ابْنُ مَرْیَمَ إِلاّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَ أُمُّهُ صِدِّیقَهٌ کانا یَأْکُلانِ الطَّعامَ) . فمن ادّعی للأنبیاء ربوبیه أو ادّعی للأئمه ربوبیه أو نبوّه، أو لغیر الأئمه إمامهً، فنحن براء منه فی الدنیا والآخره».(۲)

و خلاصه الکلام: إنّ التوحید فی العباده علی قدر عظیم من الأهمیه، بحیث إنّ اللّه عزّوجلّ أوصی به و أکد علیه فی آیات عدیده من القرآن الکریم، و حذّر عباده من عصیان أمره واتخاذ إله آخر بدلاً منه. لقد بیّنت الآیات المعیار الذی یُعرف به المعبود الحقیقی الذی یمکن للناس عبادته علی أساس الإدراک الصحیح والفهم السلیم، و من ذلک أن یکون بیده الخلق والرزق، و أفعال العباد، و إجابه دعوه المضطرین، وهدایه العباد، والرحمه، والقدره علی الخلق الأول، والإماته والبعث.(۳)

۱- المجلسی، بحارالأنوار، ج ۲۵، ص ۲۶۲.

۲- المصدر السابق، ج ۲۵، ص ۱۳۴ و ۱۳۵، الحدیث ۶؛ و ص ۲۷۲، الحدیث ۱۷.

۳- سوره النمل (۲۷)، الآیات ۶۰-۶۵.

نظام فعل اللّه

أفعال اللّه رهينه بإرادته. فمتى ما أراد لشيء أن يكون فإنه يكون و يتحقق فى عالم الوجود: (... وَ إِذا قَضى أَمْراً فَإِنَّما يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) . (۱) فلو شاءت إراده اللّه تحقق شيءٍ لايمنعها مانع، و كل ما يقع إنّما يقع بإذنه و إرادته: (وَ الْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَباتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ...) ، (۲)(وَ ما هُمْ بِضارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاّ بِإِذْنِ اللّهِ...) ، (۳)(وَ ما كانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاّ بِإِذْنِ اللّهِ كِتاباً مُؤَجَّلاً...) ، (۴)(ما أَصابَ مِنْ مُصِيبَهٍ إِلاّ بِإِذْنِ اللّهِ وَ مَنْ يُؤْمِنْ بِاللّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ...) .(۵)

لايستعين اللّه بشيء على تحقيق مشيئته، و لا شيء يثنيه عن تحقيق إرادته. و فعله فى إيجاد العالم لايتجاوز لحظه واحده: (وَ ما أَمْرُنا إِلاّ واحِدَهٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ) . (۶) و فعله عزّوجلّ لايقتصر على خلق المخلوق و تركه، و إنّما يتولى تدبير شؤونه لحظه بَعد أُخرى:

(ذلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمْ لا إِلهَ إِلاّ هُوَ خالِقُ كُلِّ شَيْ ءٍ فَاعْبُدُوهُ وَ هُوَ عَلى كُلِّ شَيْ ءٍ وَكِيلٌ) . (۷) فى الرؤيه التوحيديه تخضع جميع الأُمور فى العالم لمشيئه اللّه، و لايتحقق شيء منه بدون إرادته، بل حتى أفعال العباد كذلك (وَ ما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَ لكِنَّ اللّهَ رَمى...) .(۸)

و فعل اللّه محيط بكل شيء بما فى ذلك الأسباب والعلل، و هى لاتؤثر إلّاأن يشاء اللّه.

و رغم أنّ العلّه علّه، غير أنّ موجدها هو اللّه و لا استقلاليه لها. و هذا ما يجعل كل شيء مرجعه إلى اللّه. و مع أنّ الكلام يدور أحياناً حول العلل الماديه و غيرها، أو حول الموكلين

۱- – سوره البقره (۲)، الآيه ۱۱۷.

۲- – سوره الأعراف (۷)، الآيه ۵۸.

۳- سوره البقره (۲)، الآيه ۱۰۲.

۴- – سوره آل عمران (۳)، الآيه ۱۴۵.

۵- سوره التغابن (۶۴)، الآيه ۱۱.

۶- – سوره القمر (۵۴)، الآيه ۵۰.

۷- – سوره الأنعام (۶)، الآيه ۱۰۲.

۸- سوره الأنفال (۸)، الآيه ۱۷.

بإداره شؤون هذا العالم كقوله تعالى: (قُلْ يَتَوَفّاكُمْ مَلَكَ الْمَوْتِ الَّذِى وُكِّلَ بِكَمْ...) (۱)

و لكن فى الوقت ذاته يُنسب هذا العمل إلى اللّه: (اللّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِها...) .(۲)

دور الموَكَّلين

جاء فى الآيات والروايات ذكر موجودات باسم الملائكه، و هم يقومون بما يفوّضه اللّه إليهم من أعمال. فجبرائيل مكلّف بإبلاغ الوحى من اللّه: (قُلْ مَنْ كانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللّهِ...) . (۳) و ميكائيل يتولّى الأرزاق، و إسرافيل ينفخ فى الصور و يتكفّل بمهمه إحياء الأموات يوم القيامه، و عزرائيل يقبض الأرواح: (قُلْ يَتَوَفّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ) .(۴)

و هناك ملائكه يدورون حول عرش اللّه و يذكرونه و يسبّحونه: (وَ تَرَى الْمَلائِكَهَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ) . (۵) والملائكه لايرتكبون إثماً أو معصيه:

(لا يَعْصُونَ اللّهَ ما أَمَرَهُمْ وَ يَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ) .(۶)

إنّ اللّه عزّوجلّ يتولى شؤون العالم بنفسه، و لكنه يسيّرها بأسبابها و عللها. و هناك موكَّلون - سواء من الموجودات المادّيه أو المجرّده - يؤدون ما يوكل إليهم من أعمال، و لكن ذلك كُلّه يجرى بإذن اللّه. و هذا عين التوحيد.

اللّوح المحفوظ و لوح المحو والإثبات

فى إداره شؤون العالم هناك نوعان من الألواح والصحف التى تسجّل فيها الأعمال، أحدهما اللوح المحفوظ و هو ما لايمكن تغيير ما يسجل فيه، و يأتى وفقاً لعلم اللّه بمجريات الأُمور، والآخر هو لوح المحو والإثبات، و هو ما قد يُسَجَّل فيه شىء، ثم يُمحى لاحقاً بسبب بعض المتغيّرات أو المستجدّات. إنّ اللّه تعالى يدبّر شؤون هذا الكَوْن وفقاً

۱- - سوره السجده (۳۲)، الآيه ۱۱.

۲- سوره الزمر (۳۹)، الآيه ۴۲.

۳- - سوره البقره (۲)، الآيه ۹۷.

۴- سوره السجده (۳۲)، الآيه ۱۱.

۵- - سوره الزمر (۳۹)، الآيه ۷۵.

۶- سوره التحريم (۶۶)، الآيه ۶.

لسننٍ. و هذه السنن تخضع لظروف ومُقتضيات. و فی العالم الإلهی تکون السنن و ظروفها و مقتضیاتها معلومه. و بالنتیجه لایقع فیها تغییر. و هذا هو ما یُسمّی باللوح المحفوظ. أمّا فی مرحله التطبیق فهی تخضع لظروف تبدو فی الظاهر و کأنّها خاضعه للتغییر. و فی هذه الحاله یُقال: إنّ هذا اللّوح یحصل فیه تبدّل وتغییر. فربّما کان من المفترض أن تقع حادثه لشخصٍ و لکنّه یقوم بعمل صالح یمنع اللّه تعالی به وقوعها. و بعباره أُخری إنّ الوقائع والظواهر خاضعه لظروف قد تکون خافیه عن أعین الناظرین الذین لایرون عاده إلّاظواهر الأُمور.

قواعد أفعال اللّه

هل تجری أفعال اللّه وفقاً لقوانین و قواعد، أم تجری بغیر قوانین و لا ـ قواعد؟ و إن کانت أفعاله تجری وفقاً لقواعد مرسومه، فکیف یتناسب هذا مع تدبیره لشؤون الکَوْن لحظه بلحظه، و إدارتها وفقاً لإرادته؟

یُستفاد من الآیات والروایات والأدلّه العقلیه أنّ اللّه تعالی قد خلق العالم و هو الذی یدبّره، و لکنه فی الوقت ذاته یعتمد الأسباب فی أفعاله؛ أی إنّه یجریها وفقاً لسنن و قواعد.

فهناک فی القرآن عدّه آیات تتحدث عن سنن إلهیه. و حذّر فی آیات عدیده أقواماً من سریان السنن والقوانین الکَوْنیه علیهم. (قُلْ لِلَّذِینَ کَفَرُوا إِنْ یَنْتَهُوا یُغْفَرْ لَهُمْ ما قَدْ سَلَفَ وَ إِنْ یَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِینَ) .(۱)

هذا العالم یجری بأسباب و علل، و فی الوقت ذاته فإنّ اللّه هو المدبّر الأصلی لهذا الکون. جاء مثلاً فی القرآن الکریم حول إنزال المطر ما یلی: (اللّهُ الَّذِی یُرْسِلُ الرِّیاحَ فَتُثِیرُ سَحاباً فَیَبْسُطُهُ فِی السَّماءِ کَیْفَ یَشاءُ وَ یَجْعَلُهُ کِسَفاً فَتَرَی الْوَدْقَ یَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ) .(۲)

و من أمثله ذلک أنه عندما یجری الکلام عن إنزال المطر، ینسب اللّه هذا العمل إلی نفسه، و لکن فی الوقت ذاته یحصل ذلک عن طریق إرسال الریاح والغیوم: (وَ أَرْسَلْنَا الرِّیاحَ

۱- راجع: سوره الأنفال (۸)، الآیه ۳۸ و سوره الأحزاب (۳۳)، الآیه ۶۲.

۲- سوره الروم (۳۰)، الآیه ۴۸.

لَواقِحَ فَأَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَسْقَيْناكُمُوهُ وَ ما أَنْتُمْ لَهُ بِخازِنِينَ) .(۱)

و هذا یعنی أنّ کل شیء یجری فی هذا الکَوْن وفقاً لقانون العلیّه، و بما یتماشی مع إراده و تدبیر اللّه.

هدفیه أفعال اللّه

لایمکن افتراض هدف لأفعال اللّه من الجانب الفاعلی؛ أی لایمکن القول: إنّ اللّه فعل هذا الفعل رغبه فی شیء؛ لأنه فی مثل هذه الحاله یظهر و کأنّ هناک شیئاً خارجاً عن ذات اللّه و یرید الحصول علیه. و هذا طبعاً لایتّفق مع غنی اللّه، و لکن لابُدّ و أن یکون هناک هدف لکلّ فعل من أفعاله علی اعتبار أنها صادره من خالق حکیم. و لایمکن أن تکون عبثیه. (وَ ما خَلَقْنَا السَّماءَ وَ الْأَرْضَ وَ ما بَیْنَهُما لاعِبِینَ) . (۲) و هذا یعنی أن لاتأتی أفعاله عن عبث أو تکون خالیه من هدف: (وَ هُوَ الَّذِی خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ... وَ هُوَ الْحَکِیمُ الْخَبِیرُ) .(۳)

مشیئه اللّه

لقد خلق اللّه المشیئه قبل أن یخلق الأشیاء. ثم إنّ جمیع الوقائع والأحداث فی العالم رهینه بمشیئه اللّه. روی عن الإمام الصادق علیه السلام أنه قال: «خلق اللّهُ المشیَّهَ قبل الأشیاء ثم خلق الأشیاءَ بالمشیَّه»(۴) و هذا یعنی أنّ أفعال اللّه تأتی وفقاً لتخطیط، و هذا التخطیط هو الذی یتحقق و یظهر إلی العالم الخارجی.

القضاء والقدر

اشاره

القضاء فی اللغه: بمعنی الفصل والبتّ. و تستعمل هذه الکلمه بکثره فی حالات التحکیم؛ لأَنَّ الاختلافات یُبتّ فیها بواسطه القضاء، و لکن عندما تأتی کلمه القضاء مقرونه

۱- سوره الحجر (۱۵)، الآیه ۲۲.

۲- – سوره الأنبیاء (۲۱)، الآیه ۱۶.

۳- سوره الأنعام (۶)، الآیه ۷۳.

۴- – الصدوق، التوحید، ص ۳۳۹، الحدیث ۸.

مع كلمه القدر، فهی لاتأتی بمعنی الحُكم. كلمه القضاء فی القرآن تعنی الإلزام والتشريع(۱)

تـاره، و بمعنی الحكميه والتحكيم تاره أُخری.(۲) و بمعنی الظروف والعلـل فی موارد أُخری،(۳) كمـا تأتی أيضاً بمعنی الانتهاء والإتمام.(۴) و أكثر ما ورد اسـتعمال هـذه الكلمه و مشـتقّاتها فی القرآن بمعنی القطع والبتّ (وَ إِذا قَضـی أَمْراً فَإِنَّما يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) . (۵)(... وَ لَوْ لا كَلِمَهٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِیَ بَيْنَهُمْ...) . (۶) والقضاء الإلهی يعنی البتّ فی أمر من قبل اللّه.

و أمّا كلمه القـدر: فتعنی الكميه والقياس. والقَـدَر الإلهی بمعنی حـدود الأشـياء بالنسـبه إلی ذات اللّه (وَ خَلَقَ كُلَّ شَـیْ ءٍ فَقَـدَّرَهُ تَقْدِيراً) . (۷) جاء فی روايه عن الإمام الكاظم عليه السـلام قال فيها: القـدر تقدير الشـیء من طوله و عرضه، والقضاء الإمضاء(۸) والفارق بين القضاء والقـدر هو أنّ القـدر تهيئه المقدّمات، و توفيرها، و أمّا القضاء فهو العلّه التامّه لحصول الأشـياء، و يفيد معنی حتميّه وقوعها. و مثل هذا التقدير يشـمل كلّ شـیء(۹) و ظواهر خاصّه كالشـمس(۱۰) والقمر(۱۱) و نزول المطر(۱۲) و غيرها، كما يشـمل أيضاً أفعال الإنسان و حوادث العالم. والتقـدير هو قدر كل شـیء جعله اللّه لها. والتقدير له مقدّمات، و من المحتمل أن يتغيّر فيما إذا تغيّرت المقدّمات. نذكر من ذلك مثالاً: إنّ الصدقه، والدعاء، والإحسان، و صـله الرحم توجب إحداث تغييرات فی التقدير. و مرتبه التقدير سابقه لمرتبه القضاء.

و كل عمل يُقاس فی البدايه وتُعيّن مقاديره ثم يُتخذ القرار النهائی بشأنه.

إنّ القضـاء والقـدر كمـا - جـاء فی الروايـات - طريق مظلم و بحر عميق لايـنبغی الغوص فيه. نقل الصـدوق رحمه الله روايه عن أميرالمؤمنين عليه السلام جاء فيها: أنّ رجلاً جاءه وسأله عن القدر.

فقال له الإمام: بحر عميق فلا تلجه. قال: يا أميرالمؤمنين أخبرنی عن القدر، قال عليه السلام: طريق

۱- - سوره الإسراء (۱۷)، الآيه ۲۳.

۲- - سوره غافر (۴۰)، الآيه ۲۰.

۳- - سوره البقره (۲)، الآيه ۱۱۷.

۴- سوره القصص (۲۸)، الآيه ۲۹.

۵- - سوره البقره (۲)، الآيه ۱۱۷.

۶- سوره هود (۱۱)، الآيه ۱۱۰.

۷- - سوره الفرقان (۲۵)، الآيه ۲.

۸- - الكُلينی، الكافی، ج ۱، ص ۱۵۰، الحديث ۱.

۹- - سوره القمر (۵۴)، الآيه ۴۹.

۱۰- - سوره يس (۳۶)، الآيه ۳۸.

۱۱- سوره يس (۳۶)، الآيه ۳۹.

۱۲- سوره المؤمنون (۲۳)، الآیه ۱۸.

مظلم فلا تسلكه. قال: يا أميرالمؤمنين أخبرنى عن القدر. قال عليه السلام: سرّ اللّه فلا تَكَلّفه.(۱)

يمكن القول بشكل عام: إن اللّه وضع خطّه لعباده حسب مشيئته اسمها القدر. وجعل لهم مقدّرات تتناسب مع روح وجسم كل واحد منهم؛ ليفهموا كيف يتدبّرون أمرهم، و يعلموا أنهم ليسوا خارج دائره الإراده الإلهيه.

روى عن الإمام السجّاد عليه السلام أنه قال: إنّ القدر والعمل بمنزله الروح والجسد، فالروح بغير جسد لاتحسّ، والجسد بغير روح صوره لا حراك بها، فإذا اجتمعا قَوِيا و صَلُحا، و كذلك العمل والقدر، فلو لم يكن القدر واقعاً على العمل لم يُعرف الخالق من المخلوق، و كان القدر شيئاً لايُحسّ، ولو لم يكن العمل بموافقه من القدر لم يمض و لم يتم، و لكنهما باجتماعهما قويا.(۲)

يتعلق كل من القضاء والقدر بالعلم الإلهى المسبق بالأشياء. والعلم الإلهى إن كان يخصّ وجود و ظهور الأشياء فهو قضاء، و إن كان يتعلق بحدودها و مقاديرها فهو قدر. و وفقاً لهذا المعنى، فإنَّ كل ما ينبغى أن يقع فى العالم يقع و لامناص منه.

و أعمال الإنسان غير مستثناه من هذه القاعده. و من هنا تأتى شبهه مفادها: أنّ الإنسان مجبور فى أفعاله و لا إراده له.

جاء فى كتاب الكافى أنّ أميرالمؤمنين عليه السلام كان جالساً بالكوفه بَعد منصرفه من صفّين، إذ أقبل شيخ فجثا بين يديه، ثم قال له: يا أميرالمؤمنين، أخبرنا عن مسيرنا إلى أهل الشام أبقضاء من اللّه و قدر؟ فقال أميرالمؤمنين عليه السلام: أجل يا شيخ، ما علوتم تلعه و لاهبطتم بطن وادٍ إلّابقضاء من اللّه و قدر، فقال له الشيخ: عند اللّه أحتسب عنائى يا أميرالمؤمنين؟ فقال له أميرالمؤمنين: مع مَن يا شيخ! فواللّه لقد عظم اللّه الأجر فى مسيركم و أنتم سائرون، و فى مقامكم و أنتم مقيمون، و فى منصرفكم و أنتم منصرفون، و لم تكونوا فى شىء من حالاتكم مكرهين و لا إليه مضطرين. و كان بالقضاء والقدر مسيرنا و منقلبنا و منصرفنا؟ فقال له:

و تظن أنه كان قضاء حتماً و قدراً لازماً؟ إنه لو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب، والأمر

۱- الصدوق، التوحيد، ص ۳۶۵، الحديث ۳.

۲- الصدوق، التوحيد، ص ۳۶۶ و ۳۶۷، الحديث ۴.

والنهی، والزجر من اللّه، وسقط معنی الوعد والوعید، فلم تکن لائمه للمذنب و لا محمده للمحسن، و لکان المذنب أوْلی بالإحسان من المحسن، و لکان المحسن أوْلی بالعقوبه من المذنب، تلک مقاله إخوان عبده الأوثان وخصماء الرحمن و حزب الشیطان و قدریه هذه الأُمه و مجوسها. إنّ اللّه تبارک و تعالی کلّف تخییراً، و نهی تحذیراً، و أعطی علی القلیل کثیراً، و لم یعص مغلوباً و لم یطع مکرهاً، و لم یملک مفوضاً و لم یخلق السماوات والأرض و ما بینهما باطلاً، و لم یبعث النبیین مبشرین و منذرین عبثاً، ذلک ظنّ الذین کفروا.(۱)

هل یمکن تغییر القدر؟

إن کان القدر الإلهی حتمیّاً و لابُدّ من وقوع ما کان قد رسمه اللّه، فما فائده الدعوه إلی أعمال الخیر کالصدقه والدعاء، و ما تأثیر ذلک فی العالم؟ و إن کان التقدیر الإلهی واقعاً لامحاله، فلا ینبغی أن یمدّ المرء یده بالدعاء؟ جاء فی القرآن الکریم: (یَمْحُوا اللّهُ ما یَشاءُ وَ یُثْبِتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْکِتابِ) . (۲) یُستفاد من هذه الآیه أنّ اللّه قد یغیّر مقدّرات العالم والناس، فقد جاء حول قوم النبیّ یونس علیه السلام ما یلی: (فَلَوْ لا کانَتْ قَرْیَهٌ آمَنَتْ فَنَفَعَها إِیمانُها إِلّا قَوْمَ یُونُسَ لَمّا آمَنُوا کَشَفْنا عَنْهُمْ عَذابَ الْخِزْیِ فِی الْحَیاهِ الدُّنْیا وَ مَتَّعْناهُمْ إِلی حِینٍ) . (۳) و یفهم علی أساس هذه الآیه أنّ قوم یونس علیه السلام کانوا قد حکم علیهم بالعذاب، و لکنّهم دفعوا العذاب الإلهی عن أنفسهم بالتوبه. فمثل هذا التغییر الظاهری یفید أنّ ما فُهم حسب الظاهر أنّه قضاء لم یکن قضاءً منذ البدایه، و أنّ التغییر الذی حصل کان مرسوماً منذ البدایه. و مثله فی ذلک کمثل تحذیرات الأب لابنه أو المعلم للتلمیذ من عدم النجاح! وسیکون مصیرک الفشل! و هذه التحذیرات للابن و للتلمیذ هدفها الحث علی الدراسه و لیس الإخبار عن حتمیّه الفشل.

إنّ حتمیّه التقدیر بشأن الإنسان تتوقف علی ظروف وأُمور أُخری أیضاً، منها الاختیار المتاح له؛ أی إنّ القضاء الحتمی یتقرر من قبل اللّه و من قبل صاحب الاختیار کالإنسان.

۱- الکُلینی، الکافی، ج ۱، ص ۱۵۵، الحدیث ۱.

۲- - سوره الرعد (۱۳)، الآیه ۳۹.

۳- - سوره یونس (۱۰)، الآیه ۹۸.

من ذلك مثلاً- إنّ قوم يونس عليه السلام كان قد حكم عليهم بالعذاب حسب الظاهر، و لكنهم لم يصرّوا على التمسّك بالظروف التى خلقوها، ولو أنهم كانوا قد قطعوا بما عزموا عليه لكان قد جرى عليهم القضاء المحتّم. و هذا يعنى أنّ وعيد اللّه بعذاب الكافرين والمذنبين والمكذّبين باللّه والمعاد قد يتغير - إذا غير العباد ما بأنفسهم - و ينجون من العذاب.

هل الإنسان مجبر؟

إنّ عزم الإنسان على شىء ثم نقضه لِما عزم عليه، و ما يستجد لديه من تحوّلات فكريه وسلوكيه، و ما يعرض فى عالم الوجود من متغيّرات و منعطفات بشأن الإنسان، يدلّ على أنّ الإنسان حرّ مختار، و هو يقدم بإرادته على ما هو حسن أو قبيح من الأعمال.

و رغم هذا الواقع، هناك سؤال حول مدى اختيار الإنسان، و هو: إن كان اللّه قد قدّر فى علمه وقوع شىء، فلابّد أن يقع. و إن لم يقع فهو خلاف لعلم اللّه. و من جانب آخر، إنّ كل ما يقع فى العالم هو من تقدير اللّه و بقدرته. و مع أنّ تحقيق الإراده الإلهيه يأتى عن طريق أسباب، بيد أنّ ذلك يمثل فى نهايه الأمر: إراده اللّه، و لايمكن أن يجرى ذلك لولاها. و فى ضوء هاتين المقدّمتين، أيمكن القول بَعد ذلك: إنَّ الإنسان موجود مختار؟

إن كان ما سلف من علم اللّه هو الذى خلق كل شىء و من جمله ذلك الإنسان، فهذا شىء لاريب فيه. إذ من غير الممكن خلق شىء من غير علم حتى و إن كان صغيراً، فما بالك بهذا الكَوْن الهائل الذى نعيش فيه. و من الطبيعى أنّ خلق موجود عظيم كالإنسان يدخل ضمن هذه القاعده، و لكن هل العلم يوجب الجبر فى سلوك الإنسان، فهذا موضع تأمل. فإن كان علم اللّه لايتغيّر فلابّد أن تتحقق الحادثه المقرره فى علم اللّه، و إلّافمعنى ذلك أنّ علم اللّه يصبح فى مرحله التطبيق جهلاً، و لكن ينبغى الالتفات إلى أنّ علم اللّه لايعنى أنّ الإراده الإلهيه قد قررت مسبقاً أن يكون بنو الإنسان مجرّد آلات مسيّره و لا إراده لهم، مثل أيه قطعه من قطع السياره التى تتحرك بسبب حركه القطع الأُخرى، و لكن الإنسان ليس على هذه الشاكله. فهو منذ أن جُبلت طينته الأُولى أودع اللّه فيه المقدره على أن يكون ذا تصميم و إراده.

و رغم أنّ الإنسان يعيش كالموجودات الأخرى فى سياق القوانين الخاصّه الساريه فى هذا العالم و لايمكنه الخروج من سلطتها، و لكنه رغم ذلك تابع لتكوينه الذاتى. فقد أودعت فى الإنسان قدره على اتخاذ القرار، والتراجع عنه، واختيار واحد من عدّه خيارات، و بَعد الاختيار يمكنه إعاده النظر فى ما وقع اختياره عليه.

و بعباره أُخرى: جُبل الإنسان وفقاً لعلم اللّه الأزلى على القدره على اتخاذ القرار، و على العزم والإراده مع إعاده النظر فى ما عزم عليه. فالإنسان لايستطيع التحرّك خارج دائره نظام الوجود، بحيث يستطيع فعل كل ما يشاء من غير أن تحدّه قيود، و لا هو مسلوب الإراده بحيث يمكن تسييره كما يُسيّر الحجر.

و عمل الإنسان معلول لإرادته واختياره، رغم أنّ إرادته جزء من عالم الوجود، و كل نظام رهين بإراده اللّه الأزليه.

إنّ قضاء اللّه حتمى لاتبديل له، و لكن ليس من الواضح ما هو المصير الذى يؤول إليه كل موجود. و رغم أنّ قضاء اللّه حتمى، و لكن بما أنّ التقديرات خاضعه لمختلف علل عالم الطبيعه، و هذه العلل غير معدوده بحيث يمكن القول: إنَّ حادثه معيّنه ستقع بفعل تأثير عامل أو عدّه عوامل. فكل ظاهره فى الوجود، خاضعه لعللها و أسبابها، و قد تكون لها أنواع من العلل والأسباب. و وقوع الحادثه الواحده لايمكن عزوه إلى سبب واحد أو عدّه أسباب.

و قد تكون للحادثه عدّه أنواع من العلل الناقصه غير المعروفه؛ أى أن يكون للمقادير المتفاوته تأثيرها فى تكوينها و إيجادها. فقضاء اللّه فى وقوع الحادثه حتمى و لكن تقديره ليس كذلك؛ أى لابُدّ من تظافر الأقدار لوقوع أمرٍ ما، و عندما تتحقق كلها تقع الحادثه، ويُعرف حينذاك أنّ القضاء الإلهى أراد لها الوقوع. و لعلّ هذا هو ما يُفسِّر لنا ما فعله أميرالمؤمنين عليه السلام حين قام من تحت الحائط المائل، حيث نُقل أنه كان جالساً إلى جانب حائط مائل فنهض من هناك. فقيل له: أتفرّ من قضاء اللّه؟ قال: أفر من قضاء اللّه إلى قدر اللّه عزّوجلّ.(۱) فسقوط الحائط كان قضاءً محتماً، و هو الذى جعله يفرّ منه.

۱- الصدوق، التوحيد، ص ۳۶۹، الحديث ۸.

و على هذا الأساس فإنَّ كل ما يقع يقع، بقضاء اللّه: (ما أَصابَ مِنْ مُصِيبَهٍ إِلاّ بِإِذْنِ اللّهِ) .(۱)

إنّ الإنسان محيط بأفعاله، و هو إذا أراد شيئاً و فعله تتحقق إرادته، وتقع الحادثه.

والحقيقه هى أنّ إراده الإنسـان تشـكّل أيضـاً جزءاً من قضـاء اللّه و قـدره. و أمّـا علم اللّه الأـزلى بالأُمور فهو علمه بالنظام، و من جمله النظام صدور الأفعال من الفاعل المختار.

الواقع يظهر لنـا بكـل جلاء أنّ القضاء والقـدر لايُجبران الإنسان على شـىء. فلو كان الإنسان – بموجب القضاء والقـدر – مجبوراً على فعل شـىءٍ، لَما أنزل اللّه كل هذه الآيات، و لما دعا إلى الإيمان والعمل الصالح، و لما حذّر من جهنّم وعذابها. فقد ورد فى القرآن الكثير من التحـذير لبنى الإنسان، كما ورد فيه الكثير من البشائر. و هذا ما يدّل بكل وضوح على أنّ للإنسان دوراً أساسـياً فى رسم وصياغه مصيره: (ذلِكَ بِأَنَّ اللّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِعْمَهً أَنْعَمَها عَلى قَوْمٍ حَتّى يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ...) ، (۲)(إِنّا خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ نُطْفَهٍ أَمْشاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْناهُ سَمِيعاً بَصِيراً * إِنّا هَدَيْناهُ السَّبِيلَ إِمّا شاكِراً وَ إِمّا كَفُوراً) .(۳)

لا جبر و لا تفويض

إذا كـان اللّه لايجبر العبـاد على فعـل شـىءٍ معين، فهو تعـالى مع ذلـك لايُفوّض إليهم كل شـىء. فالكَوْن و كل ما فيه – و منه الإنسان – خاضع لتـدبير اللّه، و لكن هـذا التـدبير ليس على النحو الـذى يجعلهم مسيّرين لا إراده لهم. و إنّما أفعال العباد تجرى بإرادتهم، و كذلك بإراده و قدره اللّه. أى أنّ إراده العبد تقع فى طول إراده اللّه.

ورد فى حديث شريف: «لا جبرَ و لا تفويضَ و لكن أمرٌ بَينَ أمرين.».(۴) حقيقه الجبر هى إرغام العبد على فعل شىء من غير أن تكون له فيه إراده. و حقيقه التفويض هى أنّ اللّه غير قـادر على التأثير فى عمل الإنسان، أى أنّ الإنسان متروك و شأنه. فى حين أنّ الواقع

۱- سوره التغابن (۶۴)، الآيه ۱۱.

۲- – سوره الأنفال (۸)، الآيه ۵۳.

۳- سوره الإنسان (۷۶)، الآيتان ۲ و ۳.

۴- – الكُلينى، الكافى، ج ۱، ص ۱۶۰، الحديث ۱۳؛ الصدوق، التوحيد، ص ۳۶۲، الحديث ۸.

ينمّ عن شيء آخر. فبالتزامن مع عزم الإنسان على فعل شيء، هناك أيضاً إراده اللّه التى لها تأثيرها فى فعل الإنسان. والدليل على وجود إراده الإنسان هو قدرته على ترك ذلك العمل.

و أمّا الدليل على وجود و تأثير إراده اللّه فهو أنّ الإنسان كثيراً ما يعزم على القيام بعملٍ، و لكن تحصل موانع تثنيه عن تنفيذ إرادته. و هذا ما يكشف عن وجود إراده أُخرى فوق إراده الإنسان. و هو ما يعبر عنه أميرالمؤمنين عليه السلام بقوله: «عرفتُ اللّهَ سبحانه بفسخ العزائم و حلّ العقود و نقض الهِمَم».(۱) فلو لم تكن هناك إراده أُخرى، لماذا لاتتحقق كل رغبات الإنسان و إراداته؟ و فى هذا السياق ورد حديث نقله الإمام الصادق عليه السلام عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم حول أفعال العباد و مشيئه اللّه، قال فيه ما يلى: «مَن زَعَمَ انّ اللهَ يأمرُ بالسُوءِ والفَحْشاءِ فَقَد كَذَبَ عَلَى اللّهِ، وَ مَنْ زَعَمَ انّ الخيرَ والشرَّ بِغَيرِ مشيّهِ اللّهِ فَقَدْ اخْرَجَ اللّهَ من سُلطانِهِ، وَ من زَعَم انَّ المعاصِىَ بغيرِ قوّهِ اللّهِ فقد كَذَبَ على اللّهِ، وَ مَن كَذَبَ عَلَى اللّهِ ادْخَلَهُ اللّهُ النّارَ».(۲)

الإيمان بالقضاء والقدر

الإيمان بالقضاء والقدر من المعتقدات الإسلاميه. فقد روى أميرالمؤمنين عليه السلام عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم: «مَن لم يَرْضَ بقَضائى و لم يؤمِنْ بقَدَرى فَلْيلتمس الهاً غَيرى».(۳) و فى الوقت ذاته قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم: «فى كلِّ قضاءِ اللّهِ خيرٌ للمؤمن».(۴)

للإيمان بالقضاء والقدر صوره ظاهره و هى عباره عن الاعتقاد بأن كل ما يقع للناس فى هذا العالم يأتى بقضاء اللّه و قدره، و لايقع فيه إلّاما قدّره اللّه: (قُلْ لَنْ يُصِيبَنا إلّا ما كَتَبَ اللّهُ لَنا هُوَ مَوْلانا) .(۵)

هناك من الناس من يرى فى القضاء والقدر مدعاه للتراخى والتواكل والنكول عن أداء

۱- – الشريف الرضى، نهج البلاغه، الحكمه ۲۵۰، ص ۵۱۱.

۲- الكُلينى، الكافى، ج ۱، ص ۱۵۸، الحديث ۶؛ الصدوق، التوحيد، ص ۳۵۹، الحديث ۲.

۳- – الصدوق، التوحيد، ص ۳۷۱، الحديث ۱۱.

۴- المصدر السابق.

۵- سوره التوبه (۹)، الآيه ۵۱.

الواجبات، والاستسلام للظلم. و هذا طبعاً فهم مغلوط للموضوع؛ لأنه يؤدى إلى الاستسلام للحوادث و عدم القيام بأى جهد للتحرر من الشقاء والظلم.

الملاحظه الأُخرى بشأن عقيده القضاء والقدر هى أنّ الإنسان يجب أن يعلم بأن نظام الكَوْن يسير على قوانين، و لابُدّ لهم من صياغه أفعالهم وفقاً لهذه القوانين، و لايتصورون أنهم متروكون سدىً، و هو ما يعنى بالنتيجه أنهم يستطيعون فعل ما يشاؤون، بل هناك السنن الإلهيه. إنّ القضاء والقدر يبعث فى النفوس الأمل بأن اللّه رقيب على كل ما يجرى فى هذا العالم، و أنه لا مفرّ لأحد من قضاء اللّه، و أنّه يستطيع فعل ما يشاء.

و فى ضوء هذه الرؤيه يسعى الإنسان إلى تحقيق إرادته، و إصلاح الفاسد من الأُمور والقضاء على الظلم من غير أن يشعر بأنه حرّ يفعل ما يشاء.

و لاشكّ فى أنّ التسليم للقضاء والقدر لايعنى أبداً الإحجام عن القيام بأى عمل، انطلاقاً من التصور بأن كل شىء يجرى وفقاً لِما قُدِّر وكُتب من قبل، و هو ما يعنى بالنتيجه أنه مجرّد من التأثير.

الشُرور

هناك الكثير من مظاهر الشر التى تصيب بنى الإنسان كالعاهات، والمرض، والفقر، والوقوع فى البلاء، والوقوع فريسه لظلم الظالمين، والموت، والمصائب الأُخرى، و ما إلى ذلك. و هذه قضيه ذات أهميه كبيره لبنى الإنسان، و تشغل أفكارهم على الدوام. فما هو مصدر كل هذه الحوادث والظواهر المؤلمه والمريره؟ فهل أنّ إراده اللّه قضت أن يعيش الناس فى البأساء والضراء و لايذوقوا طعم السعاده؟

يمكن إخضاع قضيه الشرور للبحث من جانبين: أحدهما أن يُعزى الشر إلى اللّه. و لكن هذا لاينسجم مع ما يتّصف به سبحانه من حكمه وعدل. و أمّا الجانب الثانى فهو هل الفقر والشر والآلام والأمراض من صنع اللّه أم لا؟ فإن كان الجواب نعم، فلأى شىء خلق اللّه هذه الأُمور؟

نحن نشاهد بعض الناس يعيشون فى شقاء و تعاسه و بلاء، بينما يعيش آخرون فى رغد

و نعمه و رفاه و رغم کل ذلک فإنّ بعضاً منهم جاحد لنعم اللّه. فعلی أی شیء یدل وجود مثل هذه الأمور فی العالم؟ و کیف یمکن تبریر وجودها؟ لابُدّ طبعاً من إیجاد تبریر لوجود هذه الشرور فی العالم.

و لغرض تسلیط الضوء علی هذا الموضوع، نبیّن الأُمور التالیه:

۱ – النظام الذی نعیش فیه هو أفضل نظام ممکن لهذه الحیاه، إذ یتجلّی فیه جمال الباری عزّوجلّ. فقد خلق اللّه العالم و جعل لکل شیء ما یتناسب معه: (سَبِّحِ اسْمَ رَبِّکَ الْأَعْلَی * اَلَّذِی خَلَقَ فَسَوّی) . (۱) إذ إنه خلق کل شیء جمیلاً: (الَّذِی أَحْسَنَ کُلَّ شَیْ ءٍ خَلَقَهُ) ، (۲) و هو أحسن الخالقین.(۳) فاللّه جمیل و قد جعل العالم تجلیاً لجماله.

۲ – ما یفعله اللّه یأتی بناءً علی مقتضیات الحکمه. و کل ما یصدر عن الحکیم لا قبح فیه و لا زلل. و بما أنّ الشر شیء غیر صحیح، فهو لاینطوی علی مصلحه ذاتیه، فلا وجه لایجاد الشرّ و العاده.

۳ – الخیر والشر أمران نسبیّان. بمعنی أنّ الشیء عندما یُقاس بشیء آخر، تُستنتج أوجه تفاوت یری الإنسان بعضها خیراً و یعتبر البعض الآخر منها شرّاً. ثم إنّ الحدیث عن الشرور لایکون إلّافی المواضع التی یُرتجی فیها خیر.

إنّ کل شر یمکن أن یُطرح إلی جانب الخیر. و إن انعدم وجود الخیر یحصل تصوّر بأن هناک شراً. والشر نفسه حصیله لوجود الخیر. و لایمکن تصور موضع یکون فیه شر بدون وجود الخیر.

۴ – الماده التی یتألّف منها العالم لها مقتضیاتها. و لابُدّ أن تتبدّل أحوالها لکی تسیر نحو التطوّر والکمال، و لایحصل أی تکامل فی هذا العالم من غیر تبدّل و تحوُّل، و هذا الکَوْن لاینسجم مع الثبات، و إنّما شأنه الحرکه. و عندما یکون الشیء فی حرکه دائمه فلابّد أن تقع فی أثناء ذلک أُمور تبدو فی الظاهر شرّاً. و یفهم من خلال النظره الکلیه أنه ما لم یکن هناک شر لایتحقق الخیر. و إذا لم تعرض علی الماده عوارضها فهی تفتقد لخاصیّتها المادیه.

۱– – سوره الأعلی (۸۷)، الآیتان ۱ و ۲.

۲– سوره السجده (۳۲)، الآیه ۷.

۳– سوره المؤمنون (۲۳)، الآیه ۱۴.

و عندما يعرض لها ذلك تواجه حاله من الزياده والنقصان. و هذا الأمر يوصف بأنّه شرٌّ. و إذا اريد للماده أن تقدّم شيئاً فلابّد أن يحصل فيها نوع من التبدّل، والتبدّل يفرز حالات من الزياده والنقصان، و هذا هو ما يُسمّى بالشرور. والماده التى تنشأ منها الموجودات الطبيعيه ذات قدرات، و يصاحبها أحياناً نقصان، و لابد أن يحصل فيها تحوّل لفقد شيء. و إلى جانب هذا التبدّل يُسمّى ما يُفقد شرّاً. و إذا كان هناك تصوّر بان الماده لاينبغى أن تفقد شيئاً عند الصيروره لكى لايقع شر، فهذا التصوّر خلاف لماهيه المادّه. ولو ان مثل هذا الشيء لايحصل لما تحقق أى تكامل فى عالم المادّه، و هذا بحد ذاته شرّ أعظم.

و على أيّه حال فإن عالم الطبيعه هو عالم التدرّج والحركه. و فى مثل هذا العالم لابد أن تقع تبدّلات فى المادّه لكى تطوى الطبيعه مسارها الصحيح و تصل إلى الوضع المطلوب.

و فى خضم عمليه التبدّل والتغيير تُفقد أشياء و تُكسب أشياء أخرى غيرها. و ما يُفتقد يُحسب شراً بالمقارنه مع ما يُكتسب، و لكن للخير المكتسب أهميه يهون إلى جانبها الشرّ الحاصل.

۵ – هناك بين الموجودات أوجه من التفاوت والاختلاف ناتجه عن طبيعتها، و على أساس الدور المرسوم لكل واحد منها فى هذا الوجود. و لايمكن أن تكون الأشياء متساويه أو على نمط واحد لأَنَّ ذلك يعنى توقف كل شيء وهلاكه. و فى الكثير من المواقف ربّما يُعزى الشر إلى وجود هذه الاختلافات أو عدم التساوى.

فهناك تصور بأنّه لاينبغى أن تكون بعض الموجودات أضعف من غيرها. و يمكن القول بإيجاز: إنّ العلّه المادّيه لبعض الكائنات، والعلّه الغائيه لبعضها الآخر، هو الذى أدى إلى ظهور فوارق و تفاوت بينها. و هذا عين الحكمه.

و على هذا الأساس فإنَّ بعض الشرور منبثقه من طبيعه العالم و ناجمه عن حركته.

والحقيقه أنها ليست ذات أهمّيه بالقياس إلى الخير الذى يتمخّض عنها.

إنّ بعض الشرور ناتجه عن السلوك غير الأخلاقى لبنى الإنسان، و متأتّيه عن الاختيار والقدره المغروسه فى ذات كل واحد منهم. و من الطبيعى أن يحصل تعارض وتزاحم بين الناس عند سعى كل واحد منهم لتحقيق أهدافه و غاياته، و هو ما يؤدّى بالنتيجه إلى طمس

الحق و إزهاقه، و لكن بعض الشرور هى فى الواقع ليست إلّافى النظره العرفيه، كالموت الذى ليس فيه شر بحدّ ذاته.

و يمكن القول بإيجاز: إنّ كل ما خلقه اللّه يتسم بالحكمه. أمّا الشر فهو شىء نسبى و ناتج عن طبيعه الأشياء، و ملازم لحركتها نحو الغايه التى خلقت لها. و أمّا الشر الناتج عن التزاحم بين مصالح الناس، فهو ممّا لايرتضيه اللّه، و قد شرّع سبحانه الأحكام والقوانين للحيلوله دون وقوعه.

ص:۱۲۵

النبوّه

الحاجه إلیٰ الدلیل والهدایه

اشاره

الإنسان لایملک إلّاقدره محدوده لمعرفه کل جوانب هذه الحیاه الطویله الحافله بالمنعطفات. و علی صعید آخر فقد خلق الإنسان و هو یحمل بین ثنایاه الکثیر من المیول والرغبات. و هذا ما جعل منه مخلوقاً متمیزاً عن غیره من المخلوقات، و لکن جعله - فی الوقت ذاته - عرضه للکثیر من المخاطر. و لاشکّ فی أنّ معرفه الطریق القویم، و وجود القدوه الصالحه من ضروریات حیاه الإنسان. و علی صعید آخر یعتبر الإنسان کائناً اجتماعیاً. ثم إنّ العیش فی المجتمع واجتناب المخاطر المحتمله ممکن مع وجود الإرشاد والهدایه.

إنّ العیش فی الحیاه الاجتماعیه یؤدّی إلی تعارض المصالح و تضاربها. و ذلک بسبب رغبه کل إنسان فی حیازه المنافع لذاته و إبعاد الضرر عن نفسه. و من هنا فهو یعمل فی سبیل تسخیر الآخرین لخدمته. و هذا ما یؤدی بالنتیجه إلی ظهور الحیاه الاجتماعیه التی یحصل فی أثنائها أحیاناً اعتداء علی حقوق الآخرین.

الناس یستفیدون من بعضهم عاده بشکل متبادل، و کل واحد منهم یخدم الآخرین بشکل مباشر أو غیر مباشر. و إذا کان تسخیر بعضهم لبعض یجری سلمیاً و تعاونیاً فلا تقع مشکله، أو قد تتقلص المشاکل إلی أدنی حدٍّ ممکن، و لکن، بما أنّ بنی الإنسان متفاوتون من حیث القدرات والکفاءات والجوانب الأُخری، فمن الطبیعی أن یؤدّی ذلک إلی أن تتمخّض عن أعمالهم و نشاطاتهم نتائج متفاوته. و علی صعید آخر یتّسم الإنسان بصفه حُبّ التفوّق والتعالی. کما أنّ تقاطع المصالح یضیّق المساحه المفسوحه للسلوک الاجتماعی السلمی. وهنا ینبغی البحث عن السُّبل الکفیله بحصول أفراد المجتمع علی

حقوقهم، و تضمن سعادتهم و تحول دون عدوان بعضهم على بعض.

لكل إنسان من حيث كَوْنه إنساناً حقوق، منها: حق الحياه، والحريّه، واختيار العمل والسكن. و حفظ النظام الاجتماعى، و منع هضم حقوقهم، يتطلب أن يعرفوا حدود سلوكهم، و أن يسيروا فى إطار القوانين المقرره لهم. و لاشكّ فى أنّ القوانين الفاعله لأداء هذه المهمّه تتسم بما يلى:

١ - أن يكون الناس مؤمنين و مقتنعين بها، و يعتبرون الالتزام بها جزءاً من واجباتهم.

٢ - أن تأخذ بنظر الاعتبار مصالح كل الناس.

٣ - أن تجعل نصب عينها جميع جوانب حياه الإنسان الدنيويه والأخرويه.

۴ - أن تلبّى تطلعات الإنسان و تستجيب لمتطلّباته الأساسيه.

۵ - أن تكون لها ضمانه تنفيذيه، فضلاً عن دوافع ذاتيه تنطلق من نفوس الأفراد و تجعلهم يلتزمون بأوامرها و يمتنعون عن نواهيها.

من الممكن طبعاً تلبيه قسم من هذه الخصائص بواسطه العقود الاجتماعيه، أو من خلال التعويل على رأى أكثريه الناس، و لكن لايمكن تلبيتها كلّها بالعقد الاجتماعى أو برأى الأكثريه.

و فضلاً عما ذكر آنفاً لايمكن لأحد سنَّ مثل هذه القوانين للناس، إلّاإذا كانت لديه إحاطه تامّه بكل خصائصهم و متطلباتهم و مصالحهم. والناس بأنفسهم غير قادرين على سنّ قوانين تراعى الخصائص التى سبق ذكرها؛ و ذلك لسببين.

أوّلاً: لأنهم بمقتضى طبيعتهم محكومون بالنزعه النفعيه وحُبّ التفوّق والاستعلاء. و من الطبيعى أنّ كل شخص أو جماعه تحرص على تشريع القانون الذى يخدم مصالحها الذاتيه والفئويه.

و ثانياً: إنّ تشريع القانون يستلزم أن يكون المشرّع على معرفه تامّه بكل متطلّبات الإنسان و أن يأخذ بنظر الاعتبار مسبقاً الضمانه التنفيذيه له، هذا فضلاً عن الوعى بعواقب تنفيذ ذلك القانون، و مدى شموليته لكل جوانب و مراحل حياه الإنسان الطويله.

الإنسان ليس لـديه اطلاع على بعض الأمور، و هناك أمور أخرى ليس لـديه اطلاع تام بشأنها. نذكر من ذلك على سبيل المثال: أنّ الطريـق إلى السـعاده شـيء مطلوب لـدى الإنسـان، و لكنّه فى الوقت ذاته مجهول لـديه، بـل حـتى لو كـانت لـديه معلومـات وتصوّرات عنه، غير أنه غير واثق بهـا و لامتأكّـد منهـا. و لاـيمكن أن يحيـط بكـل جوانب حيـاه الإنسان إلّااللّه. و من الطبيعى أن يكون التشريع الصادر منه تعالى، مراعياً لكلّ المصالح و عادلاً. و أمّا الدعامه التنفيذيه لتطبيق أحكام اللّه و تشريعاته فهى الإيمان القلبى بها. فكل مؤمن يشعر بالمسؤوليه أمام اللّه و يحرص على رعايه حرمه القوانين الإلهيه.

و على صعيد آخر فإنّ اللّه عزّوجلّ مطلق، بينما الإنسان موجود مادى و محدود. و قد اصطفى اللّه من الناس أفضلهم و أخيرهم و كلّفه بمهمه إبلاـغ رسـالته إلى عباده، و دعاهم فيها إلى العمل بما فرضه عليهم فيها من التكاليف ليكون فى ذلك ضـمان لتنظيم العلاقات بينهم، و منع بعضهم من الاعتداء على حقوق الآخر منهم.

و على هـذا الأسـاس يمكن القول: إنّ الأنبيـاء هم أول المشـرّعين الـذين كـان كل واحـد منهم بمثابه دليل وهادٍ لضـمان تحقيق الجانب المعنوى لبنى الإنسان، و كان لهم دور فى مساعدتهم فى تحقيق السعاده والحياه الهانئه.

ضروره بعث النبىّ فى المصادر الدينيه

لعالم الوجود خالق حكيم، خلقه بحكمته وجعل له غايه يسـعى إليها. والكائنات فى هذا الوجود تسير بانتظام و انسجام نحو الغايه التى رسـمها اللّه لها: (إِلَى اللّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ) ، (۱)(رَبُّنَا الَّذِى أَعْطى كُلَّ شَىْ ءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدى) . (۲) إنّ كل ظواهر الوجود ذات هـدف و هى آيات اللّه تعالى. ففى خلق السـموات والأرض واختلاف الليل والنهار آيات لأولى الألباب.(۳) و فى هذا المضمار، يتّصـف الإنسـان بمقـدره و مؤهّلاـت و قـدره عـاليه على الفهم والاستيعـاب. كمـا أنّه يتّصف بحبّ الكمـال والسـعى إلى الحق، واجتمعت فى ذاته نوازع

۱- – سوره الشورى (۴۲)، الآيه ۵۳.

۲- سوره طه (۲۰)، الآيه ۵۰.

۳- – سوره آل عمران (۳)، الآيه ۱۹۰.

متضادّه. و مثل هذه الخصائص جعلت منه موجوداً متميّزاً، و لكن هذا جعل منه أيضاً كياناً معرّضاً لكثير من المخاطر. حيث من المحتمل أن ينحرف عن المسار الذى أراده اللّه له.

فميوله النفعيه تسوقه إلى منحدرٍ آخر و تجعل منه موجوداً خطيراً: (أَ تَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها وَ يَسْفِكُ الدِّماءَ) .(۱)

مع أنّ الإنسان طاهر و نقى بالفطره، و مجبول على الهدايه تكويناً، بيد أنه بحاجه ماسّه إلى هدايه أُخرى. هناك غايه أرادها اللّه من خلق الإنسان (أَ فَحَسِبْتُمْ أَنَّما خَلَقْناكُمْ عَبَثاً وَ أَنَّكُمْ إِلَيْنا لا تُرْجَعُونَ) .(۲)

الإنسان لم يُخلق ويُترك على هواه، ولو أنه كان قد خلق و تُرك على هواه، لكان ذلك فعلاً عبثاً. و إنّما يحيط الخالق تعالى الإنسان بالرعايه والاهتمام وجعل له أحسن ما يمكن من القوام و قوى الإدراك. و حتى أنه كما يقول ابن سينا: خصّ الإنسان بتقعير الأخمص من القدمين.(۳) و هذا يعنى أنه لايتركه سدىً، و لايمكن أن لايرسل له هادياً؛ إذ إنّ هذه القضيه فى غايه الأهميه. فالبارى عزّوجلّ زوّد الإنسان من حيث التكوين بأُذنين و عينين، و لسانٍ، و شفتين، و غيرها من الأعضاء الأُخرى الضروريه لممارسه حياته الماديه، و لإدراك الأضرار والمفاسد الظاهريه و معرفه المصالح والمنافع الدنيويه. و أمّا بالنسبه إلى معرفه طريق السعاده والكمال فقد جعل له عقلاً و أرسل له الأنبياء (أَ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * وَ لِساناً وَ شَفَتَيْنِ * وَ هَدَيْناهُ النَّجْدَيْنِ) .(۴)

و قد ورد فى روايه عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال رداً على سؤال زنديق سأله عن الكيفيه التى يمكن أن يثبت بها وجود الأنبياء: «إنا لَمّا أثبتنا أنّ لنا خالقاً صانعاً متعالياً عنا و عن جميع ما خلق، و كان ذلك الصانع حكيماً متعالياً، لم يجز أن يشاهده خلقه و لايلامسوه فيباشرهم و يباشروه، و يحاجهم و يحاجّوه، ثبت أنّ له سفراء فى خلقه، يعبرون عنه إلى خلقه و عباده، و يدلونهم على مصالحهم و منافعهم و ما به بقاؤهم و فى تركه فناؤهم، فثبت الآمرون والناهون عن الحكيم العليم فى خلقه والمعبّرون عنه

۱- سوره البقره (۲)، الآيه ۳۰.

۲- سوره المؤمنون (۲۳)، الآيه ۱۱۵.

۳- - ابن سينا، الشفاء، ج ۲، المقاله ۱۰، ص ۴۴۱.

۴- سوره البلد (۹۰)، الآيات ۸-۱۰.

جلّ وعزّ، و هم الأنبياء عليهم السلام و صفوته من خلقه».(۱) و استناداً إلى هذا الحديث فإنّ حكمه اللّه تقضى أن يرسل للناس الأنبياء ليبيّنوا لهم طريق المصالح والمفاسد، والنهج الموصل إلى الكمال.

و قد صرّح القرآن الكريم بهذه الضروره فى قوله: (وَ لِكُلِّ أُمَّهٍ رَسُولٌ فَإِذا جاءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ) (۲) و قال فى موضع آخر أيضاً: (وَ إِنْ مِنْ أُمَّهٍ إِلاّ خَلا فِيها نَذِيرٌ) .(۳)

سؤال حول محدوديه المنطقه التى بعث فيها الأنبياء

من الممكن أن يُثار هنا تساؤل و هو: إن كانت هناك مثل هذه الضروره لبعثه الأنبياء، فلماذا ذكر فقط الأنبياء الذين بعثوا فى منطقه محدده كالشرق الأوسط؟ ألم يُبعث أنبياء فى البقاع الغربيه من الأرض أو فى المشرق، و إن كانوا قد بعثوا فلماذا لم يُذكروا؟.

و كما سبقت الإشاره فإنّ الحاجه إلى الأنبياء من الأُمور التى يحتاج إليها جميع الناس.

و قد أكّد القرآن على أنّ كلّ أُمه جاء فيها رسول. و إذا لم يُذكر أنبياء بعض الأقوام فهذا لايدلّ على عدم بعث نبى فيهم، هذا أولاً و أمّا ثانياً: فإنَّ القرآن ذكر بعض الأنبياء و لم يذكرهم كلهم، كما نص على ذلك بقوله: (وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنا عَلَيْكَ وَ مِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ) . (۴) و معنى هذا أنّ عدم ذكر أنبياء مناطق أُخرى لايشكّل دليلاً على عدم بعث الرسل لهم.

و على صعيد آخر أُريد من بعثه هؤلاء الأنبياء أن تصل مدياتها إلى أكبر عدد ممكن من جموع المخاطبين. و كان تطوّر الكتابه فى عصر الأنبياء المتأُخرين سبباً لتدوين و حفظ ثقافاتهم المكتوبه و رسالاتهم، فى حين أنّ التدوين الذى ادّى إلى حفظ اليهوديه والمسيحيه لم يشاهد مثله بشأن البوذيه و الكونفو شيوسيه و الزرادشتيه، و إلّافالكثير من هؤلاء يُنظر إليهم كمصلحين و دعاه إلى المعنويه. و لعلّهم كانوا أيضاً أنبياء مبعوثين من اللّه.

۱- – الكُلينى، الكافى، ج ۱، ص ۱۶۸، الحديث ۱.

۲- – سوره يونس (۱۰)، الآيه ۴۷.

۳- سوره فاطر (۳۵)، الآيه ۲۴.

۴- – سوره غافر (۴۰)، الآيه ۷۸.

و لابـد من الإشـاره أيضاً إلى أنّ مكان بعض الأنبياء الـذين ذكروا فى القرآن لايُعلم حتى الآن على وجه الـدقّه، أو أنّ أسـماءهم بـاللغه العربيه لاتتطـابق مع الأسـماء المحليه المعروفه لهم، لكى يتضـح انعكـاس رسالاـتهم فى ضوء ذلـك، كنوح، و إدريس، و أنبياء عاد وثمود، إذ هناك جدل حول المنطقه التى بُعث إليها كل واحد منهم.

إتمام الحجه

ورد عن الإمام الكاظم عليه السـلام أنه قال: «إنّ للّه على الناس حجّتين: حجه ظاهره، و حجّه باطنه؛ فأما الظاهره فالرسل والأنبياء، و أمّا الباطنه فالعقول».(۱) و قد صـرّح القرآن الكريم على حجيه الأنبياء و إتمام حجه اللّه على عباده بإرسال الأنبياء. و من ذلك مـا ورد فى سوره النسـاء بَعـد الإشـاره إلى وظيفه الأنبيـاء فى التبشـير والإنـذار، و هو قوله: (لِئَلاّـ يَكُونَ لِلنّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّهٌ بَعْدَ الرُّسُلِ) . (۲) فهو وجلّ يحتج فى يوم القيامه على الناس و يقول لهم: ألم أبعث لكم رسلاً يتلون آياتى عليكم.(۳)

و بيّن القرآن الكريم – أيضاً – أنّ اللّه لايهلك قوماً إلّابَعد إتمام الحجّه عليهم.(۴)

و أشار أميرالمؤمنين عليه السـلام – فى الخطبه الأُولى من نهج البلاغه – إلى أنّ اللّه لايترك الأرض من غير حجّه. و من أسـباب بعث الأنبيـاء أيضـاً تـذكير النـاس بالميثـاق الفطرى بين العبـاد وربّهم، وللاحتجـاج عليهم أيضـاً بمـا أودعه اللّه فيهم من فطره «و يَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغ».(۵)

مكانه الأنبياء

النبوّه رقى للسعه الوجوديه بحيث يستطيع الشخص إيجاد علاقه مع عالم الغيب

۱– – الكُلينى، الكافى، ج ۱، ص ۱۶، الحديث ۱۲.

۲– – سوره النساء (۴)، الآيه ۱۶۵.

۳– سوره الأنعام (۶)، الآيه ۱۳۰.

۴– سوره القصص (۲۸)، الآيه ۵۹؛ سوره يونس (۱۰)، الآيه ۴۷.

۵– الشريف الرضى، نهج البلاغه، الخطبه ۱، ص ۴۳.

والملائکه و تلقّی رساله منهم. و کیفیه تلقی الوحی من قبل النبیّ هی أن ضمیر النبیّ یتّصل بعالم الغیب والملکوت. و اثناء العروج الروحی للنبی یبلغ مقاماً یمکن أن یکون فیه واسطه بین عالم الغیب والشهاده و یتبوّأ منزله یکلّمه فیها ربّه. و بعباره أخری ان الرساله عباره عن انبعاث داخلی یتعلق من ناحیه بالنبیّ نفسه بحیث یستطیع الارتقاء إلی هذا المقام، و من ناحیه أخری تمنحه الرعایه الإلهیه مثل هذه الأهلیه و تثبّتها فیه.

الأُصول المشترکه بین الأنبیاء

اشاره

هناک أُصول مشترکه بین دعوه الأنبیاء، و إذا تجاوزنا الأسالیب والأحکام الخاصّه، یتضح أنهم یؤکّدون علی مبادیء واحده أیضاً، و أهمها ما یلی:

۱ – الدعوه إلیٰ التوحید

المحور الأساسی فی دعوه الأنبیاء هو الدعوه إلی التوحید، و رفض الشرک وعباده الأصنام. وجوهر تعالیم الوحی منذ بدایتها و إلی نهایتها هو التوحید بکل جوانبه. و أمّا سائر المبادیء التی دعوا إلیها فهی متفرعه عنه و تأتی فی مرتبه لاحقه، و منها محاربه المفاسد الأخلاقیه والرذائل الاجتماعیه.

وردت فی سوره الأعراف العباره التالیه نقلاً عن عدد من الأنبیاء: (یا قَوْمِ اعْبُدُوا اللّهَ ما لَکُمْ مِنْ إِلهٍ غَیْرُهُ) (۱) و بیّنت سوره الأنبیاء قبل الحدیث عن قصص بعضهم، أنّ الهدف المشترک بینهم جمیعاً هو الدعوه إلی عباده اللّه الواحد الأحد (وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِکَ مِنْ رَسُولٍ إِلاّ نُوحِی إِلَیْهِ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلاّ أَنَا فَاعْبُدُونِ) .(۲)

۱- – سوره الأعراف (۷)، الآیات ۵۹، ۶۵، ۷۳ و ۸۵.

۲- سوره الأنبیاء (۲۱)، الآیه ۲۵. و فی هذا المجال أیضاً راجع: سوره الأنبیاء (۲۱)، الآیه ۱۰۸؛ سوره الصافّات (۳۷)، الآیه ۱۲۶؛ سوره ص (۳۸)، الآیه ۶۵؛ سوره الزمر (۳۹)، الآیات ۱۱، ۱۲، ۶۴ و ۶۵؛ سوره غافر (۴۰)، الآیه ۶۶؛ سوره الزخرف (۴۳)، الآیات ۴۵، ۶۳ و ۶۴.

۲ – الإخبار عن الآخره

من أهمّ المحاور المشترکه بین الأنبیاء هو الإخبار عن الآخره، ولفت أنظار الناس إلی رجوعهم إلی ذلک العالم. و قد وردت فی القرآن الکریم أکثر من ألف و خمسمئه آیه حول المعاد باعتباره عالم الغیب. و هو العالم الذی لایستطیع غیر الأنبیاء الإخبار عنه والدعوه إلی الإیمان به. و لهذا یؤکّد القرآن الکریم فی عدّه آیات علی هذا المبدأ، و هو أنّ من یؤمنون باللّه والآخره و یعملون صالحاً یجزیهم اللّه أحسن الجزاء.(۱)

۳ – الإصلاح الأخلاقی والاجتماعی

لرساله الأنبیاء جوانب اعتقادیه و أخلاقیه واجتماعیه، و هی لاتقتصر علی الدعوه إلی عباده اللّه والإیمان بالیوم الآخر. فقد دأب الأنبیاء علی محاربه الخرافات والمفاسد الأخلاقیه والمفاسد الاجتماعیه. ففی عصر موسی علیه السلام کانت المسأله الأکثر أهمیه من بَعد التوحید، هی الانعتاق من الحکم المستبد فی عصره، والسعی لتحقیق الحریّه الاجتماعیه.

و قد حرص النبیّ موسی علیه السلام علی طرح هذه القضایا أکثر من غیرها.(۲)

و فی عصر نوح علیه السلام،(۳) و فی عصر هود علیه السلام،(۴) و فی عصر صالح علیه السلام(۵) کانت المشکله الأساسیه استکبار الطبقه المترفه. و فی العصر الذی بُعث فیه النبیّ شعیب علیه السلام کانت الظاهره الشائعه هی الفساد الاقتصادی و بخس الوزن فی البیع.(۶) أمّا الظاهره التی کانت شائعه فی عهد النبیّ لوط علیه السلام، فهی ظاهره اللّواط بحیث کان الهدف الأساسی الذی رکّزت علیه رسالته هی محاربه هذه الظاهره القبیحه.(۷) و کانت رساله هؤلاء الأنبیاء تدعو إلی عباده

۱– سوره البقره (۲)، الآیه ۶۲؛ سوره المائده (۵)، الآیه ۶۹.

۲– سوره الشُعراء (۲۶)، الآیات ۱۰–۶۸.

۳– – سوره الشُعَراء (۲۶)، الآیات ۱۰۵–۱۲۲.

۴– سوره الشُعَراء (۲۶)، الآیات ۱۲۳–۱۴۰.

۵– سوره الشُعَراء (۲۶)، الآیات ۱۴۱–۱۵۹.

۶– – سوره الشُعَراء (۲۶)، الآیات ۱۷۶–۱۹۰؛ سوره الأعراف (۷)، الآیات ۸۵–۹۳؛ سوره هود (۱۱)، الآیات ۸۴ و ۹۵.

۷– – سوره الشعراء (۲۶)، الآیات ۱۶۰–۱۷۴.

اللّه مع توجيه الأنظار إلى أركان المعتقدات الدينيه، و كانت فى الوقت ذاته تحارب الظواهر السلبيه السائده فى المجتمع.

تـدل كل هـذه المعالم على أنّ الهواجس الأساسـيه التى كانت تجتـذب اهتمام الأنبياء هى فكره التوحيـد وتطهير أفكار و أرواح الناس من معتقدات الشـرك والخرافه. و توجيه الأنظار إلى عالم الآخره، هذا إلى جانب معالجه القضايا الاجتماعيه و واقع الحياه. لكن المحور الأساسـى لـدعوه الأنبيـاء هو تطهير النفوس والارتقـاء بالجـانب المعنوى من أجـل قبول فكره التوحيـد والابتعاد عن الشـرك، و لكنّهم لم يقفوا عنـد هذا الحد و إنّما اهتموا بالجوانب الأُخرى كمقدمه و تمهيد للرقى المعنوى، مثل قضـيه العداله و محاربه الظلم.

قـال اللّه تعـالى فى كتـابه الكريم حول مهمّه الأنبيـاء: (لَقَـدْ أَرْسَـلْنا رُسُـلَنا بِالْبَيِّنـاتِ وَ أَنْزَلْنـا مَعَهُمُ الْكِتـابَ وَ الْمِيزانَ لِيَقُومَ النّاسُ بِالْقِسْطِ...) .(۱)

اضـطلع الأنبيـاء بـدور بـارز فى الإصـلاح الاجتمـاعى. و هنـاك قسـم مهم ممـا تحـدّث به القرآن حـول الأنبيـاء يتعلّق بـدورهم الاجتماعى.(۲) و هذا يعنى أنّ هدف الأنبياء كان إصلاح شؤون الناس الدنيويه والأخرويه. و هذا ما لم يكن بوسع الناس تحقيقه بـدون المنهج الذى جاء به الأنبياء. و حتى لو أنهم توصّـلوا إلى شـىء فى هذا المجال، فإنّهم ما كانوا يعرفون السبيل المؤديه إلى تنفيذه بنجاح.

اصطفاء الأنبياء

لقد اصـطفى اللّه للنبوّه من بين الناس أطهرهم و أصـلحهم و أفضلهم سمعه و خيرهم سيره، ليحوزوا إضافه إلى ثقه اللّه، ثقه أبناء مجتمعهم؛ و ذلـك لأـن ظـاهر كلام كل نبىّ يكون مع أبناء مجتمعه، فإن لم يكن موضع ثقتهم، أو لم تكن له سـمعه طيّبه بينهم لاتثمر الجهود التى يبذلها لهدايتهم، و يفشل فى إثبات نبوّته.

۱- سوره الحديد (۵۷)، الآيه ۲۵.

۲- – الطباطبائى، محمّد حسين، الميزان، ج ۳، ص ۱۴۶ و ۱۴۷.

الوحی

اشاره

الوحی بمعنی الإشاره السریعه، والکلام الذی یأتی علی سبیل الرمز والتعریض.(۱) و تدل موارد استعمال کلمه الوحی فی القرآن علی أنّ المراد منها نوع من العلاقه الرمزیه والإشاریه. و قد تکون مثل هذه العلاقه بین اللّه و مخلوقاته، أو بین الناس، أو بین الشیاطین. جاءت کلمه الوحی فی القرآن بشأن تدبیر السماوات، والوحی إلی الأرض، والوحی إلی النحل، والوحی إلی أُمّ موسی علیه السلام، والوحی إلی الأنبیاء. و یستدلّ من الأُمور المذکوره علی أنّ الوحی شیء خفی ورمزی.

تتحقق علاقه اللّه مع الأنبیاء بواحد من الطرق المذکوره: الوحی، التکلم من وراء حجاب أو إرسال الرسل: (وَ ما کانَ لِبَشَرٍ أَنْ یُکَلِّمَهُ اللّهُ إِلاّ وَحْیاً أَوْ مِنْ وَراءِ حِجابٍ أَوْ یُرْسِلَ رَسُولاً فَیُوحِیَ بِإِذْنِهِ ما یَشاءُ) . (۲) و قد یأتی الوحی إلی الأنبیاء فی الیقظه تاره، أو أثناء المنام تاره أُخری. و یتّخذ طابع الرؤیا کما حصل بالنسبه إلی النبیّ إبراهیم علیه السلام الذی رأی فی المنام أنه یذبح ابنه(۳) فاعتبره حُکْماً إلهیاً، و نفّذ ما وجب علیه تنفیذه.

والأنبیاء معصومون فی تلقّی الوحی و حفظه و إبلاغه للناس. و لا تأثیر لهم فی مضمون الوحی، و یحظون بتسدید إلهی خاصّ أثناء تلقی الوحی و إبلاغه.

الّذین لایدرکون حقیقه الوحی لاینبغی لهم إنکاره؛ لأَنَّ عدم إدراک الشیء لایعنی انعدامه. مثلما هو الحال بالنسبه إلی الأعمی الذی یعجز عن إدراک الألوان بطرق وثیقه لدیه، و لهذا لایستطیع تصوّرها و قبولها عندما یُخبر عنها فی المرّه الأُولی، و لکنّ هذا الحال لایبیح له - طبعاً - إنکار ذلک.

و یمکن من باب التشبیه اعتبار الوحی کالمنام. فمثلما أنّ الإنسان یدرک فی عالم المنام حقائق قد لایدرکها فی عالم الیقظه. ویُحتمل أن یدرک فی عالم الیقظه حقائق عن طریق

۱- - الراغب الاصفهانی مفردات ألفاظ القرآن، ص ۸۵۸.

۲- - سوره الشوری (۴۲)، الآیه ۵۱.

۳- - سوره الصافّات (۳۷)، الآیات ۱۰۲-۱۰۴.

سبل غير متعارفه. و قـد يأتى ما يراه فى عالم الرؤيا صـريحاً تاره، و قد يحتاج إلى تفسـير تاره أخرى. فإن كان هناك شـخص لم يمر بتجربه المنام، و قيل له بأن بعض الناس عنـدما ينامون و تتوقف كل حواسـهم عن العمل كالموتى، و لكنّهم قد يتّفق لهم أن يطّلعوا – وهم فى هـذا الحال – على بعض الحقائق، فهو بطبيعه الحال قـد لايصـدق و قد يقول: إنّ وسائل الإدراك لدى الإنسان هى الحواس الظـاهريه، فـإذا توقفت عن العمل، لايتسـنّى له إدراك شـىء، و لكنّ التجربه تثبت بطلان رأيه طبعاً. فمثلما يـدرك العقل فى مرتبه معيّنه حقائق من المعقولات التى لاتُـدرك بالحواس، فهكـذا الحال أيضاً فى ما يخصّ الوحى؛ إذ يُعطى النبىّ فى هذه المرتبه بصيره يدرك بها الأُمور الغيبيه الخافيه على العقل.

تشخيص الوحى من قبل النبىّ

كيف و عن أى طريق يُـدرك النبىّ بـأنه قـد أُوحى إليه؟ و بـأىّ معيـار يفهم بـأن مـا يحصـل له وحياً و ليس وساوس و هواجس شيطـانيه؟ هـذا السؤال عرضه زراره على الإمـام الصـادق عليه السـلام، فأجـابه بمـا يلى: «إنّ اللّه إذا اتّخـذَ عبـداً رسولاً أنزل عليه السـكينه والوقار، فكأنَّ الـذى يأتيه من قبل اللّه مثل الذى يراه بعينه».(۱) و انطلاقـاً من هـذه الثقه، كان الأنبياء يطرحون تعاليمهم بحزم و من غير تردّد. و ليس هناك من نبى كانت لديه شكوك فى ما دعا إليه الناس. و هذا هو أحد الفوارق المهمّه بين الأنبياء والنوابغ، فالنوابغ رغم ما يتّصفون به من نبوغ غير أنهم كثيراً ما يبدّلون آراءهم و يحتملون خلاف ما يقولون به. بينما النبىّ عندما يتلقّى الوحى و يشهد الواقع، تزول من أمامه الحجب، و يدرك كل شىء بالعلم الحضورى.

طرق إثبات النبوّه

اشاره

النبوّه أمر معنوى و إلهى. و للوثوق من صحّه ادّعاء من يدعى هذا المقام، لابُدّ أن تكون لديه حُجّه. و نحن نورد فى ما يلى بضع ملاحظات – بإيجاز – فى مضمار إثبات نبوّه النبىّ،

۱- – تفسير العياشى، ج ۲، ص ۲۰۱؛ الصفّار، محمّد بن الحسن، بصائر الدرجات، ص ۳۷۰.

حالات الأنبياء قبل وبَعد البعثه، والمنهج الذى سلكوه، تمثّل شاهداً صريحاً على حقّانيّتهم.

كما ورد على صفحات التاريخ أنّ النجاشى ملك الحبشه أيقن بحقّانيه النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم و آمن به، بعد أن استخبر عن أحواله من موفدى قريش إليه.(۱) و من السُبُل الموصله إلى ذلك، النظر فى محتوى رسالته و تعاليمه، و مقارنه كل نبى مع من سبقه من الأنبياء، وتصديقه لمن جاؤوا قبله منهم و بشاره نبى قبله بمجيئه، والأهم من كل ذلك أن تكون له معجزه.

المعجزه

اشاره

جعل اللّه لكل بنى دلالات يُستدل بها على صدق ما يدّعيه. والتعابير التى استعملها القرآن للتعبير عن هذا المعنى هى: البينه، والبرهان، والحجه، والآيه. فالبيّنه هى الدليل الواضح الذى لايبقى معه لدى المنصف أى شكّ فى صدق المدّعى. نقلت سوره هود عن الأنبياء نوح و صالح و شعيب عليهم السلام أنّ كل واحد منهم قال لقومه: (إِنْ كُنْتُ عَلى بَيِّنَهٍ مِنْ رَبِّى) . (۲) و من الطبيعى أنّ الناس يتوقّعون من مدّعى النبوّه أن يقدّم براهين تثبت ارتباطه باللّه. كما أنّ السنّه الإلهيه قضت بتزويد الأنبياء ببراهين بيّنه لكى يؤمن الناس بهم بثقه واطمئنان (وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلاً إِلى قَوْمِهِمْ فَجاؤُهُمْ بِالْبَيِّناتِ) .(۳)

و لكنّ الناس أحياناً ما كانوا يكتفون بهذا، و إنّما كانوا يطالبون الأنبياء بمعجزات لإثبات صحّه ما جاؤوا به. و فى مثل هذه الحالات كان النبىّ يأتى بما من شأنه أن يبيّن للناس بأنّه يستند إلى قدره تفوق قدره البشر، و أنه على ارتباط عميق بعالم الغيب.

حقيقه المعجزه

المعجزه عمل خارق يقع لإثبات ادّعاء أمر إلهى. فمدّعى النبوّه يأتى بمعجزه لإثبات منصبه الإلهى، و يتحدّى مكذّبيه فى أمر النبوّه بحيث يبقون عاجزين عن الإتيان بالعمل الذى يظهره للناس. و هذا يعنى طبعاً أنّ الأعمال الخارقه التى يقوم بها المشعوذون

۱- – المجلسى، بحارالأنوار، ج ۲۰، ص ۳۹۲، الحديث ۸.

۲- – سوره هود (۱۱)، الآيات ۲۸، ۶۳ و ۸۸.

۳- سوره الروم (۳۰)، الآيه ۴۷.

والمرتاضون والسّحره لاتعد من المعاجز؛ و ذلک لأنهم یأتون بمثل هذه الأعمال نتیجه لخبره و تمرین یکتسبونه من الآخرین، ثم أنهم لایدّعون النبوّه، و لیست لدیهم مقدره علی التحدّی؛ لأنهم یعلمون بقدره الآخرین علی الإتیان بنظیر هذه الأعمال عن طریق التمرین والتعلّم.

المعجزه و قانون العلّیه

إنّ المعجزه – باعتبارها عملاً خارقاً للعاده – تثیر فی الأذهان شبهه مفادها أنّ مثل هذا العمل ینقض قانون العلّیه. والحقیقه هی أنّ الأمر لیس کذلک، و إنّما المعجزه شیء قابل للتحقق بحد ذاته، و لکن لایمکن تحقیقه بشکل عادی و بالعلل والأسباب الطبیعیه، و لکن النبیّ یقوم به بإذن اللّه و بطرق غیر معهوده. نذکر علی سبیل المثال أنّ نواه التمر إذا غرست قد تصبح نخله بَعد عشر سنوات، و لکنّها قد تثمر فی مدّه أقل لو تولّی رعایتها شخص متخصص بالزراعه، و فیما لو تطوّر علم الزراعه، و لکن تحویل النواه إلی نخله فی دقیقه واحده لیس فی مقدره البشر، غیر أنه لیس أمراً مستحیلاً. فأمثال هذه الأُمور ممکنه، و لکن لابُدّ أن تکون هناک علّه لها. والعلل قد تکون ظواهر طبیعیه تاره، أو قد تکون غیر طبیعیه و غیر محسوسه تاره أُخری. فتأتی قدره وعلّه أُخری و تعجّل فی حصول العوامل، فیقع ذلک الأمر فی أقل زمان فیقال بأنّ معجزه وقعت. و من أعظم العلل الموجبه للمعجزه، إراده و قدره اللّه التی تأتی عن طریق علل خفیّه.

الهدف من المعجزه

تأتی المعجزه للکشف عن حقیقه فحسب، و لکن ربّما کان أعداء و معارضو الأنبیاء یطلبون منهم الإتیان بمعجزه، و لکن تلک المعجزه قد لاتتحقق و ذلک للأسباب التالیه:

أوّلاً: إنّ المطالبین بالمعجزه لایریدون التوصل إلی الحقیقه و إنّما غایتهم إیذاء النبیّ.

نذکر مثلاً، أنهم قالوا للنبی صلی الله علیه و آله و سلم: (لَنْ نُؤْمِنَ لَکَ حَتّی تَفْجُرَ لَنا مِنَ الْأَرْضِ یَنْبُوعاً * أَوْ تَکُونَ لَکَ جَنَّهٌ مِنْ نَخِیلٍ وَ عِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهارَ خِلالَها تَفْجِیراً * أَوْ تُسْقِطَ السَّماءَ کَما

زَعَمْتَ عَلَيْنا كِسَفاً أَوْ تَأْتِيَ بِاللّهِ وَ الْمَلائِكَهِ قَبِيلاً * أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقى فِي السَّماءِ وَ لَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتّى تُنَزِّلَ عَلَيْنا كِتاباً نَقْرَؤُهُ) . (۱) و هذه المطالیب تدل بکل وضوح، علی أنّ هدف المشرکین لم یکن التوصل إلی الحقیقه، و إنّما طلبوا تلک المطالیب من باب العناد والمکابره. و هذا یعنی أنهم لایؤمنون حتی لو تحققت هذه المطالیب.

ثانیاً: کان هدف المعجزات هو ان یستثیر الأنبیاء فطره الناس و یستمیلوا قلوبهم نحو الجانب المعنوی. و لهذا قال لهم النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم: (سُبْحانَ رَبِّی هَلْ کُنْتُ إِلاّ بَشَراً رَسُولاً) . (۲)(قُلْ إِنَّمَا الْآیاتُ عِنْدَ اللّهِ وَ إِنَّما أَنَا نَذِیرٌ مُبِینٌ) .(۳)

ثالثاً: والأهم من کل ذلک أنّ الاحتجاج بالمعجزات لیس هو الأصل فی عمل الأنبیاء و إنّما الأصل فی ذلک، الدلیل والشاهد علی الرساله والنبوّه و قبول ذلک عن ثقه.

اختلاف المعجزات

یُستشفّ من المتوفّر بین أیدینا من معلومات حول معجزات الأنبیاء علیهم السلام، أنها کانت علی أنماط شتّی؛ و تتناسب مع طبیعه الظروف الاجتماعیه والبیئیه والفکریه التی یعیشها الناس. فقد سُئِل الإمام الکاظم علیه السلام عن السبب الذی جعل معجزه موسی علیه السلام الید البیضاء والعصا، و جعل معجزه المسیح الطبابه و شفاء المرضی، و معجزه النبیّ محمد صلی الله علیه و آله و سلم الفصاحه، فقال: «إنّ اللّه لَمّا بعث موسی علیه السلام کان الغالب علی أهل عصره السحر، فأتاهم من عند اللّه بما لم یکن فی وسعهم مثله، و ما أبطل به سحرهم و أثبت به الحجه علیهم، و إنّ اللّه بعث عیسی علیه السلام فی وقت قد ظهرت فیه الزمانات و احتاج الناس إلی الطب فأتاهم من عند اللّه بما لم یکن عندهم مثله، و بما أحیی لهم الموتی و أبرأ الأکمه والأبرص بإذن اللّه و أثبت به الحجه علیهم، و أن اللّه بعث محمداً صلی الله علیه و آله و سلم فی وقت کان الغالب علی أهل عصره الخطب والکلام و أظنّهُ قال: الشعر، فأتاهم من عنداللّه من

۱- – سوره الإسراء (۱۷)، الآیات ۹۰-۹۳.

۲- سوره الإسراء (۱۷)، الآیه ۹۳.

۳- سوره العنکبوت (۲۹)، الآیه ۵۰.

مواعظه و حکمه ما أبطل به قولهم و أثیت به الحجّه».(۱)

و هکذا یتضح بأن اختلاف المعجزات خاضع لظروف الزمان و متطلبات کل عصر.

عصمه الأنبیاء

اشاره

لابد لأداء الرساله من توفّر ثقه الناس و اطمئنانهم من إبلاغ الرساله بالشکل الصحیح.

و هذا یقتضی عصمه الأنبیاء من الخطأ والمعصیه. و أما الذین یتدنّسون بالذنوب و معصیه أمر اللّه و هضم حقوق عباد اللّه والطمع فیها، و لایتّصفون بالتفانی و نکران الذات، لایمکن أن یکونوا موضع ثقه و لایفوّض إلیهم أمر خطیر کالنبوّه.

و من الطبیعی أنّ الاطمئنان من صحه إبلاغ الرساله الإلهیه یستدعی عصمه المرسلین من الأخطاء والذنوب. فمن یتدنّس بالآثام لاتُستبعد منه معصیه اللّه أو هضم حقوق العباد، و لایحظی بملکه نفسیه تصونه من الانزلاق إلی تحقیق أهوائه فیما إذا أُتیحت له الفرصه. و مثل هذا الشخص لایمکن الوثوق به و تفویض أمر خطیر - کالرساله الإلهیه - إلیه.

حقیقه العصمه

ینقسم الناس من حیث موقفهم من الآثام والذنوب إلی ثلاثه أقسام: غیر المُبالی، والعادل، والمعصوم. و غیر المُبالی هو من لایتّصف بقوّه معنویه و رادع ذاتی یصونه من الوقوع فی الإثم، و هذا یعنی أنه لایتورّع عن ممارسه الآثام والذنوب. والعادل هو من یتحلّی بملکه نفسیه و ورع یصونه من اقتراف القبائح. و فی الوقت ذاته قد تستحوذ علیه نفسه وتغلبه فیقترف إثماً، و لکنّه بَعدما ینتبه یتوب.

أمّا إذا کان یتحلّی بملکه اجتناب الإثم والورع عن محارم اللّه بحیث لایعصی اللّه فی

۱- الکُلینی، الکافی، ج ۱، ص ۲۴، الحدیث ۲۰؛ الفیض الکاشانی، الوافی، ج ۱، ص ۱۱۰-۱۱۳، الرقم ۲۲.

جمیع الظروف والأحوال، فهذا هو الحاصل علی درجه العصمه. والعصمه مرحله فوق العداله، و هی تعنی أنّ الشخص بلغ درجه ینفر فیها من الذنب، و لایُدنس نفسه به أبداً. قال الإمام الصادق علیه السلام فی وصف العصمه والمعصوم: «المعصومُ هو الممتنعُ باللّه من جمیعِ محارمِ اللّه، و قد قال اللّه - تبارک و تعالی -: (وَ مَنْ یَعْتَصِمْ بِاللّهِ فَقَدْ هُدِیَ إِلی صِراطٍ مُسْتَقِیمٍ) (۱)».(۲)

منشأ العصمه

للعصمه منشآن: أحدهما لطف من اللّه علی خاصه من عباده. والمنشأ الآخر الوعی و کمال الإیمان. فإن وصل أحد درجه من الإیمان والوعی بحیث تتکشف له حقائق الأُمور، و یمتنع بالنتیجه عن ارتکاب أیّ ذنب، فهذا یعنی أنه قد نال مرتبه العصمه. إنّ الإیمان والوعی یمنعان الإنسان عن الذنب. والمعصوم لدیه رادع قوی من الوعی والإیمان، یحول بینه و بین الآثام والأخطاء بحیث یمکن تشبیهه بمن یری ماده و یوقن بأنّها سمّ قاتل فیجتنب تناولها. و هذا یعنی أنّ منشأ العصمه لیس قوّه خارجیه، و إنّما هو اختیار واعٍ یمیّزه عن غیره و یمنحه مقام العصمه.

ردّ علی شبهه

إن کان الأنبیاء معصومون من کبائر الذنوب وصغائرها، فهذا یستدعی أن تکون عصمتهم علی الصعید النظری و علی الصعید العملی علی حدٍّ سواء. و إن کان الأمر کذلک، فکیف یمکن توجیه ما جاء فی القرآن الکریم بشأن بعض الأنبیاء، و من ذلک قوله تعالی فی آدم: علیه السلام (وَ عَصی آدَمُ رَبَّهُ فَغَوی) ، (۳) أو ما جاء علی لسان النبیّ یونس علیه السلام من قوله تعالی: (سُبْحانَکَ إِنِّی کُنْتُ مِنَ الظّالِمِینَ) . (۴) و ورد عن النبیّ موسی علیه السلام أنه قال رداً علی

۱- سوره آل عمران (۳)، الآیه ۱۰۱.

۲- المجلسی، بحارالأنوار، ج ۲۵، ص ۱۹۴ و ۱۹۵، الحدیث ۶.

۳- - سوره طه (۲۰)، الآیه ۱۲۱.

۴- - سوره الأنبیاء (۲۱)، الآیه ۸۷.

فرعون الـذى قـال له: إنـك ارتكبت ذلـك العمـل - أى قتله لرجـل قبطى حينمـا استنصـره رجـل سـبطى -: (فَعَلْتُها إِذاً وَ أَنَا مِنَ الضّالِّينَ) .(۱)

ولتسليط الضوء على التساؤل الوارد آنفاً لابُدّ من توضيح ثلاثه أُمور:

۱ - هنالك اختلاف حول المراد من العصـمه هنا، و هل هى عصـمه من الذنب أم عصـمه من الخطأ. فبعض أهل السنّه يقول: إنه عصمه من الذنب و ليس من الخطأ. و هكذا يوجّهون عصيان آدم وخطأ يونس و موسى عليهم السلام.

۲ - إنّ أوامر و نواهى اللّه ليست كلهـا على درجه واحـده؛ فبعضـها واجب، و بعضُـها مسـتحب، و بعضـها جـائز و مباح. و هكـذا الحـال بالنسـبه إلى النواهى أيضـاً؛ فهنـاك نوعـان من النهى: نهى تحريم و نهى كراهه. أى أنّ النهى يوجب اجتنـاب ما نُهى عنه تـاره، وتاره أُخرى لايـدل على الحرمه، و لكن يسـتحسن فيه الترك، و لكن لو ارتكب فلا عقوبه عليه؛ لأَنَّ العمل الـذى ارتكب كان من الأفضل أن لايُرتكب.

۳ - هناك من الذنوب والأخطاء ما يُقاس بمكانه الأفراد و منزلتهم. بمعنى: إن كان الشـخص محطّ أنظار الناس، ويُرتجى منه أن يكون عمله فى غـايه الصـلاح، و بعيـداً عن كـل شـائبه أو إجحـاف، فمن الطبيعى أن يكون أى خلـل أو زلل فى سـلوكه مـدعاه للتساؤل والشـكوك. و هكـذا يصدق على الأنبياء بسـبب ما لهم من منزله عند اللّه، و ما عليهم من مسؤوليه أمام الناس. فلابّد إذاً أن يُرتجى منهم ما لايُرتجى من غيرهم. نذكر كمثال على ذلك، أنّ ما فعله النبىّ موسـى عليه السلام (و هو القتل) جاء فى سياق الدفاع عن المظلوم و لم يكن خلافاً للشرع، و لكنّه كان بالنسبه إلى موسى عليه السلام عملاً غير مناسب؛ لذلك أعرب عن ندمه عليه. و عندما بُعث بالرساله و ذهب إلى فرعون، كانت أول مؤاخذه أثارها فرعون ضدّه هى هذه الحادثه.

أمّا بالنسـبه إلى النبىّ يونس عليه السـلام، فلم يكن من المناسب لنبى أن يهاجر و يترك قومه ولّما ينزل عليهم العذاب. وخلاصه الكلام هى أنّ ذنب كل شخص يتناسب مع مكانته. فما قد

۱- سوره الشُعَراء (۲۶)، الآيه ۲۰.

يُحتسب على البعض ذنباً لايُحتسب كذلك على غيره، و لهذا قيل: «حسناتُ الأبرارِ سيّئاتُ المُقرّبين».(۱) و أمّا بالنسبه إلى استغفار الأنبياء فيمكن توجيهه فى هذا السياق أيضاً. فالنبى بما له من مقام معنوى و عروج روحى يُعتبر آثماً فيما لو انشغل لحظه بأمور عاديه. و هذا لايعنى - طبعاً - أنّ إثمه يستحق العقاب، و إنّما هو خلاف لِما يتوقّع منه.

أمّا بالنسبه إلى معصيه آدم عليه السلام لِما نهاه عنه ربّه من الاقتراب من تلك الشجره المحرّمه، فقد كان نهياً إرشادياً. و كانت مخالفته توقع آدم نفسه فى مشقّه. و كان الأكل من ثمار تلك الشجره سبباً لفقدان آدم لحاله الاستقرار والسكينه و مكابده النصب والعناء: (فَقُلْنا يا آدَمُ إِنَّ هذا عَدُوٌّ لَكَ وَ لِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُما مِنَ الْجَنَّهِ فَتَشْقى) .(۲)

علم الأنبياء

اشاره

الأنبياء خيره اللّه،(۳) اصطفاهم و ألهمهم العلم والحكمه. وهم يتّصفون بالفضيله، والأمانه، و حسن الأخلاق، والتقوى، والإخلاص، والصبر، و غير ذلك من الصفات الحميده.

و قد جاء صراحه أنّ بعض الأنبياء ألهموا علماً الهياً.(۴) و قد نصّت سوره الأنعام بَعد ذكر أسماء ثمانيه عشر نبياً و بيان فضائلهم على ما يلى: (أُولئِكَ الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ وَ الْحُكْمَ وَ النُّبُوَّهَ) . (۵) و إضافه إلى العلم فقد حظى الأنبياء بالحكمه أيضاً. والحكمه هى الفهم العميق والبصيره.

علم الغيب عند الأنبياء

حظى الأنبياء فى سياق المهمه الموكله إليهم بإبلاغ رسالات اللّه، بما لم يحظ به غيرهم

۱- - المجلسى، بحارالأنوار، ج ۱۷، ص ۳۹.

۲- سوره طه (۲۰)، الآيه ۱۱۷.

۳- - سوره الفاطر (۳۵)، الآيه ۳۲.

۴- - سوره البقره (۲)، الآيه ۳۱؛ سوره آل عمران (۳)، الآيه ۴۸؛ سوره المائده (۵)، الآيه ۱۱۰؛ سوره يوسف (۱۲)، الآيه ۲۲؛ سوره مريم (۱۹)، الآيه ۴۳؛ سوره الأنبياء (۲۱)، الآيه ۷۴؛ سوره النمل (۲۷)، الآيه ۱۵؛ سوره القصص (۲۸)، الآيه ۱۴.

۵- - سوره الأنعام (۶)، الآيه ۸۹.

من الاطلاع على أمور غيبيه (عالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلى غَيْبِهِ أَحَداً * إِلاّ مَنِ ارْتَضى مِنْ رَسُولٍ) .(۱)

عرض القرآن موارد من علم غيب الأنبياء، و من ذلك ما أخبر به عيسى عليه السلام بنى إسرائيل،(۲) و اطِّلاع نبيّنا على أسرار كانت تخفيها إحدى زوجاته.(۳) و شم يعقوب عليه السلام قميص يوسف عليه السلام من مسافه بعيده.(۴) و رغم ذلك فقد نصّت بعض آيات القرآن على أنّ علم الغيب للّه، و لايطلع عليه أحداً: (فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلّهِ) . (۵) و جاء فى آيات أُخرى أنّ الأنبياء نفوا عن أنفسهم علم الغيب (قُلْ لا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِى خَزائِنُ اللّهِ وَ لا أَعْلَمُ الْغَيْبَ) . (۶) و ورد أيضاً هذا المعنى فى قوله تعالى: (قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعاً وَ لا ضَرًّا إِلاّ ما شاءَ اللّهُ وَ لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَ ما مَسَّنِىَ السُّوءُ) .(۷)

إنّ ما جاء فى بعض آيات القرآن الكريم من إثبات العلم الغيب للأنبياء، و ما جاء فى آيات أُخرى من نفى لذلك، يُعزى إلى أنّ علم الغيب للّه و لايحيط به أحد إلّابإذنه. و أمّا الذى لدى الأنبياء من علم الغيب، فيدخل فى دائره ما يأذن به اللّه لهم، و أنه هو الذى تكرّم عليهم بمثل هذه الفضيله والمقدره.

التفاوت بين الأنبياء

لكل الأنبياء منزله كريمه عند اللّه، و لكنهم فى الوقت نفسه متفاوتون فى ما بينهم من حيث المكانه المعنويه من جهه، و فى مقام النبوّه والرساله من جهه أُخرى: (وَ لَقَدْ فَضَّلْنا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلى بَعْضٍ) ، (۸)(تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللّهُ وَ رَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجاتٍ) .(۹)

عُرف بعض الأنبياء بتسميه أولى العزم (فَاصْبِرْ كَما صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ) .(۱۰)

۱- سوره الجن (۷۲)، الآيتان ۲۶ و ۲۷.

۲- – سوره آل عمران (۳)، الآيه ۴۹.

۳- سوره التحريم (۶۶)، الآيه ۳.

۴- – سوره يوسف (۱۲)، الآيه ۹۴.

۵- – سوره يونس (۱۰)، الآيه ۲۰.

۶- – سوره الأنعام (۶)، الآيه ۵۰.

۷- سوره الأعراف (۷)، الآيه ۱۸۸.

۸- – سوره الإسراء (۱۷)، الآيه ۵۵.

۹- سوره البقره (۲)، الآيه ۲۵۳.

۱۰- – سوره الأحقاف (۴۶)، الآيه ۳۵.

و تدل آیتان فی القرآن الکریم علی أنّ المراد من الأنبیاء أولی العزم هم الأنبیاء الخمسه:

النبیّ محمد صلی الله علیه و آله و سلم، و نوح علیه السلام، و إبراهیم علیه السلام، و موسی علیه السلام، و عیسی علیه السلام، قال تعالی:

(شَرَعَ لَکُمْ مِنَ الدِّینِ ما وَصّی بِهِ نُوحاً وَ الَّذِی أَوْحَیْنا إِلَیْکَ وَ ما وَصَّیْنا بِهِ إِبْراهِیمَ وَ مُوسی وَ عِیسی أَنْ أَقِیمُوا الدِّینَ وَ لا تَتَفَرَّقُوا فِیهِ) . (۱) والآیه الثانیه هی التی تتحدث عن أخذ المیثاق من النبیین و خاصّه من الأنبیاء الخمسه الذین سلف ذکر أسمائهم.(۲) و تجدر الإشاره إلی أنّ هؤلاء الأنبیاء أصحاب شرائع، و قد جاء کل واحد منهم إلی قومه بشریعه وفقاً لمقتضیات الزمان.

بشریه الأنبیاء

کان الأنبیاء بشراً و من جنس الناس، و کانوا بطبیعه الحال یقومون بأعمالهم الیومیه مثل أی إنسان آخر. و کانوا مثل سائر الناس یأکلون و یشربون. (وَ ما جَعَلْناهُمْ جَسَداً لا یَأْکُلُونَ الطَّعامَ وَ ما کانُوا خالِدِینَ) . (۳) و قد اتخذ خصوم الأنبیاء هذه الصفه ذریعه لإنکار نبوّتهم فکانوا یقولون: (إِنْ أَنْتُمْ إِلاّ بَشَرٌ مِثْلُنا) . (۴) و کان جواب الأنبیاء لهم:

نعم نحن بشر مثلکم و لکن اللّه یمنّ علی من یشاء من عباده و یصطفیه للنبوّه.(۵)

و سرّ هذا الاصطفاء هو أنَّ الأنبیاء هداه للناس، و اسوه لهم فی العمل والأخلاق والسلوک. و لهذا یجب أن یکونوا من بینهم لیکون الناس علی بیّنه بأن الإنسان یستطیع أن یکون تقیاً و صالحاً و عمله مقبول عند اللّه. و ربّما لو کان الأنبیاء من الملائکه لحظوا باقبال أکثر من الناس، و لکنهم ما کانوا یستطیعون تحقیق کل أهداف الأنبیاء و ذلک لأن هدف الأنبیاء لم یکن إبلاغ الرساله فقط و إنّما کانوا تجسیداً للإنسان المثالی الذی دعوا إلیه الناس فی رسالاتهم. و لهذا قال تعالی فی کتابه الکریم: (لَوْ جَعَلْناهُ مَلَکاً لَجَعَلْناهُ رَجُلاً وَ لَلَبَسْنا عَلَیْهِمْ ما یَلْبِسُونَ) .(۶)

۱- – سوره الشوری (۴۲)، الآیه ۱۳.

۲- – سوره الأحزاب (۳۳)، الآیه ۷.

۳- – سوره الأنبیاء (۲۱)، الآیه ۸.

۴- – سوره إبراهیم (۱۴)، الآیه ۱۰.

۵- سوره إبراهیم (۱۴)، الآیه ۱۱.

۶- سوره الأنعام (۶)، الآیه ۹.

کان الأنبیاء أُناساً متفانین من أجل البشریه، و کرّسوا کل مساعیهم فی سبیل انتشال بنی البشر من الفساد. فکانوا أحیاناً یشعرون بالحزن والأذی بسبب عدم إیمان الکُفّار: (لَعَلَّکَ باخِعٌ نَفْسَکَ أَلاّ یَکُونُوا مُؤْمِنِینَ) .(۱)

الأنبیاء کغیث یستجلب الرحمه الإلهیه، یروون کل العباد بینبوع الوحی، من غیر أن یرتجوا منهم أجراً، و تحمّلوا الکثیر من العناء والمشقّه لکی یعبّدوا أمام الناس طریقاً مستقیماً، و جاهدوا بکل ما أوتوا من قوّه لکی یُقبل الناس إلی منهج السعاده والفلاح و یسیروا علیه.(۲) و قد انصَبّت مساعی الأنبیاء علی استماله الناس إلی عباده اللّه، أی هدایتهم. و کان خطابهم موجهاً إلی کل أبناء الأُمّه من غیر تمییز بین هذا و ذاک.

نذکر من ذلک - علی سبیل المثال - أنّ اللّه عزّوجلّ لَمّا بعث موسی و هارون علیهما السلام بالرساله، أمرهما أن یشملا بالدعوه جمیع الناس و حتی أمثال فرعون، و أن یذهبا إلیه و یعظاه و یتکلما معه برفق: (فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَیِّناً لَعَلَّهُ یَتَذَکَّرُ أَوْ یَخْشی) . (۳) و یفهم من هذا:

أوّلاً: إنّ کل الناس و حتی أشقاهم بحاجه إلی دعوه الأنبیاء.

و ثانیاً: إنّ الدعوه بلین و رفق تؤثّر حتی فی مثل قلب فرعون، و تستثیر فیه خشیه اللّه.

اتبع الأنبیاء فی أداء رسالاتهم أُسلوب التبشیر والإنذار، و حذّروا الناس من القبائح والآثام، و أنذروهم من العواقب الوخیمه للکفر والمعصیه، و بشّروا الصالحین والمؤمنین والمحسنین بالثواب والأجر العظیم. و لم یغفلوا لحظه عن دعوتهم إلی التوحید. و قد أُوذوا فی هذا السبیل وعُذِّبوا وأُبعدوا، و حتی أنّ بعضهم قُتلوا، و لکنّ مهمّه التبلیغ و دعوه الناس إلی عباده اللّه لم تتوقف، و بقیت متواصله علی الدوام.

استعمل الأنبیاء فی دعوتهم أُسلوب اللین والمرونه، وسعوا إلی استماله الناس إلی عباده اللّه عن طریق إثاره المشاعر الإنسانیه فیهم. و قد وصف اللّه تبارک و تعالی رسوله

۱- سوره الشُعراء (۲۶)، الآیه ۳.

۲- - سوره التوبه (۹)، الآیه ۱۲۸.

۳- - سوره طه (۲۰)، الآیه ۴۴.

الكريم بما يلى: (فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ اللّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ) . (۱) و قد أبدى الأنبياء صلابه منقطعه النظير على طريق هدفهم (وَ كَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَما وَهَنُوا لِما أَصابَهُمْ فِى سَبِيلِ اللّهِ وَ ما ضَعُفُوا وَ مَا اسْتَكانُوا وَ اللّهُ يُحِبُّ الصّابِرِينَ) .(۲)

لم يكن لدى الأنبياء طمع فى الحصول على أجر من الناس لقاء تبليغ رسالاتهم (وَ ما أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ) .(۳)

و قد اتّبع معارضو الأنبياء - كأى مستبد آخر - أُسلوب الإيذاء والتبعيد والقتل ضدّهم و إلصاق التهم بهم، و لكنّ الأنبياء كانوا يجتنبون الأساليب الانفعاليه، والصخب، والضغظ، والإكراه، والعنف والتُهم، فى نشر الدّين.

إنّ سيره الأنبياء تمثّل درساً و عبره يجب أن يحتذى بها كل دعاه الاصلاح الاجتماعى والتربوى. فالأنبياء هم روّاد الاصلاح، و دعاه الناس إلى التقوى والإخلاص. و لم يكونوا يدلون برأى أو يقومون بعمل يبدو فى نظر الناس متناقضاً. و كانوا يتّصفون بالثبات على موقف معنوى واحد فى حالتى النصر والهزيمه، و هو التوجّه إلى اللّه.

كان الأنبياء ثابتين على مبادئهم؛ فلم يكونوا يتلوّنون فى كل يوم بلونٍ، و لا كانوا يمارسون الألاعيب السياسيه، و إنّما كانت القيم الدينيه أصلاً و مبدءاً ثابتاً لديهم على الدوام. و على هذا الأساس كانوا يتمسّكون بما يعاهدون الناس عليه و بالمعاهدات التى يبرمونها مع جهات أُخرى، و لم ينقضوها قط. (وَ ما كانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ) .(۴)

كان الأنبياء كثيراً ما يواجهون معارضه من أُولئك الذين يرون فى تعاليم السماء خطراً يهدد مصالحهم. و رغم كل تلك العراقيل والإساءات، فإنَّ الأنبياء كانوا يصفحون عنهم.

و كان من دأب الأنبياء أيضاً الدفاع عن المظلومين والدعوه إلى الحق. و كانوا لايتّبعون أساليب الزيف والخداع لتحقيق أهدافهم، و لايبيحون كل وسيله لبلوغ الغايه. و كانوا يتعاملون مع المؤمنين و طلبه الحق و عموم الناس بتواضع، و لكنّهم عندما تقتضى الضروره

۱- - سوره آل عمران (۳)، الآيه ۱۵۹.

۲- سوره آل عمران (۳)، الآيه ۱۴۶.

۳- سوره الشُعَراء (۲۶)، الآيه ۱۰۹.

۴- سوره آل عمران (۳)، الآيه ۱۶۱.

تجدهم رجال جهاد وصولات. و ما كان فی قلوبهم خوف إلّاخوف اللّه، و كانت قلوبهم مشدوده إلی اللّه و متعلقه به. و یمكن القول بإیجاز: إنّهم كانوا ولهین بعباده اللّه؛ و موحّدین له بكل معنی الكلمه.

كان الأنبیاء یعیشون فی وسط مجتمعاتهم ویُعتبرون أنفسهم جزءاً من المجتمع الذی یعیشون فیه، و یحرصون علی قیاده سفینه المجتع إلی ساحل النجاه. و كانوا بطبیعه الحال یعیشون بین الناس بزهد و بساطه. و قد وصف أمیرالمؤمنین علیه السلام ذهاب موسی و هارون علیهما السلام إلی فرعون بقوله:

وَ لَقَدْ دَخَلَ مُوسَی بْنُ عِمْرَانَ وَمَعَهُ أَخُوهُ هَارُونُ عَلَی فِرْعَوْنَ وَعَلَيْهِمَا مَدَارِعُ الصُّوفِ وَ بِأَيْدِيهِمَا الْعِصِيُّ فَشَرَطَا لَهُ إِنْ أَسْلَمَ بَقَاءَ مُلْكِهِ وَدَوَامَ عِزِّهِ فَقَالَ: الاَ تَعْجَبُونَ مِنْ هَذَيْنِ يَشْرِطَانِ لِی دَوَامَ الْعِزِّ وَبَقَاءَ الْمُلْكِ وَهُمَا بِمَا تَرَوْنَ مِنْ حَالِ الْفَقْرِ وَالذُّلِّ، فَهَلاَّ أُلْقِیَ عَلَيْهِمَا أَسَاوِرَهٌ مِنْ ذَهَبٍ، إِعْظَاماً لِلذَّهَبِ وَ جَمْعِهِ، وَاحْتِقَاراً لِلصُّوفِ وَلُبْسِهِ، وَلَوْ أَرَادَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِأَنْبِيَائِهِ حَيْثُ بَعَثَهُمْ أَنْ يَفْتَحَ لَهُمْ كُنُوزَ الذِّهْبَانِ وَ مَعَادِنَ الْعِقْيَانِ وَ مَغَارِسَ الْجِنَانِ، وَ أَنْ يَحْشُرَ مَعَهُمْ طُيُورَ السَّمَاءِ وَوُحُوشَ الأرضينَ لَفَعَلَ، وَلَوْ فَعَلَ لَسَقَطَ الْبَلَاءُ وَ بَطَلَ الْجَزَاءُ وَاضْمَحَلَّتِ الْأَنْبَاءُ، وَ لَمَا وَجَبَ لِلْقَابِلِينَ أُجُورُ الْمُبْتَلَيْنَ، وَ لاَ اسْتَحَقَّ الْمُؤْمِنُونَ ثَوَابَ الْمُحْسِنِينَ، وَ لاَ لَزِمَتِ الْأَسْمَاءُ مَعَانِيَهَا، وَ لَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ رُسُلَهُ أُولِی قُوَّهٍ فِی عَزَائِمِهِمْ وَضَعَفَهً فِيمَا تَرَی الْأَعْيُنُ مِنْ حَالَاتِهِمْ.(۱)

وَ لَقَدْ كَانَ فِی رَسُولِ اللَّهِ كَافٍ لَكَ فِی الْأُسْوَهِ، وَدَلِيلٌ لَكَ عَلَی ذَمِّ الدُّنْيَا وَعَيْبِهَا وَكَثْرَهِ مَخَازِيهَا وَمَسَاوِيهَا؛ إِذْ قُبِضَتْ عَنْهُ أَطْرَافُهَا وَوُطِّئَتْ لِغَيْرِهِ أَكْنَافُهَا وَفُطِمَ عَنْ رَضَاعِهَا وَزُوِیَ عَنْ زَخَارِفِهَا. وَإِنْ شِئْتَ ثَنَّيْتُ بِمُوسَی كَلِيمِ اللَّهِ حَيْثُ يَقُولُ: رَبِّ إِنِّی لِما أَنْزَلْتَ إِلَیَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ، وَاللَّهِ مَا سَأَلَهُ إِلَّا خُبْزاً يَأْكُلُهُ لِأَنَّهُ كَانَ يَأْكُلُ بَقْلَهَ الأرض، وَ لَقَدْ كَانَتْ خُضْرَهُ الْبَقْلِ تُرَی مِنْ شَفِيفِ صِفَاقِ بَطْنِهِ، لِهُزَالِهِ وَتَشَذُّبِ لَحْمِهِ. وَإِنْ شِئْتَ ثَلَّثْتُ بِدَاوُدَ صَاحِبِ الْمَزَامِيرِ وَ قَارِئِ أَهْلِ الْجَنَّهِ، فَلَقَدْ كَانَ يَعْمَلُ سَفَائِفَ الْخُوصِ بِيَدِهِ وَيَقُولُ لِجُلَسَائِهِ: أَيُّكُمْ يَكْفِينِی بَيْعَهَا

۱- الشریف الرضی، نهج البلاغه، الخطبه ۱۹۲ (القاصعه)، ص ۲۹۱.

وَيَأْكُلُ قُرْصَ الشَّعِيرِ مِنْ ثَمَنِهَا؟ وَإِنْ شِئْتَ قُلْتُ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، فَلَقَدْ كَانَ يَتَوَسَّدُ الْحَجَرَ وَيَلْبَسُ الْخَشِنَ وَيَأْكُلُ الْجَشِبَ، وَكَانَ إِدَامُهُ الْجُوعَ وَ سِرَاجُهُ بِاللَّيْلِ الْقَمَرَ وَظِلَالُهُ فِي الشِّتَاءِ مَشَارِقَ الأرض وَمَغَارِبَهَا وَ فَاكِهَتُهُ وَ رَيْحَانُهُ مَا تُنْبِتُ الأرض لِلْبَهَائِمِ، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ زَوْجَةٌ تَفْتِنُهُ وَ لاَ وَلَدٌ يَحْزُنُهُ وَ لاَ مَالٌ يَلْفِتُهُ وَ لاَ طَمَعٌ يُذِلُّهُ، دَابَّتُهُ رِجْلاهُ وَ خَادِمُهُ يَدَاهُ فَتَأَسَّ بِنَبِيِّكَ الْأَطْيَبِ الْأَطْهَرِ، فَإِنَّ فِيهِ أُسْوَةً لِمَنْ تَأَسَّى وَعَزَاءً لِمَنْ تَعَزَّى وَأَحَبُّ الْعِبَادِ إِلَى اللَّهِ الْمُتَأَسِّي بِنَبِيِّهِ، وَالْمُقْتَصُّ لِأَثَرِهِ، قَضَمَ الدُّنْيَا قَضْماً وَ لَمْ يُعِرْهَا طَرْفاً، أَهْضَمُ أَهْلِ الدُّنْيَا كَشْحاً وَ أَخْمَصُهُمْ مِنَ الدُّنْيَا بَطْناً، عُرِضَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهَا، وَعَلِمَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَبْغَضَ شَيْئاً فَأَبْغَضَهُ وَ حَقَّرَ شَيْئاً فَحَقَّرَهُ وَ صَغَّرَ شَيْئاً فَصَغَّرَهُ. وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِينَا إِلاَّ حُبُّنَا مَا أَبْغَضَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ، وَ تَعْظِيمُنَا مَا صَغَّرَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ، لَكَفَى بِهِ شِقَاقاً لِلَّهِ وَمُحَادَّةً عَنْ أَمْرِ اللَّهِ، وَلَقَدْ كَانَ يَأْكُلُ عَلَى الأرض وَ يَجْلِسُ جِلْسَةَ الْعَبْدِ وَ يَخْصِفُ بِيَدِهِ نَعْلَهُ وَيَرْقَعُ بِيَدِهِ ثَوْبَهُ، وَ يَرْكَبُ الْحِمَارَ الْعَارِيَ وَ يُرْدِفُ خَلْفَهُ.(۱)

خاتم الأنبياء

ولد نبی الإسلام محمد بن عبداللّه صلی الله علیه و آله و سلم فی عام ۵۷۰ للمیلاد.(۲) و کان أبوه قد توفّی قبل ولادته. و توفیت أمّه و هو فی السادسه. فکفله جدّه عبدالمطلب (رضوان اللّه علیه). وبعد سنتین توفی جدّه عبدالمطلب، فکفله عمّه أبو طالب (رضوان اللّه علیه). و کان صلوات اللّه علیه - کأکثر أهل مکه - أمیّاً (فَآمِنُوا بِاللّهِ وَ رَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ) .(۳)

و رغم أنه عاش فی أجواء مکّه و ما جاورها، غیر أنه لم یصطبغ بصبغتها؛ فقد کان معروفاً بالأمانه حتی أنه عرف باسم محمد الأمین، و لم یسجد لصنم قط. و قد قال عنه

۱- المصدر السابق، الخطبه ۱۶۰، ص ۲۲۶-۲۲۸.

۲- - الشیء المعیّن وقته والمسلّم به فی التاریخ أمران: الأوّل هو أن هجره النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم کانت فی یوم السبت الثامن من ربیع الأوّل، المصادف ۲۰ سبتمبر من عام ۶۲۲ م؛ و کان سنّه حین الهجره حوالی اثنین و خمسین سنه، والآخر وفاته. و یمکن التوصّل من خلال ذلک إلی أنّ ولادته کانت حوالی عام ۵۷۰ م.

۳- سوره الأعراف (۷)، الآیه ۱۵۸.

علی علیه السلام: «وَ لَقَدْ قَرَنَ اللَّهُ بِهِ مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيماً أَعْظَمَ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَتِهِ يَسْلُكَ بِهِ طَرِيقَ الْمَكَارِمِ وَ مَحَاسِنَ أَخْلَاقِ الْعَالَمِ، لَيْلَهُ وَ نَهَارَهُ».(۱)

و فی الأربعین من عمره ذهب فی أحد الأیام - کما کان یذهب عاده للتعبد - إلی غار حراء، فبُعِث بالنبوّه و بدأ منذ ذلک الیوم مهمّته فی أداء الرساله: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّکَ الَّذِی خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ عَلَقٍ) .(۲)

و کان محتوی دعوته، و وقع الآیات التی یتلوها علی الناس، یتّسم بکثیر من الجاذبیه، بحیث حار فیه معارضوه حتی وصفوه بالسحر والکهانه والجنون.

بدأ بإبلاغ الرساله من أُسرته، ثم تدرج منها إلی قبیلته، و بَعد ذلک إلی عموم الجزیره العربیه، ثم فی نهایه المطاف إلی العالم کلّه: (وَ أُوحِیَ إِلَیَّ هذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَکُمْ بِهِ وَ مَنْ بَلَغَ) .(۳)

و بَعد عقد من الزمن شعّ نور الرساله من مکّه وبلغ المدینه. و لم یمر وقت طویل حتی أقام فی المدینه دوله. و قد واجهت الرسول حینذاک مشاکل داخلیه و خارجیه خطیره، و لکنّها لم تفتّ فی عضده و لم تثنه عن عزمه، بل بالعکس زادته تصمیماً علی مواصله دربه.

فنجح صلوات اللّه علیه فی أن یجعل من أولئک الأعراب الأجلاف رجالاً فی غایه الورع والإخلاص والتقوی والإیثار.

سیره رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم

اشاره

ورد فی حدیث مشهور عن رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم أنه قال: «اَدَّبَنی رَبّی فَأَحْسَنَ تَأدیبی».(۴)

و ورد عنه أیضاً أنه قال: «اَنا أدیب اللّه وَ علِیٌّ أدیبی».(۵)

کان رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم شخصیه إلهیه، و رجلاً فذّاً فی عالم الوجود. کانت کل أعماله

۱- الشریف الرضی، نهج البلاغه، الخطبه ۱۹۲، ص ۳۰۰؛ المجلسی، بحارالأنوار، ج ۱۴، ص ۴۷۵.

۲- سوره العلق (۹۶)، الآیتان ۱ و ۲.

۳- سوره الأنعام (۶)، الآیه ۱۹.

۴- المجلسی، بحارالانوار، ج ۱۶، ص ۲۱۰؛ الطبرسی، مجمع البیان، ج ۵، ص ۳۳۳، فی ختام الآیه ۴ من سوره القلم.

۵- المجلسی، بحارالأنوار، ج ۱۶، ص ۲۳۱.

وسیرته إلهیه. و قد جاء فی روایه: إنّ اللّه عزّوجلّ أدّب نبیه فأحسن أدبه، فلمّا أکمل له الأدب قال: (إِنَّکَ لَعَلی خُلُقٍ عَظِیمٍ) (۱) ثم فوض إلیه أمر الدّین والأُمّه لیسوس عباده.(۲)

و انطلاقاً من ذلک جعله الباری تعالی أُسوه لعباده و قال: (لَقَدْ کانَ لَکُمْ فِی رَسُولِ اللّهِ أُسْوَهٌ حَسَنَهٌ) (۳) و لمعرفه المزید عن جوانب شخصیه الرسول صلی الله علیه و آله و سلم نسلّط الضوء فی ما یلی علی ملامح من سیرته.

عبادته

کان النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم مکلّفاً بقیام اللیل و أداء نافله اللیل، و قراءه القرآن (یَبْعَثَکَ رَبُّکَ مَقاماً مَحْمُوداً) (۴) و کانت أعظم مفخره لرسول اللّه أنه کان عبداً للّه. و قد وصفه عزّوجلّ فی القرآن الکریم بأنه عبده.(۵) و قد کان قبل الرساله یمضی قسماً من وقته بالعباده فی غار حراء.(۶)

کان یکثر من البکاء من خشیه اللّه حتی یُغمی علیه. و لما قیل له: لِمَ تتعب نفسک و قد غفر اللّه لک ما تقدّم من ذنبک و ما تأخّر؟ فقال: ألا أکون عبداً شکوراً.(۷)

کان یستغفر اللّه فی کل یوم سبعین مرّه.(۸) و کان یصوم حتی یُقال: لایفطر. ثم صام یوماً و أفطر یوماً. ثم صام الاثنین والخمیس. ثم آل من ذلک إلی صیام ثلاثه أیام فی الشهر؛ الخمیس فی أول الشهر، والأربعاء فی وسط الشهر، والخمیس فی آخر الشهر. و کان صلی الله علیه و آله و سلم یقول: ذلک صوم الدهر.(۹)

۱- – سوره القلم (۶۸)، الآیه ۴.

۲- الکلینی، الکافی، ج ۱، ص ۲۶۶، الحدیث ۴؛ المجلسی، بحارالأنوار، ج ۱۷، ص ۴، الحدیث ۳.

۳- – سوره الأحزاب (۳۳)، الآیه ۲۱.

۴- – سوره الإسراء (۱۷)، الآیه ۷۹.

۵- – سوره الإسراء (۱۷)، الآیه ۱.

۶- الشریف الرضی، نهج البلاغه، الخطبه ۱۹۲، ص ۳۰۰.

۷- الکُلینی، الکافی، ج ۲، ص ۹۵، الحدیث ۶.

۸- – الکُلینی، الکافی، ج ۲، ص ۵۰۵، الحدیث ۵؛ المجلسی، بحارالأنوار، ج ۱۶، ص ۲۵۸، الحدیث ۴۱.

۹- الصدوق، من لایحضره الفقیه، باب صوم السنه، ج ۲، ص ۴۸، الحدیث ۱.

مداراه الناس

روی عن الإمام الباقر علیه السلام أنّ جبرائیل علیه السلام جاء إلی النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم و قال له: یا محمد، ربّک یقرئک السلام و یقول لک: دارِ خلقی.(۱) و کان رفقه بالناس و مداراته لهم سبباً لاستماله قلوبهم، فجعل من أُولئک الناس القساه الطباع و ذوی القلوب المتحجّره أُناساً رؤفاء:

(فَبِما رَحْمَهٍ مِنَ اللّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَ لَوْ کُنْتَ فَظًّا غَلِیظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِکَ) .(۲)

روی أنّ رجلاً ـ أتی النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم یکلّمه فأرعد، فقال: هوّن علیک، فلست بملک، إنّما أنا ابن امرأه کانت تأکل القد.(۳)

قال الإمام الحسین علیه السلام: سألت أبی: کیف کانت سیره رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم فی جلسائه؟ فقال: کان دائم البشر، سهل الخلق، لیّن الجانب، لیس بفظّ و لا صخّاب و لا فحّاش و لا عیّاب... قد ترک نفسه من ثلاث: المِراء، والإکثار، و ما لایعنیه.(۴)

و قد کان رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم یجالس الفقراء، و یؤاکل المساکین، و یناولهم بیده.(۵) و کان إذا فقد الرجل من إخوانه ثلاثه أیّام سأل عنه، فإن کان غائباً دعا له، و إن کان شاهداً زاره، و إن کان مریضاً عاده.(۶)

و عندما بعث معاذ بن جبل إلی الیمن أوصاه بأمور منها أنه قال له: إیاک أن تشتم مسلماً(۷) و قال للناس فی خطبه حجه الوداع: أیها الناس، إنّ دماءکم و أعراضکم علیکم حرام إلی أن تلقوا ربکم، کحرمه یومکم هذا فی بلدکم هذا.(۸)

النظافه والزینه

کان صلی الله علیه و آله و سلم یولی أهمّیه خاصّه للنظافه. و کان من عادته أن ینظر فی المرآه و یرجّل شعره

۱- – الکُلینی، الکافی، ج ۲، ص ۱۱۶، الحدیث ۲.

۲- سوره آل عمران (۳)، الآیه ۱۵۹.

۳- المجلسی، بحارالأنوار، ج ۱۶، ص ۲۲۹، ذیل الحدیث ۳۵.

۴- المصدر السابق، ص ۱۵۲ و ۱۵۳؛ الصدوق، عیون أخبار الرضا، ج ۱، ص ۳۱۸ و ۳۱۹.

۵- – المجلسی، بحارالأنوار، ج ۱۶، ص ۲۲۸، الحدیث ۳۴.

۶- المصدر السابق، ص ۲۳۳.

۷- – الحرّانی، تحف العقول، ص ۲۶.

۸- المصدر السابق، ص ۳۱.

و یمتشط، وربّما نظر فی الماء وسوّی جمّته فیه. ولقد کان یتجمّل لأصحابه فضلاً عن تجمّله لأهله. و کان یقول: إنّ اللّه تعالی یحب من عبده إذا خرج إلی إخوانه أن یتهیّأ لهم و یتجمّل.(۱) و کان یستاک ثلاث مرّات کل لیله: مره قبل نومه، و مرّه إذا قام من نومه إلی ورده، و مرّه قبل خروجه إلی صلاه الصبح.(۲) و کانت هناک أشیاء لاتفارقه فی أسفاره: قاروره الدهن، والمکحله، والمقراض، والمسواک، والمشط.(۳) و روی عن الإمام الصادق علیه السلام أنه قال: کان رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم ینفق علی الطیب أکثر ممّا ینفق علی الطعام.(۴)

الاعتدال

وصف القرآن الکریم الأُمّه الإسلامیه بالأُمّه الوسط فی قوله تعالی: (وَ کَذلِکَ جَعَلْناکُمْ أُمَّهً وَسَطاً لِتَکُونُوا شُهَداءَ عَلَی النّاسِ وَ یَکُونَ الرَّسُولُ عَلَیْکُمْ شَهِیداً) (۵) والأُمّه الوسط أی المعتدله. و قد نقل الإمام الباقر عن رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم أنه قال: من صارت عبادته إلی سنّتی فقد اهتدی، و من خالف سنّتی فقد ضل و کان عمله فی تباب. أما إنّی أُصلّی و أنام و أصوم و أفطر، و أضحک و أبکی. فمن رغب عن منهاجی فلیس منّی.(۶) و کان له مقام معنوی یجل عن الوصف؛ فقد کان یوحی إلیه و یسعی بکل ما أُوتی من قوه لإبلاغ دین اللّه من غیر أن یثنیه عن ذلک شیء، و لکنّه کان فی غایه التواضع فی التعامل مع الناس، و کان فی بعض الأحیان یمزح مع أصحابه. فقد قال الإمام الصادق علیه السلام: إنّ رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم کان یداعب و لایقول إلّاالحق.(۷)

نُقل أنّ رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم کان یأتیه الأعرابی فیهدی إلیه الهدیه، ثم یقول مکانه: أعطنا ثمن هدیّتنا، فیضحک رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم. و کان إذا اغتّم یقول: ما فعل الأعرابی لیته أتانا.(۸)

۱- – المجلسی، بحارالأنوار، ج ۱۶، ص ۲۴۹.

۲- – المصدر السابق، ص ۲۵۴.

۳- – المصدر السابق، ص ۲۵۰.

۴- المصدر السابق، ص ۲۴۸.

۵- – سوره البقره (۲)، الآیه ۱۴۳.

۶- – الکُلینی، الکافی، ج ۲، ص ۸۵، الحدیث ۱.

۷- النوری، المیرزا حسین، مستدرک الوسائل، الباب ۶۶ من أحکام العشره، ج ۸، ص ۴۰۸، الحدیث ۲.

۸- الحرّ العاملی، وسائل الشیعه، الباب ۸۰ من أحکام العشره، الحدیث ۱، ج ۱۲، ص ۱۱۲.

موقفه من الأعداء

روی عن الإمام الصادق علیه السلام أنه قال فی وصف سیره رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم و موقفه من الأعداء: «إنه متی ما بعث أمیراً علی سَرِیَّه کان یوصیه بتقوی اللّه عزّوجلّ فی خاصّه نفسه، ثم فی أصحابه عامه، ثم یقول: اغز باسم اللّه و فی سبیل اللّه، قاتلوا من کفر باللّه و لاتغدروا و لاتغلُّوا و تمثّلوا و لاتقتلوا ولیداً، و لامتبتلاً فی شاهق، و لاتحرقوا النخل و لاتغرقوه بالماء، و لاتقطعوا شجره مثمره و لاتحرقوا زرعاً؛ لأنکم لاتدرون لعلکم تحتاجون إلیه، و لاتعقروا من البهائم ممّا یؤکل لحمه».(۱)

و کان صلوات اللّه علیه یأسی لعدم إیمان قومه إلی أن أوحی إلیه ربّه: (فَلَعَلَّکَ باخِعٌ نَفْسَکَ عَلی آثارِهِمْ إِنْ لَمْ یُؤْمِنُوا بِهذَا الْحَدِیثِ أَسَفاً) . (۲) و فی فتح مکّه أقبل علی قریش و قال لهم: ما ترون أنّی صانع بکم؟ قالوا: خیراً، أخ کریم وابن أخ کریم. فقال لهم:

اذهبوا فأنتم الطلقاء.(۳)

الزهد والبساطه

روی عن علی أمیرالمؤمنین علیه السلام أنه وصف زهد رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم فقال: کان فراش رسول اللّه عباءه، و کانت مرفقته أدم حشوها لیف، فثُنّیت له ذات لیله. فلمّا أصبح أمر صلی الله علیه و آله و سلم أن یُجعل بطاق واحد.(۴)

و قال الإمام الباقر علیه السلام فی أحوال رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم: «لم یورّث دیناراً و لا درهماً و لا عبداً و لا ولیده و لا شاه و لا بعیراً، و لقد قُبض و إنّ درعه مرهونه عند یهودی من یهود المدینه بعشرین صاعاً من شعیر».(۵)

۱- الکُلینی، الکافی، ج ۵، ص ۲۹، الحدیث ۸.

۲- - سوره الکهف (۱۸)، الآیه ۶.

۳- المسعودی، مروج الذهب، ج ۲، ص ۲۹۷.

۴- المجلسی، بحارالأنوار، ج ۱۶، ص ۲۱۷، الحدیث ۵.

۵- المصدر السابق، ص ۲۱۹، الحدیث ۸.

و قال أميرالمؤمنين عليه السلام: ما شبع النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم من خبز برّ ثلاثه أيام حتى مضى لسبيله.(۱)

و روى الإمام الباقر عليه السلام إنّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم قال: خمس لا أدعهن حتى الممات: الأكل على الحضيض مع العبيد، و ركوبى الحمار مُؤكفاً، و حلبى العنز بيدى، و لبس الصوف، والتسليم على الصبيان.(۲)

معجزه النبيّ محمد صلى الله عليه و آله و سلم

اشاره

ذكرنا سابقاً إنّ كل نبى كانت له معجزه لإثبات نبوّته و حقّانيته. و بما أنّ النبيّ محمد صلى الله عليه و آله و سلم خاتم الأنبياء، فلابّد أن تكون له معجزه تتناسب مع خاتميّته، و لابُدّ أن تكون بطبيعه الحال خالده مع خلود العالم، و فيها إثبات لنبوّته و حقّانيه دينه.

فى ذلك الوقت كان العرب يتفاخرون بالفصاحه، و كانوا يتنافسون فى ما بينهم بأساليب البلاغه فى الشعر والنثر. و فى سياق ذلك التنافس علّق عرب الجاهليه أبدع قصائدهم الشعريه و هى المعلقات السبع(۳) على جدار الكعبه، حيث نبغوا فى هذا المضمار إلى حد بعيد، و حسبوا أنّ الإبداع فى هذا الفن بلغ ذروته، و لكن رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم جاءهم - دون أن تكون له سابقه فى الفصاحه والبلاغه والقراءه والكتابه - بكلام حيّر عقولهم، و جاذبيه لاينكرها مُنكِر. و كان لكلامه سحر أخذ بمجامع قلوبهم. فهو يتسم بنظم و إيقاع، و تمثيل و كنايه، و تشبيهات واستعارات و إيجاز. غير أنّ العصبيه الجاهليه منعت البعض منهم من الاعتراف بالحق، و دفعهم العناد إلى أن يصفوه تاره بالشعر،(۴) و يصفوه تاره أُخرى بالسحر،(۵) و قال جماعه منهم: إنه عباره عن أساطير،(۶) و حسبه آخرون كلام كاهن.(۷) و

۱- - المصدر السابق، ص ۲۲۰، الحديث ۱۵.

۲- المصدر السابق، ص ۲۱۵، الحديث ۲؛ و ص ۲۲۰، الحديث ۱۱.

۳- - و هى قصائد لأبرع شعراء العرب علّقوها على جدار الكعبه تفاخراً بها لكى يراها الوافدون إلى الكعبه.

۴- - سوره الأنبياء (۲۱)، الآيه ۵.

۵- - سوره سبأ (۳۴)، الآيه ۴۳.

۶- سوره الأنعام (۶) الآيه ۲۵.

۷- سوره الطور (۵۲)، الآيه ۲۹؛ سوره الحاقّه (۶۹)، الآيه ۴۲.

دفعهم الخوف من تأثيره إلى أن يأمروا الناس بصمِّ أسماعهم عَنه. و لاشكّ فى أنّ كل هذه الأقوال والأفعال تنطوى على اعتراف ضمنى بأنّ للقرآن سحراً يفوق ما كان معروفاً بينهم من أساليب البلاغه والفصاحه التى تتسم بها الخطب والأشعار فى عصرهم. و هذا الموقف على ما فيه من معارضه، فهو ينم أيضاً عن عجزهم عن مجابهه القرآن، و قد تحدّاهم رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم أن يأتوا بمثل هذا الكلام إن كانوا لايؤمنون به و ينكرون أنه كلام اللّه:

(وَ إِنْ كُنْتُمْ فِى رَيْبٍ مِمّا نَزَّلْنا عَلى عَبْدِنا فَأْتُوا بِسُورَهٍ مِنْ مِثْلِهِ وَ ادْعُوا شُهَداءَكُمْ مِنْ دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ) .(۱)

تجدر الإشاره إلى أنّ التحدى بالإتيان بمثلٍ للقرآن جاء على ثلاث مراحل؛ ففى المرحله الأُولى جاء بطلب الإتيان بمثلٍ للقرآن كله،(۲) و فى المرحله الثانيه جاء على شكل دعوه للإتيان بعشر سور كسور القرآن.(۳) و فى المرحله الأخيره كانت الدعوه للإتيان بسوره واحده(۴) أو بكلام مشابه للقرآن.(۵) و قد حاول كثيرون الاستجابه لذلك التحدّى، و فكّروا فى أنفسهم أن ينسجوا أشياء تحاكى القرآن، و لكنهم عندما قارنوها مع القرآن لم يتجرأوا على إعلانها أمام الناس. و أمّا الذين تجرأوا على المجاهره بما نسجوه من عند أنفسهم فلم يثبتوا سوى عجزهم عن مجاراه القرآن. و قد عبّر القرآن عن هذا العجز مسبقاً بقوله: (قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً) .(۶)

إنّ ما حاول خصوم النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم مضاهاته هو فصاحه القرآن و بلاغته، و قد فشلوا فى محاولاتهم هذه فشلاً ذريعاً. و لاشكّ فى أنّ ما يميّز القرآن - ككتاب سماوى - هو محتواه الخالد وعطاؤه للبشريه. و هذا يعنى أنّ إعجاز القرآن لاينحصر فى مجال إعجازه الأدبى والبلاغى فحسب.

۱- سوره البقره (۲)، الآيه ۲۳؛ و أيضاً راجع: سوره يونس (۱۰)، الآيه ۳۸.

۲- - سوره الإسراء (۱۷)، الآيه ۸۸.

۳- - سوره هود (۱۱)، الآيه ۱۳.

۴- - سوره البقره (۲)، الآيه ۲۳.

۵- سوره الطور (۵۲)، الآيه ۳۴.

۶- سوره الإسراء (۱۷)، الآيه ۸۸.

وردت فی القرآن الکریم أخبار کثیره عن مغیّبات و حوادث مستقبلیه. کما سرد أیضاً قصص الغابرین من الأنبیاء، و شخصیات تاریخیه أُخری کلقمان، و فرعون، والنمرود، و ملکه سبأ. کما کشف أیضاً عمّا عزم علیه خصوم النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم کاتفاقهم فی دارالندوه علی قتله أو نفیه: (وَ إِذْ یَمْکُرُ بِکَ الَّذِینَ کَفَرُوا لِیُثْبِتُوکَ أَوْ یَقْتُلُوکَ أَوْ یُخْرِجُوکَ) ، (۱) و أزاح الستار أیضاً عما کان یتّخذ فی أوساط المنافقین من قرارات ضد النبیّ (إِذْ یُبَیِّتُونَ ما لا یَرْضی مِنَ الْقَوْلِ) . (۲) کما أخبر القرآن الکریم عن نصر قریب یحرزه الروم علی ملوک فارس.(۳) و قد جاءت هذه النبوءات فی وقت لم یکن فیه للنبی ناصر و لا معین. و قد أُثیرت یومذاک ضجّه إعلامیه صاخبه ضد هذه النبوءات واستُغلّت للتشنیع علی النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم.

بیّن القرآن حقائق علمیه لم یتوصّل إلیها البشر إلّابَعد مئات السنین، لأنه لم تکن هناک أدوات علمیه لإثباتها یومذاک، مثل حرکه الأرض،(۴) والریاح التی تکوّن السحب،(۵) و کیفیه تکاثف الغیوم،(۶) و وجود طبقات ثلجیه فی السماء،(۷) و حرکه الکواکب فی مدارات معیّنه،(۸) و زوجیه الکائنات،(۹) والنباتات.(۱۰) و کل ذلک یعبّر عن حقیقه لا مجال لإنکارها، و هی أنّ القرآن لیس نتاجاً بشریاً و لایمکن اعتباره فی مصاف الکتب العادیه.

القرآن و أسلوبه

الأُسلوب الذی اتّبعه القرآن فی انتقاء الکلمات، وصیاغات الجُمل، مع مراعاه الألفاظ المناسبه لکل موضوع، والإیجاز والإطناب، أُسلوب بدیع لم یسبق إلیه سابق، و لایلحقه فیه لاحق. و حتی کلام الرسول صلی الله علیه و آله و سلم نفسه فهو یختلف عنه اختلافاً جذریاً فی السبک

۱- – سوره الأنفال (۸)، الآیه ۳۰.

۲- – سوره النساء (۴)، الآیه ۱۰۸.

۳- – سوره الروم (۳۰)، الآیات ۱-۶.

۴- – سوره النبأ (۷۸)، الآیه ۶.

۵- سوره الحجر (۱۵)، الآیه ۲۲.

۶- – سوره الروم (۳۰)، الآیه ۴۸.

۷- سوره النور (۲۴)، الآیه ۴۳.

۸- – سوره یونس (۱۰)، الآیه ۵؛ سوره یس (۳۶)، الآیه ۴۰.

۹- سوره الرعد (۱۳)، الآیه ۳؛ سوره الذاریات (۵۱)، الآیه ۴۹.

۱۰- سوره طه (۲۰)، الآیه ۵۳.

والأسلوب. يعتمد القرآن أسلوب البشاره والإنذار، و فيه مواعظ و تشريعات، و يتّبع المنهج الإرشادى تاره، و يختار طريق الاستدلال تاره أُخرى. و هو يتحدث بشدّه و غلظه حيناً حتى يبدو و كأَنّه يجلد بالسياط، بينما يتلطّف أحياناً أُخرى و يبعث السكينه والطمأنينه، و يتحدّث مع كل مخاطب بما يستدعيه حاله.

إنّ اتّباع القرآن أُسلوباً واحداً على مدى ثلاث و عشرين سنه فى شتّى الظروف والأحوال وخلال معالجته لمواضيع شتّى يُظهر أنّ مصدره حكيم و عالم مطلق فوق قدره البشر، و قد كان العرب حينذاك على معرفه بشتّى أساليب البيان. و كانوا يتذوّقون جماليه الكلام الحسن. ولو كان فى القرآن موضع واحد من ركاكه الأُسلوب - حاشاه عن ذلك - لعابوه عليه؛ انطلاقاً من رغبتهم فى مجابهه النبىّ بأى نحو كان.

كان الوليد بن المغيره خبيراً بكلام العرب، و قد قال يصف القرآن فى محفل لقريش:

«واللّه لقد سمعت من محمد آنفاً كلاماً ما هو من كلام الإنس و لا من كلام الجنّ و إنّ له لحلاوه، و إنّ عليه لطلاوه، و إنّ أعلاه لمثمر، و إنّ أسفله لمغدق، و إنه يعلو و لايُعلى عليه».(۱)

تواتر و قطعيه نص القرآن

يُجمِع المسلمون كافه على أنّ القرآن نقل عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم متواتراً لساناً عن لسان، وصدراً عن صدر، و هو محفوظ من أىّ تحريف. و قد صرّح كبار علماء الشيعه ابتداءً من الشيخ الصدوق، والشيخ المفيد، والشيخ الطوسى، والسيد المرتضى، والطبرسى، و انتهاء بالعلماء المعاصرين، أنّ القرآن الذى بين أيدينا هو عين ما نزل على رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم، لم يطرأ عليه أى تحريف و لا زياده أو نقصان. و إن كان هناك من الشيعه والسنّه من قالوا بتحريف القرآن، فهذا يعنى أنهم لم يميّزوا بين الروايات الموثقه و بين الروايات الضعيفه الفاقده للإجماع، والتى لايمكن التعويل عليها. ورأى هذه الجماعه القليله لاينال من القول

۱- الطبرسى، مجمع البيان، ج ۵، ص ۳۸۷، ذيل الآيه ۱۱ من سوره المدثر.

بتواتر القرآن وكَوْنه موضع إجماع، خاصه إذا لاحظنا أنّ ما تذهب إليه هذه الجماعه هو القول بنقص القرآن، و إلّافهم يتفقون أيضاً على أنّ القرآن الحالى لا زياده فيه.

جاء فى آيه قرآنيه شريفه: (إِنّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنّا لَهُ لَحافِظُونَ) ، (۱) و جاء فى آيه أُخرى أيضاً: (وَ إِنَّهُ لَكِتابٌ عَزِيزٌ * لا يَأْتِيهِ الْباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ لا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) .(۲)

هذا تأكيد من اللّه على أنّ هناك مقدّمات و أسباب جعلها كفيله بالحيلوله دون حصول أىّ تحريف فى القرآن.

۱- – سوره الحجر (۱۵)، الآيه ۹.

۲- سوره فصلت (۴۱)، الآيتان ۴۱-۴۲.

الإمامه

اشاره

الإمام هو الرئیس(۱) والمقتدی.(۲) و یُحتمل أن تکون هذه الکلمه مشتقه من کلمه «أمام» بمعنی القُدّام، أو من کلمه «الأُم» بمعنی الأصل، أو من کلمه «أَمَّ» بمعنی قصد.(۳) و کثیراً ما تأتی هذه الکلمه فی القرآن والحدیث بهذا المعنی. فقد روی عن الإمام الصادق علیه السلام أنه قال: إنّ الأئمه فی کتاب اللّه عزّوجلّ إمامان: قال اللّه تبارک و تعالی: (وَ جَعَلْناهُمْ أَئِمَّهً یَهْدُونَ بِأَمْرِنا...) و قال تعالی فی موضع آخر: (وَ جَعَلْناهُمْ أَئِمَّهً یَدْعُونَ إِلَی النّارِ) . (۴) وسُمّی أمیرُ الحاج فی روایه بالإمام، فی قولهم: «سِرْ فإنّ الإمام لایقف».(۵)

و رغم أنّ کلمه الإمام تحمل معنی القائد إلی الخیر أو القائد إلی الشر علی حد سواء، إلّا أنّ هذه الکلمه تطلق عند الشیعه علی شخصیات روحیه عظیمه و علی درجه عالیه من التقوی، و علی من هم مثل أعلی للناس علماً و عملاً.

أهمّیّه الإمامه

الإمامه علی درجه عالیه من الأهمیه، بحیث أنّ القرآن الکریم عبّر عنها بالمیثاق والعهد، فی قوله تعالی (لا یَنالُ عَهْدِی الظّالِمِینَ) . (۶) فهذه الآیه تتعلق بموضوع الإمامه التی طلب النبیّ إبراهیم علیه السلام من اللّه أن تکون فی ذریّته.

جاء فی روایه عن الإمام الرضا علیه السلام أنه قال: إنّ الإمامه خصَّ اللّه عزّوجلّ بها إبراهیم

۱- – ابن منظور، لسان العرب، ج ۱، ص ۱۰۹.

۲- الجوهری، صحاح اللغه، ج ۵، ص ۱۸۶۵.

۳- – للإطلاع علی مزید من المعلومات فی هذا المجال، راجع: دراسات فی ولایه الفقیه، ج ۱، ص ۷۴.

۴- الکُلینی، الکافی، ج ۱، ص ۲۱۶، الحدیث ۲.

۵- الحرّ العاملی، وسائل الشیعه، الباب ۵ من أبواب إحرام الحج والوقوف بعرفه، ج ۱۳، ص ۵۲۵، الحدیث ۱.

۶- – سوره البقره (۲)، الآیه ۱۲۴.

الخليل عليه السلام بَعد النبوّه والخلّه... فقال الخليل سروراً بها: و من ذريتى....(۱)

فى اعتقاد الشيعه تُعتبر الإمامه من أُصول الدّين، و هى امتداد للنبوّه واستمرار لمسؤوليه التبليغ والهدايه التى كان يقوم بها النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم. وللإمامه عندهم شروط تتناسب مع الوظيفه التى ينهض بها الإمام فى تفسير القرآن، و بيان الأحكام، وردّ الشبهات والذود عن حياض الشريعه. والإمامه ذات أهمّيه بالغه، بحيث نزلت فى آواخر حياه الرسول صلى الله عليه و آله و سلم آيه تأمر بإبلاغها، و تحذّره أن عدم إبلاغها بمثابه عدم أداء الرساله.(۲)

نقل الشيعه والسنّه عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم أنه قال: «مَنْ ماتَ و لم يعرِفْ إمامَ زمانِهِ مات ميتهً جاهليه»(۳) و هذا يدل على مدى أهمّيه الإمامه، و يضعها ضمن أُصول الدّين. ولو كانت من فروعه لما اعتُبر جهلها مدعاه لموت المرء ميته جاهليه.

شروط الإمامه

۱ – العلم

الإمامه قدوه فى كل شىء. والإمامه قياده دينيه و أخلاقيه للناس نحو اللّه. و لابُدّ أن تتوفر فيها شروط من أهمّها العلم. وسيره العقلاء فى العالم كُلّه هى أنّهم إذا أرادوا اختيار شخص يفوّضون إليه أُمورهم، فهم يختارون عاقلاً عالماً أميناً قادراً على إنجاز أُمورهم كما ينبغى، خاصه فى القضايا التى تتطلب العلم والوعى، حيث يختارون فى مثل هذه الحالات الأعلم بها.

فى هذا الجانب لا فرق فى أن يكون الإمام منصوصاً عليه من اللّه – كما يقول الشيعه الإماميه – أو منتخباً من قبل الأُمّه كما يعتقد أهل السنّه، والآيه الشريفه: (أَ فَمَنْ يَهْدِى إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدِّى إِلاّ أَنْ يُهْدى) (۴) تشير إلى هذا المعنى. والنتيجه هى أنّ

۱– الكُلينى، الكافى، ج ۱، ص ۱۹۹، الحديث ۱.

۲– سوره المائده (۵)، الآيه ۶۷.

۳– – لمزيد من التفصيل، راجع: الأمينى عبدالحسين، الغدير، ج ۱۰، ص ۳۶۰.

۴– – سوره يونس (۱۰)، الآيه ۳۵.

الإمام والقائد يجب أن يكون عالماً؛ لتجرى هدايته بشكل صحيح، بل ينبغى أن يكون أعلم أهل زمانه لكى تشمل دائره إمامته الجميع.

۲ – العصمه

يجب أن يكون الإمام – كالنبى – معصوماً من الذنب والخطأ. فلو كان الإمام يذنب أو يُخطِىء فهذا يؤدّى إلى زعزعه مكانته فى النفوس، و عدم الوثوق بكلامه. و هو إذا لم يكن معصوماً ثم أمر الناس بشىء أو نهاهم عن شىء لايكون لكلامه تأثير فى نفوسهم، و لايثقون بكلامه و لايرونه ملزماً لهم، و بالنتيجه فإنّهم لايطيعونه. بل إنّ الإمامه الدينيه تتحقق من خلال العصمه. و لابُدّ أن تكون لدى السامعين ثقه بكلام من يدعوهم إلى الدّين، و أن يكونوا على علم بانَّ كلامه ليس خطأً و لايأتى عن هوس؛ و إلّافإنّهم لايتقبّلون أمره و نهيه.

و يكون منصبه و رسالته عبثاً.

إطاعه الإمام واجبه بحكم الآيه: (أَطِيعُوا اللّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِى الْأَمْرِ مِنْكُمْ) . (۱) و إذا لم يكن الإمام معصوماً فقد يبين دين اللّه خطأً، و فى مثل هذه الحال تكون طاعته بمثابه اتباع الباطل، و مثل هذا الأمر مستحيل على اللّه تعالى.(۲) و طاعه اللّه – استناداً إلى صدر الآيه – مطلقه، إذا كان ولى الأمر غير معصوم لاتكون طاعته لازمه بشكل مطلق، بينما الأمر الوارد فى الآيه يدعو إلى طاعته بشكل مطلق. و هذه الآيه فى مقام تعظيم الرسول و أُولى الأمر؛ لأنها جعلت طاعتهم فى مصاف طاعه اللّه. فلابّد إذاً أن تكون فيهم هذه الأهليه. و قد نقل عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنه قال: و إنّما أمر اللّه بطاعه الرسول لأنه معصوم مطهّر لايأمر بمعصيته، و إنّما أمر اللّه بطاعه أُولى الأمر لأنهم معصومون مطهّرون لايأمرون بمعصيته.(۳)

۱– – سوره النساء (۴)، الآيه ۵۹.

۲– – الحلّى، الحسن بن يوسف، كشف المراد فى شرح تجريد الاعتقاد، ص ۳۶۴ و ۳۶۵؛ الطبرسى، إعلام الورى بأعلام الهدى، ج ۱، ص ۳۱۳ و ۳۱۴، الباب ۲ من الركن ۲. و هناك أيضاً احتمالات أُخرى طُرحت بشأن هذه الآيه الشريفه، و لمزيد من التفصيل، راجع: دراسات فى ولايه الفقيه، ج ۱، ص ۶۴–۶۹.

۳– الحُويزى، نور الثقلين، ج ۱، ص ۵۰۰ و ۵۰۱، الحديث ۳۳۷.

۳ – التحلّی بصفات النبیّ

الإمـام خلیفه رسـول اللّه، و ینهض بالـدور الـذی کـان یقوم به الرسول صـلی الله علیه و آله و سـلم. و بنـاءً علی ذلـک یجب أن یتّصف الإمام بجمیع الصـفات التی توجب علیه أداء دور النبیّ باستثناء النبوّه؛ لأنّ الغایه من وجود الإمام تتحقق عندما یؤدی دور الرسول فی المجتمع، و یکون قدوه للمتدیّنین فی جمیع الفضائل الأخلاقیه والقیم الدینیه.

من یحوز مقـام الإمـامه یجب أن تکون له جاذبیه معنویه. و أن یکون عادلاً و معصوماً، من أجل أن یثق به الناس. والأهم من کل ذلک أن یکون موحّداً لم یسـجد لغیر اللّه. و لهـذا السـبب قال الباری تعالی لإبراهیم علیه السـلام عندما طلب منه أن یکون هذا المقام لذریته:

(لا یَنالُ عَهْدِی الظّالِمِینَ) .(۱)

نقل ابن مسـعود عن رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم أنه قال: قال اللّه عزّوجلّ لإبراهیم: لا أُعطیک عهداً لظالم من ذریّتک. قال: یاربّ، و من الظالم من ولدی الذی لاینال عهدک؟ قال: من سـجد لصنم من دونی لا أجعله إماماً أبداً، و لایصلح أن یکون إماماً.(۲)

۴ – الصبر

من الطبیعی أن کـل أمّه تواجه مشاکـل کثیره، وتقع مسؤولیتهـا بالـدرجه الأُولی علی عاتق الإمام. و هـذا ما یسـتلزم من الإمام أن یکون صـبوراً لیکون قـادراً علی مجـابهه المشاکل والشدائـد. و علی صـعید آخر لایسـتوی الأفراد فی مؤهلاتهم و قـدراتهم علی مواکبه الإمام.

فالإمـام تجتمع فیه ذروه الکمالات، و هو رائـد الناس والمقـدام فیهم، و لکنه فی الوقت ذاته لابُـدّ و أن یُراعی أضـعف الأفراد. و هذا أیضاً یتحقق من خلال الصبر والأناه. و لعل هذا هو السبب الذی جعل اللّه تعالی یقول لنبیّه صلی الله علیه و آله و سلم بسبب ما له من مقام النبوه و إمامه الناس:

۱- سوره البقره (۲)، الآیه ۱۲۴.

۲- البحرانی، البرهان فی تفسیر القرآن، ج ۱، ص ۱۵۱، الحدیث ۱۳.

(فَاصْبِرْ كَما صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ) . (۱) و قد ورد فی روایه: أنّ الإمام علیّاً علیه السلام استند إلی هذه الآیه، والآیه الشریفه: (لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِی رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَهٌ حَسَنَهٌ) ، (۲) و قال: الصبر علی ولاه الأمر مفروض.(۳)

۵ – الزهد

الإمام أُسوه یقتدی به الناس وتقع علیه مسؤولیه تطهیر الأنفس، و هذا ما یفرض علیه أن یکون ذا نفس طاهره نقیّه، و أن یجتنب کل ما یدنس الروح؛ لکی یکون داعیاً للناس إلی الصلاح بسلوکه. فالإمام یعیش فی الدنیا و یتنعّم بنعمها، و لکنّ علیه فی الوقت نفسه أن لایکون حریصاً علیها؛ من أجل أن یدعو الناس بسلوکه إلی الزهد. إذا کانت لدی الإمام نزعه إلی الدنیا و لذائذها لاینجح فی قیادته للناس. فمن الطبیعی أنّ الناس لیسوا علی مستوی معاشی واحد، فربما یعجز الکثیرون منهم عن توفیر القوت و أدنی متطلّبات العیش لأنفسهم ولأُسرهم، فإذا رأوا القائد والإمام یرفل بالنعم والملذّات یشمئزون منه و یمقتونه، و یشعرون بأن الثروه والرفاه المادی قیمه و فضیله. و لاشکّ فی أنّ انغماس من ینصب نفسه للناس إماماً فی الملذّات الدنیویه، ینطوی علی سلبیات فادحه، فهو یؤدّی من جهه إلی نفور الفقراء عنه والشعور بالغربه عنه، و یؤدّی من جهه أُخری إلی شعوره هو بالکبر والمیل إلی اکتناز الثروه.

و قد کتب علی علیه السلام إلی والیه عثمان بن حنیف عن نفسه بصفته إماماً لدین الناس و دنیاهم، ما یلی: هَیْهَاتَ أَنْ یَغْلِبَنِی هَوَایَ وَ یَقُودَنِی جَشَعِی إِلَی تَخَیُّرِ الْأَطْعِمَهِ وَ لَعَلَّ بِالْحِجَازِ أَوْ الْیَمَامَهِ مَنْ لَاطَمَعَ لَهُ فِی الْقُرْصِ وَ لَاعَهْدَ لَهُ بِالشِّبَعِ أَوْ أَبِیتَ مِبْطَاناً وَ حَوْلِی بُطُونٌ غَرْثَی وَ أَکْبَادٌ حَرَّی أَوْ أَکُونَ کَمَا قَالَ الْقَائِلُ:

وَ حَسْبُکَ دَاءً أَنْ تَبِیتَ بِبِطْنَهٍ وَ حَوْلَکَ أَکْبَادٌ تَحِنُّ إِلَی الْقِدِّ

۱- سوره الأحقاف (۴۶)، الآیه ۳۵.

۲- – سوره الأحزاب (۳۳)، الآیه ۲۱.

۳- الطبرسی، أبو منصور، الاحتجاج، ج ۱، ص ۵۸۷.

أَأَقْنَعُ مِنْ نَفْسِی بِأَنْ یُقَالَ هَذَا أمیرالمؤمنین وَ لَاأُشَارِکُهُمْ فِی مَکَارِهِ الدَّهْرِ أَوْ أَکُونَ أُسْوَهً لَهُمْ فِی جُشُوبَهِ الْعَیْشِ فَمَا خُلِقْتُ لِیَشْغَلَنِی أَکْلُ الطَّیِّبَاتِ.(۱)

الطریق إلیٰ معرفه الإمام

الإمامه کالنبوّه منصب إلهی، و یحتاج تمییزها و معرفتها إلی توفر مجموعه من العلائم والمیزات التی یمکن عن طریقها معرفه الإمام الصحیح الصادق من الکذابین الذین یدّعون الإمامه زوراً و بهتاناً.

سأل شخص الإمام الصادق علیه السلام عن الکیفیه التی یمکن بها معرفه من یدّعی الإمامه فأجابه قائلاً: یُسأل عن الحلال والحرام، ثم بین ثلاث طرائق لمعرفه الإمام منها أن یکون أوْلی الناس بمن کان قبله، و أن تکون لدیه وصیّه ظاهره من الإمام السابق.(۲)

و جاء فی روایه أُخری عنه أنه اشترط أن یتّصف الإمام بالأوصاف التالیه: و هی أن تکون لدیه وصیه ظاهره، و لایستطیع أن یطعن علیه أحد فی أنه کذّاب و یأکل أموال الناس، و ما أشبه هذا.(۳)

مثلما أنّ أحد الطرق لإثبات حقّانیه القرآن هی التحدی و عدم قدره أحد علی الاستجابه لذلک التحدّی، فکذلک من طرق إثبات الإمامه و حقّانیه الإمام، هی مقدرته علی الإجابه عن جمیع المعارف الدینیه، و عدم عجزه عن أیٍّ منها. و علی مدّعی الإمامه أن یثبت أهلیته لمنصب الإمامه بالتحدّی فی المسائل العلمیه والأحکام.

جاء فی تاریخ حیاه بعض الأئمه، أنّ الشیعه کانوا یعرضون علیهم أسئله علمیه لمعرفه مدی أهلیّتهم لإحراز منصب الإمامه. و لهذا وردت فی المصادر الحدیثیه احتجاجات منهم تسترعی الاهتمام.

۱- الشریف الرضی، نهج البلاغه، الکتاب ۴۵، ص ۴۱۸.

۲- الکُلینی، الکافی، ج ۱، ص ۲۸۴، الحدیث ۲.

۳- المصدر السابق، الحدیث ۳.

الإمامه بَعد النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم

بعث اللّه عزّوجلّ محمداً صلی الله علیه و آله و سلم آخر الأنبیاء لخلقه. و قد جعل صلی الله علیه و آله و سلم کل همّه إعلاء کلمه الاسلام إلی حدّ أنه کان مستعداً للتضحیه بکل شیءٍ فی سبیل هذا الدّین. و قد ضحّی بالمئات من خیره أبناء هذه الأُمّه فی سبیل هذه الغایه. و مع کل تلک المساعی والجهود کان یدرک أنّ الإسلام لم یستقطب کل جزیره العرب، و لم یرسخ بَعد فی القلوب. و قد کانت هناک قوّتان تجابهان الإسلام وهما: الفرس والروم. أمّا النبیّ فکان علی معرفه بصفات العرب و تعصّبهم القبلی، حیث إنّ العادات الجاهلیه لازالت رواسبها کامنه فی أعماق نفوسهم، و کان المنافقون یتحیّنون الفرص للانقضاض علی الإسلام. و کان النبیّ یعلم أیضاً بأنَّ حُبّ الدنیا وحُبّ الجاه من المخاطر التی تهدد کبار الصحابه علی وجه الخصوص، و کان یعلم بأنّ الأُمّه معرّضه لخطر الردّه إلی الجاهلیه. و قد حذّر القرآن من هذه الحقیقه المریره بقوله تعالی: (وَ ما مُحَمَّدٌ إِلاّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَ فَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلی أَعْقابِکُمْ) .(۱)

و قد أعرب النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم عن خشیته من هذه الأوضاع حین قال: یُجاء برجال من أُمّتی فیؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: یاربّ أصیحابی، فیقال: إنک لاتدری ما أحدثوا بَعدک.

فأقول کما قال العبد الصالح: (وَ کُنْتُ عَلَیْهِمْ شَهِیداً ما دُمْتُ فِیهِمْ فَلَمّا تَوَفَّیْتَنِی کُنْتَ أَنْتَ الرَّقِیبَ عَلَیْهِمْ) (۲) فیقال: إنّ هؤلاء لایزالون مرتدین علی أعقابهم منذ فارقتهم.(۳)

و فی مثل هذه الأوضاع لایُعقل أن یترک النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم، بما له من عقل و درایه - فضلاً عن مقام النبوّه واهتمامه بِنشر الاسلام - زمام هذا الأمر و لایرسم له خطّه، و یترک المسلمین و شأنهم. و کیف یمکن ان یُعقل أنّ النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم کان یفکر فی العهد الذی کان یعیش هو فیه و

۱- سوره آل عمران (۳)، الآیه ۱۴۴.

۲- سوره المائده (۵)، الآیه ۱۱۷.

۳- البُخاری، الصحیح، ج ۵، ص ۲۲۸، الحدیث ۴۶۲۵.

لایضع منهجاً لِما بَعد حیاته بما یضمن استمرار الرساله والدعوه؟ لاشکّ فی أنّ مسؤول أیّه جماعه لو أراد مغادره جماعته، ولو مغادره وقتیه، فلابّد أن یعیّن لهم خلال مدّه غیابه من یتولّی إداره أُمورهم و یرجعون إلیه فی قضایاهم. و قد کانت سیرته تجری علی هذا المنوال أیضاً؛ فهو متی ما کان یغادر لسفر أو غزوه کان یعیّن من یخلفه لتمشیه أُمور الناس. و إن کان الأمر کذلک، فکیف یمکن أن یترک الأُمّه و شأنها؟

ینقل أنّ ابن الخلیفه الثانی قال لأبیه عندما کان علی فراش الموت: زعموا أنک غیر مستخلف، و أنه لو کان لک راعی إبل أو راعی غنم ثم جاءک و ترکها، رأیت أنه قد ضیّع؟ فرعایه الناس أشد. فوافقه قَوْلی.(۱)

و قالت عائشه لعبد اللّه بن عمر: یابنی، أبلغ عمر سلامی، و قل له: لاتدع أُمّه محمد بلا راع. استخلف علیهم و لاتدعهم بَعدک هملاً، فإنی أخشی علیهم الفتنه.(۲)

و روی أیضاً أنّ جماعه عادوا عمر فی مرضه و طلبوا منه أن یستخلف أحداً من بعده.(۳)

فهل کان غیر النبیّ عارفاً بمصلحه الاستخلاف، والنبیّ لایعرف هذه المصلحه، بینما وصفه اللّه تعالی بالحرص علی المؤمنین والرأفه بهم.(۴)

کیف یُعقل أنّ دیناً عالمیاً خالداً یشتمل علی کل المعارف الأصیله، والأُصول الأخلاقیه، والأحکام الفرعیه فی جمیع الجوانب الفردیه والاجتماعیه، لایحتاج إلی مفسّر و حافظ خلافاً لجمیع القوانین التی تحتاج عاده إلی مفسّر و حافظ، و أن لاتکون الأُمّه الإسلامیه - خلافاً لکل الأُمم - بحاجه إلی إمام و قائد؟ من المنطقی أنّ کل عاقل یقدم علی أمر مهمٍّ و یهدف إلی تحقیق غایه باهضه الثمن، لابُدّ و أن یفکر فی استمرارها إلی حین تحققها، و أن یضع لها خطه تکفل لها النجاح.

إنّ مثل هذا الموضوع لایخرج عن عدّه افتراضات و هی:

۱ - إنّ الاسلام محدود بعمر النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم، و لا علاقه له بما سیجری بَعد ذلک.

۱- النیسابوری، مسلم، الصحیح، کتاب الاماره، ج ۱۲، ص ۲۰۵ و ۲۰۶.

۲- الدینوری، الإمامه والسیاسه، ج ۱، ص ۴۲.

۳- الطبری، تاریخ الطبری، ج ۲، ص ۵۸۰.

۴- سوره التوبه (۹)، الآیه ۱۲۸.

۲ – أن يكون المسلمون قد بلغوا فی حياه النبیّ مرحله من النضوج الفكرى والعلمى بحيث غَدوا يستطيعون معرفه تكاليفهم فی ضوء القرآن والسُنّه من غير حاجه إلى قائد دينى.

۳ – أن تكون مهمه اختيار الخليفه قد تُركت للمسلمين أنفسهم.

۴ – كان من واجب النبیّ صلى الله عليه و آله و سلم أن ينظر بعيداً لِما بَعد عهده، و يضع خطّه لاستمرار التحرّك الذى بدأه، و يعمل وفقاً لها.

والافتراض الأول باطل طبعاً؛ لأنه يستلزم القيام بعمل عبثى لا فائده منه. فليس من المنطقى أن تُبذل كل تلك الجهود ثم تترك الأُمور سُدىً، ثم إنّ هذا يتناقض مع ادعاء الخاتميه و مع الغايه التى جاء من أجلها الدّين.

والافتراض الثانى غير صحيح أيضاً؛ لأَنَّ الواقع التاريخى يثبت خلاف ذلك. فما وقع بَعد الرسول من خلافات دمويه أحياناً حول شؤون السلطه والقضايا السياسيه، يكشف أنّ المسلمين لم يبلغوا تلك الدرجه من النضوج الفكرى.

أمّا بالنسبه إلى الافتراض الثالث فهو افتراض غير عملى؛ لأَنَّ الأُمّه لم تتفق على شخص واحد بسبب ما كان يتجاذبها من تعصب قبلى و تنافس بين البطون والأُسر. و إنّما دعت كل جماعه إلى شخص. و أوضح دليل على ذلك ما وقع من تجاذبات و منازعات فی السقيفه.

فالشخص الذى بويع فی السقيفه لم تبايعه الأُمّه كلّها. و فضلاً عن ذلك فإنّ الإمامه تعد امتداداً للنبوّه والرساله. و كان لابُدّ من اختيار شخص جدير بهذا المنصب. و إذا افترضنا أنّ مسؤوليه اختيار الإمام متروكه للمسلمين، كيف يتسنّى لهم تحديد أنّ هذا الشخص أو ذاك لديه القدره على النهوض بهذه المسؤوليه الخطيره.

يرى الشيعه أنّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم و هو العاقل الحكيم، كان حريصاً على تحقيق الغايه التى كان يهدف إليها بأفضل الأساليب، و لم يكن غافلاً عن هذه القضيه المهمّه والمصيريه.

و حتى أنه كان يؤكّد عليها فی مواقف و مقاطع مختلفه. و يمكن الاستدلال على صحّه هذا الادّعاء من خلال تحليل الأخبار التاريخيه فی ضوء المعايير التى يُدرس فيها أى خبر تاريخى.

نعم، هناك شواهد و أدلّه و قرائن كثيره تثبت أنّ النبيّ كان يعير أهمّيه كبرى لهذه القضيه، و قد وضع الحل لها. فقد تلقى الأمر من ربّه حول خليفته، و فعل ما أُمر به.

خليفه النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم على أساس القرآن

أمر اللّه المؤمنين فى القرآن بطاعه اللّه والرسول وأُولى الأمر.(۱) واقتران طاعه أُولى الأمر بطاعه الرسول يفيد أنّ طاعه الرسول و طاعه أُولى الأمر من سنخ واحد. والمراد من طاعه الرسول وأُولى الأمر هى الطاعه فى الأوامر الولائيه والحكوميه التى تصدر منهم؛ لأَنَّ طاعتهم فى الأحكام الدينيه إرشاديه و غير منفكّه عن طاعه اللّه.

و نظراً إلى مجيء طاعه أُولى الأمر و طاعه الرسول و طاعه اللّه فى مساق واحد، فلابّد أن يكون أُولو الأمر معصومين من الخطأ والذنب، و إلّافإنّ هذا الأمر يستلزم طاعه المذنبين. و يستقبح طبعاً صدور مثل هذا الأمر من اللّه الحكيم.(۲) و بما أنّ أُولى الأمر يجب أن يكونوا معصومين، و نظراً إلى عدم ادعاء العصمه إلّالأهل البيت عليهم السلام، فقد جاء فى روايه عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: أهل البيت هم الذين قال فيهم اللّه عزّوجلّ: (أَطِيعُوا اللّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِى الْأَمْرِ مِنْكُمْ) ، و قال أيضاً: (إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاهَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكاهَ وَ هُمْ راكِعُونَ) .(۳)

هناك روايات كثيره تذكر أن الإمام عليّاً عليه السلام تصدّق بخاتمه على فقير و هو فى الركوع، ثم نزلت هذه الآيه (إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاهَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكاهَ وَ هُمْ راكِعُونَ) .(۴)

وبَعدما تلقّى النبيّ هذه الآيه قرأها على أصحابه و قال: من كنت مولاه فهذا على مولاه.

۱- – سوره النساء (۴)، الآيه ۵۹.

۲- – الطبرسى، مجمع البيان، ج ۲، ص ۶۴؛ للاطلاع على مزيد من التفصيل وللاطلاع على الاحتمالات الاخرى، راجع: دراسات فى ولايه الفقيه، ج ۱، ص ۶۴-۶۹.

۳- سوره المائده (۵)، الآيه ۵۵؛ الكُلينى، الكافى، ج ۱، ص ۲۸۶ و ۲۸۸، الحديثان ۱ و ۳.

۴- سوره المائده (۵)، الآيه ۵۵. جاء فى بعض الروايات ان الصدقه المذكوره كانت عباره عن حُلّه ثمينه. الحُرّ العاملى، وسائل الشيعه، الباب ۷ من أحكام الملابس، ج ۵، ص ۱۸، الحديث ۹.

اللهم والِ مَن والاه و عاد مَن عاداه.(۱)

جاءت كلمه الولى بمعنى الأُولى بالتصرّف والمفوّض بالأُمور. و على العموم تتضمن كلمه الولايه و مشتقاتها نوعاً من التصرف بالآخرين، و لا تعنى مجرّد المحبّه التى هى أمر قلبى. نذكر على سبيل المثال: (النَّبِيُّ أَوْلى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ...) ، (۲) و (اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا...) ، (۳) و (وَ ما لَهُمْ أَلاّ يُعَذِّبَهُمُ اللّهُ وَ هُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ وَ ما كانُوا أَوْلِياءَهُ إِنْ أَوْلِياؤُهُ إِلاَّ الْمُتَّقُونَ...) .(۴)

و فى ضوء ما سبق ذكره فلا يمكن حمل آيه الولايه على مجرد المحبّه المحضه. و إنّما يعنى الولى: الحاكم والمشرف. واستناداً إلى الروايه و شأن النزول فإنّ المراد من (الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَ هُمْ راكِعُونَ) (۵) هو على عليه السلام.

قد يقول قائل: إنّ الآيه وردت بصيغه الجمع (الَّذِينَ يُقِيمُونَ... وَ يُؤْتُونَ...) مع أنّ المتصدّق فى الصلاه هو على فقط، والجواب عن ذلك هو أوّلاً: أحياناً يأتى الكلام بصيغه الجمع بينما يكون المراد مفرداً.(۶) و ثانياً: إنّ وجه الإتيان بالجمع و إراده المفرد هو من باب التعظيم و ترغيب الآخرين.(۷)

و قد أنزل اللّه عزّوجلّ بشأن إمامه الإمام على عليه السلام الآيه المعروفه باسم آيه التبليغ و هى (يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ وَ اللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النّاسِ إِنَّ اللّهَ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الْكافِرِينَ) .(۸)

۱- أحمد بن حنبل، المسند، ج ۵، ص ۴۹۴، الحديث ۱۸۷۹۳؛ عبدالحسين الأمينى، الغدير، ج ۱، ص ۷۷-۹۳.

۲- - سوره الأحزاب (۳۳)، الآيه ۶.

۳- - سوره البقره (۲)، الآيه ۲۵۷.

۴- سوره الأنفال (۸)، الآيه ۳۴.

۵- سوره المائده (۵)، الآيه ۵۵.

۶- - مثل: (الَّذِينَ قالَ لَهُمُ النّاسُ إِنَّ النّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ) سوره آل عمران (۳)، الآيه ۱۷۳؛ فقد أجمع المفسرون على أن هذه الآيه نزلت فى نعيم بن مسعود؛ و فى آيه المباهله أيضاً أُطلقت كلمات: الأبناء، والنساء والأنفس على الحسنين و فاطمه الزهراء و على عليهم السلام.

۷- قال الزمخشرى و هو من مفسّرى أهل السنّه: جيء به على لفظ الجمع و ان كان السبب فيه رجلاً واحداً ليرغب الناس فى مثل فعله فينالوا مثل ثوابه، وليتبّه على ان سجيه المؤمنين يجب ان تكون على هذه الغايه من الحرص على البر والاحسان و تفقّد الفقراء حتى ان لزمهم أمر لايقبل التأخير وهم فى الصلاه، لم يؤخروه إلى الفراغ منها. الكشاف، ج ۱، ص ۶۴۹.

۸- سوره المائده (۵)، الآيه ۶۷.

حیث جاء فی شأن نزول آیه التبلیغ (۱)- حسبما نقل کل من الشیعه والسُنّه - ما یلی:

عندما کان النبیّ عائداً إلی المدینه من حجه الوداع و برفقته تسعون ألفاً أو مئه و عشرون ألفاً من المسلمین، نزلت الآیه المذکوره فی موضع یُقال له خُم. فأمر النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم بجمع الناس، و ألقی فیهم خطبه قال فیها: أتعلمون أنی أوْلی بکم من أنفسکم؟ و کرّر هذا ثلاث مرات، والقوم یقولون فی کل مرّه: نعم! ثم قال: «من کنتُ مولاه فعلیٌّ مولاه». و هذا الحدیث نقله عدد کبیر من الصحابه بقلیل من الاختلاف.(۲) و نقل هذا القول عن رسول اللّه فی مواقف شتّی.

تکشف آیه التبلیغ حقیقه و هی أنّ النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم کان مکلّفاً بإبلاغ أمر خطیر بحیث أنه إن لم یبلّغه فکأنّما لم یبلغ الرساله. ویُستفاد من طمأنه اللّه للنبیّ بأنه کان هناک من یعارضون هذا الأمر، و أنهم کانوا سیعارضونه فیما لو أعلنه. فما هو هذا الأمر المهم الذی یطمئن اللّه خاطر نبیّه من أجله و یعده بالمحافظه علیه من شر الناس؟ ذهب البعض إلی القول: إن هذا الأمر المهم یتعلّق بأهل الکتاب بدلیل أنّ الآیه جاءت فی سیاق آیات تتعلق بأهل الکتاب، و لکن من الواضح أنّ الیهود والنصاری لم یکونوا یومذاک فی وضع بحیث یخشاهم النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم، بل إنّ مثل هذه الخشیه لم تکن حتی فی أوائل الهجره إلی المدینه حیث کانت شوکه الیهود أقوی، فما بالک بما بَعد توطید دعائم قوّه النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم.

و لم یکن هذا الأمر المهم هو الدّین کلّه؛ لأَنَّ النبیّ کان قد أبلغ معظم الدّین طیله مدّه رسالته. و یستفاد من عموم کلمه «الناس» أنه کان هناک بین أصحاب النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم إضافه إلی المؤمنین، منافقون و فی قلوبهم مرض، ممن لایمکن فرزهم. و جمله (إِنَّ اللّهَ لا یَهْدِی الْقَوْمَ الْکافِرِینَ) فی مقام تعلیل لجمله (وَ اللّهُ یَعْصِمُکَ مِنَ النّاسِ) . والمراد بالکفر هو الکفر بالحکم المُشار إلیه فی (ما أُنْزِلَ إِلَیْکَ) . والمراد بعدم هدایته تعالی هؤلاء القوم

۱- - السیوطی، الدر المنثور، ج ۲، ص ۲۹۸.

۲- - لیس هناک أی شکّ فی حدیث الغدیر، حتی ان ابن حجر صرّح فی الصواعق بصحّته. وجاء فی روایه أحمد بن حنبل ان ثلاثین من الصحابه سمعوه. المظفر الحلی، دلائل الصدق... و أورد العلامه الأمینی مائه و عشره من رواه الحدیث من الصحابه مع ذکر المصدر. وللاطلاع علی مزید من التفاصیل، راجع کتاب الغدیر، ج ۱، ص ۱۴ إلی ۶۱؛ و دراسات فی ولایه الفقیه، ج ۱، ص ۴۹ و ۵۰.

الكافرين عدم هدايته إياهم فی كيدهم و مكرهم، و منعه الأسباب التی تمكّنهم من تحقيق ما يرومونه من الشر والفساد.(۱)

هـذه الآيات و غيرها من الآيات الأُخرى التی بيّنت الروايات دلالتها على ولايه أميرالمؤمنين والأئمه عليهم السـلام، تعبّر عن مدى مكانه إمامه و ولايه على والأئمه المعصومين عليهم السـلام فی اسـتمرار رساله النبیّ صـلى الله عليه و آله و سلم. و رغم ذلك قد يُثـار تسـاؤل و هـو: لمـاذا لـم يـأت بصـراحه ذكر أصـل الإمـامه واسـتمرارها بَعـد النـبیّ صـلى الله عليه و آله و سـلم و أشـخاص المعصومين. والجواب هو: يكفی أنّ أصل الإمامه قد طرح فی القرآن. و ثانياً: إنّ رساله النبیّ التی ذكرت صراحه فی القرآن هی الزعامه الدينيه، بينما تُركت إليه الكثير من أُمور الدّين و تفسيرها و شرحها و بيان كيفيتها.

و ليس هناك ضروره تدعو إلى ذكر جميع القضايا صراحه فی القرآن، و إن كانت ذات أهمّيه.

فالإمامه قد ورد أصـلها فی القرآن، و أما بيان و تفسـير جزئيّاتها فهو من واجب الرسول، كما هو الحال فی أُمور كثيره، كالصـلاه والحـج و سـائر المسائـل العبـاديه والاجتمـاعيه، بـل و حتّى رساله النبیّ صـلى الله عليه و آله و سـلم التی ورد ذكرها صـراحه فی القرآن مع إقـامه المعجزات عليها، هل آمن بها الجميع؟ لقـد تم أداء ما ينبغی أداؤه فی سبيل الإيمان بالإمامه، و كان ذلك كافياً لبيان الحق.

الولايه

اشاره

الولايه: من الولی، بمعنى القرب والمـداناه.(۲) والوِلاـيه تعنى النصـره، والوَلايه تعنى تولّى الأمر و تـدبير الأُمور.(۳) وتُطلق كلمه الولی على اللّه لأنّه مدبّر الأُمور.

تشـتمل كلمه الولی والولاـيه على نوع من التصـرّف فی أمور الآخرين؛ و هـذا الأمران المتواليان والمتقاربان لايخلوان من تأثير و تصـرّف فی بعضـهما. و قـد طرحت معانٍ متعدده لكلمه «المولى». فيقال - مثلاً - لوجود شـخص إلى جوار آخر للتصدى لبعض شؤونه و سد

۱- الطباطبائی، محمّد حسين، الميزان، ج ۶، ص ۵۱.

۲- - الجوهری، صحاح اللغه، ج ۶، ص ۲۵۲۸.

۳- الراغب الاصفهانی مفردات ألفاظ القرآن، ص ۸۸۵.

بعض نواقصه، ولایه.(۱) و مراد النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم من جمله «من کنت مولاه فعلیّ مولاه» إثبات الولایه فی التصرف. والأولویه المذکوره فی الآیه (النَّبِیُّ أَوْلی بِالْمُؤْمِنِینَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ) (۲) هما بمعنی واحد فی کلا الحالتین. فلو کان النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم بصدد بیان محبه علی علیه السلام فقط لَما کان من الضروری بیان حق أولویته بالمؤمنین، ثم إنّ إعلان المحبّه لیس له أهمّیه تستدعی أن یوقف مئه و عشرین ألف شخص فی غدیر خم، فی وسط الصحراء، لیعلن لهم ذلک الأمر.

جاء فی حدیث آخر عن رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم أنه قال: «إنّ علیّاً منّی و أنا منه و هو ولیّ کلّ مؤمن بَعدی»(۳) و قوله «بعدی» ینفی احتمال کَوْن الکلمه بمعنی المحبّه القلبیه، بل هی هنا بمعنی الأولویه والإمامه؛(۴) و ذلک لأَنَّ المحبّه لاتختص بما بَعد رحیل النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم، فی حین أنها إذا کانت بمعنی الولایه والتصرّف یزول الإشکال و یکون المعنی کاملاً؛ لأَنَّ النبیّ کان یقوم بهذا الدور فی زمن حیاته، و بوجوده لاحاجه لوجود غیره.

و للولایه حسب التحقق الخارجی مراتب نبیّنها کالآتی(۵):

۱ – مرتبه الاستعداد والصلاحیه؛ أی أن یکون الشخص حائزاً للصفات والملکات الذاتیه والاکتسابیه التی یصیر بها عند العقلاء صالحاً للولایه، و بدونها یکون الجعل عندهم جزافاً. والباری تعالی بصفته حکیماً مطلقاً لایعطی منصب النبوّه والإمامه إلّالمن لدیه لیاقه ذاتیه و أهلیه لهذا المنصب. و هذه المرتبه من الولایه کمال ذاتی فی الشخص، و حقیقه خارجیه، و لایمکن سلبها أو غصبها أو تفویضها إلی الغیر أو التصالح علیها.

۲ – المنصب المجعول للشخص اعتباراً مِن قِبَل مَن له ذلک، و إن فرض عدم ترتّب الأثر المترقّب منها علیه. کمن یعیّن شخصاً لیتولّی إداره أعماله نیابه عنه. و هذه المرتبه من الولایه اعتباریه، وجعلها مشروط بلیاقه الشخص و ما یقرّره صاحب الولایه.

۱– – للإطلاع علی مزید من المعلومات فی هذا المجال، راجع: دراسات فی ولایه الفقیه، ج ۱، ص ۵۵ و ۵۶.

۲– – سوره الأحزاب (۳۳)، الآیه ۶.

۳– – سنن الترمذی،، الباب ۲۰ من أبواب کتاب المناقب، ج ۵، ص ۵۹۱، الحدیث ۳۷۱۲.

۴– – لمزید من التفصیل، راجع: دراسات فی ولایه الفقیه، ج ۱، ص ۵۵–۵۷.

۵– لمزید من التفصیل، راجع: المصدر السابق، ص ۷۸–۸۰.

۳ – الولایه والسلطه الفعلیه الحاصله من مبایعه الناس له، مثل ما حصل لأمیر المؤمنین علیه السلام بَعد عثمان، حیث بایعه الناس.
و لهذه المرتبه وجهتان:

أ – وجهه کَوْنها مقاماً وسلطه یتنافس علیها المتنافسون.

ب – وجهه کَوْنها أمانه من اللّه و من الناس، و لاتستعقب إلّامسؤولیه و تکلیفاً.

فی هذا المجال أشار أمیرالمؤمنین علیه السلام إلی نعله المخصوف و قال: «واللّه لهی أحبّ إلیّ من إمرَتکم إلّا أن اقیمَ حقاً أو أدفعَ باطلاً».(۱) و من المؤکد أنه لو کان المراد من الولایه والإماره، الحقیقه الخارجیه والکمال النفسی لشخصه هو، لَما قال إنّ النعل المخصوف خیر من العلوم والفضائل التی بسببها صار أهلاً لهذا المقام. کما أنه لایقصد ذلک المنصب الذی جعله له اللّه واعلنه له النبیّ فی غدیر خم، و إنّما یقصد الجانب الدنیوی للإماره والرئاسه علی الناس. و هذا هو ما بیّنه فی الخطبه الشقشقیه حین قال «... لألقیتُ حبلها علی غاربها... و لألفیتم دنیاکم هذهِ أزهدَ عندی مِن عَفْطهِ عَنْزٍ»،(۲) و هی التی قال عنها: «واللّه ما کانت لی فی الخلافه رغبه و لا فی الولایه إربه».(۳)

الولایه التکوینیه والولایه التشریعیه

الولایه بمعنی القدره علی التصرف والتحکم، و هی تُقسم إلی ولایه تکوینیه، و ولایه تشریعیه، و لها مراتب. و مرتبتها الکامله مختصه باللّه، و هناک مرتبه من الولایه التکوینیه للرسول صلی الله علیه و آله و سلم والأئمه علیهم السلام، و کذلک لبعض الأنبیاء، بل حتی لبعض الأولیاء، بما یتناسب مع سموّهم الروحی و مقدرتهم النفسیه وارتباطهم باللّه، لأن معجزات الأنبیاء والأئمه علیهم السلام، و کرامات الأولیاء، هی نوع من التصرف فی التکوین؛ و إن کانوا یأتون بها فی طول مشیئه اللّه و بإذنه. و من أمثله الولایه التکوینیه التی أُشیر إلیها فی القرآن إحیاء الطیر بأمر إبراهیم علیه السلام،(۴) و تحویل العصا حیّه لموسی علیه السلام،(۵) و صنع طیر من الطین والنفخ فیه،

۱– – الشریف الرضی، نهج البلاغه، الخطبه ۳۳، ص ۷۶.

۲– – المصدر السابق، الخطبه ۳، ص ۵۰.

۳– المصدر السابق، الخطبه ۲۰۵، ص ۳۲۲.

۴– – سوره البقره (۲)، الآیه ۲۶۰.

۵– سوره الأعراف (۷)، الآیه ۱۰۷.

و إحیاء الموتی لعیسی علیه السلام،(۱) و إحضار عرش ملکه سبأ فی لحظه لسلیمان علیه السلام من قِبل آصف بن برخیا.(۲)

أمّا الولایه التشریعیه و هی حق تشریع الأحکام للناس - أو ما یُسمّی بالتقنین - فهی للّه؛ ثم فوّضت منه إلی النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم و من بَعده إلی الأئمه علیهم السلام. جاء فی روایه عن الإمام الرضا علیه السلام فی تفسیر أولی الأمر(۳) بآل محمد أنه قال: وهم الذین یستنبطون من القرآن و یعرفون الحلال والحرام.(۴) و جاء فی روایه أُخری أنّ اللّه جعل الأئمه مواضع الأنبیاء غیر أنهم لایحلّون شیئاً و لایحرّمونه.(۵) والولایه التکوینیه والولایه التشریعیه ثابتتان إجمالاً للأئمه علیهم السلام.(۶) و صلاحیتهم فی هذا المجال محصوره طبعاً فی طیف الأحکام الإلهیه، و ولایتهم منبثقه من ولایه اللّه.

و لایخفی طبعاً أنّ الولایه التشریعیه للائمه لاتتعارض مع خاتمیه الدّین الإسلامی، و ذلک للأسباب التالیه:

أوّلاً: ثبوت هذه الولایه مصرّح بها بین طیّات الدّین، و مستقاه من آیات القرآن الکریم و أحادیث النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم، و منها حدیث الثقلین المتواتر.(۷)

ثانیاً: استناداً إلی ما صرّح به الأئمه المعصومون أنّ حدیثهم حدیث النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم و متصل بکلام اللّه، کما روی هشام بن سالم و حمّاد بن عثمان و غیرهما عن الإمام الصادق علیه السلام أنه قال: حدیثی حدیث أبی، و حدیث أبی حدیث جدّی، و حدیث جدّی حدیث الحسین، و حدیث الحسین حدیث الحسن، و حدیث الحسن حدیث أمیرالمؤمنین علیه السلام، و حدیث أمیرالمؤمنین حدیث رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم، و حدیث رسول اللّه قول اللّه عزّوجلّ.(۸)

۱- - سوره آل عمران (۳)، الآیه ۴۹.

۲- سوره النمل (۲۷)، الآیه ۴۰.

۳- - سوره النساء (۴)، الآیه ۸۳.

۴- - الحُویزی، نور الثقلین، ج ۱، ص ۵۲۳، الحدیث ۴۲۹.

۵- - المصدر السابق، ج ۱، ص ۵۰۰، الحدیث ۳۳۴.

۶- - راجع: دراسات فی ولایه الفقیه، ج ۱، ص ۷۴-۷۶.

۷- «إنّی تارکٌ فیکم الثقلین کتاب اللّه و عترتی ما إن تمسَّکتُم بهما لَن تضلّوا أبداً».

۸- الکُلینی، الکافی، ج ۱، ص ۵۳، الحدیث ۱۴.

و هـذا يعنى أنّ دور أهـل البيت عليهم السـلام هو نقـل أحـاديث الرسول، و تفسير القرآن، والوقوف بوجه الانحرافـات، وجعل أنفسـهم قدوه للناس، و تجسيد تعاليم الدّين، و شرح و تفصيل السُنّه. مثلما كان دور رسول اللّه عليهم السلام نقل الوحى و كلام اللّه وتبيينه للنـاس: (وَ مـا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى * إِنْ هُوَ إِلاّـ وَحْىٌ يُوحى) ، (۱) و كـذلك (وَ أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الـذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيْهِمْ) . (۲) و نظراً إلى ما يتّسمون به من عصمه، فإن قولهم و فعلهم وتقريرهم حجه و مطابق للواقع.

إمامه الإمام علىّ عليه السلام فى الروايات

بيّن رسول اللّه عليهم السـلام إمـامه على بن أبى طـالب عليه السـلام، بالقول و بالفعل. فالمواقف العمليه للرسول صـلى الله عليه و آله و سـلم منه عليه السـلام، والمسؤوليـات التى أناطهـا به، تـدل على أنه كان يعتبره شخصـيه متميّزه، مثل مؤاخاته إياه بنفسه، و إنكاحه ابنته السـيده فاطمه الزهراء عليها السلام، و أنه لم يندبه لأمر مهم، و لابعثه فى بعث، إلّاكان هو المقدّم فيه والوالى عليه، و لم يولِّ عليه أحـداً من أصـحابه. و إغلاق جميع الأبواب المؤديه إلى المسـجد إلّابابه،(۳) كلُّها أمور تشير إلى موقعه الخاص فى النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم.

ولرسول اللّه صـلى الله عليه و آله و سـلم تعبيرات سـاميه فى وصف أميرالمؤمنين عليه السـلام منهـا قوله فيه: إمام المتقين، وسـيد المسلمين، و قائد الغر المحجّلين، و أمير الدّين، و أخو رسول اللّه، و علم الهدى، و نور أتباع محمد صلى الله عليه و آله و سلم، و أول المسـلمين، والمجاهـد مـن أجـل تأويـل القرآن، والصـدّيق الأـكبر، و بـاب علـم النـبىّ صـلى الله عليه و آله و سـلم، و نفس النبىّ،(۴) و غير ذلك.

و هـذه التعبيرات و إن كـانت غير دالّه صـراحه على إمـامه على عليه السـلام، غير أنها تكشف على الأقل عن علوّ فضـله، و أهليّته لهذا المنصب.(۵)

۱- – سوره النجم (۵۳)، الآيتان ۳ و ۴.

۲- – سوره النحل (۱۶)، الآيه ۴۴.

۳- – الطبرسى، إعلام الورى بأعلام الهدى، الباب ۲ من الركن ۲، ج ۱، ص ۳۱۵-۳۲۱؛ والباب ۴، ص ۳۶۲-۳۶۴.

۴- السيّد شرف الدّين، المراجعات، ص ۲۴۰-۲۵۴؛ المظفر، دلائل الصدق، ج ۲، ص ۳۴۹-۴۹۴.

۵- السيّد شرف الدّين، المراجعات، ص ۲۵۶.

و قد احتج أميرالمؤمنين عليه السلام على أعضاء شورى الخلافه بمكانته و سابق فضله، وهم أقرّوا له بذلك.(۱) و من ذلك مؤاخاته مع رسول اللّه، و أنّ له أخاً مثل جعفر الطيار رضوان اللّه عليه، و عمّاً كحمزه رضوان اللّه عليه، و أنه حامل لواء رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم، و مبير المشركين، و خليفه رسول اللّه فى المدينه أثناء غزوه تبوك، و أنّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم قد توفى فى حجره، و أنه هو الذى تولّى غسله و كفنه مع الملائكه، كما استدل عليهم أيضاً بقصّه خيبر و فرار الآخرين، وثباته فى معركه أُحد، و معركه الخندق، و مبارزته لعمرو بن عبد ودّ، و أنه هو الذى نزلت فيه آيات (وَ السّابِقُونَ السّابِقُونَ) ، (۲) والمباهله،(۳) والولايه،(۴) و آيه (أَ جَعَلْتُمْ سِقايَهَ الْحاجِّ وَ عِمارَهَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ جاهَدَ فِي سَبِيلِ اللّهِ) . (۵) و من الطبيعى أنّ سرد هذه الفضائل والمناقب فى ذلك الاجتماع المصيرى لم تكن لمجرّد استذكار الماضى، و إنّما لإحياء أمر مغفولٍ عنه و منسى و مهضوم، ألا و هو الإمامه و قياده شؤون المسلمين.

ورد فى نهج البلاغه أنّ شخصاً قال له: إنّك على هذا الأمر لحريص! فقال عليه السلام موضّحاً ما يختلف به عن غيره، مبيّناً ما لديه من المؤهلات والفضائل: و إِنَّمَا طَلَبْتُ حَقّاً لِي.(۶) و قال فى موضع آخر: «اَرى تُراثى نَهْباً».(۷) و قال أيضاً: لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّى أَحَقُّ النَّاسِ بِهَا مِنْ غَيْرِى.(۸) و قال: أَنَّ مَحَلِّى مِنْهَا مَحَلُّ الْقُطْبِ مِنَ الرَّحَى.(۹)

۱- – الطبرى، ابن رستم، المسترشد، ص ۳۳۲-۳۶۴؛ الطبرسى، إعلام الورى بأعلام الهدى، ج ۱، ص ۳۶۰-۳۷۳؛ العسقلانى، الصواعق المحرقه، ص ۱۲۰.

۲- – سوره الواقعه (۵۶)، الآيه ۱۰.

۳- (فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ ما جاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعالَوْا نَدْعُ أَبْناءَنا وَ أَبْناءَكُمْ وَ نِساءَنا وَ نِساءَكُمْ وَ أَنْفُسَنا وَ أَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللّهِ عَلَى الْكاذِبِينَ)، سوره آل عمران (۳)، الآيه ۶۱.

۴- (إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاهَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكاهَ وَ هُمْ راكِعُونَ)، سوره المائده (۵)، الآيه ۵۵.

۵- – سوره التوبه (۹)، الآيه ۱۹.

۶- – الشريف الرضى، نهج البلاغه، الخطبه ۱۷۲، ص ۲۴۶.

۷- – المصدر السابق، الخطبه ۳، ص ۴۸.

۸- المصدر السابق، الخطبه ۷۴، ص ۱۰۲.

۹- المصدر السابق، الخطبه ۳، ص ۴۸.

نبوءه رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم

لقد كان من المتوقّع - كما يبدو - أنّ قريشاً لن تنصاع لإمامه وخلافه على عليه السلام. و قد كان الرسول على بيّنه من هذا الأمر، و لم يكتم هواجسه من هذه القضيه. و تظهر الشواهد التاريخيه أنه أفصح عن وجهه نظره فى هذا الصدد فى مواقف شتّى، محاولاً ترسيخ ولايه على عليه السلام. ففى أعقاب خروج عائشه على الإمام على عليه السلام فى حرب الجمل، احتجّت عليها أُمّ سلمه بمجموعه أُمور منها: أنها قالت لها: «أتذكرين حين كُنا أنا و أنت مع رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم فى سفر له، و كان على يتعاهد نعلَى رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم يخصفها، و يتعاهد أثوابه فيغسلها، فنقبت له نعل، فأخذها يومئذ يخصفها، و قعد فى ظل شجره، و جاء أبوك و معه عمر، فاستأذنا عليه، فقمنا إلى الحجاب، و دخلا يحادثانه فيما أرادا، ثم قالا:

يارسول اللّه، إنا لاندرى قدر ما تصحبنا، فلو أعلمتنا من تستخلف علينا، ليكون لنا بعدك مفزعاً؟ فقال لهما: أما إنى قد أرى مكانه، ولو فعلت لتفرقتم عنه، كما تفرقت بنوإسرائيل عن هارون بن عمران، فسكتا ثم خرجا. فلمّا خرجنا إلى رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم، قلتِ له، و كنتِ أجرأ عليه منا: مَن كنت يا رسول اللّه مستخلفاً عليهم؟ فقال: خاصف النعل، فنظرنا فلم نَرَ أحداً إلّاعلياً».(۱)

هواجس النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم من العصبيه الجاهليه

كانت العصبيه القبليه ضاربه بأطنابها فى المجتمع القبلى الذى كان يعيش فى جزيره العرب. و قد بذل رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم محاولات دؤوبه لاستئصال شأفه تلك الظاهره و حقّق نجاحاً باهراً، و لكن رغم كل ذلك فقد بقى هناك ما يثير القلق والمخاوف. و من الطبيعى أنّ كل سياسى نبيه يدرك لو أنّ النبىّ نصب لقياده المسلمين من بَعده شاباً فى الثالثه والثلاثين من عمره لكان ذلك مدعاه لإثاره الاحقاد والضغائن. إذ من الطبيعى أنّ مثل ذلك الشاب

۱- ابن أبى الحديد، شرح نهج البلاغه، ج ۶، ص ۲۱۸، شرح الخطبه ۷۹؛ سنن ابن ماجه، ج ۵، ص ۵۹۲، الحديث ۳۷۱۵، الباب ۲۰ مناقب على بن أبى طالب عليه السلام.

الـذى كـانت له كـل تلـك الفضائل المتميّزه كان يثير حسـد كثير من الأفراد. كانت مخاوف الرسول من قضـيه الاسـتخلاف من الشـدّه بحيث أنه كان يخشـى أن تؤدّى لو طرحها إلى ضـياع كل جهوده، و لكن اللّه عزّوجلّ طمأنه بقوله: (وَ اللّهُ يَعْصِمُکَ مِنَ النّاسِ) .(۱)

فحتى لو لم يسـمحوا للخلافه الظاهريه أن تصـير إلى أهلها، غير أنّ النور والمعرفه المتّصـله بينبوع الوحى والرساله لاينطفئان أبداً. فالمعارف الإلهيه، و تفسـير القرآن، و دفع الشبهات من قبل أهل بيت النبىّ قد شاعت فى كل مكان لتروى المتعطّشين إلى معرفه الحقيقه. و إن كان على و ذرِّيته قد تسـلّموا الخلافه الظاهريه مدّه من الزمن أو لم يتسـلّموها، فإنّ ذلك العصر قد مرَّ و انقضى، و ما بقى هو الحق والثقافه الغنيه للإسلام والتشيّع.

فهم قـادرون على رفـد الحركه المعنويه للمجتمع، والسـير به نحو الغايـات السـاميه. وتبقى حقيقه الإسـلام فى خضم المساجلات والمذاهب المصطنعه، و إلّافلا معنى لإكمال الدّين و إتمام النعمه و إلقاء الحجه.

الإمام على عليه السلام والخلافه

فى الوقت الـذى كـان فيه على عليه السـلام و أصـحابه منهمكين فى المصـيبه الكبرى لرحيـل النبىّ صـلى الله عليه و آله و سـلم، اجتمع أهـل السـقيفه وعيّنوا خليفه للنبى. وبَعـد هـذا العمل صاروا يقفون سويه بوجه أى عمل آخر. واسـتطاعوا أن يسـيطروا على زمـام الأُمور بـذكاء وضـجيج مفتعـل، و منـح امتيازات لهـذا و ذاك، و إسـكات المعارضـين البارزين، و قمع جماعه آخرين. و أصـبحت الظروف بالشـكل الـذى لايسـمح لعلى عليه السـلام أو لأى شـخص آخر أن يقوم بأى عمل. و هكـذا وجـد الإمام أنّ احتجـاجه لايجـدى نفعاً. و لايؤدى سوى إلى الفتنه والاقتتال واجتثاث الـدّين والمؤمنين. ورأى الإمام يومـذاك أن يتغاضـى عن الخلافـه تلافيـاً للشـر والفتنه؛ لأنه كان يـدرك فـداحه المخاطر التى تهـدد الإسـلام. فقـد برز فى أرجاء جزيره العرب منافقون و مدّعون للنبوّه الذين كانوا يشكلون تهديداً خطيراً لبيضه الإسلام، فهم كانوا يتربّصون فى

۱- – سوره المائده (۵)، الآيه ۶۷.

منتظرين الفرصه المناسبه للانقضاض على الإسلام والقضاء عليه.

و كـان من الطبيعى فى مثل تلك الظروف أن يؤدّى أى عمل يقوم به على عليه السـلام فى أمر الخلافه، إلى نشوب صـراع خطير تصعب السيطره عليه. فجلس فى داره حِرصاً على حفظ دين اللّه و لكى لايشق عصا المسلمين.(۱)

لقـد بذل الإمام على عليه السـلام جهوده متى ما وجد الظرف المناسب لبيان معارف الدّين و تفسـير كتاب اللّه، و كان فى الوقت ذاته يسعى من أجل إعاده الخلافه والإمامه إلى مسارها، و مؤكّداً على حقّه فى الخلافه.

و قـال فى ردّه على الخوارج الـذين قـالوا له: أنت الوصـى ولكّنـك ضـيّعت الوصـايه، وجعلت الحكم إلى غيرك: أنتم كفرتم و قـدّمتم علىَّ غيرى، و أزلتم الأمر عنّى، و ليس على الأوصـياء الـدعاء إلى أنفسـهم... و قـد قال اللّه تعالى: (وَ لِلّهِ عَلَى النّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً) . (۲) فلو ترك الناس الحج لم يكن البيت ليكفر بتركهم إيّاه، و لكن كانوا يكفرون بتركه؛ لأَنَّ اللّه تعالى قد نصبه لهم علماً، و كذلك نصبنى علماً، حيث قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم: ياعلى أنت بمنزله الكعبه تُؤتى و لاتأتى.(۳)

الأئمه الإثنا عشر

اشاره

كان عدد أوصـياء النبىّ صـلى الله عليه و آله و سلم و خلفائه إثنى عشر إماماً. و هناك مجموعتان من الأحاديث والروايات الدالّه على هذا: مجموعه الأحاديث التى تؤكد على وجود الإمام فى المجتمع بشـكل عام، و منها الحديث المروى عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم: إنّ الأرض لاتخلو من حجّه.(۴)

۱- السيّد شرف الدّين، المراجعات، ص ۳۸۵-۳۸۷؛ ابن أبى الحديد، شرح نهج البلاغه، ج ۲، ص ۲۱، شرح الخطبه ۲۶.

۲- - سوره آل عمران (۳)، الآيه ۹۷.

۳- الطبرى، ابن رستم، المسترشد، ص ۳۸۷ و ۳۹۴؛ ابن الأثير، اسدُ الغابه فى معرفه الصحابه، ج ۴، ص ۳۱.

۴- أو مثل هـذا الحـديث: «لايزال هـذا الأمر فى قريش ما بقى من الناس اثنان.» صـحيح مسـلم، كتاب الاماره، ج ۱۲، ص ۲۰۱؛ الطبرى، ابن رستم، المسترشد، ص ۳۸۷، ذيل الرقم ۱۳۰؛ و ص ۳۹۴، ذيل الرقم ۱۳۲.

يـدل هـذا النوع من الروايـات على وجوب وجود إمـام حق فى كـل زمـان لكى لاـتخلو الأرض من حجه إلهيه، وليتخلّص الناس بمعرفته من الجاهليه.

والمجموعه الأُخرى هى الروايات التى تنص على عدد و أوصاف أوصياء النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم.

فقـد وردت ثلاثمئه روايه من طرق مختلفه حول عـدد خلفاء النبىّ، و تنص كلّها على العدد اثنى عشـر. و إن كانت هناك أخبار أُخرى تنص على غير هـذا العدد فلابّد من تأويلها أو تركها؛ لأَنَّ المتواتر من الروايات يفيد أنّ عدد الأئمه - مع الإمام على - إثنا عشر إماماً.

و فى مصـادر أهـل السُـنّه نُقلت روايـات ذات مضـمون واحـد تقريباً و هو أنّ عـدد خلفاء النبىّ إثنا عشـر خليفه، مثل: «يكون من بَعدى اثنا عشر أميراً»،(۱) و «لايزالُ هذا الأمرُ عزيزاً إلى اثنى عشـر خليفه».(۲) والمراد من الإثنى عشر من يستحقون الخلافه؛ أى تتوفر فيهم شروط الإمامه كالعداله والعلم و غير ذلك.(۳)

يوجد فى كتاب الكافى ثلاثه عشـر باباً فى أسـماء و أوصاف الأئمه، و أحدها يتعلق بالنص على إمامه الأئمه، و أمّا الأبواب الإثنا عشـر الأُخرى فتتحـدث عن كل واحـد من الأئمه (من الإمام على إلى الإمام المهـدى عليه السـلام) اسـتناداً إلى ما أدلى به الإمام السابق له، أو استناداً إلى حديث رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم.(۴)

أسماء الأئمه عليهم السلام

أسماء الأئمه المعصومين عند الشيعه هم بالترتيب التالى:

الإمام الاوّل: الإمام أميرالمؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السلام

الإمام الثانى: الإمام الحسن بن علىّ المجتبى عليهما السلام

الإمام الثالث: الإمام الحسين بن علىّ سيّدالشهداء عليهما السلام

۱- - سنن الترمذى،، كتاب الفتن، الباب ۴۶، ج ۴، ص ۴۳۴، الحديث ۲۲۲۳.

۲- - صـحيح مسلم، كتاب الاماره، ج ۱۲، ص ۲۰۲؛ النعمانى، كتاب الغيبه، ص ۱۷۵؛ الطبرسى، إعلام الورى بأعلام الهدى، ج ۲، ص ۱۵۷-۱۶۵.

۳- لمزيد من التفصيل، راجع: دراسات فى ولايه الفقيه، ج ۱، ص ۳۷۷.

۴- الكُلينى، الكافى، ج ۱، كتاب الحجه، ص ۲۸۶-۳۲۹.

الإمام الرابع: الإمام علیّ بن الحسین سیّدالساجدین علیهما السلام

الإمام الخامس: الإمام محمّد بن علیّ الباقر علیهما السلام

الإمام السادس: الإمام جعفر بن محمّد الصادق علیهما السلام

الإمام السابع: الإمام موسی بن جعفر الکاظم علیهما السلام

الإمام الثامن: الإمام علیّ بن موسی الرّضا علیهما السلام

الإمام التاسع: الإمام محمّد بن علیّ الجواد علیهما السلام

الإمام العاشر: الإمام علیّ بن محمّد الهادی علیهما السلام

الإمام الحادی عشر: الإمام الحسن بن علیّ العسکری علیهما السلام

الإمام الثانی عشر: الإمام حجه بن الحسن المهدی علیهما السلام

کما یعتقد الشیعه - استناداً إلی تصریحات و إشارات رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم - بأنّ السیده الصدیقه الطاهره فاطمه الزهراء علیها السلام أُمّ الأئمه علیهم السلام هی محور الإمامه والولایه، و سیّده نساء العالمین فی الدنیا والآخره. و هی أُسوه لکل الناس فی کل عصر. و بما أنها من المعصومین أیضاً، فإنّ قولها و فعلها و تقریرها حجه. و رضاها رضی اللّه و رسوله، و غضبها غضب اللّه و رسوله.

و هؤلاء هم العتره، و أهل بیت النبیّ الذین أوصی بهم، و هم یتّصفون بأوصافه - مع فارق واحد، و هو أنهم لایوحی إلیهم - و معصومون من کل خطأ و ذنب.

اختیار الأئمه علیهم السلام

الأئمه أناس اصطفاهم اللّه. و مثلما اصطفی من بین الناس رسلاً لإبلاغ رسالته، ولتکون لهم الزعامه فی الناس، کذلک اصطفی الأئمه لتکون لهم إمامه الناس. و کان فی الأُمم الماضیه من اصطفاهم اللّه مثل آل إبراهیم و آل عمران.(۱) و قد قال اللّه عزّوجلّ فی ما یخص الأُمّه الإسلامیه: (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْکِتابَ الَّذِینَ اصْطَفَیْنا مِنْ عِبادِنا) . (۲) و روی عن الإمام الصادق علیه السلام أنه قال: «لنا مِنْ رَسولِ اللّهِ الوِلادهُ وَ لنا مِنْ کِتابِ اللّهِ الوِراثهُ».(۳)

۱- - سوره آل عمران (۳) الآیتان ۳۳-۳۴.

۲- - سوره فاطر (۳۵)، الآیه ۳۲.

۳- الطبری، ابن رستم، المسترشد، ص ۶۰۰.

أهليه الأئمه عليهم السلام

إضافه إلى النصوص المعتبره والمتعدده حول إمامه الأئمه، فقد كانت لهم شخصيات بارزه و مؤهلات و مراتب من الكمال توجب أن تُفوّض لهم الزعامه والإمامه. فقد كان الأئمه عليهم السلام هم المؤسسون لكثير من العلوم، و لم يكن هناك بعد النبيّ من يضاهيهم فى المرتبه العلميه والمعنويه. والمثال الأبرز على ذلك، الإمامان الباقر عليه السلام والصادق عليه السلام، فهما حينما توفّرت لهما الظروف أظهرا علمهما وربّيا كثيراً من التلاميذ. قال أبو زهره و هو أحد الباحثين المصريين المعاصرين فى وصف دور الإمام الباقر عليه السلام: «كان مَقْصَدَ العلماء من كلِّ البلاد الإسلاميه».(۱)

نقل النجاشى فى كتاب رجاله عن الحسن بن على الوشّاء أنه قال: أدركت فى هذا المسجد (مسجد الكوفه) تسعمئه شيخ كلٌّ يقول: حدّثنى جعفر بن محمد.(۲)

و لايدّعى أحد طبعاً أنّ هؤلاء الأئمه قد اكتسبوا كل علومهم من الآخرين، أو درسوها فى مدرسه. و تدل غزاره علمهم، و ما نشروه من العلوم دون أن يتعلّموا ذلك من أحد، على أنهم كان لديهم علم إلهى و أنهم كانوا يؤدون فى الأُمّه ذات الدور الذى كان يؤدّيه النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم.

إنّ ما يوجب التمسّك بأهل بيت النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم والأئمه الإثنى عشر هو النص عليهم من رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم واستقاء علومهم من علمه. يقول أميرالمؤمنين عليه السلام فى هذا المجال: ألا و إنّا أهل بيتٍ مِن علمِ اللّه علمنا، و من قول صادقٍ سمعنا، فإن تتبعوا آثارنا تهتدوا ببصائرنا، و إن تدبروا عنا يهلككم بأيدينا أو بما شاء، و معنا رايه الحق من تبعها لَحِق، و من تأخر عنها محق، ألا و بنا يفتح، و بنا يختم لابكم، فإنه عزّوجلّ قد أمر بطاعه أقوام بأعيانهم، والرسول قد دل عليهم، و حظر على المتمسكين بهم أن يضلوا، والدليل على ذلك أن اللّه قد طبعهم على الخير، و عملهم ما احتاجت إليه الأُمّه، و لايجالسون فقهاءها، و لايتدارسون كتبها، بل ينظرون فى علم الرسول صلى الله عليه و آله و سلم.(۳)

۱- أبو زَهره، الإمام الصادق، ص ۱۸.

۲- رجال النجاشى، ص ۴۰، الرقم ۸۰، سيره الحسن بن على الوشّاء.

۳- الطبرى، ابن رستم، المسترشد، ص ۵۶۱، الحديث ۲۳۸.

و بَیّن الإمـام الصادق أنّ مصـدر علم الأئمه هو النبیّ صـلی الله علیه و آله و سـلم و علی علیه السـلام، و قال أیضاً: إنّا نعلم الأمور أحیاناً بالإلهام.(۱)

و قـال الإمام الباقر علیه السـلام:... أترون أنّ اللّه تبارک و تعالی افترض طاعه أولیائه علی عباده، ثم یخفی عنهم أخبار السـموات والأرض، و یقطع عنهم مواد العلم فی ما یرد علیهم ممّا فیه قوام دینهم؟(۲) و قال الإمام الصادق علیه السلام: لایحتجّ اللّه تبارک و تعالی علی خلقه بحجه لایکون عنده کل ما یحتاجون إلیه.(۳)

و جاء فی روایه أنّ الإمام الباقر علیه السـلام استشـهد بالآیه الشـریفه: (عالِمُ الْغَیْبِ فَلا یُظْهِرُ عَلی غَیْبِهِ أَحَداً * إِلاّ مَنِ ارْتَضی مِنْ رَسُولٍ) (۴) علی أنهم یعلمون بما یقدّره اللّه و یقضیه.(۵) و قال عمار الساباطی: سألت أبا عبـداللّه علیه السـلام عن الإمام، یعلم الغیب؟ فقال: لا، و لکن إذا أراد أن یعلم الشیء أعلمه اللّه ذلک.(۶)

و جاء فی روایه أُخری أنّ الإمام الصادق علیه السـلام استدل بالآیه الشریفه: (قالَ الَّذِی عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْکِتابِ) (۷) و قارنها بالآیه: (... وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْکِتابِ) (۸) بأنّ علم هـذا أکثر من علم الـذی أشـارت إلیه الآیه السـابقه: و قـال: «علم الکتـاب واللّه کلّه عندنا».(۹)

(۱۰) و قـال المفضـل: جعلت فـداک یفرض اللّه طـاعه عبـد علی العبـاد و یحجب عنه خبر السـماء؟ قال: لا. اللّه أکرم و أرحم و أرأف بعباده من أن یفرض طاعه عبد علی العباد ثم یحجب عنه خبر السماء صباحاً و مساءً.(۱۱)

۱- الکُلینی، الکافی، ج ۱، ص ۲۶۴، الحدیث ۲.

۲- - المصدر السابق، ج ۱، ص ۲۶۱، الحدیث ۴.

۳- المصدر السابق، ص ۲۶۲، الحدیث ۵.

۴- - سوره الجن (۷۲)، الآیات ۲۶-۲۷.

۵- - الکُلینی، الکافی، ج ۱، ص ۲۵۶، الحدیث ۲.

۶- المصدر السابق، ص ۲۵۷، الحدیث ۴.

۷- - سوره النمل (۲۷)، الآیه ۴۰.

۸- سوره الرعد (۱۳)، الآیه ۴۳.

۹- - الکُلینی، الکافی، ج ۱، ص ۲۵۷، الحدیث ۳.

۱۰- حول الآیه (قالَ الَّذِی عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْکِتابِ)، هناک روایه تقول انها تتعلق بآصف بن برخیا، الذی کان من أتباع النبیّ سلیمان علیه السلام، والآیه (وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْکِتابِ) تنطبق علی الإمام علی علیه السلام. نور الثقلین، ج ۴، الصفحات ۸۷-۹۲. أمّا الوجه فی ترجیح دلاله الآیه (وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْکِتابِ) علی الآیه الأُخری هو أن الحرف (مَنْ) فی تلک الآیه دالّ علی التبعیض، أمّا فی هذه الآیه فقد وردت عباره (عِلْمُ الْکِتابِ) بشکل مطلق.

۱۱- الکینی، الکافی، ج ۱، ص ۲۶۱، الحدیث ۳.

الإمامه فی الطفوله

یعتقد الشیعه الإمامیه بأنّ الأئمه المعصومین علیهم السلام یُعطون شأن الإمامه منذ الطفوله؛ لأَنَّ الإمامه منصب إلهی، و لمقام الإمامه المقدره علی تلبیه المقتضیات التی یستلزمها هذا المنصب؛ أی أن یکون الإمام حجّه للّه علی الخلق. و بما أنّ هذا یُحتمل فیه أن ینال الإمام منصب الإمامه منذ عهد الطفوله، فإنّ اللّه تعالی یهبه مثل هذا العِلم و هذا المنصب. و هذا لیس بالشیء الجدید فی تاریخ الدّین. فقد کان هناک فی الأُمم الماضیه من أُعطوا مقام النبوّه والوصایه فی عهد الطفوله.

عیسی علیه السلام عندما کان ولیداً تکلم فی المهد و قال: (... إِنِّی عَبْدُ اللّهِ آتانِیَ الْکِتابَ وَ جَعَلَنِی نَبِیًّا) ، (۱) و جاء فی شأن یحیی علیه السلام: (یا یَحْیی خُذِ الْکِتابَ بِقُوَّهٍ وَ آتَیْناهُ الْحُکْمَ صَبِیًّا) . (۲) و استند الإمام الباقر علیه السلام إلی هاتین الآیتین لیبیّن أنّ عیسی و یحیی کانا حجتین و نبیین منذ الطفوله.(۳)

قال صفوان بن یحیی: قلت للرضا علیه السلام: قد کنا نسألک قبل أن یهب اللّه لک أبا جعفر علیه السلام فکنت تقول: یهب اللّه لی غلاماً، فقد وهب اللّه لک فقَرَّ عیوننا، فلا أرانا اللّه یومک، فإن کان کَوْن فإلی مَن؟ فأشار بیده إلی أبی جعفر علیه السلام و هو قائم بین یدیه، فقلت: جعلت فداک هذا ابن ثلاث سنین!؟ قال: و ما یضرّه من ذلک شیء، قد قام عیسی علیه السلام بالحجّه و هو ابن ثلاث سنین».(۴)

و جاء فی خبر آخر أنه قیل للإمام الجواد علیه السلام: إنهم یقولون فی حداثه سنّک، فأشار إلی قصه سلیمان و داود و قال: إنّ اللّه تعالی أوحی إلی داود أن یستخلف سلیمان و هو صبی یرعی الغنم.(۵)

۱- – سوره مریم (۱۹)، الآیه ۳۰.

۲- – سوره مریم (۱۹)، الآیه ۱۲.

۳- الکُلینی، الکافی، ج ۱، ص ۳۸۲، الحدیث ۱.

۴- المصدر السابق، ص ۳۸۳، الحدیث ۲.

۵- المصدر السابق، الحدیث ۳.

آخر حجج اللّه

اشاره

الاعتقاد بالمنجی والأمل بقیام حکومه عالمیه تبسط العداله، موجودان فی کل الأدیان بشکل أو آخر. فقد جاءت البشری بالمصلح فی الدیانه الیهودیه، والمسیحیه، و حتی فی الهندوسیه والزرادشتیه والبوذیه. فقد جاء فی مزامیر داود التی أُدخلت الیوم ضمن کتاب العهد القدیم، ما یلی: و یقطع ذریه الأشرار، أمّا الصدیقون فیرثون الأرض و یسکنونها إلی الأبد.(۱) و جاء فی موضع آخر أیضاً: المبارکون من الرب یرثون الأرض، والملعونون منه ینقطعون.(۲)

و قد صرّح القرآن الکریم بأن اللّه قد وعد فی کتب الأنبیاء السابقین أنّ الأرض سیرثها الصالحون: (وَ لَقَدْ کَتَبْنا فِی الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّکْرِ أَنَّ الْأَرْضَ یَرِثُها عِبادِیَ الصّالِحُونَ) .(۳) و جاء فی آیه أُخری: (وَعَدَ اللّهُ الَّذِینَ آمَنُوا مِنْکُمْ وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ لَیَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِی الْأَرْضِ کَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ لَیُمَکِّنَنَّ لَهُمْ دِینَهُمُ الَّذِی ارْتَضی لَهُمْ وَ لَیُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً) .(۴)

و نقل أنّ الإمام الباقر علیه السلام قال: إنّ المراد من الصالحین الإمام المهدی (عج) و أنصاره.(۵)

و جاء فی روایات کثیره ذکر المنقذ العالمی و آخر الأوصیاء بألقاب مثل المهدی، و قائم آل محمد، و حجه اللّه. و فی کتب الحدیث، و منها کتب الحدیث عند أهل السُنّه روایات کثیره حول الإمام المهدی (عج) ادّعی البعض تواترها.(۶) و قد جاء فی إحداها أنّ رجلاً من ذریه النبیّ اسمه المهدی سیظهر فی آخر الزمان «لاتذهبُ الدنیا حتّی یلیَ امَّتی رجلٌ مِنْ اهْلِ بَیْتی یُقالُ لَهُ المَهْدی».(۷)

۱- – المزامیر، المزمور (۳۷)، الآیتان ۲۲ و ۲۳.

۲- المصدر السابق، الآیه ۲۹.

۳- – سوره الأنبیاء (۲۱)، الآیه ۱۰۵.

۴- سوره النور (۲۴)، الآیه ۵۵.

۵- المجلسی، بحارالأنوار، ج ۵۱، ص ۴۷، الحدیث ۶.

۶- – للعلامه الشوکانی کتاب فی هذا المجال عنوانه: «التوضیح فی تواتر ما جاء فی المنتظر والدجّال والمسیح».

۷- الطوسی، کتاب الغیبه، ص ۱۸۲؛ الحَموینی، فرائد السمطین، ج ۲، ص ۳۲۸؛ المجلسی، بحارالأنوار، ج ۵۱، ص ۷۹ و ۸۱.

ظهور المهدی (عج)

قال ابن أبی الحدید فی شرح قول الإمام علی علیه السلام: «خلّف فینا رایهَ الحقّ»: رایه الحق:

الثقلان المخلفان بعد رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم، و هما القرآن والعتره(۱) و قال فی سیاق شرحه لجمله: «حتی یطلع اللّه لکم من یَجمَعکم و یَضُمّ نَشْرَکم»: و هذا إشاره إلی المهدی الذی یظهر فی آخر الوقت.(۲)

جاء فی ما نقل من کلام الأئمه علیه السلام: أنّ المهدی من ذریه النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم. و فضلاً عن ذلک فقد ذُکر آباؤه بالترتیب. و نصّت روایات علی أنّ الإمام المهدی من ذریه الحسین علیه السلام؛ فقد روی عن النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم أنه قال: الأئمه من بعدی إثنا عشر إماماً تسعه منهم من ذریه الحسین، والمهدی من هؤلاء التسعه.(۳)

سُئل أمیرالمؤمنین علیه السلام عن معنی قول النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم: «إنّی تارکٌ فیکم الثقلین کتاب اللّه وعترتی» مَن هم العتره؟ فقال: أنا والحسن والحسین والأئمه التسعه من ولد الحسین تاسعهم مهدیهم و قائمهم.(۴)

و روی أنّ الإمام الحسن علیه السلام ذکر المهدی (عج) و قال: إنه التاسع من ولد أخی الحسین.(۵)

و ذکرت روایات أُخری أن المهدی من ذریه فاطمه علیها السلام؛ إذ نُقل أنّ رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم قال لفاطمه: نبیّنا خیر الأنبیاء و هو أبوک، و وصینا خیر الأوصیاء و هو بعلک، و منا المهدی و هو من ذرّیتک.(۶)

وردت أحادیث حول المهدی فی مسند أحمد بن حنبل وصحیح البخاری اللذین یعود

۱- – ابن أبی الحدید، شرح نهج البلاغه، ج ۷، ص ۸۵، شرح الخطبه ۹۹.

۲- المصدر السابق، ص ۹۴.

۳- الطوسی، کتاب الغیبه، ص ۱۸۸ و ۱۸۹ و ۱۹۱؛ المجلسی، بحارالأنوار، ج ۵۱، ص ۳۵ و ۶۶ و ۱۳۳.

۴- الصدوق، إکمال الدّین، ج ۱، ص ۳۵۱.

۵- – المجلسی، بحارالأنوار، ج ۵۱، ص ۱۳۲، الحدیث ۱.

۶- المصدر السابق، ج ۵۱، ص ۶۷، الحدیث ۶؛ و ج ۳۶، ص ۳۶۹ و ۳۷۰.

تاریخ تألیفهما إلی القرن الثالث، و هو قرن ولاده الإمام المهدی (عج).(۱) و هذان الکتابان من الکتب المعتبره عند أهل السنّه. و من الأحادیث التی نقلها أحمد بن حنبل فی مسنده، الحدیث التالی: «لو لم یبقَ من الدُنیا الّا یوم بَعَثَ اللّه عزّوجلّ رجلاً منّا یملؤها عدلاً کما مُلئت جوراً».(۲)

أمّا بالنسبه إلی الوهابیین الذین یعتقدون - تبعاً لابن تیمیه - بمعتقدات خاصّه مُخالفه لمعتقدات جمیع الفرق الإسلامیه المعروفه، فقد أقروا صحّه الأحادیث المتعلّقه بالمهدی، فقد جاء فی البیان الذی أصدرته رابطه العالم الإسلامی - و مقرُّها فی مکّه - فی عام ۱۹۷۶، فی سیاق الإجابه عن سؤال تقدّم به شخص حول الإمام المهدی، أنّ ابن تیمیه قد أقرّ صحّه الأحادیث المتعلّقه بالمهدی، و جاء ضمن الجواب: إنه (أی المهدی) آخر الخلفاء الراشدین الإثنی عشر، الذین ذکرتهم کتب الصحاح نقلاً عن رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم. والأحادیث المتعلّقه بالمهدی رواها الکثیر من صحابه النبیّ. و قد أشیر فی هذا البیان إلی الکتب التی أُلّفت فی هذا الموضوع، وصرّح أن الأحادیث المتعلّقه بالمهدی متواتره.

و قد شکک ابن خلدون فی بعض هذه الأحادیث معترفاً بانّها کانت مشهوره لدی المسلمین علی مرّ القرون والأعصار، و لازالت موجوده، و هی تدل علی أنه سیظهر فی آخر الزمان رجل من ذریه النبیّ... و اقرّ بأن بعض الأحادیث لایمکن الشکّ فیها.(۳)

انتظار ظهور المهدی (عج) قبل ولادته

وردت البشاره بظهور الإمام المهدی (عج) فی الروایات المنقوله عن رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم والأئمه علیهم السلام، إلی حد أنّ أصحاب الأئمه کانوا ینتظرون ظهور شخص باسم قائم آل محمد حتی فی عصر الأئمه، و کانوا یسألون الأئمه أحیاناً: هل أنت القائم من آل محمد؟ قال یونس بن عبدالرحمن: دخلت علی موسی بن جعفر علیهما السلام فقلت: یا بن رسول اللّه، أنت القائم

۱- - أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ج ۱، ص ۸۴ و ۹۹ و ۴۴۸؛ و ج ۵، ص ۲۷۷.

۲- المصدر السابق، ج ۱، ص ۹۹.

۳- ابن خلدون، المقدمه، ص ۳۲۲ و ما بعدها.

بالحق؟ فقال: أنا القائم بالحق، و لكن القائم الذى يطهّر الأرض من أعداء اللّه هو الخامس من ولدى.(۱)

ولاده الإمام المهدى (عج)

أشهر التواريخ حول ولاده الإمام المهدى هو النصف من شعبان من عام ۲۵۵ للهجره، و هو الوصى الثانى عشر لرسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم، واسمه و كنيته كاسم و كنيه النبىّ. وُلِد من الإمام الحسن العسكرى و زوجته نرجس فى مدينه سُرَّ من رأى (سامرّاء).(۲) و بعد ولادته عقّ عنه الإمام الحسن العسكرى عليه السلام وتصدّق و أعلن لبعض الشيعه خبر ولادته.(۳) و عرضه على بعض أصحابه، و هنّأ جماعه بولاده ابنه(۴) فقال لهم: هذا صاحبكم من بعدى... و هو القائم الذى تمتد إليه الأعناق بالانتظار. فإذا امتلأت الأرض جوراً و ظلماً خرج فملأها قسطاً و عدلاً.(۵)

غيبه الإمام المهدى (عج)

بعد استشهاد الإمام الحسن العسكرى عليه السلام رأى جماعه من الشيعه الإمام المهدى عليه السلام، و كانوا فى تلك المدّه واسطه بينه و بين شيعته، و من هؤلاء أفراد يُسمّون بالنواب الأربعه.

و قد وصفهم الإمام العسكرى بالثقاه والعدول، و منهم أبو عمرو عثمان بن سعيد، وابنه محمد بن عثمان، و غيرهم من السفراء.(۶) ويُطلق على هذه المرحله اسم الغيبه الصغرى، و بدأت من عام ۲۶۰ للهجره إلى عام ۳۲۹ للهجره. و بدأت بعدها الغيبه الكبرى و هى مستمره إلى

۱- النورى، الميرزا حسين، مستدرك الوسائل، الباب ۳۱ من أبواب الأمر بالمعروف، ج ۱۲، ص ۲۸۲، الحديث ۶.

۲- – المجلسى، بحار الأنوار، ج ۵۱، ص ۲۳ و ۲۴ و ۲۵؛ الشيخ الطوسى، كتاب الغيبه، ص ۲۳۴؛ الصدوق، اكمال الدّين، الباب ۴۲، ص ۴۲۴.

۳- – المجلسى، بحارالأنوار، ج ۵۱، ص ۵، الحديث ۹ و ۱۱؛ الصدوق، إكمال الدّين، باب ۴۲، ص ۴۳۰ و ۴۳۱، الحديث ۶.

۴- – الشيخ الطوسى، كتاب الغيبه، ص ۲۵۱.

۵- المجلسى، بحارالأنوار، ج ۵۱، ص ۵، الحديث ۱۱.

۶- – الشيخ الطوسى، كتاب الغيبه، ص ۱۰۸ و ۱۰۹؛ المجلسى، بحارالأنوار، ج ۵۱، ص ۳۴۳ إلى ۳۶۶، الباب ۱۶.

أن يأذن اللّه للإمام بالظهور.

ورد اصطلاح الغيبه الصغرى والكبرى فى كلام الأئمه قبل ولاده الإمام المهدى (عج)، فقد روى عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال: «إنّ لصاحب هذا الأمر غيبتين: إحداهما تطول...».(۱)

غيبه الإمام المهدى ليس بمعنى أنه مختفٍ فى موضع ما، و لكن المراد أنّ الناس لايعرفونه. قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: المهدى مثل يوسف فيوسف، كان بين إخوته فلم يعرفوه. والمهدى أيضاً بين الناس و هم لايعرفونه حتى يأذن اللّه أن يعرّفهم نفسه كما أذن يوسف حين قال لهم: (هَلْ عَلِمْتُمْ ما فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ) . (۲) سوف يأذن اللّه للناس فى الوقت المناسب أن يعرفوا إمام زمانهم.(۳)

إنّ غيبه الإمام والقائد فى أيه امّه من الأُمم أمر غير طبيعى، و يصعب على عموم الناس تصديقه. أمّا بالنسبه إلى غيبه الإمام المهدى فقد جرى التمهيد لها تدريجياً من قبل النبىّ والأئمه، و أصبحت هذه المحاولات أكثر وضوحاً فى زمان الإمامين الهادى والعسكرى عليه السلام؛ حيث أخذ يتقلص لقاء الشيعه مباشره بالإمام العسكرى عليه السلام، و أخذت الأُمور تُطرح عن طريق نواب. و كان هذا بمثابه محاوله لتمهيد الظروف ولإعداد الشيعه لقبول غيبه المهدى (عج) و عمد الإمام العسكرى فى الوقت ذاته إلى عرض الإمام المهدى على بعض الشيعه ليطمئنوا أنّ حجه الأرض موجود فى الأرض، وليُعلموا بقيه الشيعه بهذا الأمر. و فى إحدى المّرات قال الإمام العسكرى فى مجلس كان فيه محمد بن عثمان بن سعيد (السفير الثانى للإمام المهدى (عج)) مع أربعين رجلاً من الشيعه، فإذا بغلام كأَنّه قطع قمر أشبه الناس بالإمام العسكرى، فقال: «هذا إمامُكم من بعدى و خليفتى عليكم... ألا و إنّكم لاتَرَونه بعد يومكم هذا».(۴)

۱- المجلسى، بحارالأنوار، ج ۵۲، ص ۱۵۳، الحديث ۵.

۲- - سوره يوسف (۱۲)، الآيه ۸۹.

۳- الصدوق، إكمال الدّين، الباب ۵، ص ۱۴۴ و ۱۴۵، الحديث ۱۱.

۴- الشيخ الطوسى، كتاب الغيبه، ص ۳۵۷؛ الصدوق، إكمال الدّين، الباب ۴۳، ص ۴۳۵، الحديث ۲؛ المجلسى، بحارالأنوار، ج ۵۱، ص ۳۴۶ و ۳۴۷.

الحکمه من غیبه إمام الزمان (عج)

الاعتقـاد بوجود المهـدی (عـج) و غیـابه أمر دینی. وجود الإمـام المعصوم تجسـید للطف اللّه واسـتناداً إلی السـنن الإلهیه لتکون هناک حجه إلهیه علی الناس فی کل زمان: «اللهم بلی لاتخلو الأرضُ من قائمٍ للّه بحُجَّهٍ إمّا ظاهراً مشهوراً و إمّا خائفاً مغموراً لئلّا تبطل حُجَجُ اللّه و بیّناتُه».(۱)

إن غیبه الإمام و عدم بسط یده و حرمان الناس من حضوره قضیّه تعود إلی المکلّفین أنفسهم، فقد یکون الإمام حاضراً و لکن لا سلطه له أو أن النـاس أنفسـهم یحرمون أنفسـهم من تعـالیمه و ظـل وجوده. مثلمـا کـان الحـال فی زمان الإمام علی علیه السـلام والإمام الحسن علیه السلام و سائر الأئمه حیث إنّ الناس لم یستفیدوا من وجودهم کما ینبغی و کما هم أهل له.

إنَّ وجود إمـام روحی حی - حتی و ان کـان یتعـذّر الوصول إلیه - مهم لأنه یجعل أتباعه یتعلّقون به و ینظمون حیاتهم فی ضوء ذلک و یسعون إلی التشبّه به. و هذا الشیء موجود لدی جمیع الأمم التی لدیها کتاب سماوی و غیرهم.

إنَّ استمرار الحضور الظاهری للإمام بین الناس له شروط، و ما لم تتهیّأ تلک الظروف تماماً، یتعذر حضوره المستمر. و سبب غیبه إمام الزمان (عج) هو عدم توفّر الأرضیه المناسبه لإمامته الظاهریه.

إمام الزمان (عـج) آخر ما ادّخره اللّه و لا حجّه من بعده. و هو یظهر حین تتوفر ظروف تطبیق أحکام اللّه فی الکون کلّه و تُطوی صفحه الشرک و عباده الأصنام:

(لِیُظْهِرَهُ عَلَی الدِّینِ کُلِّهِ وَ لَوْ کَرِهَ الْمُشْرِکُونَ) . (۲) و لابد طبعاً أن تتوفر لمثل هذا الهدف المهم الظروف والأرضـیه المناسبه. و ینبغی أن یکون الضمیر العام لأبناء البشریه مهیئاً لقبول مثل هذا التحوّل الکبیر.

۱- الشریف الرضی، نهج البلاغه، الحکمه ۱۴۷؛ المجلسی، بحارالأنوار، ج ۵۲، ص ۹۲، الحدیث ۶.

۲- - سوره التوبه (۹)، الآیه ۳۳.

طول عمر إمام الزمان (عج)

من القضايا التی یدور حولها جدل کثیر فیما یخص الإمام المهدی (عج) طول عمره. فقد مضی حتی الآن ما یقارب اثنی عشر قرناً من عمره، و ربّما یقدّر له أن یستمر أکثر من ذلک.

و فی ضوء متوسط أعمار الناس فی کل العالم، یتبادر إلی الأذهان سؤال و هو کیف یمکن أن یکون لشخص مثل هذا العمر الطویل؟ و رغم غرابه هذه الظاهره و استبعاد وجودها غیر أنّ القرآن الکریم یصرّح بأن النبی نوح علیه السلام دعا قومه ألف سنه إلّاخمسین عاماً.(۱) و قال الإمام الصادق علیه السلام إنّ النبی نوح علیه السلام عاش ۲۵۰۰ سنه.(۲) و عاش أصحاب الکهف ثلاثمائه و تسع سنین فی النوم.(۳) و ذکرت کتب السیره والتاریخ أفراداً عمّروا طویلاً. فقد روی عن النبی صلی الله علیه و آله و سلم ان النبی إبراهیم عاش ۱۷۵ سنه، و عاش آدم علیه السلام ۹۳۰ سنه،(۴) و کانت مدّه نبوّه هود علیه السلام ۶۷۰ سنه. و کان عمر أفراد قومه ۴۰۰ سنه.(۵)

و فضلاً عن ذلک، من الناحیه الطبیه لدی کل خلیّه قدره علی العیش آلاف السنین. و إذا لم تعرض للإنسان عوارض کالمرض و غیره فهو قادر علی العیش آلاف السنین. و علی هذا الأساس لایمکن القول بتعذّر أو استحاله طول العمر لمجرد أنه خلاف الأعمار المتعارفه بین الناس.

إنتظار الفرج والحکمه منه

اعتبر انتظار الفرج عباده. و وصف رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم انتظار الفرج بأنّه أفضل الأعمال عند اللّه.(۶) و جاء فی حدیث آخر: المُنتَظِر للثانی عشر کالشاهر سیفه بین یدی

۱- – سوره العنکبوت (۲۹)، الآیه ۱۴.

۲- – الصدوق، إکمال الدّین، الباب ۴۶، ص ۵۲۳، الحدیث.

۳- – سوره الکهف (۱۸)، الآیه ۲۵.

۴- – الصدوق، إکمال الدّین، ص ۵۲۳، الحدیث ۳.

۵- المجلسی، بحارالأنوار، ج ۵۱، ص ۱۰۸، قطب الدّین الراوندی، قصص الأنبیاء، الباب ۳، ص ۹۰، الجزائری، قصص الأنبیاء، ص ۶۹.

۶- – المجلسی، بحارالأنوار، ج ۵۲، ص ۱۲۲، الحدیث ۲.

رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم يذب عنه.(۱)

و لكن ما معنى الانتظار؟ الانتظار لايعنى التحنى عن الحياه والتنصّل عن المسؤوليه.

والانتظار ليس شيئاً عبثياً من غير غايه و لا مفهوم.

القاده البارزون والنابغون فى حقل القياده بمثابه طاقه محرّكه تستحثّ الأمّه و تنتشلها من حاله السبات و تبعث فيها الحياه والنشاط. و أمثال هؤلاء القاده لايؤثرون فى حاضر أُممهم فقط، بل يؤثرون فى مستقبلها أيضاً. و فضلاً عن الشخصيات الواقعيه، فإنّ الأبطال الأسطوريين الموجودين لدى جميع الأمم تقريباً لهم تأثير فى ثقافات تلك الأمم.

و يمكن القول بكل جرأه ان الدّين الوحيد الذى فيه شخصيات قياديه واقعيه تتناسب مع مختلف الأزمنه والظروف هو الإسلام.

إنّ كل شيعى يعتقد بوجود إمام الزمان، و هذه العقيده تؤثر فيه شاء أم أبى. و غيبه هذا القائد تجعل من هذا الشيعى يعيش حاله الانتظار. و فى هذه الحاله يكون للإمام الغائب دور تربوى و بناء. و فى الجانب الاجتماعى يؤدّى انتظار الفرج إلى تقويه نزعه مقارعه الظلم والظالمين - من أجل تهيئه الأرضيه لظهور الإمام المنتظر (عج) - لدى الناس و تبعث فيهم حاله الاستعداد والتحرّك.

۱- المصدر السابق، ج ۵۲، ص ۱۲۹.

الآخره

اشاره

هناک عالم آخر غیر هذا العالم الذی نعیش فیه، یُسمّی عالم الآخره. و هو امتداد لهذه الحیاه الدنیا.

والإیمان بعالم الآخره من الأُمور الأساسیه التی دعا إلیها کل الأنبیاء. فالناس بعد الموت ینتقلون إلی ذلک العالم و یُحاسبون هناک من قبل اللّه علی معتقداتهم و أعمالهم و خصالهم. و عالم الآخره من العوالم التی خلقها اللّه ضمن خلقه للأشیاء فی أحسن نظام.

العالم الذی نعیش فیه حیاتنا الدنیا محدود بأجل، و لابُدّ أن ینتهی یوماً ما و ننتقل من بعده إلی العالم الآخر: (ما خَلَقَ اللّهُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ ما بَیْنَهُما إِلاّ بِالْحَقِّ وَ أَجَلٍ مُسَمًّی) .(۱)

إنّ عالم الآخره علی درجه من الأهمیه بحیث یعتبر الإیمان به جزءاً من المعتقدات الدینیه، و یدخل فی عداد أُصول الدّین، و بدونه لایکتمل الإیمان: (وَ مَنْ یَکْفُرْ بِاللّهِ وَ مَلائِکَتِهِ وَ کُتُبِهِ وَ رُسُلِهِ وَ الْیَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِیداً) . (۲) و قال تعالی أیضاً:

(إِلهُکُمْ إِلهٌ واحِدٌ فَالَّذِینَ لا یُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَهِ قُلُوبُهُمْ مُنْکِرَهٌ وَ هُمْ مُسْتَکْبِرُونَ) .(۳)

یبدو أنّ فکره وجود عالم آخر غیر هذا العالم، حاجه فطریه منبثقه من ذات الإنسان. فمن الطبیعی أنّ الإنسان لایرتضی أن یعیش سنوات معدوده فی هذه الدنیا ثم تُطوی صفحه وجوده إلی الأبد. فهذا السؤال کان علی الدوام و لازال یراود فکر الإنسان، و هو، إلی أین سینتهی مصیره. و هذا السؤال یمثل فی الواقع تعبیراً عن هذه الحقیقه، و هی أنّ الحیاه یجب أن تستمر؛ و إلّافإنّ خلق العالم یعتبر عبثاً.

۱- سوره الروم (۳۰)، الآیه ۸.

۲- - سوره النساء (۴)، الآیه ۱۳۶.

۳- - سوره النحل (۱۶)، الآیه ۲۲.

الدنیا تعتبر بمثابه مزرعه بالنسبه إلی الآخره. «الدنیا مزرعهُ الآخره».(۱) فما نزرعه فی هذه الدنیا نحصده فی تلک الدار الآخره. والدنیا فرصه لیتزوّد الإنسان فیها بالزاد والمتاع للطریق الطویل الذی ینتظره فی عالم الآخره. و یمکن القول بعباره أُخری: إنّ الدنیا مقطع من حیاه طویله، بل هی مقطع ضروری لکی یکتنز کل شخص فیها علی قدر همّته واستعداده ما ینجیه و یرفعه فی عالم الآخره.

و فی المقابل تعتبر الآخره ذات أهمّیه بالغه بالمقارنه مع الدنیا، بحیث وصف عزّوجلّ الدنیا باللّعب و اللّهو.(۲) و فی ضوء ذلک یجدر بالإنسان أن لایستبدل الدار الأبدیه بما هو لعب و لهو، و إلّافإنه یبقی بلا مأوی.(۳) نصَّ القرآن صراحه علی أنّ عالم الآخره أفضل من الدنیا، بل إنّ هذه الحقیقه صرّحت بها التوراه وصحف إبراهیم علیه السلام.(۴) والآخره حیاه أبدیه و لا حکم فیها إلّاللّه، و لا أمر و لا نهی لأحد إلّابإذنه. یمثل وجود عالم الآخره تلبیه لحاجه بشریه، و فضلاً عن ذلک فإنّ له تأثیراً حاسماً فی وجود الناس لأنّه یبعث علی السیطره علی سلوکه من الداخل، و یردعه عن اقتراف المفاسد، و یغرس فی ذاته الأمل باستمرار الحیاه.

و لاشکّ فی أنّ انعدام وجود عالم آخر یُطفیء جذوه الأمل فی نفس الإنسان و یشعره بالفراغ والضیاع والعبثیه، و لکن الآخره تبعث فی نفوس الصالحین الأمل بحسن الجزاء، وتُضیء فی نفوس المظلومین الأمل بالحصول علی حقوقهم یوماً ما. و تجعل الظلمه والمجرمین یستشعرون الخوف والهلع.

لاشکّ فی أنّ الاعتقاد بعدم وجود عالم آخر من شأنه أن یؤدّی إلی أن یصبح هذا العالم ملیئاً بالقهر والظلم، و یجعله خالیاً من أیه مشاعر معنویه.

أجَل الإنسان

الإنسان مثل أی مخلوق مادی آخر له مدّه معیّنه للعیش فی هذه الدنیا، و هو ما یُعبر عنه

۱- – ورّام بن أبی فراس، مجموعه ورّام، ج ۱، ص ۱۸۳؛ ابن أبی جمهور، عوالی اللئالی، ج ۱، ص ۲۶۷، الحدیث ۶۶.

۲- – سوره الأنعام (۶)، الآیه ۳۲؛ سوره العنکبوت (۲۹)، الآیه ۶۴.

۳- – سوره البقره (۲)، الآیه ۸۶.

۴- – سوره الأعلی (۸۷)، الآیات ۱۷-۱۹.

ب «الأجل». و عندما يحين أجل أىّ مخلوق لايمهل و إنّما يُساق نحو الموت.

و هناك نوعان من الأجل: أجل مسمّى، و أجل معلّق: (هُوَ الَّذِی خَلَقَکُمْ مِنْ طِینٍ ثُمَّ قَضی أَجَلًا وَ أَجَلٌ مُسَمًّی عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ) . (۱) الأجل المسمّی هو الأجل الطبیعی الذی یتناسب مع روح وجسم کل شخص. و یمکن هنا تشبیه البدن بالبذره التی متی ما توفّرت لها ظروف الإنبات تنبت و تورق و تنمو و تثمر، و متی ما انتهت مدّتها تجف و تتساقط أوراقها.

و أما الأجل المعلّق فهو الأجل الذی یتوقف علیه استمرار حیاه الإنسان أو أی کائن حی آخر. فإن تعرض الکائن الحی لخطر یقضی علی الحیاه کالمرض القاتل أو حادثه ممیته، فمن الطبیعی أن تنتهی حیاته و یموت قبل الأجل الطبیعی. و متی ما حلّ أحد الأجلین یکون فی ذلک الموت: (أَیْنَما تَکُونُوا یُدْرِکْکُمُ الْمَوْتُ وَ لَوْ کُنْتُمْ فِی بُرُوجٍ مُشَیَّدَهٍ...) (۲) و (کُلُّ نَفْسٍ ذائِقَهُ الْمَوْتِ...) ، (۳)(وَ لَنْ یُؤَخِّرَ اللّهُ نَفْساً إِذا جاءَ أَجَلُها) .(۴)

و بعد الموت تفتح صفحه جدیده من الحیاه، فإن کانت الأعمال والخصال والمعتقدات للإنسان فی هذه الدنیا صالحه، ینعم حینها بحیاه ألذ و أطیب، و إذا کانت من غیر زاد و لا عمل صالح فلا یجنی فی الحیاه الآخره سوی الخزی والخسران.

الموت

الموت ضد الحیاه المادیه، و هو یحیل الکائن الحی إلی جسم جامد لا خاصیه فیه.

و هذه الحاله تبدو فی الظاهر و کأنّها انعدام، و لکن الموت - کما اشارت إلیه فی الروایه - لیس إلّاجسراً «فما الموتُ إلّا قنطرهٌ».(۵)

إنّ استعمال کلمه قنطره للتعبیر عن الموت، واستعمال القرآن لکلمه «توفّی»،(۶) یفیدان

۱- - سوره الأنعام (۶)، الآیه ۲.

۲- - سوره النساء (۴)، الآیه ۷۸.

۳- سوره آل عمران (۳)، الآیه ۱۸۵.

۴- سوره المنافقون (۶۳)، الآیه ۱۰.

۵- المجلسی، بحارالأنوار، ج ۶، ص ۱۵۴، الحدیث ۹.

۶- - سوره السجده (۳۲)، الآیه ۱۱؛ سوره الزمر (۳۹)، الآیه ۴۲.

أنّ ما يحصل فی عمليه الموت هو عباره عن انفصال الروح عن الجسم. «التوفّی» هو استيفاء الشیء کاملاً. و إطلاق هذه الکلمه علی الموت يفيد أنّ الموت ليس انعداماً و إنّما انتقال. جاء فی حديث عن رسول اللّه صلی الله عليه و آله و سلم أنه قال: «ما خلقتُم للفناء، بل خلقتُم للبقاء».(۱)

والموت بيد اللّه مثلما الحياه بيد اللّه.(۲) و للموت ملائکه مکلّفون به و إليهم يُنسب أحياناً.(۳) الموت يجعل يد الإنسان قصيره عن الدنيا و يحول بين المرء و عمله. و عليه أن لاينتظر بعد الموت إلّانتيجه عمله، و لاحيله و لامناص لمن حلَّ أجله.

سهوله و صعوبه النزع

استناداً إلی الآيات والروايات، يقع الموت بخروج الروح من الجسم، أو ما يُسمّی بقبض الروح، و هذه العمليه؛ أی عمليه قبض أو نزع الروح، تختلف من إنسان إلی آخر تبعاً للحال التی کان عليها فی الدنيا. والموت طبعاً لا مفرّ منه، و لايعلم الإنسان متی و أين يموت،(۴)

و لکن روحه قد تُنزع بصعوبه و ألم، أو بسهوله و يسر، تبعاً لمعتقداته و أفعاله فی الحياه الدنيا.

فالمؤمنون يلقون أثناء الموت البشری والتحيه والمحبّه من الملائکه.(۵) روی عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: إذا أتی ملکُ الموت المؤمن لقبض روحه جزع، و لکن ملک الموت يصبّره و يسلّيه.(۶) و جاء فی خبر آخر أنّ أرواح المؤمنين تأتی لاستقبال المؤمن وتقدّم له البشری.(۷) و جاء فی روايه عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال فيها: الموت للمؤمن کأطيب ريح يشمّه، فينعس لطيبه و ينقطع کلّ التعب والألم عنه، و للکافر کالأفاعی والعقارب و أشدّ.(۸)

۱- – الآمدی، غُرَر الحِکَم، ص ۱۳۳، الحديث ۲۲۹۱؛ المجلسی، بحارالأنوار، ج ۶، ص ۲۴۹.

۲- – سوره الزمر (۳۹)، الآيه ۴۲؛ سوره يونس (۱۰)، الآيه ۱۰۴.

۳- – سوره النحل (۱۶)، الآيه ۳۲؛ سوره السجده (۳۲)، الآيه ۱۱.

۴- – سوره لقمان (۳۱)، الآيه ۳۴.

۵- – سوره النحل (۱۶)، الآيه ۳۲.

۶- – الکُلينی، الکافی، ج ۳، ص ۱۲۷، الحديث ۲.

۷- – الکُلينی، الکافی، ج ۳، ص ۱۳۰، الحديث ۲.

۸- الصدوق، عيون أخبار الرضا، ج ۱، ص ۲۷۴، الحديث ۹.

الخوف من الموت

الموت قضيه مثيره للخوف والهلع بالنسبه للإنسان طيله حياته؛ فهو يرى الموت يلاحقه فی کل حين، و هو يفر منه، و نادراً ما تجد من يرحّب به. فالبعض يخاف الموت بسبب خشيته من الفناء الأبدی، و هذا ناتج طبعاً عن جهله بحقيقه الموت. والبعض الآخر يعرف حقيقته و لكنه خرّب تلك الدار و لايودّ الانتقال إليها. و من الطبيعی أنّ الانتقال إلی موضع كريه يثير فی النفس الهلع. جاء فی روايه عن الإمام الحسن بن علی عليهما السلام أنه قال فی سبب الخوف من الموت: لأنكم أخربتم آخرتكم وعمّرتم دنياكم.(۱)

و جاء فی القرآن الكريم فی وصف خوف اليهود من الموت: (وَ لا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَداً بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَ اللّهُ عَلِيمٌ بِالظّالِمِينَ) .(۲)

و فی المقابل هناك من يؤمنون بالآخره و قد عمروا آخرتهم؛ و هؤلاء لايخشون الموت، بل حتی يتمنّونه.

و حریّ بنا طبعاً الاعتبار بهذه الإرشادات، و إعداد أنفسنا لذلك اليوم الذی نترك فيه و عملنا، و لاينفعنا مال و لا جاه و لا أولاد: (يَوْمَ لا يَنْفَعُ مالٌ وَ لا بَنُونَ) .(۳)(۴)

البرزخ

هناك بين عالمی الدنيا والآخره عالم آخر و هو عالم البرزخ. والبرزخ فی اللغه بمعنی الحاجز والحد بين الشيئين.(۵) و سبب تسميته بهذا الاسم يعود إلی وقوعه بين الدنيا والقيامه. فعندما يموت الإنسان تنتقل روحه إلی عالم البرزخ. يقول القرآن فی وصف تلك الحال: (حَتّی إِذا جاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّی أَعْمَلُ صالِحاً فِيما تَرَكْتُ كَلاّ إِنَّها كَلِمَهٌ هُوَ قائِلُها وَ مِنْ وَرائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلی يَوْمِ يُبْعَثُونَ) .(۶)

۱- المجلسی، بحارالأنوار، ج ۶، ص ۱۲۹، الحديث ۱۸.

۲- سوره الجمعه (۶۲)، الآيه ۷.

۳- سوره الشُعَراء (۲۶)، الآيه ۸۸.

۴- المجلسی، بحارالأنوار، ج ۶، ص ۱۲۹.

۵- - الراغب الأصفهانی مفردات ألفاظ القرآن، ص ۱۱۸.

۶- سوره المؤمنون (۲۳)، الآيتان ۹۹ و ۱۰۰.

جاء فی الأحادیث أنّ الروح بعدما ترحل عن البدن، تحل فی عالم البرزخ فی أبدان مثالیه شبیهه بالأبدان الدنیویه.(۱) یحظی المؤمنون فی عالم البرزخ الذی یُعبّر عنه بعالم القبر أیضاً، بنوع من الحیاه، و یکون لدیهم اطلاع علی ما یجری فی الدنیا و ما یعیشه أهلهم من فرح أو حزن.(۲)

یُستفاد من الآیات والروایات والتوصیات المؤکّده علی زیاره أهل القبور، أنّ الإنسان بعد الموت یتمتع بنوع من الحیاه. روی عبداللّه بن سلیمان أنه سأل الإمام محمد بن علی الباقر علیه السلام عن زیاره القبور، فقال: «إذا کان یوم الجمعه فزرهم، فإنه من کان منهم فی ضیق وسع علیه ما بین طلوع الفجر إلی طلوع الشمس یعلمون بمن أتاهم فی کل یوم. فإذا طلعت الشمس کانوا سدی. قلت: فیعلمون بمن أتاهم فیفرحون به؟ قال: نعم:

و یستوحشون إذا انصرف عنهم».(۳)

قال أبو بصیر: سألت أبا عبداللّه الصادق عن أرواح المؤمنین فقال: فی حجرات فی الجنه یأکلون من طعامها، و یشربون من شرابها، و یقولون: ربنا أقم الساعه لنا، و انجز لنا ما وعدتنا، و ألحِق آخرنا بأوّلنا.(۴) و سأله أیضاً أبو بصیر عن أرواح المشرکین فقال: فی النار یندبون و یقولون: ربنا لاتقم لنا الساعه و لاتنجز لنا ما وعدتنا و لاتلحق آخرنا بأولنا.(۵)

سؤال القبر

فی عالم البرزخ أو القبر یتعرض الإنسان للمسأله عن معتقداته و أفعاله. و من الأسئله التی کثیراً ما تراود الأذهان هی أنّ الإنسان إذا مات تتعطل إدراکاته و حواسّه. فکیف یحزن و یفرح و یتعرض للمسأله؟ والجواب هو أنّ ما یتعرض للمسأله هو روح الإنسان. والروح باقیه، و یکون لها نشاط یتناسب مع العالم الذی تعیش فیه. و لعل إدراکها یصبح أقوی بعد

۱- – الکُلینی، الکافی، ج ۳، ص ۲۴۴ و ۲۴۵، الحدیث ۱ و ۶ و ۷.

۲- الکُلینی، الکافی، باب أنّ المیت یزور أهله، ج ۳، ص ۲۳۰.

۳- المجلسی، بحارالأنوار، ج ۶، ص ۲۵۶، الحدیث ۸۸.

۴- – الکُلینی، الکافی، ج ۳، ص ۲۴۴، الحدیث ۴.

۵- الکلینی، الکافی، ج ۲، ص ۲۴۵، ح ۱.

انفصالها عن عالم المادّه. فقد قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم: «النّاسُ نيامٌ، فَإذا ماتوا انتَبهوا».(۱)

و على هذا الأساس فلا مانع من تعرّض الروح للمسأله بعد الانفصال عن الجسد، أو تتأذى من ضغط القبر؛ لأَنَّ هذه الأُمور تتعلق بالروح التى تمثّل حقيقه الإنسان، و إلّافهناك من الناس من لايوضع فى قبر كما هو حال من يغرق و تأكله الأسماك، أو من تأكله الوحوش فى البرارى، أو من يحترق بالنار. والعذاب أو الراحه فى القبر له صله بالروح و خصائصها.

فعندما يموت الإنسان و تتحرر الروح من اللذائذ الماديه، تزول موانع الفهم الحقيقى للأُمور، و يدرك الإنسان الواقع كما هو؛ فيتعذّب بسبب ذنوبه، أو يدخله السرور لِما فعله من خير و عمل صالح. بل إنّ هذا قد يحصل حتى فى الدنيا. فيشعر المذنب والمسىء بالتأنيب، و يشعر المحسن بالبهجه والراحه.

علل مشارف القيامه

للعالم الذى نعيش فيه أجل و مدّه معيّنه. و يوم يحلّ أجله يضطرب فى واقعه مثيره للدهشه والعجب. فالشمس والنجوم تتكور و تنكدر.(۲) و تخرج الشمس والقمر من مدارهما و يجتمعان.(۳) و يقع زلزال عظيم يدمّر كل شىء.(۴) و تتساوى الجبال والوديان وتصير قاعاً صفصفاً.(۵) و تخرج الأرض كل ما فى داخلها.(۶) و تنشق البحار و تجرى(۷) و تتبدل أمواج البحار إلى كُتل ناريه(۸) و تُحمل الجبال فتُدكّ (۹) و تغدو الجبال كالعهن المنفوش(۱۰) و تصير كالكثيب المهيل(۱۱) و تكون كالهباء المنبث،(۱۲) و تنشقّ السماء و تصير

۱- المجلسى، بحارالأنوار، ج ۴، ص ۴۳، الباب ۵، الحديث ۱۸.

۲- - سوره التكوير (۸۱)، الآيتان ۱-۲.

۳- - سوره القيامه (۷۵)، الآيتان ۹-۱۰.

۴- سوره الزلزله (۹۹)، الآيه ۱.

۵- - سوره طه (۲۰)، الآيات ۱۰۵-۱۰۷.

۶- سوره الزلزله (۹۹)، الآيه ۲.

۷- سوره الإنفطار (۸۲)، الآيه ۳.

۸- - سوره التكوير (۸۱)، الآيه ۶.

۹- سوره الحاقه (۶۹)، الآيه ۱۴.

۱۰- - سوره المعارج (۷۰)، الآيه ۹.

۱۱- سوره المزمل (۷۳)، الآيه ۱۴.

۱۲- سوره الواقعه (۵۶)، الآيتان ۵ و ۶.

ورده کالدهان،(۱) و تصبح کالمهل،(۲) و تُطوی کطی السجل،(۳) و تأتی بدخان مبین،(۴) و تنکدر النجوم(۵) و تتناثر الکواکب.(۶)

الحسابات العلمیه غیر قادره علی الاخبار عمّا سیؤول إلیه مستقبل العالم. و قد أشار القرآن إلی جانب من هذه التغییرات التی سیشهدها العالم، و لکن الکیفیه التی ستحصل بها غیر واضحه، و لکن هذه الوقائع الهائله تنبیء عن قرب وقوع القیامه و نهایه الدنیا. و هذا ما یُعبر عنه بأشراط الساعه. و زمان وقوعها غیر بعید. فعلینا الحذر واغتنام الفرصه.

زمان وقوع القیامه

إنَّ القیامه ستقوم یوماً ما و لکن لا أحد یعلم زمان وقوعها. و قد جعل اللّه علم ذلک له وحده و لم یخبر أحداً بذلک (قالَ عِلْمُها عِنْدَ رَبِّی) (۷) وسرّ هذا الکتمان هو أن جهل کثیر من الأشیاء خیر للإنسان من علمها، ولو علم الإنسان بحوادث المستقبل التی ستغیّر مصیره فإنّه لایقدم علی أی عمل. و إذا علم وقت موته تصبح الحیاه مریره بالنسبه له و لاتُطاق و یفقد الأمل و لایبادر إلی عمل، و ینفرط عقد الحیاه و نظمها.

قرب وقوع القیامه

إنَّ وقوع یوم القیامه قطعی بل و قریب أیضاً.(۸) و هذه الساعه قریبه الوقوع إلی درجه ان الباری عزّوجلّ أخبر عنها بالفعل الماضی (اقْتَرَبَتِ السّاعَهُ وَ انْشَقَّ الْقَمَرُ) (۹) و مع ان الناس یلاحظون قرب نهایه العالم و یشاهدون نهایه خطّه و یعلمون أن أعمارهم إلی زوال، بید أنّهم غارقون فی اللعب و غافلون عن ذهاب حیاتهم (ما یَأْتِیهِمْ مِنْ ذِکْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَ هُمْ یَلْعَبُونَ * لاهِیَهً قُلُوبُهُمْ...) .(۱۰)

۱- – سوره الرحمن (۵۵)، الآیه ۳۷.

۲- سوره المعارج (۷۰)، الآیه ۸.

۳- سوره الأنبیاء (۲۱)، الآیه ۱۰۴.

۴- سوره الدخان (۴۴)، الآیه ۱۰.

۵- سوره التکویر (۸۱)، الآیه ۲.

۶- سوره الانفطار (۸۲)، الآیه ۲.

۷- – سوره الاعراف (۷)، الآیه ۱۸۷.

۸- – سوره الأنبیاء (۲۱)، الآیه ۱.

۹- – سوره القمر (۵۴)، الآیه ۱.

۱۰- سوره الأنبیاء (۲۱)، الآیتان ۲-۳.

و لکن ینبغی أن نحذر و نعلم أن القیامه - شئنا أم أبینا - واقعه و لا مفر منها. و هی قریبه جداً (وَ ما أَمْرُ السّاعَهِ إِلّا کَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ) .(۱)

أهوال القیامه

حین یفنی کل حی الا وجه اللّه و من شاء له البقاء، یأتی نداء اللّه:

(لِمَنِ الْمُلْکُ الْیَوْمَ لِلّهِ الْواحِدِ الْقَهّارِ) .(۲)

یُنفخ فی الصور مرّه أخری و تکون النفخه هذه المرّه للبعث والإحیاء؛ إذ یُبعث الأموات من قبورهم وهم ینظرون.(۳) و یأتی الناس أفواجاً إلی الحشر،(۴) و یکون الناس یومئذ کالسکاری(۵) و یفقدون القدره علی الوقوف و تکون قلوب الذین أساءوا ملیئه بالخوف والرعب.(۶) و یشیب الرضع من هول ذلک الیوم(۷) و یفر القریب من قریبه(۸) و یودّ المجرم لو یفتدی نفسه بکل ما لدیه لینجو من العذاب(۹) و هو یوم مقداره خمسون ألف سنه(۱۰) و یظن الخاسرون یومذاک أنهم لم یعیشوا فی الدنیا الا یوماً واحداً.(۱۱) و فی ذلک الیوم تکون الأرض غیر الأرض والسموات غیر السموات.(۱۲) و یکون کل شیء غریباً، و یخرج الکفار من القبور سراعاً نحو ساحه المحشر خاشعه أبصارهم و ترهقهم ذلّه،(۱۳) ذلک یوم ندم و حسره الناس(۱۴) و یعضّون علی أصابعهم علی ما فرّطوا به و یقولون یالیتنا اتخذنا مع الرسول سبیلاً و لم نتخذ فلاناً خلیلاً.(۱۵)

و یومئذ تکون الأصوات همساً: (وَ خَشَعَتِ الْأَصْواتُ لِلرَّحْمنِ فَلا تَسْمَعُ إِلّا هَمْساً) .(۱۶)

۱- سوره النحل (۱۶)، الآیه ۷۷.

۲- سوره غافر (۴۰)، الآیه ۱۶.

۳- - سوره الزمر (۳۹)، الآیه ۶۸.

۴- سوره النبأ (۷۸)، الآیه ۱۸.

۵- - سوره الحج (۲۲)، الآیتان ۱-۲.

۶- - سوره النازعات (۷۹)، الآیه ۸.

۷- سوره المزمل (۷۳)، الآیه ۱۷.

۸- سوره عبس (۸۰)، الآیات ۳۳-۳۷.

۹- - سوره یونس (۱۰)، الآیه ۵۴؛ سوره آل عمران (۳)، الآیه ۹۱.

۱۰- سوره المعارج (۷۰)، الآیه ۴.

۱۱- - سوره یونس (۱۰)، الآیه ۴۵.

۱۲- - سوره إبراهیم (۱۴)، الآیه ۴۸.

۱۳- - سوره المعارج (۷۰)، الآیتان ۴۳-۴۴.

۱۴- - سوره مریم (۱۹)، الآیه ۳۹.
۱۵- سوره الفرقان (۲۵)، الآیتان ۲۷-۲۸.
۱۶- سوره طه (۲۰)، الآیه ۱۰۸.

والأخلاء يتنازعون يومئذ، بينما المؤمنون والمتقون بعيدون عن ضجيج و خوف ذلك اليوم. و يتبرّأ عبده الأصنام مما كانوا يعبدون.(۱) و يشكو الناس الذين أغواهم قادتهم الفاسدون و يلقون عليهم باللائمه.(۲) و تكشف الحقائق فی یوم القیامه و لاتبقی خافیه.

و يُفضح المنحرفون الذين شاهدوا الحقيقه و لكنهم كتموها عناداً أو نزولاً عند أهوائهم.

و يُكشف النقاب عن المرائين الذين كانوا يتظاهرون بالصلاح. و ترى الوجوه هناك مكفهرّه و وجله و يبحث الناس عن طريق للخلاص و لكن لا مِن مناص.

و يحشر الناس فی القیامه جماعات حسب أعمالهم. بينما يأتی المتقون وفداً (يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمنِ وَفْداً) . (۳) جاء فی حديث إنّ الإمام الصادق عليه السلام قال:

«ان اللّه يُحشر الناس على نياتهم يوم القيامه».(۴)

والناس فی القیامه تبيضّ وجوهم أو تسودّ حسب أعمالهم (يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَ تَسْوَدُّ وُجُوهٌ...) (۵) و يقسمون بشكل عام إلى ثلاث مجموعات: السابقون فی الإيمان، و أصحاب اليمين، و هاتان الجماعتان مأواهما الجنه، و أصحاب الشمال أو الأشقياء و هؤلاء يدخلون النار.(۶) و يُصنف الناس هناك على أساس قادتهم و سُبُلهم، و يُدْعَوْنَ بأسماء قادتهم (يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُناسٍ بِإِمامِهِمْ) . (۷) و سبب ذلك هو أن مَن ينضوی تحت لواء شخص أو جماعه لابد أن يتطبع بطباعهم و يعتنق معتقدهم إلى درجه أنه حينما يُنادى بأسمائهم يجيب من فرط عادته عليهم و شعوره بالقرب منهم. والكلمه الأخيره هی ان اللّه قد جعل هذا اليوم من أجل إحقاق حق المظلومين الذين سُحِقت حقوقهم.

إن رسم مثل هذه الصوره المروّعه ليوم القيامه إنما هو بمثابه تحذير للناس ليتأهبوا لمثل هذا اليوم. و أمثال هذه التحذيرات لايُراد منها إظهار قدَره اللّه فحسب، و إنّما الغايه منها إلقاء الخوف فی قلوب العباد ليحذروا؛ لأن طبيعه الناس هی إنّهم يخشون الخطر أكثر.

۱- – سوره البقره (۲)، الآيه ۱۶۷.

۲- – سوره سبأ (۳۴)، الآيات ۳۱-۳۳.

۳- – سوره مريم (۱۹)، الآيه ۸۵.

۴- الحر العاملی، وسائل الشيعه، الباب ۵ من أبواب مقدمه العبادات، ج ۱، ص ۴۸، الحديث ۵.

۵- – سوره آل عمران (۳)، الآيه ۱۰۶.

۶- – سوره الواقعه (۵۶)، الآيان ۷-۴۸.

۷- – سوره الإسراء (۱۷)، الآيه ۷۱.

ان مشقّه وعذاب يوم القيامه قد جُعِلا لمن لم يكسبوا القدره و لم يتحلوا بالاستعداد اللازم و لم تتعلق قلوبهم بربّهم. و أما الذين تزوّدوا من دنياهم لآخرتهم و آمنوا بأن اللّه رقيب عليهم واختاروا لأنفسهم مساراً صحيحاً فى الحياه فلا يخشون عذاب ذلك اليوم و أهواله. و بما انهم يعلمون عدم عسر ذلك اليوم عليهم فنهم يدخلون ساحه الحساب يوم القيامه بقلوب مطمئنه.

الحشر والمعاد

الناس بعد الموت لايفنون، و إنّما يأتى يوم يُبعثون فيه، و تتواصل حياتهم على نحو آخر. ولإعاده حياه الإنسان أهمّيه قصوى فى التعاليم الدينيه من جهه و بين الناس أنفسهم من جهه أُخرى. فقد كانت قضيه الموت والمعاد والحياه الأبديه أمراً تكتنفه الأسرار.

و كثيراً ما يتساءل الناس: لماذا وُلِدوا و لماذايجب أن يموتوا؟ و ما الذى سيحلُّ بهم بعد الموت؟ و إذا كانت حصيله الحياه هى الموت، فلماذا يجب أن يأتوا إلى الدنيا؟ أليس من الأفضل أن لايأتوا إلى هذه الدنيا، لكى لايكابدوا كل هذا العناء، و لكى لا يُرغموا على الموت يوماً؟

كانت إحدى غايات الأنبياء الكشف عن هذا اللُّغز؛ إذ إنهم كشفوا عن ذلك و بيّنوا للناس بأنهم بعد الموت لايفنون و إنّما ينتقلون من موضع إلى آخر. و هذا الانتقال يكون عن طريق الموت؛ حيث تبقى الروح و يعود البدن إلى التُراب.

و قد يتبادر إلى أذهان الناس سؤال آخر بعد إدراك هذا الواقع، و هو كيف يمكن أن يعود هذا الإنسان بما يتّصف به من تعقيد فى الخلق، إلى الحياه بعد الموت، و بعدما يفنى و يتلاشى بدنه؟ و قد تحدث القرآن الكريم عمن كانوا لايؤمنون بالبعث، و أقسموا أنّ الموتى لايُبعثون: (وَ أَقْسَمُوا بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللّهُ مَنْ يَمُوتُ) . (۱) و يُستدل من هذه الآيه و أمثالها على أنّ قضيه المعاد كانت من القضايا الغامضه لديهم، و كانوا كثيراً ما

۱- – سوره النحل (۱۶)، الآيه ۳۸.

يجادلون الأنبياء بشأنها. لأنها كانت أمراً غيبياً عجيباً بالنسبه لهم، يجدون أنفسهم عاجزين عن استيعاب حقيقته، و كثيراً ما يتساءلون: (وَ قالُوا أَ إِذا كُنّا عِظاماً وَ رُفاتاً أَ إِنّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً) (۱) أى كيف يمكن لمن يموت أن يُبعث إلى الحياه من جديد، و يأتى جواب اللّه عن هذه التساؤلات والشبهات بقول تعالى: (قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِى أَنْشَأَها أَوَّلَ مَرَّهٍ وَ هُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ) . (۲) و على هذا الأساس يذكرهم بهذا ليخرجهم من غفلتهم (أَ وَ لا يَذْكُرُ الْإِنْسانُ أَنّا خَلَقْناهُ مِنْ قَبْلُ وَ لَمْ يَكُ شَيْئاً) . (۳) لو كان الناس موجودين قبل الخلق، و قيل لهم: إنّ عالماً عظيماً سيُخلق، فمن الطبيعى أنهم ما كانوا يصدّقون ذلك، وربّما كان استبعادهم لهذا الأمر و إنكارهم له أكثر من إنكارهم للمعاد. لذلك أقسم اللّه بحزم أنه سيحييهم و يحشرهم: (فَوَ رَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ...) (۴) و بيّن كذلك (ما خَلْقُكُمْ وَ لا بَعْثُكُمْ إِلاّ كَنَفْسٍ واحِدَهٍ) . (۵) و قد أوحى اللّه عزّوجلّ إلى نبيّه أن يجيب عن كل هذه التساؤلات بقوله تعالى: (قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِى أَنْشَأَها أَوَّلَ مَرَّهٍ وَ هُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ) .(۶)

وردت فى القرآن الكريم أمثله متعدده لإحياء الموتى فى هذه الدنيا. نذكر من ذلك مثلاً أنّ جماعه من بنى إسرائيل طلبوا من موسى أن يروا اللّه، و قالوا له: إننا لن نؤمن لك حتى نرى اللّه جهره، و لكن اللّه عاقبهم على هذا الإصرار بصاعقه أخذتهم، ثم أحياهم مرّه أُخرى.(۷)

و مَرَّ النبىّ عُزير عليه السلام على قريه خربه و كانت عظام الموتى باديه فيها: فتساءل عجباً:

كيف يحيى اللّه هؤلاء الموتى؟ فأماته اللّه و بعد أن مرّت مئه سنه أحياه و قال له: انظر إلى طعامك و شرابك لم يتغيّر، و انظر إلى حمارك، و إلى العظام كيف نكسوها لحماً.(۸)

و هناك أمثله أُخرى من هذا القبيل ورد ذكرها فى القرآن، كالذى ورد فى قصّه النبىّ إبراهيم عليه السلام من قتل و إحياء الطير،(۹) أو القوم الذين خرجوا من ديارهم حذراً من الموت فأماتهم اللّه ثم أحياهم.(۱۰)

۱- – سوره الإسراء (۱۷)، الآيه ۴۹.

۲- – سوره يس (۳۶)، الآيات ۷۹.

۳- – سوره مريم (۱۹)، الآيه ۶۷.

۴- – سوره مريم (۱۹)، الآيه ۶۸.

۵- – سوره لقمان (۳۱)، الآيه ۲۸.

۶- سوره يس (۳۶)، الآيات ۷۹.

۷- سوره البقره (۲)، الآيتان ۵۵-۵۶.

۸- سوره البقره (۲)، الآيه ۲۵۹.

۹- – سوره البقره (۲)، الآيه ۲۶۰.

۱۰- سوره البقره (۲)، الآيه ۲۴۳.

أشار اللّه تعالى إلى الطبيعه لإثبات وقوع المعاد، ولفت الأنظار إلى هذه الظاهره(۱) إذ لاشكّ فى أنّ ازدهار الطبيعه من بعد الشتاء دليل آخر على أنّ لأعمار الكائنات الحيه و منها الإنسان مراحل، أو أنّ الموت والحياه يعد نوعاً من التحوّل والانتقال.

و هناك سؤال ربّما يراود أذهان البعض، و هو: ما الداعى لخلق كل هذا الكَوْن العظيم ثم تدميره، و لماذا يُخلق الناس ثم يموتون ثم يُبعثون؟ و لماذا يفعل اللّه ذلك ثم يدعو الناس إلى التفكير فيه، و أرسل الأنبياء لدعوه الناس للإيمان بذلك، حتى صار ذلك على مدى تاريخ الأديان جزءاً من أُصول الدّين، والكفر به يوجب العذاب؟ إذ ورد فى الكتب السماويه السابقه - كالإنجيل - ذكر المعاد، حيث جاء فيه: لاتتعجبوا من هذا، ستجىء ساعه يَسمعُ فيها صوته جميعُ الذين فى القبور، فيخرج الذين عملوا الصالحات....(۲)

علينا أن نعلم بأن خلق العالم حصيله خالقيه اللّه و فيضه، لتنال الكائنات من فيضه فهو يخلق أمثله ممتازه من الكائنات لتجسيد قدرته، لكى تحظى الكائنات بالمقدّرات ثم تبلغ كمالها. و فى الختام يؤول الكَوْن بمقتضى طبيعته إلى الشيخوخه ثم التفسّخ ثم الزوال؛ و بما أنّ زوال العالم يتنافى مع خالقيه اللّه. إذاً فلابّد من استمرار الوجود و بقائه.

أمّا الغايه من المعاد فهى لغربله خلاصه الوجود، فمن يستفيدون من عالم الوجود و يسيرون على طريق الحق، يتبوّأون المنزله الكريمه اللائقه بهم و يكون نصيبهم حياه طيّبه، فى حين أنّ من لم يواكبوا تيار الوجود، و لم يقنعوا بما هو حق، و تطاولوا على حقوق الغير، أو بعباره أُخرى: لم يعملوا عملاً صالحاً، يلقون جزاءهم فى الحياه الآخره و يذوقون و بال سوء أعمالهم. يأتى المعاد للكشف عن كيفيه تحويل أشياء بسيطه كالتراب إلى كائنات عظيمه بقدره اللّه! و كيف ينبثق من المادّه الجامده إنسان كامل يعتلى صداره الملكوت، و تكون له أفضليه حتى على موجودات ساميه كالملائكه. المعاد امتداد لخالقيه اللّه و من مظاهر عظمته. إنّ عدم وجود المعاد يعنى خواء الحياه الدنيا، و بدونه تبدو الحياه مجرّده من البهجه و عاريه من أى هدف.

۱- - سوره الروم (۳۰)، الآيات ۱۹، ۲۴، ۲۵ و ۲۷.

۲- انجيل يوحنّا، الباب ۵، الرقم ۲۷ و ۲۸.

هل المعاد جسمانی أم روحانی؟

هل یتحقق المعاد بهذا البدن الدنیوی، أم الروح هی التی یؤتی بها یوم القیامه بعد مفارقتها البدن والانتقال إلی عالم البرزخ؟ أمثال هذه الشکوک والتساؤلات کانت تراود أذهان المشرکین فی عصر نزول القرآن، فکانوا یتساءلون کیف یمکن إعاده الروح إلی البدن الذی تفسّخ و تحولت عظامه إلی رمیم؟ (قالَ مَنْ یُحْیِ الْعِظامَ وَ هِیَ رَمِیمٌ) .(۱)

الإشکال الآخر الذی یُثار حول مسأله المعاد هو أنّ الکائن الحی إذا سار علی طریق الکمال و وصل إلی حد مناسب من التطوّر، لابُدّ و أنّ عودته إلی حالته الأُولی تتطلّب إعاده الظروف والزمان والأسباب إلی ما کانت علیه آنذاک. أی لابُدّ من عوده تلک الظروف التی نشأ فیها ذلک الکائن و تدرج فی التطوّر. و هذا أمر غیر ممکن طبعاً. و هذا یعنی أنّ المعاد إذا ارید له أن یتحقق فلیس من الممکن أن یتحقق بصوره المعاد الجسمانی، و لابُدّ أن یکون روحانیاً.

یُستفاد من الآیات و من الروایات المنقوله عن أهل بیت النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم أنّ المعاد جسمانی؛ إذ یُستدل من شهاده الأیدی والأرجل فی موقف الحساب،(۲) والوعد بما لذّ و طاب من الأطعمه والأشربه،(۳) والملذات الجنسیه،(۴) والنعیم الذی یلقاه المحسنون فی الظلال والعیون،(۵) والثیاب الفاخره والناعمه،(۶) والإتکاء علی الأرائک(۷) و ما شابه ذلک، إنّ الناس یحضرون بأجسامهم فی یوم القیامه و مواقفه. و فضلاً عن ذلک فقد قال الباری عزّوجلّ فی الرد علی شبهه المشرکین الذین استبعدوا بعث الإنسان من جدید: (إِنَّهُ یَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ یُعِیدُهُ) ؛ (۸) أی أکّد عوده الموجود السابق.

۱- سوره یس (۳۶)، الآیه ۷۸.

۲- - سوره طه (۲۰)، الآیه ۵۵.

۳- - سوره الطور (۵۲)، آیه ۱۹.

۴- سوره الرّحمن (۵۵)، الآیات ۵۶، ۵۸، ۷۲؛ و آیات متعدده أُخری من القرآن الکریم.

۵- - سوره المرسلات (۷۷)، الآیه ۴۱.

۶- سوره الکهف (۱۸)، الآیه ۳۱.

۷- سوره الواقعه (۵۶)، الآیتان ۱۵-۱۶.

۸- سوره یونس (۱۰)، الآیه ۴.

ليس من المتعذر على اللّه إعاده خلق البدن المتفسّخ أو الذى أكلته الحيوانات، أو الذى احترق بالنار؛ إذ ليس من العسير على اللّه إعاده جميع ما تلاشى و تناثر من الأبدان (أَ يَحْسَبُ الْإِنْسانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظامَهُ * بَلى قادِرِينَ عَلى أَنْ نُسَوِّيَ بَنانَهُ) (۱) فهذا العمل ليس بأصعب من خلق الإنسان ابتداءً؛ إذ لم يكن له حينذاك شكل أو قوام، فمثلما تنبعث الحياه من جديد فى الأشجار بعد جفافها، أو كما تنبثق النباتات من باطن الأرض بعدما ذوت، فإنّ البارى الذى يخلق من التراب كائنات معقّده، يستطيع أن يبعث فيها الحياه مرّه أُخرى.

أمّا القول: إنّ البعث من جديد يستلزم إعاده الظروف الزمانيه والمكانيه والأجواء الأُخرى إلى ما كانت عليه فى السابق، فهذا الإشكال يمكن نقضه. فحقيقه الإنسان تكمن فى الروح التى تفارق الجسم و تمكث فى البرزخ. و يؤتى بها يوم القيامه. الروح هى قوام البدن و هويّته. و بما أنّ كل الصفات والمعتقدات الحسنه والقبيحه تكتسبها الروح، لذلك من الطبيعى أن يكون كل شىء متعلقاً بها. و من المحتمل أن يؤتى بالروح فى هيكل آخر و فى الوقت ذاته تحتفظ بهويّتها.

البدن يعيش فى الدنيا فى حاله من التغيير والتبدّل؛ فتتفسّخ بعض خلاياه وتزول و تحلّ محلّها خلايا جديده، و لكن هويته و شخصيته باقيه، لأَنَّ جميع مكوّناته خاضعه لإراده روح واحده. وتلك الروح التى تؤلّف هويه أى شخص، تؤدّى دورها فى الملكات التى اكتسبتها. و هى تؤدّى عملها بواسطه أعضاء وجوارح البدن الجديد. و تعبير «خلق جديد»(۲) الذى ورد فى القرآن يتناسب مع هذا المعنى. و يمكن أيضاً اعتبار مثل هذه الحاله متطابقه مع الروايه التى تقول: «الناس فى الجنّهِ على صُوَرِ أبدانهم لو رأيتَهُ لقُلتَ فلانٌ...».(۳) و بعباره أُخرى: تزول الأجزاء الماديه الدنيويه بعد الموت وتبقى الروح.

و تستطيع الروح أن تؤدّى دورها – فى ضوء ما اكتسبته فى الدنيا – فى قالب آخر، و تسير على ذات النهج فى الحياه الآخره، و تتلقى جزاءها و تذوق طعم اللذائذ والآلام سواء كانت

۱– – سوره القيامه (۷۵)، الآيتان ۳–۴.

۲– – سوره سبأ (۳۴)، الآيه ۷؛ سوره ق (۵۰)، الآيه ۱۵.

۳– – الطوسى، تهذيب الأحكام، ج ۱، ص ۴۶۶، الحديث ۱۵۲۷.

روحیه أم جسمیه. و یشهد کلّ عضو من أعضاء البدن بما یتناسب مع عمل الروح. و یمکن القول - کما قال صدر المتألهین الشیرازی - إنّ الروح فی عالم البرزخ و فی عالم الآخره، تواصل حیاتها ببدن مثالی مشابه لبدنها المادی. نظیر ما یحصل فی عالم المنام حین تواصل الروح نشاطها ببدن مثالی، بینما البدن المادی مضطجع فی الفراش.

والنتیجه هی أنّ المعاد الجسمانی أمر قطعی، و هذا ما أکّده القرآن الکریم، و لکنّنا غیر قادرین علی إدراک کل خصائصه. و ما ینبغی الاعتقاد به ویُعتبر من ضرورات الدّین هو المعاد الجسمانی و لیس خصائصه و کیفیاته.

الحساب

یؤتی بالموتی إلی موقف الحساب بعد نفخ الصور. و من الطبیعی أنّ الحساب فی هذا الموقف - الذی یعتبر من مواقف القیامه - یجری بصوره واضحه و شفافه لا لبس فیها؛ و ذلک بسبب علم اللّه المطلق بکل شیء. هناک لاتُهمل ذره واحده من أعمال کل شخص.(۱) إذ تُعرض هناک کتب مسجّله فیها أعمال العباد، و یحضر الأنبیاء و شهود الأعمال ویُقضی بین الناس بالحق. استناداً إلی ما هو مدوّن فی کتاب أعمال کل إنسان: (ما یَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاّ لَدَیْهِ رَقِیبٌ عَتِیدٌ) (۲) و فی هذا الکتاب مدوّن کل ما هو صغیر أو کبیر من الأعمال: (وَ کُلُّ صَغِیرٍ وَ کَبِیرٍ مُسْتَطَرٌ) (۳) و یوضع أمام کل شخص یوم القیامه کتاب أعماله لیقرأ ما فیه و تجری محاسبته استناداً إلیه.(۴)

فی ذلک الموقف یکون کل شخص مسؤولاً عن أعماله؛ فمن عمل صالحاً تغمره الفرحه والسرور (وَ یَنْقَلِبُ إِلی أَهْلِهِ مَسْرُوراً) .(۵) بینما لایجنی المسیء غیر الخوف والرعب: (وَ وُضِعَ الْکِتابُ فَتَرَی الْمُجْرِمِینَ مُشْفِقِینَ مِمّا فِیهِ وَ یَقُولُونَ یا وَیْلَتَنا ما لِهذَا الْکِتابِ لا یُغادِرُ صَغِیرَهً وَ لا کَبِیرَهً إِلاّ أَحْصاها وَ وَجَدُوا ما عَمِلُوا حاضِراً وَ لا یَظْلِمُ رَبُّکَ أَحَداً) .(۶)

۱- - سوره الزلزله (۹۹)، الآیتان ۷-۸.

۲- - سوره ق (۵۰)، الآیه ۱۸.

۳- - سوره القمر (۵۴)، الآیه ۵۳.

۴- سوره الإسراء (۱۷)، الآیتان ۱۳-۱۴.

۵- - سوره الإنشقاق (۸۴)، الآیه ۹.

۶- - سوره الکهف (۱۸)، الآیه ۴۹.

فی ذلک الیوم یأتی اللّه بکل أعمال العباد - حتی و إن کانت فی أقصی مکان - و یحاسبهم علیها.(۱) فیتحمل کل أحد وزر أعماله، و لایتحمل عبء أعمال غیره (وَ لا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْری) .(۲)

و فی المقابل یضاعف اللّه الإحسان للمحسنین (مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَهِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها) (۳) فی حین یکون جزاء المذنب علی قدر الذنب نفسه: (وَ مَنْ جاءَ بِالسَّیِّئَهِ فَلا یُجْزی إِلاّ مِثْلَها) .(۴)

یعاقب الإنسان یوم القیامه علی ما رسخ فی ذاته من ذنوب، وربّما یأتی خلوده فی العذاب بسبب رسوخ الرغبه فی الآثام والذنوب فی ذات الشخص. روی عن الإمام الصادق علیه السلام أنه قال: إنّما خلد أهل النار فی النار لأَنَّ نیّاتهم کانت فی الدنیا أن لو خلدوا فیها أن یعصوا اللّه أبداً.(۵) و یختلف الحساب یوم القیامه تبعاً لاختلاف أعمال الناس؛ فبعضهم یحاسب حساباً یسیراً، ویُعطی أحدهم کتابه بیمینه،(۶) بینما یُعطی آخرون کتابهم من وراء ظهورهم، فینادون بالهلاک والثبور،(۷) و یتمنون لو أنّهم لم یعطوا کتب أعمالهم.(۸) و یضیق المجال علی الکفار فی ذلک الموقف و یفضحون بحیث یتمنون لو أنهم کانوا تراباً،(۹)

و لم یُخلقوا، و لاتُقبل من الکافرین یومئذ فدیه، و لاینصرهم أحد،(۱۰) و هناک لاینفع مال و لا بنون،(۱۱) و لاینجو إلّامن ادّخر لآخرته عملاً صالحاً. والجزاء یأتی کنتیجه حتمیّه للعمل و تجسیداً له. و لا مفرّ هناک لأحد. و لاتنفع ندامه؛ لأَنَّ وقت الندم قد فات؛ إذ یحضر یوم القیامه عند الحساب شهود: (وَ جاءَتْ کُلُّ نَفْسٍ مَعَها سائِقٌ وَ شَهِیدٌ) .(۱۲)

کل إجراءات حضور الأنبیاء والصالحین والشهود والملائکه، من أجل تجسید ما وعد

۱- - سوره لقمان (۳۱)، الآیه ۱۶.

۲- سوره الأنعام (۶)، الآیه ۱۶۴.

۳- - سوره الأنعام (۶)، الآیه ۱۶۰.

۴- سوره الأنعام (۶)، الآیه ۱۶۰.

۵- - الکُلینی، الکافی، ج ۲، ص ۸۵، الحدیث ۵.

۶- - سوره الإنشقاق (۸۴)، الآیتان ۷-۸.

۷- - سوره الإنشقاق (۸۴)، الآیتان ۱۰-۱۱.

۸- سوره الحاقّه (۶۹)، الآیه ۲۵.

۹- - سوره النبأ (۷۸)، الآیه ۴۰.

۱۰- - سوره آل عمران (۳)، الآیه ۹۱.

۱۱- - سوره آل عمران (۳)، الآیه ۱۰؛ سوره الشُعَراء (۲۶)، الآیه ۸۸.

۱۲- سوره ق (۵۰)، الآیه ۲۱.

به اللّه بصوره ملموسه. و يقوم الحساب على موازين العدل(۱) و لايظلم أحد (وَ ما رَبُّکَ بِظَلّامٍ لِلْعَبِيدِ) .(۲)

العنصر الأساسى فى سعاده الإنسان الإيمان والعمل الصالح، و أمّا سبب شقائه الأبدى فهو الكفر والشرک. قال اللّه جلّ وعلا بشأن المؤمنين الذين يعملون الصالحات: (وَ مَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصّالِحاتِ مِنْ ذَکَرٍ أَوْ أُنْثى وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولئِکَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّهَ) . (۳) و أمّا من يعمل صالحاً من غير إيمان فإنّ كفره و إنكاره يحبط عمله الصالح؛ لأن النيّه شرط وركن فى قبول العمل.

و بعباره أُخرى يمكن القول: إنَّ الأعمال ذات الأثر هى الأعمال التى تكون صالحه من جهه، و أن يكون الباعث عليها حُبّ الخير و نيل مرضاه اللّه من جهه أُخرى. و هذا لاينطبق طبعاً على من لايحمل عقيده صحيحه: (مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمالُهُمْ كَرَمادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِى يَوْمٍ عاصِفٍ...) . (۴) و فى المقابل يكون للإيمان تأثير إلى درجه أنه يجعل للعمل الصالح تأثيراً، و ليس هذا فحسب، بل يؤدّى أيضاً إلى محو بعض الذنوب.(۵)

تجسّم الأعمال

يقول الفلاسفه و علماء الأخلاق: إن ما يداوم عليه الإنسان و يكرر ممارسته يرسخ فى ذاته تدريجياً، و بتعبير آخر يصبح ملكه ذاتيه، والأعمال ترسخ فى النفس إلى درجه يكون لها تأثير بالغ فى شخصيّته. و تتجلى الملكات النفسيه حيثما يظهر كل شىء بوضوح.

و يمكن اعتبار الجزاء تابعاً لهذه الخصائص والملكات المطبوعه فى النفس.

يُحشر الإنسان يوم القيامه على أساس صورته الباطنيه وسيرته الداخليه. وعقوبات الآخره ليست عقوبات تعاقديه على غرار العقوبات الدنيويه. و إنّما هى على غرار الأُمور التكوينيه. و حقيقه الذنب، تتجسد يوم القيامه بالجزاء. إذ يمكن تشبيه الذنب بسكين يفقأ

۱- – سوره الأنبياء (۲۱)، الآيه ۴۷.

۲- سوره فصلت (۴۱)، الآيه ۴۶.

۳- – سوره النساء (۴)، الآيه ۱۲۴.

۴- – سوره ابراهيم (۱۴)، الآيه ۱۸.

۵- سوره النساء (۴)، الآيه ۳۱.

بها الشخص عينه، حيث يكون العمى فى مثل هذه الحاله أمراً تكوينياً و ليس تعاقدياً.

وجزاء الذنب كالمحصول الطبيعى للزرع؛ فكل من يزرع شيئاً يحصد ذلك الشىء نفسه.

والعمل الذى يرسخ فى ذات الإنسان يبقى ملازماً له. و بما أنّ مثل هذا العمل يضرب بأطنابه فى أعماق النفس و يغدو جزءاً من الذات، فمن الطبيعى أن يستمر أثره و لايزول بسرعه. قال أميرالمؤمنين عليه السلام فى وصف اللّحظات الأخيره من حياه الإنسان فى الدنيا: إنّ ابن آدم إذا كان فى آخر يوم من أيام الدنيا و أوّل يوم من أيام الآخره مثل له ماله و ولده و عمله، فيلتفت إلى ماله فيقول: واللّه أنى كنت عليك حريصاً شحيحاً فمالى عندك؟ فيقول:

خذ منى كفنك، قال: فيلتفت إلى ولْده فيقول: واللّه أنى كنت لكم محباً و إنى كنت عليكم محامياً فماذا لى عندكم؟ فيقولون: نؤديك إلى حفرتك نواريك فيها، قال: فيلتفت إلى عمله فيقول: واللّه إنى كنت فيك لزاهداً و أنّك كنت علىّ لثقيلاً فماذا لى عندك؟ فيقول: أنا قرينك فى قبرك و يوم نشرك حتى أُعرض أنا و أنت على ربك، قال: فإن كان للّه ولياً أتاه أطيب الناس ريحاً و أحسنهم منظراً و أحسنهم ريشاً فقال: أبشر بروح وريحان وجنّه نعيم و مقدمك خير مقدم، فيقول له: من أنت؟ فيقول: أنا عملك الصالح ارتحل من الدنيا إلى الجنّه.

و إنه ليعرف غاسله و يناشد حامله أن يعجّله، فإذا أُدخل قبره أتاه ملكا القبر يجران أشعارهما و يخدان الأرض بأقدامهما، أصواتهما كالرعد القاصف و أبصارهما كالبرق الخاطف فيقولان له: من ربك؟ و ما دينك؟ من نبيّك؟ فيقول: اللّه ربىّ و دينى الإسلام، و نبيّى محمد صلى الله عليه و آله و سلم. فيقولان له: ثبتك اللّه فيما تحب و ترضى، و هو قول اللّه عزّوجلّ: (يُثَبِّتُ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثّابِتِ فِى الْحَياهِ الدُّنْيا وَ فِى الْآخِرَهِ) ثم يفسحان له فى قبره مدّ بصره ثم يفتحان له باباً إلى الجنّه، ثم يقولان له: نم قرير العين، نوم الشاب الناعم، فإن اللّه عزّوجلّ يقول: (أَصْحابُ الْجَنَّهِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَ أَحْسَنُ مَقِيلاً) قال: و إن كان لربه عدواً فإنه يأتيه أقبح من خَلَقَ اللّه زِيّاً و رؤياً و أنتنه ريحاً فيقول له: أبشر بنزل من حميم و تصليه جحيم.(۱)

۱- الكُلينى، الكافى، ج ۳، ص ۲۳۱ و ۲۳۲، الحديث ۱.

و روی عن رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم أنه قال: لابُدّ لک من قرین یدفن معک هو حی و أنت میّت، فإن کان کریماً أکرمک، و إن کان لئیماً أسلمک، ثم لایحشر إلّامعک، و لاتبعث إلّامعه، و لاتُسأل إلّاعنه. فلا تجعله إلّاصالحاً؛ فإنه إن صلح أنست به، و إن فسد لم تستوحش إلّا منه، و هو عملک.(۱)

الشفاعه

الشفع: ضم الشیء إلی مثله، والشفاعه: الانضمام إلی آخر یکون ناصراً له، و أکثر ما یُستعمل فی انضمام من هو أعلی حرمه و مرتبه إلی من هو أدنی لمعاونته.(۲) و علی الرغم من تأکید القرآن الکریم علی أن لاشفیع و لانصیر یوم القیامه (لَیْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِیٌّ وَ لا شَفِیعٌ) ، (۳) و لکن هناک آیات تحدّثت بصراحه عن الشفاعه و تأثیرها فی إنقاذ الإنسان، و إنّما نفیت الشفاعه للظالمین(۴) و للکافرین.(۵) فالشفاعه لاتشمل المشرکین والکفار و من ینکرون حقائق الدّین.

فقد قال النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم: و أمّا شفاعتی ففی أصحاب الکبائر ما خلا أهل الشرک والظلم.(۶) و یتفق المسلمون علی أنّ لرسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم مقام الشفاعه الذی کرّمه اللّه به و أرضاه (۷)(وَ لَسَوْفَ یُعْطِیکَ رَبُّکَ فَتَرْضی) . (۸) و قد اعتبر هذا المقام حصیله لتهجّد النبیّ و إحیائه اللیل.(۹)

إنّ اللّه تعالی قد أذن بالشفاعه للصالحین و لمن ارتضی من عباده: (وَ لا یَشْفَعُونَ إِلّا لِمَنِ ارْتَضی) . (۱۰) والمراد من الذین ارتضی، الأنبیاء والأوصیاء والملائکه، و بعض المؤمنین.(۱۱)

۱- ابن أبی الحدید، شرح نهج البلاغه، ج ۱، ص ۱۲۸.

۲- - الراغب الاصفهانی، مفردات ألفاظ القرآن، ص ۴۵۷ و ۴۵۸.

۳- - سوره الأنعام (۶)، الآیه ۵۱.

۴- - سوره غافر (۴۰)، الآیه ۱۸.

۵- سوره المدّثر (۷۴)، الآیات ۴۶ و ۴۸.

۶- - الصدوق، الخصال، باب السبعه، ص ۳۵۵، الحدیث ۳۶.

۷- - الطبرسی، مجمع البیان، ج ۵، ص ۵۰۵؛ الآلوسی، روح المعانی، ج ۲۸، ص ۱۶۰.

۸- - سوره الضحی (۹۳)، الآیه ۵.

۹- سوره الإسراء (۱۷)، الآیه ۷۹.

۱۰- - سوره الأنبیاء (۲۱)، الآیه ۲۸.

۱۱- الصدوق، الإعتقادات، الباب ۲۱، ص ۴۴ و ۴۵.

الشفاعه ليست عملاً خارجاً عن الضوابط و إنّما هی لطف وتكرّم من اللّه على عباد ذوی اعتقاد و عمل صالح، و لكنّهم أخطأوا واقترفوا أحياناً ذنباً و لم يوفّقوا للتوبه، و لاشكّ فی أنّ من يتوب عن الذنب لايحتاج إلى شفاعه؛ إذ جاء فی حديث شريف: «لاشفيعَ انجحُ من التوبهِ».(۱) و من الطبيعی أنّ الاعتقاد بالتوحيد والسير على الصراط الإلهی القويم، شرط للشفاعه؛ لأن الشفاعه تعنی سدَّ النقص، و هی تنمّ عن ارتباط وثيق بين الشفيع والمشفّع فيه. و لاتعنی طبعاً أن يقترف الشخص ما يشاء من الذنوب ثم تُغفر ذنوبه بالشفاعه.

و على هذا الأساس فإنّ الشفاعه لاتبيح لأحد اقتراف الذنوب، و لا أحد يتجرأ على المعصيه فی مثل هذه الشروط والضوابط. الشفاعه تبعث فی النفوس بصيص الأمل و تشجّع الناس و تحثهم على أداء ما يجب عليهم من فرائض و واجبات، و لكن الفرائض تكون أحياناً عسيره و يصعب على البعض أداؤها، خاصه و أنّ الدنيا دار وسوسه و زلّات، و أمثال هؤلاء الأشخاص ينجيهم اللّه من العذاب و يرفعهم درجات بفضل شفاعه عبد من أوليائه.

الصراط

هنالك يوم القيامه جسر يُسمّی «الصراط»، و قيل فی وصفه «الصراطُ أدقُّ من الشَعر و أحَدُّ من السيف».(۲) و لابدّ لكلّ الناس بعد البعث من جديد، أن يجتازوا الصراط ليصلوا إلى جنه الخُلد. و كل شخص يستطيع أن يعبره على قدر ما لديه من نور اكتسبه من اتصاله بحقائق العالم،(۳) و يمكن للمؤمنين الذين يعملون الصالحات، والمتقين والأولياء والصالحين، عبوره بسهوله، بينما يتعذر على المشركين والفاسقين عبوره، فيسقطون فی الهاويه.(۴) و بعض يمر عليه سريعاً والبعض يتعثّر(۵) و بعض يسقط فی نار جهنم.

۱- – الصدوق، الأمالی، مجلس ۵۲، ص ۳۹۹، الحديث ۹.

۲- – الكُلينی، الكافی، ج ۸، ص ۳۱۲، الحديث ۴۸۶؛ المفيد، تحقيق الاعتقاد، مصنفات المفيد، ج ۵، ص ۱۰۹.

۳- – سوره الحديد (۵۷)، الآيه ۱۲.

۴- سوره المؤمنون (۲۳)، الآيه ۷۴.

۵- الكُلينی، الكافی، ج ۸، ص ۳۱۲، الحديث ۴۸۶.

و هناک تتعالی الأصوات و کل یُنادی وانفساه، و تحجب الأبصار و تضطرب الأنفاس، وتزداد نبضات القلوب. و من الطبیعی أنّ مثل هذه الحاله لو عرضت لأحد فإنّه یتعثر فی مشیته حتّی لو کان یسیر علی أرض مستویه، فما بالک إذا کان یمر علی صراط دقیق وخطیر. إنّ عبور هذه العقبه بنجاح ینتهی بالمرء إلی الاتصال بعالم الحق، فیثبت قدمه هناک وتطمئن نفسه، و یبلغ مرحله السکینه والاستقرار. و هذا لایتحقق طبعاً إلّابما ادّخره المرء من عمل صالح فی دنیاه.

والإشاره إلی هذه الملاحظه لاتخلو من فائده، و هی أنّ المراد من دقّه الصراط ربّما یکون الحقائق التوحیدیه، والمعتقدات الحقّه، والعمل الصالح الذی یُعتبر - حقاً - شیئاً دقیقاً و أدقّ من الشعره، و یحتمل فیه السقوط والانحراف فی أیه لحظه. و هذا ما یوجب علی المرء أن یکون فی حذر منها علی الدوام و یسأل ربّه الثبات علی هذا الصراط، و أن لایکله إلی نفسه طرفه عین أبداً. و أخیراً و بعد انجلاء أهوال و شدّه القیامه والنظر فی أعمال العباد، ینال کل واحد منهم جزاءه بما یتناسب مع عمله و معتقده، و یتّجه نحو المکان المخصّص له فیسیر المؤمنون إلی جنان الخُلد، بینما یُساق الکفره والعاصون إلی جهنم.

الجنّه

و بعد النظر فی أعمال العِباد و معتقداتهم، یدخل قسم منهم إلی الجنه جزاءً علی إیمانهم و صالح أعمالهم. والجنّه هی المکان الذی ینتهی إلیه المؤمنون الذین یحیون اللیل بالعباده و ینفقون مما رزقهم اللّه،(۱) و هی للذین یجاهدون فی سبیل نشر الاسلام و یضحون لهذا الهدف بأنفسهم و أموالهم،(۲) و یمکن القول بإیجاز: إنّ الجنّه یدخلها الذین یعبدون ربّهم، و یحترمون حقوق و حرمات الآخرین للّه، و یؤدّون واجباتهم من غیر طمع فی شیء.

یتنعّم من یدخل الجنّه من النساء والرجال بما جعل اللّه لهم فیها من لذائذ الطعام والشراب، و کل ما یحبون و ما تشتهی أنفسهم،(۳) و هناک نعمه أعظم من کل تلک النعم

۱- - سوره السجده (۳۲)، الآیات ۱۵-۱۹.

۲- - سوره التوبه (۹)، الآیه ۱۱۱.

۳- - (وَ فِیها ما تَشْتَهِیهِ الْأَنْفُسُ وَ تَلَذُّ الْأَعْیُنُ)؛ سوره الزخرف (۴۳)، الآیه ۷۱.

واللذائذ و هی رضوان اللّه،(۱) و هناک لایواجه أهل الجنّه أی تعب أو مشکله،(۲) و إنّما یعیشون فی أمن وسلام،(۳) و هم خالدون فیها و لایأتیهم الموت.(۴)

ذکر الجنّه یبعث الأمل فی النفس، و یحث العبد علی الطاعه و عمل الخیر واجتناب الذنوب والآثام.(۵) فالناس - کما یقول علی علیه السلام - لم یُخلقوا للخلود فی الدنیا، و إنّما الدنیا بالنسبه لهم ممرٌّ لنیل الجنه والسعاده الأبدیه.(۶) و قد قال علیه السلام فی وصف الدنیا و مدی تناسبها مع الآخره: أَلَا حُرٌّ یَدَعُ هَذِهِ اللُّمَاظَهَ لِأَهْلِهَا، إِنَّهُ لَیْسَ لِأَنْفُسِکُمْ ثَمَنٌ إِلَّا الْجَنَّهَ فَلَا تَبِیعُوهَا إِلَّا بِهَا.(۷) و قال أیضاً فی موضع آخر: مَا خَیْرٌ بِخَیْرٍ بَعْدَهُ النَّارُ وَ مَا شَرٌّ بِشَرٍّ بَعْدَهُ الْجَنَّهُ وَکُلُّ نَعِیمٍ دُونَ الْجَنَّهِ فَهُوَ مَحْقُورٌ وَ کُلُّ بَلَاءٍ دُونَ النَّارِ عَافِیَهٌ.(۸) فقد قال تعالی فی کتابه الکریم: (لِمِثْلِ هذا فَلْیَعْمَلِ الْعامِلُونَ) (۹) و قال تعالی أیضاً فی القرآن الکریم فی وصف الجنّه: (وَ سارِعُوا إِلی مَغْفِرَهٍ مِنْ رَبِّکُمْ وَ جَنَّهٍ عَرْضُهَا السَّماواتُ وَ الْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِینَ) (۱۰) و قال أمیرالمؤمنین علیه السلام فی تعظیم الجنّه: أَلَا وَ إِنِّی لَمْ أَرَ کَالْجَنَّهِ نَامَ طَالِبُهَا.(۱۱)

جهنّم

جهنّم مظهر غضب اللّه، و جاء فی وصفها: أنها عباره عن هاویه فیها نار متأجج لهیبها و متّقد شررها (وَقُودُهَا النّاسُ وَ الْحِجارَهُ) ، (۱۲) و خزنتها ملائکه غلاظ شداد،(۱۳) و حراره الدنیا - کما قال رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم - لاتکاد تساوی جزءاً من سبعین جزءاً من نار جهنم،(۱۴)

۱- - (وَ رِضْوانٌ مِنَ اللّهِ أَکْبَرُ)؛ سوره التوبه (۹)، الآیه ۷۲.

۲- (لا یَمَسُّهُمْ فِیها نَصَبٌ وَ ما هُمْ مِنْها بِمُخْرَجِینَ)؛ سوره الحجر (۱۵)، الآیه ۴۸.

۳- (وَ اللّهُ یَدْعُوا إِلی دارِ السَّلام)؛ سوره یونس (۱۰)، الآیه ۲۵.

۴- (لا یَذُوقُونَ فِیهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَهَ الْأُولی وَ وَقاهُمْ عَذابَ الْجَحِیمِ)؛ سوره الدخان (۴۴)، الآیه ۵۶.

۵- - الشریف الرضی، نهج البلاغه، الحکمه ۳۱.

۶- - المصدر السابق، الخطبه ۱۳۲ (صبحی الصالح).

۷- - المصدر السابق، الحکمه ۴۵۶.

۸- - المصدر السابق، الحکمه ۳۸۷.

۹- - سوره الصافّات (۳۷)، الآیه ۶۱.

۱۰- - سوره آل عمران (۳)، الآیه ۱۳۳.

۱۱- الشریف الرضی، نهج البلاغه، الخطبه ۲۸ (صبحی الصالح).

۱۲- - سوره البقره (۲)، الآیه ۲۴.

۱۳- سوره التحریم (۶۶)، الآیه ۶.

۱۴- - علی بن ابراهیم، تفسیر القُمّی، ج ۱، ص ۳۶۶؛ المجلسی، بحارالأنوار، ج ۸، ص ۲۸۸، الحدیث ۲۱.

و هی ذات شرر عظیم لایذر شیئاً إلّاأحرقه،(۱) و طعام أهل جهنم الزقوم والصدید،(۲) و ماؤها کالمهل، و هو المعدن المذاب بالحراره،(۳) و نارها تسری فی أعماق الإنسان و تستعر فی القلوب،(۴) و ثیاب أهلها النار، ویُلقی علی وجوههم و رؤوسهم ماء یغلی.(۵)

و هناک مقامع من حدید فوق رؤوس أهل النار،(۶) و لایمکن الفرار منها أبداً،(۷) و جلودهم تتبدل علی الدوام من شدّه النار، والجلود تحترق و تذوب، و لکن لاتنتهی و تحلُّ محلها جلود غیرها (کُلَّما نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْناهُمْ جُلُوداً غَیْرَها لِیَذُوقُوا الْعَذابَ) (۸) و هم فی عذاب دائم (لا یَمُوتُ فِیها وَ لا یَحْیی) ، (۹) و أیدیهم و أعناقهم مغلوله بالسلاسل والأغلال.(۱۰) و یعیشون فی حسره و ندم دائم علی تفریطهم بالفرصه التی أُتیحت لهم فی الدنیا، و یتمنون لو کان رفاقهم فی الدنیا رفاق خیر نصحاء، ولو انّهم کانوا یسیرون علی الصراط المستقیم.

فهل تستحق أیام الدنیا العابره أن یغفل المرء عن ربّه، أو یظلم عباد اللّه؟ أو أن لایؤدّی فرائض اللّه، فیذلّ و یخزی؟ هناک کثیر من آیات القرآن الکریم و أحادیث النبیّ والمعصومین فی وصف عالم الآخره وجهنّم وعذابها الشدید. و لاشکّ فی أنّ رسالات اللّه و تحذیرات الأنبیاء والأوصیاء إنّما هدفها توعیه و إیقاظ الناس؛ إذ لاینبغی أن ینهمک الناس فی نعم الدنیا و ملذّاتها بحیث ینسوا ما علیهم من فرائض و تکالیف، و یضیّعوا آخرتهم فی خضم التهافت علی الحیاه الدنیا. و ینبغی أن لایکون الإقبال علی ملذّات الدنیا إلی الحدّ الذی یوقع المرء فی عذاب الآخره. إنّ العقل والمنطق یفرض علینا الاصغاء لهذه التحذیرات و أخذها علی محمل الجد؛ فهذه التحذیرات لیس هدفها إبعاد الناس عن نعم الدنیا، و إنّما الغایه منها إیجاد توازن فی السلوک بین الدنیا والآخره.

۱- – سوره المدّثر (۷۴)، الآیات ۲۶-۲۸.

۲- سوره الحاقّه (۶۹)، الآیه ۳۶؛ سوره الواقعه (۵۶)، الآیه ۵۲.

۳- – سوره الکهف (۱۸)، الآیه ۲۹.

۴- سوره الهُمَزه (۱۰۴)، الآیه ۷.

۵- سوره الحج (۲۲)، الآیه ۱۹.

۶- – سوره الحج (۲۲)، الآیه ۲۱.

۷- سوره الحج (۲۲)، الآیه ۲۲.

۸- – سوره النساء (۴)، الآیه ۵۶.

۹- سوره طه (۲۰)، الآیه ۷۴.

۱۰- – سوره غافر (۴۰)، الآیه ۷۱.

الباب الثانی: الأخلاق

اشاره

ص:۲۱۹

علم الأخلاق

الفضائل الأخلاقيه من المنجيات الموصله إلى السعاده الابديه، ورذائلها من المهلكات الموجبه للشقاوه السرمديه. فالتخلّى عن الثانيه والتحلى بالأُولى من أهم الواجبات للوصول إلى الحياه الحقيقيه.(۱)

و علم الأخلاق يعلّم النفس الإنسانيه كيفيه تحصيل الخلق بحيث تصدر جميع الأحوال والأفعال بإرادتها، لتكون جميله و حميده.(۲) فالنفس الإنسانيه ذات ميول و غرائز شتّى.

و قد وضِع علم الأخلاق لتهذيب الميول والرغبات الباطنيه للإنسان. فمن الطبيعى أنّ أفعال الإنسان و أعماله إنّما تصدر عن ملكاته وصفاته الحسنه أو القبيحه، و معرفه هذه الملكات تتعلق بعلم الأخلاق. و علم الأخلاق يعلّم الإنسان كيفيه نبذ الرذائل واكتساب الفضائل.

و هو يُعنى بإصلاح الإنسان والارتقاء باستعداداته إلى الكمال. روى عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام أنه قال: «اَلْزَمُ الْعِلْم لَكَ، ما دَلَّكَ عَلى صَلاحِ قَلْبِكَ وَ اظْهَرَ لَكَ فَسادَهُ».(۳) إذاً فالأخلاق هى معرفه الفضائل والرذائل والتحلّى بالفضائل، إضافه إلى التحلّى بمحاسن الأخلاق المنبثقه من طباع حسنه.

فلسفه الأخلاق

يتناول علم الأخلاق دراسه الحسن الأخلاقى والقبح الأخلاقى، والأوامر والنواهى الأخلاقيه. و أمّا فلسفه الأخلاق فمهمتها الإجابه عن أسئله مثل: ما هو معيار الخير والشرّ

۱- النراقى، الملا مهدى، جامع السعادات، ج ۱، ص ۹ و ۱۰.

۲- - الطوسى، الخواجه نصيرالدّين، اخلاق ناصرى، ص ۴۸.

۳- - المجلسى، بحارالأنوار، ج ۱، ص ۲۲۰، الحديث ۵۴.

والحسن والقبح؟ و لماذا هذا الشيء حسن و ذلك الشيء قبيح؟ و ما منشأ اعتبار الأوامر والنواهى الأخلاقيه؟ و هل الأمور الأخلاقيه نسبيه أم مطلقه؟ و كيف يُنظر إلى الجَمال؟ و لماذا يرى البيضُ مصاديق معيّنه للجمال و يرى السودُ مصاديق أُخرى للجمال، مما لايوافقهم غيرهم عليها؟ و نحن هنا فى هذا الكتاب نتناول علم الأخلاق. و أمّا فلسفه الأخلاق فعلى الرغم مما تتصف به من الروعه والجذّابيه إلّاأنها خارج هدف و موضوع هذا الكتاب.

الإنسان مجبول بالفطره على حُبّ الجمال، و قد أبدع الكثير من معالم الجمال المسموعه والمرئيه فى مختلف المجالات. و لاشكّ فى أنّ نشوء وتطوّر الكثير من الفنون الجميله كالرسم، والموسيقى، والنحت، و فن العماره و غيرها منبثقه أساساً من هذه الفطره و جاءت بهدف إشباع هذا الميل. والإنسان حسب طبيعته البدائيه يستشعر اللّذه والارتياح من أُمور، والنفور من أُمور أُخرى. و على هذا الأساس يقسّم الأُمور إلى جميله و قبيحه، و حسنه و سيّئه. و هذا التقسيم ينطبق على ما هو محسوس و على ما هو غير محسوس.

فعندما نرى شخصاً يعمل من أجل الآخرين و يمد لهم يد العون، نكرّم هذه النزعه الإنسانيه فيه و نرى عمله جميلاً. و من جانب آخر إذا رأينا شخصاً يضرب شخصاً ضعيفاً من غير سبب نستقبح عمله. و كذلك نصف بالعدل مَن يحكم بين الناس بعيداً عن مؤثرات الحب والبغض و بحسب الشواهد والأدلّه، و نصف بالظلم مَن يفعل خلاف ذلك. و أساس السلوك الأخلاقى هو الحسن والقبح اللّذان يقرُّهما العقل والفطره. والصفه الأخلاقيه الفاضله هى ما يستحسنها الآخرون، و أمّا الصفه الأخلاقيه الرذيله فهى ما يستقبحها الآخرون.

إنّ منطلقات سلوك الناس ليست من نمط واحد. فَبعضُ ها تنطلق من دوافع حسيّه و من غير وعى و إراده، كالصياح عند مواجهه خطر مفاجىء، و إغماض العينين تلقائياً عند الاصطدام بشيء خارجى. و بعض الأفعال الأُخرى مبعثها الغريزه والميول الذاتيه كالأكل والشرب عند استشعار الجوع والعطش، والدفاع عن الذات عند مجابهه خطر.

و هناك نوع آخر من السلوك مبعثه الفطره كحب الجمال وحُبّ الحقيقه. والتوجّهات والسلوكيات المنطلقه منها خاصّه بالإنسان دون سواه من الكائنات. و ما يلاحظ من

الحضارات والثقافات منبثق من هذه الخصال. و هناك قسم من السلوك - و هو ما يُسمّى بالسلوك الأخلاقى - يأتى انطلاقاً من دوافع فطريه. فالسلوك الذى يؤدّى إلى الكمال، و يتّصف بالحسن والجمال يعتبره أمراً لازماً (و هو ما يُسمّى بالأوامر، أو ما ينبغى فعله)، أمّا السلوك المخالف للكمال و ما يستشعر النفور منه فيرى لزوم تركه (و هو ما يُسمّى بالنواهى أو ما لاينبغى فعله).

النظام الأخلاقى فى الإسلام و خصائصه

اشاره

تؤلّف الإرشادات والتوجيهات الأخلاقيه قسماً مهماً من تعاليم الدّين الإسلامى، و منها يتكون النظام الأخلاقى، و هى تتصف بالخصائص التاليه:

١ - التحول فى الأخلاق

من أهداف التعاليم الأخلاقيه فى الإسلام إحداث تغيير فى الأخلاق، و نقل المجتمع من الأخلاق الجاهليه إلى الأخلاق الإسلاميه، و إيجاد نظام أخلاقى سام منسجم مع الفطره الإنسانيه. فقد كانت القيم الأخلاقيه قد ضعفت فى العصر الجاهلى و حلّت محلّها القيم القبليه. و بالرغم من وجود قيم أخلاقيه حسنه فى العصر الجاهلى غير أنها كانت محدوده من جهه، و من جهه أُخرى كانت مدياتها لاتتعدى أفراد القبيله الواحده. حيث كان التعصب القبلى هو أساس السلوك، و كان نسيج الحياه الاجتماعيه قائماً على قاعده الحياه القبليه، و لكن بعد ظهور الإسلام تغيّرت هذه المفاهيم الأخلاقيه على نحو واسع، و حلّ مبدأ «الإنسان» بدلاً من فكره القبيله. و حصل تطوّر هائل فى مضامين المفاهيم الأخلاقيه، و أخذ مبدأ الأُخوَّه الدينيه مكانته بدلاً من العادات والتقاليد الجاهليه.(١) و طرح الإسلام فكره «الأُمّه الإنسانيه الواحده» كبديل لفكره الأعراق والأقوام.(٢)

١- - انظر: سوره المجادله (٥٨)، الآيه ٢٢.

٢- سوره الحجرات (٤٩)، الآيه ١٣.

كـانت هنـاك فى العصـر الجـاهلى سـجايا أخلاقيه حميـده، و قـد أقرّها الإسـلام و أمضاها، كالضـيافه والمروءه. و هـذا يعنى أنّ الاسـلام لم يحارب كل ما كان موجوداً فى الجاهليه، و إنّما أقرَّ واسـتحسن ورسّـخ صـفات حسـنه كالمروءه، والكرم، والشـهامه، والضيافه، والشجاعه، و غير ذلك.

٢ – الواقعيه

اهتم الاسـلام فى تعـاليمه الأخلاقيه بحاجـات الإنسـان الفطريه، و طرح القيم بشـكل واقعى يأخـذ بنظر الاعتبـار صـعوبات الحياه كـالفقر والجوع والمرض والعوز، و دعـا إلى تلـك القيم بطريقه تتسم بـالمرونه فى مثل هـذه الظروف، بحيث لايقع المكلّف فى عسر و حرج.

التعـاليم الأخلاقيه فى الإسـلام قـائمه على رؤيـه واقعيـه، و هى ليست مجرد وصايـا جامـده و خـاليه من الروح، و مقرونه بتـوجيه لفائدتها والغايه التى وضـعت لأجلها. و هناك تأكيدات على أنّ الالتزام بالقيم الأخلاقيه يعود بالفائده على الشخص نفسه، و هذا يمثّل بحـد ذاته تشـجيعاً على العمـل بهـا. والنظـام الأخلاقى فى الإسـلام لايكتفى بـذكر مفاهيم أخلاقيه عامّه و قضايا أخلاقيه بـديهيه، و إنّمـا جرى تبيـان مصـاديق كـل مفهـوم عـام. و مـا يُعرف بـاسم القيم الأخلاقيه عبـاره عن أُمـور ذات قيمه و خاضـعه للمصـلحه. و ما يُعرف بأنه غير قيمى فهو يتعارض مع القيم و ينطوى على مفسـده، كما هو الحال بالنسـبه إلى الـدعوه إلى العدل والإحسان: (إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ الْإِحْسانِ) (١) والنهى عن الفحشاء والمُنكَر (وَ يَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَ الْمُنْكَرِ وَ الْبَغْيِ) .(٢)

يهتم الإسـلام بعواطف الإنسان وضـبط المشاعر و توظيفها لترسـيخ القيم الأخلاقيه. كما أنه يوجّه الغرائز و يهذّبها. و يعير اهتماماً واضـحاً للرقى المعنوى والوصول إلى بنـاء اجتماعى متكامل. كما يعنى المنهاج التربوى فى الإسـلام بالعلاقات العاطفيه فى إطار الأُسره، و فى العلاقات مع الأُخوه فى الدّين.

١- – سوره النحل (١۶)، الآيه ٩٠.

٢- سوره النحل (١۶)، الآيه ٩٠.

۳ – الاهتمام بالجوانب الوجوديه للإنسان

اشاره

من خصائص النظام الأخلاقی المفید والفاعل أن یتعامل عن وعی مع مکوّنات الإنسان و قدراته. و هذه المیزه موجوده فی النظام الأخلاقی الذی جاء به الإسلام.

من الواضح أنّ الإنسان یملک عقلاً و وعیاً و مشاعر و متطلبات و حاجات ماديه و معنویه، و هو مجبول علی فطره و غرائز، والکثیر من حاجاته الفطریه والطبیعیه ذات تأثیر فی سلوکه، و من خلالها تتبلور صیاغه شخصیته. و لاشکّ فی أنّ تجاهل أیّ من تلک العناصر والمکوّنات قد یفضی إلی بناء إنسان غیر متزن فی الجوانب الأخلاقیه والتربویه، و لکنّ الإسلام قد وضع نصب العین – فی تعالیمه الأخلاقیه – جمیع مکونات الإنسان؛ لأنّ عدم أخذ تلک الجوانب بنظر الاعتبار یُفقد الإرشادات الأخلاقیه فاعلیّتها.

النفس و أقسامها

اشاره

یهتم النظام الأخلاقی فی الإسلام بشکل أساسی بتنمیه و تهذیب الجانبین الروحی والعقلی لدی الإنسان، و یری أنّ الشؤون الأخلاقیه مبنیه علی الاختیار والوعی والعقل.

والإنسان ذو نفس حیّه، و لها تأثیرات و وظائف شتّی. و منها أنها تقوم بمهمه توجیهه. و من الطبیعی أنّ المیول والرغبات أُمور واقعیه فی وجود الإنسان و مبعثها النفس. و قد أُخذت هذه الرغبات والنوازع بنظر الاعتبار فی التعالیم الأخلاقیه. و هناک تعالیم کثیره وضعت لتهذیب النفس و تنظیم دورها و تأثیرها، و لکن دون أن تستهدف إلغاءها و کبتها.

نورد فی ما یلی أمثله من أفعال النفس و تأثیراتها مع ذکر التعالیم الأخلاقیه التی وضعت لها:

النفس الأمّاره

تحدّث القرآن الکریم عن النفس بتعبیرات شتّی، منها أنه نصّ مثلاً علی: (إِنَّ النَّفْسَ لَأَمّارَهٌ بِالسُّوءِ إِلّا ما رَحِمَ رَبِّی) . ۱ و تُسمّی هذه النفس بالأمّاره؛ و بها تربط الأهواء والنزوات، و هذه النفس تسعی إلی تحقیق رغائبها. و إذا خضعت أعضاء الإنسان وجوارحه إلی هیمنه النفس الأمّاره، تستحوذ علیها و تسوقها إلی تنفیذ کل ما تملیه علیها، و تسوق الأیدی والأعین والأرجل إلی ارتکاب المعاصی، و تدفع اللّسان إلی اقتراف قبائح کالغیبه والتهمه والشتم والإساءه. و هذه أسوأ حالات النفس، و هی التی تسوق الإنسان إلی الضیاع و تجعل منه عبداً للشهوات والأهواء و وحشاً کاسراً، بل قد تؤدّی نفس أمّاره واحده إلی إفساد خلق کثیر. و إذا لم یقف الإنسان ضد أهوائه النفسیه و ترک العنان للنفس الأمّاره فسیصبح أکثر خطوره من أیّ وحش کاسر.

تحدّث القرآن الكريم عن النفس بتعبيرات شتّى، منها أنه نصّ مثلاً على: (إِنَّ النَّفْسَ لَأَمّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاّ ما رَحِمَ رَبِّی) . (۱) و تُسمّی هذه النفس بالأمّاره؛ و بها تربط الأهواء والنزوات، و هذه النفس تسعی إلی تحقیق رغائبها. و إذا خضعت أعضاء الإنسان وجوارحه إلی هیمنه النفس الأمّاره، تستحوذ علیها و تسوقها إلی تنفیذ کل ما تملیه علیها، و تسوق الأیدی والأعین والأرجل إلی ارتکاب المعاصی، و تدفع اللّسان إلی اقتراف قبائح کالغیبه والتهمه والشتم والإساءه. و هذه أسوأ حالات النفس، و هی التی تسوق الإنسان إلی الضیاع و تجعل منه عبداً للشهوات والأهواء و وحشاً کاسراً، بل قد تؤدّی نفس أمّاره واحده إلی إفساد خلق کثیر. و إذا لم یقف الإنسان ضد أهوائه النفسیه و ترک العنان للنفس الأمّاره فسیصبح أکثر خطوره من أیّ وحش کاسر.

النفس اللّوامه

للنفس وظیفه أُخری ذات جانب إیجابی، و هو ما یُسمّی بالنفس اللوّامه: (لا أُقْسِمُ بِیَوْمِ الْقِیامَهِ * وَ لا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوّامَهِ) . (۲) و کلمه اللوّامه صیغه مبالغه - کما هو الحال بالنسبه إلی النفس الأمّاره - أی کثیره اللّوم. و هذه النفس إذا اضطلعت بدورها و لم یتضاءل تأثیرها بفعل الجوانب الأُخری، فهی کفیله بالارتقاء بالإنسان إلی مستوی الکمال. و هی تلوم الإنسان و تعنّفه. کما یُعبّر عنها أحیاناً باسم الضمیر أو الوجدان.

و تأثیر النفس اللوّامه هی أنّ الإنسان إذا اقترف قبیحاً یلتفت إلی خطئه و یتوجّه باللّوم إلی ذاته، و لکن یحتمل فی الوقت ذاته أن تفقد هذه النفس تأثیرها علی مرّ الزمن، و یتلاشی دورها بسبب تکرار الفعل القبیح.

خلق اللّه للإنسان قدرات تحول بینه و بین الخروج عن حدود الإنسانیه. و لاشکّ فی أنّ اللّوم الذی تبدیه النفس یخلق لدی المرء حاله من التوبه والإنابه التی تؤدی بدورها إلی تهیئه الظروف للامتناع عن تکرار الذنب. إذاً فالنفس اللّوّامه تسوق الإنسان نحو الکمال؛ و لهذا أقسم بها اللّه عزّوجلّ شأنه.

ص:

۱- - سوره یوسف (۱۲)، الآیه ۵۳.

۲- - سوره القیامه (۷۵)، الآیتان ۱-۲.

النفس المُلْهَمَه

و هناك صفه أُخرى للنفس، و هى صفه ذات جانب أخلاقى و هى الإلهام. جاء فى القرآن الكريم بخصوص هذا المعنى ما يلى: (وَ نَفْسٍ وَ ما سَوّاها * فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَ تَقْواها) .(۱)

و هـذه النفس إذا تيقّظت تحظى برعايه من اللّه، و يمكنها عنـد ذلك البتّ فى ما هو صـحيح أو ما هو خطأ من الأعمال. و لهـذه النفس نوع من الارتباط بعالم الغيب و هى قادره على تمييز الخطأ من الصواب.

النفس المطمئنه

النفس الإنسـانيه تتيقّظ و تجـد طريقها و تسـلك منهـج العمل واليقين. و عنـدما تبلغ أعلى مراحلها و لاتساورها أيه شـكوك أو هواجس تغـدو «مطمئنه»، و هـذه النفس متّصـله بـالحق، و هـذا الاتصـال بـاللّه يبعث فيهـا الاطمئنـان: (يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّهُ * اِرْجِعِى إِلى رَبِّكِ راضِيَهً مَرْضِيَّهً...) .(۲)

۴ – الاعتدال

إحـدى الخصائص الأُخرى للتعليمات الأخلاقيه، هى الدعوه إلى الاعتدال فى تلبيه المتطلّبات والحاجات. فهى لاتطلب من الناس كبت غرائزها و تجاهل اللّذائذ الدنيويه، و على صعيد آخر لاتريد لهم الانهماك بها؛ لأنّ أهم هدف للتعاليم الأخلاقيه هو انتهاج مسـلك الاعتدال واجتناب الإفراط والتفريط. فالإفراط تعدٍّ و تجاوز للحد، والتفريط تقصـير و قصور فى أداء ما ينبغى أداؤه. كما أنّ تجاوز الحدّ فى طلب الشـىء إفراط، والتهاون أو التقصـير فى طلبه تفريط. و من الطبيعى أنّ الإنسان إذا أرسى بناء حياته على الإفراط أو

۱- سوره الشمس (۹۱)، الآيات ۷-۸.

۲- سوره الفجر (۸۹)، الآيتان ۲۷-۲۸.

التفريط، فلابّد أن يتّجه تدريجياً نحو التعدّى أو ينتهى فى سلوكه إلى أن يكون سبباً فى تعدى الغير. فمثل هذا السلوك، يفضى إلى إحداث خلل فى السلوك الاجتماعى العام و يُلحق ضرراً بشخصيه الفرد.

إنّ الإنسان عباره عن مجموعه من الغرائز والميول والرغبات والنوازع المختلفه.

و تجتمع فيه القوه العاقله، والقوه الغضبيه، و غيرها. ورغبات الإنسان و طموحاته كثيره و لا حد لها و لا حصر. و مهما حقق من الطموحات والأمانى لايشبع. ولو أعطيت له الدنيا بأسرها لطلب المزيد. و قد دعا الإسلام إلى الاعتدال و وضع له معايير انطلاقاً من حرصه على تحجيم مثل هذا الخطر. و من خصائص الإسلام أنّ تعاليمه و أحكامه تلتزم منهج الاعتدال والحد الوسط، حتى أنّه سمّى الأُمّه الإسلاميه «أُمّه وَسطاً» فى قوله تعالى (وَ كَذلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النّاسِ) .(۱)

ذهب الإسلام إلى اعتبار عباد اللّه الخاصّين هم المعتدلون البعيدون عن الإفراط والتفريط، كما جاء فى قول العزيز الحكيم: (وَ الَّذِينَ إِذا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَ لَمْ يَقْتُرُوا وَ كانَ بَيْنَ ذلِكَ قَواماً) . (۲) و فيما يتعلق بهذه الصفه أمر اللّه تعالى نبيّه محمداً صلى الله عليه و آله و سلم أن لايجعل يده مغلوله إلى عنقه فى الإنفاق و لايبسطها تماماً؛ لأنّ ذلك يؤدّى به إلى أن يقعد ملوماً محسوراً.(۳) كما أمر تعالى فى موضع آخر نبيّه صلى الله عليه و آله و سلم بعدم اتباع من ينتهجون منهج الإفراط والتفريط، استناداً إلى ما ورد فى الآيه الشريفه: (وَ لا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنا وَ اتَّبَعَ هَواهُ وَ كانَ أَمْرُهُ فُرُطاً) .(۴)

و قال أميرالمؤمنين عليه السلام فى وصف الإفراط والتفريط: لَقَدْ عُلِّقَ بِبَياطِ هَذَا الإنسان بَضْعَةٌ هِيَ أَعْجَبُ مَا فِيهِ، وَ ذَلِكَ الْقَلْبُ، وَ ذَلِكَ أَنَّ لَهُ مَوَادَّ مِنَ الْحِكْمَهِ وَ أَضْدَاداً مِنْ خِلافِهَا، فَإِنْ سَنَحَ لَهُ الرَّجَاءُ أَذَلَّهُ الطَّمَعُ، وَ إِنْ هَاجَ بِهِ الطَّمَعُ أَهْلَكَهُ الْحِرْصُ، وَ إِنْ مَلَكَهُ الْيَأْسُ قَتَلَهُ الْأَسَفُ، وَ إِنْ عَرَضَ لَهُ الْغَضَبُ اشْتَدَّ بِهِ الْغَيْظُ، وَ إِنْ أَسْعَدَهُ الرِّضَى نَسِيَ التَّحَفُّظَ، وَ إِنْ غَالَهُ الْخَوْفُ شَغَلَهُ الْحَذَرُ، وَ إِنِ اتَّسَعَ لَهُ الْأَمْرُ اسْتَلَبَتْهُ الْغِرَّهُ، وَ إِنْ أَفَادَ مَالاً أَطْغَاهُ الْغِنَى، وَ إِنْ أَصَابَتْهُ مُصِيبَهٌ

۱- سوره البقره (۲)، الآيه ۱۴۳.

۲- - سوره الفرقان (۲۵)، الآيه ۶۷.

۳- - سوره الإسراء (۱۷)، الآيه ۲۹.

۴- سوره الكهف (۱۸)، الآيه ۲۸.

فَضَحَهُ الْجَزَعُ، وَ إِنْ عَضَّتْهُ الْفَاقَهُ شَغَلَهُ الْبَلاءُ، وَ إِنْ جَهَدَهُ الْجُوعُ قَعَدَ بِهِ الضَّعْفُ، وَ إِنْ أَفْرَطَ بِهِ الشِّبَعُ كَظَّتْهُ الْبِطْنَهُ، فَكُلُّ تَقْصِيرٍ بِهِ مُضِرٌّ وَ كُلُّ إِفْرَاطٍ لَهُ مُفْسِدٌ.(۱)

من المعروف أنّ الإفراط والتفريط كليهما رذيله، والفضيله هى الحد الوسط بينهما. فإذا تجاهل الإنسان أمانيه و تطلّعاته تجاهلاً تاماً فلابدّ أنّه سيكابد الحسره والغم، و إذا انهمك فى اللّهاث وراء رغباته يستحوذ عليه الطمع. والاعتدال فى ذلك، هو الحد الوسط. قال أميرالمؤمنين عليه السلام فى هذا المجال: «لاترى الجاهلَ إلّامُفرطاً او مُفَرّطاً».(۲)

و قال أيضاً: ثمره التفريط الندامه.(۳) والعداله التى أكّدتها النصوص الدينيه كثيراً، هى حاله الاعتدال واجتناب الإفراط والتفريط فى شؤون الحياه.

۵ – الترابط بين الأخلاق والعباده

ينبغى طبعاً إخضاع الإنسان للتربيه منذ الطفوله، من أجل أن يكتسب الفضائل الأخلاقيه و يبتعد عن الرذائل. فالطفل مرن يمكن صياغته بالنحو الذى يُراد. و فى هذا الطور يتعيّن على الوالدين و من يتولى شؤون الطفل أن يوجهوه إلى المسار السليم. و عندما يكبر يجد أمامه مجموعه من التعاليم التى يمكنه من خلال الالتزام بها تربيه و تهذيب ذاته.

إذ تتضمن الفرائض العباديه أسمى المناهج التربويه و أساليب تهذيب النفس. و لم يستخدم الاسلام – بل و حرّم أيضاً – الطرائق غير المتعارفه و أساليب الرياضه الروحيه القاسيه والصارمه فى التهذيب والتربيه. و إنّما أمر بتهذيب النفس عن طريق العباده التى هى أمر فطرى. و من الطبيعى أنّ الالتزام بهذه الفرائض والتعاليم يؤدى بشكل تلقائى و من غير ضغوط إلى تهذيب وضبط الغرائز. نذكر مثلاً: إنّ للصلاه والصوم و سائر العبادات تأثير فاعل فى هذا المضمار.

و من الفرائض الأُخرى المؤثره فى تهذيب النفس، الحج. فالحج يعتبر من بدايته و إلى نهايته بمثابه نظام تربوى متكامل. فالحاج يجب أن يخلع من البدايه ثيابه و يرتدى ثياب

۱- الكُلينى، الكافى، خطبه الوسيله، ج ۸، ص ۱۹؛ الشريف الرضى، نهج البلاغه، الحكمه ۱۰۸، ص ۴۸۷.

۲- الشريف الرضى، نهج البلاغه، الحكمه ۷۰.

۳- – المصدر السابق، الحكمه ۱۸۱، ص ۵۰۲.

الإحرام. و لابُدّ أن يكون البدن طاهراً والثياب طاهره و مباحه و ليس فيها حق لأحد. بل ينبغى حتى اجتناب الكثير من الحلال، و يجب أداء الحج فى وقت معيّن، و بأعمال و حركات معينه. ففى الحج يبلغ التدريب والضبط النفسى ذروته. فهذا التكليف بمثابه تمرين على تهذيب الذات و بنائها، لأنّها تغرس فى النفس تأثيرات عميقه بنحو تدريجى. و هى كفيله بقطع دابر الغرور والكبر. و هى بالنتيجه تنتهى بالمرء من الأنانيه وعباده الذات إلى عباده اللّه. كما أنّ العباده تكرّس فى النفس نزعه حُبّ الخير للآخرين.

والصوم فريضه عباديه أُخرى، يجب فيها على المكلّفين الامتناع عن أُمور معيّنه لمدّه شهر فى كل سنه، و أمّا فى بقيه السنّه فهى مباحه له. ويُفرض عليه فى هذا الشهر أن يمتنع عما ينبغى الامتناع عنه، فى وقت معيّن بإرادته، والانتهاء من ذلك فى وقت معين آخر.

و لاشكّ فى أنّ لهذا العمل أثراً تربوياً و أخلاقياً عميقاً فى النفس من حيث الجانب الفردى أو الاجتماعى، و هو يبعث فى الإنسان مشاعر التعاطف مع أبناء جنسه. والصوم يدفع الفرد إلى الاهتمام بأحوال الفقراء والمساكين.

۶ – التقوى ركيزه للأخلاق

ينص القرآن الكريم على أنّ طريق الفلاح والنجاه هو تهذيب النفس و تنقيتها من الدنس والرذيله (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكّى) ، (۱) و أنّ النتيجه الطبيعيه لدنسها و تجاهل تهذيبها هى الخسران والشقاء (وَ قَدْ خابَ مَنْ دَسّاها) . (۲) و من البديهى أنّ الانهماك فى الرذائل يترك تأثيراً سلبياً فى النفوس، و يغدو عائقاً يحول دون المعرفه والإيمان. قال البارى عزّوجلّ فى وصف مكذّبى آيات اللّه: (كَلّا بَلْ رانَ عَلى قُلُوبِهِمْ ما كانُوا يَكْسِبُونَ) .(۳)

لقد اهتم الأنبياء عليهم السلام قبل أى شىء آخر بتهذيب النفس والارتقاء بمستوى الأخلاق.

و قال اللّه سبحانه و تعالى فى وصف أحوال الأنبياء السابقين و أُممهم ما يلى: (وَ لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرى آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَفَتَحْنا عَلَيْهِمْ بَرَكاتٍ مِنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ وَ لكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْناهُمْ بِما

۱– – سوره الأعلى (۸۷)، الآيه ۱۴.

۲– – سوره الشمس (۹۱)، الآيه ۱۰.

۳– سوره المطففين (۸۳)، الآيه ۱۴.

كانُوا يَكْسِبُونَ) . (۱) و يُستدل - من خلال تأكيد اللّه عزّوجلّ على التقوى على أنّ هذه الخصله تعدّ سبباً مهماً لاستقرار وثبات المجتمعات وسعادتها فى الدنيا والآخره، و أنّ السير على خلاف منهج التقوى لايعود على أهله إلّابالخسران والهلاك.

و كلمه التقوى مشتقه أساساً من كلمه «وقى»، و منها الوقايه و هى حفظ الشىء ممّا يؤذيه و يَضرّه.(۲) والتقوى تعنى قدره الإنسان على ضبط نفسه فى حالات الغضب أو الميول والرغبات. و قلّما تجد سوره فى القرآن لم تتحدث عن التقوى. و يبيّن القرآن الكريم أنّ البرّ لايأتى إلّامن التقوى،(۳) و كذلك الحال فى ما يخص المعرفه والقدره على تمييز الحق من الباطل،(۴) و أن يكون الإنسان فى أمان من وساوس الشياطين،(۵) و بالتقوى ينال النصر الإلهى،(۶) و أنه تعالى يَمُنّ بالنصر والعون على المتقين،(۷) و بها تُنال السكينه والاطمئنان،(۸) و أنها هى السبيل إلى النجاه.(۹) و فضلاً عما للتقوى من آثار أُخرويه فهى ذات آثار دنيويه أيضاً، كسعه الرزق والنجاه من الشرور،(۱۰) و يمكن القول بإيجاز: إنّ النجاه للمتّقين،(۱۱) والمتقون أحبّاء اللّه.(۱۲)

دعا اللّه تعالى العباد فى مواضع و مناسبات كثيره إلى الورع والتقوى، و وصفها بأنها درع يصون الإنسان من المشاكل، و بيّن أنّ التقوى سبب للكرامه و علو المنزله عند اللّه، و ليس هناك شىء آخر من الأموال والحسب والنسب والمقام والمنصب يضاهى التقوى أو يعطى لفرد ميزه عن غيره. فالتقوى - إذاً - مصدر الفضائل كلها (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللّهِ أَتْقاكُمْ) .(۱۳)

۱- - سوره الأعراف (۷)، الآيه ۹۶.

۲- - الراغب الاصفهانى، مفردات ألفاظ القرآن، ص ۸۸۱.

۳- - سوره البقره (۲)، الآيه ۱۸۹.

۴- - سوره الأنفال (۸)، الآيه ۲۹.

۵- سوره الأعراف (۷)، الآيه ۲۰۱.

۶- - سوره آل عمران (۳)، الآيات ۱۲۰ و ۱۲۵.

۷- سوره البقره (۲)، الآيه ۱۹۴؛ سوره النحل (۱۶)، الآيه ۱۲۸.

۸- - سوره الأعراف (۷)، الآيه ۳۵.

۹- سوره النمل (۲۷)، الآيه ۵۳؛ سوره الزمر (۳۹)، الآيه ۶۱؛ سوره فصلت (۴۱)، الآيه ۱۸.

۱۰- - سوره الأعراف (۷)، الآيه ۹۶؛ سوره الطلاق (۶۵)، الآيات ۲ و ۴؛ سوره الليل (۹۲)، الآيات ۵-۷.

۱۱- سوره النور (۲۴)، الآيه ۵۲.

۱۲- سوره آل عمران (۳)، الآيه ۷۶.

۱۳- سوره الحجرات (۴۹)، الآيه ۱۳.

من الطبیعی أنّ المتقی لایرتکب حراماً و لایترک واجباً، بل یحتاط حتی عند الشبهات.

قال أمیرالمؤمنین علیه السلام: «لا وَرَعَ کالوُقُوفِ عِنْدَ الشُّبْهَه».(۱) و من المعروف أنّ التقوی فوق الإیمان.(۲) و نُقل أنّ الإمام جعفر بن محمد الصادق علیه السلام قال للمفضّل بن عمر: «اِنّ قَلیلَ الْعَمَلِ مَعَ التّقْوی خَیْرٌ مِنْ کَثیرِ الْعَمَلِ بِلاتَقْوی» وهنا یقول المفضّل: إنّی سألت الإمام کیف یکون العمل الکثیر بلا تقوی. فقال: مثل الرجل یطعم الطعام و یرفق بجیرانه، و لکن إذا فتح له باب من الحرام دخل فیه. فهذا العمل بلا تقوی، و لکن هناک من لیست عنده هذه الخصال غیر أنه لو فُتِح له باب الحرام لم یدخل فیه.(۳)

و ممّا یروی فی هذا المجال أنّ رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم وقف بعد معرکه بدر علی قتلی المشرکین فقال: إنا قد وجدنا ما وعدنا ربّنا حقّاً فهل وجدتم ما وعدکم ربّکم حقّاً؟ فقال المنافقون: إنّ رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم یکلّم الموتی. فنظر إلیهم فقال: لو أُذن لهم فی الکلام لقالوا:

«نعم و إنّ خیر الزاد التقوی».(۴)

و کان رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم متی ما ودّع المؤمنین قال لهم: «زَوّدکُمُ اللّه التّقوی».(۵) و قال علی بن أبی طالب علیه السلام فی جواب من سأله: فأی عمل أفضل؟ قال: التقوی.(۶)

و قال الإمام محمد الباقر علیه السلام: التقوی وصیه اللّه فیکم و فی الذین من قبلکم. قال اللّه عزّوجلّ: (وَ لَقَدْ وَصَّیْنَا الَّذِینَ أُوتُوا الْکِتابَ مِنْ قَبْلِکُمْ وَ إِیّاکُمْ أَنِ اتَّقُوا اللّهَ) .(۷)

و فی ضوء ما ورد آنفاً یمکن أن نفهم بوضوح أکثر معنی قول أمیرالمؤمنین علیه السلام: «التُّقی رئیسُ الأخلاق»(۸) لأنّ من یتحلّی بالتقوی قادر فی کل الأحوال والظروف علی صیانه نفسه و حفظها من الذنوب والآثام.

۱- – الشریف الرضی، نهج البلاغه، الحکمه ۱۱۳، ص ۴۸۸.

۲- – الکُلینی، الکافی، باب فضل الإیمان علی الإسلام، ج ۲، ص ۵۱.

۳- المصدر السابق، ص ۷۶، الحدیث ۷.

۴- الصدوق، من لایحضره الفقیه، باب التعزیه، ج ۱، ص ۱۱۴، الحدیث ۵۳۶.

۵- – الحرّ العاملی، وسائل الشیعه، آداب السفر، الباب ۲۹، ج ۱۱، ص ۱۸۰، الحدیث ۱.

۶- الصدوق، من لایحضره الفقیه، ج ۴، ص ۳۸۳، ح ۵۸۳۳.

۷- الکُلینی، الکافی، ج ۳، ص ۴۲۳، الحدیث ۶.

۸- – الشریف الرضی، نهج البلاغه، الحکمه ۴۱۰، ص ۵۴۸.

۷ – الاعتزاز بالنفس

الإنسان ينفر من الذلّ بطبعه، و يميل إلى العزّ. و هذه خصله واضحه عند جميع الناس.

و فی النظام الأخلاقی الإسلامی یتطلب التحلّی بالأخلاق الحسنه أن یکون الشخص معتزاً بنفسه و لایقبل بالذل والحقاره أمام الغیر. و لاینبغی لمؤمن أن یذلّ نفسه فی مقابل الآخرین، أو یبیع ماء وجهه أو یمتهن کرامته و یکون مدعاه للسخریه. و لا مسوّغ لأحد باحتقار نفسه واستصغارها أمام الغیر. إنّ التواضع شیء والذل شیء آخر. والتحلّی بحسن الخُلق لایدعو إلی سحق الکرامه والاستهانه بالذات. قال عزَّ من قائل: (وَ لِلّهِ الْعِزَّهُ وَ لِرَسُولِهِ وَ لِلْمُؤْمِنِینَ) . (۱) والمؤمن ینبغی أن یتّصف بالشموخ والاعتزاز بالنفس، و بالصلابه فی مقابل الأعداء و أهل الختل والخداع، و أن یکون فی منتهی الحزم والجد فی التعامل مع الأُمور، و لاینبغی لأحد أن یتّصف بالمیوعه والتفاهه والخضوع لتأثیر الآخرین، أو یکون أداه فی أیدیهم.

جاء فی حدیث شریف: لایحق لأحد إراقه ماء وجهه بذریعه أنّ خیار کل شیء بیده، و من حقّه أن یفعل ما یحلو له، خاصّه من کَسَبَ کرامته عن طریق الدّین، فهو لایحق له هتک کرامته بأی ثمن کان، أو فی مقابل شیء تافه. قال الإمام الصادق علیه السلام: «وَ لاتَکُنْ فظّاً غلیظاً یکره الناس قُربَک و لاتَکُنْ واهناً یُحقّرُک مَنْ عَرَفَک».(۲)

و جاء فی حدیث آخر: «إنَّ اعْظَمَ النّاسِ قَدْراً مَنْ لایَرَی الدُّنْیا لِنَفْسِه خَطَراً».(۳) و قال الإمام علی علیه السلام فی وصیه لابنه الحسن: «اَکْرِمْ نَفْسَکَ عَنْ کُلّ دَنیّهٍ وَ إنْ ساقَتْکَ الَی الرّغائب فَانَّکَ لَنْ تَعْتاضَ بِما تَبْذُلُ مِنْ نَفْسِکَ عِوَضاً، وَ لاتَکُنْ عَبْدَ غَیْرِک وَ قَدْ جَعَلَکَ اللّهُ حُرّاً».(۴)

۱- – سوره المنافقون (۶۳)، الآیه ۸.

۲- الحرّانی، تُحف العقول، ص ۳۰۴.

۳- – الکُلینی، الکافی، ج ۱، ص ۱۹؛ الحرّانی، تُحف العقول، ص ۳۸۹.

۴- الشریف الرضی، نهج البلاغه، الکتاب ۳۱، ص ۴۰۱؛ النوری، المیرزا حسین، مستدرک الوسائل، الباب ۳۳ من أبواب الصدقه، ج ۷، ص ۲۳۱ و ۲۳۲؛ الحدیث ۷.

لایلیق بمسلم أن یتّصف بصفات دنیئه کالتملّق والذل والهوان، حیث ورد هذا المعنی فی حدیث قاله جعفر بن محمد الصادق علیه السلام و هو: «إنّ الحرَّ حُرٌّ علی جَمیعِ احْوالِه».(۱)

ورد فی القرآن الکریم ثناء علی جماعه من المؤمنین ممن عرفوا باسم أصحاب الصُفّه، حیث وصفهم بما یلی: إنهم علی درجه عالیه من الاعتداد بالنفس والعزّه بحیث أنهم لایسألون أحداً و لایطلبون من أحدٍ شیئاً رغم فقرهم، بل إذا رآهم من لایعرفهم یحسب أنهم أغنیاء من التعفف.(۲)

روی أنّ الإمام علی علیه السلام قال: «رَضیَ بالذُلِّ من کشفَ عن ضُرّه».(۳) و روی عن الإمام جعفر الصادق علیه السلام أنه قال: لیس من أخلاق المؤمن التملّق والحسد إلّافی طلب العلم.(۴)

۸ – الأُسره التربویه

من خصائص الأدیان السماویه أنها تعرض فی ما یتعلق بالشؤون التربویه أسوه عملیه لتعالیمها الأخلاقیه والسلوکیه. والأسوه تعنی تقدیم شیء أو أحد بمثابه دلیل یُقتدی به.

والاقتداء بأحد یعنی السیر علی خطاه واحتذاء دربه فی المعتقد والقول والسلوک. وتکمن ضروره الأسوه العملیه فی الأخلاق فی أنّ الإنسان ربّما یعجز عن تشخیص وتطبیق الأُطر العامه الموضوعه لهذا الغرض، أو أنه قد یقع عند ممارستها عملیاً فی الإفراط أو التفریط.

و لعل البعض قد تدفعه الرغبه فی اکتساب المعنویه، إلی أسالیب الریاضه الروحیه الشاقه بأکثر ممّا هو مطلوب، أو ربّما بما یتنافی مع الشرع أحیاناً. و فی مثل هذه الحالات التی یُحتمل فیها الشطط عن حدِّ الاعتدال، أو یُحتمل فیها عدم فهم المسائل و تطبیقها بشکل صحیح، یصبح من الضروری وجود الأُسوه التی تساعده عند التأسی بها علی انتهاج مسلک أخلاقی خالٍ من النقص والزلل. و قد کان الأنبیاء أئمه هدی صالحین، نصبهم اللّه للناس

۱- الکُلینی، الکافی، ج ۲، ص ۸۹، الحدیث ۶.

۲- کما جاء فی سوره البقره (۲)، الآیه ۲۷۳.

۳- – الشریف الرضی، نهج البلاغه، الحکمه ۲، ص ۴۶۹.

۴- النوری، المیرزا حسین، مستدرک الوسائل، الباب ۱۱۹ من أحکام العشره، ج ۹، ص ۸۱، الحدیث ۴.

علماً و أسوه يُستدل بهم على ما أنزله من تعاليم سماويه. و فى القرآن الكريم بعد أن استعرض فى سوره الأنعام سلسله الأنبياء مع ذكر أسماء بعضهم، توجّه بالخطاب إلى النبىّ محمد صلى الله عليه و آله و سلم قائلاً: (أُولئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُداهُمُ اقْتَدِهْ) . (۱) والملاحظه ذات الأهميه البالغه فى هذه الآيه هى أنه تعالى لم يقل حين دعا إلى الاقتداء بالأنبياء: «فبهم اقتده» أى اقتدِ بهم، و إنّما أمر بالاقتداء بهديهم و قال: (فَبِهُداهُمُ اقْتَدِهْ) و هذه إشاره إلى أنّ ميزتهم الهدايه من اللّه، و هذا هو ما ينبغى أن يؤخذ بنظر الاعتبار عند الاقتداء والتأسى بالأسوه.

إذاً ينبغى التأسى بمن يتّصفون بجانب إيجابى و بمن تتوفر فيهم فضيله بارزه. و لابد أن يكون التأسى عن وعى و إراده، و بقصد الاستفاده المعنويه والسمو الأخلاقى.

كل الأنبياء أسوه حسنه للناس فى كل الجوانب الدينيه والأخلاقيه والاجتماعيه، و لكن القرآن الكريم وصف اثنين منهم بعلو المرتبه والأهليه للتأسى بهما: و أحدهما خليل اللّه إبراهيم عليه السلام الذى قال فيه تعالى: (قَدْ كانَتْ لَكُمْ أُسْوَهٌ حَسَنَهٌ فِى إِبْراهِيمَ وَ الَّذِينَ مَعَهُ) ، (۲) والآخر هو خاتم الأنبياء نبيّنا محمد صلى الله عليه و آله و سلم الذى قال فيه تعالى: (لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ اللّهِ أُسْوَهٌ حَسَنَهٌ لِمَنْ كانَ يَرْجُوا اللّهَ وَ الْيَوْمَ الْآخِرَ وَ ذَكَرَ اللّهَ كَثِيراً) .(۳)

استعرض القرآن الكريم سيره أُناس صالحين آخرين غير الأنبياء، وجعل منهم أُسوه يتأسى بهم الناس، و يمكن أن نذكر منهم اسمى امرأتين عظيمتين: إحداهما آسيه زوجه فرعون، والأُخرى مريم بنت عمران أُم عيسى عليه السلام: (وَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ... * وَ مَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرانَ) .(۴)

كانت آسيه زوجه رجل يدّعى الربوبيه و لايرى أحداً أعلى من نفسه، و كانت نزعته الاستكباريه تأبى عليه حتى الاستماع إلى كلمه الحق أو التفكّر فيها. و كان يشق بطون الحوامل و يقتل ما فيها من الأجنّه مخافه أن يولد مَن يشكّل خطراً على حُكْمه فى المستقبل. و قد جابه فرعون النبىّ موسى عليه السلام و مارس كل أنواع الأذى ضد أتباعه والمؤمنين به. و فى ختام الأمر غرق عند ملاحقته لهم فى البحر، و بقى جسده آيه داله على

۱- – سوره الأنعام (۶)، الآيه ۹۰.

۲- – سوره الممتحنه (۶۰)، الآيه ۴.

۳- سوره الأحزاب (۳۳)، الآيه ۲۱.

۴- سوره التحريم (۶۶)، الآيتان ۱۱-۱۲.

قدره اللّه. كانت آسيه زوجه مثل هذا الحاكم، و لكنّها فى الوقت نفسه استهانت بكل تلك الحياه الرغيده و آمنت باللّه و لم تقع تحت تأثير زوجها.(۱)

و أمّا بالنسبه إلى مريم فقد كانت امرأه طاهره، و قد وصفها اللّه بالطهر والعفاف،(۲)

و كانت أمّاً لنبيٍّ و كانت مطيعه للّه، و قد حملت بعيسى بنفخه إلهيه.(۳)

إنّ طهاره هاتين السيّدتين و طاعتهما للّه قد جعل منهما شخصيّتين مثاليّتين، بحيث ضرب اللّه بهما مثلاً للمؤمنين.

۹ – الثبات والمرونه فى القضايا الأخلاقيه

الفضائل الأخلاقيه فى النظام الأخلاقى فى الاسلام، من الثوابت التى لاتخضع لمستجدّات الأُمور. و لايجوز لأىّ كان أن يصوغ سلوكه الأخلاقى وفقاً لمقتضيات الظروف التى يعيش فيها. فان كان يعيش فى أجواء يغلب عليها طابع اللّاأُباليه يصبح لا أُبالياً، و إذا استلزمت النفاق نافق، و إن كان يغلب عليها السلوك الإيمانى انتهج أُسلوب الإيمان. إنّ الأخلاق خاصّه بالإنسان و يجب على الإنسان – حيثما كان – الالتزام بسلوك أخلاقى مبنى على المعايير الإنسانيه. و من الواضح أنّ الأُمور الأخلاقيه قد وضعت من أجل رقى الإنسان وتكامله، و هذا ما يمكن تحقيقه من خلال العمل والمعرفه، و لايمكن اعتباره خاضعاً للظروف.

و فى الوقت ذاته، تتصف بعض التعاليم الأخلاقيه بالمرونه و ينبغى الالتزام بها فى ضوء ما تتطلبه المصالح العامّه. و على الرغم من ثبات الأُمور الأخلاقيه، غير أنّ المقتضيات الاجتماعيه تتطلب أحياناً استبدال سلوك أخلاقى بسلوك أخلاقى آخر. نذكر من ذلك – على سبيل المثال – أنّ الصدق من القضايا الأخلاقيه الفائقه الأهميه، و لكن قد تعرض أحياناً مصلحه أهم تستدعى التغاضى عن الصدق. فلو كانت نفس إنسانيه محترمه معرّضه للخطر مثلاً يمكن عدم قول الصدق، بل يجب عدم الصدق.

۱– سوره التحريم (۶۶)، الآيه ۱۱.

۲– – سوره آل عمران (۳)، الآيه ۴۲.

۳– سوره التحريم (۶۶)، الآيه ۱۲.

يمكن فی الواقع أن يُقال بشأن القضايا الأخلاقيه التی تُستبدل بأُخری فی حالات استثنائيه: عندما يريد الإنسان أداء تكليفه الأخلاقی يكون أمامه أحياناً أمران متضادّان، فما العمل فی مثل هذه الحاله؟

عند إجراء تقييم أخلاقی دقيق للظروف، لابد من تقديم الأمر الأخلاقی الأعم مصلحه والأكثر فائده. و علی هذا الأساس، ينبغی القول بعباره أُخری: إنّ المكلّف لم يقع منه تخلّف عن أداء الأمر الأخلاقی من جهه، و من جهه أُخری فی حاله تعارض الأمرين، تمّ تقديم أحدهما علی الآخر رعايه لمصلحه أهم. و يجب بطبيعه الحال الالتزام بأقصی درجات الاحتياط فی مثل هذه الحالات، لكی لايُعطل أثناء ذلك أمر أخلاقی من غير مبرر، أو أن تؤدّی الغفله إلی وقوع المكلّف فی زلل.

۱۰ – شموليه النظام الأخلاقی فی الاسلام

اشاره

النظام الأخلاقی فی الإسلام ليس نظاماً احاديّ الجانب. فالإرشادات الأخلاقيه فی الإسلام لاتنحصر فقط فی الأمر بالابتعاد عن الدنيا واجتناب الناس والزهد والانهماك فی العباده، و إنّما أُخذت بنظر الاعتبار فی هذا النظام جميع جوانب الحياه الفرديه والاجتماعيه. فهذا النظام يهتم بتزكيه النفس من جهه، كما اهتم من جهه أُخری بالشعور بالمسؤوليه والإحساس بالواجب إزاء القضايا الاجتماعيه.

روی الإمام جعفر الصادق عليه السلام أو الإمام محمد الباقر عليه السلام: مرّ أميرالمؤمنين بمجلس من قريش، فإذا هو بقوم بيض ثيابهم، صافيه ألوانهم، كثير ضحكهم، يشيرون بأصابعهم إلی من يمرُّ بهم، ثم مرّبمجلس للأوس والخزرج فإذا قوم بليت منهم الأبدان، و دقت منهم الرقاب واصفرت منهم الألوان، و قد تواضعوا بالكلام، فتعجب علی عليه السلام من ذلك و دخل علی رسول اللّه صلی الله عليه و آله و سلم فقال: بأبی أنت و أُمّی إنی مررت بمجلس لآل فلان، ثم وصفهم، و مررت بمجلس للأوس والخزرج فوصفهم، ثم قال: و جميع مؤمنون. فأخبرنی يا رسول اللّه بصفه المؤمن. فنكس رسول اللّه صلی الله عليه و آله و سلم، ثم رفع رأسه فقال: عشرون خصله فی المؤمن فإن لم تكن فيه لم يكمل إيمانه، إن من أخلاق المؤمنين يا علی: الحاضرون الصلاه... جعلنا اللّه و أياكم

من المتقين.(۱) واستناداً إلى هذا الحديث يُعرف المؤمن بالعلامات التاليه: حضور صلاه الجماعه، المسارعه إلى دفع الزكاه، إطعام المساكين، المسح على رأس اليتيم، الاهتمام بالنظافه والطهاره، العفّه، الصدق فى نقل الحديث، الوفاء بالوعد، الأمانه، العباده فى الليل، المروءه والشجاعه فى النهار، كثره الصوم، عدم إيذاء الجار، التواضع فى المشى، تفقّد بيوت الأرامل، المشاركه فى تشييع الجنائز.

و هذا يعنى أنّ الإسلام لم يركّز فى تعاليمه الأخلاقيه على جانب واحد فقط من جوانب الحياه - مهما كانت أهميّته - و إنّما ركّز على جميع جوانبها.

هدف النظام الأخلاقى فى الاسلام

إنّ الغايه التى يهدف إليها النظام الأخلاقى فى الإسلام، هى السعاده الأبديه.(۲) و هذا ما يتحقق عن طريق الارتباط بعالم الغيب والاستعداد لسفر روحى و معنوى، والانطلاق نحو غايات ساميه. فالإنسان بطبعه، يميل إلى الكمال واللَّذه. والطريق إلى الكمال واللّذه، يتوقّف على ما يحمله المرء من نظره إلى الكَوْن والحياه. فمن ينظر إلى هذا العالم نظره ماديه ضيّقه لاتتعدى حدود المادّه والدنيا الزائله يطلب من الكمال واللّذائذ بما يتناسب مع هذه النظره الضيّقه. بينما إذا كانت لديه رؤيه تتجاوز فى مدياتها حدود عالم المادّه، فلابّد أن يسعى إلى كمال ولذّه أبعد من حدود هذا العالم.

لقد وجه الإسلام نزعه حُبّ الكمال وحُبّ السعاده عند الإنسان و أرشده إلى أهداف ساميه و نبيله من خلال المقارنه بين الأهداف والغايات الدنيويه الآنيه العابره والأهداف واللّذائذ الخالده فى الآخره.(۳)

۱- - الكُلينى، الكافى، ج ۲، ص ۲۳۲، الحديث ۵؛ الحرّ العاملى، وسائل الشيعه، الباب ۴ من أبواب جهاد النفس، ج ۱۵، ص ۱۸۸، الحديث ۱۵.

۲- - يبين القرآن ان طريق السعاده ينتهى إلى جنه الخلد، و طريق الشقاء ينتهى إلى الخلود فى جهنم. سوره هود (۱۱)، الآيات ۱۰۶-۱۰۸.

۳- سوره الأعلى (۸۷)، الآيتان ۱۶-۱۷.

أَسس النظام الأخلاقی فی الإسلام

هناک مجموعه من مبادیء النظام الأخلاقی فی الإسلام مرتبطه بالمبدأ، بینما ترتبط مجموعه أُخری منها بالمعاد، أمّا الإرشادات الأخلاقیه فمرتبطه بکلیهما، و إن بدا الکثیر منها کإرشادات اجتماعیه فی الظاهر. إنَّ التوجهات الأساسیه للسلوک الأخلاقی یجب أن تکون موجّهه صوب اللّه والتوحید، و إلّافإنها لن تکون مدعاه للرقی والتکامل. و من الطبیعی أنّ الإرشادات الأخلاقیه تؤدّی إلی خلق نظام اجتماعی سلیم أیضاً، بید أنّ الفارق الأساسی الذی یمیّز النظام الدینی عن سائر النظم الاجتماعیه، هو أنّ الاتجاه الأساسی لکل عمل فی ظل النظام الدینی هو اللّه، بینما الأمر لیس کذلک فی النظم غیر الدینیه.

فی النظام الدینی یُعتبر اللّه مصدر کل شیء و إلیه یعود کل شیء. و لابدّ للمؤمن أن یربط کل سلوکه باللّه ویُرجعه إلی اللّه. و هذا النمط من الرؤیه الکَوْنیه یفضی إلی ترصین الأُمور الأخلاقیه و وضعها فی الاتجاه الصحیح، و یخلق لدی الناس محفّزات للتمسّک بالقیم الأخلاقیه واجتناب کل ما یتعارض مع الأخلاق. أما بالنسبه إلی حسن أو قبح الأعمال، فهو یتقرر فی ضوء ما یتمخّض عنها من تأثیرات فی مختلف جوانب الحیاه، أو بعباره أُخری:

استناداً إلی تأثیرها فی سعاده أو شقاء الفرد.

لا یمکن لنظام أخلاقی أن یتبلور بمعزل عن النظام الفکری والعقائدی و فی هذا النظام الأخلاقی یجب أن تکون غایه الأفعال الأخلاقیه رضا اللّه، و إلّافستکون قیمتها الأخلاقیه ذات مستوی هابط، بل و قد تکون مضاده للقیم. نذکر من ذلک - علی سبیل المثال - أنّ الإنفاق علی المحتاجین یعتبر عملاً أخلاقیاً فی الظاهر، و لکن من وجهه النظر الإسلامیه یُعتبر هذا العمل ذا قیمه فیما إذا کان خالیاً من دوافع الریاء و من المَنّ والأذی، و إن لم تتوفر فیه هذه الشروط فهو مجرّد من القیمه الأخلاقیه: (یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقاتِکُمْ بِالْمَنِّ وَ الْأَذی کَالَّذِی یُنْفِقُ مالَهُ رِئاءَ النّاسِ وَ لا یُؤْمِنُ بِاللّهِ وَ الْیَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ کَمَثَلِ صَفْوانٍ عَلَیْهِ تُرابٌ فَأَصابَهُ وابِلٌ فَتَرَکَهُ صَلْداً لا یَقْدِرُونَ عَلی شَیْ ءٍ مِمّا کَسَبُوا) .(۱)

۱- سوره البقره (۲)، الآیه ۲۶۴.

يُستفاد من هذه الآيه، أنّ النيّه الخالصه هی التی تضفی علی العمل قیمه، و تجعل منه عملاً سامیاً و نبیلاً. و فی المقابل، فإنَّ مَثل من ینفقون أموالهم ابتغاء مرضاه اللّه و تثبیتاً لقلوبهم کمثل جنّه فی موضع مرتفع، فهطَلَ علیها مطر غزیر فأثمرت ضعف محصولها، و حتی لو لم ینزل مطر و فیر و نزل مطر قلیل، فهی تُثمر أیضاً.(۱) إنّ قیمه أی عمل صالح - حتی و إن کان من خیر الأعمال و أفضلها - یتوقّف علی النیّه المقصوده من ورائه. إذاً فالأعمال رهینه بنیّه فاعلیها. والنیّه الخالیه من الریاء هی التی تضفی علی العمل وجاهه، و تجعل منه باعثاً علی الکمال. أمّا الاعمال التی لایُراد بها وجه اللّه فلا قیمه لها، بل إنها تقطع السبیل المؤدّیه إلی اللّه. و قد یرتضی البعض مثل هذه الأعمال لنفسه و یکتفی بها بدلاً من المبادره إلی أعمال صالحه فیها رضاً للّه.

مکانه النظام الأخلاقی فی الاسلام

المفاهیم الأخلاقیه فی الإسلام، تابعه لنظام دینی. و هناک علاقه عمیقه بین المفاهیم الأخلاقیه، والقضایا الاجتماعیه والسیاسیه والاقتصادیه. و لایمکن فصل الأخلاق عن السیاسه و عن القضایا الاقتصادیه والاجتماعیه.

إنَّ کلّ واحد من أحکام الإسلام له موقعه فی الموضع المخصص له، و عدم وجوده فی موضعه یُعدُّ بمثابه نقص، و یؤدّی إلی عدم فاعلیه الأحکام الأُخری. نذکر مثلاً أنّ التزکیه تعنی(۲) تهذیب و إصلاح النفس، وقُرنت فی بعض الآیات القرآنیه المکّیه بإنفاق الأموال و بالتقوی.(۳) و أمّا فی السور المدنیه فغالباً ما قُرنت الزکاه بالصلاه. و لعلَّ السبب الکامن وراء استعمال هذه الکلمه فی القرآن هو أنّ إنفاق المال یجب أن یکون ذا منطلق أخلاقی، و بقصد تهذیب النفس وتزکیتها من الرذائل الأخلاقیه کالبخل والحسد، وتقویه ما فیها من فضائل أخلاقیه. و بهذا العمل تتحقق الغایه الأساسیه من وراء الزکاه و هی الطهاره والتهذیب:

۱- - سوره البقره (۲)، الآیه ۲۶۵.

۲- - سوره الأعلی (۸۷)، الآیه ۱۴؛ سوره الشمس (۹۱)، الآیه ۹.

۳- - سوره اللیل (۹۲)، الآیتان ۱۷ و ۱۸.

(خُذْ مِنْ أَمْوالِهِمْ صَدَقَهً تُطَهِّرُهُمْ وَ تُزَكِّيهِمْ بِها) .(۱)

لقد اعتبرت مجموعه الإرشادات الأخلاقيه والاعتقادات والفروع والأحكام العمليه بمثابه صفات للأبرار. و هذا يدلّ على أنّ الأُمور الأخلاقيه فى الإسلام قائمه على الإيمان و مستنده إلى ضمانه إيمانيه.

فالدين بلا أخلاق غير مجدٍ و لامؤثّر. و متى ما كان الإيمان ضمانه للإخلاق فإنّها تكون فاعله و مؤثّره. و متى ما اضمحلّ الإيمان الدينى تتراجع الفضائل الأخلاقيّه تبعاً له. و على العكس من ذلك متى ما ازدهر الإيمان والالتزام الدينى تزدهر على أثره الأخلاق أيضاً.

و هذا يعنى أنّ النظام الأخلاقى ينجح متى ما كان قائماً على الإيمان. و ذلك لأن الأخلاق تعنى بالدرجه الأُولى محاربه الرغبات الجامحه. و من الطبيعى أنّ التغلّب على أهواء النفس يتطلب سنداً و دعامه قويه، والقوّه الوحيده التى تتيح للإنسان التغلب على أهوائه النفسيه هى الإيمان والاعتقاد الدينى.

إنّ الإيمان باللّه يتغلغل فى أعماق النفس، و يجعل الإنسان يُسلّم قياده للّه. و ليس هناك من عنصر آخر كالضمير أو حُبّ أبناء الجنس البشرى له مثل هذا التأثير. والأخلاق لاتحظى بالثبات بلا قاعده دينيه و إيمانيه. والنماذج التى طرحها الإسلام لتكون أُسوه، كانت تمزج بين الأخلاق والعمل، والمعتقد والعباده، و ليس بمعزلٍ عنها.

من البديهى أنّ بعض الأُمور الأخلاقيه إلزاميه كإلزاميه الأحكام الدينيه الأُخرى، نذكر مثلاً إنّ وجوب الوفاء بالعهد(۲) و أداء الأمانه(۳) واجتناب الغيبه(۴) لايختلف عن وجوب الأوامر الشرعيه والحقوقيه والفقهيه؛ و بعضها قد تكون ذات طابع أخلاقى من جهه، و ذات طابع فقهى و حقوقى من جهه أُخرى. إنّ التعاليم الأخلاقيه قادره على تهذيب النفس، و كفيله بتكامل الفرد. و على من يبغى الكمال والرقى أن يأخذ بها و يلتزم بها بدقّه.

۱- سوره التوبه (۹)، الآيه ۱۰۳.

۲- - سوره الإسراء (۱۷)، الآيه ۳۴.

۳- سوره البقره (۲)، الآيه ۲۸۳.

۴- سوره الحجرات (۴۹)، الآيه ۱۲.

الأخلاق الفرديه

ينبغى فى ضوء ما سبق ذكره تصحيح التصوّر الذى يظهر الأخلاق و كأنّها ذات طابع اجتماعى صِرف، و أنّ جميع الإرشادات الأخلاقيه تتعلق بطريقه السلوك مع الآخرين.

فالأخلاق ذات طابع فردى من جهه و ذات طابع اجتماعى من جهه أُخرى. و تدلّ التعاليم الأخلاقيه بأن الأخلاق الاجتماعيه لاتكفى بمفردها لصياغه شخصيه الإنسان صياغه أخلاقيه، و إنّما التعاليم الأخلاقيه تنظم سلوك الإنسان مع الآخرين، و تنطوى فى الوقت ذاته على ما يقرّب الإنسان إلى ربّه. و على هذا الأساس فإنّ مجرّد تنظيم السلوك الأخلاقى مع الآخرين لايكفى للاتصاف بالأخلاقيه. فهناك قسم من السلوك الاجتماعى قد يكون حسناً و مفيداً للحياه الاجتماعيه، و لكنه غير مقبول دينياً. نذكر على سبيل المثال أنّ احترام الناس و مساعده المحتاجين منهم وتقديم العون المادّى للمعوزين، من أُمور الخير والإحسان، و هى مطلوبه، و لكن من وجهه النظر الدينيه تصحّ هذه الأعمال فيما إذا كان القصد منها التقرب إلى اللّه، و أن تكون خاليه من الرياء. ولو أدّى الإنسان أعمالاً كثيره بدون قصد التقرّب إلى اللّه فلن تصل به إلى الكمال والسمو. فالأخلاق هى السلوك الحسن مع العباد، و فضلاً عن ذلك لابدّ أن تقرّب الإنسان إلى اللّه.

من الأُمور المهمّه فى الأخلاق الفرديه اجتناب الخبائث وتطهير النفس منها، واستحضار نيّه التقرّب إلى اللّه فى الأعمال الفرديه والجماعيه، والإخلاص فى العمل، وخشوع القلب، والذكر، و آداب الأكل والنوم، والقناعه، و حالات القلب، والشكر والصبر، والخوف والرجاء، والزهد، والتوكل، والرضا بقضاء اللّه.

و يفهم من مجموع التعاليم الأخلاقيه فى الإسلام أنّ من يريد الرقى والتكامل فلابّد له من نظام يسير عليه. إذ لايمكن طى الطريق والسلوك المعنوى إلى اللّه من غير عمل مُنظّم.

فهناك إرشادات و تعليمات لكل ساعه من ساعات اللّيل والنهار، و هى تعبير عن هذا المعنى و تعد بمثابه منهاج يومى، و مثل هذه التعليمات والإرشادات لاينحصر هدفها فى الجانب الجماعى فقط، و إنّما وضعت لأجل اللحظات التى يعيش فيها الإنسان مختلياً بنفسه.

السلوک الشخصی

اشاره

أحد التعالیم الأخلاقیه للإسلام هو أن یکون لدی الشخص نظام و رؤیه مستقبلیه. إذ ینبغی للمؤمن أن ینظّم سلوکه الشخصی وفقاً للتعالیم الأخلاقیه التی دعا إلیها الدّین. و علیه أن لاینسی ربّه فی الخلوات، و أن یکون فی تفکیر دائم، و أن یستفید من عقله و فکره إلی أبعد ما یمکن. روی عن الإمام علی بن موسی الرضا علیه السلام أنه قال: إنّ العباده لیست فی کثره الصوم والصلاه، و إنّما فی کثره التفکیر فی أمر اللّه.(۱)

یجب علی المؤمن أن یسعی لتقویه إیمانه باللّه تعالی و أن یصل إلی حدّ الیقین.

وسیدرک عند ذاک بأن اللّه هو المدبّر لکل شؤون العالم و أنّ إرادته هی التی ترسم کل الحوادث. و حینذاک یتوکّل علیه فی کل أُموره، و یرضی بقضائه. جاء فی ما روی من الأحادیث أن الإمام الصادق علیه السلام سُئِل عمّا یُعرف به المؤمن، فقال: بالتسلیم للّه والرضا فی ما ورد علیه من سرور أو سخط.(۲)

و فی ضوء الحقیقه السالف ذکرها یتولد لدی الإنسان خوف من أن یقوم بعمل یؤدی إلی سخط اللّه علیه أو قطع رحمته عنه. و علی صعید آخر، بما أنّ اللّه أرحم الراحمین و یتکرّم علی عباده دوماً باللُّطف والرحمه، فقد یدفعه هذا التصوّر إلی تجاهل أداء فرائض الطاعه والعبودیه، و یقصّر فی أداء ما یجب علیه أداؤه انطلاقاً من الأمل برحمه اللّه الواسعه. و من المحتمل طبعاً أنّ حاله الرجاء بلا خوف والخوف بلا رجاء تؤدّی إلی إبعاد الإنسان عن النهوض بمهامّه و واجباته أو زرع الیأس فی نفسه. و کلا هاتین الحالتین تتعارضان مع روح التوحید. فالمؤمن یجب أن یعیش علی الدوام بین حالتی الخوف والرجاء. فقد نُقل أنّ الإمام الصادق علیه السلام سُئِل: ما کان فی وصیه لقمان لابنه؟ فقال: کان فیها الأعاجیب، و کان أعجب ما فیها أن قال لابنه: خِف اللّه عزّوجلّ خیفه لو جئته ببر الثقلین لعذّبک، وارجُ اللّه رجاء لو جئته بذنوب الثقلین لرحمک.(۳)

۱- الکُلینی، الکافی، ج ۲، ص ۵۵، الحدیث ۴.

۲- المصدر السابق، ص ۶۳، الحدیث ۱۲.

۳- الکُلینی، الکافی، ج ۲، ص ۶۷، الحدیث ۱.

المؤمن لایضیع وقته هباءً، و إنّما هو مشغول علی الدوام بذکر اللّه و بالعباده. و فی الوقت الذی یمارس فیه أعماله الیومیه لتمشیه و إداره شؤون أُسرته بشرف و کرامه، فإنه لایغفل عن ذکر اللّه. و هو یقوم بمساعیه فی الحیاه طاعه للّه و أداءً لِما هو مفروض علیه. و حتی ما هو مُباح من شؤون الحیاه یؤدّیه لوجه اللّه و بهدف نیل مرضاته.

الإنسان قد تنتابه الغفله و یبتعد عن المسار الإلهی فی خضم الحیاه الیومیه، و فی معترک الحیاه و مجابهه حلوها و مرّها، وربّما ینزلق و ینحدر فی شراک الشیطان. و لاجتناب مثل هذه المخاطر علیه أن یضع نظاماً یومیاً لمحاسبه نفسه؛ فإن عثر علی خطأ أو ذنب فی أعماله ندم وتاب وعزم أن لایعود إلیه، و إن وجد عملاً صالحاً شکر اللّه و طلب منه توفیق الاستزاده منه. روی عن الإمام موسی بن جعفر علیه السلام أنه قال: «لَیْسَ منّا مَنْ لَمْ یُحاسب نفسَهُ فی کلِّ یَوْمٍ فَإن عَمِل حَسَناً اسْتَزادَ اللّهَ و انْ عَمِلَ سَیِّئاً اسْتَغْفَرَ اللّهَ مِنْهُ وَ تابَ إلَیْه».(۱)

و إن وجد فی نفسه قصوراً أو تقصیراً فی عمل الخیر، بادر إلی تلافی ما سلف منه.

و بالإضافه إلی ما یعزم علیه من عدم تکرار الذنب و عدم الوقوع فی شراک الشیطان، علیه أن یراقب نفسه و یکون بمثابه العین الساهره علی سلوکه و أفعاله مخافه الانحراف عن المسار الإلهی. فالغفله عن هذه المهمه قد تُبعد الإنسان عن سبیل اللّه.

إنّ لکلٍّ مِن النهوض والجلوس، والمشی والنوم و ما شاکل ذلک آداباً، و کل واحده منها تستدعی ذکر اللّه و شکره. وردت فی الروایات تأکیدات علی التحرّی عن حلّیه الطعام والشراب، و أن یُبدأ بتناولها بذکر اسم اللّه،(۲) و غسل الیدین(۳) إضافه إلی الرضا بما یتناوله من الطعام. و أن یتناول لُقماً صغیره، و یضع الطعام فی فمه بیده الیُمنی، و أن یتأنی و لایتعجّل فی الأکل. قال الإمام الصادق علیه السلام أطیلوا الجلوس علی الموائد فإنّها ساعه لاتُحسب من أعمارکم.(۴) و یجب مضغ الطعام جیّداً، و بعد الانتهاء من الطعام یحمد اللّه،

۱- – المصدر السابق، ص ۴۵۳، الحدیث ۲.

۲- – الکُلینی، الکافی، باب التسمیه والتحمید، ج ۶، ص ۲۹۲.

۳- المصدر السابق، باب الوضوء قبل الطعام، ص ۲۹۰.

۴- – الطبرسی، حسن بن فضل، مکارم الأخلاق، الفصل الثالث فی آداب الأکل، ج ۲، ص ۳۰۵، الحدیث ۳.

و أن ينوى نيّه صالحه لتناول الطعام و بقصد التقوّى على طاعه اللّه. و أن لايكثر من الطعام، و يقوم عنه قبل أن يشبع منه. قال الإمام محمد بن على الباقر عليه السلام فى ذم كثره الأكل: إنّ أبغض الأشياء إلى اللّه البطن المملوء.(۱) و يكره أن يأكل الشخص زاده وحده. فقد كان من سيره النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم أنه لم يأكل وحده.(۲)

و عند أكل الطعام مع جماعه يُكره النظر إلى طعام الآخرين. و إذا كان على مائده الطعام أشخاص من ذوى الفضل لاينبغى البدء بالأكل قبل أن يبدأوا. و ينبغى أيضاً مؤاكله الآخرين و مراعاه حالهم و عدم رفع اليد عن الطعام قبلهم، و يستحسن الابتعاد عن التصنّع والمجاملات الزائده.

و كما تلاحظون فإنَّ كل هذه الارشادات والآداب والمستحبّات والمكروهات قد وردت بشأن الطعام وحده، فهكذا الحال أيضاً بالنسبه إلى بقيه السلوك الفردى؛ إذ إنّ له آدابه، و يجدر بالمؤمن التحلّى بهذه الآداب فى سلوكه الشخصى.

الإخلاص

الإخلاص هو تطهير النيه والعمل عن أيه شائبه مناقضه للتوحيد، والإخلاص سرّ من الأسرار الإلهيه توهب للمحبوبين من العِباد. و هذه الحاله يجب أن تعم جميع الشؤون الفرديه والاجتماعيه، و لكن بما أنّ مثواها و مقرّها ذات الإنسان، فهى حاله فرديه تماماً.

للإخلاص مكانه رفيعه بين التعاليم الدينيه، و عليه يتوقف أحياناً تأثيرها وصحّتها. و له من التأثير درجه بحيث أنّ مَن يُخلص للّه أربعين يوماً تثبت الحكمه فى قلبه و ينطق بها لسانه،(۳) والاخلاص يؤدى أيضاً إلى عجز إبليس عن إغواء الإنسان.(۴)

و بالإخلاص - كما يقول أميرالمؤمنين عليه السلام - يكون الخلاص.(۵) ثم إنّ قبول الأعمال عند اللّه و حتى الصالح منها، مشروط بإخلاص النيّه فيها للّه. روى عن الإمام الصادق عليه السلام أنه

۱- - الكُلينى، الكافى، ج ۶، ص ۲۷۰، الحديث ۱۱.

۲- الطبرسى، مكارم الأخلاق، ص ۳۲.

۳- الكُلينى، الكافى، ج ۲، ص ۱۶، الحديث ۶.

۴- سوره الحجر (۱۵)، الآيه ۴۰.

۵- - الحرّ العاملى، وسائل الشيعه، الباب ۸، مقدمه العبادات، ج ۱، ص ۵۹، الحديث ۲.

قال: «قال اللّه عزّوجلّ: انَا خَيْرُ شـريكٍ؛ مَنْ اشْـرَكَ مَعِى غَيْرى فى عَمَله لَمْ اقْبَلْهُ الّا ما كان لى خالِصاً».(۱) إنّ أفضل الأعمال إن كان فاقـداً للنيّه لا خير فيه و لا فائده منه، و حتى من يقتلون فى ميادين الجهاد قيل فيهم: يؤتى يوم القيامه بمن قُتل فى سبيل اللّه، فيقال:

مـا فعلت، فيقول: قاتلتُ فى سبيل اللّه حتى قُتلت، فيقال: بل قاتلت ليُقال فلان شُـجاع جرىء.(۲) و هـذا يعنى أنّ المعيار فى قبول الأعمـال حتى الجهاد فى سبيل اللّه رهين بأن يكون القصـد فيه للّه. فإن كان القصـد للّه فهـذا العمل يبلغ بصاحبه أعلى الرتب، و إلّافلا ينال أى مقام حتى و إن قتل فى ساحه المعركه.

العُجب

العُجب: هو أن يكون المرء مغتراً أو معجبـاً بـذاته و بأفعـاله و بخاصّه العباديه. و كل مَن يشـعر بالعلو والتفوّق على غيره و يعجب بنفسه يُقال دخله العُجب. و مثل هـذه الحاله تُحـدث لدى الإنسان الكِبْر. و إذا كان الإنسان يستشـعر فى ذاته أفضـليه على غيره و ظهر ذلك فى سلوكه، فذلك يُسمّى كِبْراً، و قد يصل إلى حد الاستكبار. و هذا طبعاً من الأخلاق الذميمه.

و حتى لو كَتم هذا الشعور داخل ذاته، فهذا مذموم أيضاً؛ لأن مثل هذا الشعور يحجبه عن السعى إلى الكمال. قال الإمام الصادق عليه السلام: «من دَخَلَهُ العُجب هلك».(۳) و ذكر الإمام محمد الباقر عليه السلام ثلاثه أشياء، واعتبرها من دواعى هلاك الإنسان و هى: البخل، والهوى، و إعجاب المرء بنفسه.(۴)

و نظراً إلى ما ينطوى عليه العُجب من خطر شديـد على المؤمن، فقـد حـذّر منه رسول اللّه صـلى الله عليه و آله و سـلم قائلاً: لولا الذنب خير للمؤمن من العُجب ما خلّى اللّه بين عبده المؤمن و بين ذنب أبداً.(۵)

۱- – المصدر السابق، ص ۶۱، الحديث ۹.

۲- – النورى، الميرزا حسين، مستدرك الوسائل، الباب ۱۲، مقدمه العبادات، ج ۱، ص ۱۱۱، الحديث ۷.

۳- – الحُرّ العاملى، وسائل الشيعه، باب ۲۳ من أبواب مقدمه العبادات، ج ۱، ص ۱۰۱، الحديث ۸.

۴- المصدر السابق، ص ۱۰۳، الحديث ۱۳.

۵- المصدر السابق، ص ۱۰۴، الحديث ۱۹.

العُجب یوقع الإنسان فی وهم الصلاح والتقوی، و هذا مما یُبعده طبعاً عن سبیل اللّه.

و مثل هذه الحاله تثیر طمع الشیطان فیه، و یستدرجه إلی منزلقات بعیده عن ربّه. و وجود مثل هذه الحاله فی الإنسان یُطمع الشیطان فیه و بالنتیجه یبتعد عن ربّه و یسوء ظنّه بسائر عباد اللّه. و هذا یختلف طبعاً عن البهجه التی تنبعث فی نفسه علی أثر توفیقه فی عباده اللّه.

إنّ الجهل والغفله یدفعان الإنسان إلی الغرور. والصحه، والسلامه، والذکاء، والمال، والجاه، والحسب والنسب، والأولاد، والقدرات، بل و حتی الأوهام أحیاناً تکون مدعاه للغرور وسوق الإنسان إلی مرتع الشیطان. وهنا ینبغی الانتباه والابتعاد عن الغفله.

الجاه و حُبّ الشهره

إنَّ حبّ الشُهره رغبه نابعه من ذات الإنسان. و إذا لم تلجم هذه الرغبه تتمخض عنها نتائج خطیره؛ إذ إنها تعیقه عن المسیر نحو الغایه الإلهیه، و تلقیه فی حبائل الشیطان. فإنّ مَن یروم الشهره یسعی إلی أن یُعرف بین الناس بأی ثمن کان. ثم إنّ هذه الرغبه تقوده تدریجیاً إلی محاوله إخضاع سائر الناس لطاعته بالقوّه. و من هنا ینبثق الجور والطغیان. لا مانع طبعاً إذا جاءت الشهره بشکل تلقائی و لوجه اللّه، و إذا استثمرت لمقاصد إلهیه. إنّ الجاه والصیت من مصائد إبلیس و یجب الحذر منه، فقد قال النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم: کفی بالرجل أن یُشار إلیه بالأصابع.(۱)

و لمّا کان الصیت والشهره یجعلان الإنسان عرضه للکثیر من المنزلقات فلابّد من اجتنابها و ترجیح أن یکون مغموراً بین الناس. فقد ورد فی مناجاه عن الإمام علی بن الحسین السجاد علیه السلام قال فیها: اللهم لاترفعنی فی الناس درجه إلّاحططتنی عند نفسی مثلها، و لاتحدث لی عزّاً ظاهراً إلّاأحدثت لی ذله باطنه عند نفسی بقدرها.(۲) و جاء فی حدیث عن رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم أنه قال: حُبّ المال والجاه ینبتان النفاق فی القلب.(۳) و قال

۱- النوری، المیرزا حسین، مستدرک الوسائل، الباب ۵۱ من أبواب جهاد النفس، ج ۱۱، ص ۳۸۷، الحدیث ۱۷.

۲- - الصحیفه السجّادیه، دعاء مکارم الأخلاق، الرقم ۲۰، ص ۱۰۰.

۳- - الشهید الثانی، کشف الریبه عن أحکام الغیبه، ص ۹۳.

الإمام الصادق علیه السلام فی هذا المعنی: ملعون من ترأس، ملعون من هم بها، ملعون من حدّث بها نفسه.(۱)

حُبّ الدنیا

الأجواء التی نعیش فیها و تسمّی الدنیا، هی عباره عن إمکانات و مقدّرات ماديه.

والمقدّرات وسائل الحیاه و لایمکن استمرار الحیاه بدونها. و هی کلها نعم إلهیه یضعها اللّه تحت تصرّف العباد مدّه من الزمن. و وجودها ضروری و لا مندوحه منه، و لکن فی الوقت نفسه ورد فی التعالیم الدینیه الکثیر فی ذم الدنیا واللّهاث وراءها والحرص علیها والتحلّق بها؛ لأن هذه السلوکیه تعیق الإنسان أحیاناً عن السعی نحو الکمال. فحلاوه الدنیا فی نظر الإنسان تجعله شدید التعلّق بها و غیر مستعد للخروج منها. و حبّ الدنیا یوقع الإنسان فی المنزلقات، و یبعده عن أهدافه الإنسانیه السامیه. فقد جاء فی کلام للنبی عیسی علیه السلام: طالب الدنیا مثل شارب ماء البحر، کلّما ازداد شرباً ازداد عطشاً حتی یقتله.(۲)

و هناک سؤال قد یتبادر إلی أذهان البعض و هو: هل الدنیا غیر ذات قیمه حقّاً؟ و لماذا کل هذه المذمه لها والحث علی اجتنابها؟ والجواب عن ذلک هو أن للدنیا معنیین: «الدنیا بمعنی النعم الإلهیه»، و «الدنیا بمعنی التعلق بها والانشداد إلیها». نأتی هنا علی شرح کل واحد من هذین المعنیین علی حده:

۱ - إن کان المقصود من الدنیا هی مخلوقات هذا العالم و ما فیه مِن نِعَم یستفید منها الإنسان و یتنعم بها فلا بأس بها. فالدنیا موضع یعیش فیه الناس، و هی موضع تعلیم و تربیه وعباده اللّه و بلوغ الکمال. و هذا المعنی للدنیا شیء جیّد، بل لولاها لَما کان هناک إیمان، وتقویً، و کمال، بل لَما کان هناک معنیً للآخره.

روی أنّ أمیرالمؤمنین علیه السلام سمع رجلاً یذمّ الدنیا فقال له: «أَیُّهَا الذَّامُّ لِلدُّنْیَا الْمُغْتَرُّ

۱- الکُلینی، الکافی، ج ۲، ص ۲۹۸، الحدیث ۴.

۲- ورام بن أبی فراس، مجموعه ورام، ج ۱، ص ۱۴۹.

بِغُرُورِهَا الْمَخْدُوعُ بِأَبَاطِيلِهَا أَ تَغْتَرُّ بِالدُّنْيَا ثُمَّ تَذُمُّهَا أَنْتَ الْمُتَجَرِّمُ عَلَيْهَا أَمْ هِيَ الْمُتَجَرِّمَهُ عَلَيْك مَتَى اسْتَهْوَتْك أَمْ مَتَى غَرَّتْكَ. ثم قال: إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ صِدْقٍ لِمَنْ صَدَقَهَا وَ دَارُ عَافِيَهٍ لِمَنْ فَهِمَ عَنْهَا وَ دَارُ غِنًى لِمَنْ تَزَوَّدَ مِنْهَا وَ دَارُ مَوْعِظَهٍ لِمَنِ اتَّعَظَ بِهَا مَسْجِدُ أَحِبَّاءِ اللَّهِ وَ مُصَلَّى مَلائِكَهِ اللَّهِ وَ مَهْبِطُ وَحْيِ اللَّهِ وَ مَتْجَرُ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ اكْتَسَبُوا فِيهَا الرَّحْمَهَ وَ رَبِحُوا فِيهَا الْجَنَّهَ».(۱)

و ممّا روی عن الإمام الصادق علیه السلام أنه قال فی وصف الدنیا: نعم العون الدنیا علی الآخره.(۲) و قال أیضاً لیس منا مَن ترک دنیاه لآخرته، أو ترک آخرته لدنیاه.(۳)

۲ – و أمّا إذا کان المراد من الدنیا، التعلّق بها والانشداد إلیها والشره إلی ما فیها من زینه و طعام و شراب و مال و جاه، بحیث یتخذ المرء من هذه الأُمور غایه یسعی إلیها، فهذا هو الشیء المذموم الذی ینبغی اجتنابه؛ لأنّ مثل هذه التعلّقات تجعل المرء فی غفله عن ذکر اللّه، و عن الغایه الأساسیه التی جُعلت له و هی بلوغ الکمال و بناء الآخره.

و بعباره أُخری: إذا نُظر إلی الدنیا کمقدمه و وسیله و مزرعه للآخره، فهی شیء قیّم و لا مذمّه لها، و لکن إذا اتّخذ أحد من الدنیا غایه و هدفاً کالمسافر الذی یشغله النظر إلی مشهد جمیل عرض له فی الطریق عن الوصول إلی المقصد، أو یستغرق فی الانشغال فی المنازل التی یمرّ بها حتی کأنّه لیس بمسافر و کأنّ تلک هی داره. ویُفهم فی ضوء ما ذکر أنّ الدنیا المذمومه هی ما تُتخذ هدفاً بالمقارنه مع الآخره. قال أمیرالمؤمنین علیه السلام: «مَنْ ابْصَرَ بِها بَصَّرَتْهُ وَ مَنْ ابْصَرَ الَیْها اعْمَتْهُ»(۴) و علی هذا فإنّ الانتفاع من الدنیا فی هذا السیاق والتنعّم بنعمها غیر منهی عنه، بل بالعکس هناک حث علیه و ترغیب فیه، کما قال اللّه عزّوجلّ فی کتابه الکریم: (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِینَهَ اللّهِ الَّتِی أَخْرَجَ لِعِبادِهِ وَ الطَّیِّباتِ مِنَ الرِّزْقِ، قُلْ هِیَ لِلَّذِینَ آمَنُوا فِی الْحَیاهِ الدُّنْیا خالِصَهً یَوْمَ الْقِیامَهِ) .(۵)

۱- الشریف الرضی، نهج البلاغه، الحکمه ۱۳۱، ص ۴۹۲.

۲- الصدوق، من لایحضره الفقیه، باب المعایش، ج ۳، ص ۱۵۶، الحدیث ۳۵۶۷.

۳- المصدر السابق، الحدیث ۳۵۶۸.

۴- – الشریف الرضی، نهج البلاغه، الخطبه ۸۲، ص ۱۰۶.

۵- سوره الأعراف (۷)، الآیه ۳۲.

الزهد

الزهد هو الاستهانه بالدنيا و عدم الرغبه فيها. و قد وردت تأكيدات كثيره على الزهد.

فمن ذلك قول رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم: «إزهد فى الدنيا يحبّك اللّه»(۱) و قال الإمام الصادق عليه السلام:

«مَنْ زَهِدَ فى الدُّنيا، اثْبَتَ اللّهُ الْحِكْمَهَ فى قَلْبِه».(۲) والزهد مقام رفيع يبلغ بالإنسان درجات عليا من المعنويه. و قال الإمام على عليه السلام فى وصف الزهد: «الزهد ثروه».(۳)

و حقيقه الزهد هى الإعراض عن شىء إلى ما هو أفضل منه. و هذا يعنى أنّ الزهد لايعنى الإعراض عن كل شىء. و لايعنى الشعث و لبس الأطمار. و لا هو التشبّه بالمتسوّلين والتظاهر بالمرض والغول. و إنّما الزهد، هو عدم الانكباب على الدنيا و عدم التعلّق بها.

الزاهد من يعيش فى هذه الدنيا و يتمتع بنعيمها، و لكنّه يرى نفسه كالمسافر الذى لا تطول إقامته فيها، و عليه أن يستعد للسفر إلى مقصد آخر. والزاهد من يعيش فى هذه الدنيا و بما فيها من نعم و مقدّرات من غير أن يتعلّق بها إلى الحد الذى يعيقه عن مواصله سفره. جاء فى روايه عن إمام معصوم قال فيها: «اِعمَلْ لِدُنياك كاَنّكَ تَعيشُ ابَداً واعْمَلْ لِآخِرَتِك كانّكَ تَموتُ غَداً».(۴)

هناك فارق أساسى بين الزهد والرهبانيه. الرهبانيه بدعه مذمومه. و قد تحدّث القرآن الكريم عن الرهبانيه واصفاً إياها: (وَ رَهْبانِيَّهً ابْتَدَعُوها ما كَتَبْناها عَلَيْهِمْ إلاَّ ابْتِغاءَ رِضْوانِ اللّهِ فَما رَعَوْها حَقَّ رِعايَتِها) ؛ (۵) لأن الرهبانيه تعنى الإعراض عن كل شىء، بينما لم يحرم الإسلام الزينه والرزق الطيّب الحلال، بل حثّ عليها و دعا إليها،(۶) و لكن إذا كان الانشغال

۱- - «ازهد فى الدنيا يُحبَّك اللّهُ»، سنن ابن ماجه، ج ۲، ص ۱۳۷۴، الحديث ۴۱۰۲.

۲- - الكُلَينى، الكافى، ج ۲، ص ۱۲۸، الحديث ۱.

۳- الشريف الرضى، نهج البلاغه، الحكمه ۴، ص ۴۶۹.

۴- النورى، الميرزا حسين، مستدرك الوسائل، الباب ۲۵ من أبواب الطهاره، ج ۱، ص ۱۴۶، الحديث ۱؛ الصدوق، من لا يحضره الفقيه، باب المعايش، ج ۳، ص ۹۴، الحديث ۴.

۵- - سوره الحديد (۵۷)، الآيه ۲۷.

۶- - سوره الأعراف (۷)، الآيه ۳۲.

بالدنیا وزینتها و نعیمها مدعاه للتوقف عن التکامل، فهو یعتبر فی مثل هذه الحاله مخالفاً للزهد. و هذا ما حذّر منه القرآن الکریم فی الآیه الشریفه: (یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لا تُلْهِکُمْ أَمْوالُکُمْ وَ لا أَوْلادُکُمْ عَنْ ذِکْرِ اللّهِ وَ مَنْ یَفْعَلْ ذلِکَ فَأُولئِکَ هُمُ الْخاسِرُونَ) (۱).

قال المفسّرون: إنّ النبیّ جلس یوماً فذکّر الناس و وصف القیامه، فرقَّ الناس و بکوا.

واجتمع عشره من الصحابه فی بیت عثمان بن مظعون، واتفقوا علی أن یصوموا النهار، و یقوموا اللیل، و لاینام‌وا علی الفرش، و لایأکلوا اللحم، و لایقربوا النساء والطیب، و یلبسوا المسوح، و یرفضوا الدنیا، و یسیحوا فی الأرض، وهمّ بعضهم أن یَجُبَّ مذاکیره. فبلغ ذلک رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم فأتی دار عثمان، فلم یصادفه، فقال لامرأته: أحق ما بلغنی عن زوجک و أصحابه؟ فقالت: یا رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم إن کان أخبرک عثمان فقد صدقک. فانصرف رسول اللّه.

فلمّا دخل عثمان، أخبرته بذلک، فأتی رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم هو و أصحابه، فقال لهم رسول اللّه:

ألم أنبئکم أنکم اتفقتم علی کذا و کذا؟ قالوا: بلی یا رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم، و ما أردنا إلّاالخیر.

فقال رسول اللّه: إنی لم أؤمر بذلک. ثم قال: إن لأنفسکم علیکم حقاً، فصوموا و أفطروا، و قوموا و ناموا، فإنی أقوم و أنام، و أصوم و أفطر، و آکل اللحم والدسم، و آتی النساء، و من رغب عن سنّتی، فلیس منّی. ثم جمع الناس وخطبهم، و قال: ما بال أقوام حرّموا النساء، والطعام، والطیب، والنوم، و شهوات الدنیا؟ أما إنّی لست آمرکم أن تکونوا قسیسین و رهباناً، فإنه لیس فی دینی ترک اللحم، و لا النساء، و لا اتخاذ الصوامع، و إن سیاحه أُمتی الصوم، و رهبانیتهم الجهاد، اعبدوا اللّه، و لاتشرکوا به شیئاً، و صوموا رمضان، واستقیموا یستقم لکم، فإنما هلک من کان قبلکم بالتشدید: شدّدوا علی أنفسهم، فشدّد اللّه علیهم، فأولئک بقایاهم فی الدیارات والصوامع. فأنزل اللّه الآیه: (یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَیِّباتِ ما أَحَلَّ اللّهُ لَکُمْ وَ لا تَعْتَدُوا) .(۲)

(۳)

و قال أمیرالمؤمنین علیه السلام: «إنّ أَفْضَلُ الزُّهْدِ إِخْفَاءُ الزُّهْد».(۴) و إذا کان زاهداً فی الدنیا

۱- سوره المنافقون (۶۳)، الآیه ۹.

۲- سوره المائده (۵)، الآیه ۸۷.

۳- الطبرسی، مجمع البیان، ج ۲، ص ۲۳۵ و ۲۳۶.

۴- - الشریف الرضی، نهج البلاغه، الحکمه ۲۸، ص ۴۷۲.

لا یصح منه أن یظهر ذلک؛ لأن الزهد عدم رغبه، واظهار هذه الصفه ریاء و دلیل علی التعلّق بالدنیا. و یجب أنّ یکون الزهد بالاختیار لا بالإجبار. فإنّ الزهد فی الدنیا یجعل المرء یستهین بالمصائب(۱) و قد قیل: لا زهد کالزهد فی الحرام.(۲)

القناعه

القناعه هی الاکتفاء بمقدار الحاجه. و أصل هذه الکلمه من القناع الذی یُغطّی به الرأس، و تُطلق کلمه قانع علی الفقیر الذی یستر فقره علی اعتبار أنه یقنّعه.(۳) و تأتی کلمه القناعه فی مقابل الطمع بمال الغیر. والغایه من هذا المبدأ الأخلاقی هی أن یجتنب الإنسان الطمع والحرص، و أن یکتفی فی منهج حیاته بما هو مُتاح له من امکانیات و مقدّرات محدوده، و لکن بعض الناس ممّن لا ـ قناعه لهم یوقعهم طمعهم فی الذل والهوان. بینما القناعه تجعل حیاه الإنسان هادئه و خالیه من الهواجس والمنغّصات.

قال الإمام علی علیه السلام فی مواعظه: «إِنْ أُعْطِیَ مِنْهَا لَمْ یَشْبَعْ وَ إِنْ مُنِعَ مِنْهَا لَمْ یَقْنَعْ»(۴)

و قال علیه السلام فی موضع آخر فی وصف القناعه: «کَفَی بِالْقَنَاعَهِ مُلْکاً»؛ و ذلک لأنّ القانع یحفظ ماء وجهه و لایقع فی الذل والمهانه. و قال فی تفسیر الآیه الشریفه: (فَلَنُحْیِیَنَّهُ حَیاهً طَیِّبَهً) (۵) هی القناعه.(۶) عنه أیضاً: «عز من قنع و ذلّ من طمع». و قال أیضاً فی روایه أُخری: «من قنع عزّ واستغنی».(۷) و جاء فی حدیث عن رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم: «القناعه کنز لا یَفنی».(۸)

۱- الشریف الرضی، نهج البلاغه، الحکمه ۳۱، ص ۴۷۲.

۲- المصدر السابق، الحکمه ۱۱۳، ص ۴۸۸.

۳- - الراغب الاصفهانی، مفردات ألفاظ القرآن، ص ۶۸۵ و ۶۸۶.

۴- - الشریف الرضی، نهج البلاغه، الحکمه ۱۵۰، ص ۴۹۷.

۵- - سوره النحل (۱۶) الآیه ۹۷.

۶- الشریف الرضی، نهج البلاغه، الحکمه ۲۲۹، ص ۵۰۸.

۷- - الآمدی، غُرَر الحِکَم، ج ۲، ص ۷۱۵.

۸- النوری، المیرزا حسین، مستدرک الوسائل، ج ۱۵، ص ۲۲۶.

الصبر

إنّ عوادی الدهر و ما یکتنفه من سرّاء وضرّاء، و کذلک مواجهه الذنوب، قد تبعد الإنسان أحیاناً عن الطریق القویم، فتزل قدمه عن طریق اللّه من غیر أن یشعر و یقع فی حبائل الشیطان. و انطلاقاً من ذلک فقد وردت إرشادات و وصایا موکّده تحث علی الصبر والثبات علی طریق الحق، و عدم الانجراف إلی مهاوی النزوات. والصبر یعنی سعه الصدر والقدره علی تحمّل الشدائد والحوادث المریره. و قد فسّر الخواجه نصیرالدّین الطوسی الصبر بضبط النفس ولجمها عن الجزع فی الملمّات.(۱)

الصبر لیس موقفاً سلبیاً واستسلاماً مطلقاً للحوادث، و هو لایعنی الخمود والجمود والانهیار أمام الشدائد، و إنّما هو عباره عن جهد حثیث وسعی دؤوب لحل عقده مستعصیه والعثور علی سبیل للتخلّص من منعطف ضیّق، و من مأزق عصیب، مع التحمّل و عدم الجزع، والصبر یصنع إنساناً صلباً یخوض غمار الحیاه بجَلَدٍ و یعالج صعاب الأُمور بأناه و تدبیر. و من ثمار شجره الصبر الحلم و کظم الغیظ.

إنَّ الغایه من تهذیب النفس سحق الأهواء والتحرر من النزوات. و هذا بطبیعه الحال یستلزم ضرباً من المشقّه و ترویض النفس، و لابُدّ له من صبر وثبات. و لاشکّ فی أنّ الصبر یحصّن النفس بوجه الأهواء، و یطبعها علی تحمل الشدائد. و للصبر درجات تتناسب مع مراتب المصاعب. و قد یکون الصبر تاره فی مواجهه المصائب والمعضلات، و قد یکون تاره أُخری صبراً علی الطاعه، و یکون تاره ثالثه صبراً عن المعصیه و محاربه هوی النفس.

جاء فی حدیث عن رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم أنه قال: «الصبرُ ثلاثهٌ: صَبرٌ عِنْدَ المُصیبَهِ وَ صَبرٌ عَلَی الطّاعهِ و صَبرٌ عَنِ الْمعصیَه».(۲)

و فی ضوء الحدیث الآنف الذکر ندرک معنی قول الإمام الصادق علیه السلام: «الصبرُ من الإیمان بمنزلهِ الرأسِ من الجسد».(۳) فعندما یُقطع الرأس یَفنی الجسد، و کذلک الصبر إذا

۱- الطوسی، نصیرالدّین، اوصاف الاشراف، ص ۱۰۸، الفصل ۵، الباب ۳.

۲- الکُلینی، الکافی، ج ۲، ص ۹۱، الحدیث ۱۵.

۳- - المصدر السابق، ص ۸۷، الحدیث ۲.

زال يزول الإيمان. و قد روى أحد أصحاب الإمام الصادق عليه السلام أنه سمعه يقول ذات مرّه:

«الحرُّ حرٌّ على جميع أحواله؛ إن نابته نائبه صبر لها، و إن تداكّت عليه المصائب لم تكسره... فاصبروا و وطِّنوا أنفسكم على الصبر تؤجروا».(۱) والصبر من صفات الأنبياء.(۲) و قد أمر اللّه تعالى النبيّ محمد صلى الله عليه و آله و سلم بالصبر، فى قوله: (وَ اصْبِرْ حَتّى يَحْكُمَ اللّهُ) .(۳)

والصبر لايتنافى طبعاً مع الشكوى للّه والتضرّع بين يديه، مثلما حصل للنبى أيوب عليه السلام؛ إذ أنّ اللّه تعالى ضرب به المثل فى الصبر والثبات: (إِنّا وَجَدْناهُ صابِراً نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوّابٌ) (۴) ولكّن ذلك لم يمنعه من الشكوى إلى اللّه حين قال: (أَنِّى مَسَّنِيَ الشَّيْطانُ بِنُصْبٍ وَ عَذابٍ) .(۵)

الدعاء والتوسل

أحد التعاليم المؤكّده فى الإسلام هو الدعاء. والدعاء هو طلب شىء من اللّه، و لابد طبعاً أن يكون ذلك الشىء أسمى من أُمور الحياه العاديه كأَنّ يكون طلب المُثُل والمبادىء الصحيحه، و طلب التحلّى بالأخلاق الفاضله والصفات ذات القيمه المعنويه. والدعاء التزام و توجّه و تصميم على عدم الانسياق وراء أُمور تافهه و غرائز حيوانيه. والدعاء وسيله للارتباط الروحى باللّه عزّوجلّ.

و من الطبيعى أنّ ما يطلب فى الدعاء هو الأُمور التى يكون فيها خير وسعاده للفرد والأُسره والمجتمع. و لهذا فلابّد من تعلّم الدعاء و مضامينه المعنويه من ذوى العلم والفضل.

والأدعيه المأثوره لدينا، ذات وقع و تأثير على النفس و ترقى بالروح ببديع الكلمات وسمو المضامين. والروح تتأثر عاده بالدعاء حتى و كأَنّها ماثله بين يدى ربّها و به لائذه.

۱- – المصدر السابق، ص ۸۹، الحديث ۶.

۲- – سوره الأنعام (۶)، ۳۴؛ سوره الأنبياء (۲۱)، الآيه ۸۵؛ سوره ص (۳۸)، الآيه ۴۴.

۳- سوره يونس (۱۰)، الآيه ۱۰۹.

۴- – سوره ص (۳۸)، الآيه ۴۴.

۵- سوره ص (۳۸)، الآيه ۴۱.

جاء فی روایه نقلها الإمام علی بن موسی الرضا علیه السلام عن رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم أنه قال:

«الدعاء سلاحُ المؤمن و عِمادُ الدّین و نُورُ السَّمواتِ والأرض».(۱) و وصف الإمام جعفر الصادق علیه السلام الدعاء بأنه مفتاح کل رحمه و نجاح فی کل طلبه، و لایحصل أحد علی ما عند اللّه إلّابالدعاء.(۲) و جاء فی القرآن الکریم فی بیان أهمیه الدعاء: (وَ إِذا سَأَلَکَ عِبادِی عَنِّی فَإِنِّی قَرِیبٌ أُجِیبُ دَعْوَهَ الدّاعِ إِذا دَعانِ فَلْیَسْتَجِیبُوا لِی وَ لْیُؤْمِنُوا بِی لَعَلَّهُمْ یَرْشُدُونَ) .(۳)

و علی هذا الأساس فإنَّ الدعاء والتوسّل وارتباط الإنسان بربّه بتوجیه من الدّین و فی ضوء القواعد الاعتقادیه، یهدی الإنسان إلی ربّه من خلال تعلیمه کلمات و مفاهیم معیّنه.

و هذا یمنح الإنسان شوقاً و اندفاعاً و یغرس فیه انشداداً و تحرّکاً. و لهذا فالدعاء سُنّه من سنن اللّه و حرکه فی طریق تکامل الإنسان، واجابته تأتی أیضاً ضمن هذا السیاق و وفقاً لهذه القاعده. لقد جاءت أغزر مضامین الأدعیه فی القرآن الکریم و فی کلمات أهل البیت علیهم السلام. فسوره الحمد تدعونا إلی التضرّع للّه خمس مرّات فی الیوم: (اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِیمَ * صِراطَ الَّذِینَ أَنْعَمْتَ عَلَیْهِمْ غَیْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَیْهِمْ وَ لاَ الضّالِّینَ) . (۴) و تتنوّع هذه الأدعیه والمطالیب فی آیات أخری حتی تمتد إلی غفران الذنوب،(۵) والهدایه إلی الصلاح،(۶) و تمنّی خیر الدنیا والآخره سویه،(۷) والخلاص من الظالمین.(۸) کما تضمّنت الأدعیه الوارده عن أهل البیت مثل دعاء کمیل، و دعاء أبی حمزه الثمالی، و دعاء مکارم الأخلاق، معارف و موضوعات مثل معرفه اللّه، و معرفه الإنسان، والمبادیء الأخلاقیه، والأصول الاجتماعیه، و حقوق الأفراد علی بعضهم، و بیان المُثُل والقیم الإنسانیه، و یتوضح فیها سمو المطالیب المعنویه.

۱- – الصدوق، عیون أخبار الرضا، ج ۲، ص ۳۷، الحدیث ۹۵؛ المجلسی، بحارالأنوار، ج ۹۰، ص ۲۸۸، الحدیث ۱.

۲- – الطبرسی، الحسن بن الفضل، مکارم الأخلاق، الفصل الاول فی فضل الدعاء، ج ۲، ص ۹.

۳- سوره البقره (۲)، الآیه ۱۸۶.

۴- – سوره الفاتحه (۱)، الآیات ۵-۷.

۵- – سوره آل عمران (۳)، الآیتان ۱۶-۱۷.

۶- سوره البقره (۲)، الآیه ۱۲۸.

۷- سوره البقره (۲)، الآیات ۲۰۰-۱۰۲.

۸- – سوره النساء (۴)، الآیه ۷۵.

ینبغی أن لایُظَنّ طبعاً بأنّ الـدعاء تهرّب من المسؤولیه، و نکول عن مجابهه الشدائد، واسـتبدال العمل والمثابره بالکلام والتوسّل، و إنّما الدعاء هو عباره عن محاوله لسدّ النواقص و نقاط الضعف التی ترافق العمل والتفکیر - اتکالاً علی قدره اللّه و طلباً للتوفیق والنجـاح منه - و نفهم من خلال الأدعیه التی علّمنا إیاها نبیّنا و أئمتنا أنهم لم یلجأوا إلی الـدعاء کبـدیل عن الجهـد والمسؤولیه الاجتماعیه والاسـتفاده من المقـدّمات، و إنّما کانوا یحرصون علی توفیر کل المقـدّمات والأسـباب اللازمه لأی عمل، و یضـعون نصب أعینهم الخطه والمتطلّبات اللازمه لإنجاز ذلک العمل، و لکن کانوا یقدّمون علیه اتکالاً علی اللّه و من خلال الاستعانه به.

و علی صـعید آخر یقترن الـدعاء أحیاناً بالتوسل بأناس لهم وجاهه عنـد اللّه کالنبیّ والأولیاء، و هـذا لایتعارض مع التوحیـد؛ لأنّ التوسل بهم یعنی أننا نطلب العون منهم لمساعدتنا للارتباط باللّه. و هذا هو اعتماد الوسیله التی ذکرها اللّه فی کتابه الکریم:

(یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّهَ وَ ابْتَغُوا إِلَیْهِ الْوَسِـیلَهَ) . (۱) کما یخبرنا القرآن الکریم عن سـنّه أُخری و هی أنّ المسلمین فی صدر الإسـلام کانوا متی ما أذنبوا جاؤوا إلی النبیّ واسـتغفروا اللّه، و کان هو بدوره یستغفر لهم.(۲) و هناک دلیل یؤیـد هذا المعنی و هو أبناء یعقوب الذین جاءوا إلی أبیهم و قالوا: (یا أَبانَا اسْتَغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا إِنّا کُنّا خاطِئِینَ) .(۳)

و للـدعاء آداب منها: أن یکون بخشوع و أن لایکون بصوت عالٍ، لکی لایتسـبّب فی إزعاج الآخرین (وَ اذْکُرْ رَبَّکَ فِی نَفْسِـکَ تَضَرُّعاً وَ خِیفَهً وَ دُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَ الْآصالِ) ، (۴) و لایکون فیه تظاهر ورِیاء. و هذا المعنی أکّده القرآن الکریم فی الآیه المبارکه: (ادْعُوا رَبَّکُمْ تَضَرُّعاً وَ خُفْیَهً) .(۵)

۱- - سوره المائده (۵)، الآیه ۳۵.

۲- - سوره النساء (۴)، الآیه ۶۴.

۳- سوره یوسف (۱۲)، الآیه ۹۷.

۴- - سوره الأعراف (۷)، الآیه ۲۰۵.

۵- سوره الاعراف (۷)، الآیه ۵۵.

الأخلاق الأسَرِيّه

اشاره

من الجوانب الأُخرى للأخلاق حسن المعاشره مع أفراد الأُسره، والتعامل الحسن بين الزوج والزوجه و بين الأبناء والوالدين.

الأُسره هى الحِجر الذى يتربّى فيه الإنسان و تتكامل شخصيته. و بين أحضان الأُسره يُصاغ تفكير الإنسان و تدیّنه. و نظراً إلى أهميه الأُسره فى تكوين الشخصيه، فقد أبدى الإسلام اهتماماً واضحاً بها. و شرّع لهذا الأمر أحكاماً فقهيه و حقوقيه أوردناها فى الموضع المناسب من هذا الكتاب، كما وضع له تعاليم أخلاقيه. و لكل واحد من أعضاء الأُسره حقوق يجب على بقيه الأعضاء رعايتها. والتعاضد والتكافل بين أعضاء الأُسره يؤدّى بهم إلى الرقى. و لاشكّ فى أنّ تجاهل هذه الأُمور و عدم الانسجام بين أعضاء الأُسره يحول دون تقدّمهم مادياً و معنوياً. و إذا فقد التعاون بين أعضاء الأُسره الواحده أو غلبت عليهم النزاعات فَسوف يكرّس كل واحد منهم جهوده من أجل إفشال الآخر.

من الطبيعى أنّ لكلٍّ مِن الأب والأم والأولاد والأقارب مكانته و موقعه فى هذا الكيان، كما تقع على كل واحد منهم مسؤوليات و واجبات إزاء الآخرين. و لايحق لأى منهم تجاهل دور و مكانه الأعضاء الآخرين، أو التهاون فى أداء ما عليه من مسؤوليات إزاءهم.

إنّ القرابه توجب نوعاً من المسؤوليه فضلاً عما تمثّله من رابطه إنسانيه. و لايمكن لمن تربطهم علاقات قربى أن يتجاهلوا بعضهم و يتعاملوا كالغرباء، و إنّما يجب أن يشاركوا بعضهم فى السرّاء والضرّاء. و كل مسلم مسؤول عن أقربائه على قدر وسعه. و قد شرّع الإسلام أحكاماً و وضع إرشادات للمحافظه على صلات القربى، و ألزم المسلمين برعايتها.

الزوج والزوجه

يؤلف الزوج والزوجه كيان الأُسره، و من الطبيعى أن تتأثر أخلاق بقيه أعضاء الأُسره وسلوكها واعتقاداتها بما يتّصف به الأبوان. والأبوان يتأثران عاده بأخلاق و معتقدات و

آراء بعضهما، و يؤثران فی صياغه سلوک و أخلاق و آراء و معتقدات أبنائهما. و هذا ما يستدعی منهما الدقّه والحذر فی الأقوال والأفعال. و کلما کان الأبوان يعيشان حياه قويمه وسليمه کان ذلک مفيداً فی بناء شخصيه الأولاد.

من الطبيعی أن يکون هناک اختلاف فی الأذواق بين الزوج والزوجه إزاء مختلف الموضوعات، غير أنّ الحياه الزوجيه و ما ينشأ عنها من رباط وثيق و محبّه تجعلهما يتغاضيان عن الکثير من الاختلافات. و قد بيّن القرآن أنّ المحبّه التی تنشأ بعد الزواج بين شخصين لم تکن بينهما أيه علاقه سابقاً، من آيات اللّه: (وَ مِنْ آياتِهِ أَنْ خَلَقَ لَکُمْ مِنْ أَنْفُسِکُمْ أَزْواجاً لِتَسْکُنُوا إِلَيْها وَ جَعَلَ بَيْنَکُمْ مَوَدَّهً وَ رَحْمَهً إِنَّ فِی ذلِکَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَکَّرُونَ) .(۱)

و رغم کل ذلک يبقی هناک احتمال لنشوء اختلافات بين الرجل والمرأه، خاصه فی بدايه تکوين الاُسره حيث لم يکونا قد عرفا بعد طبائع بعضهما بشکل جيّد. و إذا لم تُعالج اختلافات الزوجين، تسری تأثيراتها المدمّره إلی الأبناء والأقارب بل حتی إلی المجتمع.

الطفل الذی ينشأ فی اُسره يسودها الاضطراب والمشاکل و کثره النزاع بين الوالدين، سوف يتّصف بعدم الاتّزان و يغلب عليه القلق والهواجس، و هذا يحول دون ازدهار ما لديه من طاقات. و من الطبيعی أن تؤدی الضغوط النفسيه و عدم الاستجابه لمتطلّباته المشروعه إلی تراکم العقد فی نفسه، و عندما يبلغ سن الشباب و يدخل فی الحياه الاجتماعيه تنعکس هذه العقد المکبوته علی شکل سلوک غير مرضٍ قد يتجسّد أحياناً علی شکل تضاد مع الآخرين، أو ربّما يوقع الشخص فی الجريمه و حبّ المغامره.

إنّ أکثر السلوک الاجتماعی السلبی يعود فی جذوره إلی تصرّفات أفراد الاُسره الأکبر سنّاً. فالذين لايسلکون سلوکاً حسناً فی البيت لکی يتعلّم منهم الأطفال هم المسؤولون عن اعوجاج سلوک أبنائهم.

و نظراً إلی أهميه الاُسره والجو الأُسری السليم فی تربيه الأبناء، فقد رکّز القرآن الکريم

۱- سوره الروم (۳۰)، الآيه ۲۱.

على اصلاح شؤون الأُسره و حلّ ما يبرز من اختلافات بين الزوج والزوجه. فقد أوصى القرآن الكريم بكتمان الاختلافات الأُسريه جهد الإمكان و أن يحاول الزوجان حلّها بتدبير و بما فيه مصلحه الأُسره لكى لاتُهتك حرمه الأُسره وتُفشى أسرارها. فقد وردت فى القرآن الكريم التوصيات التاليه: (وَ إِنِ امْرَأَةٌ خافَتْ مِنْ بَعْلِها نُشُوزاً أَوْ إِعْراضاً فَلا جُناحَ عَلَيْهِما أَنْ يُصْلِحا بَيْنَهُما صُلْحاً وَ الصُّلْحُ خَيْرٌ وَ أُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَ إِنْ تُحْسِنُوا وَ تَتَّقُوا فَإِنَّ اللّهَ كانَ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيراً) .(۱)

ويُفهم من هذه الآيه، أنّ البخل والشحَّ من الأسباب التى تخلق الأزمات بين أفراد الأُسره، و تدفعهم إلى التنازع والخِصام. و يمكن تبديد مثل هذه المخاطر بالإحسان والتقوى.

و أمّا إذا لم يفلح الزوجان فى حلّ ما ينشب بينهما من اختلافات، فعليهما الاستعانه بالكبار من الأقارب لحلّها: (وَ إِنْ خِفْتُمْ شِقاقَ بَيْنِهِما فَابْعَثُوا حَكَماً مِنْ أَهْلِهِ وَ حَكَماً مِنْ أَهْلِها إِنْ يُرِيدا إِصْلاحاً يُوَفِّقِ اللّهُ بَيْنَهُما...) .(۲)

يجب أن تُبنى الحياه الأُسريه على التفاهم والانسجام. و لابُدّ من التضحيه و ترك الأنانيه فى محيط الأُسره أكثر و قبل أى مكان آخر. فقد عبّر القرآن الكريم عن أعضاء الأُسره ب «النفس» حين قال: (فَإِذا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللّهِ مُبارَكَةً طَيِّبَةً) (۳) و بدلاً من أن يقول: سلّموا على بعضكم، قال: سلّموا على أنفسكم؛ أى أن الأشخاص الذين فى البيت بمنزله أنفسكم. فالأب، والأُم، والزوجه، والأولاد، والأُخ، والأخت، و كل عضو من أعضاء الأُسره هم منكم وليسوا غرباء.

و مما ينبغى على الرجل أن لايتوانى و لايقصّر فى أداء ما فرضه عليه اللّه من حقوق الأولاد والعِيال، و عليه أن يسعى لتلبيه متطلّباتهم على قدر وسعه. و لايضيّع حقوقهم. قال الصادق عليه السلام: «كفى بالمر ء إثماً أنّ يضيّع مَن يَعولُ»(۴) و عليه أيضاً أن يصبر على ما قد يصدر من بعض أفراد الأُسره من أخطاء و أن يسعى إلى تقويمهم، و يحرص على تربيتهم

۱- سوره النساء (۴)، الآيه ۱۲۸.

۲- سوره النساء (۴)، الآيه ۳۵.

۳- - سوره النور (۲۴)، الآيه ۶۱.

۴- - الحرّ العاملى، وسائل الشيعه، ج ۱۷، ص ۶۸، الحديث ۸.

تربیه سلیمه إضافه إلی تلبیه متطلّباتهم والاهتمام بشؤونهم؛ فإنّه یُسأل یوم القیامه عنهم.

و قد أمر القرآن الکریم بما یلی: (یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَکُمْ وَ أَهْلِیکُمْ ناراً...) .(۱)

لاشکّ فی أنّ معاشره الصبیان والشبّان والنساء لها أُسلوبها الخاص. فلکل رجل أو امرأه، أولاد یعیشون معهم، و علیهم معرفه کیفیه تربیتهم و ما ینبغی تعلیمه لهم، و علیهم أن یلبّوا الصحیح من مطالیبهم، و أمّا غیر الصحیح منها فعلیهم توعیتهم بأضراره و مساوئه.

فربُّ الأُسره هو مطعمها و معلّمها و مدیرها الذی ینبغی أن یسیر بها قُدُماً و ینتهی بها إلی حسن الختام. و هذا طبعاً یعود علیه بثواب و فیر من ربّه.

علی الرجل أن یحترم زوجته. فقد ورد أنّ رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم قال: «خَیرُکُمْ، خَیرُکُمْ لنسائه و أنا خیرکم لنسائی»(۲) و کان هو صلوات اللّه علیه خیر الناس لأَهله.

الوالدان والأولاد

لاحترام الوالدین والإحسان إلیهما أهمیه بالغه. فقد جاء فی القرآن الکریم: (وَ وَصَّیْنَا الْإِنْسانَ بِوالِدَیْهِ حُسْناً) . (۳) و احترام الوالدین قضیه إنسانیه وردت تأکیدات کثیره علیها.(۴) و قد روی عن رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم حدیث قال فیه: «و طاعتهما واجبه إلّافی ما فیه معصیه للّه و لایحق للأولاد القیام حتی ببعض المستحبّات إلّابإذنهما» و قد أوصی اللّه خیراً بالوالدین خاصه فی الکبر، فقال: (إِمّا یَبْلُغَنَّ عِنْدَکَ الْکِبَرَ أَحَدُهُما أَوْ کِلاهُما فَلا تَقُلْ لَهُما أُفٍّ وَ لا تَنْهَرْهُما وَ قُلْ لَهُما قَوْلاً کَرِیماً) . (۵) و وردت فی هذا المجال روایه عن الإمام جعفر الصادق قال فیها: «لو علم اللّه أدنی من أفٍ لنهی عنه، فهذا الحد هو أدنی أنواع العقوق، و من العقوق أیضاً أن ینظر الرجل إلی والدیه بحدّه».(۶) یجب علی الولد ان

۱- سوره التحریم (۶۶)، الآیه ۶.

۲- الصدوق، من لایحضره الفقیه، ج ۳، ص ۴۴۳، الحدیث ۴۵۳۸.

۳- - سوره العنکبوت (۲۹)، الآیه ۸.

۴- - سوره البقره (۲)، الآیه ۸۳؛ سوره النساء (۴)، الآیه ۳۶؛ سوره الأنعام (۶)، الآیه ۱۵۱؛ سوره الإسراء (۱۷)، الآیه ۲۳؛ سوره لقمان (۳۱)، الآیه ۱۴؛ سوره الأحقاف (۴۶)، الآیه ۱۵.

۵- - سوره الإسراء (۱۷)، الآیه ۲۳.

۶- - الکُلینی، الکافی، ج ۲، ص ۳۴۹، الحدیث ۷.

يكلّم والديه بإجلال و إكرام، و حتى عند الاحتضار والوصيه عليه أن يخصص لهما مقداراً من ماله فى الوصيّه. فقد جاء فى القرآن: (كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلْوالِدَيْنِ وَ الْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ) . (۱) و عند الإنفاق على الفقراء تكون الأولويه للأب والأُم. (قُلْ ما أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوالِدَيْنِ وَ الْأَقْرَبِينَ) .(۲)

و مما يروى فى هذا المجال «أنّ رجلاً جاء إلى النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم و قال: يا رسول اللّه، إنّى راغب فى الجهاد، قال: فجاهد فى سبيل اللّه، فإنك إن تُقتل كنت حيّاً عند اللّه تُرزق، و إن متّ فقد وقع أجرك على اللّه، و إن رجعت خرجت من الذنوب كما ولدت. فقال:

يا رسول اللّه، إنّ لى والدين كبيرين يأنسان بى و يكرهان خروجى. فقال رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم: أقِم مع والديك، فوالذى نفسى بيده لأُنسُهُما بك يوماً و ليله خير من جهاد سنه».(۳) و قال على بن موسى الرضا عليه السلام: «إنّ اللّه أمر بثلاثه أشياء و قرن بها ثلاثه أُخرى و هى أنه أمر بالصلاه والزكاه معاً؛ فمن صلّى و لم يزكّ لاتُقبل صلاته، كما أمر تعالى بالشكر له و للوالدين، فالذى لايشكر والديه لايشكر ربّه...».(۴) و روى عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم أنه وصف النظر إلى الوالدين حُبّاً لهما بأنه عباده.(۵)

و من جانب آخر ينبغى أن يحترم الوالدان أبناءهما، و يسعيا فى تلبيه حاجاتهم. و لابد طبعاً من تعليم الأولاد، الآداب الدينيه والاجتماعيه، و تزويجهم و معاملتهم بالعدل. و هذه الأُمور من مسؤوليات الوالدين.

الأقارب

للأُسره مفهوم واسع يشمل جميع الأقارب السبَبِيين والنَسَبِيين. والقرابه متى ما تحققت أوجبت للقريب حقاً. و من اللازم طبعاً رعايه الأولويه فى درجات القربى. (وَ أُولُوا

۱- – سوره البقره (۲)، الآيه ۱۸۰.

۲- سوره البقره (۲)، الآيه ۲۱۵.

۳- – الكُلينى، الكافى، ج ۲، ص ۱۶۰، الحديث ۱۰.

۴- – الحرّ العاملى، وسائل الشيعه، الباب ۳ من أبواب تحريم منع الزكاه، ج ۹، ص ۲۵، الحديث ۲۵.

۵- المجلسى، بحارالأنوار، ج ۷۱، ص ۸۴، الحديث ۵۹ و ۶۰.

اَلْأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى بِبَعْضٍ فِی کِتابِ اللّهِ) . (۱) والقرابه توجد حقّاً إلی درجه أنّ اللّه تعالی أباح تناول الطعام من بیت الأب أو الأُمّ أو الأخ أو الأخت أو العم أو العمّه أو الخال أو الخاله أو ما کانت مفاتیحه بید الشخص.(۲)

صِلهُ الرَحم

أفراد الأُسره الکبیره لایعتبرون فی رأی الاسلام غرباء إذا کانوا متباعدین فی مناطق سکناهم. و أفراد الأُسره الواحده أقارب و أعضاء فی تلک الأُسره حتی و إن غادروا تلک الأُسره وتباعدت مساکنهم. وتقع علیهم مسؤولیات إزاء بعضهم، و یفترض أن یشارکوا بعضهم فی السرّاء والضرّاء، و یطّلعوا علی أحوال بعضهم. و لهذا طرحت فی الإسلام قضیه صله الرحم، و وردت تأکیدات کثیره علیها.

قال أمیرالمؤمنین علیه السلام فی الحثّ علی صله الرحم: «صِلوا ارحامَکُم ولو بالتسلیم، یقول اللّهُ تبارک و تعالی: (وَ اتَّقُوا اللّهَ الَّذِی تَسائَلُونَ بِهِ وَ الْأَرْحامَ) (۳)». (۴) و روی عنه أیضاً أنه قال: «صِلُوا ارْحامَکم وَ انْ قَطَعوکُمْ».(۵) و روی عن رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم أنه قال:

«إنّ أفضل الناس فی الدنیا والآخره من یعفو عمن ظلمه، و یعطی من حرمه، و یصل من أقاربه من قطعه».(۶)

و روی عن علی علیه السلام أنه قال: «أکرم عشیرتک فإنهم جناحک الذی به تطیر، و أصلک الذی إلیه تصیر، و یدک التی بها تصول».(۷) إنّ لصله الأرحام أهمّیه عظیمه، حتی أنّ تأثیرها یمتد إلی الآخره و یوجب سهوله الحساب علی الأعمال فی موقف القیامه،(۸) و أمّا

۱- – سوره الأنفال (۸)، الآیه ۷۵؛ سوره الأحزاب (۳۳)، الآیه ۶.

۲- سوره النور (۲۴)، الآیه ۶۱.

۳- – سوره النساء (۴)، الآیه ۱.

۴- الکُلینی، الکافی، ج ۲، ص ۱۵۵، الحدیث ۲۲.

۵- – الحرّ العاملی، وسائل الشیعه، الباب ۱۴ من أبواب جهاد النفس، ج ۱۵، ص ۲۲۳، الحدیث ۱۴.

۶- النوری، المیرزا حسین، مستدرک الوسائل، الباب ۹۶ من أحکام العشره، ج ۹، ص ۱۰، الحدیث ۳.

۷- – الشریف الرضی، نهج البلاغه، الکتاب ۳۱، ص ۴۰۵.

۸- – الطوسی، محمّد بن الحسن، تهذیب الأحکام، ج ۹، ص ۱۷۷، الحدیث ۱۴.

تأثيرها الدنيوى فهى تطيل العمر،(۱) و على العكس من ذلك يؤدّى قطع الرحم إلى قصر العمر.(۲)

الأخلاق الاجتماعيه

اشاره

يمكن إيجاز الأخلاق الاجتماعيه بأنها حسن معاشره الآخرين. و يتألف القسم الأعظم من حياه الناس من علاقاتهم الإنسانيه. وتكتسب العلاقه مع الآخرين أهمّيتها من جانبين:

تأثير العلاقه مع الآخرين على الإنسان نفسه، والحقوق التى تنشأ للآخرين على أثر تلك العلاقه، و خاصه المؤمنين منهم.

واحترام الإنسان لنفسه وللآخرين على رأس قائمه الأخلاق. و لاينبغى أن تطغى النزعات الذاتيه والأهواء النفسيه على العلاقات مع الآخرين، كأن يحاول الإنسان التباهى أو التكبّر على غيره.

و هناك أنواع أُخرى من السلوك الذى ينشأ من نزوات ذاتيه و يؤدى إلى الإساءه إلى الآخرين وهضم حقوقهم. و هو طبعاً سلوك غير أخلاقى و لابُدّ من اجتنابه. بل إنّ بعض التصرّفات قد تستسيغها النفس، و لكنها تؤدّى بالنتيجه إلى الإساءه إلى الغير والمساس بحقوقهم. و هذا أيضاً مما ينبغى الاحتراز منه.

الاسلام يدعو المؤمنين إلى حسن المعاشره و إقامه علاقات طيّبه فى ما بينهم، و يبدو أنه من غير الصحيح أن يكون كل مؤمن مشغولاً بشؤونه الخاصّه و منقطعاً عن الآخرين، فاللّه تعالى لايحب هذه الصفه. فالتعاليم الدينيه قد شرّعت على نحو يدعو إلى التواصل مع الآخرين، و هذا فضلاً عمّا فى بعض الأحكام والفرائض من جانب اجتماعى كصلاه الجماعه، والحج، و دفع الفرائض الماليه للمحتاجين و غير ذلك. و هناك تأكيدات كثيره تحثّ على المشاركه فى الحياه الاجتماعيه والتزاور بين المؤمنين.

۱- - الكُلينى، الكافى، ج ۲، ص ۱۵۰ إلى ۱۵۷.

۲- المصدر السابق، باب قطيعه الرحم، ص ۳۴۶.

قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم: «من زار أخاه فى بيته قال اللّه عزّوجلّ له: أنت ضيفى و زائرى».(۱)

العزله والتواصل

قد تكون للعزله الاجتماعيه نتائج مفيده فى السلوك الأخلاقى، إذ إنها تحول دون الكثير من الذنوب التى تقع عاده بين الجماعه كالغيبه والرياء، و لكنها فى الوقت ذاته تحرمه من المعطيات الإيجابيه للاجتماع، و لكن لو كانت العزله هى الحل الوحيد لهروب الإنسان من الذنوب، و كان الإنسان لايجنى من جرّاء وجوده فى الوسط الاجتماعى إلّاالذنوب فعليه الابتعاد عن المجتمع جهد المستطاع.

يتعلّم الإنسان من خلال العلاقات الاجتماعيه كثيراً من الأشياء و يستفيد من تجارب الآخرين، و يقدّم للآخرين ما لديه من معلومات. يتعلّم من الآخرين و يعلّمهم الأدب، و يفيدهم و يستفيد منهم. و هناك فى الوسط الاجتماعى فرص كثيره لأعمال الخير التى يمكن القيام بها والحصول على ثوابها. و فى ضوء ما سبق ذكره فإنّ الإسلام يرجّح الروح الاجتماعيه والتواصل على العزله والابتعاد عن المجتمع، و لكنّه فى الوقت ذاته حثّ المؤمنين على اجتناب آفات الاجتماع. إنّ مَن يعتزل المجتمع قد يبلغ مقامات معنويه رفيعه و يتخلّص - فى الوقت ذاته - من الهواجس والمشاكل الاجتماعيه، و لكنه يحرم نفسه قطعاً من فضيله الجهاد فى سبيل اللّه و خدمه الناس، و لا يحذو حذو الأنبياء والأولياء والأئمه. و هذه فضيله كبرى يخسرها المعتزلون.

حُسْنُ الخُلق

ينبغى تنظيم العلاقات بين الناس الذين يعيشون إلى جانب بعض، بشكل لايسيء إلى المبادىء الإنسانيه. و يفترض بالإنسان أن يعيش بين الناس بالنحو الذى وصفه

۱- المصدر السابق، ص ۱۷۶ و ۱۷۷، الحديث ۶.

أميرالمؤمنين عليه السلام و هو أن يبكوا عليه إذا مات و يحنّوا إليه إذا عاش.(۱) و وصف اللّه عزّوجلّ نبيّه بأنه على خلق عظيم: (وَ إِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ) . (۲) و جاء فى حديث نبوى وصف حسن الخلق بأنه أفضل ما أُعطى للإنسان، و أنه من موجبات دخول الجنّه.(۳)

و جاء فى كلام للإمام على بن الحسين السجاد عليه السلام عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم أنه قال: «ما مِن شىء أرجح من حسن الخلق عندما توزن الأعمال يوم القيامه».(۴) و قال الإمام محمد الباقر عليه السلام «إنّ حسن الخلق علامه على كمال الإيمان».(۵) و لاشكّ فى أنّ الثمره التى تُجنى من حسن الخُلق هى الأُلفه بين أفراد المجتمع.

قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام فى وصف حسن الخلق: «تُلينُ جانِبَكَ و تُطيبُ كلامَكَ و تَلقى اخاك بِبِشرٍ حَسَن».(۶) و مما ورد عنه عليه السلام أيضاً أنه قال «إنّ حسن الخلق من صفات الأنبياء».(۷)

علاقه الأُخُوَّه والإيمان

يعتبر الإسلام المؤمنين إخوه. و قد أبدى اهتماماً كبيراً بعلاقاتهم فى ما بينهم و حث على ذلك، و من جمله ما دعا إليه أن يكون هناك تآلف بين المؤمنين، و أن تزول كلُّ دواعى الأحقاد والجفاء.

قال أميرالمؤمنين عليه السلام فى وصف طبائع الناس: «قُلُوبُ الرِّجَالِ وَحْشِيَّةٌ فَمَنْ تَأَلَّفَهَا أَقْبَلَتْ عَلَيْهِ».(۸) وتآلف المؤمنين نعمه إلهيه عظمى جاد اللّه بها على رسوله: (لَوْ أَنْفَقْتَ ما فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ما أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَ لكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ) . (۹) و من خصائص المؤمن

۱- – الشريف الرضى، نهج البلاغه، الحكمه ۱۰، ص ۴۷۰.

۲- – سوره القلم (۶۸)، الآيه ۴.

۳- الفيض الكاشانى، المحجّه البيضاء، ج ۳، ص ۲۸۴.

۴- – المصدر السابق، ج ۳، ص ۲۸۹؛ الديلمى، إرشاد القلوب، ج ۱، ص ۱۳۳.

۵- – المجلسى، بحارالأنوار، ج ۶۸، ص ۳۷۳، الحديث ۱.

۶- – الصدوق، من لايحضره الفقيه، ج ۴، ص ۲۹۵، الحديث ۸۹۳.

۷- المجلسى، بحارالأنوار، ج ۷۱، ص ۳۹۴، الحديث ۱۷.

۸- – الشريف الرضى، نهج البلاغه، الحكمه ۵۰، ص ۴۷۷.

۹- – سوره الأنفال (۸)، الآيه ۶۳.

أنه يتآلف مع الآخرين و لايحبّذ العزله والانزواء، و يخالط الآخرين و يتّصف بقوّه جاذبه لاطارده. و قد قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم فى وصف المؤمن: «المؤمن آلفٌ مألوف و لاخير فى من لايألف و لا يؤلف».(۱) و قد ورد أنّ الابتعاد عن الناس يؤدّى إلى العداوه و سوء الظنّ، و هذا ما بيّنه الإمام الباقر عليه السلام أو الإمام الصادق عليه السلام فى قوله: «إنّ الانقباض عن الناس يُكسب العداوه».(۲) و من الواضح أنّ المبادىء الأخلاقيه فى الاسلام تحثّ على التآلف بين المؤمنين بشتّى السُبُل والوسائل، و لهذا السبب جُعلت الأُخوه بين المؤمنين (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَهٌ) . (۳) و جاء فى حديث عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم أنه قال: «مثل الأخوين إذا التقيا مثل اليدين تغسل إحداهما الأُخرى، و ما التقى المؤمنان قط إلّاأفادأللّه أحدهما من صاحبه خيراً».(۴)

الموقف من المُنكَرات

كيف ينبغى التعامل مع المُنكَرات التى تؤدّى أحياناً إلى هضم حقوق أفراد المجتمع؟ فمن الطبيعى أنّ التغاضى عنها كثيراً ما يكون سبباً لتجرؤ البعض على ارتكابها من جديد، هذا من جهه، و من جهه أُخرى قد يؤدّى الوقوف بوجهها إلى سلبيات أو نزاعات، و هى طبعاً ممّا نهت عنه الشريعه.

هناك نوعان من التعليمات فى ما يخص الوقوف بوجه مثل هذه الأعمال المُنكَره. فمن جهه لاينبغى فسح المجال أمام من يحاولون انتهاك حرمه الآخرين والمساس بالجو الاجتماعى السليم. و من جهه أُخرى لدينا تعاليم دينيه أُخرى تدعو إلى التغاضى عن أخطاء الآخرين. قال اللّه العظيم فى كتابه الكريم: (ادْفَعْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ السَّيِّئَهَ) .(۵)

و جاء فى آيه شريفه أُخرى (وَ لا تَسْتَوِى الْحَسَنَهُ وَ لاَ السَّيِّئَهُ ادْفَعْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِى بَيْنَكَ وَ بَيْنَهُ عَداوَهٌ كَأَنَّهُ وَلِىٌّ حَمِيمٌ) .(۶)

۱- – الفيض الكاشانى، المحجّه البيضاء، ج ۳، ص ۲۸۵.

۲- – الكُلينى، الكافى، ج ۲، ص ۶۳۸، الحديث ۵.

۳- – سوره الحجرات (۴۹)، الآيه ۱۰.

۴- الفيض الكاشانى، المحجّه البيضاء، ج ۳، ص ۲۸۵.

۵- – سوره المؤمنون (۲۳)، الآيه ۹۶.

۶- سوره فصلت (۴۱)، الآيه ۳۴.

و جاء فی أقوال الإمام علی علیه السلام ما یلی: «عاتِبْ أخاکَ بالاحسانِ إلیه وَارْدُدْ شَرَّهُ بِالْاِنْعامِ عَلَیْه».(۱) و جاء فی کلام آخر له: إذا قدرت علی عدوّک فاجعل العفو عنه شکراً للمقدره علیه.(۲)

و من الواضح أنّ هذه التوجیهات کفیله ببناء المجتمع من جهه و بتزکیه نفس الإنسان من جهه أُخری. فمقابله إساءه الآخرین بالإحسان تتطلب نفساً کریمه وسموّاً فی الشخصیه.

أما ما هی الحالات التی تستدعی موقفاً حازماً و متشدداً؟ و ما هی الحالات التی ینبغی فیها التسامح؟ فهذا من الأُمور التی تستلزم کثیراً من النباهه والفطنه، و لکن القاعده العامّه فی التعامل مع الآخرین هی العفو والتسامح، بل ینبغی العمل بهذا السلوک جهد الإمکان لکی تسود الروح المعنویه فی المجتمع، مع الابتعاد عن العناد و روح الانتقام. و حتی إذا کان سلوک الفرد سلبیاً فی الظاهر یجب حمله علی وجه حسن. فقد جاء فی حدیث شریف «ضع أمر أخیک علی أحسنه حتی یأتیک ما یغلبک منه. و لاتظنن بکلمه خرجت من فم أخیک سوءاً و أنت تجد لها فی الخیر محملاً».(۳)

و لکن رغم کل ذلک یجب ان لایفوتنا أنّ التغاضی عن المُنکَرات التی یرتکبها الأقویاء و ما یبدونه من خصال التکبر والتعدّی علی الغیر قد یدعوهم إلی الاستهتار والتمادی فی الإثم والظلم. و فی هذه الحاله لابُدّ من التصدّی لهم فی إطار القواعد المقرّره فی هذا المضمار.

المحبّه

الإنسان مخلوق اجتماعی بالفطره و یمیل بطبعه إلی إقامه علاقات و محبّه مع الآخرین.

والحاجه إلی المحبّه واحده من العوامل المؤثّره فی الحیاه الاجتماعیه. و هذا ما یدعو الناس إلی العیش إلی جانب بعضهم. و قد یکون هذا الشعور أحیاناً علی درجه من الشدّه بحیث یغیّر مسار حیاه الإنسان کلیاً.

۱- – الشریف الرضی، نهج البلاغه، الحکمه ۱۵۸، ص ۵۰۰.

۲- الشریف الرضی، نهج البلاغه، الحکمه ۱۱، ص ۴۷۰.

۳- الکُلینی، الکافی، ج ۲، ص ۳۶۲، الحدیث ۳.

و فی المقابل تبرز أیضاً خصال الحقد والعداء بین الناس بسبب دوافع شیطانیه او أطماع ماديه، و تدفع بهم نحو التناحر والنزاع. والاسلام یحثُّ الناس علی المحبّه والمودّه، و یدعوهم إلی نبذ الأحقاد. قال نبیّنا محمد صلی الله علیه و آله و سلم: «رأس العقل بعد الدّین، التودّد إلی النّاسِ واصطناع الخیر إلی کلّ برٍّ و فاجر».(۱)

لا یمکن طبعاً إنکار تأثیر الناس علی بعضهم تربویاً و أخلاقیاً. فمن المعروف أنّ من العوامل المؤثّره فی التربیه، الأصدقاء؛ إذ إنّ لهم تأثیر بالغاً فی صیاغه شخصیه الفرد. وهُناک حدیث نبوی شریف یصف هذا التأثیر و یقول إنّ الشخص علی دین خلیله، و علی المرء أن ینظر إلی من یکون خلیله.(۲) لدی کل إنسان حاجه عاطفیه للمحبّه والصداقه، حتی أنّ الأحادیث دعت إلی أن یتخذ المرء إخواناً و أصدقاء.

روی عن الإمام علی بن أبی طالب علیه السلام أنه قال: «علیکم بالإخوان فإنّهُم عُدّهٌ فی الدنیا والآخره؛ الا تَسمعُ إلی قولِ أهلِ النار فما لنا من شافعین و لا صدیقٍ حمیمٍ».(۳)

و ورد أیضاً عن أمیرالمؤمنین علیه السلام فی سیاق دعوته إلی عدم الإفراط فی الحبّ والبغض ما یلی: «أَحْبِبْ حَبِیبَک هَوْناً مَا عَسَی أَنْ یَکُونَ بَغِیضَک یَوْماً مَا، وَ أَبْغِضْ بَغِیضَک هَوْناً مَا عَسَی أَنْ یَکُونَ حَبِیبَک یَوْماً مَا».(۴)

و ینبغی بطبیعه الحال اجتناب مصادقه الفاسق، لِما فی ذلک من انعکاسات سلبیه و مضرّه. فمن لایخشی ربّه لایسلم صاحبه من شرّه. والمحبّه إذا لم تکن عن إیمان و إخلاص لا دوام لها. والفاسق یتخلّی عن صاحبه عند الشدّه والضیق. و علی المؤمن مصادقه من هو علی شاکلته. و کما قال لقمان الحکیم: «لا صداقه بین الذئب والکبش، و لا صداقه بین البر والفاجر»(۵) قال تعالی: (فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلّی عَنْ ذِکْرِنا وَ لَمْ یُرِدْ إِلَّا الْحَیاهَ

۱- المجلسی، بحارالأنوار، ج ۷۱، ص ۳۹۲، الحدیث ۱۲.

۲- - الفیض الکاشانی، المحجّه البیضاء، ج ۳، ص ۳۰۹.

۳- المصدر السابق، ج ۳، ص ۲۸۹.

۴- الشریف الرضی، نهج البلاغه، الحکمه ۲۶۸، ص ۵۲۲.

۵- - الفیض الکاشانی، المحجّه البیضاء، ج ۳، ص ۳۱۲.

اَلدُّنْیا) (۱) و قال تعالی أیضاً: (وَ اتَّبِعْ سَبِیلَ مَنْ أَنابَ إِلَیَّ) .(۲)

یجب أن یکون صدیق المرء علی شاکلته(۳) و قد قال أمیرالمؤمنین علیه السلام: «لا یکونُ الصّدیقُ صدیقاً حتّی یَحفَظَ اخاهُ فی ثلاثٍ: فی نکبتهِ و غیبتهِ و وفاتهِ».(۴)

علی المؤمن أن یختار صدیقاً کصدیق أمیرالمؤمنین علیه السلام الذی قال فی وصفه: «کَانَ لِی فِیمَا مَضَی أَخٌ فِی اللَّهِ وَ کَانَ یُعْظِمُهُ فِی عَیْنِی صِغَرُ الدُّنْیَا فِی عَیْنِهِ وَ کَانَ خَارِجاً مِنْ سُلْطَانِ بَطْنِهِ فَلا یَشْتَهِی مَا لَایَجِدُ وَ لَایُکْثِرُ إِذَا وَجَدَ وَ کَانَ أَکْثَرَ دَهْرِهِ صَامِتاً فَإِنْ قَالَ بَزَّ الْقَائِلِینَ وَ نَقَعَ غَلِیلَ السَّائِلِینَ وَ کَانَ ضَعِیفاً مُسْتَضْعَفاً فَإِنْ جَاءَ الْجِدُّ فَهُوَ لَیْثُ غَابٍ وَصِلُّ وَادٍ لَایُدْلِی بِحُجَّهٍ حَتَّی یَأْتِیَ قَاضِیاً وَ کَانَ لَایَلُومُ أَحَداً عَلَی مَا یَجِدُ الْعُذْرَ فِی مِثْلِهِ حَتَّی یَسْمَعَ اعْتِذَارَهُ وَ کَانَ لَایَشْکُو وَجَعاً إِلَّا عِنْدَ بُرْئِهِ وَ کَانَ یَقُولُ مَا یَفْعَلُ وَ لَایَقُولُ مَا لَایَفْعَلُ وَ کَانَ إِذَا غُلِبَ عَلَی الْکَلَامِ لَمْ یُغْلَبْ عَلَی السُّکُوتِ وَ کَانَ عَلَی مَا یَسْمَعُ أَحْرَصَ مِنْهُ عَلَی أَنْ یَتَکَلَّمَ وَ کَانَ إِذَا بَدَهَهُ أَمْرَانِ یَنْظُرُ أَیُّهُمَا أَقْرَبُ إِلَی الْهَوَی فَیُخَالِفُهُ فَعَلَیْکُمْ بِهَذِهِ الْخَلائِقِ فَالْزَمُوهَا وَ تَنَافَسُوا فِیهَا فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِیعُوهَا فَاعْلَمُوا أَنَّ أَخْذَ الْقَلِیلِ خَیْرٌ مِنْ تَرْکِ الْکَثِیرِ».(۵)

أصدقاء السوء

أوصی الإمام علی علیه السلام ابنه الحسن المجتبی علیه السلام بما یلی: «یا بُنی إیاک و مصادقه:

۱ - الأحمق فإنّه یرید أن ینفعک فیضرّک، و إیاک و مصادقه ۲ - البخیل فإنّه یقعد عنک أحوج ما تکون إلیه. و إیاک و مصادقه ۳ - الفاجر فإنّه یبیعک بالتافه، و إیاک و مصادقه ۴ - الکذاب فإنّه کالسراب یقرّب علیک البعید، و یُبعد عنک القریب».(۶)

و قال علیه السلام فی موضع آخر: «واحذر صحابه من یفیل رأیه و یُنکر عمله، فإنَّ الصاحب

۱- سوره النجم (۵۳)، الآیه ۲۹.

۲- سوره لقمان (۳۱)، الآیه ۱۵.

۳- - الشریف الرضی، نهج البلاغه، الکتاب ۳۱، ص ۴۰۳.

۴- المصدر السابق، الحکمه ۱۳۴، ص ۴۹۴.

۵- المصدر السابق، الحکمه ۲۸۹، ص ۵۲۶.

۶- المصدر السابق، الحکمه ۳۸، ص ۴۷۵.

معتبر بصاحبه».(۱) و قال أيضاً: «لا تتخذن عدو صديقك صديقاً فتعادى صديقك»(۲)

«مجالسه أهل الهوى منساه للإيمان و محضره للشيطان».(۳)

الأصدقاء الصالحون

روى عن النبى صلى الله عليه و آله و سلم إنّه قال: «يا روح اللّه من نجالس؟ قال: من يذكركم اللّه رؤيته و يزيد فى علمكم منطقه، و يرغّبكم فى الآخره عمله».(۴)

و أوصى الإمام على عليه السلام ابنه محمد بن الحنفيه (رضوان اللّه عليه): «و من خير حظ المرء قرين صالح، جالس أهل الخير تكُن منهم، و باين أهل الشر و من يصدّك عن ذكر اللّه عزّوجلّ و ذكر الموت بالأباطيل المزخرفه والاراجيف الملفّقه تَبِن منهم».(۵) كما انّه أوصى أباذر (رضوان اللّه عليه): «جالس المساكينَ و عُدهُمْ إذا مَرِضوا و صلِّ عليهم إذا ماتوا واجعلْ ذلك مخلصاً».(۶)

الكلام

الكلام وسيله للتعبير عما فى النفس من جهه، وللارتباط مع الآخرين من جهه أُخرى.

و من الطبيعى أنّ التعبير عن الآراء وسماع آراء الآخرين يفتح الباب أمام الناس لإقامه علاقات فى ما بينهم. و عندما يُوظّف اللّسان للتعبير عن الحقائق بشكل صحيح، تُبنى العلاقات عند ذاك على الإخلاص والصدق. أمّا إذا اتُخذ اللسان وسيله للمكر والخداع، فمن الطبيعى أن لاتكون العلاقات سليمه و قويمه. فهذه النعمه الإلهيه الكبرى، إذا وضعت فى خدمه الإنسان والأهداف الإلهيه، فهى تقود الإنسان نحو الرُّقى والكمال، و لكن إذا كُرّست لِما يُخالف ذلك تُرديه فى المهالك.

۱- – المصدر السابق، الكتاب ۶۹، ص ۴۵۹.

۲- المصدر السابق، الكتاب، ۳۱، ص ۴۰۳.

۳- الشريف الرضى، نهج البلاغه، الخطبه ۸۶، ص ۱۷۷.

۴- الكلينى، الكافى، ج ۱، ص ۳۹، ح ۳.

۵- – الصدوق، من لايحضره الفقيه، ج ۴، ص ۲۷۵ و ۲۷۶.

۶- النورى، ميرزا حسين، مستدرك الوسائل، الباب ۶ من أبواب الاحتضار، ج ۲، ص ۷۸، الحديث ۱۷.

قال رسول اللّه: «من وُقی شرّ قَبقبه و لَقلقه و ذَبذبه، فقد وُقی الشرّ کلّه».(۱) و روی عنه صلی الله علیه و آله و سلم «و ما یکب الناس علی مناخرهم فی النار إلّاحصائد ألسنتهم».(۲) و أکّد رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم علی بیان أهمیه اللِّسان و ما ینطق به، و أنّ شخصیه کل إنسان تکمن فی قوله وسلوکه، و أنّ ما یأتی علی اللسان إنّما هو انعکاس لِما فی القلب.(۳)

و قال الإمام علی علیه السلام فی وصف مدی أهمیه الکلام: «کلام الرجل میزان عقله»(۴) أی یمکن قیاس مدی رجاحه عقل أی شخص من خلال ما ینطق به من الکلام. و من الطبیعی أنّ الکلام المناسب فی المقام المناسب دلیل علی العقل. قال أمیرالمؤمنین «لسانُ العاقلِ وراءَ قلبهِ و قلب الجاهل وراء لسانه»؛(۵) أی أنه یفکر فی الموضوع أوّلاً ثم یتفوّه لاحقاً بالکلام المناسب الذی ینبغی الإدلاء به، فی حین أنّ قلب الجاهل وراء لسانه؛ بمعنی أنه ینطق بالکلام من غیر تروٍّ و تأمُّل. قال أمیرالمؤمنین: «التروّی فی القول یُؤمن الزلل»(۶)

والملاحظه الأُخری هنا هی أنّ الکلام کالدواء؛ قلیله مفید و کثیره قاتل. و ممّا ورد من الأقوال فی هذا المضمار قول الإمام علی علیه السلام «إنّ قله الکلام دلیل علی رجحان العقل».(۷)

إنّ الأقوال تُسجل مثلما تسجّل الأعمال، و لابُدّ یوماً من أن یُسأل عنها الإنسان، إذ جاء فی آیه شریفه: (ما یَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلّا لَدَیْهِ رَقِیبٌ عَتِیدٌ) . (۸) کما حثّ القرآن الکریم فی آیات کثیره علی حسن الکلام مع الناس مع اجتناب الکلمات اللاذعه والمؤلمه؛ لأنّ هذه الأسالیب من حیل الشیطان التی یتّبعها لإثاره البغضاء والعداوات بین الناس.(۹) و من المواثیق التی أخذها اللّه عزّوجلّ علی بنی اسرائیل: (وَ قُولُوا لِلنّاسِ حُسْناً) . (۱۰) واعتبر الإمام علی بن أبی طالب علیه السلام لین الکلام ضرباً من العباده حین قال: «إنّ من العباده لین الکلام...».(۱۱)

۱- – الدیلمی، إرشاد القلوب، ج ۱، ص ۱۰۳.

۲- – المصدر السابق.

۳- إنّ الکلام لفی الفؤاد و انّما جعل اللّسان علی الفؤاد دلیلا

۴- – الآمدی، غُرَر الحِکَم، ص ۲۰۹، الحدیث ۴۰۳۲.

۵- – المصدر السابق، الحدیث ۴۰۷۹.

۶- – المصدر السابق، ص ۳۷۵، الحدیث ۸.

۷- المصدر السابق، الحدیث ۴۰۸۳.

۸- – سوره ق (۵۰)، الآیه ۱۸.

۹- – سوره الإسراء (۱۷)، الآیه ۵۳.

۱۰- – سوره البقره (۲)، الآیه ۸۳.

۱۱- الآمدی، غُرَر الحِکَم، ص ۲۱۵، الحدیث ۴۲۱۰.

لعلّ أی عضو من أعضاء البدن لایقترف من الذنوب بقدر ما یقترفه اللسان؛ لأنّ اللسان یَجمَع من الذنوب الکذب، والنمیمه، والسُباب، والجدل، و إیذاء الآخرین، والغیبه، و انتهاک الحرمات، والافتراء، والذم، و مدح الظالم، و إثاره الفتنه، و إشاعه الفحشاء، و کتم ما ینبغی قوله، و ترویج الباطل، والغناء، و هتک حرمات المؤمنین، والسخریه بالآخرین، و غیر ذلک.

النمیمه

نقل أقوال هذا و ذاک من شخص إلی آخر، بقصد إثاره الفتنه هو ما یسمّی بالنمیمه، و هو طبعاً عمل مذموم. قال الإمام محمد بن علی الباقر علیه السلام: «مُحرَّمهٌ الجنّهُ علی القتّاتینَ المشّائینَ بالنمیمهِ».(۱) فالنمّام عندما ینقل کلام الناس من أحدهم إلی الآخر یؤدّی طبعاً إلی زرع البغضاء بینهم. و قد أمر القرآن الکریم النبیّ صراحه (وَ لا تُطِعْ کُلَّ حَلّافٍ مَهِینٍ * هَمّازٍ مَشّاءٍ بِنَمِیمٍ) .(۲) قال أمیرالمؤمنین علیه السلام: «إیاکم والنمائم فإنّها تورث الضغائن».(۳)

الغِیبه

إذا تکلّم خلف إنسان مستور بما یغمّه لو سمعه - حتی و إن کان صدقاً - سُمّی غیبه، و إن کان کذباً سُمّی بهتاناً.(۴) و کذلک ذکر الشخص بما یتنقص منه و توبیخه بأشیاء لایروق له أن تُقال له ممّا یعیبه به الناس، غیبه أیضاً.(۵)

و قال الشیخ الأنصاری بعد ذکر آراء أهل اللغه فی الغیبه و ما ورد فیها من الأحادیث:

الغیبه أن یتکلّم خلف إنسان مستور بما یغمّه لو سمعه.(۶) و یمکن القول: إنّ أفضل تعریف للغیبه هو ما نقل عن رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم: «ذِکْرُکَ اخاکَ بِما یَکْرَهه»،(۷) یقول الراوی: سألت

۱- - الکُلینی، الکافی، ج ۲، ص ۳۶۹، الحدیث ۲.

۲- - سوره القلم (۶۸)، الآیتان ۱۰-۱۱.

۳- الآمدی، غرر الحکم، ص ۲۴۲، الحدیث ۴۴۵۴.

۴- - الجوهری، صحاح اللغه، ج ۱، ص ۱۹۶.

۵- الشهید الثانی، کشف الریبه عن أحکام الغیبه، ص ۵۱.

۶- - الأنصاری، الشیخ مرتضی، المکاسب المحرمه، ص ۴۱.

۷- - الحرّ العاملی، وسائل الشیعه، الباب ۱۵۲ من أحکام العشره، ج ۱۲، ص ۲۸۱، الحدیث ۹.

النبیّ إن کان ما قیل فیه؟ فقال: إن کان فیه فهو غیبه، و إن لم یکن فهو بهتان.

الغیبه من الذنوب التی نهی عنها القرآن صراحه فی الآیه الشریفه: (یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا کَثِیراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَ لا تَجَسَّسُوا وَ لا یَغْتَبْ بَعْضُکُمْ بَعْضاً أَ یُحِبُّ أَحَدُکُمْ أَنْ یَأْکُلَ لَحْمَ أَخِیهِ مَیْتاً فَکَرِهْتُمُوهُ) . (۱) فکما یکره الإنسان أکل لحم المیته، فلابّد أنه یکره الغیبه أیضاً. و ممّا یروی فی ذم الغیبه أنّ النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم لما رجم رجلاً فی الزنا، قال رجل لصاحبه. هذا أقعص الکلب. فمر النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم معهما بجیفه، فقال: انهشا منها. فقالا: یارسول اللّه ننهش جیفه؟ فقال: ما أصبتما من أخیکما أنتن من هذه.(۲)

الغیبه مؤشّر یدلّ علی ما یعانیه المُغتاب من مرض واضطراب نفسی. فالشخص الذی یغتاب الآخرین یشعر بنقص و یرید التعویض عنه. قال الإمام علی علیه السلام فی هذا المعنی:

«الغیبهُ جُهْدُ الْعاجِزِ».(۳) و نقل عنه أیضاً أنه قال: «طُوبَی لِمَنْ شَغَلَهُ عَیْبُهُ عَنْ عُیُوبِ النَّاس».(۴) و قال الإمام جعفر بن محمد علیه السلام قال رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم: «یا معشر من أسلم بلسانه و لم یخلص الإیمان إلی قلبه، لاتذمّوا المسلمین و لاتتبعوا عوراتهم؛ فإنه من تتبع عوراتهم تتبع اللّه تعالی عورته، و من تتبع اللّه عورته یفضحه ولو فی بیته».(۵)

و قال رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم أیضاً: «کلّ المسلمِ علی المسلمِ حرامٌ دمُهُ و مالُهُ و عِرضُهُ».(۶)

من الطبیعی أنّ الغیبه لاتأتی عند جمیع الأشخاص من منطلق واحد؛ فالبعض قد یغتاب عن حقد و بقصد استصغار الآخرین والحط من قیمتهم. بینما یغتاب آخرون بسبب الغفله والجهل بالعواقب الدنیویه والأُخرویه التی یلقاها المغتاب. و هناک أیضاً من الناس من یدرکون طبیعه الإثم الذی یرتکبونه، و لکنّهم یحاولون بتبریرات واهیه أن یُحلّوا لأنفسهم ما حرّمه اللّه؛ لذلک فهم یرتکبون بدل الإثم الواحد عدّه آثام. فقد یقولون - مثلاً - إنّ فلاناً تجوز غیبته، أو یقول المغتاب: إننی علی استعداد لقول هذا الکلام أمامه، أو قد یقول:

۱- - سوره الحجرات (۴۹)، الآیه ۱۲.

۲- الفیض الکاشانی، المحجّه البیضاء، ج ۵، ص ۲۵۳.

۳- - الشریف الرضی، نهج البلاغه، الحکمه ۴۶۱، ص ۵۵۶.

۴- - الشریف الرضی، نهج البلاغه، الخطبه ۱۷۶، ص ۲۴۳.

۵- - الکُلینی، الکافی، ج ۲، ص ۳۵۴، الحدیث ۲.

۶- الشهید الثانی، کشف الریبه عن أحکام الغیبه، ص ۵۲.

إنّ فلاناً فاسق و غيبته مباحه، بل ربّما يقول: إنّ غيبته واجبه. قال المرحوم الشهيد الثانی فی کتاب کشف الريبه، ما يلی: «أقبح أنواع الغيبه ما تصدر من بعض أهل العلم؛ لأنَّ هؤلاء يظهرون كأنّهم يجتنبون الغيبه و يغتابون عن هذا الطريق؛ فهم قد اقترفوا الغيبه والرياء فی وقت واحد».(۱)

و لكن لماذا تُستعظم الغيبه إلی هذا الحد؟ والجواب هو لأنّ المغتاب يستبيح إيمان المجتمع و روحه المعنويه، و يغرس فی القلوب أحقاداً وعداوات. و هذا يعنی أنه تعرّض لحق اللّه من جهه، و تعدّی علی حق الناس من جهه أُخری. و بهذا فإنّ المغتاب ينال من كرامه و حيثيه إنسان آخر.

الغيبه من الذنوب التی تستلزم طلب العفو ممّن وقعت عليه الغيبه؛ لأنّ الغيبه ظلم له و لابُدّ من تلافی هذا الظلم بشكل أو آخر. روی عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إنّ كفاره الغيبه هی أن تستغفر لمن اغتبته كلّما ذكرته».(۲)

النفاق

النفاق هو أن يكون كلام الإنسان وسلوكه الظاهری خلاف ما يضمره فی باطنه. مثلاً يمدح أحداً بلسانه و يضمر له العداء فی قلبه، و يتملّق له فی وجهه، و يغتابه وراءه. والمنافق يعانی من الحيره و ازدواج الشخصيه. عن أبی عبداللّه عليه السلام قال: «من لقی المسلمين بوجهين و لسانين جاء يوم القيامه و له لسانان من نار».(۳) قال الإمام محمد الباقر عليه السلام:

«بئس العبد عبد يكون ذا وجهين و ذا لسانين».(۴) و من أبرز صفات أهل النفاق، الرياء، والتظاهر بالزهد، والإيحاء بأنه علی الحق، وتقديم النفس علی الغير، و كثره الكلام و قلّه العمل، والنميمه و إثاره الفتنه، يظهر لك صفاء الود و يظهر العداوه فی غيبتك، الانتهازيه.

والنفاق صفه شيطانيه ذميمه. فإبليس جاء إلی آدم و حوّاء من باب النصيحه و أظهر لهما أنه

۱- المصدر السابق، ص ۶۲.

۲- الكُلينی، الكافی، ج ۲، ص ۳۵۷، الحديث ۴.

۳- - المصدر السابق، ص ۳۴۳، الحديث ۱.

۴- - المصدر السابق، الحديث ۲.

من الناصحين وخدعهما بنعومه اللّسان: (وَ قاسَمَهُما إِنِّی لَکَما لَمِنَ النّاصِحِینَ) (۱)

بینما کان فی الباطن یضمر لهما العداء.

قال النبیّ محمد صلی الله علیه و آله و سلم فی وصف المنافق: «إنّ المنافق کالجذع الأعوج الذی لایستقیم لصاحبه فی البناء أینما یضعه، فیضطر صاحبه فی آخر المطاف إلی إحراقه».(۲) بینما الإنسان الذی غرس الإیمان فی قلبه یجتنب النفاق؛ لأنّ النفاق حاله مرضیه تُخرج المرء من حاله الاـتّزان. والمنافق یعانی و یکابد بسبب نفاقه کما أنه یخرج المجتمع من حاله الصدق والشفّافیه.

الکذب

من آفات اللسان، الکذب و قول ما یخالف الحقیقه. و لهذا فإنّ من واجبات اللسان اجتناب الکذب. قال الإمام محمد الباقر فی بیان خطوره و قبح الکذب: «إنّ اللّه عزّوجلّ جعل للشر أقفالاً ـ و جعل مفاتیح تلک الأقفال الشراب، والکذب شرٌّ من الشراب».(۳)

و قال أیضاً فی هذا المجال «إنّ الکذب خراب الإیمان».(۴)

و لاـ فرق فی الکذب بین صغیره و کبیره، و هذا ما بیّنه الإمام علی بن الحسین السجّاد علیه السلام حین دعا إلی اتقاء القلیل والکثیر من الکذب فی الجد والهزل معلّلاً ذلک بأن من یکذب فی صغار الأُمور یجترىء فی کبارها.(۵)

السبّ

السبُّ واللّعن من الأعمال المنهی عنها، و لایجوز لأحد کیل السُباب والشتائم للآخرین تحت أیه ذریعه کانت. و هذا النهی فی ما یخص المؤمنین أشد، حیث جاء فی حدیث شریف أنّ من یسبّ مؤمناً کمن یشرف علی الهلاک.(۶) و نقل الإمام محمد الباقر علیه السلام عن

۱- – سوره الأعراف (۷)، الآیه ۲۱.

۲- – الکُلینی، الکافی، ج ۲، ص ۳۹۶، الحدیث ۵.

۳- – المصدر السابق، ص ۳۳۹، الحدیث ۳.

۴- المصدر السابق، الحدیث ۴.

۵- المصدر السابق، ص ۳۳۸، الحدیث ۲.

۶- – المصدر السابق، ص ۳۵۹، الحدیث ۱.

النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم حدیثاً قال فیه: «سبابُ المؤمن فسوقٌ و قتالُه کفرٌ و أکلُ لحمهِ معصیهٌ و حرمهُ مالهِ کحُرمهِ دمهِ».(۱)

السِّباب من دواعی إیجاد الحقد والعداء. و ممّا جاء فی هذا المجال حدیث رواه الإمام الباقر و فیه أنّ رجلاً جاء إلی النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم و طلب منه أن یوصیه بأمر فیه خیر فقال له النبیّ:

«لاتَسُبُّوا النّاسَ فَتَکْتَسِبُوا العَداوهَ بَیْنَهُمْ».(۲)

التکبّر

التکبّر حاله نفسیه یشعر فیها الإنسان بالأفضلیه علی غیره. و علی الصعید الاجتماعی یؤدّی التکبّر إلی زعزعه التوازن الذی یحکم السلوک الاجتماعی. و أمّا من الناحیه الأخلاقیه فهو یبعث علی إیجاد الضغینه والکراهیه ضدّ المتکبر. و علی الصعید الذاتی فالتکبّر یحجب المرء عن الرُّقی والتکامل، و لابُدّ من الإشاره إلی أنّ التکبّر یأتی کثمره للعُجب،(۳) و ینجم عن الشعور بالنقص. قال الإمام الصادق علیه السلام مبیّناً هذا الشعور:

«ما مِن رجل تکبّر أو تجبّر إلّالذلّهٍ وجدها فی نفسه»(۴) و قال الإمام أمیرالمؤمنین علیه السلام فی ما یخص التکبّر: «فَلَوْ رَخَّصَ اللَّهُ فِی الْکِبْرِ لِأَحَدٍ مِنْ عِبَادِهِ لَرَخَّصَ فِیهِ لِخَاصَّهِ أَنْبِیَائِهِ وَ أَوْلِیَائِهِ وَ لَکِنَّهُ سُبْحَانَهُ کَرَّهَ إِلَیْهِمُ التَّکَابُرَ وَ رَضِیَ لَهُمُ التَّوَاضُعَ فَأَلْصَقُوا بِالأرض خُدُودَهُمْ وَ عَفَّرُوا فِی التُّرَابِ وُجُوهَهُمْ وَ خَفَضُوا أَجْنِحَتَهُمْ لِلْمُؤْمِنِینَ وَ کَانُوا قَوْماً مُسْتَضْعَفِینَ قَدِ اخْتَبَرَهُمُ اللَّهُ بِالْمَخْمَصَهِ وَابْتَلاهُمْ بِالْمَجْهَدَه».(۵) و جاء فی القرآن الکریم فی ذم الکبر: (إِنَّ اللّهَ لا یُحِبُّ مَنْ کانَ مُخْتالاً فَخُوراً) .(۶)

و دعا الإمام جعفر الصادق علیه السلام إلی اجتناب الکِبر مبیّناً بأن هذه الصفه «رداء اللّه، و کل

۱- المصدر السابق، ص ۳۶۰، الحدیث ۲.

۲- المصدر السابق، الحدیث ۳.

۳- - الراغب الاصفهانی مفردات ألفاظ القرآن، ص ۶۹۷.

۴- - الکُلینی، الکافی، ج ۲، ص ۳۱۲، الحدیث ۱۷.

۵- - الشریف الرضی، نهج البلاغه، الخطبه ۱۹۲، ص ۲۹۰.

۶- سوره النساء (۴)، الآیه ۳۶.

من ينازع اللّه رداءه يرديه و يـذلّه يوم القيامه».(۱) و قال النبیّ صـلی الله علیه و آله و سـلم «لا یـدخل الجنه من کان فی قلبه کبر ولو بمقدار حبّه خردل».(۲) والإنسان یتکبر عاده حینما یکون غافلاً عن حقیقه حاله و عن بـدایته و نهایته، و أنه لو التفت إلی أنّ أوّله نطفه و آخره جیفه و هو عاجز عن جلب الرزق لنفسه أو دفع الحتف عنه، لَما تکبّر.(۳)

و کـان أحـد أسـباب طرد إبلیس مـن رحمه اللّه تکبّره علی آدم. و هنـاک فی العـالم الکـثیر من الشـیاطین(۴) و لکـن اللّه ذکر أکثرهم تکبّراً و غروراً. کما یوجد بین الناس کثیر من العلماء الذین یسیرون بأهوائهم و لایعملون بعلمهم، و لکن ذُکر منهم بلعم بن باعوراء و علماء الیهود الذین لایطبّقون ما لدیهم من علم.

کان سـبب معصیه إبلیس لأمر اللّه و عدم السجود لآدم هو تکبّره.(۵) و قال أمیرالمؤمنین علیه السـلام أیضاً فی بیان مدی خطوره الکبر: إنّ اللّه قـد أحبط ما کان قد فعله آدم من عمل طویل وجهد جَهید عن کبر ساعه واحده. إذاً فمن الذی یکون فی أمان من عذاب اللّه بعد إبلیس فیما لو ارتکب معصـیه کمعصـیته؟ «مَا کَانَ اللَّهُ سُـبْحَانَهُ لِیُدْخِلَ الْجَنَّهَ بَشَـراً بِأَمْرٍ أَخْرَجَ بِهِ مِنْهَا مَلَکاً».(۶) و خلاـصه الکلاـم هی أنّ التکبر یـدفع الإنسـان إلی تجاهـل الحقیقه والامتنـاع عن العبـاده(۷) و تکـذیب آیـات اللّه(۸) و مخـالفه الأنبیاء(۹) و مواجهه الحق بعناد و تعصّب.(۱۰)

۱- – الحرّ العاملی، وسائل الشیعه، الباب ۵۸ من أبواب جهاد النفس، ج ۱۵، ص ۳۷۶، الحدیث ۹.

۲- – المجلسی، بحارالأنوار، ج ۲، ص ۱۴۱، الحدیث ۱.

۳- الشریف الرضی، نهج البلاغه، الحکمه ۴۵۴، ص ۵۵۵.

۴- – سوره الأنعام (۶)، الآیه ۱۱۲.

۵- – سوره البقره (۲)، الآیه ۳۴؛ سوره ص (۳۸)، الآیه ۷۴.

۶- – الشریف الرضی، نهج البلاغه، الخطبه ۱۹۲.

۷- – سوره النساء (۴)، الآیتان ۱۷۲-۱۷۳.

۸- سوره الأعراف (۷)، الآیات ۳۶ و ۴۰.

۹- سوره الأعراف (۷)، الآیات ۷۵ و ۷۶ و ۸۸؛ سوره نوح (۷۱)، الآیه ۷.

۱۰- سوره الأحقاف (۴۶)، الآیه ۱۰.

الحَسَد

الحَسَدُ مرض نفسی ینبغی الاستعاذه باللّه منه: (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِنْ شَرِّ ما خَلَقَ *... وَ مِنْ شَرِّ حاسِدٍ إِذا حَسَدَ) . (۱) قال بعض المفسرین: إنّ اللّه تعالی قد جمع کل الشرور فی هذه السوره ثم ختمها بالحسد لیُعلم أنه أخَسُّ الطبائع.(۲) والحسد نار تحرق العلاقات الإنسانیه ویُثیر الفتنه بین الناس. والسبب الآخر الذی منع إبلیس من السجود لآدم حسده لمقامه. و هذه الصفه الذمیمه هی التی انتهت به إلی معصیه أمر ربّه، فعجز عن إدراک أنّ الموجود الترابی یمکن أن یصل إلی مقام یکون لدیه فیه علم بالأسماء و تسجد له الملائکه.

کان الحسد هو السبب فی إراقه دم أوّل إنسان بریء فی عالم الخلقه حین حسد قابیل أخاه هابیل و کان ذلک هو السبب فی قتله. و قد أمر اللّه عزّوجلّ النبیّ أن یتلو هذه القصّه علی الناس لیعرفوا مدی فضاعه الحسد التی یدفع الناس حتی إلی القتل: (وَ اتْلُ عَلَیْهِمْ نَبَأَ ابْنَیْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبا قُرْباناً فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِما وَ لَمْ یُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قالَ لَأَقْتُلَنَّکَ قالَ إِنَّما یَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِینَ * لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَیَّ یَدَکَ لِتَقْتُلَنِی ما أَنَا بِباسِطٍ یَدِیَ إِلَیْکَ لِأَقْتُلَکَ إِنِّی أَخافُ اللّهَ رَبَّ الْعالَمِینَ * إِنِّی أُرِیدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِی وَ إِثْمِکَ فَتَکُونَ مِنْ أَصْحابِ النّارِ وَ ذلِکَ جَزاءُ الظّالِمِینَ * فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِیهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخاسِرِینَ) . (۳) و قد شبّه الإمام الصادق علیه السلام الحسد بالنار، و قال: إنّ الحسد یأکل الإیمان کما تأکل النار الحطب.(۴) و قال الإمام علی علیه السلام فی النهی عن الحسد: «دع الحسد والکذب والحقد، فإنّهن ثلاثه تشین الدّین و تهلک الرجل».(۵)

الغضب

القوّه الغضبیه من نعم اللّه الکبری التی أودعها فی الإنسان لیکون علی استعداد للدفاع

۱- – سوره الفلق (۱۱۳)، الآیات ۱ و ۲ و ۵.

۲- – الطبرسی، مجمع البیان، ج ۵، ص ۵۶۹.

۳- – سوره المائده (۵)، الآیات ۲۷-۳۰.

۴- – الکلینی، الکافی، ج ۲، ص ۳۰۶، الحدیث ۲.

۵- النوری، المیرزا حسین، مستدرک الوسائل، الباب ۵۵ جهاد النفس، ج ۱۲، ص ۲۳، الحدیث ۱۷.

عن دینه و ماله و عرضه. و هذه الخصله تحفّز الإنسان علی الحرکه، و تدفع عنه الکسل والتهاون، و لکنّ هذه الخصله إذا لم تضبط فی حدودها تؤدّی بالمرء إلی الانتقام والحقد والتنازع. قال الإمام الباقر علیه السلام: «إنّ الغضب شعله یضرمها الشیطان فی قلب الإنسان».(۱)

یجب محاربه الغضب الذی یحصل من أجل منافع دنیویه و لأغراض ذاتیه. و ینبغی طبعاً عدم الغضب علی الضعفاء والبائسین؛ لأنّ مثل هذا الغضب یزیل الإیمان، و یفکّک عری الصداقه. روی الإمام الصادق علیه السلام عن رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم حدیثاً قال فیه: «الغضب یُفْسِدُ الإیمان کما یُفْسِدُ الخلُّ العسل».(۲) فالکثیر من الجرائم والجنایات مصدرها الغضب. و هذا هو السبب الذی جعل کظم الغیظ من الصفات النبیله التی یتّصف بها المتقون: (وَ سارِعُوا إِلی مَغْفِرَهٍ مِنْ رَبِّکُمْ وَ جَنَّهٍ عَرْضُهَا السَّماواتُ وَ الْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِینَ * اَلَّذِینَ یُنْفِقُونَ فِی السَّرّاءِ وَ الضَّرّاءِ وَ الْکاظِمِینَ الْغَیْظَ وَ الْعافِینَ عَنِ النّاسِ وَ اللّهُ یُحِبُّ الْمُحْسِنِینَ) .(۳)

و روی الصدوق عن شیخ من أهل الیمن عن عبدالرزاق یقول: جعلت جاریه لعلی بن الحسین علیهما السلام تسکب الماء علیه و هو یتوضّأ للصلاه، فسقط الابریق من ید الجاریه علی وجهه فشجه فرفع علی بن الحسین علیه السلام رأسه إلیها. فقالت الجاریه: ان اللّه عزّوجلّ یقول:

(وَ الْکاظِمِینَ الْغَیْظَ) ، فقال لها: قد کظمت قالت: (وَ الْعافِینَ عَنِ النّاسِ) قال لها:

قد عفی اللّه عنک، قالت (وَ اللّهُ یُحِبُّ الْمُحْسِنِینَ) قال: اذهبی فأنت حره.(۴)

و روی عن الإمام الباقر قوله: «مکتوبٌ فی التوراهِ... یا موسی! أَمسِکْ غضبَک عمّن ملّکتُک علیه أُکفُّ عنک غضبی».(۵)

و قال الإمام جعفر الصادق علیه السلام سمعت أبی یقول: جاء أعرابی إلی النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم و قال له:

أنا من أهل البادیه فعلّمنی ما فیه جوامع الکلم. فقال له النبیّ: أُوصیک أن لاتغضب، فأعاد الأعرابی المسأله ثلاث مرّات والنبیّ یقول له: لاتغضب.(۶) و قال الإمام الصادق علیه السلام أیضاً:

۱- الکُلینی، الکافی، ج ۲، ص ۳۰۴ و ۳۰۵، باب الغضب، الحدیث ۱۲.

۲- – المصدر السابق، ج ۲، ص ۳۰۲، الحدیث ۱.

۳- سوره آل عمران (۳)، الآیتان ۱۳۳ و ۱۳۴.

۴- بحارالأنوار، ج ۴۶، ص ۶۸، الحدیث ۳۶.

۵- الکُلینی، الکافی، ج ۲، ص ۳۰۳، الحدیث ۷.

۶- – الحر العاملی، وسائل الشیعه، ج ۱۵، ص ۳۵۹، الحدیث ۷.

كان أبی یقول: أیّ شیء أشد من الغضب؟! فإنّ مَن یغضب یقتل النفس التی حرّم اللّه و یرمی المحصنه بالزنا.(۱)

و ذکر الغضب عند الإمام الباقر علیه السلام فقال: إذا غضب الرجل و هو قائم فلیجلس، و إذا غضب علی ذی رحم فلیقترب منه و یلمسه فإنَّ الرحم إذا مسّت سکنت.(۲) و من المفید أثناء الغضب أن ینشغل الغاضب فی شیء آخر لیحوّل فکره عما غضب من أجله و یغیّر من حالته إلی أن یسکن الغضب. قال الإمام علی علیه السلام: «وَ تَجَرَّعِ الْغَیْظَ فَإِنِّی لَمْ أَرَ جُرْعَهً أَحْلَی مِنْهَا عَاقِبَهً وَ لَاأَلَذَّ مَغَبَّهً».(۳) و قال فی موضع آخر: «وَاحْذَرِ الْغَضَبَ فَإِنَّهُ جُنْدٌ عَظِیمٌ مِنْ جُنُودِ إِبْلِیسَ».(۴)

العصبیه

العصبیه: من العُصبه (ذو رحم من الأب) و هی بمعنی الدفاع والنصره للأقارب. والعصبه جماعه متعاضده یحمی بعضُها بعضاً.(۵) والعصبیه هی الدفاع عن شخص بسبب التماثل فی اللّون أو اللّغه، أو العرق، أو الفئه الاجتماعیه. و هذا یعنی أنّ العصبیه بعیده عن أُسس العدل والإنصاف، و أنّ مؤدّاها الظلم، بینما العلاقات الاجتماعیه یجب أن تُبنی علی الحق والعدل.

و هذا یعنی أنّ العصبیه تتنافی مع مبادیء الإنسانیه والتعالیم الدینیه. و هذا یفرض علی المسلم أن لایبنی سلوکه علی العصبیه.

یدعو القرآن الکریم إلی القیام بالقسط والشهاده بالحق ولو علی النفس أو الوالدین أو الأقارب.(۶) والتعصّب یبعث علی العمل بما یخالف العداله. و ورد فی هذا المعنی حدیث عن الإمام الصادق علیه السلام قال فیه: «من تَعصَّبَ أو تُعُصّبَ لَه، فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَهَ الإیمان مِنْ عُنُقِه».(۷)

۱- الکُلینی، الکافی، ج ۲، ص ۳۰۳، الحدیث ۴.

۲- – المصدر السابق، ص ۳۰۲، الحدیث ۲.

۳- – الشریف الرضی، نَهج البلاغه، الکتاب ۳۱، ص ۴۰۳.

۴- المصدر السابق، الکتاب ۶۹، ص ۴۵۹.

۵- – الراغب الاصفهانی، مفردات ألفاظ القرآن، ص ۵۶۸.

۶- – سوره النساء (۴)، الآیه ۱۳۵.

۷- المصدر السابق، ص ۳۰۷، الحدیث ۱.

الحلم

الحِلم: ضبط النفس والطبع عن هيجان الغَضب. و قال البعض: إنه بمعنى العقل؛ لكونه من مسبَّبات العقل. وسُمّی زمان البلوغ حُلُماً لكون صاحبه جديراً بالحلم(۱) والحليم من يتأنّی عند خطأ غيره و لايتعجّل فی عقوبته. والحليم من صفات اللّه (وَ إِنَّ اللّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ) . (۲) و ذكرت هذه الصفه للنبی إبراهيم فی موضعين فی القرآن.(۳)

قال الإمام علی عليه السلام: إنّ أول عوض يتلقّاه الحليم عن حلمه أنّ الناس يناصرونه علی الجاهل.(۴) و قال أيضاً فی موضع آخر: «الْحِلْمُ فِدَامُ السَّفِيهِ»؛(۵) لأن الحليم بسلوكه النبيل يرغم الجاهل علی الصمت فی مقابله. و قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام فی بيان صفات الشيعه: «خمش البطون و ذبل الشفاه و أهل ورع و علم و حلم».(۶) و قال أيضاً فی بيانه لِما ينبغی أن يتّصف به من يبغی الحج إلی بيت اللّه الحرام «كان أبی يقول: ما يُعبأ بمن يؤم هذا البيت إذا لم يكن فيه ثلاث خصال: خلق يخالق به من صحبه و حلم يملك به غضبه و ورع يحجزه عن محارم اللّه عزّوجلّ».(۷) و روی عن النبیّ صلی الله عليه و آله و سلم: «لا يكمل المؤمن فی إيمانه إلّاأن تكون فيه ثلاث خصال: حلم يردعه عن الجهل،...».(۸)

و قال أميرالمؤمنين عليه السلام: إن لم تكن حليماً فعليك بالتحلّم؛ فإنه نادراً ما يتشبّه أحد بقوم إلّا يوشك أن يكون منهم.(۹)

۱- – الراغب الاصفهانی، مفردات إلفاظ القرآن، ص ۲۵۳.

۲- سوره الحج (۲۲)، الآيه ۵۹.

۳- راجع: سوره التوبه (۹)، الآيه ۱۱۴؛ وسوره هود (۱۱)، الآيه ۷۵.

۴- – الشريف الرضی، نهج البلاغه، الحكمه ۲۰۶.

۵- الشريف الرضی، نهج البلاغه، الحكمه ۲۱۱، ص ۵۰۶.

۶- – الكُلينی، الكافی، ج ۲، ص ۲۳۳، الحديث ۱۰.

۷- – الصدوق، من لايحضره الفقيه، ج ۲، ص ۲۷۳، باب ما يجب علی المسافر فی الطريق، الحديث ۲۴۲۴؛ الكُلينی، الكافی، ج ۴، ص ۲۸۵، الحديث ۱؛ الطوسی، تهذيب الأحكام، ج ۵، ص ۴۴۵، الحديث ۱۹۵.

۸- النوری، الميرزا حسين، مستدرک الوسائل، الباب ۲۶ من أبواب جهاد النفس، ج ۱۱، ص ۲۸۸، الحديث ۶.

۹- الشريف الرضی، نهج البلاغه، الحكمه ۲۰۷، ص ۵۰۶.

العفّه

العفّه: حصول حاله للنفس تمتنع بها عن غلبه الشهوه،(۱) و هی تعنی اجتناب التحلل والتهتّک. والعفّه تدعو المرء إلی ترک الصفات البذیئه و کل ما هو قبیح من القول والفعل والتغلّب علیها. والعفّه والحیاء مصدران لمحاسن الصفات، و رادعان عن کل ما هو مستقبح.

و من أبرز مصادیق العفّه ضبط الشهوه الجنسیه و عدم السماح لها بالامتداد إلی خارج ما رسمته لها الشریعه. إذ لایفلح من ترک عنان شهوته. و یبیّن القرآن الکریم أنّ أبرز صفات المؤمنین العفّه: (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ... وَ الَّذِینَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حافِظُونَ * إِلاّ عَلی أَزْواجِهِمْ...) . (۲) و أجدر من ینبغی له أن یتّصف بهذه الصفه، العزّاب الذین لایتیسّر لهم الزواج، و ذلک فی قوله تعالی: (وَ لْیَسْتَعْفِفِ الَّذِینَ لا یَجِدُونَ نِکاحاً حَتّی یُغْنِیَهُمُ اللّهُ مِنْ فَضْلِهِ) .(۳)

و أبرز أبطال العفه والطهاره الذین ذکرهم القرآن هو النبیّ یوسف علیه السلام الذی اجتمعت فیه السیره الملکوتیه والسیره الملائکیه، و کان یتّصف بجمال ظاهری و باطنی. فهو کان فی الظاهر غلاماً من غلمان البلاط، و لکنّه کان فی واقع الحال أکثر تحرراً من أیّ حرّ. و قد أُلقی فی السجن الذی اختاره بنفسه مرجّحاً إیاه علی حریّه مصحوبه بالإثم الذی دعته إلیه زوجه عزیز مصر و نساء البلاط. و کان ردّه علی ما دعته إلیه زوجه عزیز مصر أن قال:

(مَعاذَ اللّهِ إِنَّهُ رَبِّی أَحْسَنَ مَثْوایَ) .(۴)

و من مظاهر العفّه اجتناب النظر الحرام، و عدم النظر إلی الأجنبیه بریبه و شهوه؛ لأن النظر بشهوه - کما قال النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم - سهم من سهام إبلیس.(۵) و قال علیه السلام: «و کم من نظره أورثت حسره طویله».(۶)

۱- - الراغب الاصفهانی، مفردات ألفاظ القرآن، ص ۵۷۳، ماده «عف».

۲- - سوره المؤمنون (۲۳)، الآیات ۱-۳؛ سوره المعارج (۷۰) الآیتان ۲۹-۳۰.

۳- سوره النور (۲۴)، الآیه ۳۳.

۴- سوره یوسف (۱۲)، الآیه ۲۳.

۵- - الصدوق، من لایحضره الفقیه، باب ما جاء فی النظر إلی النساء، ج ۴، ص ۱۸، الحدیث ۴۹۶۹.

۶- الکافی، ج ۵، ص ۵۵۹، الحدیث ۱۲.

و من صفات المسلم العفّه والطهاره؛ عفّه النظر، و طهاره الذيل، والعفّه فی مراعاه شروط الزينه و ظُروفها. و فی الوسط الاجتماعی الذی تهتک فيه حجب العفّه، لابدّ من أن تُخترق أسوار حياء أفراد المجتمع. و لاشکّ فی أنّ معالم المجتمع الإسلامی فی علاقاته الاجتماعيه، و خاصه العلاقه بين الرجل والمرأه، ينمّ عن وقار و حياء و رزانه و عفّه و تحرّز من أیّ قول أو فعل مثير للشهوه. و لابُدّ من أن يكون الكلام واللّباس والسلوک الاجتماعی معبّراً عن عفّه و حياء باطنی.

جاء فی القرآن الكريم خطاب لأزواج الرسول صلی الله عليه و آله و سلم يحثهُنّ على التقوى و عدم الخضوع فی القول: (فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِی فِی قَلْبِهِ مَرَضٌ) (۱) ناهياً إيّاهن من التبرّج (وَ لا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجاهِلِيَّهِ الْأُولی) . (۲) كما يسرد القرآن أيضاً قصّه بنت شعيب عليه السلام التی أرسلها أبوها لدعوه النبیّ موسی للقدوم إليه، مبيّناً ذلک بقوله: (فَجاءَتْهُ إِحْداهُما تَمْشِی عَلَی اسْتِحْياءٍ) .(۳)

و هناک مجالات أُخری ينبغی التزام العفّه فيها، و هی المجالات الماليه والعلاقات الاقتصاديه؛ و منها أن لايجاهر المعوز بعوزه، بل عليه أن يتعفّف و يحافظ على عزه نفسه، و لايبدی حاجته أمام كل أحد. جاء فی القرآن الكريم: (يَحْسَبُهُمُ الْجاهِلُ أَغْنِياءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيماهُمْ لا يَسْئَلُونَ النّاسَ إِلْحافاً) .(۴)

الإحسان

التعاون فی الحياه الاجتماعيه من الضروريات. وتقديم العون للآخرين هو ما يُسمّی بالإحسان. و هذه الكلمه مشتقه من «الحسن» بمعنی العَمل الجميل والصالح. و كل عمل جميل سواء جاء على شكل تقديم الخير والمعونه الماليه أو القيام بأعمال خيريه أُخری يُسمّی إحساناً. والإحسان يمثّل ذروه التكافل الاجتماعی لمعالجه المشاكل الماليه أو الإنسانيه للمجتمع. والإسلام لايحبّذ للمسلم التقوقع على ذاته والاهتمام بأُموره الذاتيه

۱- – سوره الأحزاب (۳۳)، الآيه ۳۲.

۲- – سوره الأحزاب (۳۳)، الآيه ۳۳.

۳- سوره القصص (۲۸)، الآيه ۲۵.

۴- سوره البقره (۲)، الآيه ۲۷۲.

فحسب، مع عدم الاهتمام بما يجرى حوله، أو يتجاهل ما يدور فى بيئته الاجتماعيه و لايبدى أىّ رد فعل إزاء ذلك.

غالباً ما تحمل الارشادات الاجتماعيه جانباً اجتماعياً. و هى تحمل بين ثناياها دلالات على أنّ الإسلام قد فَرَض على المسلم المبادره إلى أعمال الخير والمشاركه فى إصلاح شؤون المجتمع. فما حثّ عليه الإسلام من إحسان، و برٍّ، و أمر بالمعروف و نهى عن المُنكَر، ورحمه، ورأفه، و تعاون على الخير، و مساعده المحرومين والفقراء والمحتاجين، و إنفاق، و صدقه، يُصب كُلّه فى مسار تأمين الحاجات الاجتماعيه للناس. و مؤدّاه بالنتيجه تحسين وضع المجتمع. و على العموم فالإحسان من المبادىء الأساسيه فى التعاليم الدينيه والتربويه، و قد أمر اللّه تعالى بالعدل والإحسان.

قال تعالى فى كتابه الكريم: (إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَ إِنْ أَسَأْتُمْ فَلَها) .(۱)

و معنى هذا ليس أنّ الفرد إذا عمل صالحاً لاتعود فائدته على الآخرين فقط، بل إنّ فائده عمله الصالح تعود عليه، هذا فضلاً عما يجنيه من أجرٍ معنوى. و إضافه إلى ما ذُكر فإنّ محبّه المحسن تنغرس فى القلوب، علاوه على أنه لايلقى حسداً أو حقداً و عداءً من أحد. و إذا واجهته مشكله لايجد نفسه وحيداً إزاءها. و لابُدّ من الإشاره طبعاً إلى أنّ الإحسان يجب أن يكون لوجه اللّه و لنيل رضاه، و أن يكون أيضاً بعيداً عن الإسراف والتبذير.

التراحم والمودّه

من أبرز صفات اللّه صفه الرحمن والرحيم. قال تعالى فى القرآن: (كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلى نَفْسِهِ الرَّحْمَهَ) (۲) و هو يحب أن تكون هذه الصفه فى عباده. قال نبيّنا محمد صلى الله عليه و آله و سلم: «إنّ اللّهَ عزّوجلّ رَحيمٌ و يُحِبُّ كلَّ رَحيم».(۳) و وصف اللّه تبارك و تعالى فى القرآن الكريم النبىّ بالرحمه، قائلاً: (وَ ما أَرْسَلْناكَ إِلاّ رَحْمَهً لِلْعالَمِينَ) ، (۴) و وصفه فى موضع آخر بأنه

۱- – سوره الإسراء (۱۷)، الآيه ۷.

۲- – سوره الأنعام (۶)، الآيه ۵۴.

۳- – المجلسى، بحارالأنوار، ج ۷۱، ص ۳۹۴، الحديث ۱۶.

۴- – سوره الأنبياء (۲۱)، الآيه ۱۰۷.

حریص علی المؤمنین و بهم رؤوف رحیم: (لَقَدْ جاءَکُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِکُمْ عَزِیزٌ عَلَیْهِ ما عَنِتُّمْ حَرِیصٌ عَلَیْکُمْ بِالْمُؤْمِنِینَ رَؤُفٌ رَحِیمٌ) . (۱) إنّ الأُسلوب الذی مارسه رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم فی التعامل برأفه ورحمه مع أُناس کانت الغلظه والقسوه جزءاً من طبیعتهم، أدّی إلی أن یصنع منهم أُناساً مؤمنین و یتّصفون بالرأفه والرحمه.

فالرحمه والموده التی غمرهم بها النبیّ، کانت باعثاً علی ازدهار مکارم الأخلاق والفضائل الإنسانیه فیهم.

ممّا أوصی اللّه به المؤمنین أن یتبعوا أُسلوب الرأفه والرحمه فی التعامل مع عباده. روی عن رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم أنه قال: «من لایَرْحم لایُرحَم».(۲)

و قال الإمام الصادق علیه السلام فی هذا المجال: «تَواصَلوا و تَبارُّوا و تَراحَمُوا و کونوا إخْوهً بَرَرهً کما امَرَکُمُ اللّه».(۳) و قال رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم: «وقروا کبارکم وارحموا صغارکم».(۴)

و هذا طبعاً یستدعی مزیداً من الاهتمام خاصه بشؤون غیر القادرین علی العیش الکریم فهؤلاء ینبغی أن یحصلوا علی مزید من الرعایه والاهتمام.

المداراه

المداراه تعنی السلوک الذی یتسم بالرأفه واللین مع الآخرین. و هذه الصفه من الأُمور ذات الأهمیه البالغه فی العلاقات الاجتماعیه؛ أی کیف ینبغی التحدث مع الآخرین والتعامل معهم بحیث تکون أجواء الحیاه هادئه و بعیده عن التناحر والجدال.

إن أساس التعالیم الأخلاقیه فی الأدیان السماویه مبنی علی الرأفه والمودّه وحُب الخیر للآخرین. نذکر علی سبیل المثال أنّ فرعون ادّعی الأُلوهیه و کان ظالماً و مستبداً وسفاحاً إلی أبعد الحدود، و لکن اللّه بعث إلیه موسی و هارون علیهما السلام عسی أن تؤثر فیه الدعوه

۱- – سوره التوبه (۹)، الآیه ۱۲۸.

۲- الحرّ العاملی، وسائل الشیعه، الباب ۱۹ من أبواب المواقیت، ج ۴، ص ۱۹۷، الحدیث ۱۶.

۳- – المصدر السابق، الباب ۱۲۴ من أحکام العشره، ج ۱۲، ص ۲۱۶، الحدیث ۳.

۴- المصدر السابق، الباب ۱۸ من أحکام شهر رمضان، ج ۷، ص ۲۲۷، الحدیث ۲۰.

المعنويه: (... فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشى) . (۱) و ممّا ورد فی هذا المعنی أنّ رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم قال: «اَعْقلُ النّاسِ اشَدُّهم مُداراةً للنّاس».(۲)

و روی عنه أیضاً أنه قال: «مُداراهُ الناس صدقهٌ».(۳) والصدقه لاتقتصر علی العون المالی فحسب، بل حسن الأخلاق، والبشاشه، و مداراه الناس هی أیضاً نوع من الصدقه.

فلو قدّمت مالاً لفقیر و لکن بأُسلوب یتسم بالغلظه والأذی، لَما کانت لهذا العمل قیمه.

جاء فی القرآن الکریم: (لا تُبْطِلُوا صَدَقاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَ الْأَذی) . (۴) و یأمر اللّه نبیّه بما یلی: (وَ إِمّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغاءَ رَحْمَهٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوها فَقُلْ لَهُمْ قَوْلاً مَیْسُوراً) .(۵)

نقل أحد أصحاب الإمام علی بن موسی الرضا علیه السلام أنّه سمعه یقول: إنّ المؤمن لایکون مؤمناً إلّاإذا کانت فیه ثلاث خصال: و إحدی هذه الخصال أن تکون لدیه سنّه من نبیّه و هی مداراه الناس امتثالاً لأمر اللّه تعالی: (خُذِ الْعَفْوَ وَ أْمُرْ بِالْعُرْفِ) .(۶)

روی الإمام الصادق علیه السلام عن رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم أنه قال: «مُداراهُ النّاسِ نِصْفُ الإیمان والرِّفْقُ بِهِم نِصفُ الْعَیْشِ»(۷) فالشخص إذا کان حاد المزاج وسیّیء الأخلاق فإنّه یجعل الحیاه مرّه بالنسبه إلی نفسه و إلی غیره. والإنسان الغشوم المجرّد من العواطف لایغرس فی الأنفس سوی العنف والقسوه و لایحصد طبعاً غیر الحقد والعداء. یقول الإمام علی بن أبی طالب: «مَنْ لانَ عُوْدُهُ كَثُفَتْ اغْصانُه».(۸) بمعنی أنّ صاحب الأخلاق الدمثه لدیه قدره علی اجتذاب کثیر من الأصدقاء، و لایبقی وحیداً أبداً فی منعطفات الحیاه، علی خلاف سیّیء الطباع الذی لایرغب أحد فی الاقتراب منه. یروی فی هذا المضمار أنّ آخر وصایا

۱- – سوره طه (۲۰)، الآیه ۴۴.

۲- الصدوق، معانی الاخبار، باب معنی الغایات، ص ۱۹۶، الحدیث ۱؛ من لایحضره الفقیه، ج ۴، ص ۲۸۲، الحدیث ۸۳۶.

۳- – نهج الفصاحه، ص ۵۶۶، الحدیث ۲۷۳۶.

۴- – سوره البقره (۲)، الآیه ۲۶۴.

۵- سوره الإسراء (۱۷)، الآیه ۲۸.

۶- سوره الأعراف (۷)، الآیه ۱۹۹. والکلینی، الکافی، ج ۲، ص ۲۴۱، الحدیث ۳۹.

۷- – الکُلینی، الکافی، ج ۲، ص ۱۱۷، الحدیث ۵؛ الحرّ العاملی، وسائل الشیعه، الباب ۱۲۱ من أحکام العشره، ج ۱۲، ص ۲۰۱، الحدیث ۵.

۸- – الشریف الرضی، نهج البلاغه، الحکمه ۲۱۴، ص ۵۰۷.

الخضر علیه السلام لموسی علیه السلام أنّ الرفق بعباد اللّه أحبّ الأمور إلی اللّه؛ لأنه ما مِن أحد یرفق بآخر فی الدنیا إلّایرفق اللّه به یوم القیامه.(۱)

والمؤمن ینبغی أن یتعامل مع الناس بوجه بَشوش و طلاقه محیا. فقد ورد فی روایه عن الإمام الباقر علیه السلام أمر أن یلقی المؤمن اخاه بِوَجْهٍ مُنْبَسِطٍ.(۲)

و قال أمیرالمؤمنین علیه السلام: «ابذل لأخیک دمک و مالک، و لعدوّک عدلک و إنصافک، و للعامّه بشرک و إحسانک».(۳)

آداب المعاشره

نجاح الإنسان فی الحیاه یعود قسم منه إلی المجتمع، و یتوقّف علی کیفیه علاقته بسائر الناس. فمن المهم بالنسبه لنا أن نعرف کیف نتعامل مع الناس؟ و کیف نحترمهم و نکون علی بیّنه من مسؤولیّتنا إزاءهم؟ و أن لانعتبر أنفسنا بمعزلٍ عنهم. و انطلاقاً من هذه الرؤیه فقد وردت فی التعالیم الإسلامیه وصایا تعتبر من مکمّلات الأخلاق، و فیها عون للإنسان فی الحیاه، و هذا ما یفرض علیه طبعاً العمل بها. نذکر من ذلک مثلاً أنه من المناسب أن یسلّم المؤمن علی من یلقاه. و هذا العمل بحدّ ذاته مستحب و لکن جوابه واجب(۴) و قال الإمام الصادق علیه السلام إنّ البخیل هو من یبخل بالسلام.(۵) و من محاسن الأخلاق الاجتماعیه أیضاً البِشْر؛ إذ قال الإمام الصادق علیه السلام فی بیان أهمیته أنّ هناک ثلاثه أشیاء من أتی بواحده منهنَّ وجبت له الجنّه و هی: الإنفاق من إقتار، والبشر لجمیع الناس، والإنصاف مع الناس(۶) کما وردت تأکیدات کثیره تحثّ علی المصافحه فقد قال الإمام محمد الباقر علیه السلام: إنّ المؤمنین إذا التقیا وتصافحا أدخل اللّه یده بین أیدیهما.(۷) و هذا یعنی بأن حسن التعامل مع الناس

۱- المجلسی، بحارالأنوار، ج ۱۳، ص ۲۹۴، الحدیث ۸.

۲- الحرّ العاملی، وسائل الشیعه، ج ۱۲، الباب ۱۰۷ من أحکام العشره، الحدیث ۲.

۳- الحرّانی، تُحف العقول، ص ۲۱۲.

۴- - الکُلینی، الکافی، ج ۲، ص ۶۴۴، الحدیث ۱.

۵- - المصدر السابق، ص ۶۴۵، الحدیث ۶.

۶- - المصدر السابق، ص ۱۰۳، الحدیث ۲.

۷- - المصدر السابق، ص ۱۷۹، الحدیث ۲.

يوجب رضا اللّه و يكون مدعاه للنجاح فى الحياه.

و من محاسن الأخلاق الاجتماعيه أيضاً الصدق مع الناس واجتناب الكذب. و دعا الإمام الصادق عند بيانه لأهميه هذه الخصله إلى عدم النظر إلى طول سجود الرجل وركوعه، لأنه ربّما اعتاد على هذه الممارسه و يستشعر الوحشه إذا تركها، و لكن انظروا إلى صدقه فى الحديث و أدائه للأمانه.(۱)

ينبغى طبعاً التعامل مع الآخرين بإنصاف؛ و أن نحبَّ للآخرين ما نحبّ لأنفسنا. روى عن النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم أنه قال: «سيد الأعمال إنصاف الناس من نفسك، و مواساه الآخر فى اللّه، و ذكر اللّه عزّوجلّ على كل حال».(۲) و فى الوقت الذى يمدّ فيه الإنسان يد العون للآخرين عليه أن يستغنى عنهم و لايمد يد الحاجه إليهم. و هذه الخصله أشار إليها الإمام محمد الباقر عليه السلام حين بين أنّ اليأس مما فى أيدى الناس عزّ للمؤمن فى دينه.(۳) و فى الوقت ذاته ينبغى أن يهتم المؤمن بأُمور المسلمين و لايعتزلهم، امتثالاً لقول رسولنا صلى الله عليه و آله و سلم: من أصبح و لم يهتمّ بأُمور المسلمين فليس بمسلم.(۴) و يُفترض طبعاً المبادره إلى قضاء حاجات المؤمنين و معالجه مشاكلهم، خاصه إذا كان هناك اختلاف بينهم؛ إذ ينبغى الإسراع إلى حلّه.

كما يتعيّن أيضاً اجتناب الجدل والمنازعات الفارغه؛ لأنّ مثل هذه الممارسات تؤدّى إلى مرض القلب و غرس النفاق فى النفوس.(۵)

أخلاق الأُمراء والمسؤولين

اشاره

إحدى الخصائص التى تتميّز بها التعاليم الإسلاميه فى ما يخصّ أخلاق المسؤولين، فضلاً عن آليّه الرقابه الخارجيه على أعمالهم، والتأكيد على حقّ الانتخاب والنقد، هى أنّ

۱- المصدر السابق، ص ۱۰۵، الحديث ۱۲.

۲- – المصدر السابق، ص ۱۴۵، الحديث ۷.

۳- – المصدر السابق، ص ۱۴۹، الحديث ۶.

۴- – الحرّ العاملى، وسائل الشيعه، الباب ۱۸ من أبواب فعل المعروف، ج ۱۶، ص ۳۳۶، الحديث ۲.

۵- الكلينى، الكافى، باب المراء والخصومه، ج ۲، ص ۳۰۰.

فیها وصایا و توجیهات أخلاقیه للمسؤولین؛ لکی یکون لـدیهم وازع ذاتی و انـدفاع نحو تهذیب الأخلاق و بناء الذات. إذ ینبغی علی المسؤولین و أصحاب المناصب أن یضعوا نصب أعینهم علی الدوام فی سلوکهم أمرین:

الأوّل: ضـبط میولهم و أهوائهم النفسـیه، مع الحرص علی أن لاتأتی أفعالهم من باب الانسیاق وراء الأهواء النفسیه. و إذا رأوا أنّ بعض الأعمال ینطلق من رغبات و نوازع نفسـیه، فعلیهم اجتنابها. روی أن أمیرالمؤمنین علیه السلام قال: «اَجَلُّ الاُمَراءِ مَنْ لَمْ یَکُن الهوی عَلَیْهِ امیراً».(۱)

الثانی: نظراً إلی وجودهم فی مواقع مؤثّره و حسّاسه، فعلیهم اجتناب کل ما مِن شأنه هـدر حقوق الناس. و علیهم أن لایفعلوا - و إنّ کـان بشـکل غیر مباشـر - مـا یترک تأثیراً سـلبیاً فی سـلوک الناس، مثل الإکثار من الکمالیات، و إطلاق أیـدی أفراد الاُسـره والأقارب لاستغلال المقدرات العامّه لأغراض شخصیه و ما شابه ذلک.

و فی ضوء ذلـک و بمـا أن المسؤولین معرضون لاسـتغلال مواقعهم و مناصـبهم، و یحتمـل منهم أکثر مما یُحتمل من غیرهم من النـاس، و قـد یصـدر منهم اسـتعمال القوّه ضـدّهم والإجحاف بحقّهم، لـذلک یجب علیهم أن یراقبوا سـلوکهم أکثر من غیرهم: «قلوبُ الرّعیهِ خَزائنُ راعیها فَما اوْدَعَها من عدل او جور وجده».(۲)

و نظراً إلی حساسیه موقع المسؤولین و تـأثیرهم فی النـاس، و لما کانوا أقـدر من غیرهم علی اسـتغلال مناصـبهم، وهم معرضون للانحراف والانزلاق أکثر من سائر الناس، فقد تضـمّنت التعالیم الدینیه - فضلاً عن الإرشادات العامّه الوارده لکل الناس - وصایا خـاصّه بهم. و جـاءت عن المعصومین علیهم السـلام تعـالیم و وصایـا أخلاقیه للمسؤولین، و هی تتناسب بطبیعه الحال مع الآفات التی غالبـاً مـا تُبتلی بها هـذه الشـریحه. لقـد قـدّم الإمام علی علیه السـلام فی عهـده إلی مالک الأشتر رضوان اللّه علیه وصایا فی تهذیب النفس، قبل أن یقدّم له وصایا فی

۱- الآمدی، غُرَر الحِکَم، ص ۳۴۰، الحدیث ۷۷۸۲.

۲- المصدر السابق، ص ۳۴۶، الحدیث ۷۹۸۲.

شؤون الولايه والحكومه؛ و ذلك لأنّ المسؤول الحكومى يجب أن يكون مهذّباً حتى يستطيع تهذيب الناس. فالكثير من الناس يقتدى بالمسؤولين. والحاكم طالما لم يصلح نفسه، لايستطيع اصلاح الآخرين: «من نَصَبَ نفسَهُ للنّاسِ إماماً فَلْيبدأ بتَعْليم نَفْسِهِ قبلَ تعليمِ غيرِهِ وليَكُنْ تأديبُهُ بسيرتهِ قبلَ تأديبهِ بِلسانهِ و مُعَلِّمُ نفسِهِ و مُؤدّبها احَقُّ بالاِجْلالِ من مُعَلّمِ النّاس و مُؤَدّبِهِمْ».(۱)

عَزى أميرالمؤمنين عليه السلام سقوط الدول إلى عدّه أسباب حين قال: «يستدلُّ على إدبار الدوَلِ بأربعه: تضييعُ الأُصول، والتمسُّك بالغرور، و تقديمُ الأراذل و تأخيرُ الأفاضل».(۲)

نستعرض فى ما يلى مجموعه من الملاحظات المهمّه التى ينبغى على المسؤولين الالتزام بها فى سلوكهم و أخلاقهم:

۱ – الصفح

المسؤولون و أصحاب المناصب الحكوميه يكون موقعهم فى صداره الأُمور، و لهذا السبب فإنَّ الناس يعقدون عليهم الكثير من الآمال، و لكن حين يشعر الناس أنّهم لا ينجزون لهم أعمالهم، أو أنهم يهدرون حقوقهم، فمن المحتمل أن يغضبوا عليهم و حتى قد يشتموهم. و على المسؤولين والمتصدّين لزمام الأُمور أن يصفحوا عمّا يصدر من الناس من أخطاء تجاه الحُكّام، و أن يسامحوهم عليها. فمن المساوىء التى قد تلحق بالمسؤولين على الدوام هى التعدّى والطغيان والتعامل مع الناس بقسوه.

قال الإمام على عليه السلام: «اَقْبَحُ افْعالِ المُقْتَدِرِ الانتقام».(۳) و كأَنّ الإمام يريد أن يقول بكلمه أُخرى: إنّ الصفح عن خطأ المخطىء أمر محمود. و هو يقول لمن يظفر بالمسىء إليه: إن أوْلى الناس بالعفو أقدرهم على الانتقام ممّن أساء إليه.(۴) و يقول أيضاً فى موضع آخر:

۱- الشريف الرضى، نهج البلاغه، الحكمه ۷۳، ص ۴۸۰.

۲- الخوانسارى، جمال الدّين، شرح غُرَر الحِكَم، ج ۶، ص ۴۵۰ و ۴۵۱، الحديث ۱۰۹۶۵.

۳- – الآمدى، غُرَر الحِكَم، ص ۳۴۶، الحديث ۷۹۵۲.

۴- – الشريف الرضى، نهج البلاغه، الحكمه ۵۲، ص ۴۷۸.

«العفوُ زينُ القُدره».(۱) و هو يقول فى عهده إلى مالك الاشتر إنّ الناس «يَفْرُطُ مِنْهُمُ الزَّلَلُ وَ تَعْرِضُ لَهُمُ الْعِلَلُ وَ يُؤْتَى عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي الْعَمْدِ وَ الْخَطَإِ».(۲) و يواصل الإمام كلامه هذا بالقول: «فَاعْطِهِمْ من عَفْوِك و صَفْحِكَ مِثْلَ الّذى تُحبُّ أن يُعطيكَ اللّهُ من عَفْوِهِ و صَفْحِهِ». صحيح انّك حاكم على الناس و مسلّط عليهم، و لكن فوقك الذى ولّاك، واللّه فوق الوالى الذى ولّاك.

و جاء فى مقطع آخر مما عهد به عليه السلام إلى مالك الاشتر (رضوان اللّه عليه) إنّ ظُلم الرعيه حرب على اللّه. «و لاتَنْصِبَنَّ نفسَكَ لِحَربِ اللّه».

إنَّ ظلم أى أحدٍ من الناس و خاصه المسلم، بمثابه حرب على اللّه. و أنت لا طاقه لديك لدفع غضب اللّه و انتقامه، و بالنتيجه تصيبك المسكنه والذلّه فى مقابل غضب اللّه. و أنت لايمكن أن تستغنى أبداً عن رحمه اللّه. إذاً طالما أنت بحاجه إلى عفو اللّه ورحمته و مغفرته، عليك أن تعامل الرعيه الذين تحت يدك بالعفو والرحمه. و عليك ان لاتندم على العفو، و لايدخل عليك السرور لمعاقبه أحد.(۳)

احد الأُمور التى تؤكد عليها التعاليم الدينيه هو العفو عن سلوك الجاهلين، و عمّن لايراعون حقّ الحكّام، و يتصرّفون معهم بأُسلوب مُهين. جاء فى القرآن الكريم خطاب موجّه إلى رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم و هو: (خُذِ الْعَفْوَ وَ أْمُرْ بِالْعُرْفِ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْجاهِلِينَ) . (۴) و جاء فى موضع آخر: (فَاعْفُ عَنْهُمْ وَ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ) .(۵)

و جاء فى حديث مروى عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنّه قال: «أما علمت أنّ اماره بنى أُميه كانت بالسيف والعسف والجور و إنّ إمارتنا بالرفق والتألف والوقار والتقيه و حسن الخلطه والورع والاجتهاد، فرغِّبوا الناس فى دينكم و فيما أنتم فيه».(۶)

۱- – الآمدى، غُرَر الحِكَم، ص ۳۴۲، الحديث ۷۸۱۵.

۲- – الشريف الرضى، نهج البلاغه، الكتاب ۵۳.

۳- الشريف الرضى، نهج البلاغه، الكتاب ۵۳، ص ۴۲۸.

۴- سوره الأعراف (۷)، الآيه ۱۹۹.

۵- سوره آل عمران (۳)، الآيه ۱۵۹.

۶- – الصدوق، الخصال، باب السبعه، ص ۳۵۴ و ۳۵۵، الحديث ۳۵.

ابرز موانع العفو والصفح هو الخشيه من إصرار المخطىء على خطئه أو المجرم على جُرمه، و هذا ما يؤدى عاده إلى ثنى الحاكم عن العفو. و قد ورد فى روايه عن الإمام محمد الباقر عليه السلام إنّه قال: «النَّدامهُ عَلَى العَفْوِ افْضَلُ وَ ايْسَرُ من النَّدامَهِ عَلَى العُقُوبه».(۱)

و من الأخلاق الحسنه الأُخرى التى ينبغى أن يتحلّى بها المسؤولون هى التغافل والتغاضى عن إساءات و مخالفات الأفراد لحقوق الحكومه. و كذلك التواضع للناس والابتعاد عن الكبر والغرور والاستبداد و ما شابه ذلك.

۲ – تهذيب النفس

تهذيب النفس صفه ينبغى أن يسعى إليها كل الناس. و بما أنّ من يتبوّأون مواقع حساسه يحظون عاده بإقبال جماهيرى، أو تكون تحت تصرّفهم مقدّرات هائله، معرّضون أكثر من غيرهم لوساوس النفس والشيطان، فلابّد أن تكون المسؤوليه الملقاه عليهم فى تهذيب أنفسهم أكثر من المسؤوليه الملقاه على غيرهم. الناس كلّهم معرّضون فى كل لحظه للوقوع فى منزلقات الأهواء. و كما ذكرنا أنّ الإمام عليّاً عليه السلام قال: «اَجَلُّ الأُمَراءِ مَنْ لَمْ يَكُنِ الهوى عَلَيْهِ اميراً».(۲) فعلى مَن يتحمّلون مسؤوليات اجتماعيه ان يسيروا بحذر و انتباه لكى لايقعوا عند أداء واجباتهم الاجتماعيه فى منزلقات تجعلهم يقترفون خيانه أو خشونه بدلاً من خدمه الناس، فيكون ذلك مدعاه للخسران فى الآخره. قال الإمام على عليه السلام لمالك الأشتر: «و إذا احْدَثَ لَكَ ما انتَ فيهِ من سُلطانِك ابّهةً او مَخيلةً فانْظُرْ إلى عِظَمِ مُلكِ اللّهِ فَوقَك». واذكر أن سلطان اللّه فوق سلطانك. و أنت مخلوق اللّه و حياتك و موتك بيده.

وانظر إلى عظمه ملك اللّه، و لاتنسَ أن اللّه قادر على ما عندك أكثر من قدرتك. و أنت إذا ذكرت عظمه اللّه اضمحلت فى نفسك دواعى الغرور والكِبر، وتبددت منك الحِدّه. فالكبر والغرور يستشرى فى النفس عند غياب العقل؛ إذ إن العاقل يعلم أنه لا شىء، و أنه مجرد

۱- الكلينى، الكافى، ج ۲، ص ۱۰۸، الحديث، ص ۱۰۸، الحديث ۶.

۲- – الآمدى، غُرَر الحِكَم، ص ۳۴۰، الحديث ۷۷۸۲.

مخلوق للّه، والعقل لايُرخی لصاحبه زمام الجموح، و لکن استذکار عظمه اللّه یعید إلی ناظریک ما غاب عن عقلک.

ثم قال: «ایّاک و مُساماهَ اللّه فی عَظَمَتِهِ»، و مثلما تری اللّه کبیراً تستکبر و تحاول مضاهاه اللّه فی عظمته، و علیک أن لاتکون کما قال فرعون (أَنَا رَبُّکُمُ الْأَعْلی) . (۱) و تتشبّه بما للّه من عظمه وجبروت. و إذا عرضت عندک هذه الحاله من الکبر فإنَّ اللّه یذلّک «فإنّ اللّه یُذلُّ کلَّ جبّار و یُهینُ کلّ مُختال».(۲)

أوصی الإمام علی علیه السلام مالک الأشتر فی عهده إلیه ان یلجم نفسه عند الشهوات، و أن یخضعها لإرادته فیما إذا حاولت التمرد والعصیان؛ لأن النفس تأمر بالسوء والفحشاء.

فهو علیه السلام یقول له: علیک أن تشحّ بنفسک عما لایحل لک؛ لأن هذا النوع من الشُحّ إنصاف منها فی ما أحبَّت أو کرهَت.(۳) فی بعض الأحیان قد تکره النفس شیئاً ممّا لایتماشی مع مشتهاها، و لکن یکون فیه خیر؛ فالإنسان یکره الحرب مثلاً و لاترتاح نفسه للوقائع المؤلمه والمریره، و لکن هذه الأُمور قد تکون ضروریه لنضجه و کماله. قال تعالی فی کتابه الکریم:

(وَ عَسی أَنْ تَکْرَهُوا شَیْئاً وَ هُوَ خَیْرٌ لَکُمْ وَ عَسی أَنْ تُحِبُّوا شَیْئاً وَ هُوَ شَرٌّ لَکُمْ) .(۴)

۳ – مداراه الناس

الغایه الأساسیه من وجود الحکومه هی نظم أُمور الناس و إصلاح أُمورهم. والحکومه لم تُجعل من أجل السیاده علی الناس والتسلط علیهم، بل للتخطیط لإداره شؤونهم و توفیر الأمن والمعاش لهم. و انطلاقاً من ذلک یجب علی الحکومه أن تسعی لتلبیه الحاجات المشروعه للناس و کسب رضاهم.

قال أمیرالمؤمنین علیه السلام مخاطباً مالک الأشتر: «وَلْیَکُنْ احَبُّ الأُمور اِلَیْکَ اوْسَطُها فِی الْحقّ وَ اعَمّها فِی الْعَدْلِ وَ اجْمَعَها لِرِضَی الرَّعِیَّه». و کلّما کان الناس راضین عنک أکثر

۱– – سوره النازعات (۷۹)، الآیه ۲۴.

۲– الشریف الرضی، نهج البلاغه، الکتاب ۵۳، ص ۴۲۸.

۳– – المصدر السابق.

۴– سوره البقره (۲)، الآیه ۲۱۶.

كان ذلک أفضل: «فإنَّ سُخْطَ الْعامَّهِ یُجْحِفُ بِرِضَی الْخاصَّهِ وَ انَّ سُخْطَ الْخاصَّهِ یُغْتَفَرُ مَعَ رِضیَ الْعامَّه».(۱)

الحکام یسعون عاده إلی ضمان مصالحهم و مصالح الجماعه المحیطه بهم. و فی هذه الحاله یثیرون سخط عامّه الشعب. و أما إذا سعی الحاکم إلی کسب رضا عامه الشعب، فلابّد أن یؤدّی ذلک إلی سخط المقرّبین والأصدقاء، و لکن أی هذین الخیارین أفضل؟ لاشکّ فی أن من مصلحه الشعب والحاکم أن یکسب رضا الناس حتی و إن کان فی ذلک إثاره لسخط المقربین. و تعلیل ذلک هو أن الشعب إذا سخط و ثار علی الحاکم فسیؤدی ذلک إلی ذهاب رضا المقربین، و لکن إذا رضی الشعب فلن یکون لسخط المقرّبین من ضرر.

فی الظروف العادیه یشکل المقرّبون من الحکام أثقل الناس عبئاً علیهم، و فی الظروف العصیبه یکونون أقل الناس نصره لهم. فإذا کان ثقل الشؤون الاجتماعیه والدینیه یقع علی عامّه الناس، فلابّد أن ینصبّ الاهتمام والرعایه علیهم دائماً. و علی الحاکم أن یرجّح رضا العامّه علی رضا المقرّبین إلیه.

علی الحکومه أن تُلبّی المطالیب المشروعه لأبناء الشعب، و أن تُبدی محبتها لهم، فالمحبّه تستمیل قلوب الآخرین. والإنسان یحرص عاده علی أن یکون محبوباً و موضع اهتمام. و إذا رأی الإنسان محبّه من أیّ موجود کان فإنّه یمیل إلیه. و هذا ما یفرض علی الحکّام إبداء المحبّه لأبناء الشعب من أجل کسب تأییدهم ورضاهم.

کتب أمیرالمؤمنین علیه السلام فی عهده إلی مالک الأشتر، ما یلی: «وَ اشْعِرْ قَلْبَک الرَّحْمَهَ لِلرَّعِیَهِ وَالمَحبّهَ لهم واللُّطفَ بِهِمْ». و مؤدّی هذا الکلام هو أن لاتکون محبّتک للناس فی الظاهر فقط، أو تکتفی بمجرّد الادّعاء بالدفاع عنهم و حمایه مصالحهم، بل ینبغی أن تنطلق هذه المحبّه والاحترام من أعماق القلب؛ و ینبغی عدم المتاجره باسم الشعب للمصلحه الخاصّه.

و یجب أن تکون محبتک للشعب غیر منفصله عنک، و کأن تکون کالثیاب الداخلیه الملصقه بالبدن، و أن لاتکون هناک فاصله بینک و بین الشعب.

۱- الشریف الرضی، نهج البلاغه، الکتاب ۵۳.

ثم يبيّن الإمام فی سیاق کلامه الأخلاق التی ینبغی أن یتحلّی بها المسؤولون و یقول:

«و لاتکوننّ علیهم سبُعاً ضاریاً تَغْتَنم أکلَهُم فإنّهم صنفان: إمّا أخ لک فی الدّین و إمّا نظیر لک فی الخلق». فأنت إنسان، والمواطن إنسان أیضاً، و ینبغی أن لایکون سلوک الناس مع بعضهم کسلوک الحیوانات مع بعضها.

یتعیّن علی المسؤولین الحکومیین عدم الاکتفاء بالتقاریر للاطّلاع علی مشاکل الناس، بل علیهم تخصیص جزء من وقتهم للاطلاع علی الأوضاع و علی آراء الناس عن کثب.

و هذا یؤدی إلی الاطّلاع علی مشاکل الشعب و معاناته من جهه، و یؤدّی من جهه أُخری إلی إعطاء أبناء الشعب شخصیه وجعلهم یشعرون بأن الحکومه منهم، و هذا ما یدفع أبناء الشعب بطبیعه الحال إلی مؤازره الدوله علی سَدِّ النواقص.

کتب أمیرالمؤمنین علیه السلام فی عهده إلی مالک الاشتر یحثُّه علی أن یخصّص جزءاً من وقته لمقابله من لدیه حاجه من الناس، و دعاه أیضاً إلی أن یجلس هو شخصیاً للاستماع إلیهم و أن یتواضع للّه ویُبعد عنهم جنده و حرسه لکی تکون لهؤلاء الناس حریّه فی الکلام.

و یشترط أیضاً أن یکون هذا المجلس خالیاً من مظاهر الأُبّهه بحیث لا یتجرّأ أحد من الناس علی الکلام.(۱)

و کان أمیرالمؤمنین علیه السلام قد ألقی فی صفین خطبه قال فیها: إنّ اللّه جعل لی حقّاً علیکم بما تولیتُ من أمرکم وجعل لکم حقاً علی. والذی یسترعی الانتباه فی هذا الکلام هو التأکید علی الحقوق المتبادله بین الحاکم والشعب. و قال فی سیاق کلامه أیضاً: «فَلَیسَتْ تَصْلحُ الرّعیهُ الاّ بِصَلاحِ الوُلاهِ و لاتَصْلحُ الوُلاهُ إلاّ بِاسْتِقامَهِ الرَّعیهِ...».

۴ – رفض التملّق و اجتناب سیره الجبابره

و من التعالیم الأخلاقیه الأُخری التی ینبغی أن یتّصف بها المسؤولون هی الحیلوله دون شیوع ثقافه التملّق فی المستویات العلیا لإداره البلاد. و هذا ما یفهم بکل جلاء من خلال سیره النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم والإمام علی علیه السلام فی مدّه حکومته القصیره.

۱- المصدر السابق، الکتاب ۵۳، ص ۴۳۹.

حینما أکثَرَ أحدُ أصحابه من مدحه والثناء علیه، مبدیاً استعداده للطاعه، تحدّثَ علیه السلام ضمن کلام له قال فیه: «فَلا تُکَلِّمُونی بِما تکلّم به الْجَبابِره و لاتَتحفَّظوا منّی بما یتحفّظ به عِنْد اهْلِ البادره». أی یجب أن لایکون سلوککم معی مصطنعاً، و لاتظنوا أننی استثقل سماع کلمه الحق، و لاارید أن تعظّمونی و تتحفّظوا منّی؛ لأن کل من یثقل علیه سماع الحق و دعوه العداله، لابُدّ و أن تطبیق الحق و إجراء العداله سیکون علیه أثقل و أشد، و علی هذا فعلیکم أن لاتتورعوا عن قول الحق والدعوه إلی العدل، فأنا لست أکبر من أن أُخطِیء، و لا أنا فی عملی مصون من الخطأ، إلّاأن یکفینی اللّه نفسی، فهو أقدر علیها منی.(۱)

یضع الحکام عاده حاجزاً من التشریفات بینهم و بین أبناء الشعب. و بهذا یجعلون لأنفسهم مکانه متمیّزه عن سائر الشرائح الاجتماعیه، و یعتبرون أنفسهم أعلی منزله من الشعب، و لیس الشعب إلّاتحت أیدیهم وعبیداً لهم، و یری البعض أن واجب أبناء الشعب هو خدمه الحکّام والتضحیه من أجلهم. و هذه الممارسات تؤدّی بالتدریج إلی غرس آثار سلبیه فی الحکام و تجعلهم یعتقدون أنهم ظل اللّه فی الأرض. والإسلام طبعاً یعارض هذا المنهج الذی یجعل للطبقه الحاکمه امتیازات، و یضعها بمعزل عن الشعب، و یجعلها فوق المساءله. إنَّ مقام: «لایُسئلُ عمّا یفعل»(۲) خاص باللّه وحده. فالإسلام قد أزال الحدود والفواصل المصطنعه بین الناس، و علّمنا أنّ الحُکم لیس بالإکثار من الأُبّهه و مظاهر السلطه المُترفه. والحُکم لیس بالاستیلاء علی الأموال العامّه بشکل أو آخر، و لا هو السلب والنهب لصالح الحاکم و بطانته. و إنّما تقع علی الحاکم واجبات یجب أن یؤدّیها بصفته أمیناً للأُمّه.

عندما کان أمیرالمؤمنین علیه السلام متوجّهاً إلی محاربه معاویه فی صفین، مرَّ بمدینه الأنبار، فاستقبله دهاقنتها و أهالیها و ترجّلوا و أسرعوا بین یدیه. فقال لهم: ما هذا الذی تفعلونه؟ قالوا خلق منا نعظّم به امراءنا. فقال لهم:

واللّه ما ینتفع بهذا امراؤُکم و إنکم لتشقون به علی انفسکم فی دنیاکم و تشقون به فی

۱- المصدر السابق، الخطبه ۲۱۶، ص ۲۴۸ إلی ۳۳۳.

۲- – إشاره إلی الآیه الشریفه: (لا یُسْئَلُ عَمّا یَفْعَلُ وَ هُمْ یُسْئَلُونَ) سوره الأنبیاء (۲۱)، الآیه ۲۳.

آخرتکم؛ و ما أخسر المشقّه وراءها العقاب، و أربح الدَعه وراءها الأمان من النار.(۱)

و کتب علیه السلام فی کتاب إلی أحد ولاته: «فَاخْفِضْ للرعیّه جَنَاحَکَ وَابْسُطْ لَهُمْ وَجْهَکَ وَ أَلِنْ لَهُمْ جَانِبَکَ».(۲) نحن نعلم أن ما یفعله الحاکم له تأثیر مباشر علی المقرّبین منه، و علی الشرائح الاجتماعیه الأُخری. فإذا کان الحاکم مسرفاً و مبذّراً، فلابّد أنّ الآخرین یسیرون بهذه السیره أیضاً.

إنَّ وَهْمَ العظمه ینبغی أن لایدفع الحاکم إلی التعامل مع الناس بوجه مُکفَهرّ و بأُسلوب الزجر. ورد فی کتب التاریخ أن عبداللّه بن عباس لَمّا أصبح والیاً علی البصره أخذ یتعقّب من ناصروا طلحه والزبیر فی معرکه الجمل، و یضیّق علیهم، فبعث إلیه أمیرالمؤمنین علیه السلام کتاباً جاء فیه: أرِبْع بما جری علی لسانک من خیر أو شرّ.(۳) من الواضح أنَّ لکلٍّ مِن المداراه والخشونه موضعه المناسب. و لیس هناک تأکید علی واحد منهما بشکل مُطلق. والمهم هو تطبیق کل واحد منهما فی موضعه.

وصرّح علیه السلام فی موضع آخر: حین یعتبر اللِّین ضعفاً یجب استبداله بالشدّه. أی ینبغی التصرّف بلین مع الناس، و لکن إذا استُغِلَّ اللِّین، لابُدّ من انتهاج أُسلوب آخر. قال أمیرالمؤمنین علیه السلام: «إذا کان الرفق خرقاً کان الخرق رفقاً»(۴) و حتی عندما ضربه أشقی الأشقیاء، أوصی ابنه و هو علی فراش الموت: «إِنْ أَبْقَ فَأَنَا وَلِیُّ دَمِی وَ إِنْ أَفْنَ فَالْفَنَاءُ مِیعَادِی وَ إِنْ أَعْفُ فَالْعَفْوُ لِی قُرْبَهٌ وَ هُوَ لَکُمْ حَسَنَهٌ فَاعْفُوا أَ لاتُحِبُّونَ أَنْ یَغْفِرَ اللَّهُ لَکُمْ».(۵)

و بعد فتح مکّه سار رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم مع أصحابه إلی حُنین، و غنموا فی تلک المعرکه غنائم کثیره من المشرکین، فأعطی النبیّ قسماً کبیراً منها لأشراف قریش - کأبی سفیان و أمثاله - ممّن شارکوا فی تلک المعرکه تألیفاً لقلوبهم ورداً للفتنه.(۶)

۱- الشریف الرضی، نهج البلاغه، الحکمه ۳۷، ص ۴۷۵.

۲- - المصدر السابق، الکتاب ۴۶، ص ۴۲۰ و ۴۲۱.

۳- - المصدر السابق، الکتاب ۱۸، ص ۳۷۵.

۴- - المصدر السابق، الکتاب ۳۱، ص ۴۰۲.

۵- المصدر السابق، الکتاب ۲۳، ص ۳۷۸.

۶- ابن هشام، السیره النبویه، ج ۴، ص ۱۳۹.

۵ – کتمان السرّ

علی الحکومه أن تکتم ما تعرفه وتطّلع علیه من أسرار الناس. فلا یحق للحاکم انتهاک حرمات الناس والإساءه إلی کرامتهم و مکانتهم الاجتماعیه من خلال الکشف عمّا فی یده من وثائق و مستمسکات بشأنهم. بل و ینبغی أن یتعامل بشدّه وصرامه مع المأمورین الذین یسعون للتنقیب عن معایب الناس لجمعها کمستمسکاتٍ ضدّهم، و أن لایسمح لأحد بالکشف عن أسرار الناس بذرائع مختلفه واتّخاذها مستمسکات توجّه کحراب ضدّهم.

کتب أمیرالمؤمنین علیه السلام فی عهده إلی مالک: «وَلْیَکُنْ ابْعَدُ رَعِیَّتِکَ مِنْکَ وَ اشَنَؤُهُمْ عِنْدَکَ اطْلَبَهُمْ لِمَعایِبِ النّاس».(۱) لأنّ مثل هذا الشخص یتجاهل محاسن الناس، و یتشبّث بنواقصهم و عیوبهم، و یسعی إلی تقبیح المجتمع بنظر الحاکم. و من الطبیعی إنّ الناس غیر معصومین و فیهم الکثیر من المعایب، والحکام أوْلی من غیرهم بسترها. فالحاکم کالوالد بالنسبه إلی أبناء الشعب، و علیه أن یحرص علی کتمان أسرارهم.

۶ – اجتناب الغضب

من الطبیعی إنّ کل الناس ملزمون بکظم ما لایکون فی موقعه من الغضب. و لاشکّ فی أنّ المسؤولین و أصحاب السلطه والنفوذ أوْلی من غیرهم بالعمل بهذه الوصیه؛ لأنّ الغضب ینتابهم أکثر من غیرهم، و لأنّهم أکثر قدره من غیرهم علی ممارسه هذا الغضب، و ذلک لشعورهم بالقدره علی تنفیذ ما یشاؤون بکلِّ سهوله. و عندما تکون لدی الإنسان إلی جانب هذه الغریزه قوّه وسلطه، فإنَّ نار الغضب تشتعل فیه أکثر من غیره. فصاحب السلطه متعطّش إلی ممارسه سلطته، و یمیل إلی الانتقام من معارضیه. و قد جاء فی الأحادیث وصایا تحثّ أصحاب السلطه والحُکّام علی الاتّصاف بالتحمّل وسعه الصدر(۲) و أوصی

۱- – الشریف الرضی، نهج البلاغه، الکتاب ۵۳.

۲- – الآمدی، غُرَر الحِکَم، ص ۳۴۲، الحدیث ۷۸۲۵.

أميرالمؤمنين عليه السلام عبدَ اللّه بن عباس حينما عيّنه والياً على البصره، بعدم الغضب، قائلًا:

«اِيّاك وَالْغَضَبَ فإنّه طَيرَةٌ منَ الشيطانِ».(۱)

و جاء فی عهد أميرالمؤمنين عليه السلام إلى مالك الاشتر ما مضمونه: إيّاك والغضب فی ما يمكن اجتنابه من الغضب، و عليك بكظم غيظك. فالغضب والحدّه قد يأتيان بسبب شعورك بأنك حاكم ولك اليد الطولى و يجب أن تُطاع، و تريد أن تُمارس سلطانك و إمرتك على الرعيه، و من لايُطيع يُعاقب باعتباره متمرداً على الأوامر الحكوميه، و لكن يجب أن لاتكون لأنك بهذه الطريقه تُفسد قلبك، و يزداد تعاليك و كبرك على الناس، مما يؤدى بالنتيجه إلى ضعف إيمانك. والحكومه التى تتعامل مع شعبها بقسوه و شدّه، و تسجن و تعذّب لأتفه الأسباب، لن يُكتب لها الدوام، بل يطالها التغيير والتبدّل.

۷ – اجتناب الكِبْر

الرذيله الأُخرى التى قد يتّصف بها أصحاب المقام والسلطه هى التكبر والتباهى.

فالإنسان مجبول – إذا لم يهذّب نفسه – على الشعور بالكِبْر بمجرّد أن ينال أدنى قدر من القوّه والإمكانات. يقول القرآن: (كَلّا إِنَّ الْإِنْسانَ لَيَطْغى * أَنْ رَآهُ اسْتَغْنى) .(۲)

و جاء فی مضمون حديث شريف: إنَّ أحوال الإنسان تتغير فی ثلاثه مواقف، أى إنّ معظم الناس يتغيّرون فی هذه الظروف: الأوّل إذا أُوكلت إليه مسؤوليه، والثانى عند الاقتراب من صاحب مسؤوليه و منصب، والثالث عندما يتحسّن وضعه المالى. و من لم تغيّره هذه الحالات الثلاث فهو يتّصف برجاحه العقل، وثبات الأخلاق.(۳) إنّ عواقب الكبر والغرور وخيمه بالنسبه إلى جميع الناس، و هو على الحُكّام والمسؤولين أشدّ و أخطر. و إذا كان الحاكم لايؤمن بالآخره و لايسعى لها، و لايبالى فليس من مصلحه حُكْمه

۱– الشريف الرضى، نهج البلاغه، الكتاب ۷۶، ص ۴۶۵.

۲– سوره العلق (۹۶) الآيتان ۶–۷.

۳– – الخوانسارى، جمال الدّين، شرح غُرَر الحِكَم، ج ۲، ص ۵۴۶، الحديث ۲۱۳۳.

الدنیوی أیضاً أن یتعامل مع الناس بغرور، و یتصور أنّهم کائنات جاهله، و أنه هو عبقری العالم کلّه. و من الطبیعی ان مثل هذه الحکومه لاتعیر أیَّ اعتبار لشعبها، و تری نفسها الفارس الوحید الذی یصول و یجول فی المیدان، و تُقدم علی کل ما ترتئیه من غیر مبالاه، و هکذا فإنّها تضع نفسها عرضه للمخاطر.

روی عن أمیرالمؤمنین علی علیه السلام أنّه قال: «آفَهُ الرّیاسَهِ، الفَخْر»(۱) و قال أیضاً: إنّ لکل شیء زکاه وزکاه السلطان الإنصاف.(۲) و علی أیّه حال یتعیّن علی المسؤول أن یدرک بأنَّ السلطه مثلما جاءت إلیه یوماً ستذهب عنه یوماً. قال الإمام علی علیه السلام فی هذا المجال:

«الدولهُ کما تُقْبِل تُدْبِر».(۳) و علی کل مسؤول أن یرعی حاله قبل أن یرعی الوقوف إلی جانب الآخرین: «حقّ علی الملک انْ یَسُوسَ نَفْسَهُ قَبْلَ جُندِه».(۴)

۸ – سعه الصدر

سعه الصدر معناها أن تکون لدی المرء مقدره عالیه علی التحمّل. وسعه الصدر أداه یسوس بها الحُکّام الرعیه. و لایمکن تحمّل المسؤولیات الاجتماعیه من غیر سعه صدر؛ و ذلک لأن مشاکل أفراد المجتمع، و هی مشاکل لا عدَّ لها و لا حصر، تتوجه عاده إلی الحکام والمسؤولین. و إذا کانت قدره الحاکم علی التحمّل قلیله فسوف یعجز عند الشدائد عن اتّخاذ القرارات اللازمه، وتخونه الشجاعه وتقعده عن إجراء ما عزم علی إجرائه. و علی المسؤولین والمتصدّین لزمام الأُمور أن یوطّنوا أنفسهم علی الدوام لمجابهه المشاکل والشدائد. و أن یشمّروا عن السواعد لخدمه الناس انطلاقاً من الثقه بالنفس والاستعانه باللّه. و من مستلزمات هذه الأخلاق طبعاً استقبال النقد، بل و تحمّل حتی الکلمات الفظّه من الناس.

۱- – الآمدی، غُرَر الحِکَم، ص ۳۴۶، الحدیث ۷۹۵۷.

۲- – النوری، المیرزا حسین، مستدرک الوسائل، ج ۷، ص ۴۶.

۳- – الخوانساری، جمال الدّین، شرح غُرَر الحِکَم، ج ۱، ص ۳۲۱، الحدیث ۱۲۲۶.

۴- الآمدی، غُرَر الحِکَم، ص ۳۴۰، الحدیث ۷۷۸۶.

و انطلاقاً من هـذه الرؤيه نلاحظ أميرالمؤمنين يقول: «آلهُ الرياسَهِ سَعَهُ الصَّدْرِ».(۱) كما أنّ حرص النبى موسى عليه السلام على حسن أداء رسالته جعله يدعو ربّه أن يمنّ عليه بسعه الصدر فقال: (رَبِّ اشْرَحْ لِى صَدْرِى) .(۲)

۹ – المداراه

من الخصـال الأساسيه الأُخرى التى يجب أن تتوفّر فى من يتولّى زمام الحكم هى روح المـداراه واللِّين، و دماثه الخلق واجتناب المشاحنات مع الناس. جاء عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السـلام أنه قال نقلاً عن رسول صلى الله عليه و آله و سلم: إنّ هناك ثلاثه أُمور من لاتكون فيه لايكمل عمله، و هى أن تكون له تقوى تحجزه عن المحارم، و خلق حسن يـدارى به الناس، و حلم يدرأ به جهل الجاهلين.(۳)

و جاء فى قول آخر: «مُداراهُ النّاسِ نِصْفُ الإيمان وَالرِّفْقُ بِهِمْ نِصْفُ الْعَيْشِ».(۴)

و قـال أميرالمؤمنين على بن أبى طـالب: «وَاعْلَمْ انّ رَأسَ الْعَقْـلِ بَعْـدَ الإيمـان بِـاللّه عَزَّوجَلَّ، مُـداراهُ النّاسِ».(۵) و جـاء فى روايه صحيحه عن الإمام الصادق عليه السلام أنّ رسول اللّه قال: «اَمَرَنى رَبّى بِمُداراهِ النّاسِ كَما امَرَنى بِاَداءِ الْفَرائض».(۶)

و روى عن نبيّنا محمـد صـلى الله عليه و آله و سـلم أنّه قال: إننى قد أُمرت بمداراه الناس مثلما أُمرت بتبليغ الرساله.(۷) و أوصى الإمام علىٌّ الحُكام بالرفق بقوله: «رأسُ السياسهِ استعمالُ الرفق».(۸)

۱- – الشريف الرضى، نهج البلاغه، الحكمه ۱۷۶، ص ۵۰۱.

۲- سوره طه (۲۰)، الآيه ۲۵.

۳- الكُلينى، الكافى، ج ۲، ص ۱۱۶، الحديث ۱.

۴- المصدر السابق، ص ۱۱۷، الحديث ۵.

۵- – الصدوق، من لايحضره الفقيه، ج ۴، ص ۳۸۷، الحديث ۵۸۳۴.

۶- الكُلينى، الكافى، ج ۲، ص ۱۱۷، الحديث ۴.

۷- – المجلسى، بحارالأنوار، ج ۷۴، ص ۱۵۱، الحديث ۹۷.

۸- الآمدى، غرر الحكم، ص ۳۴۲، الحديث ۷۸۳۰.

۱۰ – الحلم

لابد أن يتحلّى الحُكّام بالحلم والصبر فی التعامل مع أخطاء الناس. فقد روی الإمام جعفر الصادق علیه السلام عن أبیه أنه وصف الإمامه والحکومه بأنها تصلح لِمن یتّصف بثلاث خصال: و هی تقوی تثنیه عن الحرام، و حلم یلجم به غضبه، و حسن التعامل مع من تولّی حتی یکون لهم کالوالد الرحیم.(۱) و بیّنت روایه أُخری الشروط التی یلزم توفّرها فی من یتصدّی لزمام الإمامه والحکومه، و ذکرت بعد التقوی أنه یجب أن یکون لدیه «حِلمٌ یَرُدُ بِهِ جَهْلَ الجاهل»(۲) و قال أمیرالمؤمنین: «الحِلمُ رأسُ الرِّیاسَه».(۳)

۱۱ – العداله

العداله من المبادیء الأساسیه التی دعا إلیها جمیع الأنبیاء، و هی من الآمال التی بقیت تداعب مخیّله بنی الإنسان طیله تاریخ حیاتهم، وسعی الناس من أجل تحقیقها علی مرّ التاریخ. والعداله للناس کماء الحیاه، و قد ضحّی بنو الإنسان فی سبیلها بالغالی والنفیس.

قال جعفر بن محمد الصادق علیه السلام فی وصف حلاوه العدل: «اَلْعَدْلُ احْلی مِنَ الْماءِ یُصیبُهُ الظَّمْآنُ ما اوْسَعَ الْعَدْل اذا عدل فیه وَ ان قَلَّ».(۴)

و مع أنّ العداله من الأُمور الفطریه ذات الحُسن الذاتی، لکنّها بقیت علی الدوام عرضه لعدوان المعتدین. فالذین استولوا علی زمام السلطه و حازوا المقدّرات، اعتبروا أنفسهم درّه عالم الوجود، و حاولوا بأنواع الأسالیب تجاهل حقوق الناس. و هکذا وقعت العداله بذرائع وتبریرات شتّی فریسه لظلم المستکبرین. کانت العداله من الأُمور التی کان الأنبیاء یتطلعون إلی تربیه الناس علیها بحیث یقومون هم أنفسهم بتطبیقها.(۵)

۱- – الصدوق، الخصال، باب الثلاثه، ص ۱۱۶، الحدیث ۹۷.

۲- الکُلینی، الکافی، ج ۲، ص ۱۱۶، الحدیث ۱.

۳- الآمدی، غرر الحکم، ص ۳۴۲، الحدیث ۷۸۱۴.

۴- الکُلَینی، الکافی، ج ۲، ص ۱۴۶، الحدیث ۱۱.

۵- سوره الحدید (۵۷)، الآیه ۲۵.

العداله من الأمور الحسنه عقلاً؛ أی ممّا یستطیع العقل الحکم بحسنها، و هی من الأمور الفطریه التی لاتتطلب تعلیماً. و هذا ما یجعلها مقدّمه علی أی شیء آخر، و لایخضع تطبیقها للشروط والمصلحه، بل هی بذاتها أسنی المصالح و أعلاها. و هذا ما جعلها لا- تمیّز بین عدو و صدیق و لا- بین مؤمن و کافر، و تنظر إلی الجمیع من منظار واحد. و هنا یقول اللّه تعالی فی کتابه الکریم حول أهمیه العداله: (وَ لا یَجْرِمَنَّکُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلی أَلّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوی) .(۱)

العداله توطّد رکائز المجتمع و ترسّخ أرکان الحکم. و مع أنّها شأن اجتماعی غیر أنّها من أهم واجبات الحکومه. و تجاهل الحکومه للعداله یسیء إلی الحکومه نفسها، و یلحق الأذی والضرر بأبناء الشعب.

کتب الإمام علی علیه السلام فی ما کتبه فی عهده إلی مالک الأشتر: «وَ انَّ افْضَلَ قُرَّهِ عَیْنِ الْوُلاه اسْتِقامَهُ الْعَدْلِ فِی الْبِلاد وَ ظُهورُ مَوَدَّهِ الرَّعِیَه».

نَقل الإمام علی بن الحسین السجاد علیه السلام عن رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم أنّه قال: «طُوبی لِمَنْ یَنْصِفُ النّاسَ مِنْ نَفْسِهِ».(۲) و جاء عن الإمام الصادق علیه السلام قوله: أفضل الأعمال ثلاثه:

إنصاف الناس من نفسک حتی لاترضی لهم إلّاما ترضاه لنفسک، و مساعده أخیک بمالک، و ذکر اللّه فی کل حال.(۳)

و جاء فی روایه أن أعرابیاً جاء إلی النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم حین کان عازماً علی السیر فی إحدی غزواته، و قال له: یا رسول اللّه، علّمنی عملاً- أدخل به الجنّه، فقال له: ما أحببت أن یأتیه الناس إلیک فأته إلیهم، و ما کرهت أن یأتیه الناس إلیک فلا تأته إلیهم.(۴)

و قال الإمام علی: إنّ أحبَّ العباد إلی اللّه من جعل العدل قرینه.(۵) و أُولی مراحل العدل - طبعاً - اجتناب هوی النفس، و قول الحق، والعمل به.

۱- سوره المائده (۵)، الآیه ۸.

۲- - الکُلینی، الکافی، ج ۲، ص ۱۴۴، الحدیث ۱.

۳- المصدر السابق، ص ۱۴۴، الحدیث ۳.

۴- المصدر السابق، ص ۱۴۶، الحدیث ۱۰.

۵- - الشریف الرضی، نهج البلاغه، الخطبه ۸۷، ص ۱۱۸.

الباب الثالث: التكاليف و المسؤوليات

اشاره

ص:۳۰۵

الأحكام

اشاره

يعيش الإنسان على الدوام متأرجحاً بين الشهوات والرغائب من جهه، و بين العقل من جهه أُخرى، و لكن بما أنَّ الإنسان لم يُخلق عبثاً، و أنَّ مكانته تتوقف على اختياره للسبيل الصحيح من بين هذه السُبُل والاتجاهات، و بلوغ المرتبه التى تليق به، لذلك فهو بحاجه إلى منهاج و قانون، لكى يتعلّم فى ضوئه كيف يعيش و كيف يلبّى متطلباته، و يضمن سعادته.

و على صعيد آخر، الإنسان كائن اجتماعى بالطبع، بمعنى إنّه مجبول على الحياه مع بقيه الناس، هذا إضافه إلى أنّه لايستطيع تأمين كل متطلبات حياته بنفسه، و لابُدّ من تظافر جهود جميع الناس من أجل تمشيه شؤون الحياه، فيحمل كل واحد منهم عبئاً من أعباء الحياه، و يتآزر الجميع لبلوغ الرفاه والسعاده والكمال.

من الطبيعى أن كل إنسان يتطلّع إلى حياه أفضل و أكمل، و هو لذلك، يسعى للانتفاع أكثر ما يمكن من النعم التى وفّرها اللّه للناس. و هذه رغبه طبيعيه لدى جميع الناس، و هى التى تدفعهم نحو الكدِّ والعمل. و فى هذا المسعى العام يُحتمل أن يحاول عدد كبير من الناس الاستفاده من شىء معين، فيقع تزاحم و تنافس بينهم. و إن لم تكن هناك قيود وضوابط تحدد كيفيه الاستفاده من ذلك الشىء فقد يحصل تنازع وتصارع بينهم، و هذا ما يؤدّى - طبعاً - إلى انفراط عقد الحياه الاجتماعيه، و انفلات النظام فى الحياه.

ولغرض تفادى مثل هذه الصراعات والنزاعات لا مناص من وضع حدود و قيود و معايير يلتزم بها الجميع. والذى يُعيّن هذه الحدود والمعايير فى كل نظام هو القانون. القانون ضرورى لتفادى وقوع الفوضى فى الحياه الاجتماعيه، و لكن هذا لايعنى أنَّ أىَّ قانون سيفى بهذا الغرض، و ذلك لأن القانون قد يضمن مصالح فئه معيّنه دون غيرها، و هذا بطبيعه

الحال يجعل المجتمع عرضه لأنواع الأزمات والمشاكل. فالقانون يجب أن يُسَنَّ على أساس العدل وضمان مصالح عموم الناس.

و بالإضافه إلى مهمه القانون فى التنظيم للعلاقات الاجتماعيه بهدف المحافظه على حقوق الناس و تعيين مسؤولياتهم الاجتماعيه، فهم بحاجه أيضاً إلى أحكام تمهّد لهم السبيل نحو بلوغ الكمال والسعاده الأبديه. و لاشكّ فى أن تشخيص كل هذه الأُمور و كيفيه العمل بها لايتأتّى عن طريق القانون الجماعى والبشرى. والعقل غير قادر على تشخيص كل ما ينبغى فعله.

أفضليه التشريع الإلهى

اتّضح من خلال ما سبق ذكره أنّ تشريع القوانين يهدف إلى تحقيق غايتين:

١ - بسط النظام والعداله فى المجتمع؛ لتفادى وقوع الاضطراب والفوضى.

٢ - الارتقاء بالإنسان نحو الكمال و تحقيق سعادته الأبديه.

فى ما يخص الفئه الأُولى من القوانين، لايذهب المشرّعون إلى أكثر من القول: إنّ القوانين التى يسنّونها ترمى إلى الحفاظ على المجتمع و نظمه، و تحسين الوضع المادّى للناس. و أمّا بالنسبه إلى الفئه الثانيه من القوانين فينسبها القائمون عليها إلى اللّه، و يقولون:

إنّ هذه القوانين تهدف إلى إقرار النظام و حفظ المجتمع، و فضلاً عن ذلك تتكفّل بمهمه الارتقاء بالإنسان إلى مرحله الكمال، و إنّ الالتزام بهذه القوانين يضمن تحقيق السعاده الحقيقيه للإنسان، أى الكمال الفردى والاجتماعى، والمادى والمعنوى من جميع الجوانب.

و ذكروا لهذه الطائفه من القوانين مزايا تفتقر إليها الطائفه الأُولى، و منها:

١ - بما أن علمَ اللّه مطلق و هو مطّلع على أسرار الكَوْن وخباياه، و من جمله ذلك الإنسان، فهو قد شَرَّع قانوناً شاملاً و كاملاً لا نقص فيه و لا خلل.

٢ - هذا القانون خالٍ من أىّ دافع شخصى أو منافع خاصّه أو مصالح فئويه.

٣ - وضع وفقاً لمقتضيات العدل و مصلحه الناس.

الکثیر من القضایا التی تُطرح الیوم فی العالم باسم الحقوق بشتّی أنواعها (کالحقوق الأساسیه، والحقوق المدنیه، و حقوق الأُسره، والحقوق الجزائیه، والحقوق السیاسیه و ما شابه ذلک) قد جاءت فی القوانین الإلهیه، أو یمکن استنباطها من بین ثنایاها. و علی هذا الأساس فإن للدین تعالیم و قوانین و أحکاماً فی شتّی میادین الحیاه الفردیه والاجتماعیه.

یُستَشَفُّ من خلال التتبع فی آیات القرآن الکریم، والأخبار الوارده عن المعصومین علیهم السلام، و أبواب الفقه، أنّ أحکام الدّین الإسلامی الحنیف لاتنحصر فی القضایا العبادیه والأخلاق الفردیه، بل له أحکامه و تعالیمه فی الشؤون الاجتماعیه، والاقتصادیه، والسیاسیه، والقضائیه والجزائیه، و فیما یتعلّق بالسلطه والحکم، و شروط الحاکم والعلاقه بین الحاکم والمحکوم. و لابُدّ من رعایه هذه الجوانب فی مَسار الحیاه.

مصادر التشریع

اشاره

فإذا کانت هذه القوانین من اللّه، یتبادر إلی الأذهان هنا سؤال و هو: ما هو الطریق للوصول إلی هذه القوانین؟ و کیف یمکن الوصول إلی الأحکام الشرعیه؟

هناک أربعه مصادر لاستنباط الأحکام الشرعیه و هی: الکتاب، والسُنّه، والإجماع، والعقل.

۱ – القرآن

القرآن هو الکتاب الموحی من اللّه، و بقی لدی المسلمین محفوظاً بتمامه من کل أنواع التلاعب والتحریف محفوظاً من اللّه تعالی، و برعایه النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم، و بفضل جهود واهتمام المسلمین. و هو وثیقه معتبره لاستقاء معارف و أحکام الدّین منه. و کما أشرنا مِن قبل، یعتبر القرآن وثیقه رساله نبیّ آخر الزمان، و أهم مصدر لمعرفه عقائد و أحکام الإسلام. بل إن حجّیه السُنّه واعتبارها یثبت بالقرآن.

۲ – السُنّه (قول، فعل و تقریر المعصوم)

وردت الأُصول العامه للشریعه فی القرآن الکریم، و للتوصل إلی التفاصیل والجزئیات فقد بیّن النبیّ للناس تعالیم الدّین و فسّرها لهم من خلال ما کشفه له الوحی، و فی ضوء إفاضه اللّه ولطفه. و مع کل ذلک فقد کان علی حذر شدید أن لایقول بغیر حُکمِ اللّه.(۱)

و کانت الرعایه الإلهیه الخاصّه طبعاً تحفّه فی هذا المسعی،(۲) یُضاف إلی ذلک الأمر الإلهی الصریح للمسلمین بطاعته و وجوب النظر إلی أوامره، و کأنّها أوامر مباشره من اللّه.(۳)

و مع أن الأئمه المعصومین علیهما السلام لم یکونوا هم الذین جاؤوا بالدین، و لکن اللّه قد جعلهم بواسطه النبیّ، مبیّنین للشریعه الإلهیه، و حمله و مفسّرین للأحکام الإسلامیه، و علی هذا الأساس یمثّل قولهم سنداً قاطعاً لکشف الحکم الإلهی. وسیره النبیّ والأئمه – تأسیساً علی ما هو معروف من عصمتهم و طهارتهم – عند وجود سند قطعی علیها، تُعتبر دلیلاً جلیاً، و فی حاله تأییدهم (تقریرهم) لعمل الآخرین، یمکن فهم ذلک التأیید علی أنه حکم شرعی.

۳ – الإجماع

إذا لم یوجد دلیل من الکتاب والسُنّه علی حکم لموضوعٍ معین، و لکن الفقهاء القریبین من عصر الأئمه اتفقوا علی رأی واحد فیه، ممّن نعلم أنّهم لایأخذون بالقیاس والاستحسان الظنی والحدسی، و إنّما یتبعون الکتاب والسُنّه، و یفهم طبعاً أنهم یفتون علی ما فی أیدیهم من مستمسک من السُنّه، و لم یعثر الفقهاء المتأخّرون علی تلک الروایه، أو یظهر للمتأخرین أن المعصوم أیّد هذا الرأی فهذا هو ما نسمّیه بالإجماع. والواقع إنّ حجیه الإجماع تأتی استناداً إلی سُنّه لیست متوفّره بین أیدینا.

۱– – سوره النجم (۵۳)، الآیه ۳.

۲– – سوره الإسراء (۱۷)، الآیتان ۷۳–۷۴.

۳– سوره النساء (۴)، الآیه ۵۹.

۴ – العقل

إنْ لم يكن هناك حكم شرعى لحاله معيّنه – و بما أنّ الأحكام الإلهيه تابعه للمصالح والمفاسد، والعقل قادر إجمالاً على تشخيص المصالح والمفاسد – فإذا توصّل العقل جزماً و يقيناً إلى حكمهٍ خاصه إلى جانب سائر الحِكَم، يحصل عندئذ الحكم الشرعى لتلك الحاله. و كذلك إذا كان للشرع حكم واجب لقضيه معيّنه، و لكن أداء ذلك الواجب يتوقف على عمل آخر خاضع لتشخيص العقل، فهنا يكون لحكم العقل اعتبار و وثاقه فى هذه الحاله والحالات الأُخرى التى تسمّى ب «غير المستقلات العقليه».

و على العموم فى المستقلات العقليه لها قيمه واعتبار فى كشف الحكم الشرعى إلى درجه وجود تلازم بين حكم العقل والشرع، و قيل: «كلّما حكم به العقل حكم به الشرع و كلّما حكم به الشرع حكم به العقل»، و ذلك لأن حجيّه العقل ذاتيه و لاتحتاج إلى دليل آخر.

هذا طبعاً فيما إذا توصل العقل بشكل قطعى و يقينى إلى مصلحه واجبه تلزم المكلّف بأداء ذلك العمل، أو كشف عن فساد يوجب عليه اجتنابه، و هو ما يُطلق عليه اصطلاحاً أنه كشف عن الملاك والمناط الواقعى بشكل يقينى، و إلّافإنَّ مجرد الظن والحدس والتخمين لايمكن ان تُطلق عليه تسميه حكم العقل.

الاجتهاد و تاريخه

اشاره

كل من يكشف عن الأحكام المقرره و يفهم تكاليفه الدينيه عن طريق فهم آيات القرآن والتحقيق فى الأحاديث والمصادر المذكوره، يغدو صاحب رأى و نظر فى هذا المضمار، ويُسمّى «مجتهداً».

و لكنّ فهم أحكام الدّين لم يكن فى جميع الأزمان على مستوىً واحد من حيث السهوله والصعوبه، و إنّما مَرَّ بأدوار مختلفه نستعرض كل واحده بإيجاز فى ما يلى:

۱ – دور تعلّم و نشر الأحكام

فی عهد حیاه النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم عُرضت التعالیم الدینیه علی الناس من قبل النبیّ بالتدریج و بما یتناسب مع الظروف والمتطلّبات. و عندما کان عدد المسلمین قلیلاً و أحکام الإسلام محدوده کان بإمکان کل المسلمین الاتّصال بالنبیّ صلی الله علیه و آله و سلم و تعلّم الأحکام منه مباشره، و لکن بعدما انتشر الإسلام و دخل فیه أُناس کثیرون فی مختلف الأرجاء من غیر مشاهده النبیّ ولو لمرّه واحده، خاصّه غیر العرب، أو العرب الذین کانت یتحدّثون بلهجه تختلف عن اللهجه التی نزل بها القرآن، داعیاً لأن ینتدب النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم عدداً من المسلمین لهذه المهمّه الخطیره، و هی تعلیم الإسلام والقرآن والتعالیم الدینیه لمن کانوا قد أسلموا حدیثاً.(۱) و فی هذا الدور کان هناک اجتهاد بشکل أو آخر و لکن علی نطاق محدود. و کان المندوبون الذین یبعثهم النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم إلی مناطق بعیده یجتهدون فی بعض الحالات.

۲ – دور الاجتهاد الابتدائی

فی عصر الأئمّه المعصومین علیهم السلام حین شهد المجتمع الإسلامی مزیداً من الاتّساع، و لم یکن الاتصال سهلاً، هذا إضافه إلی ظهور مسائل و قضایا جدیده، کان الأئمه – رغم وجودهم فی المجتمع – یوعزون إلی بعض أصحابهم بالاجتهاد و استخراج الفروع من الأُصول. و هذا ما جاء فی بعض الروایات کقولهم: «علینا إلقاء الأُصول و علیکم التفریع».(۲)

و لاشکّ فی أنّ الروایات الکثیره التی جاءت عن الأئمه الأطهار علیهم السلام فی موضوعات و مسائل مختلفه، جعلت من الفقه الشیعی فقهاً غنیاً بالقیاس إلی بقیه المذاهب، فأصبحت الحاجه أقل إلی بذل الجهود فی هذا المضمار. و کان الفقهاء یعرضون مشاکلهم علی الأئمه علیهم السلام حدّ الإمکان – رغم بُعد المسافات والصعوبات الأُخری – و لکن فی الوقت نفسه لم یکن الشیعه یجدون أنّهم فی غنیً عن التفقّه والاجتهاد.

۱– – سوره التوبه (۹)، الآیه ۱۲۲.

۲– الحرّ العاملی، وسائل الشیعه، الباب ۶ من أبواب صفات القاضی، ج ۲۷، ص ۶۲، الحدیث ۵۲.

۳ – دور الاجتهاد التخصُّصی

فی عهد غیبه الإمام المهدی علیه السلام – حیث تعذّر الاتصال المباشر بالمعصوم – صار الاجتهاد حلّاً للکثیر من المستجدّات والمسائل المستحدثه. و بهذا یحفظ الدّین حیویّته و أصالته الإلهیه. و فی هذا الدور بدأ الاجتهاد بمعناه الاصطلاحی؛ أی ردّ الفروع إلی الأُصول وتطبیق الأُصول علی الفروع مع الاطلاع التام علی المصادر، والمعرفه بقواعد الاستنباط و آراء الفقهاء السابقین.

فی رأی الإسلام، الاستنباط والاجتهاد لیس حکراً علی طبقه أو فئه من الناس دون سواها. و بإمکان کل من یملکون الأهلیه العلمیه أن یجتهدوا. و کل من لدیهم القدره علی فهم الأحکام الإلهیه من مصادرها، بإمکانهم عند إحراز الصلاحیه، استنباط الأحکام من خلال الرجوع إلی النصوص الدینیه و مصادر التشریع.

و أمّا الأخبار الوارده فی ذم الاجتهاد والعمل بالرأی فالمراد منها هو الاجتهاد المتداول عند بعض فقهاء أهل السنّه، الذین یفتون – عند عدم وجود نص – وفقاً للاستحسانات الظنّیه والحدسیه. فی حین أنّ مرادنا من الاجتهاد هو استنباط الفروع من الأُصول الکلّیه الوارده، و هو ما کان الأئمه أنفسهم قد أسّسوه وروّجوا له، حیث قالوا: «علینا إلقاء الأُصول و علیکم التّفریع»(۱) و هذا شیء معقول و منطقی طبعاً.

التقلید

اشاره

بحکم العقل من اللازم والضروری معرفه الأحکام والواجبات الدینیه التی فرضها اللّه علی کل مُسلم؛ لأن سعاده الإنسان مرتبطه ارتباطاً وثیقاً بعمله بالفرائض الدینیه؛ إذ لا یمکن العمل بالواجبات دون معرفتها.

۱- المصدر السابق.

و مع أنَّ العناوين الكليه والوظائف العمليه الواضحه - كالصلاه، والصوم، والزكاه، والحج، و غيرها - موضع اتفاق جميع المسلمين، و من ضروريات الدّين، بَيْد أنَّ الاطلاع على كثير من تفاصيلها الجزئيه يحمل جانباً تخصُّصياً. و إذا لم يكن أحد حائزاً على هذا التخصص، عليه الرجوع إلى من لديه اطلاع واختصاص كاف، أى يجب عليه الرجوع فى أمر الدّين إلى مجتهد صاحب نظر و حائز على الشرائط. فمثلما يرجع كل الناس فى أعمالهم اليوميه - فى المجالات التى ليس لهم فيها خبره واختصاص - إلى من يثقون به من ذوى الاختصاص والخبره، فانَّ التقليد يعنى فى الحقيقه الأخذ برأى متخصص فى القضايا التى تحتاج إلى تخصص.

التقليد يسرى فقط على الأحكام العمليه من الدّين، و أما أُصول الدّين والشؤون الاعتقاديه فيه فلا تخضع للتقليد. فالإيمان والاعتقاد بحقائق الوجود، والتمسّك بالقضايا الاعتقاديه وأُصول الدّين، يجب أن تكون بالدليل والبرهان و كسب العلم واليقين. فلا يمكننا القول: إنَّ اللّه واحد لأن آباءنا أو العلماء يقولون ذلك، أو إنَّ الحياه بعد الموت حق لأن كل المسلمين يعتقدون بذلك. نعم يمكن الاعتقاد والاطمئنان بذلك استناداً إلى ما قاله الأنبياء. و لابُدّ طبعاً أن يتناسب الدليل مع فهم المكلّف، كما حصل بالنسبه إلى رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم حينما سأل عجوزاً بيدها مغزل، عن اللّه، أوقفت الغزل و قالت: مثلما أنّ هذا المغزل لايدور بدون وجود من يدّوره، فإنّ هذا العالم العظيم لايدور دون مدبّر.

شروط مرجع التقليد

يجب أن تتوفر فى مرجع التقليد الشروط التاليه:

١ - الاجتهاد؛ فلابّد أن يكون مرجع التقليد جامعاً لشروط الإفتاء، و قادراً على استنباط المسائل الشرعيه من مصادرها الأصليه.

٢ - العداله؛ يجب أن يتّصف مرجع التقليد بملكه العداله. وتطلق كلمه «عادل» على من يكون مستقيماً و معتدلاً فى العقيده والأخلاق والعمل، بحيث أنه يلتزم فى الظروف العاديه بما هو واجب عليه و يترك ما هو محرّم عليه.

۳ – الأعلميه؛ الرجوع إلى المجتهد فی الحالات التی یوجد فیها اختلاف بین المجتهدین فی فهم الحکم الإلهی، أمر مشابه لغیره من قضایا الحیاه. أی متی ما حصل اختلاف بین آراء المتخصّصین فی أمر مهمّ مثل علاج مرض عضال، فمن المنطقی أن یُقبل رأی أکثرهم تخصُّصاً. و علی هذا الأساس یبدو من الضروری تقلید الأعلم فی المسائل الاختلافیه.

۴ – أن یکون علی قید الحیاه؛ الاجتهاد أُسلوب سیّال و حیّ فی فهم أحکام الدّین و تحدیثها، و هو یسیر عاده مواکباً ظهور متطلّبات وعلاقات و قضایا بشریه مستجدّه.

و علی هذا الأساس یجب أن یکون هناک علی الدوام فی المجتمع مجتهدون متنوّرون و یعیشون فی میدان الحیاه الاجتماعیه. و أمّا الحالات التی یجیز فیها المرجع الحی، البقاء علی تقلید المیّت – فی المجالات التی یعیّنها هو – فهی تمثّل فی الحقیقه تقلیداً للمجتهد الحیّ.

کما و یجب أن یکون مرجع التقلید بالغاً، عاقلاً، شیعیاً اثنی عشریاً، و طیب المولد، و بناءً علی الاحتیاط الواجب یجب أیضاً أن لایکون مولعاً بالدنیا و مغرماً بها و منکبّاً علیها. و إذا اعتبرنا دلیل الرجوع إلی المجتهد هو بناء العُقلاء، یمکن أن تکون المرأه مرجع تقلید أیضاً. لأن العقلاء لایفرّقون عند الرجوع إلی رأی ذوی الاختصاص – فی المسائل التی لیس لدیهم فیها تخصص کافٍ – بین المرأه والرجل. و مسأله المرجعیه والتقلید فی معزل عن قضیه السلطه والقضاء.

التکلیف

اشاره

تُسمی الواجبات الدینیه للأفراد المسلمین «تکلیفاً» و کل الأعمال التی یؤدّیها الإنسان إرادیاً لها فی نظر الدّین حکم معین، و هی علی العموم لاتخرج عن واحده من الحالات الخمس التالیه:

۱ – الواجب؛ و هو ما ینبغی فعله و لایجوز ترکه کالصلاه. و إذا کان رأی المجتهد فی مسأله هو «الاحتیاط الواجب» فمعنی ذلک هو أنه لم یتوصّل فی تلک المسأله إلی الرأی

القطعی. و لهذا علی من یقلّد هذا المجتهد أن یعمل بهذا الاحتیاط الذی یأتی فی المرتبه بعد الفتوی، أو یجب علیه فی هذه المسأله الرجوع إلی المجتهد الأعلم.(۱)

۲ - المستحب؛ و هو ما یکون من الأفضل والمحبّذ أداؤه، و فی أدائه رضاً للّه، و لیس فی ترکه إثم، مثل المشارکه فی صلاه الجماعه. و «الاحتیاط المستحب» فیه عندما یُفتی المجتهد برأی قطعی، و یشیر فی الوقت ذاته إلی طریق الاحتیاط أیضاً. و یمکن للمقلّد العمل بفتوی المجتهد فی تلک المسأله، أو یعمل شخصیاً بالاحتیاط، و لا یمکنه الرجوع فیها إلی مجتهد آخر.

۳ - الحرام؛ و هو ما ینبغی ترکه، و فی فعله إثم و معصیه، کالظلم.

۴ - المکروه؛ و هو العمل الذی یکون ترکه أوْلی، کمزاوله الأعمال التی لاتستسیغها طباع الإنسان، کالاشتغال فی شؤون الموتی.

۵ - المباح؛ و هو العمل الذی یتساوی فی نظر الدّین فعله و ترکه، و هو خاضع لرغبه الشخص و إرادته مثل اختیار أیّ عمل حلال و جائز. والأُمور المباحه إذا فعلها المرء لنیل رضا اللّه فهی تُعتبر عباده.

شروط التکلیف

کل مسلم بالغ و عاقل ولدیه القدره علی أداء الأحکام الإلهیه مکلّف بأداء الفرائض المقرره علیه من اللّه. و علی هذا فالأحکام الدینیه مرفوعه عن غیر البالغ، و عن المجنون، و عن غیر القادر.

علامه البلوغ عند الفتیات والفتیان من الناحیه الشرعیه، واحده من الأُمور الثلاثه التالیه:

أ - نمو شعر خشن تحت البطن، و فوق العوره.

ب - خروج المنی، فی النوم أو فی الیقظه.

۱- تُطلق کلمه «فالاعلم» علی المجتهد الأدنی مرتبه علمیه من المجتهد الأعلم، و یکون أعلی مرتبه من سائر المجتهدین.

ج - إكمال خمس عشره سنه قمريه للفتيان، و تسع سنوات قمريه للفتيات.(۱)

فی بعض الحالات لایکفی السن وحده لصحّه العمل، بل لابُدّ من توفّر شروط أُخری أیضاً. نذکر من ذلک، الإقدام علی الزواج والقبول به، والتعامل فی الشؤون المالیه، إذ یُعتبر إضافه إلی البلوغ، النمو الجسمی والعقلی، والقدره علی التمییز بین الخیر والشرّ، والمصالح والمفاسد، و لاتصح معامله من لایشخّص الشیء الصحیح، ویُحتمل أن یقع فی الخدیعه.

الفرق بین التکلیف والحق

یتمیّز «التکلیف» و «الحق» أحدهما عن الآخر، فی بعض الحالات التی نذکر منها:

۱ - التکلیف لایُغتصب من قبل شخص آخر، و لکن الحق مُعرَّض للغَصب.

۲ - التکلیف واجب یتعیّن علی کل مکلّف به أداؤه، و لایجوز له ترکه. و أما الحق فهو شیء یجب أن یحوزه کل من یکون له، و إذا غُصِبَ أو صار تحت تصرّف شخص آخر، یجب إعادته إلی صاحبه.

۳ - الحق بشکل عام و علی الغالب، یمکن التغاضی والصفح عنه فی الحالات التی تکون فیها مصلحه عامّه للمسلمین أو خاصّه للفرد المسلم، بینما التکلیف لیس کذلک.

۴ - یکون الحق عاده منشأً لتکلیف علی آخر. أی أنّ کل من یکون له حق علی آخر، یترتّب علی ذلک الآخر تکلیف خاص. بینما التکلیف لیس بهذه الصوره إلّافی موارد خاصّه.

۵ - حالات الحق تکون عاده ذات طرفین. و بعباره أُخری: کل من یکون له حق علی أحدٍ لابد فی المقابل أن یکون للآخر حق علی هذا الشخص أیضاً، عدا اللّه الذی له حقوق علی عباده، و لکنه فی المقابل غَیر مکلّف بشیء إزاءهم، و إن کان قد أوجب علی نفسه الرحمه بعباده، تفضُّلاً منه علیهم.(۲)

۱- تکتمل الخمسه عشره سنه القمریه قبل مثیلتها الشمسیه بما یقارب ۱۶۴ یوماً، أی حوالی خمسه أشهر و نصف. و تکتمل التسع سنوات القمریه قبل مثیلتها الشمسیه بما یقارب ۹۸ یوماً.

۲- (کَتَبَ رَبُّکُمْ عَلی نَفْسِهِ الرَّحْمَهَ)، سوره الأنعام (۶)، الآیه ۵۴.

أبواب الفقه

نظراً إلى أنَّ الفقه يتّسع لكل ميادين الحياه، لذلك قسّمه الفقهاء إلى أبواب مختلفه.

و حاولنا فى هذا الكتاب تقسيم أبواب الفقه تبعاً للأهميه التى اكتسبتها بعض الموضوعات، و فى ضوء ما تحظى به من اهتمام، و جعلناها على النحو التالى: العبادات، الأُسره، الاقتصاد، السياسه.

ص:۳۱۸

العبادات

اشاره

يتناول هـذا القِسم الموضوعات المتعلّقه بكيفيه ارتباط الإنسان مع ربّه، كالصـلاه، والصوم، والحج، والاعتكاف، والنذر، و هى ما يشترط فيها القصد، و نيّه التقرّب إلى اللّه.

و تجـدر الإشـاره إلى أن بعض العبـادات تتسم بطـابع سياسـى اجتماعى إضافه إلى كَوْنها عباده للّه، مثل صـلاه الجماعه، وصـلاه الجمعه، والحج و....(۱)

بعض العبادات واجبه، مثل الصلوات الواجبه، و بعضها الآخر مستحبّ مثل الصلوات المستحبّه، والدعاء، والتوسّل، والزياره.

الصلاه

اشاره

الصـلاه تعنى المناجاه و إظهار العبوديه والشكر للّه - بطريقه و شكل خاص - أمام الإله الذى يؤمن به الإنسان، و يرى أن وجوده و ما لديه من نعم كلّها من عنده. والصـلاه علاقه معنويه بين المخلوق والخالق، و طلباً للعون منه ليتمكن من حفظ إنسانيّته والسير على طريق الحق والحقيقه. و هناك فى الـدّين تعاليم تبيّن للمكلّفين كيفيه مناجاه خالقهم و ما هى الصـفات التى يليق أن ينعتونه بها.

أهمّيه الصلاه

للصلاه تأثير مهم فى تهذيب الإنسان والارتقاء به نحو الكمال. والصلاه تنتشل الإنسان

۱- الزكاه والخمس لهما جانب عبادى، و يجب دفعهما بقصـد القربه، و لكن بما أنّ الجانب المالى فيهما أقوى، سيجرى بحثهما فى باب الاقتصاد.

من الهواجس والاضطراب؛ لأن ذكر اللّه يبعث فى القلوب السكينه: (أَلا بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) (۱) و هى أعظم ذكر للّه (وَ لَذِكْرُ اللّهِ أَكْبَرُ) ، (۲) و هى أيضاً عمود الدّين: «اللّه اللّه فى الصلاه فإنّها عمود دينكم».(۳) ولو روعيت كل شروط الصلاه و آدابها فإنّها كفيله بتطهير النفس من الرذائل والمنكرات (إِنَّ الصَّلاهَ تَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَ الْمُنْكَرِ) . (۴) فالصلاه ذات تأثير بالغ فى صياغه شخصيه الإنسان بحيث إنه إذا التزم المصلّى بكل شروطها فهى تردعه عن القبائح والرذيله. نضرب مثالاً على ذلك أنَّ أحد شروط الصلاه هو أن لايكون مكان وثوب المصلّى مغصوباً، و لاتُقبل صلاته حتى و إن كان فى ثيابه خيطٌ واحد مغصوب. و عندما يجد المصلّى نفسه ملزماً باجتناب الحرام إلى هذا الحد، فمن الطبيعى أن لايتصرّف فى مالٍ حرام و لايَظلم أحداً حقّه أبداً. كما أنّ الصلاه تكون لها تأثيرات معنويه أيضاً فيما إذا اجتنب الإنسان بعض الرذائل الأخلاقيه كالبخل والحسد و غيرهما.

و إذا كان البعض ممّن يؤدّون الصلاه يقترفون بعض الممارسات القبيحه فإنَّ سبب ذلك يعزى إلى عدم التزامهم بالتعليمات اللازمه فى الصلاه، و بالنتيجه لاتترك الصلاه التأثير اللازم فيهم، و لايقطفون شيئاً من ثمارها. روى عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم أنه قال: «أنّما مثل الصلاه، فيكم كمثل السرى - و هو النهر - على باب أحدكم يخرج إليه فى اليوم والليله يغتسل منه خمس مرّات فلم يبق الدّرن مع الغسل خمس مرّات، و لم تبق الذنوب مع الصلاه خمس مرّات».(۵)

و روى عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إنَّ أول ما يحاسب العبد عليه الصلاه فإذا قبلت قُبل سائر عمله و إذا رُدّت عليه رُدّ سائر عمله».(۶)

و على العموم فقد أظهرت الشريعه المقدّسه أهميه كبرى للصلاه، بحيث إنّها أوجبتها فى كل الأحوال و حتى فى حاله الاحتضار، و إذا تعذّر على المحتضر التلفّظ بالصلاه بلسانه،

۱- - سوره الرعد (۱۳)، الآيه ۲۸.

۲- سوره العنكبوت (۲۹)، الآيه ۴۵.

۳- - الشريف الرضى، نهج البلاغه، الكتاب ۴۷، ص ۴۲۲.

۴- - سوره العنكبوت (۲۹)، الآيه ۴۵.

۵- الصدوق، من لايحضره الفقيه، ج ۱، ص ۳۱۱، باب فضل الصلاه، الحديث ۶۴۰.

۶- النورى، الميرزا حسين، مستدرك الوسائل، الباب ۶ من أعداد الفرائض، ج ۳، ص ۲۵، الحديث ۳.

علیه أن یصلّی بقلبه. و کذلک إذا تعذّرت علیه الصلاه أثناء الحرب والخوف من العدو، أو إذا لم یتمکن من الصلاه نحو القبله فی حال الاضطرار، لایجب عند ذاک الصلاه نحو القبله، و لکنّ الصلاه تجب علی کل حال.

و قد ورد کثیر من الذم والتقبیح لِمن یستخف بالصلاه و لایرعاها حق رعایتها. قال تعالی فی القرآن الکریم: (فَوَیْلٌ لِلْمُصَلِّینَ * اَلَّذِینَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ ساهُونَ) . (۱) و علی هذا یتعیّن الاهتمام بأمر الصلاه و أدائها فی أول وقتها. روی عن الإمام الکاظم علیه السلام أنه قال: «لما حضرت أبی الوفاه، قال لی: یا بنی أنه لاینال شفاعتنا من استخف بالصلاه».(۲)

و روی أنه دخل رجل مسجداً فیه رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم فخفّف سجوده دون ما ینبغی و دون ما یکون من السجود، فقال رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم: «نقر کنقر الغراب، لو مات هذا علی هذا مات علی غیر دین محمد».(۳)

لقد خُلق الإنسان من أجل بلوغ الکمال، و لایمکن له التکامل إلّامن خلال الارتباط باللّه. و أفضل وسیله للارتباط باللّه هی الصلاه. و هذا ما یفرض أن تؤدّی الصلاه بتوجّه قلبی تام وخشوع و وقار مع اجتناب الاستعجال والغفله، و علیه ان ینتبه مع من یتکلّم.

و علی أیّه حال فإن لترک الصلاه تأثیرات سیّئه فی حیاه الإنسان، هذا إضافه إلی حرمانه من رحمه اللّه، و یتبعه عذاب أُخروی. جاء فی القرآن الکریم ما مفاده أنّ أهل النار یُسألون یوم القیامه عمّا سلکهم فی سقر، فیقولون: إنهم ما کانوا من المصلین.(۴)

الصلوات الواجبه

علی کل مکلّف عدد من الصلوات الواجبه و هی عباره عن:

۱ - الصلوات الیومیه ۲ - صلاه الجمعه ۳ - صلاه الآیات ۴ - صلاه المیّت ۵ - صلاه الطواف الواجب ۶ - قضاء ما فات من صلاه الوالدین علی الابن الأکبر، أو احتیاطاً تجب

۱- - سوره الماعون (۱۰۷)، الآیات ۴-۵.

۲- الکُلینی، الکافی، ج ۳، ص ۲۷۰، الحدیث ۱۵.

۳- الحرّ العاملی، وسائل الشیعه، الباب ۹ من أبواب اعداد الفرائض، ج ۴، ص ۳۷، الحدیث ۶.

۴- سوره المدّثر (۷۴)، الآیات ۴۰-۴۳.

على أكبر الذكور من الورثه ۷ – ما يجب من الصلاه بالإجاره أو النذر أو العهد أو القسم ۸ – صلاه عيدى الفطر والأضحى عند توفّر شروطهما.

مقدّمات الصلاه

اشاره

هناك مجموعه من المقدّمات التى يلزم توفّرها للصلاه والوقوف بين يدى اللّه و إظهار العبوديه له، و لاتصح الصلاه من غير أداء هذه المقدّمات. و هذه المقدّمات عباره عن:

الوقت، المكان، القبله، الثياب والطهاره.

وقت الصلاه

الصلوات اليوميه التى يجب على المسلم المكلّف أداؤها، هى خمس صلوات، و هى:

صلاه الصبح، والظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء. و يجب أداء كل واحده منها فى وقتها.

۱ – صلاه الصبح، ركعتان و وقتها من أول بياض الصبح إلى حين شروق الشمس.

۲ – صلاه الظهر، أربع ركعات (فى غير السفر) و وقتها من أوّل الظهر إلى مقدار أربع ركعات قبل غروب الشمس (و هو الوقت المخصّص لصلاه العصر).

۳ – صلاه العصر، أربع ركعات (فى غير السفر) و وقتها من بعد أربع ركعات بعد أوّل الظهر (و هو الوقت المخصص لصلاه الظهر) إلى غروب الشمس.

۴ – صلاه المغرب، ثلاث ركعات، و وقتها من أوّل المغرب إلى منتصف الليل.

۵ – صلاه العشاء، أربع ركعات (فى غير سفر) و وقتها من بعد ثلاث ركعات من أوّل المغرب (و هو الوقت المخصص لصلاه المغرب) إلى منتصف الليل.

مكان المصلّى

يجب أنْ تتوفر فى مكان المصلّى الشروط التاليه:

۱ – الإباحه.

۲ – السکون و عدم الحرکه. فلا تصح الصلاه فی الأماکن التی لا استقرار فیها و لا سکون

کـالمواضع النابضه أو وسائط النقل المتحرکه إلا عنـد الاضـطرار مثل ضـیق الوقت. و عنـد الاضـطرار أیضاً یجب المحافظه جهد إلامکان علی صوره الصـلاه، و أن یتوقف المصلی عن الصلاه عند اهتزاز أو تحرّک المکان، و متی ما انحرفت واسطه النقل عن القبله یجب أن یستدیر هو أیضاً صوب القبله.

۳ - طهاره موضع السجود، و غیر موضع السجود یجب أن یخلو أیضاً من النجاسه السایره.

۴ - استواء موضع الصلاه، بحیث لایکون موضع الجبهه أعلی أو أدنی من موضع رکبتیه بمقدار أربعه أصابع مضمومه، والأحوط وجوباً أن لایکون موضع الجبهه أعلی أو أدنی من سائر أعضاء السجود، بأکثر من أربعه أصابع مضمومه.

۵ - یجب أن یکون موضع المصلّی بحیث یستطیع القیام والرکوع والسجود بشکل صحیح، إلا عند الاضطرار حیث یجب علیه أداؤها بالقدر الممکن.

۶ - یجب أن لایکون موضع المصلّی من الأماکن التی یحرم الوقوف أو المکوث أو الجلوس فیها، مثلاً یجب أن لاتکون فوق قبور المعصومین أو أمامها بل حتی إذا کانت الصلاه فی موازاتها توجب هتکاً لحرمتهم، یجب أن لایصلّی هناک.

القِبله

طبعاً لیس هناک اتجاه معیّن للتوجّه إلی اللّه وعبادته، کما تنص علی ذلک الآیه الشریفه:

(فَأَیْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ) . (۱) غیر أنّ الکعبه قد جعلت قبله لأسباب معیّنه منها توحید وُجْهِهِ جمیع المسلمین ولفت أنظارهم إلی البقعه التی انبثق منها نور الإسلام؛ و هو الموضع الذی بُنی باسم التوحید. و أُعید بناؤه علی ید النبیّ إبراهیم علیه السلام وابنه إسماعیل علیه السلام.

و أما الذین یصلّون فی المسجد الحرام و قریباً من الکعبه فیجب أن یقفوا باتجاه الکعبه تماماً؛ و لکن مَن یُصلّون فی أماکن بعیده فیجب أن یکون وقوفهم باتجاه القبله بالشکل الذی یکفی فیه أن یُقال إنهم واقفون باتجاه القبله.

۱- - سوره البقره (۲)، الآیه ۱۱۵.

و یجوز للمسلم أداء الصلاه المستحبّه ماشیاً أو راکباً. و إذا صلّی أحد صلاه مستحبّه فی هاتین الحالتین، لایلزم أن یکون متوجّهاً نحو القبله.

ثیاب المصلّی

۱ - یجب علی الرجل ستر عورتیه حال الصلاه، و إنْ لم یکن هناک من یراه، والأفضل أن یستر من سرّته إلی الرکبتین. و یجب علی المرأه أن تستر تمام بدنها، و لایجب أن تستُر من وجهها ما یُغسل فی الوضوء، و یدیها إلی الزندین و قدمیها إلی المفصلین. و لکی یحصل لها الیقین بستر المقدار الواجب، یجب أن تستر مقداراً من أطراف الوجه و مقداراً من أسفل الزند و مفصل القدم.

۲ - یجب أن تکون ثیاب المصلّی طاهره. و إذا کانت نجسه یجب تطهیرها.

۳ - یجب أن تکون ثیاب المصلّی مباحه علی الأحوط وجوباً. و علی هذا الأساس فمن یعلم أن ارتداء الثوب المغصوب حرام، ثم صلّی عمداً بثوب بعضه مغصوب کأن تکون خیوطه أو أزراره أو أی شیء آخر فیه، فالأحوط وجوباً إعاده صلاته بثوب غیر مغصوب.

۴ - بجب أن لاتکون فی ثیاب المصلّی و لا معه أشیاء من میته أو من حیوان یحرم أکله.

و یسری هذا الحکم من باب الاحتیاط الوجوبی علی الحیوان من غیر ذی النفس السائله أیضاً.

۵ - لایجوز للرجال ارتداء ثیاب منسوجه من حریر خالص أو مطرّزه بالذهب، والصلاه بها باطله، و علی المرأه احتیاطاً أن لاتُصلّی فی ثیاب حریر، و لکن لا اشکال فی أن ترتدی المرأه ثیاباً منسوجه بالذهب أو التزیّن بالذهب بشکل عام فی صلاه أو غیرها.

الطهاره

اشاره

یجب أن یکون بدن المصلّی طاهراً. والطهاره علی نوعین: ظاهریه، و باطنیه معنویه.

أ - الطهاره الظاهریه

اشاره

الطهاره الظاهریه هی أن لایکون بدن وثوب المصلّی متنجّساً بأشیاء نجسه. و هذا یعنی

أنه يجب أن يكون قد أزال النجاسه مسبقاً، ثم صلّى بعد إزاله النجاسه، إلّا فى حاله المشقّه أو الحالات المستثناه فى الأحكام الشرعيّه على مذهب أهل البيت عليهم السلام.(۱)

النجاسات

هناك أشياء نجسه يجب أن لايكون أثر منها على بدن المصلّى أو ثيابه. و إذا كانت موجوده يجب عليه ازالتها عن بدنه وثيابه قبل الصلاه. و هى عباره عما يلى:

۱ و ۲ - بول و غائط الإنسان والحيوانات التى يحرم أكلها. والأحوط وجوباً اجتناب بول الحيوان الذى يحرم أكله و ليس له نفس سائله، و لكن لايجب اجتناب غائطه.

۳ و ۴ و ۵ - منى و دم و ميته الإنسان والحيوان ذى النفس السائله، و إن كان ممّا يؤكل لحمه. و مع أن نجاسه منى الحيوانات التى يحل أكل لحمها غير ثابت، و لكن ينبغى اجتنابه احتياطاً.

۶ و ۷ - الكلاب والخنازير البريّه نجسه، و أما البحريه منها فطاهره.

۸ - الخمر و كل مُسكر للإنسان، إذا كان مائعاً بطبعه، نجس و يحرم تناوله، أما إذا كان غير مائع كالحشيشه، فهو طاهر و إن أصبح سائلاً بالعرض بخلطه بالماء و لكن يحرم تناوله.

۹ - يلزم اجتناب عرق الجنب من الحرام على الأحوط وجوباً.

۱۰ - يلزم على الأحوط وجوباً اجتناب عرق البعير المعتاده على أكل نجاسه الإنسان، بل عرق كل حيوان اعتاد على نجاسه الإنسان.

الكثير من الفقهاء يعتبرون الكافر نجساً أيضاً. والكافر هو من ينكر وجود اللّه عناداً وجحوداً، أو يجعل له شريكاً، أو ينكر نبوّه النبىّ محمد صلى الله عليه و آله و سلم أو ينكر المعاد، و لكن يبدو أن أهل الكتاب كاليهود والنصارى والزرادشتيه إذا لم يتنجّسوا بالخمور ولحم الخنزير و ما شابه ذلك لاتُستبعد طهارتهم. و نجاسه الكّفار من غير أهل الكتاب موضع إشكال، و على فرض نجاستهم فإنَّ ذلك ليس من قبيل سائر النجاسات، و إنّما هو حكم سياسى جعله الإسلام، و كانت غايه الشريعه من وراء ذلك إبعاد المسلمين عن التداخل والتواصل مع

۱- الأحكام الشرعيّه على مذهب أهل البيت عليهم السلام، المسائل ۸۵۸-۸۷۳.

الكفار، لكى لايقعوا تحت تأثير أفكارهم و معتقداتهم. و هذا لايتعارض مع التباحث العلمى والعلاقات الاقتصاديه معهم، إنْ لم تكن فى ذلك مفسده.

طرق إثبات النجاسه

تثبت نجاسه أى شىء بواحدٍ من الطرق الثلاثه التاليه:

أ – أن يكون الشخص نفسه موقناً بنجاسه الشىء.

ب – إذا شهد بنجاسته من هو فى يده و لم يكن متهماً بالكذب.

ج – شهاده رجلين عادلين بنجاسه الشىء، بل حتى إذا شهد رجل عادل واحد بنجاسته يجب اجتنابه من باب الاحتياط الوجوبى.

طرق تنجّس الأشياء الطاهره

إذا لامس الشىء النجس شيئاً طاهراً، و كان أحدهما أو كلاهما رطباً بنحو تسرى الرطوبه من أحدهما إلى الآخر، يتنجّس الطاهر. أما إذا كانت الرطوبه بمقدار قليل بحيث لاتسرى بينهما، فالطاهر منهما لايتنجّس.

المطهِّرات

تطهر المتنجّسات بأحد عشر شيئاً، و تسمّى المطهرات و هى:

١ – الماء

الماء يطهّر الشىء المتنجّس بشروط أربعه هى:

١ – أن يكون الماء مطلقاً. و عليه فالماء المضاف – كماء الورد – لايطهر الشىء النجس على الأحوط وجوباً.

٢ – أن يكون الماء طاهراً.

٣ – أن لايتحول الماء حين التطهير إلى ماء مضاف، و أن لاتتأثر رائحته أو لونه بالنجاسه.

٤ – أن لاتبقى عين النجاسه فى الشىء بعد تطهيره.

الماء القليل والكر

يُقسَّم الماء من حيث المقدار و خاصيّه التطهير إلى قسمين:

١ – الماء الكر، و هو مقدار الماء الذى إذا لاقى الأشياء النجسه لايتنجّس، و يطهّرها، بشرط أن لاتُغيّر عين النجاسه رائحه أو لون أو طعم ذلك الماء، و يساوى بالوزن ٣٨۴ كيلو غراماً تقريباً، و يساوى حسب الحجم ثلاثه أشبار و نصف طولاً و عرضاً وارتفاعاً بشبر الشخص العادى، و هو ما يقارب ٧٣ سانتمتر.

٢ – الماء القليل، هو الماء الذى لاينبع من الأرض، و لايبلغ كُرّاً.

و إذا أردنا تطهير الشىء النجس بالماء القليل بواسطه إبريق مثلاً- أو دوْرق أو ما شابه ذلك، يجب إراقه الماء من الأعلى إلى الأسفل. و إذا لاقت النجاسه الماء القليل يتنجّس، و لكن الماء الكر إذا لاقى الشىء النجس لايتنجس إلّاإذا تغيّرت واحده من ثلاث صفات فيه و هى اللّون والرائحه والطعم.

يجب غسل الإناء النجس ثلاث مرّات بالماء القليل، و لكن تكفى مره واحده بالماء الجارى والماء الكر. أما الإناء الذى ولغ فيه الكلب و شرب منه ماء أو مائعاً آخر، يجب تعفيره بالتراب الطاهر أولاً، ثم بالتراب الممزوج بشىء من الماء على الأحوط وجوباً، و بعد ذلك غسله بالماء ثلاث مرّات على الأحوط. و كذلك الحال بالنسبه إلى الإناء الذى لطعه الكلب، أو سال لعابه فيه، فالأحوط وجوباً أن يُعفّر بالتُراب قبل غسله بالماء. و يجب غسل الإناء الذى ولغ فيه الخنزير سبع مرّات بالماء القليل، و بالكر والجارى أيضاً سبع مرّات على الأحوط. و لايجب تعفيره بالتراب، و إن كان الأحوط استحباباً. والإناء المتنجّس بالخمر يطهر بغسله بالماء القليل ثلاث مرّات، و كذلك بالماء الكر الجارى على الأحوط.

يطهر المخرج بالماء مع رعايه الشروط المذكوره فى الأحكام الشرعيّه(١) بالحجر والخرق و أمثالها.

١- – راجع: الأحكام الشرعيّه، المسائل ۶۶، ۶۹، ٧٠.

۲ – الأرض

تطهّر الأرض باطن القدم و باطن النعل المتنجّس بخمسه شروط:

۱ و ۲ – أن تكون طاهره و جافّه على الأحوط وجوباً.

۳ – أن تكون نجاسه باطن القدم والنعل و أمثالها حاصله من المشى على الأرض المتنجّسه و ملاقاتها.

۴ – أن تزول عين النجاسه أو المتنجّس – كالدم والبول والطين – التى تكون على باطن القدم أو النعل بالمشى على الأرض أو المسح بها.

۵ – أن تكون الأرض تراباً أو حصىً أو حجراً أو مفروشه بالآجر. أمّا الأفرشه والسجّاده والحصير والعشب، فلا يطهر باطن القدم والنعل بالمشى عليها. و طهاره باطن القدم والنعل بالمشى على الأرض المزفّته والأرض المفروشه بالأخشاب محل إشكال.

۳ – الشمس

تطهّر الشمس، الأرض والأبنيه و ما يدخل فى بنائها مثل الأبواب والشبابيك، و كذلك المسامير المثبته فى الجدران التى تعدّ جزءاً من البناء بستّه شروط:

۱ – أن يكون الشىء المتنجّس رطباً، بحيث إذا لامسه شىء آخر سرت رطوبته إليه.

۲ – أن تزول عنه عين النجاسه إن كانت، قبل أن تشرق عليه الشمس.

۳ – أن لايكون حائل بينه و بين الشمس. فلو أشرقت عليه الشمس من خلف ستار أو غيم وجفّفته، لايطهر، و لكن إذا كان الغيم خفيفاً بحيث لايمنع أشعه الشمس، فلا إشكال فيه.

۴ – أن تستقلّ الشمس بتجفيف الشىء المتنجّس. فلو جفّ بسبب الريح والشمس معاً، لم يطهر. أمّا إذا كان الربح قليلاً بحيث لايقال إنّه ساعَدَ فى تجفيفه. فلا إشكال فيه.

۵ – أن تجفّف الشمس المقدار المتنجّس من الأرض والبناء مرّه واحده. فلو أشرقت الشمس عليه فى المرّه الأُولى وجفّفت ظاهره، ثمّ اشرقت مرّه أُخرى وجفّفت باطنه، يطهر ظاهره و يبقى باطنه على نجاسته.

۶ – أن لایکون بین ظاهر الأرض أو البناء الذی تشرق علیه الشمس و بین باطنه فاصل من هواء أو جسم طاهر آخر، و إلّافإنّ الباطن لایطهر و إن جفّ بسبب شروق الشمس.

۴ – الاستحاله

یطهر الشیء النجس أو المتنجّس إذا تغیّر جنسه إلی شیء طاهر، ویُسمّی ذلک الاستحاله. کأن یحترق الخشب المتنجّس و یصیر رماداً، أو یسقط الکلب فی بحیره أملاح و یستحیل إلی ملح. أمّا إذا لم یتحوّل جنسه، کما لو طحنت الحنطه المتنجّسه، أو صنعت خبزاً، فإنّها لاتطهر.

۵ – ذهاب ثلثی العصیر العنبی

غلیان عصیر العنب الذی یوجب حرمته یکون فی حالتین:

أ – إذا غلی عصیر العنب بالنار یحرم تناوله و هو نجس احتیاطاً. و لایطهر و لایحل إلّا إذا غلی بحیث یتبخّر ثلثاه.

ب – إذا غلی بنفسه یتنجّس و یحرم تناوله، و لایطهر و لایحل إلّاإذا صار خلّاً.

۶ – الانتقال

إذا دخل دم الإنسان أو الحیوان ذی النفس السائله، إلی جسم حیوان لیس بذی نفس سائله کالبرغش، و صار یُعَدُّ من دمه، صار طاهراً. ویُسمّی ذلک: الانتقال، مثل الدم الذی تمتصه البعوضه من جسم الإنسان أو حیوان آخر و یصیر جزءاً من جسم البعوضه.

۷ – الإسلام

إذا نطق الکافر بالشهادتین؛ یعنی أن یقول: «أشهد أن لا إله إلّا اللّه و أشهد أنَّ محمّداً رسول اللّه»، عن اعتقاد وعزم – حتی و إن کان بلغهٍ أُخری – یصیر مسلماً – و بناءً علی القول بنجاسه الکافر – یطهر بدنه و عرقه.

۸ – التبعیه

و هی طهاره الشیء النجس تبعاً لطهاره شیء نجس آخر، کالخمر إذا استحال خَلّاً، یطهر الإناء الذی کان فیه تبعاً لطهاره الخل.

۹ – زوال عین النجاسه

إذا تنجّس بواطن الإنسان – مثل داخل الحلق والأنف – ثم تلاشت النجاسه یطهر الموضع و لایجب تطهیره بالماء. و کذلک إذا تنجّس بدن الحیوان وزالت عنه النجاسه. أمّا إذا تنجّس شیء خارجی موضوع فی الفم – کالسن الاصطناعی مثلاً – فطهارته بمجرّد زوال عین النجاسه موضع إشکال.

۱۰ – استبراء الحیوان الجلّال

الأحوط وجوباً نجاسه بول و غائط الحیوان الجلّال المعتاد علی أکل نجاسه الإنسان.

و إذا أُرید تطهیره، وجب أن یُستبرأ؛ یعنی یُمنع لمدّه – ورد بیانها فی الأحکام الشرعیّه (۱)– من أکل النجاسات ویُعطی طعاماً طاهراً.

۱۱ – غیبه المسلم

إذا کان بدن المسلم أو ثیابه أو الأوانی التی یستعملها متنجّسه، ثم غاب ذلک المسلم و کان هناک احتمال فی تطهیر تلک الأشیاء بالماء، أو طهارتها بنزول المطر علیها، أو بالماء الکر أو الجاری، فلا یجب اجتنابها.

ب – الطهاره المعنویه

اشاره

هناک إضافه إلی الطهاره التی سبق الکلام عنها، نوع آخر من الطهاره التی أوجبها

۱- – راجع: الأحکام الشرعیّه، المسأله ۲۲۷.

الإسلام، و اشترطها لصحّه أعمال عباديه منها الصلاه. و هی تتحقق بثلاثه أشياء: الوضوء، والغُسل، والتيمم.

الوضوء

الوضوء: اغتسال خاص يقوم به الإنسان بأمر اللّه قبل الصلاه و بعض العبادات الأُخرى، لتطهير القلب والتقرّب إلى اللّه. والوضوء عمل لطهاره الروح والاستعداد للعباده. و لهذا فهو على درجه كبيره من الأهميه، و قد وُصِفَ فی روايه بأنه نور.(۱)

و أمّا الأُمور التی يجب لها الوضوء فهی: الصلاه، والطواف الواجب، ومَسَّ كتابه القرآن، و كذلك لأداء نذر أو عهد أو قَسَم. والمصلّی يتهيّأ بهذا الاغتسال الظاهری لإزاله الخبائث والأدران الروحيه والقلبيه. و لهذا كلّما كان الإنسان يتوضّأ بمزيد من الاهتمام و حضور القلب، يكون له توجّه و إخلاص أكثر فی الصلاه، و لكن لاينبغی طبعاً حصر الحكمه من الوضوء بهذه الأُمور أو بأُمور أخرى مثل رعايه جوانب الصحّه والنظافه. و ما يجب فی الوضوء هو التعبّد والخضوع للّه الواحد.

يجب فی الوضوء غسل الوجه واليدين، و مسح مقدّم الرأس و ظاهر القَدَمين. و يمكن فعل ذلك بطريقين: الترتيبی، والارتماسی.

الوضوء الترتيبی والارتماسی

الوضوء الترتيبی هو صبُّ الماء على كل واحد من أعضاء الوضوء و غسله من الأعلى إلى الأسفل و بالترتيب. و أما فی الوضوء الارتماسی فيغمر كل عضوٍ فی الماء بالترتيب.

فی الوضوء الترتيبی يجب غسل الوجه طولاً من منبت الشعر إلى نهايه الذقن من الأعلى إلى الأسفل، و عرضاً بمقدار ما شمله الإبهام والإصبع الوسطى. و لأجل أن يحصل له اليقين بغسل تمام هذه المساحه، يجب أن يغسل شيئاً مما حولها. و بعد الوجه، يغسل اليد

۱- الحرّ العاملی، وسائل الشيعه، الباب ۸ من أبواب الوضوء، ج ۱، ص ۳۷۷، الحديث ۸.

الیمنی ثم الیسری، و أن یکون غسل الیدین من المرفق إلی نهایه الأصابع من الأعلی إلی الأسفل. و لأجل أن یحصل له الیقین بغسل المرفق کاملاً، یجب غسل مقدار قلیل أعلی المرفق.

بعد تمام غسل الیدین یجب مسح ربع الرأس الواقع فوق الجبهه بالرطوبه الباقیه علی کف الید، ثم یمسح ظاهر القدمین ابتداءً من رأس إحدی الأصابع إلی کعب القدم.

و عند المسح یجب أن یکون موضع المسح جافّاً، و أن یثبت الرأس والقدم و یسحب الید علیها. ولو کان الشعر طویلاً بحیث لو مشّطه مثلاً یصل إلی وجهه أو سائر أجزاء الرأس، یجب أن یمسح علی أُصوله أو یفرّقه و یمسح علی البشره. أما لو لم یکن هذا الشعر طویلاً إلی هذا الحد یکفی المسح علی ظاهر الشعر. والأحوط وجوباً مسح الرأس بکفّ الید الیمنی من الأعلی إلی الأسفل بثلاثه أصابع. و فی مسح القدمین توضع الید علی رؤوس الأصابع ثم تُسحب علی ظهر القدم، لا أن توضع کل الید علی ظاهر القدم و تُسحب قلیلاً.

شروط الوضوء

لصحه الوضوء ثلاثه عشر شرطاً:

۱ و ۲ – أن یکون ماء الوضوء طاهراً و مطلقاً.

۳ – أن یکون الماء مباحاً، والأحوط وجوباً أن یکون الفضاء الذی یقع فیه الوضوء مباحاً أیضاً.

۴ و ۵ – أن یکون إناء ماء الوضوء مباحاً و لیس من الذهب والفضه.

۶ – أن تکون أعضاء الوضوء حین الغسل والمسح طاهره علی الأحوط وجوباً.

۷ – أن یکون هناک وقت کافٍ للوضوء والصلاه، و إلّافعلیه أن یتیمّم.

۸ – أن یکون الوضوء بقصد القربه؛ یعنی یتوضّأ امتثالاً لأمر اللّه تبارک و تعالی.

۹ و ۱۰ – أداء أفعال الوضوء بالترتیب والموالاه والمتابعه.

۱۱ – أن یباشر الإنسان أعمال الوضوء بنفسه، لا أن یوضئه أو یساعده علی الوضوء شخص آخر.

۱۲ – أن لایکون فی استعمال الماء ضرر علیه.

۱۳ – أن لایکون علی أعضاء الوضوء مانع من وصول الماء.

القماش واللّفاف الذی تُضَمّد به الجروح، والقماش أو البلاستیک اللاصق الذی یوضع علی الجرح مؤقتاً لمنع وصول الماء إلیه یُسمّی «جبیره». و أی وضوء أو غسل أو تیمم یجری فوق هذا القماش أو اللّفاف أو اللاصق یُسُمی وضوء أو غُسل أو تیمم الجبیره. و هو صحیح إذا جری وفقاً للشروط التی بیّنتها الرسائل العملیه.(۱)

مبطلات الوضوء

مبطلات الوضوء سبعه:

۱ و ۲ – خروج البول والغائط.

۳ – خروج ریح من مخرج الغائط.

۴ – النوم الذی لاتری فیه العین و لاتسمع الأُذن، و لکن إذا توقّفت إحداهما فقط عن العمل لایبطل الوضوء.

۵ – الأشیاء المُذهبه للعقل مثل الجنون والسکر والإغماء.

۶ – الاستحاضه.

۷ – الأفعال التی توجب الغُسل، کالجنابه والحیض والنفاس والاستحاضه، بل مسّ المیّت علی الأحوط، بعد برودته و قبل غسله.

الغسل

أحیاناً یشترط «الغُسل» لصحه العباده. یعنی یجب غسل تمام البدن بترتیب و شروط خاصّه و بقصد القربه، و لایکفی الوضوء وحده. و فی بعض الحالات یُستحب الغسل.

۱– راجع: الأحکام الشرعیّه، المسائل ۳۳۲–۳۵۲.

الأغسال الواجبه

يجب الغُسل فی عدّه موارد للصلاه و کل عمل یجب أداؤه بوضوء.

۱ – غسل الجنابه، و هو ما یجب بسببین، الأوّل: الجماع، والثانی: خروج المنی سواء فی الیقظه أو فی النوم.

۲ و ۳ و ۴ – غسل الحیض، والاستحاضه والنفاس، الحیض هو الدم الذی یخرج من رحم المرأه عاده عدّه أیام من کل شهر، و لاتکون مدّه الحیض أقل من ثلاثه أیام، و لا أکثر من عشره أیام. أمّا وقت و عدد أیام حیض المرأه فهو تابع للانتماء العرقی للمرأه و أُسرتها و ظروفها الجسمیه و غیر ذلک، فهی تحیض فی زمان و مدّه خاصّه، و هو ما یُسمّی بالعاده.

والاستحاضه: و هی ما تراه المرأه من الدم الذی تقل مدّته عن ثلاثه أیام أو تزید علی عشره أیام.

النفاس: و هو کل دم تراه المرأه من أول خروج جزء من الطفل من بطنها و مدته مثل مدّه العاده الشهریه. و إذا لم تکن هناک مدّه ثابته للعاده، فإنّ مدّه النفاس لاتکون أکثر من عشره أیام، و لکن قد تکون أقل من ثلاثه أیام.

و فی کل واحده من هذه الحالات الثلاثه یجب علی المرأه بعد أن تطهر أن تغتسل غسل الحیض، أو الاستحاضه، أو النفاس، من أجل الصلاه والعبادات الأُخری. و تفصیل ذلک مذکور فی الرسائل العملیه.(۱)

۵ – غسل مسّ المیّت، یجب أن یغتسل الإنسان غسل المیّت مسّ المیّت إذا مسّ المیّت، أی لامس بجزء من بدنه بدنَ المیت – عدا الشعر بعد أن یبرد و قبل أن یُغَسّل.

و یشمل هذا الحکم أیضاً إذا مسَّ قطعه منفصله من جسم المیّت إن کان فیها عظم.

۶ – غسل المیّت، یجری غسل المیّت علی نحو خاص؛ إذ یجب ابتداءً غسل تمام

۱– راجع: الأحکام الشرعیّه، المسائل ۴۰۰–۵۲۷.

البدن بالماء المخلوط بالسِّدر، و من بَعده يُغسل بالماء المخلوط بالكافور، ثم بالماء الخالص القراح، بالنحو الذى جاء فى الرسائل العمليه.(۱)

۷ – الغُسل الذى يجب بالنذر أو اليمين أو العهد.

كيفيه الغسل

يمكن الغسل بطريقين: الغسل الترتيبى، والغسل الارتماسى. و فى الغسل الترتيبى يجب غسل الرأس والرقبه أوّلاً، ثم على الأحوط وجوباً غسل الجانب الأيمن من البدن، ثم غسل الجانب الأيسر. والغسل الارتماسى أن يرمس الإنسان بدنه فى الماء دفعه واحده بنيّه الغسل.

أحكام الغسل

۱ – كل الشروط التى ذكرت لصحّه الوضوء، تُشترط فى صحّه الغسل أيضاً، و لكن لا يجب فى الغسل غسل البدن من الأعلى إلى الأسفل، و لاتجب الموالاه والمتابعه فى الغَسل، بشرط أن لايأتى بما يبطل الوضوء.

۲ – من تجب عليه عدّه أغسال يمكنه أن ينويها جميعاً فى غسل واحد. و يمكنه أيضاً الغسل مرّه واحده عن عدّه أغسال واجبه و مستحبّه.

۳ – من يغتسل عن الجنابه لايتوضّأ للصلاه، و لكن لايصح أن يصلّى بالأغسال الأُخرى، والأحوط وجوباً أن يتوضّأ معها.

۴ – يشترط على الأحوط وجوباً فى صحه الغسل الارتماسى أن يكون جميع البدن طاهراً. و لايجب ذلك فى الغسل الترتيبى، بل يكفى فيه تطهير كل جزء قبل غسله.

۵ – لايجوز للصائم صوماً واجباً معيناً أن يغتسل غسلاً ارتماسياً حين الصوم؛ لأن الصائم يجب أن لايغمر كل رأسه فى الماء.

۱– راجع: المصدر السابق، المسائل ۵۵۷–۵۷۷.

۶ – إذا أحَدَث أثناء الغُسل ما يوجب الوضوء، فالأحوط وجوباً أن يستأنف الغُسل و أن يتوضّأ.

۷ – إذا وجب على المكلّف غسل آخر و لم يغتسل، ثم أجنب واغتسل من الجنابه، يكفيه غسل الجنابه عن الأغسال الأُخرى و إن لم يلتفت إليها عندما اغتسل.

أحكام الجنابه

الغُسل الوحيد الذى صَرّح به القرآن الكريم هو غسل الجنابه: (وَ إِنْ كُنْتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُوا) (۱) و من هنا يُستفاد أنه يمكن الصلاه بغُسل الجنابه و لايجب الوضوء.

و مع وجوب غسل الجنابه للصلوات الواجبه والصوم الواجب والطواف، و لكن الإتيان به لذاته مستحب، ويُذم البقاء على الجنابه، ويكره كراهه شديده الأكل والشرب والنوم فى حال الجنابه. وتزول الكراهه فى هذه الحالات الثلاثه بالوضوء أو التيمم قربه إلى اللّه تعالى فى حاله النوم لعدم وجدان الماء.

ما يحرم على الجنب

يحرم على الجنب خمسه أشياء:

۱ – مسّ كتابه القرآن، بأى جزء من أجزاء البدن، و كذا لفظ الجلاله على الأحوط وجوباً. و كذلك مسّ أسماء الأنبياء والأئمّه والزهراء – عليهم الصلاه والسلام – إذا استلزم مسّها هتكاً و إهانه كما تقدّم ذكره فى الوضوء.

۲ – الدخول إلى المسجد الحرام و مسجد النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم، و إن دخل عابراً من باب و خرج من آخر.

۳ – المكث فى المساجد الأُخرى. و كذلك على الأحوط وجوباً حرم مشاهد الأئمّه عليهم السلام. أمّا إذا دخل من باب و خرج من آخر، أو دخل المسجد لأخذ شىء منه فلا حرمه عليه.

۱– سوره المائده (۵)، الآيه ۶.

۴ – وضع شیء فی المسجد.

۵ – قراءه سور العزائم التی فیها آیات السجده الواجبه. و هی أربع سور: ۱ – السوره الثانیه والثلاثون (ألم تنزیل). ۲ – السوره الحادیه والأربعون (حم السجده). ۳ – السوره الثالثه والخمسون (والنّجم). ۴ – السوره السادسه والتسعون (إقرأ). فإذا قرأ الجنب حرفاً من هذه السور – ولو غیر آیه السجده – فهو حرام علی الأحوط وجوباً، و أمّا من آیه السجده فحرام بدون شکّ.

أحکام الحیض

۱ – یَحرم الجماع فی أیام الحیض.

۲ – لاـتجوز علیها العبادات التی تُشترط فیها الطهاره کالصوم والصلاه، و لکن یستحب لها فی وقت الصلاه الیومیه أن تتوضّأ و تجلس نحو القبله و تدعو و تذکر اللّه.

۳ – لاقضاء للصلوات الیومیه التی لم تصلّها المرأه حال الحیض، و لکن یجب أن تقضی ما فاتها من الصوم الواجب.

۴ – کل ما یحرم علی الجنب، یحرم علی الحائض أیضاً، و یجب علیها اجتنابه و یجب علیها الاغتسال بعد الطهاره من الحیض.

التیمُّم

شُرّعت الأحکام فی الإسلام علی نحو یسهل العمل بها، و لا تُوقِع الأفراد والمجتمع فی عُسرٍ و مشقّه. و نذکر علی سبیل المثال الطهاره لأداء الصلاه، فلو تعذّر الوضوء أو الغُسل لسبب أو آخر یجب التیمم بدلاً من الوضوء أو الغُسل. قال اللّه تعالی فی التیمم:

(ما یُرِیدُ اللّهُ لِیَجْعَلَ عَلَیْکُمْ مِنْ حَرَجٍ وَ لکِنْ یُرِیدُ لِیُطَهِّرَکُمْ وَ لِیُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَیْکُمْ لَعَلَّکُمْ تَشْکُرُونَ) .(۱)

۱– سوره المائده (۵)، الآیه ۶.

إنّ الغايه من الوضوء أو الغسل ليست النظافه فقط حتّى يقال: كيف يمكن احراز النظافه بالتيمم. فأحكام الشريعه الإسلاميه المقدّسه فيها إضافه إلى الحِكَم والغايات التى يفهمها الكثير من الناس، مصالح و علل أُخرى ربّما لايتيسّر فهمها لجميع الناس. والجوهر المشترك فى جميع الأحكام الإلهيه هو إيجاد حاله من التعبد و غرس روح الطاعه والخضوع للّه.

كيفيه التيمم

التيمم عباره عن ضرب كفّى اليدين على الأرض و مسحهما على الوجه و ظاهر الكفّين، وفقاً للشروط التاليه:

١ - نيّه التيمم بدلاً من الوضوء أو الغسل.

٢ - ضرب كفى اليدين معاً على الأحوط، على ما يصح التيمم به.

٣ - مسح تمام الجبهه و طرفيها بكفّى اليدين معاً، من منبت الشعر إلى الحاجبين و أعلى الأنف. والأحوط وجوباً مسح الحاجبين أيضاً.

٤ - مسح تمام ظاهر الكفّ اليمنى من الزند إلى أطراف الأصابع بباطن الكفّ اليسرى، ثم مسح تمام ظاهر الكفّ اليسرى بباطن اليد اليمنى. والأحوط أن يضرب كفّى اليدين على الأرض مرّتين، ثمّ يمسح الجبهه و ظاهر الكفين بهما، ثم يضرب الكفّين مرّه أُخرى على الأرض و يمسح ظاهر الكفين بهما.

ما يصحّ به التيمم

يصح التيمم بالتراب والحصى والحجر والمدر والطين المطبوخ كالآجر والخزف و حجر الجص والنوره و أحجار الرخام و سائر أقسام الحجر، و لكن التيمم على المعادن مثل حجر العقيق والفيروزج، باطل. و لايُترك احتياطاً تقديم التراب على الباقى خصوصاً الحجر.

يجب أن يكون ما يُتيمم به طاهراً و غير مغصوب، و إذا كان التيمم بما فيها غبار، فالأحوط أن يعلق باليد شىء من الغبار.

موارد التيمم

١ – تعذر الحصول على الماء الكافى للوضوء أو الغسل.

٢ – إذا لم يتمكن من الحصول على الماء بسبب شيخوخته أو خوفه من سارق أو سبع و أمثالهما، أو لعدد وجود وسيله لحمل الماء.

٣ – الخوف من المرض أو أن يطول أو يشتد عليه المرض بسبب استعمال الماء.

۴ – إذا خاف – من صرف الماء فى الوضوء أو الغسل، على نفسه، أو زوجته و أولاده، أو رفقائه، أو نفس محترمه يجب حفظها – الموت عطشاً أو المرض أو العطش الذى يشق تحمّله، و كذلك إذا خاف على حيوان كالفرس والبغل مما لايُذبح عاده لأكل لحمه، فيجب عليه فى مثل هذه الحاله أن يتيمّم بدلاً من الغسل أو الوضوء.

۵ – ضروره صرف الماء لتطهير البدن أو الثوب النجس.

۶ – إذا لم يكن عنده ماء أو إناء غير ما يحرم استعماله.

٧ – إذا كان وقت الصلاه ضيّقاً و لم يكن هناك وقت كافٍ للوضوء أو الغسل.

واجبات الصلاه

١ – النيّه؛ و تعنى العزم والإراده على فعل شىء. و إذا كان الإنسان منتبهاً للعمل الذى يؤدّيه، فلابّد أن يكون قاصداً له ولديه نيّه على أدائه. و على الإنسان أن يؤدّى العبادات و منها الصلاه بنيّه القربه إلى اللّه؛ أى امتثالاً لأمر اللّه تعالى. و لايجب أن يستحضر النيّه فى قلبه، و لا أن يتلفظ بها بلسانه.

٢ – القيام؛ عند الإمكان يجب أن يكون المصلّى فى حاله قيام أثناء التكبير و قراءه الحمد والسوره. والقيام حال تكبيره الإحرام، والقيام الذى عنه يركع ركنان.

٣ – تكبيره الإحرام؛ تبدأ الصلاه بقول «اللّه أكبر». و من بعدها يجب على المصلّى اجتناب كل ما لايناسب حال الصلاه.

۴ – القراءه؛ و هی قراءه سوره الحمد وسوره أخری من القرآن فی الرکعتین الأولی والثانیه، و قراءه التسبیحات الأربعه و هی «سبحان اللّه والحمد لِلّه و لا إله إلّااللّه واللّه أکبر» ثلاث مرّات أو قراءه سوره الفاتحه وحدها فی الرکعتین الثالثه والرابعه.

۵ – الرکوع؛ و هو الانحناء إلی الأمام بعد قراءه الحمد والسوره أو التسبیحات الأربعه فی کل رکعه، بحیث یمکنه أن یضع یدیه علی رکبتیه، و أن یکون فی ذلک الحال فی توجه کامل إلی اللّه، و یذکر عظمته، و یکفی فیه الإتیان بأی ذکر کان، والأحوط وجوباً إن أراد «سبحان اللّه» أن یقولها ثلاث مرّات. و إذا أراد أن یقول شیئاً آخر غیر ذلک، لایقلّ عن قول «سُبحان اللّه» ثلاث مرّات، أو مرّه واحده «سُبحان رَبِّیَ العَظیم و بِحَمده». والأحوط اختیار التسبیح من بین الأذکار.

۶ – السجود؛ یقف المصلّی بعد الرکوع ثم یسجد بکل تواضع. والسجود هو أن یضع جبهته، و کفّی یدیه، ورأس رکبتیه، ورأس إبهامی قدمیه علی الأرض، و یذکر اللّه بالتعظیم و یقول ثلاث مرّات «سبحان اللّه» أو مره واحده «سُبحانَ رَبّیَ الْاَعْلی وَ بِحَمْدِه» أو أی ذکر آخر بالنحو الذی ورد تفصیله فی الرکوع. ثم یرفع رأسه من السجود و یجلس ثم یسجد السجده الأُخری.

یجب السجود علی الأرض أو ما أنبتت مما لایؤکل و لایُلبس، کالخشب و أوراق الأشجار و أمثال ذلک، و لکن یبطل السجود علی ما یلبسه و یأکله الإنسان کالحنطه والشعیر والخبز، کما یبطل السجود علی الذهب والفضه و کذا العقیق والفیروزج علی الأحوط وجوباً. أما السجود علی الأحجار المعدنیه کحجر المرمر والأحجار السود و حجر الجص و حجر النوره فلا إشکال فیه، بل یصحّ السجود أیضاً علی الجص والنوره المطبوخین، و علی الآجر والکوز الطینی و أمثالها، و إن کان الأحوط ترکه.

۷ – التشهد؛ علی المصلّی فی الرکعه الثانیه من کل الصلوات الواجبه والمستحبّه والرکعه الثالثه من صلاه المغرب، والرابعه من صلاه الظهر والعصر والعشاء؛ أن یجلس بعد السجده الثانیه و یأتی بالتشهّد و هو مستقر البدن فیقول: «اَشْهَدُ انْ لا الهَ الاَّ اللّهُ وَحْدَهُ لاشَریکَ لَه، وَ اشْهَدُ انَّ مُحَمّداً عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ، اللّهُمَّ صَلِّ عَلی مُحَمَّدٍ وَ آلِ مُحَمَّدٍ.»

۸ – السلام؛ یستحب بعد التشهّد فی الرکعه الأخیره من الصلاه أن یقول و هو جالس مستقر البدن: «السَّلامُ عَلَیْکَ ایُّهَا النَّبِیُّ وَ رَحْمَهُ اللّهِ وَ بَرَکاتُهُ» و یجب علیه أن یقول بعده:

«السَّلامُ عَلَیْکُمْ وَ رَحْمَهُ اللّهِ وَ بَرَکاتُه» أو یقول: «السَّلامُ عَلَیْنا وَ عَلی عِبادِ اللّهِ الصّالِحینَ»؛ و لکن إذا أتی بهذا السلام الأخیر، یحسن أن یتبعه بقوله: «السَّلامُ عَلَیْکُمْ وَ رَحْمَهُ اللّهِ وَ بَرَکاتُه».

۹ – الذکر؛ یجب علی المصلّی أن یأتی باذکار الرکوع والسجود والتشهد والسّلام کما مرّ بیانه.

۱۰ – الترتیب؛ الترتیب فی الصلاه معناه أن یأتی بواجبات الصلاه بالترتیب المذکور، و إذا أخلَّ بالترتیب بین أجزاء الصلاه عامداً فصلاته باطله.

۱۱ – الموالاه؛ یجب علی المصلّی أن یأتی بالصلاه بنحو الموالاه؛ أی أن یُتابع بین أفعالها کالرکوع والسجود والتشهد، و یتابع بین تلاوتها بالنحو المتعارف. فإذا فصل بینها بمقدار لایُقال له أنه یُصلّی، وخرج بذلک عن هیئه المصلّی، فصلاته باطله.

أحکام الصلاه

۱ – هناک مِن بین واجبات الصلاه خمسه أرکان، والأرکان الخمسه للصلاه هی: النیّه، و تکبیره الإحرام، والقیام حال تکبیره الإحرام، والقیام المتّصل بالرکوع، والرکوع، والسجدتان. فإذا زاد أو نقص أحد هذه الأرکان عمداً أو سهواً تبطل صلاته. و سائر واجبات الصلاه لیس رکناً؛ أی إذا زاده أو نقّصه عمداً تبطل صلاته، و إذا نقّصه أو زاده سهواً لاتبطل.

۲ – یجب علی کل مسلم تعلّم جمیع کلمات الصلاه باللغه العربیه و بالشکل الصحیح، و أن یقرأها بشکل صحیح.

۳ – یجب علی الرجل والمرأه أن یقرأ الحمد والسوره فی صلاه الظهر والعصر إخفاتاً.

و یجب علی الرجل أن یقرأ الحمد والسوره فی صلاه الصبح والمغرب والعشاء جهراً، و لکن هذا غیر واجب علی المرأه.

۴ – یجب أن یکون البدن مستقراً حال الأذکار الواجبه، بل الأحوط وجوباً أن یکون مستقراً حال الأذکار المستحبّه، إذا أتی بها بنیّه کَوْنها ذِکْراً من الأذکار المستحبّه الوارده فی الصلاه، عدا قول «بِحَوْلِ اللّهِ وَ قُوَّتِهِ اقُومُ وَ اقعُد» فعلیه أن یقولها حال النهوض للوقوف لرکعه أُخری.

مستحبات الصلاه

مثلما فی الصلاه أرکان و أذکار واجبه، کذلک فیها أعمال مستحبّه وردت تأکیدات کثیره علیها، و لها تأثیر کبیر فی التوجّه إلی اللّه:

۱ – الأذان والإقامه؛ یستحب للمصلّی الأذان والإقامه قبل الصلوات الواجبه الیومیه.

و یستحب أن یقول قبل صلاه عید الفطر والأضحی ثلاث مرّات: «الصلاه»، بدلاً من الأذان والإقامه.

الأذان ثمانی عشره جمله:

«اللّه أکبر»، أربع مرّات. «أشهد أنْ لا إله إلّااللّه». «أشهد أنّ محمّداً رسول اللّه».

«حَیَّ عَلَی الصَّلاه». «حَیَّ عَلی الفَلاح». «حَیَّ عَلی خَیرِ العمل». «اللّه أکبر». «لا إله إلّا اللّه» کل واحده من هذه الجمل مرّتان.

والإقامه سبع عشره جمله:

حیث ینقص من جمل الأذان مرّتان «اللّه کبر» من أوّلها، و مرّه واحده «لا اله الّا اللّه» من آخرها، و یضاف بعد «حیّ علی خیر العمل»، «قد قامت الصلاه»، مرّتان.

«أشهد أنّ علیاً ولی اللّه»، لیست جزءً من الأذان والإقامه، و لکن یحسن الإتیان بها بعد «أشهد أنّ محمّداً رسول اللّه»، بقصد القربه المطلقه لا بقصد الورود.

۲ – القنوت؛ یستحب القنوت قبل رکوع الرکعه الثانیه، و هو أن یرفع یدیه مقابل وجهه و یذکر اللّه بما هو شأنه، والأفضل أن یقرأ فیه من الأدعیه المأثوره عن المعصومین، أو من آیات القرآن الکریم.

۳ – یستحب مؤکّداً قول «اللّه أکبر» بعد کل عمل، و کذلک قبل الرکوع، و أن لایترک هذا جهد الإمکان.

۴ – یُستحب حال کل تکبیره – و خاصه حال تکبیره الإحرام – أن یرفع یدیه إلی مقابل أُذنیه بحیث یکون باطن الکفین باتجاه القبله.

۵ – یستحب حال القیام النظر إلی موضع السجود، و حال القنوت النظر إلی باطن الکفّین، و حال الرکوع النظر إلی ما بین القدمین، و حال الجلوس النظر إلی حجره.

۶ – یُستحب أن یقول بعد الوقوف الکامل من الرکوع والاستقرار «سَمِعَ اللّهُ لِمَنْ حَمِدَه»؛ و أن یقول حین النهوض لرکعه أُخری: «بِحَوْلِ اللّهِ وَ قُوَّتِهِ اقومُ وَ اقعُد».

۷ – یستحب بعد الصلاه أن یجلس قلیلاً و یفکر و یناجی ربّه، و لایشترط أن یکون ذلک باللُّغه العربیه، و لکن الأفضل الإتیان بالمسنون الوارد عن المعصومین. ویُستحب قراءه ما علّمهُ رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم لفاطمه الزهراء علیها السلام والمعروف باسم تسبیح الزهراء علیها السلام و هو بالترتیب التالی: ۳۴ مرّه «اللّه أکبر»، ۳۳ مرّه «الحمد للّه» و ۳۳ مرّه «سبحان اللّه».

و تُستحب بعد الصلاه سجده الشکر، و یقول فیها ثلاث مرّات «شکراً للّه» أو «شکراً» أو «عفواً».

مبطلات الصلاه

من المفترض طبعاً أن یقف العبد فی الصلاه بین یدی ربّه بحضور قلب و انتباه تام إلی عظمه اللّه، و فی الوقت ذاته، علیه أن ینتبه أن لایصدر منه ما یوجب الذهول عن الصلاه و بطلانها.

و مبطلات الصلاه إثنا عشر:

۱ – إذا انتفی أثناء الصلاه أحد شروطها، مثل انکشاف الستر اللازم للمرأه والرجل.

۲ – إذا حدث أثناءها سهواً أو عمداً أو اضطراراً مایُبطل الوضوء والغُسل کخروج البول مثلاً.

۳ – أن وضع المصلّی إحدی یدیه علی الأُخری معتبراً ذلک من واجبات الصلاه، فالأحوط وجوباً أن یعید صلاته.

۴ – أن يقول عمداً «آمين» بعد الحمد.

۵ – تعمّد استدبار القبله أو الانحراف عنها إلى جهه اليمين أو جهه الشمال.

۶ – تعمّد التلفّظ بكلمه خارج الصلاه يقصد معناها، بل حتى إذا لم يقصد معناها على الأحوط وجوباً.

۷ – تعمد الضحك المشتمل على صوت، و إذا ضحك سهواً بصوت وخرج بذلك عن هيئه المصلّى فصلاته باطله، و لكن التبسّم لايبطل الصلاه.

۸ – تعمّد البكاء المشتمل على صوت لأمرٍ دنيوى، و لكن إذا بكى بلا صوت لأمرٍ دنيوى عمداً من دون اختيار فقيه إشكال.

۹ – إذا جاء بفعل يمحو صوره الصلاه.

۱۰ – الأكل والشرب.

۱۱ – الشك فى عدد ركعات الصلاه الثنائيه، أو الثلاثيه، أو فى الركعتين الأُوليين من الرباعيه.

۱۲ – زياده الركن أو نقصانه عمداً أو سهواً، أو زياده غير الركن من واجبات الصلاه أو نقصانه عمداً.

صلاه المسافر

۱ – يجب على المسافر أن يصلّى صلاه الظهر والعصر والعشاء قصراً (أى يصلّى ركعتين لكل واحده منها).

۲ – من نوى ثمانيه فراسخ، يجب أن يقصر صلاته عندما يصل إلى مكان لايرى فيه سور البلد و لايسمع أذانه.

۳ – مَن شغلهم السفر كالجمّال والسائق والراعى والبحّار و أمثال هؤلاء يجب أن يتمّوا الصلاه فى غير سفرهم الأوّل. و أما فى سفرهم الأوّل فيجب أن يقصروا الصلاه و إن طال، إلا أن يكون طويلاً جداً بحيث يصدق عليهم عرفاً أنّ عملهم السفر، أو يكون سفرهم متواصلاً بعد وصولهم إلى مقصدهم الأوّل إلى أمكنه أُخرى دون أن يرجعوا إلى وطنهم.

۴ – التاجر والكاسب الدوّار، والعُمّال والمضيّفون فی القطارات والسُفن والطائرات، والمعلّم والآمر والمأمور السيّار، والطلاب الذين يضطرّون للسفر فی كل أسبوع عدّه أيام إلی مدينه أُخری و يقطعون المسافه الشرعيه، يكون حُكْمهم حكم من عمله السفر وصلاتهم تامّه و يجب عليهم الصوم أيضاً.

۵ – من سافر و نوی الإقامه عشره أيام متواليه فی مكان، يجب أن يتم صلاته.

۶ – إذا كان فی السفر ضرر له كأن يُسافر للسرقه أو لإيذاء و ظلم الغير، أو لشراء و بيع أشياء محرّمه كالمشروبات الكحوليه، يجب عليه أن يتم صلاته.

صلاه الجماعه

وردت تأكيدات كثيره علی صلاه الجماعه، فقد جاء فی الحديث أنه إذا كانا اثنين كتب اللّه لكل واحد بكل ركعه مئه وخمسين صلاه، و إذا كانوا ثلاثه، كتب اللّه لكل واحد بكل ركعه ستمئه صلاه، (و كلّما زاد عددهم زاد ثواب صلاتهم إلی أن يصل عددهم إلی العشره) و متی ما كانوا أكثر من عشره، فلو صارت السموات كلها قرطاساً، والبحار مداداً، والأشجار أقلاماً، والثقلان مع الملائكه كُتّاباً، لم يقدروا أن يكتبوا ثواب ركعه واحده.(۱)

يُستحب أداء الصلوات اليوميه، والصلاه علی الميّت، وصلاه الآيات جماعه. و قد ورد التأكيد أكثر فی الصلوات اليوميه، و خاصّه صلاه الصبح والمغرب والعشاء، وخصوصاً لجار المسجد، و من يسمع أذان المسجد.

وتُقام صلاه الجماعه بشخصين، أحدهما يتقدّم و يبدأ بالصلاه و هو الإمام، والآخر يقتدی به و هو المأموم.

والإمام يقرأ بدلاً من الآخرين الحمد والسوره، والآخرون ينصتون و يذكرون اللّه بقلوبهم، كما جاء فی القرآن: (وَ إِذا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَ أَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) .(۲)

۱– النوری، الميرزا حسين، مستدرک الوسائل، الباب ۱ من أبواب صلاه الجماعه، ج ۶، ص ۴۴۴، الحديث ۳.

۲– سوره الأعراف (۷)، الآيه ۲۰۴.

شروط صلاه الجماعه

١ - يجب أن لايكون هناك بين الإمام والمأموم ساتر، و كذلك بين المأموم والمأموم الآخر الذى يتصل بواسطته بالإمام، و لكن إذا كان الإمام رجلاً والمأموم إمرأه، فلا إشكال فى وجود الساتر و أمثاله بينها و بين الإمام، أو بينها و بين المأموم الرجل الذى تتصل بواسطته بالإمام، و لكن يلزم أن يكون بحيث يعدّ الجميع عرفاً جمعاً واحداً.

٢ - يجب أن لايكون موقف الإمام أعلى من موقف المأموم.

٣ - الأحوط وجوباً أن لايكون الفاصل بين مسجد المأموم و موقف الإمام، و بين المأمومين أنفسهم أكثر من خطوه متعارفه.

۴ - لايجوز أن يتقدم المأموم فى موقفه على الإمام، والأحوط وجوباً أن لايساويه.

شروط إمام الجماعه

يجب أن يكون إمام الجماعه عاقلاً، عادلاً، إمامياً إثنى عشرياً، طاهر المولد، والأحوط وجوباً أن يكون بالغاً، و أن يؤدى الصلاه بشكل صحيح. و إذا كان المأمومون رجالاً أو رجالاً و نساءً، يجب أن يكون الإمام رجلاً، و لكن إمامه المرأه للمرأه جائزه.

الصلوات الواجبه الأُخرى

صلاه الجمعه

تُصلّى يوم الجمعه - حين توفّر شروطها - بدلاً من صلاه الظهر. و قد ورد فى القرآن الكريم والأحاديث الشريفه تأكيد كثير عليها.

و إذا أمكن تحصيل شروط صلاه الجمعه فى زمن غيبه الإمام المهدى (عج) فالأحوط وجوباً إقامتها. و إذا انعقدت فالأحوط وجوباً لواجدى الشرائط أن يحضروها و لايتركوها

بدون عذر شرعی.

صلاه الجمعه من التعالیم الاجتماعیه المهمه فی الإسلام؛ و لها أهمیه بالغه، و لأجل أن یشترک فیها أکبر عدد من الناس فقد جُعلت لها الشروط التالیه:

۱ - یحضر الناس لإقامتها من مسافه فرسخین.

۲ - یجب أن لایکون الفاصل بین الجمعتین أقلَّ من فرسخ شرعی؛ فیتفرّق الناس إلی جماعات صغیره، و إنّما یشارکون کلّهم فی اجتماع أکبر و یجنون المزید من نتائجه الاجتماعیه.

۳ - لایجوز القیام بأی عمل یزاحم صلاه الجمعه، نظیر المعاملات التی تجری قبل الانتهاء من صلاه الجمعه، و لکنّها غیر باطله.

کیفیه صلاه الجمعه

صلاه الجمعه رکعتان کصلاه الصبح. ویُستحب مؤکّداً قراءه سوره «الجمعه» بعد الحمد فی الرکعه الأُولی، وسوره (المنافقون) بعد الحمد فی الرکعه الثانیه. ویُستحب فیها قنوتان؛ الأوّل فی الرکعه الأُولی قبل الرکوع، والثانی فی الرکعه الثانیه بعد الرکوع، و یجب فیها أن یخطب الإمام قبل الصلاه خطبتین.

شروط إمام الجمعه

یجب أن یکون إمام الجمعه بالغاً، عاقلاً، رجلاً، مؤمناً، طاهر المولد، عادلاً، قادراً علی الخطبه من قیام. کما أن الأحوط وجوباً أن یکون منصوباً من قبل المجتهد الجامع لشرائط الحکم. و إذا تعدّد المجتهدون الجامعون للشرائط، فیجب أن یکون منصوباً من قبل المجتهد المتصدّی لإداره شؤون المسلمین الاجتماعیه والسیاسیه. و إذا لم تکن إداره هذه الشؤون بید المجتهد العادل فالأحوط وجوباً أن یکون إمام الجمعه مجتهداً لائقاً بهذا المقام، أو منصوباً من قِبل مثل هذا المجتهد. و إذا لم یکن إمام الجمعه جامعاً للشرائط لاتجب المشارکه فی تلک الجمعه و لاتصح الصلاه فیها.

یحسن أن یکون إمام الجمعه رجلاً مخلصاً، شجاعاً، صریحاً، حاسماً، وقوراً، خطیباً، ذافصاحه و بلاغه، و معرفه بأوضاع العالم الإسلامی و بصیراً بمصالح الإسلام والمسلمین، و أن یطرح فی الخطب المسائل الاجتماعیه والسیاسیه، و مصالح المسلمین و حاجاتهم المادّیه والمعنویه، و أن یحرص فی الخطبه علی رفع مستوی وعی المسلمین و رشدهم السیاسی والمعنوی، و أن ینبّه المسلمین إلی کیفیه تعاملهم مع بعضهم و تعاملهم مع سائر الأُمم، و أن یعلّمهم طرق المقاومه ضد المستعمرین والظالمین.

و نظراً إلی أن صلاه الجُمعه کصلاه العیدین والحج، عباده ممتزجه بالسیاسه، فیلزم الاستفاده من هذه الفرائض لمصلحه استقلال و عزّه الإسلام والمسلمین؛ لأن الإسلام أخذ بعین الاعتبار جمیع شؤون المسلمین و أبعاد حیاتهم، و من جملتها قضایاهم السیاسیه والاقتصادیه. والذین یرفضون طرح قضایا الإسلام السیاسیه والاقتصادیه لم یعرفوا الإسلام کما یلیق به.

صلاه العیدین

علی المسلمین حیثما کانوا أن یصلّوا رکعتی صلاه العیدین، فی کل واحد من العیدین الإسلامیین الکبیرین، وهما عید الفطر (الأول من شهر شوّال)، و عید الأضحی (العاشر من شهر ذی الحجه)، وقت صلاه العید من شروق الشمس یوم العید حتّی الظهر.

تجب هذه الصلاه فی زمان حضور الإمام المعصوم علیه السلام و بسط یده، و یجب أن تُصلّی جماعه. و فی زمان الغیبه إذا کان تحصیل شروطها میسّراً، فالأحوط وجوباً أن تُقام، و أن یحضرها الأشخاص الواجدون للشروط، إذا لم یکن لهم عذر شرعی.

کیفیه صلاه العید

صلاه العید رکعتان. والأحوط وجوباً أن یکبّر بعد قراءه الحمد والسوره فی الرکعه الأُولی خمس تکبیرات، و یقنت بعد کلّ تکبیره، ثم یکبّر بعد القنوت الخامس تکبیراً آخر، و یهوی إلی الرکوع، ثمّ یأتی بسجدتین، ثم یقوم إلی الرکعه الثانیه، و یکبّر بعد قراءه الحمد

والسوره أربع تكبيرات، و يقنت بعد كلّ تكبيره، ثم يكبّر الخامسه و يهوى إلى الركوع، و يأتى بعده بسجدتين ثم يتشهّد و يسلّم، و يجب أن يخطب الإمام بعد الصلاه خطبتين.

و ما يعتبر فى إمام الجمعه من الشروط يُعتبر فى إمام صلاه العيد الواجبه أيضاً.

الأفضل أن يقرأ فى الركعه الأُولى من صلاه العيد سوره الأعلى و فى الركعه الثانيه سوره الشمس، أو يقرأ فى الركعه الأُولى سوره الشمس و فى الركعه الثانيه سوره الغاشيه.

يكفى فى قنوت صلاه العيدين أن يقرأ أىَّ دعاء أو ذكر، و لكن الأفضل أن يقرأ الدعاء التالى بنيّه رجاء الثواب:

«اللّهمّ اهْلَ الْكِبرياءِ والْعَظَمهِ وَ اهْلَ الْجُودِ وَالْجَبَروتِ وَ اهْلَ الْعَفْوِ وَالرَّحْمهِ وَ اهْلَ التَّقْوى وَالْمَغْفِرهِ، اسئلُكَ بِحقّ هذَا الْيَوم الَّذى جَعَلْتَهُ لِلْمُسْلِمينَ عيداً وَ لِمُحَمّدٍ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَ آله ذُخْراً وَ شَرَفاً وَ كَرامَهً وَ مَزيداً، ان تُصَلِّىَ عَلى مُحَمّدٍ وَ آلِ مُحَمّدٍ و انْ تُدْخِلَنى فى كُلِّ خَيْرٍ ادْخَلْتَ فيه مُحَمّداً و آلَ مُحَمّدٍ وَ انْ تُخْرِجَنى مِنْ كُلّ سُوءٍ اخْرَجْتَ مِنْهُ مُحَمّداً وَ آلَ مُحَمّدٍ صَلَواتُكَ عَلَيْهِ وَ عَلَيْهِم. اللّهُمَّ انّى أَسْئلُكَ خَيْرَ ما سَأَلَكَ بِه عِبادُكَ الصّالِحون وَ اعُوذُ بِكَ مِمَّا اسْتَعاذَ مِنْهُ عِبادُكَ الْمخلَصونَ».

صلاه الآيات

عند كسوف الشمس و خسوف القمر و إن كان جزئياً و لم يخف منهما أحد، والزلزله و إن لم يخف منها أحد، والرعد والبرق والريح السوداء والحمراء، فيما إذا خاف منها أغلب الناس، بل الأحوط لكل آيه سماويه أو أرضيه خارجه عن المتعارف و إن لم يُخَف منها على الأغلب، يجب صلاه ركعتين، و هذه هى صلاه الآيات.

قبل الإسلام كان الناس يخافون من هذه الظواهر، و يقومون بأفعال مُختلفه إزاءها، و كان الحال يصل بهم أحياناً إلى حدِّ التضحيه بأبنائهم. أما فى الإسلام فقد دعت الشريعه إلى صلاه ركعتين من أجل لفت الأنظار إلى خالق الكَوْن و مدبّر شؤون هذا العالم. و لهذا السبب سُمّيت هذه الصلاه بصلاه الآيات.

وقت صلاه الآيات

يبدأ وقت صلاه الآيات فی حالتی الكسوف والخسوف من بدء الكسوف أو الخسوف و يبقی وقتها ما دام جميع القرص لم ينجل بشكل كامل، و لكن إذا صلّاها بعد تمام الانجلاء فيجب أن ينوی القضاء.

عدا الكسوف والخسوف، متی ما حدثت زلزله أو رعد أو برق و أمثالها، يجب أن يُصلّی صلاه الآيات فوراً، و إذا لم يصلّها يرتكب معصيه، و تبقی واجبه عليه حتی آخر العمر، و فی أی وقت صلّاها فهی أداء.

كيفيه صلاه الآيات

صلاه الآيات ركعتان. فی كل ركعه خمسه ركوعات. و يمكن صَلاتها علی نحوين:

أ - أن ينوی و يكبّر و يقرأ الحمد وسوره كامله و يركع، ثم يرفع رأسه من الركوع و يقرأ مرّه ثانيه الحمد وسوره ثم يركع، إلی خمس مرّات. و بعد القيام من الركوع الخامس يسجد سجدتين، ثم يقوم و يأتی بالركعه الثانيه مثل الركعه الأُولی، و يتشهد ويُسلّم.

ب - بَعد النيّه والتكبير و قراءه الحمد، يقسم السوره الواحده خمسه أقسام، و يقرأ القسم الأول منها ثم يركع، ثم يرفع رأسه من الركوع و يقرأ القسم الثانی منها دون أن يقرأ الحمد ثم يركع، و هكذا حتی يتمّ السوره قبل الركوع الخامس. و بعد رفع رأسه من الركوع الخامس يسجد السجدتين. و يأتی بالركعه الثانيه مثل الركعه الأُولی، و بعد سجدتيها يتشهّد و يُسلّم.

حينما ينوی تقسيم السوره إلی خمسه أقسام، يقرأ مضافاً إلی البسمله علی الأحوط آيه أو أكثر أو أقلّ بشرط أن تكون جمله مستقله.

يمكن أداء صلاه الآيات جماعه، و كيفيتها كسائر الصلوات اليوميه التی تُصلّی جماعه.

أحكام الموتى

الاحتضار

على من يرى قرب أجله أن يلتفت إلى ما سلف من أعماله، و إن كان للناس حق فى رقبته، أو على عاتقه تكليف والتزام لهم، فعليه أن يبتّ فيه و يتّخذ قراراً بشأنه. و أن يتوب عن سيّئاته الماضيه و يحاول جهد الإمكان التخلّص من تبعاتها.

يُقال لمن يشارف على الموت «محتضر». و يلزم على الأحوط وجوباً توجيه المسلم المحتضر الذى تظهر عليه أمارات الموت إلى القبله، بأن يمدد على ظهره بحيث يكون باطن قدميه إلى القبله. و إذا لم يكن تمديده بهذا النحو كاملاً ينبغى أن يُعمل بما يمكن منه، و إن تعذّر تمديده بأىّ وجه، يُجلَس باتجاه القبله، و إذا تعذّر ذلك أيضاً يمدد بنيّه الاحتياط على جنبه الأيمن أو الأيسر باتجاه القبله. والأحوط وجوباً أن يمدد الميّت إلى القبله مثل المحتضر ما لم يتم غسله، و لكن بعد الغسل يُمدَد على الحاله التى يجب أن يكون عليها حين الصلاه عليه.

أحكام ما بعد الوفاه

تجب بعض الأُمور على المسلمين واجباً كفائياً - أى إذا قام به جماعه سقط عن الآخرين، و إذا لم يقم به أحد فمعنى ذلك أن الجميع قد ارتكبوا معصيه - و فعل هذه الأُمور يجب أن يكون عند الإمكان طبعاً و بأذن ولى الميّت، و هذهالأُمور:

١ - الغسل؛ ٢ - الحنوط؛ ٣ - الكفن؛ ۴ - صلاه الميّت؛ ۵ - الدفن.

غسل الميّت

يجب غسل الميّت بثلاثه أغسال بنيّه القربه ولرضا اللّه، على الترتيب التالى:

١ - غسله بماء السدر؛ والسدر الذى يُخلط بالماء يجب أن لايكون كثيراً بحيث يصير

الماء مضافاً. ویُغسل به رأسه و رقبته، ثم جانبه الأیمن، و من بعده جانبه الأیسر.

۲ – غسله بماء الکافور علی النحو المتقدّم.

۳ – غسله بالماء الخالص القراح.

أحکام غسل المیّت

۱ – غسل المیّت مثل غسل الجنابه. والأحوط وجوباً أن لایُغسل المیّت ارتماساً مادام الترتیبی ممکناً.

۲ – إذا توفی الطفل المسلم یجب غسله. و یجب تغسیل السقط إذا تمّ له أربعه أشهر أو أکثر. و إذا لم یتم له أربعه أشهر، فالأحوط وجوباً أن یُلف بقطعه قماش ویُدفن بدون غُسل.

۳ – لا غسل و لا کفن علی الشهید الذی یستشهد فی میدان القِتال فی المعرکه قبل أن یصلوا إلیه، بل یُدفن بثیابه دون تغسیل.

۴ – یجب فی من یَغسل المسلم الإمامی الإثنی عشری أن یکون مسلماً إمامیاً اثنی عشریاً، عاقلاً، و یجب علی الأحوط أن یکون بالغاً و عارفاً بأحکام الغسل، و أن یُغسّل المیّت بقصد القربه، وأَن یجدد النیّه فی أوّل الغسل الثانی والثالث.

۵ – الأحوط وجوباً تطهیر الموضع المتنجّس من بدن المیّت قبل تغسیله. والأحوط استحباباً أن یکون کل البدن طاهراً قبل الشروع بالغسل.

۶ – من مات علی جنابهٍ أو حیض أو کان علیه غُسل آخر، لایجب غسل الجنابه أو الحیض أو غسل آخر، و یکفی غسل المیّت وحده.

الحنوط و أحکامه

یجب بعد غسل المیّت، والأحوط وجوباً قبل تکفینه مسح مواضع السجود و هی جبهته و کفّاه ورکبتاه ورأسا إبهامی قدمیه بالکافور، و مسح أرنبه أنفه أیضاً علی الأحوط وجوباً.

والأحوط أن یوضع مقدار من الکافور علی هذه المواضع مضافاً إلی مسحها به. ویُسمّی هذا العمل «تحنیطاً». و تحنیط المیّت تعبیر آخر عن حقیقه الموت. قال الإمام جعفر

الصادق عليه السلام: «الموت للمؤمن كأطيب ريح يشمّه؛ فينعس لطيبه و ينقطع التعب والألم كُلّه عنه».(۱)

أحكام تكفين الميّت

يجب تكفين الميّت المسلم بثلاث قطع قماش على الترتيب التالى:

۱ – المئزر؛ يجب أن يُغطّى جوانب البدن من السُرّه إلى الركبه؛ والأفضل أن يكون من الصدر حتى ظاهر القدم. و لايُترك ذلك قدر الإمكان.

۲ – القميص؛ و يجب أن يُغطّى كل البدن من الأمام والخلف من أعلى الكتفين إلى نصف الساق. والأفضل أن يصل إلى ظاهر القدم.

۳ – الإزار؛ و يجب أن يكون طوله بحيث يمكن ربط طرفيه بعد تغطيه تمام بدن الميّت به، و عرضه بحيث يرد جنبه على جنبه الآخر.

أحكام صلاه الميّت

۱ – تجب الصلاه على كل ميّت مسلم أكمل ستّ سنين. و إذا لم يكن أكمل الستَّ و لكن كان يدرك الصلاه و يميّزها، فالأحوط وجوباً الصلاه عليه، بشرط أن يكون أبواه أو أحدهما مسلماً.

۲ – يجب الصلاه على الميّت بعد تغسيله و تحنيطه وتكفينه. و لاتكفى إذا صُلّيت قبل ذلك أو خلاله، ولو نسياناً أو جهلاً بالحكم الشرعى.

۳ – لايُشترط فى صلاه الميّت أن يكون المصلّى متوضئاً أو متيمماً أو غير مجنب أو طاهر البدن واللّباس، أو لباسه غير غصبى، أو الشروط الأُخرى المعتبره فى الصلوات اليوميه، و إن كان الأحوط استحباباً مراعاه كل ما يجب مراعاته فى الصلوات الأُخرى.

والأحوط وجوباً اجتناب مبطلات الصلوات الأُخرى أثناء الصلاه على الميّت و أن يستر

۱– الصدوق، الإعتقادات، باب الاعتقاد فى الموت، ص ۳۲.

المصلّی عورته أیضاً.

۴ - یجب أن یستقبل المصلّی علی المیّت القبله. و یجب أن یمدد المیّت علی ظهره مقابل المصلّی، بحیث یکون رأسه إلی یمین المصلّی و رجلاه إلی یساره.

۵ - تجب الصلاه علی المیّت قیاماً و بنیّه القربه، و أن یُعیّن المیّت حین النیّه. و إذا لم یوجد أحد یستطیع الصلاه علی المیّت من قیام، جاز أن یصلّی علیه من جلوس.

لصلاه المیّت خمس تکبیرات، و یجب أن یقول بعد النیّه ما یلی:

۱ - بعد التکبیره الأُولی یقول: «اَشْهدُ انْ لا الهَ الاّ اللّهُ وَ انّ مُحَمَّداً رَسولُ اللّه.»

۲ - بعد التکبیره الثانیه یقول: «اللّهمَّ صَلِّ عَلی مُحَمّدٍ وَ آلِ مُحَمّدٍ.»

۳ - بعد التکبیره الثالثه یقول: «اللّهُمَّ اغْفِرْ لِلمُؤمِنینَ وَالْمُؤمِنات.»

۴ - بعد التکبیره الرابعه یقول: «اللّهمَّ اغْفِرْ لِهذَا الْمَیِّت»؛ و إذا کانت امرأه یقول: «اللّهُمَّ اغْفِرْ لِهذِهِ الْمَیِّته» ثم یقول التکبیره الخامسه.(۱)

تجب قراءه التکبیرات والأدعیه علی من یصلّی علی المیّت جماعه. و إذا کانت هناک جنازتان أو عدّه جنائز یمکن الصلاه علی کل میّت بمفرده، و یجوز الصلاه علیهم جمیعاً مرّه واحده. و فی هذه الحاله یجب أن توضع الجنائز کلها أمام المصلّی مصفوفه إلی جانب بعضها، و یثّنی المصلّی الضمائر أو یجمعها بعد التکبیره الرابعه.

الدفن

۱ - یجب دفن بدن المیّت المسلم.

۲ - یجب أن یُمدد المیّت فی القبر علی جانبه الأیمن، بحیث یکون مقدّم بدنه مواجهاً للقبله. و أن یکون القبر عمیقاً بحیث لاتخرج رائحته، و لاتتمکن الوحوش من اخراج جثمانه.

۳ - یجب إخراج مصارف قبر المیّت من أصل ترکته.(۲)

۱- لصلاه المیّت کیفیه کامله. راجع: الأحکام الشرعیّه، المسأله ۶۱۵.

۲- لدفن المیّت مستحبات. راجع: المسائل ۶۳۷-۶۴۲ من کتاب الأحکام الشرعیّه.

صلاه الوحشه

۱ – تُستحب صلاه الوحشه لأجل الميّت فی اللیله الأُولی من الدفن، و هی رکعتان: یقرأ فی الرکعه الأُولی بعد الحمد آیه الکرسی مرّه واحده، و فی الثانیه بعد الحمد سوره القدر عشر مَرّات، و یقول بعد السلام: «اللّهُمَّ صَلِّ عَلی مُحَمَّدٍ وَ آلِ مُحَمَّدٍ وَ ابْعَثْ ثَوابَها الی قَبْرِ فُلان» و یذکر اسم المیّت بَدَل فُلان.

۲ – یجوز الإتیان بصلاه الوحشه فی أی وقت من اللّیله الأُولی؛ والأفضل الإتیان بها فی أوّل اللیل بعد صلاه العشاء.

نبش القبر

۱ – یحرم نبش قبر المسلم. أمّا إذا تلاشی بدنه و صار تُراباً فلا إشکال فیه.

۲ – یحرم نبش قبور أولاد الأئمه علیهم السلام، والشهداء، والعلماء، والصلحاء، و إن تمادی علیها الزمن، فیما إذا صارت مراقد یزورها الناس. بل الأحوط وجوباً عدم نبشها و إن لم تصر مزارات.

۳ – لایحرم نبش القبر فی موارد، منها:

۱ – إذا کان المیّت قد دُفن بلا غُسل أو بلا کفنٍ، أَو عُلِم أن غسله کان باطلاً. أو أنه لم یُکفّن بالطریقه الشرعیه، أو أنه لم یوضع فی القبر مستقبل القبله، إن لم یکن بدنه قد تلاشی، و لکن إذا لم یکن قد صلّی علیه أو کانت الصلاه علیه باطله فیجب الصلاه علی قبره، و لایجوز نبش القبر.

۲ – من أجل أمر شرعی تفوق أهمیته نبش القبر.

۳ – إذا ارید إثبات حق بمشاهده بدن المیّت.

۴ – إذا دفن المیت فی أرض مغصوبه، و لم یرض صاحبها ببقائه فیها.

۵ – إذا کان کفن المیّت مغصوباً أو دفن مع شیء مغصوب و لم یرض صاحبه ببقائه.

۶ – إذا دُفن المیّت فی مکان ینافی احترامه.

۷ – إذا خيف على بدن الميّت أن يمزّقه وحش، أو يجرفه سيل، أو يخرجه عدو.

۸ – إذا اريد دفن جزء من بدن الميّت لم يُدفن معه، و لكن الأحوط وجوباً أن يُدفن ذلك الجزء فی قبره بحيث لايُرى بدنه.

۹ – إذا دُفِن فی موضع آخر خلافاً لوصيّته، و لكن لايجوز ذلك إن كان البدن قد تلاشی أو كان نبش القبر يُنافی احترامه.

الصوم

اشاره

الصوم من العبادات التی لها معطيات ماديه و معنويه مؤثّره جداً سواء علی صعيد الإصلاح الفردی وتهذيب النفس، أم علی صعيد الجوانب الاجتماعيه.

و هذه العباده واحده من تشريعات الدّين الإسلامی المقدّس، بل جميع الأديان الإلهيه، ولو روعيت آدابها و شروطها، لكانت لها تأثيرات بالغه. فصوم شهر كامل بالنسبه للإنسان الذی يحول معترك الحياه اليوميه دون اهتمامه بنفسه، يوفّر له فرصه لتحرير نفسه واكتساب قيم معنويه، وتقويه إرادته و بناء ذاته، و كسب مزيد من التقوی ليعيش بقيه أشهر السنه حياه تغمرها الطهاره والنقاء. فالصائم يدرك معاناه الفقراء والمحرومين فی المجتمع، و يعی مايقع عليه من المسؤوليه، ازاءهم، فيحرص علی مدّ يد العون لهم، و بهذا يجنی المجتمع ثمار الصوم.

الصوم معناه الإمساك والامتناع. و هو فی الاصطلاح الشرعی يعنی أن يمتنع الصائم من أوّل أذان الصبح إلی المغرب عن فعل مجموعه من الأُمور. و منها أن يمسك عن الأكل والشرب والمجامعه و غيرها من الأُمور التی تُبطل الصوم. و بالإضاله إلی ذلك يحرص علی أن لايصدر منه إثم أو معصيه، فضلاً عن الاحتراز عن الرذائل الأخلاقيه؛ لأن هذه الأُمور لاتنسجم مع العباده. ورد فی حديث صحيح أن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال:

«الصيام ليس من الطعام والشراب وحده، إذا صمت فليصم سمعك و بصرك من الحرام والقبيح ودَع المِراء».(۱)

۱– الكُلينی، الكافی، ج ۴، ص ۸۷، الحديث ۳.

و قال علیه السلام أیضاً فی موضع آخر: «إذا أصبحت صائماً فلیصم سمعک و بصرک من الحرام، و جارحتک و جمیع اعضائک من القبیح، ودع عنک الهذی، و أذی الخادم ولیکن علیک وقار الصائم، و الزم ما استطعت من الصمت والسکوت إلّاعن ذکر اللّه و لاتجعل یوم صومک کیوم فطرک».(۱)

أشار اللّه عزّوجلّ فی سوره البقره إلی أن الصوم کان فی تشریعات الأمم الماضیه أیضاً، مبیّناً أن الأثر المهم للصوم هو بلوغ مقام التقوی، ثم ذکر فی الآیات التالیه زمان الصوم و شروطه.(۲) و جاء فی حدیث قدسی: «اَلصَّوْمُ لی وَ انَا اجْزی عَلیه».(۳)

کتب أبو الحسن علی بن موسی الرضا علیه السلام إلی من سأله عن علّه الصوم: «لعرفانِ مَس الجوع والعطش، لیکون العبد ذلیلاً مستکیناً مأجوراً محتسباً صابراً فیکون ذلک دلیلاً علی شدائد الآخره، مع ما فیه من الانکسار عن الشهوات».(۴)

و جاء عن الإمام الصادق علیه السلام أنّه قال: «إذا نزلت بالرجل النازله الشدیده، فلیصم».(۵)

و جاء أیضاً «صوموا تَصِحّوا».(۶) نعم! ان للصوم هذه الفوائد أیضاً، هذا طبعاً فضلاً عن آثاره التربویه وتهذیبه للأخلاق.

من لایجب علیهم الصوم

لا یجب الصوم علی کلٍّ مِن:

مَن لایستطیع الصوم أو کان شاقاً علیه بسبب شیخوخته، والمرضعه قلیله اللبن إذا کان مضرّاً بالطفل أو بها هی، الحامل إذا کان فی الصوم ضرر أو مشقه علی حملها، أو علیها هی.

و علی العموم لایجب الصوم علی من یکون فی الصوم مشقه علیهم، و من یسبب لهم الصوم

۱- المجلسی، بحارالأنوار، ج ۹۳، ص ۲۹۲، باب آداب الصائم، الحدیث ۱۶.

۲- سوره البقره (۲)، الآیات ۱۸۳-۱۸۵.

۳- الکُلینی، الکافی، ج ۴، ص ۶۳، الحدیث ۶؛ المجلسی، بحارالأنوار، ج ۹۳، ص ۲۵۵.

۴- المعزّی، جامع أحادیث الشیعه، ج ۱۰، ص ۲۹۱، الحدیث ۱۴۶۹۲.

۵- - الکُلینی، الکافی، ج ۴، ص ۶۳ و ۶۴، الحدیث ۷.

۶- - المجلسی، بحارالأنوار، ج ۹۳، ص ۲۵۵، الحدیث ۳۳.

مرضاً أو يزيد من مرضهم، و لايجب أيضاً على من كان مريضاً بمرض العطاش و لايستطيع تحمل العطش أو كان تحمّله شاقاً عليه. و لايجب على الفتاه التى وصلت سنَّ البلوغ، و لكنّها فى وضع جسمى يتعذّر عليها الصوم أو يكون فيه عسر و حرج عليها، أو يكون فيه ضرر عليها.

قال الإمام عليه السلام فى جواب من سأله عن حدّ المرض الذى يجب على صاحبه فيه الإفطار فقال: «ذلك إليه هو أعلم بنفسه، إذا قوى عليه فليصم».(۱)

يجب على من لايستطيع الصوم، عدا الفتاه التى وصلت سن البلوغ و لكن يتعذّر عليها الصوم - و فى بعض الحالات على الأحوط وجوباً - أن يُعطى إلى فقير عن كل يوم فديه مُداً من طعام.

مبطلات الصوم

الأُمور التى تُبطل الصوم عشره:

۱ و ۲ - الأكل والشرب.

۳ - الجماع.

۴ - الاستمناء.

۵ - الكذب على اللّه و رسوله صلى الله عليه و آله و سلم والأئمه المعصومين عليهم السلام، و على الأحوط وجوباً الكذب على السيده فاطمه الزهراء عليها السلام أيضاً، و سائر الأنبياء و أوصيائهم.

۶ - إيصال الغبار الغليظ إلى الحلق على الأحوط وجوباً.

۷ - غمس تمام الرأس فى الماء على الأحوط وجوباً.

۸ - البقاء على الجنابه أو الحيض أو النفاس إلى أذان الصبح.

۹ - الحقنه بالمائعات.

۱۰ - التقيّؤ عمداً.

۱- الحرّ العاملى، وسائل الشيعه، الباب ۲۰ من أبواب من يصح منه الصوم، ج ۱۰، ص ۲۲۰، الحديث ۳.

أحكام الصوم

١ – يجب على مَن يريد الصيام أن ينوى فى كل ليله من ليالى شهر رمضان، صوم الغد، و لكن الأفضل أن يُضيف إلى ذلك نيّه صيام الشهر كُلّه فى الليله الأُولى. و لايجب طبعاً استحضار النيّه فى القلب و لا التلفّظ بها باللسان، بل يكفى أن يُمسك عمّا يُبطل الصوم عن التفات من أجل امتثال أمر اللّه.

٢ – إذا أكل الصائم أو شرب شيئاً عن خطأ أو نسيان، لايبطل صومه، سواء كان صومه واجباً أم مستحبّاً.

٣ – إذا كان فى الصوم ضرر عليه لايجب عليه الصوم، و إذا صام مع وجود الضرر فصومه باطل و يجب عليه قضاؤه.

٤ – من كان على جنابه و أراد أن يصوم صوماً واجباً معين الوقت – كصوم شهر رمضان – إذا لم يغتسل عمداً إلى أن ضاق الوقت فالأحوط وجوباً أن يتيمّم و يصوم، ثم يقضيه و يدفع كفّاره.

٥ – إذا نام الجنب فى ليله شهر رمضان واستيقظ، فالأحوط وجوباً أن لاينام ثانيه قبل أن يغتسل، و إن احتمل أنه إذا نام ثانيه فسوف يستيقظ قبل طلوع الفجر.

٦ – المرأه التى لم تصم بسبب الحيض أو النفاس يجب عليها بعد أن تطهر قضاء الأيام التى لم تصمها.

٧ – المسافر الذى يجب عليه التقصير فى صلاته لايجوز له أن يصوم. أما المسافر الذى يتمُّ فى صلاته، يجب عليه الصوم فى السفر.

٨ – من كان صائماً و أراد السفر فانَّ لذلك عدّه حالات و هى:

أ – إذا سافر قبل الظهر، عندما يصل إلى حد الترخُّص و هو الحد الأدنى من المسافه الشرعيه (ثمانيه فراسخ ذهاباً أو أربعه فراسخ ذهاباً و أربعه فراسخ إياباً) يبطل صومه و يجب عليه قضاؤه.

ب – إذا سافر قبل الظهر أقل من المسافه الشرعيه، صومه صحيح و يجب أن يكمله.

ج – إذا سافر بعد أذان الظهر، صومه صحیح و یجب أن یکمله.

۹ – إذا وصل المسافر فی رمضان قبل الظهر إلی وطنه أو إلی المکان الذی یرید الإقامه فیه عشره أیام، و لم یکن قد قام بفعل یبطل الصوم، یجب علیه أن یصوم ذلک الیوم. أما إذا کان قد قام بفعل یبطل الصوم، فلا یجب علیه صوم ذلک الیوم.

۱۰ – من أفطر فی شهر رمضان عمداً و بلا عذر یجب علیه القضاء والکفّاره. و هو مخیّر فی کفّاره صیام شهر رمضان بین واحد مما یلی:

أ – صوم ستین یوماً، علی أن یصوم واحداً وثلاثین یوماً منها علی التوالی. ولو لم یصم الباقی علی التوالی فلا إشکال فیه.

ب – أن یعطی ستین مُدَّ طعام ستین فقیراً، أو إشباع ستین فقیراً.

تکریم شهر رمضان

من المناسب فی شهر رمضان أن یکثر الإنسان من الاهتمام بالأعمال الصالحه و فعل الخیرات، واغتنام لیالی القدر لتهذیب نفسه، و من المناسب أیضاً أن یقرأ القرآن کُلّه بتدبّر ودقّه، و أن یبدی مزیداً من الرأفه بمن هو مسؤول عنهم، و أن یمد العون للمساکین علی قدر استطاعته. و قد روی عن رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم أنه قال: «یا معشر الناس إذا طلع هلال شهر رمضان غُلّت مرده الشیاطین و فتحت أبواب السماء و أبواب الجنان و أبواب الرحمه، و غُلقت أبواب النار واستجیب الدعاء».(۱)

الاعتکاف

اشاره

الاعتکاف هو أن یمکث الإنسان فی المسجد – بشروط سنذکرها – بقصد القربه و لأجل عباده اللّه عزّوجلّ. و هذا العمل من المستحبّات التی وردت تأکیدات کثیره علیه. فقد روی انّ النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم قال:

۱– المعزّی، جامع أحادیث الشیعه، ج ۱۰، ص ۱۴۱، الحدیث ۱۴۳۹۵.

«اعتکاف عشر فی شهر رمضان تعدل حجّتین و عمرتین».(۱) و روی أیضاً: «اعتکف رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم فی العشر الأواخر من شهر رمضان، ثم لم یزل یعتکف فی العشر الأواخر».(۲)

یمکن الاعتکاف فی أی وقت من السنه - عدا الأیام التی یحرم فیها الصوم - و أفضل أوقاته شهر رمضان و خاصه العشر الأخیره منه.

الأحوط وجوباً أن یکون الاعتکاف فی أحد المساجد الأربعه: المسجد الحرام، مسجد النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم، مسجد الکوفه، مسجد البصره، أو مسجد تصلّی فیه صلاه الجمعه الصحیحه. أما فی غیر هذه المساجد فیکون الاعتکاف برجاء الإثابه.

علی من یعتکف أن یمکث فی المسجد ثلاثه أیام متواصله، و لایخرج منه إلّالضروره، کأن یضطر إلی الخروج من المسجد لقضاء حاجه.

شروط الاعتکاف

۱ - الإسلام؛ فلا یصح اعتکاف غیر المسلم، والإیمان شرط لقبوله.

۲ - العقل.

۳ - قصد القربه؛ فلا یصح أن یکون لغیر وجه اللّه.

۴ - الصوم؛ فلا یصح اعتکاف من لایستطیع الصیام لأی سبب کان.

۵ - البقاء فی المسجد ثلاثه أیام؛ فلا یصح اعتکاف من یبقی أقل من هذه المدّه أو ینوی البقاء أقل منها.

أحکام الاعتکاف

یجب علی المعتکف الامتناع فی النهار عما یبطل الصوم. و یبطل الاعتکاف إذا فعل المعتکف واحداً من الأعمال التالیه لیلاً أو نهاراً:

۱- - الحرّ العاملی، وسائل الشیعه، الباب ۱ من أبواب الاعتکاف، ج ۱۰، ص ۵۳۴، الحدیث ۳.

۲- المصدر السابق، الحدیث ۴.

۱ – مباشره النساء بالجماع، بل علی الأحوط باللمس والتقبیل بشهوه.

۲ – فعل ما یؤدّی إلی خروج المنی (علی الأحوط وجوباً).

۳ – شم الطیب.

۴ – البیع والشراء، و حتی علی الأحوط وجوباً فیما هو لازم وضروری.

۵ – المجادله لأجل الغلبه و أظهار الفضیله سواء فی أُمور دینیه أم إُمور دنیویه.

الحج

اشاره

هناک بین الأحکام والتعالیم الدینیه تأکید کثیر علی أداء فریضه الحج والعمره، مع ذکر آثار هذه الفریضه. و مع انَّ الحج عمل عبادی و یؤدّی قربه إلی اللّه، و له منافع معنویه و انجذاب روحی، فإنّ له أیضاً منافع اجتماعیه، و سیاسیه، و اقتصادیه، و ثقافیه.

۱ – الجانب العبادی للحج

الحج واحد مِن الاختبارات الإلهیه الکبری و تمهید لتحوّل معنوی و انطلاق فی السیر والسلوک، و هو عباره عن انتقال من قفص «الذات» نحو «اللّه». و قد اعتبر أمیرالمؤمنین علیه السلام فی الخطبه القاصعه الحجَّ باباً من أبواب رحمه اللّه، و من عوامل بناء الذات وتهذیب النفس من الرذائل.(۱) و بیَّن فی خطبه أُخری أن الحج مظهر لتواضع الناس أمام عظمه اللّه و إذعان منهم لعظمته و جلاله.(۲) و هذا یحسن ممن یرید أداء هذه الفریضه الکبری، کما قال الإمام الصادق علیه السلام: «اِذا اَرَدْتَ الحجَّ فَجَرِّدْ قَلبَکَ لِلّهِ عزّوجلّ مِنْ قبل عزمک مِنْ کُلِّ شاغِلٍ...

وَدَعِ الدُّنیا وَ الرّاحَهَ والخَلْق...».(۳)

و یبدو فی الظاهر من قضیه حج إبراهیم علیه السلام و أعمال و مناسک الحج کأَنَّ الحج، یتألف من مجموعه من الأعمال المنفصله عن بعضها، غیر أن الدراسه الدقیقه لها تکشف أن هذه

۱– – الشریف الرضی، نهج البلاغه، الخطبه ۱۹۲، ص ۲۹۲–۲۹۴.

۲– – المصدر السابق، الخطبه ۱، ص ۴۵.

۳– مصباح الشریعه، ص ۸۶ و ۸۹.

المناسک تؤلّف سلسله مترابطه ترمی إلی تحقیق هدف واحد، و هذا الهدف هو الانطلاق فی سیر وسلوک روحی، للارتقاء فی مراتب الطلب والحضور و مراسم الحب والإخلاص، و تنطوی بین ثناياها علی الانعتاق من قوقعه الذات والذو بان فی بحر الوجود. و کلّما أکثر المرء من الإمعان والتأمل فی هذا المضمار، تجلّت له أُمورٌ أکثر روعه و لطافه.

قال الإمام علی بن الحسین السجاد علیه السلام للشبلی: «حین نزلت المیقات نویت أنک خلعت ثوب المعصیه ولبست ثوب الطاعه؟ و حین تجردت عن مخیط ثیابک، نویت أنّک تجرّدت مِن الریاء والنفاق والدخول فی الشبهات؟ و حین اغتسلت نویت أنک اغتسلت من الخطایا والذنوب؟ قال: لا. قال: فما نزلت المیقات، و لاتجردت عن مخیط الثیاب، و لااغتسلت، ثم قال: تنظفت، و أحرمت، و عقدت الحج؟ قال: نعم، قال: فحین تنظفت و أحرمت و عقدت الحج، نویت أنک تنظّفت بنور التوبه الخالصه للّه تعالی؟ قال: لا، قال:

فحین أحرمت نویت أنک حرّمت علی نفسک کل مُحرَّم حرمه اللّه عزّوجلّ؟ قال: لا، قال:

فحین عقدت الحج نویت أنک قد حللت کل عقد لغیر اللّه؟ قال: لا، قال له علیه السلام: ما تنظفت، و لا أحرمت، و لا عقدت الحج. قال له: أدخلت المیقات و صلّیت رکعتی الإحرام و لبّیت؟ قال: نعم، قال: فحین دخلت المیقات، نویت أنک بنیّه الزیاره؟ قال: لا، قال: فحین صلّیت الرکعتین، نویت أنک تقربت إلی اللّه بخیر الأعمال من الصلاه، و أکبر حسنات العباد؟ قال: لا، قال: فحین لبّیت، نویت أنک نطقت للّه سبحانه بکل طاعه، وصمت عن کل معصیه؟ قال: لا، قال له علیه السلام: ما دخلت المیقات و لا صلّیت، و لا لبّیت. ثم قال له:

أدخلت الحرم و رأیت الکعبه و صلّیت؟ قال: نعم. قال: فحین دخلت الحرم، نویت أنک حرّمت علی نفسک کل غیبه تستغیبها المسلمین من أهل ملّه الإسلام؟ قال: لا، قال:

فحین وصلت مکّه، نویت بقلبک أنک قصدت اللّه؟ قال: لا. قال علیه السلام: فما دخلت الحرم، و لا رأیت الکعبه، و لا صلّیت. ثم قال: طفت بالبیت، و مسست الأرکان، و سعیت؟ قال:

نعم. قال علیه السلام: فحین سعیت نویت أنک هربت إلی اللّه، و عرف منک ذلک علّام الغیوب؟ قال: لا. قال: فما طفت بالبیت، و لا مسست الأرکان و لا سعیت. ثم قال له: صافحت الحجر، و وقفت بمقام إبراهیم علیه السلام، و صلّیت به رکعتین؟ قال: نعم، فصاح علیه السلام صیحه کاد

يفارق الدنيا ثم قال: آه آه، ثم قال عليه السلام: من صافح الحجر الأسود، فقد صافح اللّه تعالى، فانظر يا مسكين لاتضيع أجر ما عظم حرمته، و تنقض المصافحه بالمخالفه، و قبض الحرام نظير أهل الآثام.

ثم قال عليه السلام: نويت حين وقفت عند مقام إبراهيم عليه السلام: أنك وقفت على كل طاعه، و تخلفت عن كل معصيه؟ قال: لا. قال: فحين صلّيت فيه ركعتين، نويت أنك صلّيت بصلاه إبراهيم عليه السلام، و أرغمت بصلاتك أنف الشيطان؟ قال: لا. قال له: فما صافحت الحجر الأسود، و لا وقفت عند المقام، و لا صلّيت فيه ركعتين.

ثم قال عليه السلام له: أشرفت على بئر زمزم، و شربت من مائها؟ قال: نعم. قال: نويت أنك أشرفت على الطاعه، و غضضت طرفك عن المعصيه؟ قال: لا.

قال عليه السلام: فما أشرفت عليها، و لا شربت من مائها. ثم قال له عليه السلام: أسعيت بين الصفا والمروه، و مشيت و ترددت بينهما؟ قال: نعم. قال له: نويت أنك بين الرجاء والخوف؟ قال: لا، فقال له: فما سعيت، و لا مشيت، و لا ترددت بين الصفا والمروه. ثم قال:

أخرجت إلى منى؟ قال: نعم. قال: نويت أنك آمنت الناس من لسانك و قلبك و يدك؟ قال: لا. قال: فما خرجت إلى منى.

ثم قال له: أوقفت الوقفه بعرفه، و طلعت جبل الرحمه، و عرفت وادى نمره، و دعوت اللّه سبحانه عند الميل والحجرات؟ قال: نعم. قال: هل عرفت بموقفك بمعرفه اللّه سبحانه أمر المعارف والعلوم، و عرفت قبض اللّه على صحيفتك و اطّلاعه على سريرتك و قلبك؟ قال: لا. قال: نويت بطلوعك جبل الرحمه، إنّ اللّه يرحم كل مؤمن و مؤمنه، و يتولى كل مسلم و مسلمه؟ قال: لا. قال: فنويت عند نمره أنك لاتأمر حتى تأتمر، و لاتزجر حتى تنزجر؟ قال: لا. قال: فعندما وقفت عند العلم والنمرات، نويت أنها شاهده لك على الطاعات، حافظه لك مع الحفظه بأمر السماوات؟ قال: لا. قال: فما وقفت بعرفه، و لاطلعت جبل الرحمه، و لاعرفت نمره، و لادعوت، و لاوقفت عند النمرات. ثم قال: مررت بين العلمين. وصلّيت قبل مرورك ركعتين، و مشيت بمزدلفه، و لقطت فيها الحصى، و مررت بالمشعر الحرام؟ قال: نعم، قال: فحين صلّيت ركعتين،

نویت أنها صلاه شکر فی لیله عشر، تنفی کل عسر، و تیسر کل یسر؟ قال: لا. قال:

فعندما مشیت بین العلمین و لم تعدل عنهما یمیناً و شمالاً، نویت أن لاتعدل عن دین الحق یمیناً و شمالاً لا- بقلبک، و لا بلسانک، و لا- بجوارحک؟ قال: لا. قال: فعندما مشیت بمزدلفه، ولقطت منها الحصی، نویت أنک رفعت عنک کل معصیه و جهل، و ثبتت کل علم و عمل؟ قال: لا- قال: فعندما مررت بالمشعر الحرام، نویت أنک أشعرت قلبک إشعار أهل التقوی والخوف للّه عزّوجلّ؟ قال: لا. قال: فما مررت بالعلمین، و لا صلّیت رکعتین، و لا مشیت بالمزدلفه، و لا رفعت منها الحصی، و لا مررت بالمشعر الحرام. ثم قال له: وصلت منی و رمیت الجمره، و حلقت رأسک، و ذبحت هدیک، و صلّیت فی مسجد الخیف، و رجعت إلی مکّه، و طفت طواف الإفاضه؟ قال: نعم. قال فنویت عندما وصلت منی، و رمیت الجمار، أنک بلغت إلی مطلبک، و قد قضی ربک لک کل حاجتک؟ قال: لا. قال: فعندما رمیت الجمار نویت أنک رمیت عدوک إبلیس و غضبته بتمام حجک النفیس؟ قال: لا- قال: فعندما حلقت رأسک، نویت أنک تطهرت من الأدناس و من تبعه بنی آدم، و خرجت من الذنوب کما ولدتک أمک؟ قال: لا. قال: فعندما صلّیت فی مسجد الخیف، نویت أنک لاتخاف إلّااللّه عزّوجلّ و ذنبک، و لاترجو إلّارحمه اللّه تعالی؟ قال: لا. قال: فعندما ذبحت هدیک، نویت أنک ذبحت حنجره الطمع بما تمسکت به من حقیقه الورع، و أنک اتبعت سنّه إبراهیم علیه السلام بذبح ولده و ثمره فؤاده و ریحان قلبه، سنّه لمن بعده، و قربه إلی اللّه تعالی لمن خلفه؟ قال: لا. قال: فعندما رجعت إلی مکّه و طفت طواف الإفاضه، نویت أنک أفضت من رحمه اللّه تعالی و رجعت إلی طاعته، و تمسکت بوده، و أدیت فرائضه، و تقربت إلی اللّه تعالی؟ قال: لا- قال له زین العابدین علیه السلام: فما وصلت منی، و لا رمیت الجمار، و لا حلقت رأسک، و لا أدیت نسککَ، و لا صلّیت فی مسجد الخیف، و لا طفت طواف الإفاضه، و لا تقربت فإنک لم تحج».(۱)

۱- النوری، المیرزا حسین، مستدرک الوسائل، کتاب الحج، الباب ۱۷ من أبواب العود إلی منی، ج ۱۰، ص ۱۶۶-۱۷۲، الحدیث ۵.

فی مثل هذه الحاله إذا أدّی الإنسان مثل هذه المناسک فإنّها تجعله مبرّءاً من الذنوب کهیئه یوم ولدته أمّه.(۱)

یجتمع ملایین المسلمین فی کل سنه لأداء مناسک الحج، و لکنّهم و للأسف قلّما یستفیدون من هذا السفر الإلهی رغم کل ما یبذلونه له من تعب و مشقّه، و مقدّمات مُضنیه و نفقات هائله، و لاینتفعون إلّاالقلیل من خصائصه المعنویه و تأثیراته الاجتماعیه.

قال ابن عباس: رأیت رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم فی حجه الوداع فأخذ بباب الکعبه ثم أقبل علی الناس یخبرهم عن أشراط الساعه والناس فی آخر الزمان و قال: «تَحُجُّ اغْنِیاءُ امّتی لِلنُّزْهَه وَ تَحُجُّ اوْساطُها لِلتّجارَه وَ تَحُجُّ فُقَرائُهم لِلرّیاء والسُّمْعَه».(۲)

هذه المخاوف التی أظهرها رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم فی کلامه هذا، فیها تحذیر للمسلمین کیلا یفقد الحج جوهره، و یکون مدعاه لأهداف غیر إلهیه بدلاً من أن یکون ممارسه بنّاءه

۲ – تأثیر الحج فی الرقی والبقاء الثقافی

وصف الإمام علی علیه السلام فی الخطبه الأُولی من نهج البلاغه بیت اللّه الحرام بَعلَم الإسلام:

«جَعَلَهُ سُبْحانَهُ وَ تَعالی لِلْاِسْلامِ عَلَماً».(۳)

و قد سأل هشام بن الحکم الإمام جعفر الصادق علیه السلام حول الغایه من الحج، فأجابه بعدما بیّن مجموعه من الغایات التی یرمی إلیها الحج قائلاً: «فجعل فیه الاجتماع من الشرق والغرب لیتعارفوا، ولتعرف آثار رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم و تعرف أخباره، ویُذکر و لایُنسی، ولو کان کل قوم إنّما یتکلمون علی بلادهم و ما فیها، هلکوا و خربت البلاد وسقط الجلب و عمیت الأخبار، و لم تقفوا علی ذلک، فذلک علّه الحج».(۴)

الحج عباره عن إطلاله علی التوحید وتاریخ حُماته والدُعاه إلیه، ابتداءً من آدم علیه السلام، و مروراً بإبراهیم علیه السلام، و إسماعیل علیه السلام، ثم تاریخ الإسلام و نبیّه، و هذا الصراع المحتدم علی

۱- الکُلینی، الکافی، ج ۴، ص ۲۵۲، الحدیث ۲.

۲- المجلسی، بحارالأنوار، ج ۶، ص ۳۰۸، الحدیث ۶.

۳- الشریف الرضی، نهج البلاغه، الخطبه ۱، ص ۴۵.

۴- الصدوق، علل الشرایع، الباب ۱۴۲، ج ۲، ص ۱۰۹، الحدیث ۶.

الـدوام بين الإيمان من جهه والكفر والنفاق من جهه أخرى. و ببقاء الكعبه مَعْلماً قائماً - باعتبارها تاريخاً يتجسّـد فيه التوحيـد، و دلاله على أن حقائق الدّين قد انبثقت منه - تتخلد ثقافه التوحيد. «لايزال الدّين قائماً ما قامت الكعبه».(۱)

الحج ممارسه عمليه لثقافه العداله، والمساواه، والأُخوَّه، والتعاون على الخير و على ما فيه مصـلحه للناس، و هو فرصه مناسبه لنشر الثقافه الإسلاميه الغنيّه بين شريحه واسعه من المسلمين.

فى الحـجّ يـدرك المسـلمون عمق ثقـافه التوحيـد الإبـراهيمى الخالص و يـذوبون فى مناسـكها، دون أنْ يتنصّـلوا عن عاداتهم و تقاليدهم الوطنيه الخاصه التى تكوّن شكل الحياه، و ليس جوهرها و محتواها.

الحج فى الحقيقه انتقال ثقافات، واطّلاع على الثقافه الفطريه الإنسانيه، للتوصل إلى هويه مشتركه تجمعها الثقافه الإسـلاميه؛ لكى يتسـنّى لتلك الحشود المليونيه عند العوده إلى بلدانها أن تغرس ما تعلّمته من أغصان الثقافه الإسـلاميه فى جذع ثقافاتها القوميه، لكى تجود متى و حيثما كانت بثمار الوحده والسياده والقوّه والرُّقى.

و قـد وردت روايه عن الإمام الرضا عليه السـلام يبيّن فيها أن منافع الحـج تعود على كل أهل الشـرق والغرب، سواء من حجّوا أو من لم يحجّوا.(۲) و هذا بحدّ ذاته يسـتدعى مزيداً من الدقّه والاهتمام. فهذا التجمع ليس من نوع التجمعات الفئويه والحزبيه التى نراهـا اليـوم، و هى لاـتهتم عـاده إلّابمصالحهـا الحزبيه والفئويه الضـيّقه؛ إذ إن اجتمـاع الحـجّ يرمى إلى تحرير النـاس و مكـافحه الحرمان و إيجاد الوحده بين الشعوب والسير على طريق إصلاح العالم، و نشر نداء التوحيد فى كل أرجاء المعموره.

۳ - الجانب الاجتماعى والسياسى للحج

جاء فى القرآن الكريم: (جَعَلَ اللّهُ الْكَعْبَهَ الْبَيْتَ الْحَرامَ قِياماً لِلنّاسِ) . (۳) فمن أبرز

۱- الكلينى، الكافى، ج ۴، ص ۲۷۱، الحديث ۴.

۲- - الحرّ العاملى، وسائل الشيعه، الباب ۱ من أبواب وجوب الحج، ج ۱۱، ص ۱۳، الحديث ۱۵.

۳- - سوره المائده (۵)، الآيه ۹۷.

مقوّمات أيِّ شعب استقلاله الثقافی، والاقتصادی، والسیاسی، و کذلک وحده و عزّه ذلک الشعب والروح المعنویه التی یتحلّی بها. و فی هذه الآیه الشریفه اعتبرت الکعبه هی الوسیله لبلوغ هذه الغایه. فاتحاد الأُمّه الإسلامیه الکبری الذی یُعتبر واحداً من أسمی القیم والأهداف السیاسیه والاجتماعیه التی یسعی إلیها الإسلام، یتعلّمه الحُجّاج عیاناً فی شعائر الحج الکبری.

المسلمون کلهم بمثابه أُسره واحده یعیشون فی بقاع مختلفه من العالم. و خلیق بهم أن یأنسوا و یألفوا بعضهم، بغض النظر عن انتماءاتهم العرقیه أو الفئویه؛ إذ إنّ الانتماء للإسلام أسمی من الانتماء إلی شعب أو قوم أو لغه.

الیوم یشعر بنو الإنسان بالحاجه إلی مکان یحظی باحترام عالمی، لیکون علی الصعید الدولی موضعاً للمؤتمرات والتجمعات وتبادل الأفکار، و مرجعاً یُحتکم إلیه لحلّ النزاعات والبتّ فی الخلافات الکبری. عسی أن یفوق الناس و ینتقلوا من عالم الأخلاق إلی صعید الحقیقه. و علی المسلمین أن یدرکوا بأنّه قد وُضِعت لهم مثل هذه الجمعیه العامّه التی تقترن بمراسیم معنویه وعبادیه لإرساء أُسس وحده شامله و کامله بینهم. و لابُدّ من الانتباه طبعاً إلی أن هذه الحاله الفردیه یمکن استثمارها و توظیفها لصالح العالم الإسلامی، و لما فیه مصلحه المسلمین. و ینبغی أیضاً اغتنام هذه الفرصه التی أتاحها اللّه للمسلمین، من أجل توحیدهم فی کل المجالات: (لِیَشْهَدُوا مَنافِعَ لَهُمْ) .(۱)

شروط وجوب الحج

جاء فی القرآن الکریم حول وجوب الحج ما یلی: (وَ لِلّهِ عَلَی النّاسِ حِجُّ الْبَیْتِ مَنِ اسْتَطاعَ إِلَیْهِ سَبِیلًا وَ مَنْ کَفَرَ فَإِنَّ اللّهَ غَنِیٌّ عَنِ الْعالَمِینَ) (۲) یجب الحجّ فی العمر مرّه واحده علی البالغ العاقل المستطیع، بشرط أن لایضطر - بسبب الذهاب إلی الحج - إلی ارتکاب حرام أو ترک واجب أهم فی الشرع من الحج.

۱- سوره الحج (۲۲)، الآیه ۲۸.

۲- - سوره آل عمران (۳)، الآیه ۹۷.

أما الاستطاعه فتتحقّق بأُمور منها:

١ – أن يكون عنده نفقات السفر و ما يحتاج إليه حسب حاله فی سفر الحجّ.

٢ – أن يكون عنده مؤونه من يجب أن يعولهم إلی حين العوده.

٣ – السلامه الصحيّه والقدره البدنيه علی أداء الحجّ.

۴ – أن لايكون فی الطريق مانع من الذهاب و الإياب.

۵ – أن يكون عنده وقت بمقدار أداء أعمال الحجّ.

۶ – أن لايوجب الحجَّ ذهاب ملكه أو كسبه الذی يحتاج إليه فی إعاشه نفسه و من يعول.

أقسام الحج

اشاره

الحج علی ثلاثه أقسام: قسمان منه يخصّان أهل مكّه و ما حولها إلی مسافه سته عشر فرسخاً، وهما المعروفان باسم «حج الإفراد» و «حج القِران». والقسم الثالث أو ما يُسمّی بحجّ التمتّع، و هو لمن يبعد محلّ إقامتهم عن مكّه أكثر من هذه المسافه،(١) و هو علی قسمين: عمره التمتّع و حج التمتّع.

فی حج التمتّع تؤدّی العمرهُ قَبلَ الحجِّ و هی مرتبطه به وتُعدُّ جزءاً منه، و يجب أداؤهما فی سنه واحده و فی أشهر الحج، و لكن فی حج الإفراد و حج القِران تبقی العمره مستقله عن الحج تماماً. و فی حج التمتّع يجب النحر فی منی يوم عيد الأضحی، ويُعد مِن أعماله. و فی حج القِران يقترن النحر منذ البدايه بالإحرام، و يجب أن يبقی إلی يوم العيد فی منی، و لكن فی حج الإفراد لايجب النحر.

كيفيه حج التمتّع

يتألف حج التمتّع من عملين عباديين هما: «عمره التمتّع» و «حجّ التمتّع» و يؤدّی بالترتيب التاليه:

١– – فی بعض الحالات يُستبدل واجب بعض الافراد المرضی أو المعذورين من حج التمتّع إلی حج الافراد.

۱ – عمره التمتّع

تجب فی عمره التمتّع سته أُمور:

الأول – نیّه عمره التمتّع.

الثانی – الإحرام من أحد المواقیت. و تجب فی الإحرام ثلاثه أشیاء:

أ – النیّه

ب – لبس ثوبی الإحرام، وهما «الإزار» و «الرداء».

ج – التلبیه، و هی علی النحو التالی: «لَبَّیْکَ اللّهُمَّ لَبَّیْکَ، لَبَّیْکَ لا شَریکَ لَکَ لَبَّیْکَ، إنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَهَ لَکَ وَ الْمُلْکَ (لَکَ) لا شَریکَ لَکَ لَبَّیْکَ».

و هناک عدّه أشیاء یمتنع عنها المُحرم، وجوباً أو احتیاطاً وجوبیاً، ممّا یوجب ارتکاب البعض منها إعاده العمره أو الحجّ، و یوجب ارتکاب الکثیر منها دفع کفّاره، و قد ورد بیانها فی مناسک الحج بالتفصیل.

الثالث – الطواف سبع مرّات حول بیت اللّه الحرام، و یجب الابتداء به من محاذاه الحجر الأسود، و یُسمّی کل دوره منه شوطاً.

الرابع – صلاه الطواف؛ و هو أن یصلّی بعد الانتهاء من الطواف الواجب، رکعتین خلف مقام ابراهیم بنیّه «صلاه الطواف».

الخامس – السعی بین الصفا والمروه؛ وهما جبلان معروفان، و هو أن یبدأ من الصفا باتجاه المروه، ثم یعود من المروه إلی الصفا، سبع مرّات، تُسمّی کل مرّه منها شوطاً. إذاً فالسعی یبدأ من الصفا و ینتهی بالمروه.

السادس – التقصیر و هو أن یأخذ بعد السعی بقصد القربه، و بنیّه خالصه، شیئاً من أظافر یده أو رجله أو شیئاً من شعر رأسه أو شاربه أو لحیته. و من الأفضل، بل الأحوط عدم الاکتفاء یقصّ الأظافر بل یقصّ مقداراً من الشعر، و لایکفی حلق الرأس و نتف الشعر.

۲ – حج التمتّع

واجبات حج التمتّع أربعه عشر:

الأول – نیّه حج التمتّع.

الثانی – إحرام حج التمتّع، و هو کإحرام العمره، عدا أنه فی إحرام الحج یجب أن یحرم من مکّه المکرّمه بنیّه حج التمتّع.

الثالث – الوقوف بعرفات؛ و هو أن یکون المحرم بإحرام الحج فی ظهر یوم عرفه – التاسع من ذی الحجه – فی عرفات، و ینوی الوقوف هناک بنیّه القربه. و أن یذهب احتیاطاً من أوّل الظهر إلی عرفات و یبقی هناک إلی الغروب الشرعی.

الرابع – الوقوف فی المشعر؛ و هو أن یرحل الحاج بعد الوقوف فی عرفات، عند الغروب فی لیله العید إلی «المشعر الحرام»، بحیث یصلّی المغرب والعشاء فی المشعر.

و یجب أن یکون الوقوف فی المشعر بقصد القربه، و وقته من طلوع الفجر إلی شروق الشمس. و أن یبقی احتیاطاً لیله العاشر فی المشعر أیضاً إلی طلوع الفجر بقصد القربه.

الخامس والسادس والسابع – أداء مناسک منی فی یوم عید الأضحی و هی عباره عن:

أ – رمی جمره العقبه، و هو رمی سبع حجرات، سیراً علی خُطا النبیّ إبراهیم علیه السلام الذی کان یرمی الشیطان فی هذا المکان.

ب – الهدی، والحاج مخیّر فیها بین أن ینحر بدنَه أو بقره أو شاه. و لایجزی حیوان آخر عن أحد هذه الحیوانات الثلاثه. والهدی، إضافه إلی ما له من آثار اجتماعیه و مساعده للمساکین، فهو یدل أیضاً علی التقوی والتضحیه والإیثار، کما قال تعالی فی القرآن الکریم:

(لَنْ یَنالَ اللّهَ لُحُومُها وَ لا دِماؤُها وَ لکِنْ یَنالُهُ التَّقْوی مِنْکُمْ) .(۱)

ج – حلق الرأس أو التقصیر (تقصیر الشعر أو الأظافر) والحاج مخیّر بین هذین الأمرین، و لکن النساء یجب أن یقصّرن فقط. و علی من یحج المرّه الأُولی أن یحلق رأسه احتیاطاً وجوبیاً.

۱– سوره الحج (۲۲)، الآیه ۳۷.

الثامن والتاسع والعاشر والحادی عشر والثانی عشر - أداء مناسک الحرم و هی عباره عن: الطواف، صلاه الطواف، السعی بین الصفا والمروه، طواف النساء، وصلاه طواف النساء.

الثالث عشر والرابع عشر - أعمال منی فی أیام الحادی عشر والثانی عشر، و بالنسبه للبعض یوم الثالث عشر من ذی الحجه، و هی عباره عن:

أ - المبیت فی منی.

ب - رمی الجمرات الثلاثه (الأُولی، والوسطی، والعقبه) و یجب أن یرمی فی کل یوم سبع حصیّات لکل واحده من الجمرات الثلاثه.

العمره المفرده

من المستحبات المؤکّده التی عبّرت عنها الروایات بالحج الأصغر، هی العمره المفرده.

و یمکن أداؤها فی کل أوقات السنه، و هناک تأکید کثیر علی عمره شهر رجب.

واجبات العمره المفرده التی یجب أن یکون فیها قصد القربه عباره عما یلی: النیّه، الإحرام، الطواف، صلاه الطواف، السعی بین الصفا والمروه، حلق الرأس أو التقصیر، طواف النساء، صلاه طواف النساء.

زیاره قبر النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم و أهل البیت علیهم السلام

أحد الأُمور التی یختص بها أتباع أهل البیت علیهم السلام هو الاهتمام بزیاره قبر النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم، و قبور الأئمه المعصومین علیهم السلام. و تعود أسباب هذا الاهتمام إلی تأکیدات کثیره وردت عنهم. فقد جاء فی روایات أهل السنّه عن النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم أنه قال: «مَنْ حَجَّ الْبَیْتَ وَ لَمْ یَزُرْنی فَقَدْ جَفانی».(۱) و فی مصادر الشیعه أیضاً روایات کثیره تحث علی زیاره قبر النبیّ و قبور

۱- - راجع: الجزری، عبدالرحمن، الفقه علی المذاهب الاربعه، کتاب الحج، باب زیاره قبر النبیّ، ج ۱، ص ۷۱۱-۷۱۵؛ المُتّقی الهندی، کنز العمال، ج ۵، ص ۱۳۵ و ۱۳۶، الحدیث ۱۲۳۶۸-۱۲۳۷۳، الحدیث ۴۲۵۸۲-۴۲۵۸۴؛ و ج ۱۵، ص ۶۵۱ و ۶۵۲؛ و قریب من هذا المضمون فی وسائل الشیعه، الباب ۳ من أبواب المزار، ج ۱۴، ص ۳۳۳، الحدیث ۳.

أهل بيته. فهذه الأماكن يُستجاب فيها الدعاء و تغفر الذنوب.

جاء فی روایه: «إنَّ لكلّ إمامٍ عهداً فی عنق أولیائه و شیعته، و إنّ من تمام الوفاء بالعهد زیاره قبورهم».(۱) و فضلاً عن ذلك ففی زیاره قبورهم آثار و فوائد اجتماعیه و معنویه جمّه. ففی زیاره قبورهم تمتین لأواصر العلاقه بهم و ترسیخ لمحبّتهم فی القلوب.

تقترن زیاره القبور عاده باجتماع المؤمنین و تآلفهم و تعارفهم علی غیرهم، و انبثاق روح الأُخوّه والمساواه والاستعداد للانصیاع للأوامر الإلهیه واجتناب الأهواء النفسیه.

والأدعیه المأثوره التی تُقرأ فی هذه المناسبات زاخره بهذه المعانی، والاعتراف بقدسیه الإسلام و رساله النبیّ و دعوه كل مسلم إلی أداء ما علیه من فرائض دینیه، والخشوع للّه، والعمل بالأوامر واجتناب النواهی والمعاصی.(۲) بل إنّ بعض هذه الزیارات مثل زیاره «أمین اللّه» وردت فی أبلغ تصویر لوحدانیه اللّه والخشوع التام له.

و مما جاء فی آداب الزیاره، أن یقول بعد الانتهاء من صلاه الزیاره: «اَللّهُمّ إنّی لَكَ صَلَّیْتُ وَ لَكَ رَكَعْتُ وَ لَكَ سَجَدْتُ وَحْدَكَ لا شَریكَ لَكَ، فَإِنَّهُ لاتَجُوزُ الصَّلاه وَالرّكوع والسُّجُود الّا لَكَ لِاَنَّكَ انْتَ اللّهُ الذی لااِلهَ الّا انْتَ. اللّهُمَّ صَلِّ عَلی مُحَمّدٍ وَ آلِ مُحَمّدٍ...».(۳)

و لهذا ینبغی عند زیاره الأئمه الأطهار علیهم السلام التوجّه إلی توحید اللّه و ربوبیّته، والتوسّل بالنبی صلی الله علیه و آله و سلم والأئمه علیهم السلام؛ أی جعلهم وسیله للتقرّب إلی اللّه، و أخذ سیرتهم وعبودیّتهم للّه بنظر الاعتبار.

النذر والعهد والقسم

الوفاء بالعهد من أسمی الفضائل الأخلاقیه، و دلیل علی نقاء الفطره وسلامه الطِباع والإسلام یبدی اهتماماً منقطع النظیر للوفاء بالعهد، قال الباری عزّوجلّ: (وَ أَوْفُوا بِالْعَهْدِ

۱- – الحرّ العاملی، وسائل الشیعه، الباب ۲ من أبواب المزار، ج ۱۴، ص ۳۲۲، الحدیث ۵.

۲- – علی سبیل المثال راجع: ابن قولویه، كامل الزیارات، ص ۲۵۰.

۳- مفاتیح الجنان، الزیاره السابعه من زیارات الإمام الحسین علیه السلام المعروفه بزیاره وارث.

إِنَّ الْعَهْدَ كانَ مَسْؤُلاً) .(۱)

الحیاه الاجتماعیه لاینتظم عقدها من دون الالتزام بالعهد. فهذه الخصله مدعاه لوثوق الناس ببعضهم، و بدونها لاتبقی للعهود والوعود قیمه. واستناداً إلی الآیه المذکوره آنفاً یجب الالتزام بکل العهود. و متی ما أُبرم عَهد سواء باسم اللّه، أم علی شکل قسم أو نذر أو عقد، فمن الطبیعی أن التخلّف عنه یُعتبر قبیحاً من الناحیه الأخلاقیه، إضافه إلی أنه إثم و یستوجب الکفّاره.

أنزل الباری تعالی فی کتابه الکریم عدداً من الآیات حول العهود والعقود والنذر والقسم، منها قوله: (وَ ما أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَهٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللّهَ یَعْلَمُهُ) . (۲) و قال عزَّوجلّ من قائل فی موضع آخر: (وَ أَوْفُوا بِعَهْدِ اللّهِ إِذا عاهَدْتُمْ وَ لا تَنْقُضُوا الْأَیْمانَ بَعْدَ تَوْکِیدِها وَ قَدْ جَعَلْتُمُ اللّهَ عَلَیْکُمْ کَفِیلاً إِنَّ اللّهَ یَعْلَمُ ما تَفْعَلُونَ * وَ لا تَکُونُوا کَالَّتِی نَقَضَتْ غَزْلَها مِنْ بَعْدِ قُوَّهٍ أَنْکاثاً تَتَّخِذُونَ أَیْمانَکُمْ دَخَلاً بَیْنَکُمْ أَنْ تَکُونَ أُمَّهٌ هِیَ أَرْبی مِنْ أُمَّهٍ إِنَّما یَبْلُوکُمُ اللّهُ بِهِ...) .(۳)

و علی أیه حال هناک نوع آخر من العلاقه بین العبد وربّه، و هو أنَّ الإنسان یوجب علی نفسه فعل أو ترک عملٍ معیّن لوجه اللّه تعالی من خلال عهدٍ أو نذرٍ أو قسمٍ.

والنذر علی عدّه أقسام:

۱ – نذر البرّ؛ و هو ما یُنذر لشکر نعمه دنیویه أو أُخرویه، کأن یقول: «نذر علیَّ للّه إن وفّقنی للحج أن أفعل کذا عمل خیر»، أو أن یکون شکراً لترک ذنب أو لشفاء من مرض، أو أیه مشکله أُخری.

۲ – نذر الزجر؛ و هو ما یوقعه المکلّف لمنع نفسه عن فعلٍ حرام أو مکروه کأن یقول مثلاً: نذر علیَّ للّه إن اغتبت أحداً عمداً أن أصوم یوماً.

۳ – نذر التبرّع؛ و هو ما جاء مطلقاً من غیر التعلّق بشرط، کأن یقول: نذر علیَّ أن أصوم الغد.

۱– سوره الإسراء (۱۷)، الآیه ۳۴.

۲– – سوره البقره (۲)، الآیه ۲۷۰.

۳– سوره النحل (۱۶)، الآیتان ۹۱–۹۲.

والنـذر يصـحّ فی الأعمال الصـحیحه شـرعاً. و علی هذا فلو نذر أن یفعل حراماً أو مکروهاً أو ترک واجب أو مسـتحبّ، لایصـحّ نذره. و حتی لو نذر لفعل أو ترک عمل مباح، لایصح نذره أیضاً فیما إذا کان الفعل والترک متساویین من کل الجوانب.

فی النـذر والعهد لایکفی مجرّد القصد والنیّه، بل لابُدّ أن یُلفظ بالصـیغه و تجری فیه عباره «للّه» علی اللّسان، و لکن لایشترط أن یُقال باللغه العربیه. وعباره «للّه» بأیه لغه کانت، یجب أن تکون فی صـیغه النـذر؛ کأن یقول مثلاً: نذر علیَّ للّه إذا شـفی فلان من المرض أن أفعل کذا.

و إذا نـذر أن یترک عملاً إلی وقت معیّن، یمکنه فعل ذلک بعـد مضـیّ ذلک الوقت، و إذا فعل ذلک اختیاراً قبل انقضاء ذلک الوقت فعلیه أن یدفع کفّاره.

و إذا عیّن کفّـاره لتخلّفه عن نـذر أو قسم أو عهـدٍ کـأن یقول مثلاً: أُعاهـد اللّه علی أن لا أُدخّن سـیجاره بعـد الآن، و إذا دخّنت اتصدّق بمائه درهم، فإذا تخلّف علیه أن یفعل ما عیّنه و لا کفّاره أُخری علیه.

الأُسره

مکانه و أهمیه الأُسره

خلق اللّه المرأه والرجل لیکونا سکناً لبعضهما، و عقد أواصر المحبه والموده بینهما لیعیشا فی ودٍّ و وئام (وَ مِنْ آیاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَکُمْ مِنْ أَنْفُسِکُمْ أَزْواجاً لِتَسْکُنُوا إِلَیْها وَ جَعَلَ بَیْنَکُمْ مَوَدَّهً وَ رَحْمَهً) . (۱) النقطه المهمه فی ما یخص الأُسره هو تأثیرها فی تربیه الاستعدادات و تنمیه المجتمع و نشر القیم المعنویه بین أفراد البشر. فالأُسره تساعد علی الحفاظ علی الاستقرار الاجتماعی والأخلاقی و تؤثر فی صیاغه الاقتصاد السالم والمتوازن.

یستفاد من الکثیر من الآیات والروایات مدی أهمیه الأُسره و دورها فی خلق الاستقرار والمحبه و تهذیب العواطف الإنسانیه، یقول القرآن عن العلاقه بین المرأه والرجل:

(هُنَّ لِباسٌ لَکُمْ وَ أَنْتُمْ لِباسٌ لَهُنَّ) .(۲)

المجتمعات التی یقوم فیها کیان الأُسره علی أُسس متینه، یسود فیها عاده الاستقرار والطمأنینه والتقارب بین أفرادها وتقوم الأُسره بدورها بمنع الجریمه و تربیه الأبناء وسلامه المجتمع بشکل جید. لذا یجب وضع مسأله حفظ الأُسره واستقرارها ضمن جدول أعمال المجتمعات، و عندما یتعارض حفظ واستقرار هذا الکیان مع النشاطات الاجتماعیه، یجب - بسبب أهمیه و حساسیّه الأُسره - تنظیم شؤون الحیاه بالشکل الذی لایمسّ بهذا الکیان. و من جهه أُخری فقد أکّد الإسلام علی أهمیه التواصل والارتباط مع أعضاء الأُسره الأکبر سناً علی أوسع مستوی - أی الأب والأم والإخوان والأخوات

۱- - سوره الروم (۳۰)، الآیه ۲۱.

۲- سوره البقره (۲)، الآیه ۱۸۷.

والأقرباء – و بيّن وظائف و واجبات معينه كاحترام الوالدين والاعتناء بهما و صله الرحم والاهتمام الخاص بأحوالهم المعاشيه.

إن التأكيد على مكانه الأُسره بمعناه العام يندرج فى سياق حفظ القيم، و دوام القيم المعنويه و بقاء الموده وتقويه العواطف و حلّ المشاكل الإنسانيه.(۱)

الزواج

العلاقه الطبيعيه بين المرأه والرجل

أوجد اللّه ميلاً و انجذاباً طبيعياً بين المرأه والرجل يربطهما ببعضهما و يستميلهما إلى العيش المشترك معاً.

تشكل المرأه والرجل النواه الأساسيه للأُسره، و هذا الميل الطبيعى الذى يربطهما هو الميل الجنسى الذى يجب أن يوضع فى اتجاهه الصحيح مثل بقيه الغرائز. تنبثق الحياه المشتركه بين الزوجين فى البدايه من الميل الجنسى غالباً، و لكنّها لاتتوقف عند هذا الحد و إنّما تتطوّر إلى نوع من الارتباط الروحى والعاطفى والاعتقادى والاجتماعى العميق.

من النتائج الطيبه للزواج، بناء الأُسره، و تربيه الأولاد، والتهذيب الأخلاقى، و سعى كل من المرأه والرجل لتحقيق سعادتهما و سعاده أولادهما، والتعاون من أجل توفير المصالح المشتركه.

الزواج نوع من العباده

أوْلى الإسلام أهميه بالغه لمسأله الزواج، و قد دعت الآيات القرآنيه و أحاديث المعصومين عليهم السلام كثيراً إلى الزواج، حيث اعتبرته عملاً مقدساً و فعلاً للخير. إنّ الإسلام لايريد تعطيل أو كبت الغرائز والمواهب التى أُودعت فى الإنسان لأجل حفظ وجود الفرد – بدافع حُبّ الذات – أو لأجل المصالح الاجتماعيه – حُبّ الغير – بل هو يريد أن يضع

۱- بعض مباحث الأسره ذكرت فى قسم الاخلاق من هذا الكتاب فراجع.

- بالاستعانه بالأساليب العقلائيه - طاقات البشر الطبيعيه فی مسيرها المناسب. والإسلام لايريد تجميد الطاقات أو تعطيلها أو يصدر أحكاماً معارضه لمسار الطبيعه والأُصول الفطريه للإنسان؛ لأن القانون الذی يخالف المسار الطبيعی لايمكن أن يطبق أو يدوم. هذا من جهه، و من جهه أُخری لأن الأحكام الإسلاميه تستند إلی الفطره.

الغريزه الجنسيه إذا وُظّفت بشكل صحيح ستكون سبباً لتحسين وضع الإنسان و توازنه، و سبباً لتكامل و بقاء النسل، و إذا لم توجّه الوجهه المناسبه فسوف تصبح سبباً لسقوط الإنسان و مدعاه للكثير من الانحرافات والعقد المختلفه.

الذين يمتنعون عن الزواج ربّما يقعون فی الكثير من الآثام التی تؤدی إلی فقدانهم توازنهم الجسمی والنفسی. لقد خلق كل من الرجل والمرأه بشكل يشير كل منهما فيه بالنقص و عدم الاستقرار والراحه من دون الآخر، و بالتأليف بينهما يزول هذا النقص، و كل من الزوجين هو لازم و ملزوم، و وسيله لحفظ وصيانه أحدهما الآخر، يقول القرآن عن الزواج: (وَ أَنْكِحُوا الْأَيامی مِنْكُمْ وَ الصّالِحِينَ مِنْ عِبادِكُمْ وَ إِمائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَراءَ يُغْنِهِمُ اللّهُ مِنْ فَضْلِهِ) . (۱) و روی عن الرسول صلی الله علیه و آله و سلم: «ما بُنِیَ بناءٌ فِی الإسلامِ أحَبُّ إلَی اللّهِ عَزَّوجَلَّ مِنَ التَّزويج».(۲)

و قال أيضاً: الزواج سنتی، فمن رغب عن سنّتی فليس منّی.(۳)

و قد عبرت بعض الروايات عن الزواج بأنه وسيله لإحراز نصف الدّين و وسيله لجلب الرزق.(۴)

و قد ذمّت بعض الروايات الأُخری العزّاب(۵) و لهذا من الجدير أن يقيم الشبّان المسلمون هذه السنّه الإلهيه و لايتقيدوا بالعادات والتقاليد الزائده والمغلوطه.

۱- - سوره النور (۲۴)، الآيه ۳۲.

۲- الحرّ العاملی، وسائل الشيعه، الباب ۱ من أبواب مقدمات النكاح، ج ۲۰، ص ۱۴، الحديث ۴.

۳- النوری، الميرزا حسين، مستدرک الوسائل، الباب الأول من أبواب النكاح، ج ۱۴، ص ۱۵۲ و ۱۳۳، الحديث ۱۵ و ۱۸.

۴- المجلسی، بحارالأنوار، ج ۱۰۰، ص ۲۱۷، الحديث ۱؛ وص ۲۱۹، الحديث ۱۴.

۵- - الصدوق، من لايحضره الفقيه، ج ۳، ص ۳۸۴، باب فضل المتزوّج علی العزب، الحديث ۴۳۴۸ و ۴۳۴۹.

الاهداف الأساسيه من الزواج

فی الزواج فوائد یعود بعضها علی الزوجین، و یعود بعضها الآخر علی المجتمع. یمکن تلخیص أهم الفوائد التی تعود علی الإنسان من الزواج فی ثلاثه أشیاء:

۱ - إشباع الغریزه الجنسیه عن الطریق الصحیح: کما نعلم أن کل إنسان لدیه غریزه جنسیه، و یجب أن تلبی هذه الحاجه الطبیعیه، و تلبی الشریعه الإسلامیه هذه الحاجه علی وجه مشروع و طبیعی عن طریق الأمر بالزواج و لاترضی مطلقاً بالرهبانیه والعزوبیه، و من یتزوج یشبع هذه الحاجه الطبیعیه، و لکن الذین یعزفون عن الزواج قد یوقعون أنفسهم والمجتمع فی الانحراف والفساد. و قد روی عن رسول اللّه أنه قال: «من استطاع منکم الباه فلیتزوّج و من لم یقدر فعلیه بالصوم فإنّه له و جاء».(۱)

۲ - إیجاد السکینه عند الرجل والمرأه: (هُوَ الَّذِی خَلَقَکُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَهٍ وَ جَعَلَ مِنْها زَوْجَها لِیَسْکُنَ إِلَیْها) .(۲)

هذه الآیه القرآنیه - و کذلک الآیه ۲۱ من سوره الرّوم التی تقدّم بیانها (۳)- أسمی من اللّذه الجنسیه و تهدف إلی إیجاد الطمأنینه والاستقرار والسکن والموده والرحمه.

۳ - استمرار النسل البشری، و تربیه الأبناء المؤمنین الصالحین (جَعَلَ لَکُمْ مِنْ أَنْفُسِکُمْ أَزْواجاً... یَذْرَؤُکُمْ فِیهِ) .(۴)

و قد جاء فی الروایات - أیضاً - التأکید علی اختیار الزوجه الولود غیر العقیم.

اختیار الزوج

اشاره

إن إحدی أکثر المسائل المتعلقه بالزواج و تشکیل الأُسره حساسیه، هی مسأله اختیار الزوج، و لابُدّ من الالتفات إلی عده مسائل فی هذا المجال و هی:

۱- النوری، المیرزا حسین، مستدرک الوسائل، الباب ۱۳ من أبواب الصوم المندوب، ج ۷، ص ۵۰۶ و ۵۰۷، الحدیث ۱.

۲- سوره الأعراف (۷)، ۱۸۹.

۳- - (وَ مِنْ آیاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَکُمْ مِنْ أَنْفُسِکُمْ أَزْواجاً لِتَسْکُنُوا إِلَیْها وَ جَعَلَ بَیْنَکُمْ مَوَدَّهً وَ رَحْمَهً).

۴- سوره الشوری (۴۲)، الآیه ۱۱.

١ – الحريّه فی اختيار الزوج.

٢ – معايير اختيار الزوج.

٣ – من لايقع الزواج بينهم.

١ – الحريّه فی اختيار الزوج

الحياه الزوجيه والمشتركه تكون مصدراً للسعاده متی ما كان هناك توافق فكری و تناسب روحی و أخلاقی بين الزوجين.

و يتحقق هذا الانسجام حينما يتمّ اختيار الزوج بدقه و حريّه واختيار كامل من قبل الطرفين، و لايكون الزوجان مجبرين و مكرهين فی اختيار شريك الحياه.

أول شرط لصحه عقد الزواج هو أن يكون لكلٍّ مِن المرأه والرجل دور فی إبرام هذا العقد، و بعد تحقّق الإيجاب والقبول لابدّ أن يكون ذلك عن رضیً واختيار تامّين.

جاء شاب إلی الإمام الصادق عليه السلام و قال له: إنّنی أرغب فی الزواج من امرأه، بينما يريد منی والدای أن أتزوج غيرها. فقال له الإمام: تزوّج التی ترغب أنت فيها، واترك التی يرغب فيها والداك.(١)

و نقل فی روايه أُخری أن فتاه جاءت إلی النبی و قالت: إنّ أباها زوّجها و هی كارهه، فترك النبی صلی الله عليه و آله و سلم لها الخيار فی أمرها.(٢)

إذن الأب فی زواج ابنته

أكّدت التعاليم الإسلاميه علی أن تتزوج البنت بإذن من أبيها. و من الضروری الالتفات إلی النقاط التاليه بهذا الشأن:

١ – بما أنّ الزواج منشأ علاقه اجتماعيه بين أُسرتی الزوجين، لذا يوصی الأبناء والبنات باستشاره والديهم حول اختيار الزوج.

١– الحرّ العاملی، وسائل الشيعه، الباب ١٣ من أبواب عقد النكاح و أولياء العقد، الحديث ١، ج ٢٠، ص ٢٩٣.

٢– الشهيد الثانی، مسالك الافهام، ج ٧، ص ١٢٣؛ سنن ابن ماجه، ج ١، ص ٦٠٢ و ٦٠٣، الحديث ١٨٧٤.

إنّ التشاور هـذا، نوع من الاحترام والحب للأبوين، و تعبير عن الامتنان لِما يحملاه من أجل تنشـئه الأبناء و تربيتهم و هو أسـلوب مناسب للاستفاده من تجاربهما الشخصيه والاجتماعيه، إضافه إلى أنّهما أفضل معين و مرشد فى اختيار الزوج.

٢ – و من اشترط إذن الأب فى الزواج فإنّه قـد اعتبر هـذا الشـرط فى حاله البنت البكر، و من الواضـح أن هـذا الإجراء بخصوص هـذه الفئه التى لاتملك أيه تجربه فى هـذا المضـمار، ينطوى على أهميه كبيره و وضع رأى الأب كشـرط فى عقـد الزواج يمثل حلاًّ مفيداً لهنَّ.

٣ – شرط الإذن يكون سارى المفعول مادام الأب يسعى فى سبيل مصلحه ابنته، و ليس فى سبيل فرض رأيه ورغبته عليها، و متى ما تبيّن أن الأب يعمل خلاف مصـلحه ابنته، و بضـررها، تسـتطيع البنت أن تُقدم على الزواج بتشخيصها فى حاله تناسب و كفاءه المتقدّم للزواج منها.

٢ – معايير اختيار الزوج

على المرأه والرجل اللّذين ينويان الزواج أن يكون كل منهما على معرفه كافيه بالآخر، و أن يضـعا نصب عينيهما المعايير اللازمه لانتخاب الزوج المناسب. و أى تسرّع بهذا الخصوص ربما يكون سبباً للندم فى المستقبل.

من جمله النقاط التى يجب وضعها نصب العين عند اختيار الزوج هى:

١ – الإيمان: قلنا فى الأبحاث المتقدّمه أن الهدف من الزواج من وجهه نظر الإسـلام ليس مجرد إشـباع للّذه الجنسـيه، بل تشكيل الأُسره والألفه والموده، و إيجاد الجو المناسب لتربيه أولاد نافعين للمجتمع الإسلامى.

الشـرط الأوّل للوصول إلى هذه الأهداف هو أن يكون الزوجان مؤمنين و متمسـكين بالإسلام، و عليه فإنّ زواج المسلمين حسب هذه الآيه القرآنيه بالمشركين(١) غير صحيح.

يلاحظ أحياناً أن هناك من يقول: إنّ الاختلاف فى الأديان يجب أن لايكون مانعاً من الزواج بين المرأه والرجل.

١– سوره البقره (٢)، الآيه ٢٢١.

هـذا اللّون من التفكير ينشأ طبعاً بسبب عـدم الفهم الصـحيح للـدين والزواج. فلو كان الدّين كما يفهم من هذه الكلمه هو طريق وأُسلوب و منهـج للحيـاه، و إذا كـان الزواج ارتباطاً روحياً و قلبياً بين الزوجين، و تأسيس كيان يسوده الوئام والانسـجام، كيف يمكن إيجاد مثل هذا الارتباط بين إنسانين أحدهما مؤمن والآخر كافر؟

لقـد أثبتـت التجربـه العمليه أن هـذا النـوع من الزواج إمـا أن ينتهى إلى الضـمور الاعتقـادى التـدريجى للزوجين، أو على الأقل لأحدهما أو ينتهى إلى عدم الإنسجام.

٢ – الاسـتقامه، العفه والفضائل الأخلاقيه. يقول أحد أصحاب الإمام الجواد عليه السلام: كتبتُ إليه أسأله فى أمر الزواج، فجاءنى الجواب بأن رسول اللّه صـلى الله عليه و آله و سـلم قال: إذا جاءكم من ترضون خلقه و تـديّنه فزوّجوه، و إذا لم تفعلوا فإن ذلك يؤدى إلى فتنه و فساد.(١) و روى عن الإمـام الصـادق عليه السـلام أنه قال: الكفء من كان ذا عفه و يسار.(٢) إنّ اختيار الزوج السـيّىء الخلق والمنحرف فكرياً والمرتكب للذنوب عمل غير صائب، حتى و إن كان ثرياً و ذا مكانه اجتماعيه ظاهريه، كما جاء فى الحديث: إنّ من زوّج ابنته شارب الخمر فقد قطع ذريّتها.(٣)

٣ – من لايقع الزواج بينهم (المحارم)

توجد مجموعه من الأفراد لايجوز الزواج بينهم، إما بسبب علاقه نسبيه أو سببيه أو الرضاع(۴) و هؤلاءهم:

١ – المحـارم النسبيون؛ أى الأقـارب الـذين هم من أصـل و نسب مشترك فيكونون محارم للشـخص والزواج منهم حرام، فيحرم على الرجل: الأُم والجده والبنت والأحفاد – مهما نزلوا – والأُخت و بنت الأخ و أحفادها و بنت الأُخت و أحفادها والعمّه والخاله و يشمل ذلك عمات و خالات الأب والأُم، مهما علوا.

١– – الحرّ العاملى، وسائل الشيعه، الباب ٢٨ من أبواب مقدمات النكاح، ج ٢٠، ص ٧٧، الحديث ٢.

٢– – المصدر السابق، ص ٧٨، الحديث ۴.

٣– المصدر السابق، الباب ٢٩، ص ٧٩، الحديث ١.

۴– راجع: سوره النساء (۴)، الآيه ٢٢.

و یحرم علی المرأه: الأب والجد والإبن والأحفاد – مهما نزلوا – والأخ وابن الأخ و أحفاده وابن الأخت و أحفاده والعم والخال و یشمل أعمام و أخوال الأب والأُم مهما علوا.

۲ – المحارم السببیون: أی الأقارب الذین یرتبط بهم الشخص بنسبه سببیّه عن طریق الزواج و لایمکن الزواج بهم.

فیحرم علی الرجل؛ زوجه الأب والجد، وأُم وجدّه المرأه فهما تحرمان علی الصهر حرمه أبدیه، و بنت الزوجه و أحفادها إذا کان الرجل قد دخل بأُمها و لیس بمجرد إجراء العقد، و زوجه الإبن وأُخت الزوجه مادامت الرابطه الزوجیه موجوده مع تلک الزوجه، و یحرم علی المرأه؛ أبو الزوج وجدّه وابن الزوج و زوج الأم و زوج البنت (الصهر) و زوج الأُخت مادام زوجاً لأُختها.

۳ – المحارم بالرضاع؛ إذا حصلت إحدی النسب المتقدّمه عن طریق الرضاع – وفق الشرائط المذکوره للرضاع (۱)– أدّت إلی الحرمه و بالنتیجه حرمه الزواج.

کذلک بالاضافه إلی الموارد المذکوره فإن الزواج مع هذه الفئه من النساء حرام أیضاً:

۱ – المرأه التی فی عدّه رجل آخر. ۲ – المرأه المحصنه التی عقد علیها. ۳ – المرأه المحصنه التی زنی بها علی الأحوط وجوباً. ۴ – بنت الخاله و علی الأحوط وجوباً بنت العمّه فیما إذا زنی بأمّهما. ۵ – بنت و أُم المرأه التی زنی بها علی الأحوط وجوباً. ۶ – أُمّ و أخت و بنت من لاط به. ۷ – المرأه المُحرِمه التی عقد علیها فی حاله الإحرام. ۸ – الزوجه التی طلقها زوجها ثلاث مرّات؛ إلّابعد زواج المحلّل بها وفق الشروط المذکوره فی الرسائل العملیه.(۲) ۹ – بنت أُخت و بنت أخی الزوجه من دون إذنها. ۱۰ – البنت الصغیره التی تزوّجها و دخل بها علی الأحوط وجوباً. ۱۱ – الکافرون من غیر أهل الکتاب (والزواج الدائم بالکافرات من أهل الکتاب و من غیرهم). ۱۲ – الزوجه التی لاعنها.

و قد جاء تفصیل أحکام کل من هذه الموارد فی الرسائل العملیه.(۳)

۱– راجع: الأحکام الشرعیّه، المسائل ۲۶۶۲–۲۶۸۲.

۲– – راجع: المصدر السابق، المسأله ۲۷۳۱.

۳– راجع: المصدر السابق، المسائل ۲۵۶۷–۲۵۹۴.

عقد الزواج

عندما يتفاهم اثنان على العيش المشترک معاً، و لکی يعربا عن إرادتهما القلبيه واستعداهما لذلک، و لکی يحسما موضوع زواجهما بشکل نهائی، عليهما إبرام عقد الزواج بالتلفظ بکلمات تنمّ عن نيتهما الجاده، وليعلنا احترامهما لهذا العقد و لکل ما ورد فيه من وظائف و شروط.

بدايهً تقول الزوجه مخاطبه الزوج و بقصد إيجاد عقد الزوجيه: «اَنکَحْتُکَ نَفْسی عَلَی الصِّداقِ الْمَعلوم» أو «زَوَّجْتُکَ نَفْسی عَلَی الصِّداقِ المَعْلوم». حسب العقد والشروط المتفق عليها؛ و بعد ذلک أيضاً يقول الرجل مباشره: «قَبِلْتُ النّکاحَ عَلَی الصِّداق المَعْلوم» أو «قَبِلْتُ التَّزْويجَ عَلَی الصِّداقِ المَعلوم».

حسب القوانين الإسلاميه، يمکن للزوجين إجراء صيغه العقد بينهما دون تدخل الآخرين و عند الحاجه و عدم قدره الطرفين على إجراء العقد يمکنهما توکيل الغير.

والأحوط وجوباً أن تقرأ صيغه العقد عند الإمکان بلغه عربيه صحيحه، و لکن إذا تعذّر ذلک تجوز قراءتها بأيّه لغه أُخرى مفهمه لمعنى «زوجت» و «قبلت».

دور المرأه فی صيانه العفاف فی المجتمع

رؤيه المشاهد المثيره لها دور کبير فی إثاره الغريزه الجنسيه، و غالباً ما تمهّد الأرضيه لانحراف الشبّان، لذلک يفترض بالمرأه أن تهتم بدورها فی حفظ العفه فی المجتمع، والحذر من کل ما من شأنه دفع الآخرين لارتکاب الحرام. و على النساء أن لا يجعلن من أنفسهن فرجه للقاصی والدانی، و أن لايصبحن أداه للقيام بالمعاصی و تمهيد الأرضيه لارتکاب الذنوب من قبل الآخرين. فيجب أن لاتقوم المرأه بما يلفت اهتمام الرجال إليها بصفتها موجود خلقه اللّه سبحانه و تعالى للتسليه والانغماس فی الشهوات، و عليهن أن يعرفن قدر أنفسهن و قدر شخصيتهن الإنسانيه و خاصه مقام الأُمومه الذی حباهن اللّه به - و يجب عليهن أن يسعين إلى أن تنشأ فی أحضانهن الشخصيات الفذّه والعظيمه - و قد جاءت فی

القرآن العظیم دعوه لضروره عدم تبرُّج المرأه للأجنبی.(۱)

و فی الوقت ذاته أُمر الرجال بالعفّه و غضّ البصر أیضاً.(۲)

أحکام النظر واللّمس والصوت

۱ - یحرم علی الرجل النظر إلی جسد المرأه ماعدا المحارم، سواء کان نظره بلذّه، أو بدون لذّه والنظر إلی الوجه والکفین أیضاً حرام إذا کان بقصد اللّذه، أو خاف الوقوع فی الحرام، بل النظر بدون قصد اللّذه والخوف من الحرام أیضاً لایخلو من إشکال؛ إلّافی حاله الضروره فلا إشکال فیه.

۲ - النظر بدون قصد اللّذه إلی الوجه والیدین والشعر و ما لایستر عاده من نساء الکفّار و أهل الکتاب، إن لم یخف منه الوقوع فی الحرام، فلا إشکال فیه.

۳ - لایحرم أن یأخذ الرجل الصوره والفیلم للمرأه غیر المحرم، و لکن لایجوز التقاط الصوره إذا کان یضطر بسببها إلی ارتکاب عمل آخر حرام.

۴ - لا إشکال فی نظر الرجل إلی صوره و فیلم المرأه غیر المحرم، إذا کان لایعرفها أو کانت تلک المرأه متهتکه، بشرط أن لایترتب علی هذا النظر مفسده.

۵ - من أراد الزواج یجوز له - من أجل التعرف - النظر بمقدار المتعارف فقط إلی وجه و شعر و کفَّی المرأه أو البنت المقصوده، و إذا لم یحصل الغرض من النظره الأُولی فلا إشکال فی التکرار، و لکن علی أی حال یجب أن لایکون بقصد اللّذه. و لا إشکال بحصولها قهراً.

۶ - إذا اضطر الرجل إلی معالجه امرأه غیر محرم، واضطر من أجل معالجتها أن ینظر إلیها أو یلمس بدنها فلا إشکال فیه، و لکن إذا استطاع أن یعالجها بالنظر، فلا یجوز اللّمس، و إذا استطاع أن یعالجها باللّمس، فلا یجوز النظر و إذا اضطر لذلک، فلا فرق بین العوره و غیرها.

۷ - یجوز للمرأه والرجل الأجنبیین سماع صوت أحدهما الآخر دون تلذّذ، سواء کان ذلک بالتحدث أو بشکل آخر، و بشکل مباشر أو غیر مباشر، و لکن إذا کان صوت المرأه مهیّجاً یجب علی الأحوط اجتناب الاستماع إلیه.

۱- سوره النور (۲۴)، الآیه ۳۱.

۲- سوره النور (۲۴)، الآیه ۳۰.

الواجبات الأسريه

اشاره

١ – بعد إجراء عقد الزواج تترتب الحقوق الزوجيه على الطرفين، و تجب على الزوجين الالتزامات والوظائف التاليه:

أ – التزامات الزوج بدفع المهر والنفقه ورعايه حقوق الزوجه.

حسب القانون الإسلامى بمجرد أن يجرى العقد يصبح الزوج مديناً بالمهر للزوجه، و عليه الدفع إذا ما طالبته الزوجه به (وَ آتُوا النِّساءَ صَدُقاتِهِنَّ نِحْلَةً) ؛ (١) إلّاأن يكونا قد وضعا شرطاً خاصاً فى العقد، أو أن تقبل الزوجه بأن يبقى المهر فى ذمه الرجل. على الزوج أيضاً توفير النفقات اللازمه والمأكل والملبس واحتياجات زوجته بما يليق بها و على قدر استطاعته وسعته، جاء فى الروايه: «من كانت عنده امرأه فلم يكسها ما يوارى عورتها و يطعمها ما يقيم صلبها، كان حقّاً على الإمام أن يفرّق بينهما».(٢)

فى الوقت نفسه – امتثالاً لأمر القرآن الكريم – فإن على كل زوج أن يكون حسن الأخلاق والسلوك مع زوجته(٣) و أن لايحمّل شريكه حياته ما هو خارج عن نطاق الواجبات الزوجيه.

من جمله حقوق المرأه الدائميه على زوجها هو إذا لم يكن بإمكانه المبيت عندها فى كل ليله، فعليه أن يمضى ليله واحده من كل أربع ليالٍ على الأقل فى منزلها إلّاأن تتنازل عن حقها.

ب – وظيفه المرأه تجاه زوجها هى أن تكون حسنه الأخلاق و أن تمكّنه من نفسها، و أن تكون عفيفه و أمينه على ماله، و يجب عليها أن تعرف واجباتها الزوجيه تجاه زوجها و أن تلتزم بها. و قد قال اللّه تبارك و تعالى: (وَ مِنْ آياتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْواجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْها وَ جَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَ رَحْمَةً) (٤) طبعاً على الزوج أيضاً أن يراعى مصالح

١– – سوره النساء (۴)، الآيه ۴.

٢– الصدوق، من لايحضره الفقيه، ج ٣، ص ۴۴١، باب حق المرأه على الزوّج، الحديث ۴۵٢٩.

٣– – سوره النساء (۴)، الآيه ١٩.

۴– – سوره الروم (٣٠)، الآيه ٢٢.

زوجته بشكل كامل، كذلك على الزوجه - فى جميع الأحوال - رعايه الأمانه والصدق تجاه الزوج فى جميع جوانب الحياه المختلفه، و خاصه من ناحيه تربيه الأولاد و حفظ مال الزوج، و أن لاترهق زوجها بمطاليب غير ضروريه تفوق طاقته قد تدفعه إلى الانحراف عن الطريق المستقيم.

جاء فى الحديث: يأتى زمان يكون فيه هلاك الرجل على يد زوجته؛ تكلّفه ما لايطيق حتى يورده ذلك موارد الهلكه.(۱)

و هناك أيضاً حقوق مشتركه بين الزوجين عليهما رعايتها:

أ - حق الاستمتاع واللّذه؛ و هو حق للطرفين فى أن يستمتع أحدهما بالآخر على أساس الحدود التى وضعها الشارع لهما، إلّاأن يكون هناك مانع شرعى يحول دون ذلك، كذلك على الرجل أن لايقضى جميع أوقاته بعيداً عن أُسرته ولو فى العباده، فيفشل فى تحسين وضع الزوجه والمعيشه والاهتمام بشؤون المنزل والأبناء، و ملء أوقات فراغ الأُسره.

ب - حسن المعاشره؛ على كل واحد من الزوجين أن يحرص على إرضاء الآخر و أن يبتعدا عمّا يؤدى إلى الاختلاف، روى عن الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله و سلم أنه قال: خير نسائكم الولود الودود العفيفه، الذليله مع بعلها المتبرّجه مع زوجها.(۲)

و نقل عن أميرالمؤمنين عليه السلام جهاد المرأه حسن التبعّل لزوجها.(۳)

۲ - للوالدين والأبناء مجموعه من الحقوق والواجبات المتبادله فيما بينهم و إذا لم يعرف أى منهم تلك الواجبات أو لم يعمل بها فقد ظلم الآخر. و بما أن الأُمّ قد حملت طفلها فى مده الحمل بصعوبه، و منحته من ثمره روحها، و حمته بكل وجودها، و حرمت نفسها حلاوه الراحه والنوم، و تحملت المراره لكى يكبر صغيرها، فلها حق أن يشكرها فى مقابل المتاعب والمعاناه التى تحملتها فى سبيله، و أن يقوم بواجباته تجاهها.

۱- ابن أبى الحديد، شرح نهج البلاغه، ج ۱۰، ص ۴۷.
۲- الحُرّ العاملى، وسائل الشيعه، باب ۶ من أبواب مقدمات النكاح، ج ۲۰، ص ۲۹، الحديث ۲.
۳- الشريف الرضى، نهج البلاغه، الحكمه ۱۳۶، ص ۴۹۵.

و للأب أيضاً حقوق من الواجب رعايتها؛ فالأب هو الأصل والإبن فرع منه، ولو لم يكن الأب لَما كان الإبن أيضاً. فكل نعمه ينعم بها الإبن فهى من والده.

لذا يجب على الإبن أن يحمد اللّه و أن لايغفل لحظه عن شكره على نعمه الأُبوّه.

والأبناء أيضاً لهم حقوق تجب رعايتها من قبل الوالدين، فحق الإبن على والديه أن يعتبراه جزءاً من وجودهما، و أنه منسوب إليهما، و أن مسؤوليه سلامه و تربيه و إرشاد الإبن فى الأُمور الاعتقاديه تقع على عاتق الوالدين، و بالتالى سوف يَريان أجر حسن أو جزاء سوء تربيتهما له. فعليهما تربيته بالشكل الذى يكون فيه مصدر عزّ لهما فى الدنيا، و يعذران فيه أمام اللّه سبحانه و تعالى فى الآخره. و يجب أن يراعى الوالدان العداله بين أبنائهما فى البذل والمعامله، قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم: «اعدِلوا بَيْنَ أولادِكم».(۱) و فى روايه أيضاً: «ساووا بين أولادكم فى العطيّه».(۲)

۳ - الأخ والأخت بمنزله اليد والساعد والسند، و مصدر عزّه و قوّه أحدهما الآخر؛ و حقهما هو أن لايتخذ أحدهما الآخر وسيله لارتكاب المعاصى والاعتداء على حرمات اللّه أو الناس، و أن يعين أحدهما الآخر فى الشدائد والملمّات.

النفقه و إداره شؤون الأُسره

فى كل مجتمع - و حتى فى الأُسره - نوعان من المسؤوليه: الأوّل: مسؤوليه كل عضو من الأعضاء اتجاه الآخر والحقوق التى تجب مراعاتها.

والثانى: الوظيفه الجماعيه والعامّه لكل فرد تجاه الآخر، و فى هذه الحاله يكون المجتمع مسؤولاً عن استمرار و قوه و ترابط الأُسره، بعباره أُخرى: من أجل التقدم الصحيح لأيه جماعه لابُدّ من وجود نظام دقيق. و إذا لم تكن هناك أنظمه صحيحه، و لم توزع الوظائف على أساس التناسب الروحى و طاقات كل فرد، و حصل تداخل فى المسؤوليات، فإمّا أن يقع الظلم والإجحاف فى ذلك المجتمع، أو أن يؤدى ذلك إلى تآكل بنيان ذلك

۱- - المجلسى، بحارالأنوار، ج ۱۰۱، ص ۹۲، الحديث ۱۶.

۲- المتّقى الهندى، كنز العمال، ج ۱۶، ص ۴۴۴، الحديث ۴۵۳۴۶.

المجتمع والأُسره. و من أهم المسائل التی تواجه الأُسره هی مسأله توفیر سبل العیش من الملبس والمأکل والمسکن والظروف المناسبه لتعلیم و تربیه الأبناء، و قد أنیطت مسؤولیه هذا الجانب من الحیاه بالرجل، و علی هذا الأساس تقع علی عاتق الرجل مسؤولیه حمایه و إداره شؤون الأُسره.(۱)

و هذه المسؤولیه - کنظیراتها من المسؤولیات - تتطلب التضحیه والإیثار، و لذا أُمر الإنسان بالدفاع فیما لو تعرض هو أو أُسرته إلی اعتداء. حتی و إن علم أنه یُجرح أو یُقتل.

و لهذا فإنَّ إیکال قیمومه الأبناء الذین لم یبلغوا سن الرشد إلی الأب، أو إذا اشترط اذنه فی زواج ابنته الباکر، أو إذا اعطیت للزوج صلاحیات لإداره شؤون البیت والأسره، فهو لأجل أن لاتتفکک الأسره و لایتشتت شملها، و لکی تسیر الأمور وفقاً لمجراها الصحیح. و فی ضوء هذا الواقع، فالرجل هو المسؤول عن شؤون الأُسره، و إذا خرج عن حدوده و صدرت عنه مخالفه ما، وتصرف ضد مصالح الأُسره أو أساء استغلال موقعه، عندئذ لایبقی له حق علی أُسرته.

قیام الرجل بتوفیر متطلبات الحیاه و تحسین الأوضاع المعاشیه للأُسره عامل مهم جداً فی خلق أجواء الارتیاح والاطمئنان بین أفرادها، و من جملتهم الزوجه. و إن مثل هذا التدبیر یعطی الفرصه لأعضاء الأُسره للقیام بدورهم علی أفضل وجه. طبعاً یجب أن لایتحول هذا الحق إلی أداه للظلم والاستبداد و فرض الرأی علی المرأه والأبناء مطلقاً.

إنّ إداره شؤون الأُسره لایعنی التحکم والاستبداد والتسلّط علیها؛ لأن الإداره فی الأُسره - و فی أی مکان آخر - تتطلب تدبیراً واستفاده من الأسالیب الناجحه للإداره والتربیه الصحیحه.

بعض هذه السُبُل تستعد الاستفاده من آراء أعضاء الأُسره، و إشراکهم فی إداره شؤونها، و بعضها یتحقّق عن طریق التشجیع والمداراه واللّین، و قسم آخر منها بالإنذار والتحذیر.

۱- إشاره إلی الآیه ۳۴ سوره النساء: (الرِّجالُ قَوّامُونَ عَلَی النِّساءِ بِما فَضَّلَ اللّهُ بَعْضَهُمْ عَلی بَعْضٍ وَ بِما أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوالِهِمْ).

و على أيه حال فإنّ مسؤوليه تربيه الأبناء تقع على عاتق كلا الوالدين، و عليهما بالتعاون و مساعده بعضهما للنهوض بهذه المهمّه الحساسه.

من تجب إعالتهم

يجب على الإنسان إعاله كل من:

١ – الزوجه الدائمه و كذلك المؤقته إذا اشترطت النفقه ضمن العقد.

٢ – الأب والأُم و آبائهما وأُمّهاتهما، و إن علوا.

٣ – الإبن والبنت و أولادهما، و إن نزلوا.

و فيما عدا المرأه – التى تجب إعالتها على الزوج على كل الأحوال فقيره كانت أم غنيه – فإن الإنفاق على الأقارب مشروط بفقرهم و حاجتهم، و أما إذا كانوا يستطيعون توفير مصاريفهم بعمل يناسب حالهم و شأنهم لايجب تأمينها لهم. والأقارب الآخرون، كالأخ والأُخت والعمّ والعمّه والخال والخاله و أولادهم، ليس من الواجب الإنفاق عليهم، و لكن يستحب للإنسان إذا كان متمكّناً، و كانوا محتاجين أن يعيلهم.

حقوق الطفل

١ – الرضاعه؛ لايجب على المرأه إرضاع طفلها مجّاناً أو بالأُجره، و لكن إذا انحصرت تغذيه الطفل على حليب أُمّه أو كانت تغذيته من غيرها يسبّب للطفل الضرر والأذى، فيجب عليها أن ترضعه و يجوز لها أن تطالب بالأجره و لكن من الأجدر ألّا تفعل ذلك.

مده الرضاعه الكامله سنتان، و يكفى واحد و عشرون شهراً. والأحوط مراعاه هذه المده لو أمكن.

٢ – التربيه؛ بالإضافه إلى توفير نفقات المأكل والملبس و تعليم الأبناء، فإن من حق الإبن على أبيه تربيته الصحيحه والإشراف على شؤونه و كذلك تزويجه. طبعاً التربيه هى بمعنى الإرشاد والتوجيه التى تكون فى صالح الطفل، و بما يعود بالنفع عليه، و لايجوز ضرب الطفل.

الأعمال المستحبه بعد الولاده

يستحب بعد الولاده غسل الوليد ولفّه بقطعه قماش بيضاء، والأذان فی أُذنه اليمنی، والإقامه فی أُذنه اليسری، واختيار اسم حسن له. و من المستحبات المؤكّده جداً، العقيقه عن الوليد و لها تأثير مهم على سلامه الطفل.

الزواج المؤقت

اشاره

يمكن أن يتمّ الزواج على صورتين: «دائم» و «مؤقّت».

الزواج المؤقّت والدائم يشتركان فی بعض الأحكام و يختلفان فی البعض الآخر. و ما يميز الاثنين بالدرجه الأُولى هو أن الزواج المؤقّت لابُدّ فيه من تعيين المدّه والمهر. و بعد انقضاء المده يمدّدان بعقد جديد إن رغبا فی التمديد و إلّاانفصلا. الاختلاف الجوهری بين هذين الزواجين هو أن الزواج المؤقت متحرر من بعض القيود والحدود التی سنذكرها فيما بعد للزواج الدائم. و هو مرتبط برغبه الطرفين والعقد المبرم بينهما، وتقييد هذا الزواج بزمن معين يمنح الطرفين أيضاً نوعاً من الحريّه فی القرار.

لماذا الزواج المؤقت؟

إشباع الغريزه الجنسيه حاجه إنسانيه و خاصه فی فتره الشباب. و إهمال هذه الحاجه و عدم الاهتمام بها ربما يعرّض المجتمع إلى أزمه جنسيه، و يصاب - بسبب عدم تلبيه هذه الحاجه - بآفات مثل التحلل الجنسی، والإدمان على المخدرات، والعنف والأمراض الخطيره. و من جهه أُخرى قد لايكون الزواج الدائم أحياناً فی مصلحه أو بمقدور الكثيرين.

والحل الذی يقدّمه القرآن الكريم هو الزواج المؤقت.(۱)

۱- سوره النساء (۴)، الآيه ۲۴.

على هذا يمكن أن يكون الهدف الأصلى من الزواج هو أمور أخرى، إضافه إلى تشكيل الأسره:

۱ - المرأه والرجل إذا لم تكن لديهما القدره على تحمل جميع شروط الزواج الدائم، و لايرغبان أو لايستطيعان تحمل كل مسؤوليات و واجبات هذا الزواج، و لكى يمكنهما الاتصال واللقاء والتعرف والاطمئنان لبعضهما قبل الزواج الدائم، يتزوجان لمده معينه؛ و فى هذه الحاله إذا اطمئنا لبعضهما اطمئناناً كاملاً يواصلان زواجهما و إلّاانفصلا.

۲ - الرجال الذين يبتعدون عن زوجاتهم لفترات طويله، أو من فقدت زوجته قدرتها الجنسيه على أثر مرض و غير ذلك، أو من فقد زوجته و ليس بإمكانه الزواج الدائم ثانيه.

۳ - الشباب البالغون الذين لايتيسر لهم تشكيل الأسره والزواج الدائم، فإنّ ضغط الغريزه الجنسيه والحرمان من الزوجه المناسبه يشغل أذهانهم أو يوقعهم فى المعصيه، و يسفر عن نتائج مريره على الصعيد الاجتماعى والفردى.

و عليه، هناك أمامنا طريقان لا أكثر، إما أن يُترك هؤلاء و شأنهم ليقيموا علاقات غير مشروعه، أو أن يشبعوا غريزتهم الجنسيه عن طريق مشروع، و بما أنهم لاتتوفر لهم إمكانيه الزواج الدائم، لذا يكون الزواج المؤقت أفضل حلّ للحفاظ عليهم من ارتكاب الذنوب.

و تبعاً لذلك يكون على المشرعين المعارضين للزواج المؤقت، والذين يحرّمون الارتباط غير القانونى و غير الرسمى بين المرأه والرجل - و هو الزنا - إمّا أن يحظروا على الرجال والنساء أى نوع من الارتباط الجنسى خارج نطاق الزواج الرسمى الدائمى، أو إذا كانوا يشاهدون من الناحيه العمليه وجود روابط غير سليمه بشكل متنوع و ملحوظ بين الرجال والنساء، فيجب على المعارضين للزواج المؤقت - والحال هذه - إعاده النظر فى روابط الزواج القانونى، و أن يعترفوا بأنّ عدم الاهتمام ببعض المتطلبات الضروريه هو الذى أدّى إلى هذه المخالفات والعلاقات اللامشروعه التى تؤدّى إلى الانحلال، و لا مناص من التفكير لوضع حلّ لها جميعاً.

لم يغفل الإسلام عن المتطلبات الفطريه، الجسميه منها والنفسيه، فقدّم بواقعيه تامّه لهذا النوع من المشاكل الاجتماعيه حلولاً منطقيه بعيده عن الإفراط والتفريط؛ فطرح فكره

الزواج المؤقّت كأفضل حلّ لهذه المعضله.

جاء فی بعض الروایات عن الإمام أمیرالمؤمنین علیه السلام والإمام الصادق علیه السلام أنهما قالا:

لولا تحریم المتعه لَما زنی إلّاشقی.(۱)

و لکنّ هـذا الحکم قـد یُسـاء اسـتغلاله من قبل البعض، و لکن علینا أن نـدرک بأن کل قانون لابُدّ و أن تکون فیه ثغرات جزئیه یمکن استغلالها. غیر أنَّ المهم هو منع سبل هذا الاستغلال.

أحکام الزواج المؤقّت

بالاضافه إلی تعیین المده و مقدار المهر، یتضمن عقد الزواج غیر الدائم أحکاماً یجب الالتفات إلیها و منها:

۱ – إذا اشترطت الزوجه فی عقد المتعه أن لایقاربها الزوج، فالعقد والشرط صحیحان، و یجوز للزوج أن یتلذذ بها دون المقاربه، لکن إذا رضیت بالمقاربه بعد ذلک یجوز له أن یقاربها.

۲ – فی الزواج الـدائم، یجب علی الزوج – علی أی حـال – أن یهیّیء للزوجه الطعام والملبس والمسـکن والحاجات الأُخری من قبیـل العلاـج، أما فی الزواج المؤقّت فلا تجب نفقه الزوجه إلّاإذا اشترطت النفقه ضـمن العقـد. فقـد لایریـد الرجل أو لایسـتطیع تحمل هذه النفقات، أو أنّ المرأه لاترید الاستفاده من أموال الرجل.

۳ – فی الزواج الـدائم یتـولی الرجـل مسؤولیه إداره الأُسره، أمـا فی الزواج المـؤقت فیتوقّف ذلـک علی العقـد الـذی یُبرم بین الطرفین.

۴ – فی الزواج الـدائم یحق للزوجین منع الحمل أو تحدید النسل بالتفاهم والتوافق، و لکن فی الزواج المؤقت لا ضـروره لموافقه الطرف الآخر، و تستطیع المرأه أو الرجل منع الحمل.

۱– الحرّ العاملی، وسائل الشیعه، الباب ۱ من أبواب المتعه، ج ۲۱، ص ۵ و ۱۰ و ۱۱، الحدیث ۲ و ۲۰ و ۲۴ و ۲۵.

۵ – إذا ولد مِن هذا الزواج طفل فالرجل هو المسؤول عن إداره و تأمین معیشته کما فی الزواج الدائم.

۶ – یحرم علی المرأه أن تقترن بزوج آخر خلال المدّه المتفق علیها فی العقد المؤقت کالزواج الدائم، و تنطبق علیها جمیع تلک الأحکام.

۷ – بعد انقضاء المدّه المحدده، ینفصل الزوجان تلقائیاً عن بعضهما، و لا حاجه إلی حکم الطلاق، و لکن إذا کان الرجل قد قارب زوجته فیجب علیها أن تعتد لکی یعلم فیما إذا کانت حاملاً أم لا، و یتم تحدید الرجل المسؤول عن إداره شؤون الطفل.

عدّه المرأه فی هذا الزواج فیما إذا دخل بها و کانت المرأه تحیض فالأحوط وجوباً أن تعتد بأکثر المدّتین من مده حیضتین أو طهرین، و إذا کانت لا تحیض فیجب أن تعتد إلی مده خمسه و أربعین یوماً و إذا لم یقاربها أو کانت یائساً فلا عده علیها.

۸ – لا ترث الزوجه المؤقّته زوجها و لایرثها أیضاً، إلّاإذا اشترطا التوارث ضمن العقد، و فی هذه الحاله، علی الأحوط أن تتم المصالحه مع الورثه و أن یقوم الورثه باسترضاء الطرف المعنی.

تعددُّ الزوجات

اشاره

تعدد الزوجات أحد الأُمور الواقعیه فی المجتمعات، و فی المسائل المطروحه للبحث فی مجال نظام الأُسره منذ أزمنه بعیده. و بالنظر إلی حقیقه أن البعض لایکتفی بزوجه واحده، و حتی من الممکن أن یقیم علاقه بصوره غیر مشروعه مع امرأه أُخری، لم یشجّع تعدد الزوجات و لم یُلغه و لکنّه أیضاً قام بتحدیده بأربع نساء فقط والخامسه تحرم؛ أی وضع له حدّاً أعلی من ناحیه، و من ناحیه أُخری جعل له قیوداً و شروطاً و هی أن یعدل الرجل بین زوجاته، و فی حاله عدم استطاعته العداله بینهنّ فیکتفی بواحده کما جاء فی القرآن الکریم، و قد انحاز الإسلام فی هذا القانون إلی جانب المرأه فقد حدد علاقات الرجل الجنسیه فی نطاق الزواج القانونی، و منع العلاقات غیر المنضبطه والمتحلّله حفاظاً علی حقوق الزوجه والأُسره.

للتعرف على الغايه من تعدد الزوجات، من الضرورى طرح عدّه نقاط:

١ – بطبيعه الحال يكون تعدُّد الزوجات فيما لو كان عدد النساء المؤهّلات للزواج أكثر من عدد الرجال المؤهلين.

٢ – وجود أسباب من قبيل العقر أو المرض، أو علل أُخرى.

٣ – وجود نساء مستعدات للزواج من رجال متزوجين، وهنّ يقدمن على هذا الأمر برغبتهن، و على هذا ففى حاله قلّه عدد النساء المؤهلات للزواج بالنسبه للرجال و عدم ميولهن للزواج من الرجال المتزوجين، فهذا الأمر سينتفى تلقائياً.

۴ – لو نظرنا نظره واقعيه فسوف ندرك مدى صواب هذا الحكم، و فى الحقيقه إنّ جواز تعدُّد الزوجات الرسمى فى البلاد الشرقيه كان أهم عامل لتعزيز التوجّه للزواج من امرأه واحده. ففى الظروف التى تظهر فيها الحاجه إلى تعدد الزوجات و يزداد عدد النساء المؤهّلات للزواج على عدد الرجال، إذا لم يعترف بحق هؤلاء النسوه بالزواج و لا يمنح الرجال المؤهّلون أخلاقياً و مالياً و جسمياً حق تعدد الزوجات، فإن العلاقات اللامشروعه سوف تؤثر سلباً على الزواج الشرعى.

تمّ تعديل هذا الحكم آخذاً بنظر الاعتبار مصلحه النساء، و كذلك العادات والتقاليد فى الماضى والحاضر على النحو التالى:

شروط تعدد الزوجات

يجوز تعدد الزوجات بثلاثه شروط هى:

١ – حفظ حقوق الأُسره و عدم ظلم الزوجه.

٢ – تحديد العدد و هو أن لايتعدى الأربع نساء.

٣ – رعايه العداله بين الزوجات. لقد اشترطت الاستفاده من تعدّد الزوجات بهذا الحكم، و هو إقامه العداله التامّه بين الزوجات بحيث لاتبقى فيه الزوجات كالمعلّقات، و أن لايُحرمنَ من حقوقهن (فَلا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوها كَالْمُعَلَّقَهِ) . (١) إنّ رعايه هذا الشرط

١– – سوره النساء (۴)، الآيه ١٢٩.

تستلزم تحلّی الرجال بصفات و إمکانات خاصه، و إذا کانوا یفتقرون لها علیهم أن لایتزوّجوا بأکثر من زوجه واحده (فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاّ تَعْدِلُوا فَواحِدَهً) .(۱)

فی نظر الإسلام لایجوز ترجیح زوجه علی سائر الزوجات بأی شکل یؤدّی إلی عدم المساواه بین الزوجات. نقل عن الرسول الأکرم صلی الله علیه و آله و سلم أنّه قال: من کانت له امرأتان فلم یعدل بینهما فی القِسم من نفسه و ماله جاء یوم القیامه مغلولاً مائلاً شقّه حتی یدخل النار.(۲)

و نقل عن عائشه عن مساواه النبی صلی الله علیه و آله و سلم بین زوجاته: کان رسول اللّه لایفضّل بعضنا علی بعض فی القِسم، و کان کلّ یومٍ یطوف علینا جمیعاً، فیدنو من کلّ امرأه من غیر مسیس، حتی یبلغ التی هو یومها فیبیت عندها.(۳)

و علی أیّه حال، نظراً إلی الأهداف الأساسیه للحیاه، أی بناء الأُسره علی أساس المحبّه والموده المتبادله بین المرأه والرجل، فالأفضل الاکتفاء بامراه واحده. و فی الحالات الاستثنائیه فقط یتسنّی اللجوء إلی تعدد الزوجات مع رعایه الشروط المذکوره آنفاً.

الطلاق

اشاره

تقدّم آنفاً، أن الإسلام قد حثّ علی الزواج و وصفه بأنه سنّه رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم. و أساس الزواج هو میثاق علی أساس المحبه والموده والتقوی و حسن المعاشره (وَ أَخَذْنَ مِنْکُمْ مِیثاقاً غَلِیظاً) .(۴)

و قد أوصی الإسلام کثیراً بالدقه فی اختیار الزوجه، و دعا إلی محکمه عائلیه، عند نشوب خلاف بین الزوجین؛ للمصالحه و إنهاء الخلاف.(۵) و من جهه أُخری ذمّ الطلاق

۱- سوره النساء (۴)، الآیه ۳.

۲- الحرّ العاملی، وسائل الشیعه، الباب ۴ من أبواب القسم والنشوز، ج ۲۱، ص ۳۴۲، الحدیث ۱.

۳- سنن أبی داود، ج ۲، ص ۲۴۳، الحدیث ۲۱۳۵.

۴- سوره النساء (۴)، الآیه ۲۱.

۵- – سوره النساء (۴)، الآیه ۳۵.

بشدّه، و جاء فی روایات متعدده وصف الطلاق بأنه أبغض الحلال عند اللّه(۱) و لهذا وضع الإسلام قیوداً کثیره فی شروط و أحکام الطلاق لکی لایُلجأ إلیه إلّاعند الضروره القصوی.

فی الوقت نفسه أباح الطلاق لأنَّ استمرار الخلافات والمشاکل الزوجیه بین المرأه والرجل تؤدی أحیاناً إلی ضغوط نفسیه غیر قابله للإصلاح، و لایمکن علاجها مع هذا، و لأجل منع وقوع الطلاق، مهّد الأرضیه للمصالحه بوضع فتره العده و نفقه المرأه علی عاتق الرجل (فی الطلاق الرجعی)، لکی یکون باستطاعه الرجل الرجوع فیما لو کان الطلاق قد تمّ بسبب الغضب والعجله أو بسبب حجج واهیه.

الملاحظه الأُخری هی أن مسأله حق الطلاق بید الرجل لایعنی أنه حصر الطلاق به. بل یمکن عند إجراء عقد الزواج أخذ حق الوکاله للمرأه بالطلاق فی موارد خاصّه.

قیود وقوع الطلاق

للحدّ من حالات الطلاق وضعت قیود و شروط کالاتی:

۱ – حضور شاهدین عادلین، مع أنّ هذا الشرط لایوجد فی أصل عقد الزواج، إلّاأنه لازم فی الطلاق.

وجوب هذا الشرط یؤدّی إلی صعوبه وقوع الطلاق، و ربما یکون هذان الشاهدان العادلان سبباً لإصلاح ذات البین.

۲ – ماعدا حالات خاصه(۲) یشترط أن تکون الزوجه حال الطلاق طاهره من دم الحیض والنفاس، و هو مهم جداً من الناحیه النفسیه.

۳ – أن تطهر المرأه من الحیض بعد آخر مقاربه.

۴ – دفع مهر الزوجه حیث جاء فی القرآن الکریم: (وَ إِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدالَ زَوْجٍ مَکانَ زَوْجٍ وَ آتَیْتُمْ إِحْداهُنَّ قِنْطاراً فَلا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَیْئاً) .(۳)

طبعاً دفع المهر لیس من شروط الطلاق، و یمکن دفعه بالتوافق مع المرأه بعد الطلاق.

۱– – الحرّ العاملی، وسائل الشیعه، الباب ۱ من أبواب الطلاق، ج ۲۲، ص ۷–۹.

۲– – راجع: الأحکام الشرعیّه...، المسأله ۲۷۰۴.

۳– سوره النساء (۴)، الآیه ۲۰.

۵ – تحدید الطلاق الذی یحقّ للزوج فیه الرجوع إلی زوجته بالمرّتین الأولیتین (الطَّلاقُ مَرَّتانِ) . (۱) و شرط علی من طلق زوجته الطلاق الثالث لکی یجوز له العقد علیها مره أُخری أن یعقد علیها رجل آخر بالعقد الدائم و یدخل بها ثم یطلقها فتحل عندئذ للزوج الأول. و قد کان تشریع هذا الحکم منذ البدایه من أجل الحد من الطلاقات المتکرره.

۶ – من أجل خفض نسبه الطلاق لم یجعل حق الطلاق بید المرأه إلّافی موارد خاصّه، و ذلک لأن المرأه تغلب علیها المشاعر والعواطف، و قد تقع تحت تأثیر العواطف واغواء الآخرین فتقوم بما یُلحق الأذی بحیاتها.

أقسام الطلاق

أ – الطلاق البائن

هو الطلاق الذی لایحق للزوج بعده الرجوع إلی زوجته إلّابعقد، یعنی لایقبلها زوجه له بدون عقد. و هو علی سته أقسام:

۱ – طلاق الفتاه التی لم تکمل تسع سنین.

۲ – طلاق المرأه الیائس.

۳ – طلاق المرأه التی لم یقاربها زوجها بعد العقد.

۴ – الطلاق الثالث لمن طلقها زوجها ثلاث مرّات.

۵ – طلاق الخلع.

۶ – طلاق المباراه.

«طلاق الخلع» هو طلاق المرأه التی لاتکون مستعده للعیش مع زوجها لأی سبب کان؛ فتهبه مهرها أو مالاً أخر لیطلقها.

أمّا طلاق «المباراه» فهو الطلاق الذی لایرید فیه الزوج زوجته و لاترید الزوجه زوجها، فتبذل له الزوجه مالاً لیُطلِّقها.

۱– – سوره البقره (۲)، الآیه ۲۲۹.

الفرق بين طلاـق الخلع و طلاـق المباراه هو أن طلاق الخلع، تبـدى فيه المرأه رغبه فى الطلاق من الرجل، أما فى المباراه فيكون الطرفان راغبين فى الطلاق. كـذلك يجب أن لايكون المال الـذى يأخذه الزوج فى طلاق المباراه أكثر من المهر بل الأحوط أن يكون أقلّ، و لكن فى طلاق الخلع، إذا كان أكثر فلا إشكال فيه.

ب – الطلاق الرجعى

يقال للحالات الأُخرى من الطلاق غير الطلاق البائن، الطلاق الرجعى.

ففى الطلاق الرجعى يحق للرجل الرجوع إلى زوجته بعد الطلاق، مادامت فى العدّه.

و لاحاجه إلى عقد جديد، و فيه يمكن للرجل أن يرجع إلى زوجته بطريقين:

١ – أن يتكلم بكلام يفيد أنه جعلها زوجته مره أُخرى. يعنى أن ينشىء الرجوع.

٢ – أن يقوم بعمـل يقصـد منه الرجوع، بحيث يفهم أنه رجع إليهـا؛ كـأن يتصل بها بحيث يقال إنهما زوجان، و لايجب الإشـهاد على الرجوع و لا إخبار المرأه، بل إذا قال بدون أن يعرف أحد: رجعت إلى زوجتى. فهو رجوع شرعى.

و تجرى على المرأه المطلقه طلاقاً رجعياً، فى أيام العده، أحكام الزوجه الشرعيه و عليه تجب على الزوج نفقتها و فطرتها، و يرث أحـدهما الآخر، و كـذلك لايحق للزوج أن يتزوج فى أيام العـدّه، بأُختها أو بامرأه خامسه، و حرم على الزوج الـذى طلق زوجته طلاقاً رجعياً أن يخرجها فى أيام العدّه، من البيت الذى كانت تعيش فيه عند الطلاق.

و إذا طلّق الزوج زوجته مرّتين، و رجع بعـد كلّ طلاق، أو طلّقها مرتين و عقـد عليها بعـد كل طلاق و انقضاء العـدّه، فإنها تحرم عليه بعد الطلاق الثالث، و تحلّ للزوج الأول فيما إذا تزوجت بزوج آخر بعد الطلاق الثالث زواجاً دائماً، و دخل بها الزوج الثانى ثم طلقها، فيجوز له العقد عليها مره أُخرى. و شروط ذلك مذكوره فى الأحكام الشرعيّه.(١)

١– راجع: الأحكام الشرعيّه، المسأله ٢٧٣١.

أحكام العِدّه

عدّه الطلاق

بعد طلاق المرأه من زوجها - إما بإجراء صيغه الطلاق، أو كان ذلك من موارد فسخ النكاح، أو بانقضاء المدّه، أو وهب الزوج لها المدّه فى العقد المؤقت - يجب عليها أن تصبر خلال المدّه التى حُدّدت لها فى الشرع المقدس باسم العدّه، و أن تمتنع خلال هذه المدّه عن الزواج برجل آخر.

عدّه الطلاق للنساء اللاتى تجب عليهن العدّه ثلاثه أطهار من الحيض؛ أى إذا طلق الزوج زوجته و كان قد قاربها، فعليها أن تعتد بعد الطلاق، يعنى يجب أن تصبر بقيه طهرها الذى وقع فيه الطلاق، إلى أن تحيض وتطهر، ثم تحيض وتطهر، ثم تحيض الحيض الثالث، فإذا حاضت الحيض الثالث، فقد تمت عدّتها، و يجوز لها أن تتزوج.

أما المرأه التى لاتحيض و هى فى سنّ مَن تحيض، إذا كان زوجها قد قاربها و أراد طلاقها، فيجب عليه أن لايقاربها ثلاثه أشهر ثم يطلقها، و بعد الطلاق يجب عليها أن تعتدّ ثلاثه أشهر قمريه.

والمرأه الحامل عدّتها حتى تضع حملها، أو تسقطه. أما إذا كان الحمل من الزنا فالأحوط وجوباً بالإضافه إلى الشرط السابق أن تعتدّ ثلاثه أطهار أو ثلاثه أشهر من حين الطلاق أيضاً.

المرأه التى لا عدّه عليها

١ - لا عدّه على الفتاه التى لم تكمل تسع سنين إذا طلّقها زوجها قبل إكمال التاسعه.

٢ - المرأه التى طلّقها زوجها قبل أن يقاربها.

٣ - المرأه اليائس.

عدّه المرأه فی الزواج المؤقت

عدّه المرأه إذا كانت زوجه بالمتعه و تمت مدتها، أو وهبها زوجها باقی المدّه، علی النحو الآتی:

۱ - إذا لم يقاربها زوجها فلا عدّه عليها.

۲ و ۳ - لا عدّه علی المرأه التی لم تكمل تسع سنين أو كانت يائساً حتی لو كان الزوج قد قاربها.

۴ - المرأه التی أكملت تسع سنين و لم تبلغ سنّ اليأس، إذا قاربها زوجها يجب أن تعتدّ علی النحو الآتی:

أ - إذا كانت تحيض فالأحوط وجوباً أن تعتدّ بأكثر المدّتين، من مده حيضتين أو طهرين.

ب - إذا كانت لاتری الحيض، يجب أن تعتدّ إلی مده خمسه و أربعين يوماً.

ج - إذا كانت حاملاً و لاتری الحيض فالأحوط وجوباً أن تعتدّ بأكثر المدّتين، وضع الحمل أو خمسه و أربعين يوماً.

عدّه الوفاه

الزوجه التی يتوفی زوجها يجب أن تعتد علی النحو الآتی:

۱ - إن لم تكن حاملاً، فيجب عليها أن تعتدّ أربعه أشهر و عشره أيام، و أن لاتتزوج ولو كانت صغيره أو يائسه، أو كان زواجها متعه، أو لم يقاربها زوجها.

۲ - إذا كانت حاملاً فيجب عليها أن تعتدّ إلی وضع حملها، فإن وضعت الحمل قبل أربعه أشهر و عشره أيام، يجب عليها أن تعتدّ من حين وفاه زوجها أربعه أشهر و عشره أيام.

ما يجب علی المرأه فی عدّه الوفاه

يجب علی المرأه فی أشهر عدّه الوفاه أن تمتنع عن الأُمور التاليه:

١ – لبس الثياب الملونه التى تعدّ زينه.

٢ – الاكتحال.

٣ – الأعمال الأُخرى التى تعدّ زينه.

أمّا نظافه البدن واللِّباس، و تسريح الشعر والعيش فى منزل مزيّن أثناء عده الوفاه فلا مانع منه.

التغذيه

اشاره

أولى الإسلام لموضوع التغذيه – الذى هو فى مقدّمه ضروريات الإنسان الماديه أهميه كبيره، و شرّع الأحكام بهذا الخصوص. و نحنُ نبيّن فى ما يلى قسماً من هذه الأحكام.

١ – اللُّحوم

أحلّ الإسلام أكل لحوم الأنعام فقد جاء فى القرآن الكريم: (وَ الْأَنْعامَ خَلَقَها لَكُمْ فِيها دِفْ ءٌ وَ مَنافِعُ وَ مِنْها تَأْكُلُونَ) .(١)

أ – الحيوانات الحلال اللّحم

لا مانع من أكل لحوم الحيوانات الأهليه والوحشيه التاليه:

١ – يحلّ من حيوانات البحر، الأسماك التى لها فلس أى قشر، والروبيان.

٢ – يحلّ من ذوات الأربع الأهليه، لحم الإبل والبقر والغنم، و يكره أكل لحوم الخيول والبغال والحمير، والكراهيه فى الخيول أقل من غيرها.

٣ – يحلّ من الحيوانات البريه والوحشيه، لحم الغزال، والبقر الوحشى، والكبش والماعز الجبلى، و حمار الزّرد.

١– سوره النحل (١۶)، الآيه ۵.

۴ – تحرم لحوم الطيور ذوات المخالب المفترسه، كالصقر والعقاب والباز والشاهين، و أمثالها و كذلك على الأحوط وجوباً، أنواع الغربان، و لكنّ لحوم الطيور مثل أنواع الحمام والحجل والقطا والدجاج البيتى و أنواع العصافير و أمثالها، حلال، ولحم الخطّاف حلال، و لكنّه يكره قتله، والأحوط اجتناب أكل لحم الهدهد. و بيض الطيور المحلّله اللّحم، حلال.

و تميّز عاده الطيور المحلّله اللّحم عن الطيور المحرّمه اللّحم بطريقين:

۱ – إذا كان دفيف الطير أكثر من صفيفه أى يحرّك جناحيه حال الطيران أكثر ممّا يبسطهما، فهو حلال، أما الطير الذى يكون بسط جناحيه حال الطيران أكثر من تحريكهما، فهو حرام.

۲ – إذا كان للطير قانصه، أو حوصله، أو صيصيّه – والصيصيّه، إصبع فى رجل الطائر بمنزله الإبهام من الإنسان – فهو حلال، و إن لم يكن له ذلك فهو حرام. و يحرم من الحيوان – حلال اللّحم – سته عشر شيئاً.

۱ – الدم ۲ – الروث ۳ – القضيب ۴ – الفرج ۵ – المشيمه ۶ – الغُدد ۷ – البيضتان ۸ – خرزه الدماغ و هى حبّه فى الدماغ بقدر نصف الحمّصه ۹ – النُخاع ۱۰ – العلياوان و هما عصبان ممتدان فى طرفى الظهر ۱۱ – المراره ۱۲ – الطحال ۱۳ – المثانه ۱۴ – عدسه العين و سوادها ۱۵ – أُذنا القلب ۱۶ – الأشاجع و هى فى وسط حافر الحيوان.

شروط ذباحه الحيوان

إذا ذبح الحيوان حلال اللّحم على النحو الذى يذكر أدناه، يكون لحمه حلالاً و بدنه طاهراً. و لذباحه الحيوان خمسه شروط:

۱ – أن يكون الذابح مسلماً، و أن لايظهر العداوه لأهل بيت النبى صلى الله عليه و آله و سلم، و لا فرق فى أن يكون الذبح يدوياً أو آلياً.

۲ – أن تكون آله الذبح من الحديد، و لكن إذا لم يوجد الحديد و كان الحيوان بحيث إذا لم يذبح، مات، يجوز ذبحه بشىء حاد يقطع أوداجه الأربعه.

۳ و ۴ – أن يوجّه مقادم بدن الحيوان حال الذبح إلى القبله و أن يذكر اسم اللّه تعالى عليه

بتيّه الذبح، و يكفى من الذكر أن يقول: «بِسم اللّه». و أما إذا لم يذكر اسم اللّه تعالى عليه عن نسيان، فلا إشكال فيه.

۵ - أن يتحرك الحيوان بعد الذبح، بحيث يعلم أنه كان حيّاً حين الذبح.

و من شروط ذبح الحيوان يجب أن تقطع الأوداج الأربعه، يعنى مجرى الغذاء، و مجرى التنفس، والعرقين الكبيرين، من أسفل الجوزه بشكل كامل، بحيث يبقى قسم منها مع الرأس. و لذكاه الإبل يجب - مضافاً إلى الشروط الخمسه التى ذكرت لتذكيه الحيوان - غرز السكين أو الآله الحاده الأُخرى فى لبّتها التى هى بين العنق والصدر. و يُسمى ذلك بالنحر.

لا إشكال فى ذبح الحيوان بواسطه الآلات والمكائن إذا روعيت الشروط الشرعيه للذبح، و لايجب ذكر «بسم اللّه» لكل واحده، بل إذا قصد عند ضغط الزّر و ذكر «بسم اللّه» ذبح عدّه حيوانات معاً حلت جميعها، بشرط أن يقال عرفاً أنها ذبحت فى وقت واحد.

أحكام الصيد بالأسلحه

إذا صيد الحيوان الوحشى حلال اللّحم بالأسلحه، يكون أكله حلالاً و ميتته طاهره، بخمسه شروط:

۱ - أن يكون سلاح الصيد قاطعاً مثل السكين والسيف، أو حاداً مثل الرمح والسهم، بحيث يفرى بحدّته بدن الحيوان، أما إذا صيد الحيوان بواسطه الفخّ أو العصا أو الحجر و أمثالها فلا يطهر، و يحرم أكل لحمه، إلّا أن يقبض عليه حياً و يذبح. و إذا صيد الحيوان بالبندقيه و كانت طلقتها حادّه، بحيث تدخل فى بدن الحيوان و تفريه، يكون طاهراً و حلالاً. أما إذا كانت طلقتها غير حاده، و إنما تدخل بالضغط فى بدن الحيوان فتقتله، أو تحرق بدنه بحرارتها فيموت بسبب ذلك، فلا تخلو طهارته و حلّيه لحمه من إشكال.

۲ - أن يكون الصائد مسلماً و لاينصب العداوه لآل النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم.

۳ - أن يكون الرمى لأجل اصطياد الحيوان، فإذا استهدف مكاناً و صاد حيواناً صدفه، فلا يحلُّ ذلك الحيوان و لايكون طاهراً.

۴ – أن يذكر «بسم اللّه» حال الصيد، و لكن إذا نسى فلا إشكال فيه.

۵ – أن يـدرك الحيوان ميتـاً، أو لاـيكون الوقت يسع لـذبحه إذا أدركه حيـاً. فـإن أدركه حيـاً و كان الوقت يسع لـذبحه عليه أن يعمل وفقاً للتعليمات المذكوره آنفاً للذبح.

صيد الأسماک

إذا أُخِـذ السـمک ذو الفلس (القشـر) من المـاء حيّاً و مات خارج الماء، فهو طاهر و أكله حلال، و إن مات فی الماء فهو طاهر و لكن لايحـلّ أكله. و إذا ألقی الصـياد الشـبكه فی المـاء فمـات فيهـا بعض الأسـماک حين كَوْنهـا فی المـاء أو حين إخراجها منه فالأـقوی يكون طاهراً و حلالاً. و كـذلک فإن بيض السـمک الحلال اللحم كالكافيار حلال، و لايجب أن يكون صـيّاد السـمک مسلماً أو أن يذكر «بسم اللّه» حين صيده.

ب – الحيوان المحرّم اللحم

لحم ولبن الحيوان النجس مثـل الكلب والخنزير حرام، و كـذلک لحم ولبن الحيوانـات المفترسه التی لهـا ظفر و نـاب عادةً، مثل الأسـد والنمر والفهـد والـذئب والضـبع وابن آوی والثعلب والهرّه، و كذلک الفيل والدب والأرنب، و كذا يحرم أكل الحيوانات الصغيره والحشرات، كالفأره والضبّ والحيّه والوزغ والعقرب والصرصور والزنبور والنمل والذباب والبقّ و أنواع الديدان.

۲ – المأكولات المأخوذه من غير الحيوان

يجوز الأكل والشـرب فی المأكولات المأخوذه من غير الحيوان – باسـتثناء الموارد المشار إليها أدناه – بشرط أن لاتستوجب فعل حرام آخر، علی سبيل المثال أن يكون المأكول يعود إلی شخص آخر فيجب أن يكون ذلک بأذنه ورضاه. أو أن لايؤدی الأكل إلی الإسراف والتبذير.

المأكولات الحرام المأخوذه من غير الحيوان

أ – النجاسات

١ – يحرم أكل النجس و شربه، و كذا تقديم عين النجاسه ليأكلها الآخرون، بل يحرم إطعامها للأطفال فى حاله ترتّب الضرر عليه. بل على الأحوط فى حاله عدم الضرر أيضاً.

٢ – يحرم الأكل والشرب من الأوانى المصنوعه من جلد الكلب أو الخنزير أو الميته.

ب – المواد المضرّه

يحرم أكل، وزرق، أو استعمال الشيء الذى يكون فيه للإنسان ضرر معتنى به.

ج – السوائل والأشربه المحرمه

كل مسكر للإنسان كالخمر والفقّاع «و هو ماء خاص يستخرج من الشعير و يسمى البيره» والدم والمتنجس بالملاقاه، حرام. كذلك كل شيء ينفر منه طبع الإنسان فهو حرام على الأحوط وجوباً.

أحكام الأطعمه

١ – يحرم تناول مال الغير بدون إذنه ورضاه، و لابُدّ من إحراز ذلك بعلم و نحوه.

٢ – يجوز أن يأكل و يشرب الإنسان من بيوت أو بستان الآباء والأُمّهات والأولاد، و إلاخوان والأخوات، والأعمام والعمّات، والأخوال والخالات، والأصدقاء، والزوجه و كذا الزوجه من بيت زوجها، و كذا يجوز لمن كان وكيلًا على بيت أحد مفوضاً إليه أُموره و حفظه بما فيه أن يأكل من بيت موكّله، إلّاإذا علم الإنسان كراهه صاحب البيت.

٣ – لو اضطر بسبب الجوع أو العطش إلى أكل مُحَرَّم فليقتصر على مقدار الضروره، ولو اضطر إلى أكل طعام الغير لسدّ رمقه، فعليه دفع عوضه.

۴ – یجوز التداوی لمعالجه الأمراض بکل مُحرّم – علی مقدار الضروره – إذا انحصر به العلاج ولو بحکم الحذّاق من الأطباء والثقات.

۵ – لایجوز الجلوس علی مائده یُشرب علیها الخمر، إذا کان الجالس یُحسب أحد شاربی الخمر. کما یجب اجتناب الأکل من المائده أیضاً.

۶ – یحرم الأکل والشرب فی أوانی الذّهب والفضّه واستعمالها.

وسائل الترفیه والتسلیه

نقل عن أمیرالمؤمنین علیه السلام أنه قال: «للمؤمن ثلاثُ ساعات: فساعهٌ یُناجی فیها ربَّه، و ساعهٌ یَرُمُّ معاشَهُ، و ساعهٌ یُخَلّی بَیْنَ نَفْسِه وَ بَیْنَ لَذَّتِها فیما یَحِلُّ وَ یَجْمُل».(۱)

یتضمن هذا التقسیم نقاطاً مهمه:

۱ – اهتمام الدّین بجوانب حیاه الإنسان المختلفه.

۲ – اهتمام الدّین و تأکیده علی الکدح والسعی من أجل تأمین سبل العیش، و کذلک أداء حق البدن.

۳ – یمکن النظر إلی اللّذات النفسیه من عده جوانب.

أ – أن الترفیه فی حدوده یُعَدّ من مستلزمات الحیاه، و هذا ما تؤیّده سیره المسلمین علی الدوام.(۲)

ب – یجب أن یقترن الاهتمام بهذه الأُمور بجوانب تربویه، و أن لایقود المزاح إلی الاستهزاء بالآخرین والإساءه إلیهم.(۳)

ج – بما أن وسائل الترفیه السلیمه ذات دور کبیر فی تکامل الجسم والروح، لهذا تترتب علیها فائده عقلائیه و مصلحه و غرض صحیحان. روی عن الرسول صلی الله علیه و آله و سلم: «عَلِّمُوا اَبْناءَکُم

۱– الشریف الرضی، نهج البلاغه، الحکمه ۳۹۰، ص ۵۴۵.

۲– النجفی، محمّد حسن، جواهر الکلام، ج ۲۸، ص ۲۲۱ و ۲۲۲.

۳– الکُلینی، الکافی، ج ۲، ص ۶۶۳–۶۶۵.

السّباحَه وَالرّمایه»(۱) بشکل عام تجوز وسائل الترفیه المختلفه، إذا کانت غیر مصحوبه أو مستلزمه لفعل الحرام. و لذلک یجوز سماع و مشاهده برامج التلفزیون والرادیو والسینما والمسرح والإنترنت و نظائرها إذا لم تستلزم فساد أفکار و أخلاق الفرد أو المجتمع أو ترویج الباطل، و لکن یجب الانتباه إلی أن لاتکون هذه الوسائل مانعاً عن أداء الواجبات والوظائف و أن لاتستغرق جمیع وقت الفرد المسلم، و خاصه الأطفال الذین یجب الاهتمام بهم أکثر فی هذا المجال.

المسابقات

یجوز إقامه المسابقات التی تؤثّر فی تقویه الوعی الدینی، و رفع المستوی العلمی والأدبی والفنی فی المجتمع، مثل مسابقات حفظ القرآن، والأحکام، و کتابه المقالات، والمسابقات العلمیه و... بدون الاشتراط بین الطرفین. و إذا منح شخص ثالث أو الدوله أو المؤسسه الراعیه لهذه المسابقات جوائز للفائزین، فلا إشکال فی ذلک. و یصبح الفائز مالکاً للجائزه. و یجوز الاشتراط فی مسابقه الخیول والرمایه، و أیضاً جواز الاشتراط فی المسابقه بأنواع الأدوات والوسائل الحربیه العصریه کالبندقیه والطائره الحربیه، والدبابه و غیرها و هو غیر بعید.

فی المسابقات التی یجوز فیها الاشتراط یجب رعایه الأُمور التالیه:

۱ - یجب فی المسابقه، بیان الإیجاب والقبول بلفظ أو فعل دالٍّ علیهما.

۲ - أن یکون الطرفان عاقلین و بالغین و مختارین و قاصدین للفعل.

۳ - أن یکون مقدار الجائزه - عیناً أو دیناً - مُعیَّناً، و یقوم أحد الطرفین أو شخص ثالث بالدفع.

۴ - بیان الجهات التی یؤدّی الجهل بها إلی الاختلاف، مثل الهدف، و مقدار المسافه، و خط البدایه والنهایه، و نوع الوسیله و....

۱- - الکُلینی، الکافی، ج ۶، ص ۴۷، الحدیث ۴.

أحكام بعض الوسائل الترفيهيه

١ – الغناء

الغناء و كل صوت مطرب مثير للشهوه الجنسيه، و يؤدّى إلى الفساد الأخلاقى و ضياع العقل و مقام الإنسانيه الرفيع أو ترويج الباطل، حرام فعله وسماعه، و أيضاً تعليمه و تعلّمه والتكسُّب به. و قد جاء فى الروايات ذمٌّ شديد لكل ما هو لهو و لعب و غناء، فقد جاء فى روايه عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: بيت الغناء لاـتؤمن فيه الفجيعه، و لاتجاب فيه الدعوه، و لايدخله الملك.(١) نعم قد يستثنى غناء المغنيات فى الأعراس، و لكن يجب أن لايسمع صوتهن رجل غير محرم، و أن لايتضمّن الغناء الكلام بالباطل، و لايترك الاحتياط وجوباً بالاقتصار على زفّ العرائس والمجلس المعدّ لهذا الغرض مقدّماً و مؤخّراً، لامطلق المجالس. و إذا شكّ فى أنّ الغناء أو اللّحن عرفاً مناسب لمجالس الفسق والفجور؟ و من مصاديق الغناء الحرام أم لا؟ لايلزم الاجتناب، ولو أنّ الاحتياط أفضل.

٢ – الألعاب السحريّه

تحرم الألعاب السحريّه إذا كان المقصود منها إراءه الحق باطلاً أو الباطل حقاً، و تجوز إذا كانت للتسليه و ملء أوقات الفراغ.

٣ – إحضار الأرواح والتنويم المغناطيسى

يجوز إحضار الأرواح إذا كان لاـيؤدى إلى هتكها أو أذيتها أو الإخلال بالنظم العام و أمثال ذلك، والنوم غير الطبيعى (التنويم المغناطيسى) – إذا لم يترتب عليه ضرر – لايوجد دليل على حرمته.

١– – الحرّ العاملى، وسائل الشيعه، الباب ٩٩ من أبواب ما يكتسب به، ج ١٧، ص ٣٠٣، الحديث ١.

۴ – القمار

یحرم اللّعب والمسابقه بأدوات القمار الخاصه به، ولو کان ذلک لمجرد الأُنس و بدون شرط، علی الأحوط. لکن یجوز اللعب والمسابقه بالأدوات التی لاتعتبر عرفاً من الأدوات الخاصه بالقمار، و فیما إذا خرجت حالیاً بشکل کامل عن هذا الموضوع. و قد اعتبر سبحانه و تعالی القمار من عمل الشیطان الذی یورث العداوه والبغضاء بین المسلمین، و یبعد الإنسان عن ذکر اللّه: (إِنَّما یُرِیدُ الشَّیْطانُ أَنْ یُوقِعَ بَیْنَکُمُ الْعَداوَهَ وَ الْبَغْضاءَ فِی الْخَمْرِ وَ الْمَیْسِرِ وَ یَصُدَّکُمْ عَنْ ذِکْرِ اللّهِ وَ عَنِ الصَّلاهِ) .(۱)

۵ – المخدرات

یحرم تناول المخدرات إذا کان فیها ضرر عقلائی علی الإنسان، أو کان یحتمل مثل هذا الضرر، إلّاأن تکون علاجاً للمریض و یثبت ذلک من خلال حکم الحُذّاق و أهل الخبره بانحصار التداوی والمعالجه بها.

۱- سوره المائده (۵)، الآیه ۹۱.

الاقتصاد

أهميه الاقتصاد

رغم ما للاقتصاد من أهميه، إلّاأنّ أهميته لاتمثّل البنيه التحتيه أو الأساس الذى تقوم عليه جميع القضايا الأخلاقيه والاعتقاديه للفرد والمجتمع، و لكن لايمكن لأحد طبعاً إنكار تأثيره فى الثقافه و فى الكثير من العادات والتقاليد و غيرها من مجريات الحياه اليوميه للأفراد والمجتمعات. أمّا ما يتعلق بالدين فهو بيان الأحكام الاقتصاديه و مراعاه جوانب المعاملات والعمل والكدّ، و كل ما يتعلّق بالإنتاج والتوزيع والاستهلاك من قواعد و قوانين. و انطلاقاً من هذه الرؤيه فقد حظت القضايا الاقتصاديه، و خاصه قضيه الفقر والغنى، باهتمام بالغ فى التعاليم الإسلاميه، إلى الحدّ الذى وصف فيه النبى صلى الله عليه و آله و سلم الفقر بقوله:

«كادَ الفقرُ انْ يَكُونَ كُفْراً».(۱)

رسم الإسلام مجموعه من الأهداف – فى الحياه الفرديه والاجتماعيه لبنى الإنسان – التى يتعذّر تحقيقها من غير اقتصاد سليم. فمن ناحيه يجب أن يحافظ الإنسان على حريّته و تُصان كرامته «لاتَكُنْ عَبْدَ غَيْرِك وَ قَدْ جَعَلَكَ اللّهُ حُرّاً».(۲) و من ناحيه أُخرى لابُدّ أن تدور عجله حياه المجتمع على محور العداله والإحسان (إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ الْإِحْسانِ) .(۳)

و لاشكّ فى أن تحقيق هذه الأهداف يمكن فى ظلّ الظروف التاليه:

أوّلاً: أن لايكون الشعب المسلم محتاجاً فى الجانب الاقتصادى؛ أى أن لايمدّ يد الحاجه إلى غير المسلم خاصّه؛ لأن الحاجه تقترن على الدوام بالتبعيه، و هذا ممّا يسىء إلى

۱- الصدوق، الخصال، باب الواحد، ص ۱۲، الحديث ۴۰؛ المجلسى، بحارالأنوار، ج ۶۹، ص ۳۰.

۲- – الشريف الرضى، نهج البلاغه، الكتاب ۳۱، ص ۴۰۱.

۳- سوره النحل (۱۶)، الآيه ۹۰.

کرامه الإنسان طبعاً، حتی و إن لم تُطلق علیها تسمیه الرق أو العبودیه. و کل شعب یمد ید الفاقه إلی الشعوب الأخری فی حیاته الاقتصادیه، فهو بمثابه العبد الأسیر لها. قال أمیرالمؤمنین علیه السلام: «اَحْسِنْ إلی مَنْ شِئْتَ وَ کُنْ امیرَه، اسْتَغْنِ عَمَّنْ شِئْتَ وَ کُنْ نَظیرَهُ، احتَج إلی مَنْ شِئْتَ وَ کُنْ اسیرَه».(۱)

ثانیاً: العداله مفتاح لحل المشاکل و مدعاه لتقدّم المجتمع و رقیّه. فالمجتمع الذی یفتقر إلی التوازن الإقتصادی تُهدر فیه الطاقات. و هو سبحانه و تعالی لایحب تکدّس الثروه بید فئه دون غیرها: (کَیْ لا یَکُونَ دُولَهً بَیْنَ الْأَغْنِیاءِ مِنْکُمْ) . (۲) و إذا کانت الثروه محصوره بید فئه یختل التوازن الاجتماعی، و یُصاب الاقتصاد بظواهر مَرَضیّه و ینکمش النمو الاقتصادی.

القوانین الاقتصادیه

الإنسان موجود اجتماعی و یحتاج إلی العلاقات الاجتماعیه. و وجود العلاقات الإجتماعیه یفضی عاده إلی ظهور تعارض و تضارب فی المصالح. و لابُدّ من سنّ القوانین من أجل تنظیم العلاقات الاجتماعیه. و علی الصعید الاقتصادی لابُدّ أن تتوضح حدود الحریّات والنشاطات الاقتصادیه للفرد، و مدی تدخّل الحکومه فی هذا القطاع. و لا مفرّ من وضع أُطر ترسم کیفیه ظهور الملکیه، و تأثیر النقد، والعمل والاستثمار، و ما إلی ذلک.

لقد بیّن الإسلام الخطوط العامّه للاقتصاد فی ما یتعلّق بالأهداف السامیه لخلق الإنسان.

والحصول علی الثروه، یجب أن یکون من طرق مشروعه و لیس عن طریق الباطل (وَ لا تَأْکُلُوا أَمْوالَکُمْ بَیْنَکُمْ بِالْباطِلِ) . (۳) والنشاط الاقتصادی، یشترط فیه أن لایؤدی إلی إلحاق ضرر بالغیر. حیث أن الإسلام قد وضع قوانین عامّه، و فرض أن تجری کلُّ النشاطات الاقتصادیه فی إطارها، تفادیاً لوقوع الظلم و عدم المساواه. و من هذه الزاویه قال أمیرالمؤمنین علیه السلام:

۱- الخوانساری، شرح غُرَر الحِکَم، ج ۲، ص ۵۸۴، الحدیث ۲۳۱۱ إلی ۲۳۱۳.

۲- – سوره الحشر (۵۹)، الآیه ۷.

۳- – سوره البقره (۲)، الآیه ۱۸۸.

«اَلْفِقْه ثُمَّ الْمتْجَر».(۱) و هذا ما جعل الفقهاء يصرّحون بأن من الواجب، تعلّم فقه المعاملات و مسائلها على قدر الحاجه.

الفقر؛ أسبابه و تأثيراته

كل من يعجز عن توفير متطلباته الضروريه يُسمّى فقيراً. و من المعروف أن الإسلام يذم الإقبال على الدنيا وزخرفها، غير أنه فى الوقت ذاته يذم الفقر أيضاً. قال لقمان الحكيم فى وصف الفقر: «ذُقْتُ المرارات كُلَّها فَما ذُقْتُ شَيْئاً أمرّ مِنَ الْفَقْرِ».(۲)

و بيّن حديث شريف مدى سلبيات الفقر و إفرازاته بما يلى: «اِنَّ الْفَقْرَ منقصَهٌ لِلدّينِ، مدهشَهٌ لِلْعَقْلِ، داعِيَهٌ لِلْمقْتِ».(۳) لأنّ همّ الفقير هو التخلّص من مخالب الفقر، و لايُعير كثير اهتمام لِما يسىء إلى كرامته الإنسانيه. و لذلك ذهبت بعض الروايات إلى ذمّ الفقر قائله:

إنّ القبر خير من الفقر،(۴) و ذهبت فى أحيان أُخرى إلى وصفه بالموت الأكبر،(۵) و أنه كاد أن يكون كفراً،(۶) والفقير غريب حتى فى بلده،(۷) والفقر يخرس الفطن.(۸)

و بالاضافه إلى ذم الفقر، اهتمت الروايات أيضاً بذكر أسبابه، و منها:

۱ – الكسل، و لذلك دعت إلى الهمّه والكدّ والعمل. و ممّا جاء فى ذم الكسل والتواكل قول النبى صلى الله عليه و آله و سلم: «ملعونٌ مَنْ الْقى كَلَّهُ عَلَى النّاسِ».(۹) و روى أيضاً: «اِنّ اللّهَ عَزَّوَجَلَّ يُبْغِضُ الْعَبْدَ النَوّامَ الفارِغَ».(۱۰) هذا من ناحيه، و من ناحيه أُخرى شجّعت الروايات العمل،

۱– – الحرّ العاملى، وسائل الشيعه، الباب ۱ من أبواب آداب التجاره، ج ۱۷، ص ۳۸۱، الحديث ۱.

۲– المجلسى، بحارالأنوار، ج ۱۳، ص ۴۲۱، الحديث ۱۶.

۳– – الشريف الرضى، نَهج البلاغه، الحكمه ۳۱۹، ص ۵۳۱.

۴– – الآمدى، غُرَر الحِكَم، ص ۳۶۵، الحديث ۸۲۱۷.

۵– الشريف الرضى، نهج البلاغه، الحكمه ۱۶۳، ص ۵۰۰.

۶– المجلسى، بحارالأنوار، ج ۶۹، ص ۳۰.

۷– الشريف الرضى، نهج البلاغه، الحكمه ۳، ص ۴۶۹.

۸– الشريف الرضى، نهج البلاغه، الحكمه ۳.

۹– – الحُرّ العاملى، وسائل الشيعه، الباب ۶ من أبواب مقدمات التجاره، ج ۱۷، ص ۳۲، الحديث ۱۰.

۱۰– – المصدر السابق، الباب ۱۷، ص ۵۸، الحديث ۳.

و وصفت الكادّ على عياله كالمجاهد فى سبيل اللّه: «الكادُّ عَلى عيالِهِ كَالُمجاهِدِ فى سَبيلِ اللّه».(۱)

۲ – الخيانه، حيث اعتبرت الأحاديث الشريفه هذا العمل من أسباب الفقر، و من ذلك قول نبيّنا صلى الله عليه و آله و سلم: «اَلْخِيانَهُ تجلبُ الْفَقْرَ»،(۲) و قول إمامنا أميرالمؤمنين عليه السلام: «فَما جاعَ فَقيرٌ الّا بِما مُتّعَ بِهِ غَنِىٌّ».(۳)

۳ – الإسراف والتبذير، فقد دعا الإسلام إلى الاقتصاد فى النفقات و عدم التبذير مبيّناً أنّ الإسراف كثيراً ما ينتهى بالمسرف إلى الفقر، و إلى العجز عن توفير المتطلبات الأساسيه فى الحياه، إذ قيل: «اِنَّ السرفَ يُورِثُ الْفَقْرَ».(۴)

۴ – عدم كفاءه المسؤولين الحكوميين و ميلهم إلى المحاباه. و هذه الظاهره تؤدى بطبيعه الحال إلى خلق فوارق طبقيه و إلى إشاعه الفقر فى المجتمع. كما أنّ فرض المزيد من الضرائب يؤدّى إلى ارتفاع أسعار السلع، و يفضى بالنتيجه إلى استشراء الفقر.

قال على عليه السلام: «مَنْ طَلَبَ الخراجَ بِغَيرِ عِمارهٍ اخْرَبَ الْبِلادَ و اهْلَكَ الْعِبادَ وَ لَمْ يَسْتَقِمْ امْرُهُ الّا قَليلًا».(۵)

الملكيه و أنواعها

اشاره

فى الرؤيه التوحيديه، الوجود و كل ما فيه للّه: (وَ لِلّهِ ما فِى السَّماواتِ وَ ما فِى الْأَرْضِ) . (۶) و أما ملكيه الآخرين فهى نسبيه وتقع فى طول ملكيه اللّه، و تجعل للمالك حقّاً فى التصرّف فى إطار ما رُسِم له، و ليس كما يشاء. والدّين يرى أنّ من كمال الإنسان أن يعتبر كل ما تحت تصرّفه من أموال ملكاً للّه.

سأل رجلٌ الإمام الصادق عليه السلام عن حقيقه العبوديه، فذكر له عدّه أُمور منها: «يَرَوْنَ الْمالَ

۱– المصدر السابق، الباب ۲۳، ص ۶۷، الحديث ۱.

۲– – الحرّانى، تُحف العقول، ص ۴۵.

۳– الشريف الرضى، نهج البلاغه، الحكمه ۳۲۸، ص ۵۳۳.

۴– الحرّ العاملى، وسائل الشيعه، الباب ۲۲ من أبواب مقدمات التجاره، ج ۱۷، ص ۶۴، الحديث ۱.

۵– الشريف الرضى، نهج البلاغه، الكتاب ۵۳، ص ۴۳۶.

۶– – سوره النجم (۵۳)، الآيه ۳۱.

مالَ اللّه، يَضَعُونَهُ حَيْثُ امَرَهُمُ اللّهُ بِه».(۱) و فی الوقت ذاته جعل اللّه للإنسان مکانه رفیعه فی الأرض، و سخّر له کل ما فیها (هُوَ الَّذِی خَلَقَ لَکُمْ ما فِی الْأَرْضِ جَمِیعاً) . (۲) و أنّه تعالی قال: (وَ الْأَرْضَ وَضَعَها لِلْأَنامِ) . (۳) و قال: (هُوَ أَنْشَأَکُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَ اسْتَعْمَرَکُمْ فِیها) .(۴)

والملکیه التی جعلها اللّه للناس علی نوعین: ملکیه عامّه، و ملکیه خاصّه.

الملکیه العامّه

جعل الإسلام قسماً من الأموال ملکاً لعموم الناس، و لیس لها مالک خاص. و قد یدخل قسمٌ منها فی ظروف معیّنه فی الملکیه الخاصّه للأشخاص، أو تصبح حقّاً خاصاً بهم. و هذه الأموال هی الانفال والمشترکات.

أ – الأنفال؛ و هی الأموال العامّه و تخضع للدوله الإسلامیه الصالحه و تستثمر لِما فیه منفعه الجمیع. والأنفال عباره عن:

۱ – الأراضی الموات والأراضی التی أعرض عنها أصحابها و ترکوها.

۲ – رؤوس الجبال و بطون الأودیه والآجام.

۳ – البحار و سواحلها والأنهار الکبیره.

۴ – المعادن.

۵ – صفایا الغنیمه، و هی النفائس التی تعود لرؤساء حکومات وتقع فی الحرب فی أیدی المسلمین.

۶ – غنائم الحروب التی تقع بغیر إذن الإمام المعصوم أو الحکومه الإسلامیه الصالحه.

۷ – الأراضی التی یستولی علیها المسلمون من الکفار من غیر قتال.

۸ – أموال من لا وارث له.

۱– – المجلسی، بحارالأنوار، ج ۱، ص ۲۲۵، الحدیث ۱۷.

۲– – سوره البقره (۲)، الآیه ۲۹.

۳– – سوره الرحمن (۵۵)، الآیه ۱۰.

۴– سوره هود (۱۱)، الآیه ۶۱.

ب – المشترکات؛ و هی الأماکن التی لیس لها مالک، و هی مشترکه بین الناس. و هی عباره عما یلی:

۱ – الشوارع، والفروع، و مسالک البر والبحر والجو، و مراتع القری لأهالی تلک القری.

۲ – المساجد، والمزارات، و ما یُبنی للناس.

الأنفال والمشترکات للدوله الإسلامیه، و هی تتصرف فیها لِما فیه مصلحه الإسلام والمسلمین. و یتساوی کل الناس فی الانتفاع من الأموال والمشترکات، والأولویه فیها لمن سبق. والأموال التی یمکن تملّکها کالأسماک والمعادن تُمتلک بالحیازه بشروط. و من حق الدوله الإسلامیه أن تسیطر علیها أو تعطیها لبعض الأشخاص بشکل مؤقّت أو دائم، بناءً علی مقتضیات الدوله والشعب.

الملکیه الخصوصیه

یمکن حیازه قسم من الثروات الطبیعیه بالکد والعمل وفقاً لشروط، فتکون ملکاً خاصاً، و علی هذا الأساس، فالملکیه الخاصه محترمه، لأن ذلک یبعث فی الإنسان دوافع العمل، و بهذا تزداد معطیات العمل. و بهذا الأمر یُمنع الظلم والإحجاف أیضاً.

الثراء

کما بیّنا سابقاً إنّ للفقر مساوىء کثیره و تنتج عنه انحرافات شتّی، و لکن فی الوقت ذاته یلاحظ أن بعض الآیات والروایات قد ذَمّت الثراء واعتبرته سبباً للغرور والکِبْر والتباهی علی الغیر، و مدعاه لضعف الوازع الدینی.

یُستفاد مِن مجموع التعالیم الدینیه أنّ تنمیه الثروه لیست شیئاً معیباً، و لکن تُذم الثروه إذا أُریدت لذاتها و بعیداً عن الروح المعنویه. والشیء الخطیر هو اللُّهاث وراء الدنیا والتعلّق بالمال. و لهذا وصفت الروایات من یغالی فی حُبّ المال بأنه عبد للدنیا.(۱)

۱– سوره التکاثر (۱۰۲)، الآیتان ۱–۲؛ سوره الکهف (۱۸)، الآیه ۴۶. و روایات مثل: «المالُ مادّه الشّهوات»، الشریف الرضی، نهج البلاغه، الحکمه ۵۸، ص ۴۷۸؛ «یا کمیل! هلک خُزّان الاموال»، نهج البلاغه، ۱۴۷، ص ۴۹۶؛ «اِعْلَموا انّ کثرَه المالِ مَفْسدهٌ للدّین»، الحرّانی، تُحف العقول، ص ۱۹۹؛ «حُبُّ المالِ یوهِنُ الدّین»، الآمدی، غُرَر الحِکَم، ص ۳۶۸، الحدیث ۸۳۱۶؛ «أربع یُمِتْن القلب... و مجالسه الموتی، فقیل له: یا رسول اللّه! و ما الموتی؟ قال: کل غنیٍّ مترف»، الصدوق، الخصال، باب الاربعه، ص ۲۲۸، الحدیث ۶۵.

و بعباره أخرى، يُذم جمع المال حينما يكون هدفاً بحدّ ذاته، و فى هذه الحاله لايمكن أن يكون الثراء سبباً للسعاده، بل بالعكس يكون سبباً للتعاسه والشقاء. يُذم الثراء لأنه يؤدى بالإنسان عاده إلى الغفله عن ذكر اللّه: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوالُكُمْ وَ لا أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللّهِ وَ مَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ فَأُولئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ) . (۱) و لهذا وُصفت الأموال فى القرآن بالفتنه والاختبار (وَ اعْلَمُوا أَنَّما أَمْوالُكُمْ وَ أَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ) .(۲)

و انطلاقاً من هذه النظره أيضاً ذَمّت الأحاديث من يحترم الغنىَّ لغناه: «مَنْ اتى غَنِياً فَتَواضَعَ لَهُ لِغناهُ، ذَهَبَ ثُلُثا دِينِهِ».(۳)

و من هنا فإنَّ ممّا يُحمد كثيراً أن يستفيد المرء من المال والثروه على طريق الكمال، و لكن الكثير من الناس لاينجحون فى هذا الاختبار. فمع أن الكثير منهم يسعون فى مستهل الأمر لكسب المال لغايات وتطلّعات إنسانيه، غير أنّ تلك الغايات تودع بمرور الزمان على رفّ النسيان، و تحل محلّها مآرب مادّيه، و ينسحق ذكر الفقراء والاهتمام بأبناء الجنس البشرى والدفاع عن الحق، تحت عجله الرغبه فى كسب الثروه.

الإسراف والتبذير

الإسراف هو الإكثار فى الاستهلاك إلى حدٍّ يفوق المتعارف. والتبذير فمعناه العبث والتبديد فى الإنفاق. و هذه من الأعمال المذمومه. و قد ربطت إحدى آيات القرآن الكريم بين الإسراف و عدم دفع الحقوق الإلهيه:

(وَ آتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصادِهِ وَ لا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) . (۴) و وصفت آيه أُخرى

۱- – سوره المنافقون (۶۳)، الآيه ۹.

۲- سوره الأنفال (۸)، الآيه ۲۸.

۳- الشريف الرضى، نهج البلاغه، الحكمه ۲۲۸، ص ۵۰۸.

۴- – سوره الأنعام (۶)، الآيه ۱۴۱.

المبذرين بأنهم إخوان الشيطان: (وَ آتِ ذَا الْقُرْبى حَقَّهُ وَ الْمِسْكِينَ وَ ابْنَ السَّبِيلِ وَ لا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً * إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كانُوا إِخْوانَ الشَّياطِينِ وَ كانَ الشَّيْطانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً) .(۱)

العمل والسعی

لقد خلقت الثروات الطبيعيه و وضعت بين يدى الإنسان من أجل أن يستثمرها نحو حياه أفضل: (أَ لَمْ تَرَوْا أَنَّ اللّهَ سَخَّرَ لَكُمْ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ) .(۲)

العمل يؤدى إلى زياده قوّه الإنسان الروحيه والبدنيه، و بالعكس تؤدى البطاله إلى إهدار طاقاته و طمس الينبوع الدافق الذى يُنتج القدره والقوّه. قال الإمام على عليه السلام: «مَنْ يَعْمَل يَزْدَدْ قوّهً».(۳) و فضلاً عن ذلك فإن العمل يخلق فى النفس بهجه، و يحول دون ظهور الفساد والقبائح. روى عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: الناس بالفراغ يصيرون إلى غايه الأشر والبطر حتى يكثر و تظهر الفواحش.(۴)

والعمل ليس للناس المحتاجين فقط، بل حتى من لديهم ثروه تكفيهم للعيش بلا عمل، عليهم أن يعملوا أيضاً. فكم من الأثرياء دفعتهم البطاله إلى السقوط فى الفواحش. قال الإمام الصادق عليه السلام لمن استشاره بترك العمل بسبب غناه: لاتترك التجاره فإنَّ ذلك يذهب العقل.(۵)

والمراد من العمل هنا طبعاً هو العمل المُنتج والمفيد، والذى يؤدّى إلى إيجاد حياه أفضل. والتعاليم الإسلاميه تذم العمل الذى لا تأثير له فى الإنتاج أو الخدمات. قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: إنِّى أكره أن أستأجر رجاه ثم أُؤجرها إلى شخص آخر بسعر أكثر من غير أن أُطوّرها و أُجهّزها.(۶)

۱- سوره الإسراء (۱۷)، الآيتان ۲۶ و ۲۷.

۲- سوره لقمان (۳۱)، الآيه ۲۰.

۳- - الآمدى، غُرَر الحِكَم، ص ۱۵۲، الحديث ۲۸۰۲.

۴- المجلسى، بحارالأنوار، ج ۳، ص ۱۰۶.

۵- الحرّ العاملى، وسائل الشيعه، الباب ۲ من أبواب مقدمات التجاره، ج ۱۷، ص ۱۴، الحديث ۴.

۶- الحرّ العاملى، وسائل الشيعه، الباب ۲۰ من أبواب كتاب الاجاره، ج ۱۹، ص ۱۲۴، الحديث ۱.

شروط الملكيه

لكل إنسان حق العمل والكسب المشروع، و أن يتمتع بحق الملكيه. و فى الإسلام هناك ثلاثه شروط أساسيه للتملُّك:

١ – أن يكون المال من مصدر حلال؛ أى أن يأتى عن طريق مشروع لايتعارض مع أحكام الشريعه.

٢ – إيجاد الملكيه و ديمومتها يستلزم عدم الإضرار بالغير.

٣ – أن لايستلزم ذلك إبطال حق أو إحقاق باطل.

و إذا كان المال مكتسب من مصدر حرام كالسرقه، والاحتيال، والغصب، والغش، والرشوه، والغناء المحرّم، و مدح الظالم و تقويته، و بيع بضاعه محرّمه كالخمر، و غير ذلك، فهو حرام، والمتصرّف فيه ضامن له.

الوصيه

هى أن يوصى الإنسان أن يقوموا له بعمل بعد موته، أو يملّك شخصاً شيئاً من ماله بعد موته، أو يعيّنُ قيّماً مشرفاً على أولاده و من هم تحت ولايته. ويُسمَّى من يُوصى بالوصيه «الموصى»، ويُسمّى الشخص الذى يوصى إليه «الوصى». روى عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم أنه قال: إن من مات بغير وصيه فقد مات ميته جاهليه.(١) و قال صلى الله عليه و آله و سلم: ما ينبغى لامرىء مسلم أن يبيت ليله الّا و وصيته تحت رأسه.(٢) و قال أيضاً: من لم يُحسن وصيّته عند موته كان نقصاً فى مروّته.(٣)

إذا ظهرت علامات الموت على المسلم وجب عليه العمل بما يلى:

١ – تأديه ما عنده من الأمانات إلى أصحابها بأسرع ما يمكن. و إذا كان عليه دين و قد حلّ موعده يجب أن يدفعه، و إن لم يكن قد حلَّ موعده يجب أن يوصى به، و يشهد على

١– – الحرّ العاملى، وسائل الشيعه، كتاب الوصايا، الباب ١، الحديث ٨.

٢– – المصدر السابق، الحديث ٧.

٣– المصدر السابق، الباب ۶، الحديث ٢.

الوصيه. و إذا كان دينه معلوماً و كان مطمئناً بأنَّ الورثه يوفّونه عنه لاتجب الوصيه.

۲ - إذا كـان مـديناً بـالخمس والزكـاه والمظـالم يجب عليه أن يـدفعها فوراً. و إذا لم يسـتطِع دفعهـا فإن كان يحتمل أن يـدفعها شخص عنه يجب أن يوصى بها. و كذا إذا كان الحج واجباً عليه.

۳ - إذا كان عليه قضاء صلاه و صوم يجب عليه أن يوصى أن يستأجروا له من ماله.

بل إذا لم يكن له مال و يحتمل أن يؤدّيها شخص عنه بدون أُجره يجب عليه أن يوصى أيضاً.

۴ - إذا كان له مال عند شـخص أو فى مخبأ لايعلم به الورثه، و كان جهلهم به يسبّب ضياع حقّهم، يجب عليه إخبارهم. و يجب عليه أن يعيّن على أولاده الصغار قيّماً أميناً، إذا كان بقاؤهم بلا قيّم يسبب ضياع مالهم أو ضياعهم. يشترط فى الموصى أن يكون بالغاً و عاقلاً و أن تكون وصيّته عن إراده واختيـار. و كـذلك المفلَّس الـذى صـدر من قبـل الحـاكم الشـرعى حكم منعه من التصـرّف بأمواله، لاتُمضـى وصيّته، إلّاإذا تنازل الدائنون عن حقوقهم، و لكن تصحّ وصيّه الطفل الذى يبلغ عشر سنين و يميّز بين الحسن والقبيـح، إذا أوصـى بثلث تركته لأقـاربه أو لعمـل خير. وصـحّه وصيّه السـفيه فى ثلث مـاله لأـهله أو لأعمال الخير محل إشكال.

و يشترط فى الوصى أيضاً أن يكون عاقلاً وثقه، و على الأحوط وجوباً أن يكون بالغاً.

و إذا كـان الموصـى مسـلماً، و كـان العمـل بالوصـيه يوجب سـيطرته على الورثه، يجب أن يكون الوصـى مسـلماً. و إذا لم يكن يوجب سيطره فالأحوط وجوباً أن يكون الوصى مسلماً.

تصحّ وصيه المتوفى فى ثلث ماله، و أمّا ما زاد عن ذلك فيحتاج الزائد منه إلى إذن الورثه.

إذا أوصـى الإنسـان بإعطـاء شـىء معيّن إلى شـخص فالأحوط وجوباً انه يملك ذلك الشـىء فيما إذا قبله بعـد وفاه الموصـى، و كفايه القبول فى زمان حياه الموصى موضع إشكال.

الإرث

الإرث أحد طرق الحصول على المال، و موجبات الإرث ثلاثه أُمور:

١ - القرابه بالنسب، و هم ثلاث طبقات:

الطبقه الأُولى - أبو الميّت و أُمّه و أولاده، و مع عدم وجود الأولاد، فأولاد الأولاد و إن نزلوا، يرث منهم أيّهم أقرب إلى الميّت، و مادام يوجد شخص واحد من هذه الطبقه فلا ترث الطبقه الثانيه.

الطبقه الثانيه - الجدّ والجدّه للأب أو الأُم و إن علوا، والأخ والأُخت. و مع عدم وجود الأخ والأُخت، فأولادهم و إن نزلوا يرث منه أيّهم أقرب إلى الميّت. و مادام يوجد شخص واحد من هذه الطبقه فلا ترث الطبقه الثالثه.

الطبقه الثالثه - العمّ والعمّه والخال والخاله مهما علوا، و أولادهم مهما نزلوا، و مادام يوجد شخص واحد من أعمام الميّت و عمّاته و أخواله و خالاته فلا يرث أولادهم. أمّا إذا ورث الميّت عمّه لأبيه، و ابن عمّه لأبيه و أُمّه، و لم يكن له وارث غيرهما، فالذى يرثه هو ابن عمّه لأبيه و أُمّه، و لايرث عمّه لأبيه.

٢ - القُربى السببيون: وهم القُربى عن طريق الزواج، و به يتوارث الزوج والزوجه المتزوّجان بالزواج الدائم فيما بينهما، بالأقسام الثلاثه المذكوره آنفاً، و بأقسام الولاء وفقاً للترتيب المذكور فى الأحكام الشرعيّه.(١)

٣ - الولاء: و به يكون لأحدٍ نوع من الولايه على آخر - حين انعدام القرابه النسبيه فيرثه. و من أقسام الولاء «ضمان الجريره» و «الإمامه». فى ضمان الجريره يتعاقد شخص مع آخر على أن يضمن عنه ما يجنيه من جنايه توجب الديّه عليه. و إذا لم يكن للمسلم وارث مسلم، يرثه أمام المسلمين.

و قد ورد تفصيل أحكام الإرث و كيفيّتها فى الأحكام الشرعيّه.(٢)

١- راجع: الأحكام الشرعيّه، المسائل ٢٩٨٨-٢٩٩٨.

٢- راجع: المصدر السابق، المسائل ٢٩٤٤-٣٠٠٦.

و لابـد من الإشـاره إلى أنّ التفـاوت فى أحكـام الإرث بين المرأه والرجـل قـد شُـرّع اسـتناداً إلى نظام المسؤوليه الاقتصاديه فى الأُسـره، الـذى جعـل على عـاتق الرجـل مُهمّه النفقه؛ أى تـأمين متطلبـات العيش لنفسه و زوجته و أولاـده، بما فى ذلك المأكل والمشرب والمسكن، و نفقات التعليم والتربيه والصحّه، بينما لاتتحمّل المرأه أىَّ شىء من ذلك، و لا حتى نفقه نفسها، و هى فى الوقت ذاته تتمتع بالاستقلال المالى.

الغصب

لا يمكن سلب الملكيه الشرعيه من أحد، إلّابحكم الحاكم الشرعى فى محكمه صالحه.

و كـذلك فى الحالاـت التى تقتضـيها الضـروره و يوجبهـا حفـظ المصالـح العامّه - مثل شق الطرق - إذا كانت تسـتدعى سـلب الملكيه، يمكن عند ذاك سلبها مع دفع تعويض فورى و عادل عنها. و فى غير هذه الحاله لايجوز سلب الملكيّه؛ لأن مال المسلم حرام كحرمه دمه.(۱)

و على هذا لو تسلّط شخص على مال شخص آخر أو حقّه فهو غاصب. و هذا العمل من الكبائر التى إذا ارتكبها الشخص فله يوم القيامه عذاب شديد. فقد جاء عن النبى صلى الله عليه و آله و سلم أنه قال: من غصب شبراً من أرض جاره، جعل اللّه ذلك طوقاً فى عنقه من تخوم الأرض السابعه إلى أن يلقى اللّه مطوقّاً به يوم القيامه.(۲)

المحجور عليه

من لايحق له فى الشـرع التصـرّف بأمواله، و يتولّى الآخرون إداره شؤون حياته، يُسـمّى محجوراً عليه، و يشـمل هـذا العنوان كلاًّ من:

۱ - الصبى الذى لم يبلغ.

۲ - المجنون.

۱- الحرّ العاملى، وسائل الشيعه، الباب ۱۵۲ من أبواب أحكام العشره، ج ۱۲، ص ۲۸۱، الحديث ۹.

۲- المصدر السابق، الباب ۱ من أبواب كتاب الغصب، ج ۲۵، ص ۳۸۶، الحديث ۲.

۳ – السفیه؛ و هو من لایعرف ما ینفعه أو یضرّه فی الشؤون المالیه، و غالباً ما یصرف أمواله فی أعمال عبثیه.

۴ – المُفلَّس الذی صدر حکم إفلاسه من قبل الحاکم الشرعی.

أنواع المعاملات

تُسنّ فی الأعراف الاجتماعیه طرائق للمعاملات تتناسب مع متطلبات الإنسان. و تجوز هذه الطرائق إذا کانت متطابقه مع الشروط التی یقرّها الإسلام. و بعض أنواع هذه المعاملات والعقود لم تکن معروفه فی الماضی کالتأمین، و لکن لا إشکال فی المعاملات التی یقوم بها عقلاء کل زمان إذا لم تکن تتعارض مع المعاییر والأحکام الشرعیه العامّه، و تعتبر نافذه.

نستعرض فی ما یلی مجموعه من أنواع المعاملات:

۱ – البیع، أو البیع والشراء و هو مبادله عین السلعه بسلعه أُخری أو بِمال، من قبیل بیع الدار أو السیّاره و ما إلی ذلک. و فی معاملات (الصرافه) عباره عن مبادله نقدٍ بنقدٍ آخر.

و هکذا الحال فی مبادله الحقوق المالیه کحق التألیف، و حق الاختراع، و حق الاشتراک، و ما شابه ذلک.

۲ – الإجاره، و هی بیع منفعه شیء یدخل فی ملکه إلی شخص آخر لقاء عوض إجاره، علی أن یبقی أصله، نظیر وضع دارٍ تحت تصرّف طرف آخر لمدّه معیّنه لقاء مبلغ معیّن.

و یُسمّی صاحب المُلک مؤجِراً والمنتفع منه مستأجراً، والشیء المؤجر «متعلق الاجاره» والمبلغ الذی یدفع لقاء المنفعه «مال الإجاره».

۳ – الشِرْکه، و هی أن یشترک اثنان أو أکثر فی مال خاص أو دَیْن أو منفعه أو حق.

و تحصل الشرکه تاره بالاختیار و بعقد، و تأتی تاره أُخری من غیر اختیار، کشرکه شخصین أو أکثر فی إرث یرثونه.

۴ – الشفعه، إذا ما أراد أحد الشریکین بیع کلّ أو قسم من عِقار یعود له، یحق للشریک الآخر قلب المعامله لنفسه مع دفع القیمه النهائیه واستملاک ذلک السهم. ویُسمّی هذا بحق الشفعه، و لا شفعه لغیر المسلم علی المسلم.

۵ – الصلح، هو أن يتصالح شخص مع آخر على تمليكه مقداراً من ماله أو من منفعه ماله، أو يتنازل له عن دين أو حق له عليه، و يعطيه الآخر فی مقابل ذلک مقداراً من ماله أو منفعه ماله، أو يتنازل عن حق أو دين له عليه. بل الصلح صحيح أيضاً إذا لم يأخذ عوضاً و أعطی الآخر من ماله أو من منفعه ماله و قبل الشخص، و کذلک إذا تنازل الشخص بعنوان الصلح عن دين أو حق له عليه، و قبل ذلک الطرف.

۶ – المضاربه، عقد تجاری يتفق بموجبه صاحب المال مع العامل (و هو من يستثمر ذلک المال) على المشارکه فی الأرباح بنسبه مئويه. و يجب أن يکون طرفا المضاربه عاقلين و بالغين و أن يکون للمالک حق التصرف فی أمواله، و يستطيع العامل المتاجره بذلک المال واستثماره. و يجب أن يکون أصل رأس المال معلوماً و نقداً. والأرباح فيه تقسّم بينهما حسب السهم المشاع الذی اتّفقا عليه، والضرر فيه يقع على صاحب المال.

۷ – المزارعه، هی أن يعطی المالک أرضه إلی الزارع بقصد المزارعه، ليزرعها و يعطيه حصّهً مشاعهً من حاصلها.

۸ – المساقاه، إذا تعامل شخصان على أن يضع أحدهما الأشجار المثمره التی يملک ثمرها، أو التی يکون ثمرها تحت تصرّفه بيد الآخر ليقوم بتنميتها وسقيها، على أن يأخذ من الثمار حصّهً مشاعهً يتفقان عليها.

۹ – الجُعاله، هی أن يجعل الإنسان مقداراً معيّناً من المال و يلتزم بدفعه إلی شخص آخر مقابل عمل يؤدّيه له، فيقول مثلاً: من وجد ما ضاع منّی أدفع له کذا مبلغ، و يسمّی من يلتزم بذلک «جاعلاً» و من يقوم بذلک العمل «عاملاً» والفرق بين الجعاله والإجاره: أنّ الأجير فی الإجاره يجب عليه القيام بالعمل بعد إيقاع صيغه الإجاره، و أنّ من استأجره يکون مديناً له بالأُجره. أمّا فی الجعاله فللعامل أن لايقوم بالعمل، و ما لم يقم بالعمل، لايکون الجاعل مديناً له بشیء.

۱۰ – التأمين، اتّفاق وعقد بين المؤمَّن له والمؤسسه، أو الشرکه، أو الشخص الذی يقبل التأمين، و مفاده ضمان الشخص، أو المال بواسطه الشخص، أو الشرکه، أو المؤسسه التی تقبل التأمين فی مقابل عوض معين يدفعه المؤمّن له، و هو عقد مستقلّ ظاهراً.

۱۱ – الوکاله، هی أن یفوّض الإنسان العمل الـذی له حقّ التـدخّل فیه، إلی شـخص آخر للقیام به من قِبله. مثلاً، یوکّل أحـداً أن یبیع بیته.

۱۲ – القرض، إعطاء سلعه أو مال إلی شخص آخر علی أن یعید مثله أو قیمته إلیه فی مدّه معیّنه.

۱۳ – الرهن، هو أن یضع المدین مقداراً من ماله عند الدائن بعنوان الوثیقه، لیستوفی منه دینه إذا لم یدفعه المدین.

۱۴ – الحواله، إذا أحال المـدین دائنه لیسـتوفی دینه من شـخص آخر، و قبل الـدائن والشـخص الآخر؛ فإذا وقعت الحواله، یصـیر الشخص الآخر مدیناً، و لایجوز للدائن أن یطالب المدین الأول.

۱۵ – الضمان، و هو علی نوعین:

أ – ضـمان عقد، و هو ضمان یحصل بعقد معیّن علی نحو أن یضمن شخص آخر دفع دین المدین فی یوم معین. وهنا یُسمّی من یتکفّل بدفع الدّین ضامناً.

ب – ضـمان إلزامی، و هو ضـمان یحصل من غیر عقد خاص، مثل الحالات التی یسـتولی فیها شخص علی آخر أو علی أمواله و حقوقه المشروعه و یلحق بها ضرراً، یؤدّی إلی إتلافها أو زوالها، سواء أتلفها بنفسه أم أمر آخر بإتلافها.

۱۶ – الکفاله، أن یضـمن شخص تسلیم شخص المدین فی أی وقت یرید الدائن، و کذا إذا کان لشخص علی آخر حق أو ادّعاء حق یمکن قبول دعواه، و ضـمن إنسـان تسـلیم المـدّعی علیه فی أی وقت أراد صـاحب الحق أو المـدّعی. فهـذا العمـل یسـمّی «کفاله» ویُسمّی الضامن بهذا النحو «کفیلاً».

۱۷ – الأمانه، إذا أعطی شـخص ماله إلی أحـدٍ، و قال له: هـذا المال أمانه عندک من أجل حفظه، و أخذه ذلک الشـخص أیضـاً بقصد حفظه، صار ذلک أمانه، و یجب علیه العمل فیه بأحکام الأمانه.

۱۸ – العاریه، هی أن یعطی الإنسان ماله إلی شخص آخر لیستفید منه و لایأخذ منه عوض استفادته شیئاً.

۱۹ – الهبه، و هی تملیک شیء لشخص مجّاناً.

۲۰ – الوقف، و هو تحبیس ملک ثابت و إنفاق ریعه علی شخص أو أشخاص أو لعمل آخر، کأن یوقف أرضاً و یخصّص ریعها و منافعها لمسجد أو حسینیه أو مدرسه أو للفقراء.

ویُقال للعین التی تُحبس، «موقوفه» و یُسمّی الشخص الذی یوقفها «الواقف» وتُسمّی الجهه التی یُنفق علیها الریع «الموقوف علیه».

الأحکام العامّه للمعاملات

الشروط العامّه التی یجب توفّرها فی المعاملات والعقود هی:

۱ و ۲ – أن یکون طرفا المعامله بالغین و عاقلین.

۳ – البلوغ العقلی، و هو أن تکون لـدیهما معرفه بالحـدود المتعارفه للمعامله التی یقومان بها. و علی هذا الأساس، لاتصح معامله السفیه، و هو الذی یصرف ماله عبثاً، و یقوم بأعمال غیر عقلائیه فی نظر العرف.

۴ – أن لا یکونا مجبرین.

۵ – أن یکون لـدی الطرفین اطّلاـع تام علی الشـیء الـذی تجری علیه المعامله من حیث المقـدار والخصائص المهمه کالشـکل، واللون، و کیفیه التسلیم و ما شابه ذلک، بحیث لایبقی هناک لدی أی منهما غموض یؤدّی إلی الاختلاف لاحقاً.

۶ – أن لایکون الحاکم الشرعی قد منع أحدهما أو کلیهما من التصرّف فی أمواله.

۷ – أن یکونا مالکین للسلعه و عوضها، أو یکون بیدهما التصرّف فی المال کأب الصغیر، وجدّه، والوکیل فی المعاملات.

۸ – أن یتحقّق عندهما قصد المعامله.

أنواع البیع

یحصل البیع والشراء بواحد من الطرق التالیه:

أ – البیع النقدی، المعامله النقدیه هی ما لایُشترط فیها مدّه فی تسلیم البضاعه و عوضها.

ب – النسیئه، معامله النسیئه هی أن یسلّم البائع البضاعه للمشتری، و لکن یتّفقان علی أن یسلّم المشتری ثمنها إلی البائع فی وقت آخر. و یجب فی هذا النوع من المعامله، أن تعیّن المدّه بشکل کامل.

ج – السَلَف، بیع السلف هو أن یدفع المشتری ثمن البضاعه عند المعامله، وتبقی فی ذمّه البائع علی أن یتسلّم المشتری البضاعه بعد مدّه فی زمان معیّن.

موارد فسخ المعامله

یُسمّی حق فسخ المعامله، الخیار. و یحق للبائع أو المشتری فی الموارد التالیه أن یفسخ المعامله:

۱ – خیار المجلس، إذا لم یفترقا من مجلس البیع.

۲ – خیار الغبن، أن یکون مغبوناً. فیحقّ للمغبون أن یفسخ أصل المعامله، أو یرضی بها بالقیمه التی عُیّنت البضاعه بها، و لایحق له إجبار الطرف الآخر علی دفع تفاوت القیمه، و لکن لا مانع منه برضی الطرفین.

۳ – خیار الشرط، أن یشترط فی المعامله حق الفسخ لأحدهما أو لکلٍّ مِنهما إلی مدّه معیّنه.

۴ – خیار التدلیس، إذا عرض البائع أو المشتری سلعته بأحسن ممّا هی، و عمل بنحو یزید قیمتها المالیّه فی نظر الناس.

۵ – خیار تخلف الشرط، إذا اشترط البائع أو المشتری القیام بعمل، أو أن یکون المال الذی یعطیه بنحو خاص، و لم یعمل بالشرط، فیحقّ للطرف الآخر أن یفسخ المعامله.

۶ – خیار العیب، أن یوجد عیب فی السلعه أو ثمنها.

۷ – خیار تبعّض الصفقه، إذا تبیّن أنّ مقدار من السلعه المباعه ملک لشخص آخر، و لم یرض بوقوع المعامله، فیحقّ للمشتری أن یفسخ أصل المعامله، أو یأخذ ثمن ذلک المقدار من البائع. و کذلک إذا تبیّن أنّ مقداراً من الثمن المتّفق علیه ملک لشخص آخر، و لم یرض صاحبه، فیحقّ للبائع أن یفسخ أصل المعامله، أو یأخذ عوض ذلک المقدار من المشتری.

۸ – خیار الرؤیه، إذا أخبر البائع المشتری بخصوصیّات السلعه المعیّنه التی لم یرها المشتری، ثمّ تبیّن بعد ذلک أنّها لم تکن کما قال، فیحقّ للمشتری فی هذه الصوره أن یفسخ المعامله. و کذلک الأمر أیضاً إذا أخبره المشتری بخصوصیّات العوض المعیّن، ثمّ تبیّن بعد ذلک أنّه لم یکن کما قال، فیحقّ للبائع أن یفسخ المعامله.

۹ – خیار التأخیر، أن لایدفع المشتری الثمن الذی اتّفقا علی دفعه نقداً إلی ثلاثه أیام، و لم یدفع البائع السّلعه أیضاً فإذا لم یشترط المشتری تأخیر الثمن، و کذلک لم یشترط تأخیر دفع الثمن، فیحقّ للبائع أن یفسخ المعامله. و إذا کانت السلعه المشتراه مثل بعض الفواکه التی تفسد إذا بقیت لمدّه یوم، و لم یدفع ثمنها حتّی اللیل، و لم یشترط تأخیر دفع الثمن، و لم یشترط أیضاً تأخیر دفع المثمن، فیحقّ للبائع أن یفسخ المعامله.

۱۰ – خیار الحیوان، إذا اشتری حیواناً فیحقّ للمشتری أن یفسخ المعامله حتّی ثلاثه أیّام.

۱۱ – خیار تعذّر التسلیم، أن یتعذّر علی البائع تسلیم المبیع. کأن یفرّ الفرس الذی باعه. ففی هذه الصوره یحقّ للمشتری أن یفسخ المعامله.

آداب البیع والشراء

یُستحب للبائع ان لایمیّز بین المشترین فی قیمه السلع، و أن لایتشدد فی السِّعر، و إذا ندم المشتری و طلب فسخ المعامله أن یقبل منه. روی عن الإمام الصادق علیه السلام أنه قال: ایّما عبد اقال مسلماً ندامه فی بیع، أقال اللّه عثرته یوم القیامه.(۱)

و من الأُمور التی تذکر فی المعامله کراهه القسم و إن کان صادقاً، و إذا کان کاذباً فهو حرام.

الاحتکار والتسعیر

من الأعمال الخاطئه احتکار السلعه التی یحتاجها الناس حتی یرتفع سعرها، بحیث یواجه الناس شدّه وضنکاً بسبب هذا العمل. سواء کان ذلک بقصد الإضرار بهم أم بعدم القصد.

۱– الحرّ العاملی، وسائل الشیعه، الباب ۳ من أبواب آداب التجاره، ج ۱۷، ص ۳۸۶، الحدیث ۲.

ذمّت الأحاديث الشريفه الاحتكار والمحتكر، و وصفت المحتكر بالملعون والخاطىء والخائن، و ذهبت بعض الأحاديث إلى حدّ وصفه بالقاتل. والمحتكر كما قالت بعض الأحاديث ملعون و محروم من نِعمه اللّه.(۱)

و على الحكومه الصالحه أن تمنع الاحتكار، و لكن لصاحب السلعه حريّه البيع بالسعر الذى يشاء. و قد امتنع رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم عن تقويم أو تسعير السلع المحتكره، و لما طلبوا إليه أن يأمر بتسعير السلع غضب و قال: ذلك إلى اللّه يرفع السعر إذا شاء و يخّفضه إذا شاء.(۲)

والحقيقه هى إنّ معادله العرض والطلب كفيله بحلّ المشكله، و لكن على أيه حال لو تواطأ الباعه و أجحفوا فى الأسعار فعلى الحكومه الصالحه أن تمنع الإجحاف بالمقدار اللازم، و تعيّن سعراً متوازناً يضمن مصلحه الطرفين.

المعاملات الباطله

تبطل المعاملات فى الموارد التاليه:

۱ – شراء و بيع الأعيان النجسه لمنفعه محرّمه كالسكر، و لكن شراء و بيع ما فيه منفعه حلال كالدم للتزريق فحلال.

۲ – شراء و بيع المال المستحصل عن طريق غير مشروع كالمال المغصوب أو المال الذى يأتى عن طريق السرقه أو القمار أو المعاملات الباطله.

۳ – شراء و بيع الأشياء التى ليست مالاً و لا قيمه لها أو تكون منافعها فى العمل الحرام فقط كأدوات اللهو واللعب، حيث يستفاد منها فى الحرام فقط.

۴ – الشراء والبيع الذى فيه غش. و «الغش» هو مزج بضاعه غير مرغوبه ببضاعه مرغوبه بحيث لايمكن تمييزها. روى عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم انه قال: «من غشَّ أخاه المسلم نزع اللّه بركه رزقه و أفسد عليه معيشته، و وكله إلى نفسه».(۳)

۵ – المعامله التى فيها ربا.

۱– المصدر السابق، الباب ۲۷ من أبواب آداب التجاره، ج ۱۷، ص ۴۲۳–۴۲۷.

۲– – المصدر السابق، الباب ۳۰، ج ۱۷، ص ۴۳۰، الحديث ۱.

۳– المصدر السابق، الباب ۸۶ من أبواب «ما يكتسب به»، الحديث ۱۱.

الأعمال المحرّمه

من جمله الأعمـال المحرّمه التی یجنی أصـحابها المـال بواسـطتها! السـرقه، والربـا، والرشوه، والمال المسـتحصل عن طریق الغناء المحرّم، و مدح وتقویه الظالم، و بیع الخمور، والسِّحر، والکهانه، والتنجیم، إذا کان یُنسَب فیه التأثیر لغیر اللّه، والشعبذه إذا کانت تُظهر الحق باطلاً والباطل حقاً، والشخص الذی یحصل علی مال من هذه الطرق یحرم علیه التصرف فیه و هو ضامن له.

النقد

قبـل ان تتسع الحیـاه الاجتمـاعیه و حینمـا لم یکن هنـاک تقسـیم للعمـل والاختصاصات وتطوّر فی الاتصالات والعلاقات، کانت حاجات الناس بـدائیه و بسـیطه و یمکن تلبیتها بکل سـهوله عن طریق المقایضه (و هی عملیه تبادل سـلعه مُنتجه بأخری)، و لکن فی اعقاب التطوّر الصـناعی والتنمیه الاقتصادیه و تنوّع السلع و تشعّب العلاقات، أخذ تبادل السلع یتعقد و یواجه مشاکل کثیره. و لهـذا صار لابد من اتّخاذ النقد وسـیله لتبادل السـلع و تعیین قیمتها. و قد أدّی هذا العمل إلی تذلیل الکثیر من الصـعوبات و لکنه أدّی فی الـوقت ذاته إلی خلـق مشاکـل جدیـده من أهمهمـا أن النقـد فقـد دوره الأساسـی وخرج من کـونه وسـیله و غـدا یتخذ موضوعـاً للمعامله علی نحو مسـتقل. و هکـذا صار الأفراد یتخـذون النقـد طریقاً لکسب الثروه و هـذه الطریقه بالنسـبه إلیهم أکثر اطمئنانـاً من الانتـاج والعمـل والجهـد والمخـاطره. فصاروا یقرضون الآخرین مالاً و یطالبونهم بأرباح ثابته ازاء ذلک. و هـذا طبعاً یؤدّی إلی زیـاده ثرواتهم یومـاً بعـد آخر، و ان کان یؤدّی من جهه أخری إلی سـحق جماعه آخرین. و هکـذا فقـد أفضـی هـذا العمـل إلی ظهور نوع آخر من الربـا، و أحـدَثَ اضـطراباً فی المعاملات الاقتصـادیه وسـاهم فی تفـاقم الفوارق الطبقیه بین أبنـاء المجتمع. و علی هذا المنوال غدا النقد عاملاً من عوامل الفساد الاقتصادی والاجتماعی.

القَرض الحسَن

الإقراض من المستحبات التی وردت تأکیدات کثیره علیها فی آیات القرآن الکریم و فی أحادیث المعصومین علیهم السلام. قال تعالی فی کتابه الکریم (مَنْ ذَا الَّذِی یُقْرِضُ اللّهَ قَرْضاً حَسَناً فَیُضاعِفَهُ لَهُ أَضْعافاً کَثِیرَهً) . (۱) و قال النبی صلی الله علیه و آله و سلم: من أقرض مؤمناً قرضاً ینظر به میسوره، کان ماله فی زکاه، والملائکه تصلّی علیه حتی یؤدّیه.(۲)

و قال أیضاً فی حدیث آخر: ألف درهم أُقرضها مرّتین أحبُّ إلیَّ من أن أتصدّق بها مرّه.(۳)

والمقترض مَدین طبعاً بذلک المبلغ لا أکثر، و لکن بما أن التضخم الاقتصادی یؤدی أحیاناً إلی إیجاد فارق واسع بین القدره الشرائیه للمبلغ حین الإقراض و حین الإعاده. ففی هذه الحاله یکون دفع المبلغ نفسه موضع إشکال، والأحوط أن یتصالح الطرفان.

الربا

من أقبح الممارسات الاقتصادیه هی المعاملات الربویه التی تعدُّ فی الواقع من أظلم و أبشع أنواع الاستثمار. والإسلام یحرّم الربا، و یذمّ المرابین بشدّه.

أُعلنت حرمه الربا فی آیات القرآن الکریم علی عدّه مراحل - تدرّجت من اللین إلی الشدّه - ففی المرحله الأولی بیّنت أن زیاده الثروه بالربا لایکون مدعاه للزیاده عند اللّه:

(وَ ما آتَیْتُمْ مِنْ رِباً لِیَرْبُوَا فِی أَمْوالِ النّاسِ فَلا یَرْبُوا عِنْدَ اللّهِ) .(۴)

و فی مرحله أُخری ذمّت المرابین الیهود، لأنهم لایلتزمون بما نُهوا عنه فی دینهم:

(وَ أَخْذِهِمُ الرِّبَوا وَ قَدْ نُهُوا عَنْهُ وَ أَکْلِهِمْ أَمْوالَ النّاسِ بِالْباطِلِ وَ أَعْتَدْنا لِلْکافِرِینَ مِنْهُمْ

۱- - سوره البقره (۲)، الآیه ۲۴۵.

۲- الحرّ العاملی، وسائل الشیعه، الباب ۶ من أبواب الدَین والقرض، ج ۱۸، ص ۳۳۰، الحدیث ۳.

۳- المصدر السابق، الباب ۸، ص ۳۳۴، الحدیث ۵.

۴- سوره الروم (۳۰)، الآیه ۳۹.

عَذاباً أَلِيماً) . (۱) و نهت آیه أخری عن الربا المضاعف، و هو عباره عن إضافه الربا الناجم عن عدم الدفع فی وقته المقرر إلی أصل المبلغ، واحتساب الربا علی المبلغ کلّه: (یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لا تَأْکُلُوا الرِّبَوا أَضْعافاً مُضاعَفَهً) . (۲) و أخیراً حرّمت الربا بشدّه و بیّنت و أنذرت المؤمنین بحرب من اللّه و رسوله إذا لم یترکوا ما بقی من الربا فی أعناقهم، و أوضحت لهم أنّهم إذا تابوا فلهم رؤوس أموالهم: (یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّهَ وَ ذَرُوا ما بَقِیَ مِنَ الرِّبا إِنْ کُنْتُمْ مُؤْمِنِینَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللّهِ وَ رَسُولِهِ وَ إِنْ تُبْتُمْ فَلَکُمْ رُؤُسُ أَمْوالِکُمْ لا تَظْلِمُونَ وَ لا تُظْلَمُونَ) .(۳)

و أعلنت الأحادیث أن «درهم ربا أشدّ من سبعین زنیه کلها بذات محرم».(۴)

علی المسلم أن یتّجه نحو القَرض الحسَن لِما فیه من الخیر والبرکه والرحمه، بدلاً من الربا و ما یترتّب علیه من تکدیس للثروه بلا کد و لا تعب، و ما ینتجه ذلک من تأثیرات مدمّره علی الاقتصاد.

المعامله والربا

اشاره

بعدما نزلت آیات تحریم الربا، أخذ المرابون یتساءلون: ما الفرق بین الربح الحاصل من الربا والربح الحاصل من البیع والشراء: (ذلِکَ بِأَنَّهُمْ قالُوا إِنَّمَا الْبَیْعُ مِثْلُ الرِّبا) . (۵) و جاء جواب القرآن تأکیداً لِما سبق: (وَ أَحَلَّ اللّهُ الْبَیْعَ وَ حَرَّمَ الرِّبا) . (۶) والفرق واضح طبعاً، و هو أن البیع فیه خدمه یحتاجها المجتمع و هی عباره عن عملیه توزیع للسلع، بینما الربا و ما ینتج عنه من أرباح کبیره وتکدیس للثروات یُخلّ بالوضع الاقتصادی. و فضلاً عن ذلک فإن المعاملات خاضعه للعرض والطلب، و هی بالنتیجه لیست ذات ربح ثابت، بل تتوقف أرباحها علی مدی الجهد والمعرفه بالشؤون الاقتصادیه، بینما یؤدّی الربا بسبب ما فیه من

۱- – سوره النساء (۴)، الآیه ۱۶۱.

۲- – سوره آل عمران (۳)، الآیه ۱۳۰.

۳- سوره البقره (۲)، الآیتان ۲۷۸-۲۷۹.

۴- – الحرّ العاملی، وسائل الشیعه، الباب ۱ من أبواب الربا، ج ۱۸، ص ۱۱۷، الحدیث ۱.

۵- – سوره البقره (۲)، الآیه ۲۷۵.

۶- – سوره البقره (۲)، الآیه ۲۷۵.

أربـاح ثـابته إلى إلحاق الضـرر الكبير بالمقترضـين. والربا بطبيعته معادله تراكميه تـدفع الفقراء نحو مزيـد من الفقر، و بأصـحاب الثروه نحو مزيـد من الثراء من غير أن يحملوا أيه هواجس أو هموم إزاء مـا يصـيب السوق من تضـخُّم و بطـاله و... والربا بطبيعته يؤدّى إلى إفقار مئات الأشخاص خلال عدّه سنوات، وتكديس أموالهم فى يد شخص واحد.

أنواع الربا

الربا على نوعين:

أ – الربا المعاملى، و هو ما يكون فى المعاملات، و هو بيع أحـد المثلين مما يُكال و يوزن بالآخر مع زياده فى أحـدهما. والزياده إما أن تكون عينيه كبيع مئه كيلو حنطه بمئه و عشـرين كيلو حنطه، أو بيع مئه كيلو حنطه بمئه كيلو حنطه و دينار، أو بيع عشـرين كيلو حنطه نقداً بعشرين كيلو حنطه نسيئاً، و فى كل هذه الموارد تُعتبر المعامله ربويه و هى باطله.

ب – الربا القرضـى، و هو أن يشترط المُقرِض على المُقتَرِض مبلغاً زائداً على ما اقترضه، أو يضـيف إليه مقداراً من سـلعه أُخرى، أو يقوم له بعمـل أو أن يعيـد له المبلغ بكيفيه خـاصه ذات قيمه مـاليه، و لكن لا إشـكال لو دفع المقترض أكثر من المبلغ بإرادته ورغبته دون أن يشترط عليه المُقرِض ذلك، بل تُستحب مثل هذه الزياده.

والربا القرضى لايحلّ أبداً، والحيل الشرعيه الوارده فى بعض الكتب لتحليله غير جائزه، و ما يؤخذ فيه من زياده حرام.

المصارف

فى أعقـاب رواج النقـد والعمله والنشـاط التجـارى، بـات إنشاء المصارف ضـروره من ضـروريات الحياه الاجتماعيه. فالمصارف تقـدّم للناس خـدمات شتّى، و تتلقى فى مقابلها أُجوراً، و تـدخل فى المعاملات التجاريه كالمضاربه، و تـدفع للإيـداعات أرباحاً على الحسـاب، غير أن هـذه الأربـاح لايـمكن أن تكـون ثـابته. و من جهه أُخرى إذا كـانت عقود المصـارف ذات طـابع صورى فحسب و بهدف التهرّب من الربا، ففى ذلك إشكال.

الكُمبِياله (السند)

الكُمبِياله نوع من السندات والحوالات و هى على قسمين:

أ – السندات الحقيقيه، و هى ما يقدّمه المدين إلى الدائن مقابل دَيْنه.

ب – سندات الصداقه، و هى التى يدفعها الأصدقاء لبعضهم دون أن يكون من يعطيها مديناً لصاحبه.

يجب أن يكون التعامل مع شخص آخر بالسندات الحقيقيه التى يأخذها من المدين بنحو لايستلزم الربا، كأن يقترض مبلغاً من شخص آخر أو من مصرف و يوكّله بتحصيل السند، و بعد تحصيله يأخذ ما أقرضه لصاحبه و يأخذ الباقى كعموله، بشرط أن يكون بمقدار العموله المتعارفه، و لا يراد به الفرار من الربا. و إذا لم يعمل على هذا النحو، واقترض من شخص ثالث مبلغاً، و دفع له السند على أن يأخذ ذلك الشخص حين الموعد أكثر من قرضه، فهو ربا و حرام. و إذا باع مبلغ السند إلى شخص آخر بمبلغ أقل، فصحّته موضع إشكال.

التكاليف الماليه

اشاره

يمكن من خلال نظره بسيطه إدراك مدى الفوارق بين الدخل الفردى الناس. و هذه الأنواع من التفاوت تعود لأسباب وعوامل متعدده، يعزى بعضها إلى ممارسات و ظلم الحُكّام و أصحاب الثروات. فالغصب، والاحتكار، والتطاول على بيت المال و ما إلى ذلك، تؤدى عاده إلى ذهاب حقوق بعض أفراد المجتمع إلى جيوب عدد قليل من الناس، و هو ما ينتهى بالنتيجه إلى ظهور فوارق هائله بين أفراد المجتمع. قال تعالى مذكّراً بنعمه: (وَ آتاكُمْ مِنْ كُلِّ ما سَأَلْتُمُوهُ وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللّهِ لا تُحْصُوها إِنَّ الْإِنْسانَ لَظَلُومٌ كَفّارٌ) .(۱)

والظاهر ان المراد هو أن ما تقتضيه طبيعتكم و خلقتكم قد خلق لكم، و ان نعم اللّه لاتحصى.

والسؤال الذى يتبادر إلى الأذهان هنا هو: إذاً لماذا كل هذا الفقر والعوز؟ و قد جاءت الجمله

۱- – سوره ابراهيم (۱۴)، الآيه ۳۴.

الأخیره جواباً عن هذا السؤال: و هو أن هذا النقص والعوز جاء بسبب ظلم الظالمین الذین یعتدون علی أموال و حقوق الآخرین. قال أمیرالمؤمنین علیه السلام: «فما جاعَ فَقیرٌ إلّا بِما مُتِّعَ بِهِ غِنیٌّ».(۱)

فهناک جماعه یحصلون علی أموال طائله من غیر تعب، و یتمتعون بکل مستلزمات الرفاه. و فی المقابل یؤدّی کسل بعض الناس إلی عجزهم اقتصادیاً و هو ما ینتهی بالنتیجه إلی ظهور فوارق طبقیه هائله. ان الظلم والکسل یؤدّیان إلی الاختلافات الاقتصادیه بین الناس. و هذه الأمور لایقرّها الدّین و ینبغی أن لاتوضع فی دائره القضاء والقدر. و ینبغی طبعاً السعی لإقامه العداله تلافیاً للتعدی والتمییز، هذا من جهه، و یتعیّن من جهه أخری ان یسعی کل فرد لتوفیر رفاه نسبی لأسرته من خلال السعی والکد.

و خلافاً للحالتین السابقتین اللتین تأتیان نتیجه للعلاقات الظالمه و طبیعه السلوک الفردی، هناک حاله أخری تقوم علی أساس الخلقه واستعداد الإنسان. فبعض الناس یخلقون عاجزین أو مصابین بعاهات، و آخرون یصابون بعاهات بسبب حوادث وسوانح طبیعیه. و من جانب آخر هناک من الناس من یتمتع بدرجه ذکاء فائقه، وجسم قوی، ولدیه خلّاقیه، أو حاز مقدره عالیه علی أثر الدراسه وارتقاء المستوی العلمی. و من الطبیعی أن کل من یحظی بقوّه أکثر تکون لدیه مقدره أعلی علی الاستفاده من الإمکانات والنعم الطبیعیه. و أما العاجز فلدیه فرصه أقل للاستفاده من المصادر الطبیعیه.

و علی أیه حال فالناس مختلفون فی مدی قدرتهم علی الحصول علی المال والمقدّرات الأُخری. و قد أقر الإسلام هذا التفاوت الطبیعی. و لکی لایکون هذا العامل مدعاه للتمایز بین الناس، و لکی لایعیش الأثریاء فی رغد و رفاه و یعیش آخرون فی فقر مدقع، فقد فرض علی الأثریاء مجموعه من التکالیف إزاء الفقراء و أوصاهم بهم خیراً بهدف إزاله الفوارق الاجتماعیه والاقتصادیه، حتی أنه ورد حدیث عن النبی صلی الله علیه و آله و سلم قال فیه: من سمع رجلًا ینادی یاللمسلمین فلم یجبه فلیس بمسلم.(۲)

والتکالیف الدینیه فی هذا المجال کثیره، نذکر منها فی ما یلی مجموعه من التکالیف الماليه:

۱- الشریف الرضی، نهج البلاغه، الحکمه ۳۲۸، ص ۵۳۳.

۲- الحرّ العاملی، وسائل الشیعه، الباب ۵۹ من أبواب جهاد العدو، ج ۱۵، ص ۱۴۱، الحدیث ۱.

۱ – الإنفاق

من أكثر المواضيع التى تحدّث عنها القرآن فى ما يخص الفرائض الاقتصاديه هو موضوع الإنفاق. فقد وردت هذه الكلمه فى القرآن الكريم أكثر من ثمانين مرّه بتعبيرات مختلفه، و هى تحث المسلمين على إعطاء الآخرين قسماً مما أعطاهم اللّه.

المالك الحقيقى – حسب الرؤيه الإسلاميه – هو اللّه كما يقول: (وَ آتُوهُمْ مِنْ مالِ اللّهِ الَّذِى آتاكُمْ) ، (۱) و قال أيضاً: (... وَ مِمّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ) ، (۲) و هو يحضّ المؤمنين على الإنفاق قبل أن يأتى يوم لاـتنفعهم فيه الأموال. (وَ أَنْفِقُوا مِنْ ما رَزَقْناكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ) . (۳) و قال تعالى: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّباتِ ما كَسَبْتُمْ وَ مِمّا أَخْرَجْنا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَ لاـ تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَ لَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلاّ أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ * اَلشَّيْطانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَ يَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشاءِ وَ اللّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَهً مِنْهُ وَ فَضْلاً) . (۴) فهو تعالى قد جعل فى أموال الأغنياء حقّاً للسائل والمحروم.(۵) و هذا الحق ينطبق على الصدقات والزكاه الواجبه والمستحبّه التى وردت فى بحث الزكاه و شروطها و كيفيه جمعها. جاء فى الحديث «لقد فرض اللّه للفقراء فى أموال الأغنياء ما يكتفون به و إنّما يؤتى الفُقراء مِن مَنْعِ مَنْ مَنَعَهم حقوقهم».(۶) و على أيه حال فإن كثره الثروه إذا لم يرافقها إنفاق، تؤدّى إلى انحراف اقتصادى. و فى هذه الحاله تصبح محرّمه.

۲ – النهى عن تكديس الثروه

فُرض على المسلم أن لاـيحرص على تكديس الثروه. قال تعالى: (وَ الَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَ الْفِضَّهَ وَ لا يُنْفِقُونَها فِى سَبِيلِ اللّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمى عَلَيْها فِى

۱– – سوره النور (۲۴)، الآيه ۳۳.

۲– سوره البقره (۲)، الآيه ۳.

۳– – سوره المنافقون (۶۳)، الآيه ۱۰.

۴– – سوره البقره (۲)، الآيتان ۲۶۷–۲۶۸.

۵– – سوره المعارج (۷۰)، الآيتان ۲۴–۲۵.

۶– – الحر العاملى، وسائل الشيعه، الباب ۱ من أبواب ما تجب فيه الزكاه، ج ۹، ص ۹ إلى ۱۳، الحديث ۲ و ۳ و ۶ و ۹.

نارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوى بِها جِباهُهُمْ وَ جُنُوبُهُمْ وَ ظُهُورُهُمْ هذا ما كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا ما كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ) .(۱)

والكنز: جعل المال بعضه على بعض و حفظه.(۲) و هـذا مما نهت عنه التعاليم الدينيه، و توجّهت بشديد الذم لمكتنزى الأموال و مكدّسـى الثروات. قال الإمام الصادق عليه السـلام: لقـد أعطاكم اللّه هـذه الأموال لتنفقوها حيث أراد لالتكنزوها.(۳) و على أيه حـال فـإنَّ العله فى النهى عن اكتنـاز الثروه هو إنّ هـذا العمـل يؤدّى إلى تكـديس الثروه فى موضع واحـد و حرمـان الآخرين، و يمهّد لأعمال محرّمه مثل الربا، و هو ما ينتهى فى ختام الأمر إلى الطغيان والتمرّد على اللّه.

۳ – إيتاء الزكاه

اشاره

مِن التكاليف الماليه الأُخرى المفروضه على الأثرياء من أجل سـدّ النواقص الاقتصاديه فى المجتمع، هو إيتاء الزكاه. و قد اقترنت فى القرآن والأحاديث الزكاه بالصـلاه. و حسب الرؤيه الإسـلاميه تُسـد النواقص والمتطلّبات الأساسيه للمجتمع بالزكاه كما كان الحال فى زمان حكومه النبىّ صـلى الله عليه و آله و سـلم، و حكومه الإمام على عليه السـلام. والأشـياء التسعه التى تشملها الزكاه كانت هى الثروه المهمّه لدى الناس يومذاك.

هناك روايات كثيره حول أهميه الزكاه والتأكيد على دفعها، منها قول الإمام جعفر الصادق عليه السلام: حصّنوا أموالكم بالزكاه، و داووا مرضـاكم بالصـدقه، فمـا تلف مـال فى برّ أو بحر إلّا بمنع الزكاه.(۴) فالزكـاه فى الحقيقه ضـمانه للمال مثلما زكاه الفطره ضمانه للعمر.

واستناداً إلى المشهور تجب الزكاه فى تسعه أشياء: الحنطه، والشعير، والتمر، والزبيب، والذهب، والفضه، والإبل، والبقر والغنم.

۱- سوره التوبه (۹)، الآيتان ۳۴-۳۵.

۲- – الراغب الأصفهانى، مفردات ألفاظ القرآن، ص ۷۲۷.

۳- – الكُلينى، الكافى، ج ۴، ص ۳۲، الحديث ۵.

۴- الحرّ العاملى، وسائل الشيعه، الباب ۳ من أبواب ما تجب فيه الزكاه، ج ۹، ص ۲۴ و ۲۵، الحديث ۸.

فإذا ملَکَ شخصٌ واحداً من هذه الأشياء التسعه، و کان بالغاً و عاقلاً و يستطيع التصرّف فی ذلک المال، و بلغ ذلک المال مقدار النصاب، تجب عليه الزکاه.

و إذا ملک الإنسان البقر والغنم والإبل والذهب والفضه أحد عشر شهراً يُعطی زکاتها.

والأحوط أن تُعطی زکاه السُّلت (و هو نوع من الحبوب له نعومه الحنطه، و خاصيّه الشعير)، وزکاه العَلَس (و هو مثل الحنطه)، و کذلک زکاه الرُز والذره «و سائر الغلّات» وفقاً لشروط الحنطه والشعير. بل ربّما يمکن القول: إنّ موضوع الزکاه أوسع من الموارد المذکوره، و يمکن للحاکم الإسلامی فرض الزکاه علی أموال الناس وفقاً للحاجه والثروه العامّه، و بالنتيجه تؤخذ الضرائب کزکاه واجبه.

مصرف الزکاه

يمکن إنفاق الزکاه فی الموارد التاليه:

١ – الفقير، و هو من لايملک مؤونه سنه له و لعياله. و من کانت لديه صنعه أو ملک أو رأس مال يمکنه أن يحصل منها علی مؤونه سنته، فليس بفقير.

٢ – المسکين، و هو أسوأ حالاً من الفقير.

٣ – العامل عليها و هو المنصوب لجمع الزکاه و حفظها و حسابها.

۴ – المؤلّفه قلوبهم، وهم الکفّار الذين إذا أُعطوا الزکاه يميلون إلی دين الإسلام، أو يساعدون المسلمين فی الحرب. و کذلک المسلمون ضعاف الإيمان، الذين إذا استميلوا بواسطه الزکاه يقوی إيمانهم.

۵ – فی الرقاب، أی فی شراء العبيد و تحريرهم.

۶ – الغارم، و هو المدين الذی لايستطيع وفاء دينه. و بشرط أن لايکون الدّين قد صرف فی معصيه.

٧ – فی سبيل اللّه، أی الأعمال ذات المنفعه الدينيه العامّه، مثل بناء المساجد والمدارس أو مثل إنشاء الجسور و إصلاح الطرق....

٨ – ابن السبيل، و هو المسافر المنقطع فی سفره، و إن کان غنياً فی بلده.

زکاه الفطره

زکاه الفطره زکاه واجبه فی کل سنه علی کل مکلّف جامع للشرائط؛ و هی تصرف علی الفقراء والمساکین فی المجتمع. و زکاه الفطره تحفظ الإنسان من الموت المفاجیء فی ذلک العام.

و جاء فی الروایات أنَّ مِن تمام الصوم إعطاء الزکاه، مثلما أن الصلاه علی النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم من تمام الصلاه.(۱)

من کـان عنـد غروب لیله عیـد الفطر بالغـاً، و عاقلاً، و لیس مغمیً علیه، و لا فقیراً، یجب علیه أن یُعطی عن نفسه، وعمّن یعولهم إلی المستحق، عن کل واحـدٍ منهم صاعاً واحداً، و هو ما یُعادل تقریباً ثلاث کیلوات من الحنطه أو الشعیر أو التمر أو الزبیب أو الرز أو الـذره و أمثالها، بقصـد زکاه الفطره. والأحوط أن یـدفع الفطره من القوت المتعارف فی بلده. و إذا أعطی ثمن أحد هذه الأشیاء کفاه ذلک.

۴ – الخمس

اشاره

الخمس واحـد من خمسه من الـدخل والأرباح التی تأتی من طرق متعـدده، و یجب أن تُنفق فی زمان غیبه إمام الزمان (عج) فی مصارف معیّنه فی الشـرع تحت إشـراف المجتهـد الأعلم والجامع للشـرائط. والحقیقه هی أن الخمس میزانیه، تُلبّی فیها الحاجات والمتطلّبـات المشـروعه للفقراء من السـادات فی زمـان غیبه إمـام الزمـان (عـج)، و إضافه إلی ذلک تضع الرکائز العلمیه والعملیه لحکومه الحق القائمه علی المذهب الجعفری. و لهذا فقد ورد فی بعض الروایات ذکر الخمس بعنوان «حق الإماره».

و جـاء فی الأحـادیث تأکیـد وافر علی دفع الخمس، و من ذلـک مـا جـاء فی روایه أنّ الإمام الرضا علیه السـلام کتب فی جواب رسـاله بعثهـا إلیه أحـد التجـار یسـأله الإذن فی الخمس:... إنَّ الخمس عوننا علی دیننا، و علی عیالاتنا و علی أموالنا و ما نبـذله و نشتری من أعراضنا

۱- المصدر السابق، الباب ۱ من أبواب زکاه الفطره، ج ۹، ص ۳۱۸، الحدیث ۵.

ممّن نخاف سطوته فلا تزووه عنا، و لاتحرموا أنفسكم دعاءنا ما قدرتم عليه فإنّ إخراجه مفتاح رزقكم، و تمحيص ذنوبكم و ما تمهدون لأنفسكم ليوم فاقتكم، والمسلم من يفى للّه بما عهد إليه، و ليس المسلم من أجاب باللِّسان و خالف بالقلب.(۱) و قال الإمام الباقر عليه السلام:

من اشترى شيئاً من الخمس لم يعذره اللّه، اشترى ما لايحل له.(۲)

على كل مسلم إخراج الخمس بما يتعلق به الخمس من أمواله. و كل تصرّف فى ذلك المال حرام و لاتصحّ الصلاه فيه.

و هذا الواجب و إن كان لسدّ النواقص والمتطلّبات، و لكنَّه فى الوقت نفسه واجب عبادى و يجب أداؤه بقصد القربه.

و يجب الخمس فى سبعه أشياء: أرباح المكاسب، المعدن، الكنز، المال الحلال المختلط بالحرام، الجواهر التى تُستخرج بالغوص، غنائم الحرب، والأرض التى يشتريها الكافر الذمِّى من المسلم.(۳)

مصرف الخمس

يجب بناءً على المشهور تقسيم الخمس إلى قسمين متساويين: قسم منه سهم الإمام عليه السلام، الذى يجب أن يُعطى فى زماننا إلى المجتهد الجامع للشرائط، أو إنفاقه فى المصرف الذى يجيزه. والقسم الآخر سهم الساده الذى يجب أن يُعطى إلى المجتهد الجامع للشرائط، أو يُعطى بإذنه إلى سيد فقير، أو سيد يتيم، أو سيّد ابن سبيل (و ان لم يكن فقيراً)، و لكن لو زاد سهم السادّه عن حاجه الساده، صرفه المجتهد الجامع للشرائط فى مصارف سهم الإمام. و كذلك إذا لم يكف سهم الساده لحاجه الساده، يُصرف على الساده الفقراء من سهم الإمام عليه السلام. والحقيقه هى أن الخمس، و خاصّه خمس أرباح المكاسب حق لإمام المسلمين، و لكن ينبغى سدّ حاجه فقراء الساده منه.

۱- – المصدر السابق، الباب ۳ من أبواب الأنفال، ج ۹، ص ۵۳۸، الحديث ۲.

۲- المصدر السابق، الباب ۱ من أبواب ما يجب فيه الخمس، ج ۹، ص ۴۸۴، الحديث ۵.

۳- راجع: الأحكام الشرعيّه، المسائل ۱۸۱۱-۱۹۱۰.

السیاسه

الدّین والحکومه

الحکومه، ضروره اجتماعیه

إحدی ضروریات الحیاه البشریه وجود نظام اجتماعی و حکومی یضمن حقوق أفراد المجتمع. و لهذا السبب کان هناک فی جمیع أدوار حیاه البشر - و حتی فی دور العصر الحجری والحیاه البدائیه - نوع من الحکومه ولو بصوره بسیطه، و کانت مهمّتها حمایه مصالح الجماعه.

و علی صعید آخر تختلف مصالح و نزعات أفراد المجتمع، و هذا ما یؤدی بطبیعه الحال إلی وقوع تزاحم و تعارض بین مصالحهم. فقد تؤدّی استفاده فردٍ من حقٍّ معین إلی الإضرار بمصالح الآخرین و حرمانهم من حقوقهم. أو أحیاناً قد تکون الحاجات المتاحه أقل من الطلب علیها، و هذا یؤدی بطبیعه الحال إلی نشوب نزاعات، و هذا یستدعی طبعاً وضع تدابیر وقائیه، أو یستلزم الحکم والبَتَّ فیها. و هذه الأُمور تتطلب وجود حکومه طبعاً.

إذاً، الحکومه من ضروریات الحیاه الإجتماعیه لبنی الإنسان، فهی القادره علی تفادی الفوضی والنزاعات؛ و ذلک لأن أبناء المجتمع لایمکنهم - کأفراد - القیام بإقرار الأمن مثلاً أو توزیع الإمکانات العامّه بشکل صحیح، أو النظر فی الخلافات و حسمها والبتّ فیها. إذاً، فلابّد من وجود حکومه تأخذ علی عاتقها مهمه الأعمال العامّه للمجتمع.

و من ناحیه أُخری ینبغی تطبیق تعالیم الدّین و قیمه فی المجتمع علی نحو معقول و منطقی، و هذا یتطلب بطبیعه الحال وجود سلطه تتکفل بمهمه التخطیط لهذه المهمه، و أن تکون لدیها الامکانات لتنفیذ ذلک، و توظیف الطاقات من أجل إشاعه القیم المعنویه بین

الناس، و إزاله الموانع التی تقف دون ذلک. والکثیر من هذه الأمور یتعذّر تنفیذها من دون وجود حکومه. جاء فی القرآن الکریم فی وصف المؤمنین: (الَّذِینَ إِنْ مَکَّنّاهُمْ فِی الْأَرْضِ أَقامُوا الصَّلاهَ وَ آتَوُا الزَّکاهَ وَ أَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَ نَهَوْا عَنِ الْمُنْکَرِ) (۱).

و فضلاً عن ذلک ینبغی الانتباه إلی أنّ بعض أحکام الدّین تُعدّ فی الواقع ضمانه تنفیذیه للأحکام الأُخری، کما هو الحال بالنسبه للأحکام الجزائیه کالحدود، والدیّات، والقصاص.

و فی مثل هذه الحالات لایمکن للأفراد الإقدام علی تنفیذ تلک الأحکام بأنفسهم؛ لأن ذلک یؤدی إلی انتشار الفوضی. و هذا أیضاً من الجوانب التی تتطلب وجود حکومه. و من الطبیعی أن تکون الأهداف التی ذکرناها للحکومه، إضافهً إلی دورها فی تحقیق الأمن والعداله والحریّه، لایقتصر علی الحکومه الدینیه فقط؛ إذ بالإضافه إلی المهام التی تضطلع بها سائر الحکومات، یقع علی الحکومه الدینیه واجب الاهتمام بالقیم المعنویه والالتزام بتطبیقها.

کانت ضروره إقامه الحکومه من الأُمور التی أکّدت علیها تعالیم الأئمه و وصایاهم؛ و من ذلک قول أمیرالمؤمنین علیه السلام: «لأبدّ للنّاسِ مِنْ امیرٍ برٍّ اوْ فاجِر»(۲) و قوله أیضاً:

«والٍ ظَلومٌ غَشومٌ خَیْرٌ مِنْ فِتنهٍ تَدُوم».(۳)

الغایه من إقامه الحکومه

الغایات التی یرمی إلیها الناس من وراء إقامه الحکومه، أو من وراء إیجاد النظام الحکومی أساساً، هی عباره عمّا یلی:

۱ - بسط الأمن فی جمیع مجالات الحیاه، و علی الصعیدین الداخلی و مجابهه العدوان الخارجی.

۲ - بسط العداله والمساواه بین جمیع الناس بما فی ذلک المساواه أمام القانون، والتوزیع

۱- سوره الحج (۲۲)، الآیه ۴۱.

۲- - الشریف الرضی، نَهج البلاغه، الخطبه ۴۰، ص ۸۲؛ و راجع الکُلَینی، الکافی، ج ۸، ص ۳۷۳، الحدیث ۵۶۰: «و لابدَّ من امرَهٍ فی الأرض، برّهٍ اوْ فاجره...».

۳- الآمدی، غُرَر الحِکَم، ص ۴۶۴، الحدیث ۱۰۶۷۲.

العادل للثروات بينهم، و مشاركه الجميع فی المسؤوليات، و فی الثواب والعقاب فی ما يستلزم ذلک من الإثابه والعقوبه.

۳ - تنميه المجتمع وتطويره فی جميع المجالات الاقتصاديه والثقافيه؛ المعنويه منها والماديّه.

و قد كانت هذه الغايات والأهداف منذ مطلع الحياه الاجتماعيه - و بغض النظر عن التعاليم والأحكام الاجتماعيه - محَّط أنظار كل أنواع الحكومات، و لم تزد عليها الحكومات الدينيه شيئاً سوى اعتبار دعوه الناس إلى تلک الأهداف، بل اعتبار الدنيا كلّها مقدّمه للآخره.

هذه الأهداف دفعت نحو تأسيس حكومه و وضع وسَنّ قوانين، فتطوّرت و تكاملت على مرّ الزمن. و فی هذا السياق اعتبر الدّين الرقی المعنوی للإنسان من الضروريات الداعيه لوجود الحكومه. فقد جاء فی روايه: «الدّينُ وَالسّلطان أخوان توأمان لابدّ لكلّ واحدٍ مِنْهُما مِنْ صاحِبِه وَالدّين اسٌّ والسلطان حارسٌ وَ ما لا اسَّ لَه منهدمٌ وَ ما لا حارسَ لَه ضائع».(۱)

القدره على تنفيذ القوانين و حمايه المجتمع

لابد أن تكون لدى الحكومه القدره على تطبيق القانون و إقرار النظم؛ لأن الحكومه الضعيفه لاتستطيع حمايه الناس وضمان حقوقهم. و أهم مصدر لسلطه الحكومه هو ثقه الشعب بها.

و على جانب آخر قد تتعرض مصالح شعبٍ ما لهجوم دول و قوى أُخرى، و هذا يوجب أن تكون لدى الحكومه قوّه عسكريه تحفظ بها هيبتها و تدفع بواسطتها أيَّ عدوان خارجی.

و هذا المبدأ صرّح به القرآن الكريم بكل وضوح بقوله: (وَ أَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّهٍ وَ مِنْ رِباطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللّهِ وَ عَدُوَّكُمْ) .(۲)

۱- المفيد، الاختصاص، ص ۲۶۳؛ المُتّقی الهندی، كنز العمال، ج ۶، ص ۱۰، الحديث ۱۴۶۱۳.

۲- سوره الأنفال (۸)، الآيه ۶۰.

الحكومه وسيله لتحقيق الأهداف الدينيه

كل أحكام الشريعه وسيله لتحقيق الأهداف الدينيه. و هذه الأهداف كفيله بضمان سعاده الإنسان فى الدنيا والآخره. و هذه الأحكام فى الشؤون الاجتماعيه تترتب على بعضها الآخر، و تؤلّف وحده متكامله تضمن للناس سعادتهم فيما لو روعيت كل جوانبها، و لكن لابُدّ من الإذعان إلى أنّ الأفراد يفتقرون عاده إلى الدوافع الذاتيه للالتزام بالقوانين بكل حذافيرها، بل إنّ البعض يرى فى بعض الحالات أن تجاهل القوانين أكثر انسجاماً مع رغباته. و هذا ما يفرض على الحكومه أن تكون ذات نظره شامله و أن تحرص على تطبيق كل القوانين. جاء فى روايه صحيحه عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «بُنِيَ الإسلامُ عَلى خَمْسَهِ أشياء؛ عَلَى الصَّلاه وَالزَّكاهِ وَالحَجِّ والصَّومِ والولايه. قال زُراره: فَقُلتُ: وَ أىُّ شَىءٍ مِنْ ذلك أفضل؟ فقال: الولايه أفضَل، لأنَّها مِفتاحُهُنَّ وَالوالى هو الدَّليلُ عَلَيْهِنَّ...»(۱)

و على الحكومه باعتبارها الجهه التى تتكفّل بتطبيق أحكام الدّين، أن توفّر الحريّات اللازمه لتحقيق أهداف الدّين. و لاينبغى – طبعاً – النظر إلى المناصب الحكوميه كأداه للسطوه الفرديه و منطلقاً لاقتناص مآرب دنيويه، و كما قال أميرالمؤمنين عليه السلام: «إنّ عمَلك ليسَ لَك بِطُعْمَه و لكنّه فى عُنُقك أمانه».(۲)

من المفترض أن يكون كلّ هم الشخص من وراء تسلّم أىّ منصب حكومى هو إحقاق الحقّ، و إصلاح الفساد و بسط العداله والأمن الاجتماعى «لِنُرىَ المعالمَ من دينكَ و نُظهرَ الاِصْلاحَ فى بلادِكَ وَ يأْمَنُ المَظلُومونَ مِنْ عِبادِكَ وَ يُعْمَلُ بِفَرائِضِكَ وَ سُنَنِكَ وَ احْكامِكَ».(۳) فالحكومه التى تقوم على أساس تطبيق أحكام الدّين والقوانين الإنسانيه هى حكومه دينيه، و عليها أن توفر متطلبات الأمن والعداله والتقدّم لأبناء شعبها. و فى ظل مثل هذه الحكومه يعيش الناس فى أمن، و لايأمن فى ظلّها أى معتدٍ على حقوق الآخرين.

۱- الكُلينى، الكافى، ج ۲، ص ۱۸ و ۱۹، الحديث ۵؛ راجع: دراسات فى ولايه الفقيه، ج ۱، ص ۱۸۸ و ۱۸۹.

۲- الشريف الرضى، نهج البلاغه، الكتاب ۵، ص ۳۶۶؛ راجع: دراسات فى ولايه الفقيه، ج ۱، ص ۳۴۴.

۳- – الحرّانى، تُحف العقول، ص ۲۳۹؛ راجع: دراسات فى ولايه الفقيه، ج ۱، ص ۳۱۳.

و كما ذكرنا سابقاً، إنّ أحكام و تشريعات الدّين الإسلامى الحنيف لاتنحصر فى دائره المسائل العباديه والشؤون الأخلاقيه فحسب، بل للإسلام تشريعاته و تعاليمه فى الشؤون الاقتصاديه والاجتماعيه والسياسيه، و فى مجال القضاء والحُكم و شروط الحاكم والعلاقات الدوليه. و حاكم المسلمين معنىٌّ - طبعاً - بتطبيق هذه الأحكام والتشريعات، و لايمكن أن يقف إزاءها موقف اللّامبالاه.

أنواع الحكومات، والحكومه الدينيه

اشاره

جَرَّب الإنسان طيله تاريخ حياته أنواعاً شتّى من الحكومات التى يمكن تقسيمها إلى أنواع عدّه تبعاً لهذا المعيار أو ذاك، و لكن يمكن تقسيمها من حيث الطبيعه والماهيه العامّه إلى نوعين: الحكم الاستبدادى والمطلق، والحكم الدستورى والمقيّد.

أ - الحكم الاستبدادى والمطلق

فى ظلّ الحكم الاستبدادى والمطلق، سواء كان فردياً أو جماعياً، تبقى مصلحه الفرد أو الجماعه الحاكمه هى المعيار، و ليس هناك أى قانون أو وسيله يمكن بواسطتها تقييد ممارسه السلطه السياسيه. و مثل هذه الحكومه تعتبر نفسها فوق المساءله، و غير خاضعه لاستجواب الشعب حول سلوكها.

و من أقسام هذا النوع من الحكم، الحكم الملكى المطلق، والحكم الجمهورى مدى الحياه، و أنواع الحكومات الخاليه من أى نوع من الشورى أو المجالس الاستشاريه الحقيقيه.

للإسلام موقف صريح و قاطع ضد الاستبداد، و هو يحذّر المسلمين من القبول به. ورد فى القرآن الكريم رفض حازم لمنطق الغَلَبه و نفى حازم لصفه التجبّر، حيث قال تعالى:

(لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ) ، (١)(وَ ما أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبّارٍ) ، (٢) ممّا يدلُّ على مذمه و رفض

١- - سوره الغاشيه (٨٨)، الآيه ٢٢.

٢- سوره ق (٥٠)، الآيه ۴۵.

منطق التسلّط والتجبّر. قال على عليه السلام: «ألا و إنّ اللَّبيبَ مَنْ استقَبَلَ وُجُوه الآراء بِفِكرٍ صائبٍ وَ نَظَرٍ فى العَواقِبِ».(۱) و قال عليه السلام: العاقل هو من يشك على الدوام فى صواب رأيه.(۲) و معنى ذلك أنه لاينبغى له أن يستبد برأيه، إذ جاء فى روايه أُخرى أنَّ: «من استبدّ برأيه هلك».(۳) و هذه المواقف تبيّن نظره الإسلام الرافضه للاستبداد، سواء كان استبداداً فردياً أو حزبياً أو فئوياً.

إحدى الخصائص واللوازم السلبيه للحكم الفردى، الطغيان. فالإنسان غير معصوم من الخطأ عاده، و هو معرّض على الدوام - فيما إذا توفّرت بيده مستلزمات القوّه - للانزلاق فى منزلق الطغيان. و هذا المعنى أكّدهُ القرآن الكريم و بيّن أن هذه القاعده تنطبق على الناس كلّهم: (كَلاّ إِنَّ الْإِنْسانَ لَيَطْغى * أَنْ رَآهُ اسْتَغْنى) .(۴)

و هناك فى الإسلام حكم قرآنى صريح ينهى عن التحاكم إلى الطاغوت، و هو قوله تعالى: (يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحاكَمُوا إِلَى الطّاغُوتِ وَ قَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ) . (۵) و قد كانت سيره النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم وسيره أميرالمؤمنين عليه السلام من بعده مغايره تماماً للحكم الاستبدادى.

و فضلاً عن كل ذلك فإنَّ العقل يرفض الحكم الاستبدادى الفردى؛ و ذلك لأنّ المتطلبات الكثيره والمتشعّبه للمجتمعات البشريه، و سبل تلبيتها، ليست بالشىء اليسير الذى يمكن أن ينهض به شخص واحد. فالفرد مهما كانت لديه من مقدره عقليه، لايمكنه الإحاطه بكل الأُمور والقضايا، و لايمكنه وضع حلول عمليه لشتّى المشاكل والمعضلات. ويُستدل من مجمل ذلك على أن الحكم الفردى - حتى و إن لم يكن استبدادياً، و كان حُكْماً دستورياً - يفتقر إلى القدره والكفاءه، و لايخلو من نواقص و معايب.

الملاحظه المهمّه فى ما يتعلق برفض الحكم الاستبدادى، هى أن الحكم - تحت أيّه تسميه كان - يُقرّر للآخرين و يتصرّف فى شؤونهم. و هذا التقرير والتصرّف إنّما يصح فيما لو

۱- - الخوانسارى، شرح غرر الحكم، ج ۲، ص ۷۳۷، الحديث ۲۷۷۸.

۲- - الخوانسارى، شرح غرر الحكم، ص ۴۶۴، الحديث ۱۸۵۱.

۳- - الحرّ العاملى، وسائل الشيعه، الباب ۲۱ من أبواب أحكام العشره، ج ۱۲، ص ۴۰، الحديث ۶.

۴- سوره العلق (۹۶)، الآيتان ۶-۷.

۵- - سوره النساء (۴)، الآيه ۶۰.

کـان هناک قبول ورضـیً من أبناء الشـعب. فی حین أنَّ الحکم الاسـتبدادی یتخـذ القرارات و یتصـرّف فی شؤون الناس من غیر اسـتشارتهم و لا الرجوع إلی آرائهم. و بما أنه قائم خلافاً لإراده الشـعب فهو غیر مشروع. قال أمیرالمؤمنین علیه السلام فی کتاب بعثه إلی شیعته:

إنّ رسول اللّه صـلی الله علیه و آله و سلم أخذ علیَّ عهداً فقال: یا ابن أبی طالب، لک ولاء أُمّتی، فإن ولّوک فی عافیه و أجمعوا علیک بالرضا فقم بأمرهم، و إن اختلفوا علیک فدعهم.(۱)

ب – الحکم الدستوری

نوع الحکم الذی یکون فی مقابل الحکم الاستبدادی والتسلُّطی، هو الحکم الدستوری.

و فی هـذا النمـط من الحکم تکون المصـلحه العـامّه هی المعیار الأساسـی للقرارات، و تمارس السـلطه السیاسـیه عملها فی ضوء القوانین الموضوعه لها. و وفقاً لهـذا المبدأ تُعتبر الحکومه بمثابه أمانه یفوّضـها الشـعب إلی الحُکّام. و علی هذا الأساس فالحُکّام منتخبون من قِبَل الشعب و مسؤولون أمامه.

أمر اللّه تعـالی النبیّ محمـداً صـلی الله علیه و آله و سـلم فی القرآن الکریم قائلاً: (وَ شاوِرْهُمْ فِی الْأَمْرِ) . (۲) فعندما یکون النبیّ، مع عصـمته، مُلزمـاً بالتشـاور فی مـا یتّخـذه من قرارات، تتضـح لنـا حینـذاک أهمیه الحکم الجمـاعی، و نـدرک المراد من الآـیه الشریفه: (وَ أَمْرُهُمْ شُوری بَیْنَهُمْ) . (۳) البلدان التی تبنی فیها الحکومه قراراتها علی الشوری والتشاور و استناداً إلی القرآن والسنّه و وفقاً لِما یحکم به العقل، فمعنی ذلک أن الحکومه هناک إسلامیه.

إذاً، فـالحکومه الـدینیه هی تلـک التی تحکم وفقـاً لـدین اللّه و من خلال التشاور مع الجمیع و خاصّه العلماء و أهل الاختصاص والخبره. والحُکّام فیها منفّذون لآراء الشعب و أحکام الشریعه.

أمّـا فی الأُمور العقلیه التی لیس للشـریعه المقـدّسه حکم قطعی فیهـا، فالمعیـار الـذی تتبنّـاه الحکومه هو رأی أکثریه الشـعب أو نوّابهم و علمائهم: «ثمّ امضِ ما یجتمعُ علیه اقاویل

۱- ابن طاووس، کشف المحجّه، ص ۱۸۰. وللاطلاع علی مزید من المعلومات حول أدلّه شرط انتخاب الحاکم، راجع: دراسات فی ولایه الفقیه، ج ۱، ص ۴۹۳-۵۱۱.

۲- – سوره آل عمران (۳)، الآیه ۱۵۹.

۳- – سوره الشوری (۴۲)، الآیه ۳۸.

الفقهاء بحضرتك من المسلمين...».(۱) لأنّ ترجيح رأى الأقلّيه على الأكثريه غير معقول، و جاءت فى أقوال المعصومين عليهم السلام أيضاً دعوه للأخذ برأى الأكثريه و ترك رأى الأقليّه.(۲)

ج – الحكم الدينى الدستورى

ذكرنا أن الإسلام يرفض الحكم المطلق بما يعنيه من عدم التزام الحُكّام بالقوانين الإلهيه والمواثيق البشريه، ممّن لايهمهم سوى تنفيذ الرغبات العابره والنزوات الطائشه للحُكّام أو لفئه من الشعب.

و فى مقابل الحكم المطلق يأتى الحكم الدستورى الذى يتضمّن معنى الالتزام بالقوانين والمواثيق الرسميه. فقد كان سول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم والأئمه المعصومون عليهم السلام يشاورون الناس، امتثالاً لِما ورد فى القرآن من دعوه إلى مشاوره الناس فى أُمورهم. و من الطبيعى أنّ كل الشروط التى يتضمّنها الحكم الدستورى من فصل بين السلطات، و تحديد الصلاحيات، لابُدّ و أن يسرى مفعولها على حكومه غير المعصوم. و هذا يعنى أن الحكم الدينى حكم جماعى و دستورى.

خصائص الحكم الدينى

يمكن تلخيص الخصائص التى تتصف بها الحكومه الدينيه بما يلى:

۱ – بما أن النصب العام للفقهاء فى زمان الغيبه (غيبه الإمام المعصوم) مُنتفٍ فى مقام الثبوت والإثبات، فهذا يعنى أن الحكم الإسلامى فى هذا الزمان مُنتخب، و يفوّض إلى أبناء الشعب حق تقرير مصيرهم السياسى، و انتخاب الحاكم من بين من تتوفر فيهم الشروط اللازمه للحُكم.

۲ – أن شكل الحكم الدينى و كيفيه انتخاب الحاكم، و شروط وخصائص المُنْتَخِبين، من الأُمور غير المنصوصه، و قد تركها الشرع للعُقلاء، و هى خاضعه لظروف و مقتضيات كل عصر.

۱– – المجلسى، بحارالأنوار، ج ۷۴، ص ۲۵۲.

۲– راجع: الحرّ العاملى، وسائل الشيعه، الباب ۹ من صفات القاضى، ج ۲۷، ص ۱۰۶، الحديث ۱.

۳ – الحکم الدینی معاقده و معاهده لازمه بین الأمّه والوالی و تؤیّده الشریعه. والشعب بصفته أحد طرفی هذا العقد یستطیع تضمین هذا العقد اللازم عن طریق مجموعه من الشروط والقیود علی الحاکم.

۴ – یمکن للشعب تعیین مدّه لرئاسه الحاکم أو الحُکّام ضمن هذا العقد اللازم. و فی هذه الحاله و بعد انقضاء المدّه المذکوره، لایبقی للحاکم أیه مشروعیه دینیه أو سیاسیه، إلا إذا مَدّدها الشعب؛ بمعنی أن ینتخبه مرّه أُخری.

۵ – مثلما یحق للشعب انتخاب الحاکم، یحق له عزله أیضاً، فیما إذا فقد الشروط اللازمه للحکم أو أخلَّ بالتزاماته.

۶ – الحالات التی لایوجد فی الشریعه نص معیّن علیها، یُقدّم رأی الأکثریه علی رأی الأقلیه، و لکن لایجوز للأکثریه هضم حقوق الأقلیه والتضییق علیها. و لابدّ من الانتباه إلی أن تغلیب رأی الأکثریه علی رأی الأقلیه لایعنی الکشف عن الحقیقه، و إنما هو إجراء یُتخذ عند التزاحم والتعارض من أجل الحفاظ علی النظم الإجتماعی.

۷ – فی ظل الحکم الدینی یجب أن یری کل الحُکّام أنهم مسؤولون، و یحق لأبناء الشعب استجوابهم والإشراف علی عملهم – عن طریق المؤسسات الشعبیه التی تنشأ لهذا الغرض – کما یحق للشعب انتقاد الحُکام، بل إن هذه الممارسه تأتی من باب «الأمر بالمعروف والنهی عن المنکر» و «النصیحه لأئمه المسلمین». و علی هذا الأساس یحق لأبناء الشعب تأسیس أحزاب سیاسیه و إصدار صحف مستقلّه.

۸ – لایحق للحکومه الإسلامیه التدخل فی الشؤون الشخصیه والخصوصیه للناس، أو فرض أسالیب و أنماط عیش معیّنه علیهم. والناس فی مثل هذه الأُمور والمجالات أحرار، ما لم یضرّوا بحقوق المجتمع و أفراده. و واجب الحکومه فقط رسم الخطوط العریضه للحیاه، والتوجیه، و توفیر متطلّبات الحیاه اللازمه للجمیع، فی إطار ما توجبه الشریعه و مصلحه المجتمع.

۹ – علی الحاکم الإسلامی – بعد ما ینتخبه الشعب لإداره المجتمع – أن یجتنب الاستبداد برأیه، و إنّما علیه أن یمارس الحُکم علی أساس التشاور و تبادل الآراء. و بعد التشاور

یکون المعیار هو ما یستقر علیه رأیه، و یکون هو المسؤول عنه، و لکن یمکن فی الدستور تضمین شرط فی العقد، یلزمه فی بعض الحالات بالأخذ بالرأی الاستشاری لذوی الاختصاص.

۱۰ – القضاء واستنباط الأحکام من المصادر الشرعیه یقع علی عاتق المجتهدین، و لکن یمکن الاستعانه بآراء الشعب فی السلطات الثلاث مع رعایه الضوابط الشرعیه.

الاستفاده من التجارب البشریه فی الحکم

أمر اللّه تعالی النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم فی القرآن بمشاوره الناس: (وَ شاوِرْهُمْ فِی الْأَمْرِ) . (۱) و هذا یعنی أن بقیه الناس والحُکّام أوْلی و أجدر بهذا العمل حتی و إن کانوا علی درجه عالیه من النبوغ. و قد یعترض البعض و یقول: إنّه لو کانت الشوری والانتخاب من قبل الأُمّه مصدراً للولایه شرعاً، لکان علی الشریعه الإسلامیه تثقیف الأُمّه و تنویرها بالنسبه إلی هذا الأمر، و بیان حدوده و شرائطه و کیفیاته. و یمکن أن یُجاب علی هذا الاعتراض بالقول:

أولاً – وردت توصیات حول مبدأ التشاور و أطراف المشاوره. ثانیاً – من میزات الدّین الإسلامی عدم تحدید الشوری والانتخاب بحسب الکیفیه، و عدم مواصفات الناخب کماً و کیفاً و غیر ذلک، و عدم صوغهما فی قالب معیّن، حیث أراد الشارع بقاءها إلی یوم القیامه و انطباقها علی مختلف الأعصار.(۲) و بالإضافه إلی ذلک، فإنَّ أُسلوب القرآن هو عدم الدخول فی التفاصیل والجزئیات، فالقرآن لم یتطرق إلی بیان الجزئیات حتی فی الأحکام العبادیه مثل الصوم والصلاه.

لقد طرح الإسلام مبدأ الشوری و لزوم التشاور، و لکنّه ترک کیفیه ذلک إلی عقلاء کل قوم و فی أی زمان، والغایه هی توظیف ثمره العقل الجماعی لصالح المجتمع الإسلامی.

و لاشکّ فی أن تجاهل التشاور ظلم للأُمّه.

أمّا الاستفاده من تجارب الأُمم الأُخری واستقاء العبر من تاریخ الأقوام المختلفه فهو

۱– – سوره آل عمران (۳)، الآیه ۱۵۹.

۲– – لمزید من التفصیل، راجع: دراسات فی ولایه الفقیه، ج ۱، ص ۵۴۸ فما بعدها.

ممّا أكّدت عليه الشريعه المقدسه. و هذا ما يستلزم طبعاً دراسه تاريخ الحضارات البائده والحاضره، والتنقيب فى الجوانب السلبيه والإيجابيه فيه. فالتجارب البشريه تكشف لنا أن حُبّ التسلّط من الغرائز التى لاتعرف الحدود، و فيها من المغريات أكثر ممّا فى غيرها، و هذا ما يجعل منها خطراً يفوق غيره من المخاطر. و لذلك يجب اتّخاذ كل التدابير الوقائيه لكبحها والسيطره عليها، و من جمله ذلك الفصل بين السلطات، و حريّه الصحافه، و تحديد مدّه معيّنه لها، و غير ذلك من الإجراءات والأساليب التى كشفت عنها التجارب البشريه.

و من ناحيه أُخرى، لدى الشعوب المتقدّمه فى عالم اليوم تجارب يمكن أن تكون ذات فائده للدول المتخلّفه. و هذا يستلزم طبعاً الأخذ بأساليبهم و مناهجهم مع رعايه القيم والخصائص الثقافيه.

الفصل بين السلطات

من التجارب البشريه المفيده هى فكره الفصل بين السلطات، و عدم تركيز السلطات كلّها بيد شخص واحد. و مع أن رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم، و أميرالمؤمنين عليه السلام كانا يجمعان فى أيديهما منصب الإفتاء (التشريع)، والتنفيذ، والقضاء، و لكنّهما كانا معصومَيْن، إضافه إلى أن الحكومه كانت بسيطه و بعيده عن التعقيد الذى تتصف به الحكومه فى الوقت الحاضر.

و تركيز السلطه بيد غير المعصوم يؤدّى إلى الفساد عاده. و أفضل الحلول لمعالجه مشكله الاستبداد و إداره شؤون البلاد على نحو سليم، هو أن يتم الفصل بين السلطات، بحيث تكون كل واحده من السلطات مستقله و لها طاقاتها و مقدّراتها - وفقاً لِما يرسمه القانون ورأى الشعب - و لاتتدخل أى منها فى عمل الأُخرى.

و لاشكّ فى أنّ إشراف كل واحده من السلطات على الأُخرى، واستقلال كل واحده منها عن الأُخرى يأتى بنتائج طيّبه للمجتمع، و من تلك النتائج تقليص النفقات بسبب تحاشى تكرار الأعمال. ثم إنّ كل واحده من هذه السلطات تستمد مشروعيّتها من إراده الشعب، و هناك علاقه منطقيه بين مناصب الأفراد و مسؤولياتهم أمام أبناء الشعب، و بالنتيجه يحترز الحُكّام من النزعه الذاتيه التى تتعارض عاده مع إراده الشعب، إضافه إلى ذلك يترسّخ

الانسجام بين الشعب والحكومه.

و أما السلطه القضائيه فإنّها إذا كانت مستقلّه عن الحكومه فستكون ملاذاً لكل من يشعر بالغبن. و هناك ينبغى أن يتساوى الحاكم مع غيره من أبناء الشعب فى الدعاوى و إعطاء كل ذى حق حقّه، ليشعر الناس كلهم بالاستقرار والأمن النفسى.

و لاشكّ فى أنَّ أحد السُبُل الكفيله بمنع وقوع الفساد هو التوزيع السليم للمقدّرات بين أبناء الشعب، والتوزيع الصحيح هو أن لايوضع أى فرد أو فئه فى موضع يجعله يشعر بالطغيان؛ إذ ليس من الصحيح توفير كل موجبات الطغيان و أسبابه و لوازمه لشخص ثم يُطلب منه العفاف والورع والزهد و عدم ممارسه سلطته المطلقه. فالشأن الاجتماعى لايُبنى على الاحتمالات الضعيفه، و على الاستثناءات. بل لابُدّ من إتّخاذ التدابير العمليه لتلافى الفساد والطغيان، لكى تنتفى موجباته و دواعيه من الأساس.

و يتّضح من خلال النظره العامّه، و فى ضوء نظريه الانتخاب فى الحكم الإسلامى - فى زمان غيبه المعصوم - يحق للشعب أن يبايع الحاكم وفقاً لعقد معيّن، و وضع أى شرط لايتعارض مع الشريعه، و على الحاكم أن يلتزم بما يشترطه عليه الشعب. و من جمله ذلك يمكن للشعب تضييق صلاحيات الحاكم أو توسيعها، و فصل المناصب السياديه و توزيعها على عدّه أشخاص، أو تعيين مدّه محدّده لبقائهم فى السلطه، أو إيكال مهمه الإشراف على القوانين إلى شخص، و إيكال مهمه تطبيقها إلى شخص آخر، أو اختيار شكل آخر لحكومتهم الدينيه.

و على هذا الأساس يمكن أن تكون للحكومه الدينيه أشكال شتّى بما يتناسب مع متطلّبات كل زمان.

الحكومه: وكاله أم ولايه

أ - الوكاله، عقد جائز

الوكاله اصطلاحاً عباره عن عقد جائز يُبرم بين الموكّل والوكيل، و على أساسه تُفوّض إلى الوكيل صلاحيات من الموكّل لكى يمارسها نيابه عنه. و هذا التفويض يسمح طبعاً

للموكّل بممارسه الإجراءات نفسها فی ما یخص مورد الوکاله؛ بمعنی أن هذا العقد لایسلب الحق من الموکّل، و یحق لکل واحد منهما القیام بالعمل فی ما یخص مورد الوکاله، و متی ما شاء الموکّل یمکنه عزل الوکیل وسلب الصلاحیه منه، و لکن قلّما یشاهد وجود مثل هذه العلاقه فی سیاقات عمل الحکومه؛ إذ غالباً ما یحصل الوکلاء من موکّلهم علی حق ممارسه دورهم، بدون أن یکون للموکّلین حق عزلهم - طیله مدّه التوکیل أو النیابه - أو یکون لهم حق ممارسه دورهم فی مورد الوکاله.(۱)

المناصب الحکومیه التی فوّضها و یفوّضها أبناء الشعب لنوّابهم، تتخذ فی الحقیقه حاله تختلف عن الوکاله باصطلاحها الشرعی، و تتشابه معها فی الاسم فحسب. فالانتخابات أو مبایعه الحاکم و إن کانت تعنی توکیل الأُمور و تفویضها إلی شخص آخر، غیر أن هذا یختلف اختلافاً أساسیاً عن مسأله الوکاله، و یبدو أنه لایمکن اعتبار قضیه الحکومه نوعاً من أنواع الوکاله.

إذا اعتبرنا أی نوع من تفویض الاعمال للآخرین و کاله، فهذا المعنی یشمل أیضاً الإجاره واستخدام الأجیر والعامِل لإنجاز الاعمال الشخصیه، فی حین أنّ الرأی الفقهی لایقصد هذا النوع من التوکیل طبعاً. و هذا الاختلاف موجود فی تفویض الشؤون الاجتماعیه أیضاً.

ب - الحکومه، عقد لازم

إنّ طبیعه الحکومه تقتضی اللُّزوم والثبات؛ و إلّالایتسنّی إقرار النظم الاجتماعی. و لهذا فإنّ الطریقه الأساسیه وربّما الوحیده فی سیره العقلاء وتاریخ الحکومه هی اعتبار العلاقه والقوانین ذات الصله بالحکومه والشعب أُموراً إلزامیه.

والعقود اللازمه قد تکون دائمیه، تاره، و قد تکون مؤقته تاره أُخری، و قد تکون مطلقه حیناً و مقیّده حیناً آخر؛ أی لایمکن إلغاء العقد بدون دلیل و مستند قانونی، و یکون

۱- فی الحکومه الدینیه یثبت هذا الحق للحاکم طالما لم یفقد الشروط اللازمه لتولّی المسؤولیه، و مادام ملتزماً بمفاد مبایعه الشعب له.

الطرفان ملزمان بمفاد العقد و مستلزماته.

رجال الحكومه يجب أن يتمّ انتخابهم من قبل أبناء الشعب - بشكل مباشر أو غير مباشر - و حكم الناس بدون رضاهم عمل غير مشروع. فى الماضى كانت هناك استثناءات فى أصل الانتخاب، و هو أن اللّه عزّوجلّ كان يصطفى الصالحين للحكم، و لكن موافقه الناس و رضاهم كان سبباً لتحقق إراده اللّه، بحيث إنّهم إذا كانوا لايرتضون الحاكم، فإنّه لايصل إلى سدّه الحكم. جاء فى القرآن الكريم: (إِنَّ اللّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طالُوتَ مَلِكاً) . (۱) و هذا كان يتعلّق ببنى إسرائيل و جاء فى أعقاب إخفاقهم فى الوصول إلى نتيجه فى انتخاب حاكم، و تتحقق بعد رجوعهم فى هذا الأمر إلى نبيّهم، و قد عُرضت لهم الأدلّه الموجبه لتفضيله على سائر الناس و هى أنه: (وَ زادَهُ بَسْطَهً فِى الْعِلْمِ وَ الْجِسْمِ) .(۲)

و فى غدير خم طُرحت هذه القضيه أيضاً، و عُيّن أميرالمؤمنين عليه السلام بأمر اللّه إماماً للمسلمين، مِن قِبل النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم، و أُخذت منهم البيعه له. و هذا العقد الإلهى تحقق فى الواقع الخارجى من خلال بيعه الناس لبسط الحكم الإسلامى فى العالم على يد أميرالمؤمنين عليه السلام و أولاده الطاهرين، و لكن بعد رحله النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم نُقضت بيعه الغدير بتحرّك سياسى، و على أثر ذلك تصدّى آخرون لأمر الحكومه.

ج - الولايه مستقاه من العهد والميثاق

فى بحث الحكومه، تعنى الولايه: الإماره والرئاسه الظاهريه، والتصدّى لمناصب حكوميه رسميه. إنَّ التصدّى لشؤون الحكومه - و هو أمر يعود لأبناء الشعب أنفسهم و يُفوّض إلى أفراد معيّنين انطلاقاً من ضروره الحياه الاجتماعيه و تعذّر تصدّى جميع الناس للأعمال الاجتماعيه - لايحصل من دون توافق والتزامات متبادله ولو أن أحداً تصدّى لأمر الحكومه بدون موافقه الشعب، و لم يتخذ الشعب أى موقف معارض له، يكون ملزماً عقلاً و عرفاً بالالتزامات والشروط العامّه للحكومه الصالحه، حتى و إن لم يكن هناك عقد رسمى.

و بعباره أُخرى: إنَّ الحكومه نفسها بصفتها سلوكاً عقلانياً تستلزم مجموعه من الشروط،

۱- - سوره البقره (۲)، الآيه ۲۴۷.

۲- سوره البقره (۲)، الآيه ۲۴۷.

و يمكن تضييقها أو توسيعها فى عقد رسمى. و لذلك هناك فى ولايه القضاء أو ولايه الإفتاء أو ولايه التنفيذ، شروط عرفيه و عامّه وعقليه إلى جانب شروط العقد (الشرعيه أو العقليه)، و هى التى تعيّن واجبات المتولّين.

و أمّا قولنا: إنّ الولايه المنبثقه من عهد و ميثاق أو من عقد لازم التنفيذ، فمعنى ذلك أنه لايحق لأحد التخلّف عن العقد، سواء كانت عقود الشريعه المقدّسه مع الشعب، أو بعقود بشريه وضعيه صرفه، و حقوق الحكام والشعب - فضلاً عن الموارد التى عيّنها اللّه - إنّما تكون بناءً على ما يرتضيه و يقرّه الطرفان.

فى الحكومه الدينيه لابُدّ من رعايه المستلزمات العقلائيه للحكومه، و منها ضروره رضا الشعب و قبولهم العملى؛ و ذلك لأن الحكومه أمر تبعى و ليس أصلياً، والمعيار الأصلى لها ممارسه حق سياده الشعب، و لايمكن تحقيق سياده الشعب بالقوه والإكراه.

سيره العقلاء فى كل العصور والبلدان مبنيه على الدوام على أساس أنه توضع فى كل منطقه مجموعه من الأنظمه والقوانين بهدف إيجاد النظم الاجتماعى، و تأمين المصالح العامّه و منع الاعتداء والظلم، ثم يختارون الفرد أو الأفراد الصالحين من بينهم لتطبيقها.

و هذا يعنى أنه يُبرم بينهم و بين ذلك الفرد أو الأفراد عقد اجتماعى. و نلاحظ أنّ القرآن والسُنّه قد أقرّا هذه السيره و أمضياها استناداً إلى مفاد الآيه الشريفه: (أَوْفُوا بِالْعُقُودِ) (۱) و (أَوْفُوا بِالْعَهْدِ) . (۲) و بهذا تثبت مشروعيه هذا العمل. و معنى هذا الكلام أن أمر الحكومه ليس أمراً شرعياً أو أن الشريعه قد أسّسته، و إنما هو أمر عرفى وعقلائى و شأنه شأن سائر العقود الاجتماعيه. و أصبح متداولاً بين الناس بسبب الضروره والحاجه، و لم ترفضه الشريعه المقدّسه.

و عندما ينصب اللّه أشخاصاً لأمر الحكومه - كالأئمه المعصومين عليهم السلام - تجب على الناس طاعتهم، و يصبح حكم غيرهم فاقداً للشرعيه. و فى زمان عدم وجود الإمام المعصوم وُضعت للحاكم المُنتخب مجموعه من الشروط التى يجب أن تتوفر فيه رعايه للمصالح العامّه، و يجب على المنتخبين إحراز توفّرها فيه.

۱- - سوره المائده (۵)، الآيه ۱.

۲- سوره الاسراء (۱۷)، الآيه ۳۴.

د – البیعه و دورها فی شرعیه الحکومه

«البیعه» و «البیع» مترادفان من حیث المعنی اللُّغوی، و لکن أُطلقت کلمه البیعه اصطلاحاً، علی العقد الذی یُبرم بین الناس والحاکم. و مثلما یفعل الناس فی عملیه البیع والشراء، و یتفحّصون و یدقّقون فی الأشیاء التی یریدون شراءها، ثم یتوافقون علی أسعارها، ثم یجرون عقد البیع والشراء برضیً و توافق، و إذا أرادوا وضع شروط أُخری، فإنّهم یدرجونها فی العقد، و هکذا تجری الأُمور فی البیعه بین الناس والحاکم أو الحُکّام.

الفارق الوحید بین ما کان یسیر علیه الماضون، و بین ما هو سائد الیوم، هو کیفیه البیعه.

ففی الماضی کانوا یضعون أیدیهم فی أیدی الحکام و یضغطونها کدلاله علی البیعه. أما الیوم فتتم البیعه عن طریق الانتخابات والتصویت لمن یرشّحون أنفسهم للانتخابات، وفقاً لمجموعه من الشروط القانونیه المتّفق علیها کالدستور مثلاً.

و من الطبیعی أن الحکم یتوقّف علی انتخاب الشعب و موافقته. بل حتی الصالحون الذین ینصبون من قِبل اللّه إذا لم یرتضهم الناس لایمکنهم إقامه حکومه. نذکر علی سبیل المثال أن النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم عندما کان فی مکّه لم تتوفر له الظروف لإقامه حکومه، و لکنّه بعدما التقی فی العقبه الثانیه بثلاثه و سبعین من رجالات أهل المدینه فی موسم الحج، و قرأ علیهم مجموعه من آیات القرآن الکریم و دعاهم إلی الإسلام، استجابوا له، و قال لهم:

«أُبایعکم علی أن تمنعونی ممّا تمنعون منه نساءکم و أبناءکم» فبایعوه علی ذلک ثم انّهم اختاروا بأمر النبیّ من کبارهم اثنی عشر رجلاً لیضطلعوا بدور الإشراف علی الآخرین، و یکونوا حلقه وصل بینهم و بین النبیّ. و هذه البیعه مهّدت لإرساء أُسس حکومته فی المدینه، و کانت فی الواقع بمثابه عقد اجتماعی بینه و بین أهل المدینه. و بعد دخول النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم إلی المدینه أُبرمت عهود مع یهود المدینه من أجل التعایش السلمی معهم ورعایه حقوقهم. و بعد ما فتح النبیّ مکّه و بایعه الرجال فیها، طلبت النساء البیعه أیضاً، وارتضی النبیّ بیعتهنَّ.

و حصل مثل هذا فی حکومه أمیرالمؤمنین علیه السلام أیضاً؛ أی رغم أن النبی صلی الله علیه و آله و سلم کان قد

طرح خلافه علیّ علیه السلام فی مواقف متعدده، غیر أنه بعدما نصبه بأمر اللّه تعالی للخلافه فی غدیر خم، أمر الناس بمبایعته، فبایعوه.

و بعد مقتل عثمان، هرع الناس إلیه و بایعوه و قبلوا حکومته. و قد أشار هو علیه السلام عدّه مرّات إلی بیعه الناس له، واحتجّ بها.(۱)

و قد ورد فی روایات کثیره أنّ الإمام المهدی (عج) بعدما یَظهر، یبایعه الناس، ولو لم یکن للبیعه تأثیر فی تحقیق الحکم، لَما کان کلّ هذا التأکید علیها من قبل النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم والأئمه المعصومین علیهم السلام، و لَما أخذها القرآن بنظر الاعتبار.

و لما امتنع الإمام الحسین بن علی علیه السلام عن قبول حکومه یزید بن معاویه و عن مبایعته - و هو ذلک الموقف الذی انتهی به إلی ثوره عاشوراء - قال فی کلام له: «مثلی لایُبایعُ مثله».(۲) ولو لم یکن للبیعه إلزام شرعی، لَما کان سید الشهداء قد رفضها کل ذلک الرفض.

و نشیر أخیراً إلی أن تحقیق الحکومه فی الواقع الخارجی فی زمان غیبه الإمام المهدی (عج) یتوقف علی رضا الناس عن الحاکم و انتخابهم له، و لکن هذا لایعنی أن کل حکومه یرتضیها الناس، حکومه مشروعه فی نظر الدّین. فبحکم الشرع والعقل یجب أن تتوفّر فی الحاکم شروط خاصه. و من الطبیعی أن الحکم یدوم فیما إذا لم یکن ظالماً و یرعی حقوق الناس، حتی و إن کان الحاکم کافراً. و هذا ما استجلاه رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم بقوله: «الملک یبقی مع الکفرِ و لایبقی مع الظلم».(۳)

القید الزمانی للمناصب الحکومیه

فی الماضی، و حتی قبل میلاد السید المسیح علیه السلام کان هناک حکّام یستمر حکمهم مدی الحیاه، و کانت هناک أیضاً حکومات توکل المناصب والمسؤولیات للأفراد لمدد محدوده،

۱- یمکن فی هذا الخصوص الرجوع إلی خطب نهج البلاغه، خاصه الخطب ۳، ۸، ۳۴، ۱۳۷، ۱۷۲، ۲۱۸ و ۲۲۹، والکتابین ۶ و ۵۴.

۲- المجلسی، بحارالأنوار، ج ۴۴، ص ۳۲۵.

۳- وردت هذه الروایه بهذا المضمون بکثره فی المصادر الشیعیه، و لکن وردت بهذا التعبیر فی کتاب الغزالی، نصیحه الملوک، ص ۸۲.

ثم توکـل بعـد انتهـاء المـدّه إلی غیرهم. و فی أکثر الحکومـات فی عـالم الیوم تحـدد مـدّه زمانیّه معیّنه للأفراد الـذین یتسـلّمون مناصب مثل رئاسه الجمهوریه، و مجلس النواب و حتی القضاء.

و لیست هناک فی مصادرنا الـدینیه دلالات صـریحه - بشأن غیر المعصومین - حول مدّه الحکم والسـلطه و هل تکون دائمیه أم مؤقّته. و یبـدو أن هـذا الأمر متروک لفهم عقلاء کل قوم، لیقرروا أفضل السُـبُل علی أساس مصالـح و تجارب البشـر. و لاتخفی الیوم أفضـلیه و رجحان تحدیـد مدّه التصدی للحکم، علی الحکم مدی الحیاه، و ذلک من أجل أن یکون من الممکن اسـتبدال الحکّام فی حاله مخالفتهم للدسـتور، بحکّام أکفأ و أصـلح، و لکن عندما یکون تولّی الحاکم للحکم مدی الحیاه، یضـمحل هذا الاحتمـال کثیراً، و کثیراً مـا یمیـل الحاکم إلی الاستیلاء علی کل مراکز القوّه، و یفرض علیها سـلطته. و من الطبیعی أن عزل مثل هذا الحاکم لیس بالأمر الهیّن فکثیراً ما یلحق بالمجتمع خسائر فادحه.

السُبُل القانونیه لعزل الحاکم

بما أن الناس غیر معصومین، و معرّضون لکثیر مِن الأخطاء فی حیاتهم الفردیه والاجتماعیه، فلابّـد من البحث عن سبیل لعزل من ینبغی عزله عن السلطه والحکم، بشکل لایؤدی إلی إثاره الفوضی، من جهه، و یؤدّی من جهه أُخری إلی إغلاق طریق الاستبداد والتفرّد بالسلطه.

فمع أن خروج الحاکم عن الدسـتور و عن قبول الشـعب له، و فقـدانه الأهلیه الشـرعیه والقانونیه، یجعله غیر مؤهل للاسـتمرار فی الحکم، لابُـدّ من وجود طریقه قـانونیه لعزله عن الحکم. فـإذا رفض الحـاکم التخلّی عن السـلطه، لابُـدّ أن تکون مفاصـل الحکم موزّعه علی نحو یتیح ممارسه عملیه العزل عند الحاجه إلیها.

إن مـا ورد فی التعالیم الـدینیه، سواء کانت آیات أم روایات، حول الکیفیه التی ینبغی أن یکون علیها سـلوک الحُکّام، أو الحاله التی یُفترض أن یکون علیها موقف الشـعب إزاءهم، غالباً ما یترکّز حول مفاد ما ورد فی حـدیث نبوی شـریف و هو: «اِذا خَالَفَ الاَمیرُ امْری،

فَاجْعَلُوا مَکانَهُ مَنْ یَتَّبِعُ امْری».(۱)

عندما ینهی القرآن عن قبول حکم الطاغوت: (یُرِیدُونَ أَنْ یَتَحاکَمُوا إِلَی الطّاغُوتِ وَ قَدْ أُمِرُوا أَنْ یَکْفُرُوا بِهِ) ، (۲) أو یرفض تسلّط منکری الحق والحقیقه علی المسلمین تحت قاعده «نفی السبیل» التی ترسمها الآیه الشریفه (وَ لَنْ یَجْعَلَ اللّهُ لِلْکافِرِینَ عَلَی الْمُؤْمِنِینَ سَبِیلاً) ، (۳) أو حینما تتحدث الروایات عن تعذیب من یحجبون حق مؤمنٍ «مَنْ حَبَسَ حَقَّ الْمؤمِن... ثُمّ یُؤمَرُ بِهِ الَی النّار»،(۴) فهذا فی الحقیقه یبیّن للناس سبیل بقاء أو نفی هیمنه أصحاب القدره علی شؤون الناس.

و علی هذا الأساس لابُدّ أن یؤخذ بالحُسبان أُسلوب حلٍّ عملی و قانونی فی العقد الرسمی للحکومه (الدستور) لعزل الحُکّام. و من الطبیعی أن تحدید التصدّی للمناصب بمدّه معیّنه یمثّل طریقاً للحل لتخلّص الشعب من السلطه الفردیه التی تخرج عن المسار الصحیح، و لکن ینبغی أیضاً أن یؤخذ بنظر الاعتبار سبیل للعزل قبل الموعد المقرر فیما إذا اقتضت الضروره ذلک، لکی تجری هذه العملیه بلا تبعاتٍ سلبیه أو أضرار اجتماعیه.

أما کیفیه الوصول إلی الوضع المطلوب فینبغی انتزاعها والعمل بها فی ضوء معطیات التجارب البشریه، و لکنّ النصوص والأحکام الدینیه قد بیّنت أیضاً الحالات التی ینبغی فیها تجرید الحاکم من صلاحیّاته، و منها نقض العهد، و فقدان الشروط اللازمه للمسؤولیه، والمخالفات الحقوقیه والجزائیه و ما شابه ذلک. و بعض هذه الحالات تابعه للقانون و للشروط التی توضع حین الانتخاب.

شروط الحاکم

اشاره

الجهه التی تثبت الشروط المعتبره فی الحاکم، العقل والنقل (یشمل الکتاب والسُنّه).

و لاشکّ فی أن الشروط العامّه للحاکم مشترکه لدی جمیع الشعوب والدول. و إذا کان هناک

۱- المُتّقی الهندی، کنز العمال، ج ۵، ص ۷۹۸، الحدیث ۱۴۴۱۵.

۲- – سوره النساء (۴)، الآیه ۶۰.

۳- – سوره النساء (۴)، الآیه ۱۴۱.

۴- – الکُلینی، الکافی، ج ۲، ص ۳۶۷، الحدیث ۲.

أيُّ فارق بينها فی هذا المجال فهو لايتعدّی الشروط الخصوصیه. و قد سبق ذکر بعض هذه الشروط فی الجانب الاخلاقی عند شرح أخلاق المسؤولین، و لکن توضیح بعضها الآخر مفید هنا.

و قد ذهب عقلاء العالم إلی اعتبار عدّه شروط یلزم توفّرها فیمن یتصدّون لمناصب حکومیه، و هی العقل والتدبیر، والتخصص فی علم یرتبط بمسؤولیتهم، والکفاءه التنفیذیه، والمقدره الجسمیه والنفسیه، والأمانه، والعداله.

و هذه طبعاً من الأُمور العقلیه التی یدرک کل عاقل أنّها یجب أن تتوفر فی الحُکّام، و لاحاجه لأمر شرعی فی هذا المجال.

و هناک شروط أُخری تری الشریعه المقدسه ضروره توفّرها فیمن یحکم المسلمین، لتکون مدعاه لمزید من وثوق الشعب بالحاکم و ذوی المناصب، و هی:

أ – الإسلام والإیمان

و هذا شرط وضعه الدّین بالنسبه إلی من یتولّی حکم المسلمین، و هو أن یکون مسلماً و مؤمناً بالدین و أحکامه، و لایتصدّی لهذا المنصب من لم یکن مؤمناً. جاء فی القرآن الکریم:

(وَ لَنْ یَجْعَلَ اللّهُ لِلْکافِرِینَ عَلَی الْمُؤْمِنِینَ سَبِیلاً) . (۱) و جاء فی آیه أُخری من القرآن أیضاً: (لا یَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْکافِرِینَ أَوْلِیاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِینَ وَ مَنْ یَفْعَلْ ذلِکَ فَلَیْسَ مِنَ اللّهِ فِی شَیْ ءٍ) .(۲)

و لاشکّ فی أنّ هذا الشرط أساسی، و من غیر المنطقی أن یتصدّی غیر المؤمن لمنصب حکومی مع وجود أُناس متدینین. و إذا کان الإیمان شرطاً فی مناصب اجتماعیه صغیره مثل إمامه الجماعه، فمن الأُولی أن یؤخذ هذا الشرط بنظر الاعتبار فی مناصب اجتماعیه أکبر و أهم.

و فضلاً عن ذلک، هناک شروط أُخری لابُدّ منها لبعض المسؤولیات کطهاره المولد، و قد وردت فی النصوص الدینیه، و یؤدی توفُّرها فی الحاکم إلی مزید من ثقه أبناء الشعب بالحکومه الدینیه.

۱– – سوره النساء (۴)، الآیه ۱۴۱.

۲– سوره آل عمران (۳)، الآیه ۲۸.

ب – النضوج العقلی

بغض النظر عن الدلیل العقلی وسیره العقلاء، تؤکّد النصوص الدینیه علی لزوم النضوج العقلی للحاکم، و عدم إیکال الأُمور إلی السفیه أو الضعیف العقل. قال تعالی: (وَ لا تُؤْتُوا السُّفَهاءَ أَمْوالَکُمُ الَّتِی جَعَلَ اللّهُ لَکُمْ قِیاماً) . (۱) فمن الواجبات الأساسیه للحاکم توفیر و توزیع المقدّرات المالیه والاقتصادیه. و من الواضح أن الأمن والکرامه أثمن من المستلزمات المادیه. و لهذا فمن الأُولی أن لاتُجعل بید السفهاء.

روی عن الإمام جعفر الصادق علیه السلام: «لایَکونُ السَّفیهُ امامَ التّقی».(۲)

و جاء فی حدیث عن النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم أنه قال: «اِذا ارادَ اللّهُ بِقَوْمٍ شَرّاً وَلّی عَلَیْهِم سُفَهاءَهُمْ...».(۳)

و بیّن أمیرالمؤمنین علیه السلام فی کلامه له أن المراد من العقل لیس العقل العام؛ و ذلک لأنّ ضرورته من البدیهیات، و إنّما المراد، النضوج العقلی، أو العقل المتکامل القادر علی إدراک الأُمور المعقّده، و علی التدبیر الحکیم: «لَیْسَ الْعاقِلُ مَنْ یَعْرِفُ الْخَیْرَ مِنَ الشَّرّ، وَ لکِنَّ الْعاقِلَ مَنْ یَعْرِفُ خَیْرَ الشَّرَّیْن».(۴) العاقل هو من لایتوقف فی حیاته الاجتماعیه عند مفترق طریقین، و إنّما یسلک الطریق العقلانی فی خِضَمِّ حرکه المجتمع حین یضطر إلی مجاراتها.

و فی مجال الحکومه تحصل حالات کثیره، یُرغم المرء فیها علی الاختیار بین الضرر القلیل، والضرر الکثیر، مع الانتباه إلی أن أی إهمال أو تساهل یلحق ضرراً فادحاً بالدین والدوله. والحاکم الذی یرتضیه الدّین هو من یستطیع إدراک الأُمور المعقّده والدقیقه. و هذا ما یعبّر عنه باسم النضوج أو البلوغ العقلی، أو حسب تعبیر القرآن: (وَ لَمّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَیْناهُ حُکْماً وَ عِلْماً) .(۵)

۱- – سوره النساء (۴)، الآیه ۵.

۲- الکُلینی، الکافی، ج ۱، ص ۱۷۵، الحدیث ۲.

۳- المُتّقی الهندی، کنز العمال، ج ۶، ص ۷، الحدیث ۱۴۵۹۵.

۴- – المجلسی، بحارالانوار، ج ۷۵، ص ۶، الحدیث ۵۸.

۵- سوره یوسف (۱۲)، الآیه ۲۲.

ج – حُسن التدبير والسياسه

هناك بَوْن شاسع بين الأعمال الحكوميه من حيث سعه مجال المسؤوليه الاجتماعيه، و بين الأعمال الفرديه. و كلّما كانت الجماعات تحت سلطه أوسع، يكون وضع الخطط أصعب، و تنفيذها يتطلّب مزيداً من الدقّه والبحث، و تكون الأرقام أضخم، و مديات التعديل والموازنه أدق، و ترتيب الأُمور أعقد، و إدارتها أصعب. و من الواضح أن أصحاب المناصب الحكوميه لايستطيعون، من دون تدبير و أنظمه صحيحه، إداره شؤون المجتمع على نحو منظم و متطوّر، وضمان سعاده و كمال أبنائه. و حتى لو كانت كل القطاعات الاجتماعيه تؤدّى عملها بشكل جيّد على نحو انفرادى، مع انعدام النظم والتدبير والانسجام الصحيح على الصعيد العام، فمن المؤكّد أن ذلك المجتمع ينحدر نحو الهبوط، و لايذوق طعم السعاده.

أهم الشروط العمليه لتسلّم منصب حكومى – من الوجهه العقليه والشرعيه – بعد العقل والنضوج، هو حُسن التدبير. فقد يكون بعض الناس ناجحين فى أعمال اجتماعيه صغيره أو شؤون فرديه، و لكنهم يفشلون فى إداره شؤون اجتماعيه كبيره. قال أميرالمؤمنين عليه السلام «سبب التدمير سوء التدبير».(۱) و قال: «قِوامُ الْعَيْشِ حُسْنُ التَّقْديرِ و مِلاكُهُ حُسْنُ التَّدْبير».(۲)

حُسن السياسه والتدبير الصحيح يؤدّى إلى تماسك المجتمع، و تلاحم أبناء الشعب، و استقرار النظم الاجتماعى: «حُسْنُ السّياسَه قِوامُ الرَّعِيه».(۳) و حتى لو كان لدى الشعب اقتصاديه هائله، فإنَّه يقع ضحيه للفقر والانحطاط والتخلّف فيما إذا انعدم التدبير، فى حين أن حُسن التدبير يرفع الشعوب و يسير بها قُدُماً حتى و إنّ كانت فقيره. «اَلْقَليلُ مَعَ التَّدْبيرِ ابْقى مِنَ الْكَثيرِ مَعَ التَّبْذير».(۴) و جاء فى حديث أيضاً أن سبب سقوط الدول و زوالها هو سوء التدبير.(۵) و صرّح بأنّ «من ساء تدبيره تعجل تدميره».(۶)

۱– – الآمدى، غرر الحكم، ص ۳۵۴، الحديث ۸۰۸۸.

۲– المصدر السابق، الحديث ۸۰۸۴.

۳– – المصدر السابق، ص ۳۳۱، الحديث ۷۶۱۶.

۴– – المصدر السابق، ص ۳۵۴، الحديث ۸۰۷۹.

۵– المصدر السابق، الحديث ۸۰۹۶.

۶– المصدر السابق، الحديث ۸۰۹۱.

د – العلم والإجتهاد

أحد الشروط المهمه التی یجب أن تتوفر فی الحاکم الإسلامی هو أن یکون لدیه علم و تخصص فی أحکام الأعمال التی یتکفّل بها، بحیث تکون لدیه إحاطه تامه بالمهمّه الموکله إلیه؛ و ذلک لأن الحکم الإسلامی یجب أن یجری علی أساس قوانین الإسلام. و هذا طبعاً من الشروط التی یؤکّدها العقل والعقلاء و أقرّتها الشریعه المقدّسه؛ و سبب ذلک هو أن تصدی الجاهل و غیر الواعی لأیه مسؤولیه یعدّ عملاً غیر حکیم، و یتعارض مع الغایه من وجود الحکومه الإسلامیه.

بیَّن القرآن الکریم معیار أفضلیه طالوت علی غیره فی التصدّی لزمام الحکم، حین قال:

(وَ زادَهُ بَسْطَةً فِی الْعِلْمِ وَ الْجِسْمِ) . (۱) و هذه القضیه علی درجه من الوضوح بحیث إنّ الباری عزّوجلّ طرحها لحکم الآخرین و قضائهم فیها: (أَ فَمَنْ یَهْدِی إِلَی الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ یُتَّبَعَ أَمَّنْ لا یَهِدِّی إِلاّ أَنْ یُهْدی فَما لَکُمْ کَیْفَ تَحْکُمُونَ) .(۲)

و قد ورد فی أحادیث شریفه متعدده کلام مفاده أن من سابق غیره للتصدّی لمنصب، و کان بین الآخرین من هو أعلم منه، إنّما یکون سبباً فی ضلال الناس و انحطاط المجتمع.

و هناک أحادیث أُخری مثل: «مَنْ دَعَا النّاسَ الی نَفْسِهِ وَ فیهِمْ مَنْ هُوَ اعْلَمُ مِنْهُ فَهُوَ مُبْتَدِعٌ ضالّ»،(۳) و قول رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم: «مَا وَلَّتْ امَّهٌ امرَها رَجُلاً قَطّ وَ فیهِمْ مَنْ هُوَ اعْلَمُ مِنهُ الّا لَمْ یَزَلْ امْرُهُم یَذْهَبُ سِفالاً حتّی یَرجِعُوا الی ما تَرَکُوا»،(۴) تبیّن بکل وضوح مدی اهتمام الدّین بالعلم والتخصص إلی حد أنه اعتبر انحطاطهم ناتجاً عن هذا الإهمال.

فی الحکومه الإسلامیه، لاتنحصر الشروط الأساسیه للحاکم فی التخصُّص والاجتهاد البسیط، بل یشترط أن یکون هو الأعلم فی الفقه والاجتهاد. و من واجب الفقهاء و علماء

۱- – سوره البقره (۲)، الآیه ۲۴۷.

۲- سوره یونس (۱۰)، الآیه ۳۵.

۳- – الحرّانی، تحف العقول، ص ۳۷۵؛ النوری، المیرزا حسین، مستدرک الوسائل، الباب ۸ من أبواب جهاد العدو، ج ۱۱، ص ۲۹، الحدیث ۳.

۴- – النوری، المیرزا حسین، مستدرک الوسائل، المصدر السابق، ص ۳۰، الحدیث ۴.

الـدّين – طبعـاً – فيمـا يخص أمر الحكومه، الإشـراف على التنفيـذ الـدقيق لأحكـام اللّه فى المجتمع، و خـاصه من قِبل أصـحاب المنـاصب الحكوميه، و ليس من الضـرورى أن تكون الشؤون التنفيـذيه فى أيـدى الفقهاء. ويُفهم من هـذا أنّ مناصب الإشـراف الأساسيه فى الحكومه الدينيه، لابُدّ أن تكون بيد الفقيه الأعلم – أو شورى الفقهاء الذين يجب أن يكون الأعلم أحدهم – استناداً إلى آراء أكثريه الشـعب للحيلوله دون التخلّف عن تنفيـذ أحكـام اللّه. و هناك أحاديث كثيره دالّه على هـذا المعنى، و قـد ورد ذكرها بالتفصيل فى كتاب ولايه الفقيه.(۱) و جاء فى روايه صحيحه عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: إنَّ أبى قال – و كان أفضل من على الأرض و أعلمهم بالقرآن – إنّ نبيّنا صـلى الله عليه و آله و سـلم قال: إنّ من دعا الناس إلى نفسه بالسـيف و كان فى المسلمين من هو أفضل منه، فهو ضال متعسّف.(۲)

و جاء فى تفسير النعمانى عن أميرالمؤمنين عليه السلام فى بيان صفه من يتولى إمامه المسلمين، عند ذكر الصِفه الثانيه التى يجب توفّرها فيه، و هى أنه يجب أن يكون أعلم الناس بحلال اللّه و حرامه و ما يحتاجه الناس.(۳)

و ورد فى حـديث عن رسول اللّه صـلى الله عليه و آله و سـلم أنه قال: «مَنِ اسْـتَعْمَلَ عامِلاً مِنَ الْمسـلِمينَ وَ هُوَ يَعْلَمُ انَّ فيهِمْ اوْلى بِذلكَ مِنْهُ وَ اعْلَم بِكِتابِ اللّهِ وَ سُـنَّهِ نَبِيِّهِ فَقَدْ خانَ اللّهَ وَ رَسُولَهُ وَ جميعَ الْمسـلِمين»(۴) و قال سـيد الشهداء عليه السلام فى خطبه منقطعه النظير حول العلماء: «مَجارِى الأُمور وَالْأَحْكام عَلى ايْدِى الْعُلَماءِ بِاللّهِ الْأُمَناءِ عَلى حَلالِهِ وَ حَرامِه».(۵)

إنَّ مـا جـاء فى رسم معـالم الحكومه الإسـلاميه تحت عنوان ولاـيه الفقيه – فى شـكلها الحـالى – أو مـا يُـذكر بشأنها فى دسـتور الجمهوريه الإسـلاميه فى إيران، يمثّل نموذجاً لحكومه دينيه يمكن أن تكون هناك نماذج أُخرى لها، و لكنّ الشـىء المسـلّم به الذى لايمكن تجاهله هو ضـروره تطابق التشـريعات الحكوميه مع أحكام الدّين، و هذا يسـتدعى بطبيعه الحال إشـراف الفقهاء و أصحاب الاختصاص فى أحكام الدّين.

۱– – دراسات فى ولايه الفقيه، ج ۱، ص ۳۰۲–۳۱۸.

۲– الحرّ العاملى، وسائل الشيعه، الباب ۹ من أبواب جهاد العدو، ج ۱۵، ص ۴۲، الحديث ۲.

۳– المجلسى، بحارالأنوار، ج ۹۰، ص ۴۴ و ۴۵.

۴– – سُنن البيهقى، ج ۱۰، ص ۱۱۸.

۵– الحرّانى، تحف العقول، ص ۲۳۸.

۵ – العداله

یوصف بسط العداله بأنه أحد أهداف الأنبیاء و هو الغایه من إرسال الأنبیاء علیهم السلام:

(لَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلَنا بِالْبَیِّناتِ وَ أَنْزَلْنا مَعَهُمُ الْکِتابَ وَ الْمِیزانَ لِیَقُومَ النّاسُ بِالْقِسْطِ) . (۱) و لاشکّ فی أن بسط العداله یتطلب أن یقوم به عادل و مُنصِف. و من لایتّصف بالعدل والإنصاف لایمکن أن یقیم العداله. و إذا کانت الحکومه الدینیه تمهیداً لتطبیق أحکام الدّین، فلابّد أن یکون القائمون علیها قادرین علی تطبیق أحکام الدّین و تشریعاته. و من یعجز عن النهوض بالتکالیف الفردیه، لایرتجی منه أن یکون قادراً علی بسط العداله.

لاشکّ فی أن اهتمام الإسلام بشرط العداله فی أدق الشؤون الاجتماعیه و أعظمها یعزی إلی خاصیّه نفسیه فی بنی الإنسان و هی أنَّ من یفتقد فضیله فإنَّ هذا النقص یترک تأثیره فی الآخرین، و یکون مصداقاً لقاعده «النّاسُ عَلی دینِ مُلوکِهِم»، و هی أنّ صفاته و عاداته السیّئه تؤثّر فی المجتمع. و فضلاً عن ذلک فإنَّ کل مَن یتّصف بصفه قبیحه یحب أن یزداد المتّصفون بها فی المجتمع لکی یتخلّص من رهبه التفرّد بها، وتطیب حیاته؛ و قد قیل:

«فَإِنَّ الْبَلیّهَ اذا عَمَّتْ طابَتْ».

من یفتقر إلی صفه العداله یستهویه استشراء الظلم، إذ حین یعیش فی أجواء حافله بالجور یتحرر من الضغوط النفسیه و من تأنیب الضمیر، و لذلک لایستطیع المشارکه فی بسط العداله فی ظل حکومه دینیه.

و هذا شرط یفرضه العقل و تؤیّده الشریعه. و لذلک اعتبر شرط العداله فی کلمات المعصومین علیهم السلام أمراً مفروغاً منه، و ینصَبُّ الترکیز عاده علی إفرازاته وعواقبه. نقرأ فی روایه منقوله عن الإمام الباقر علیه السلام: «قالَ رَسُولُ اللّه صلی الله علیه و آله و سلم: قالَ اللّهُ عَزَّوَجَلَّ: لَأُعَذِّبَنَّ کُلَّ رَعِیّهٍ فِی الْإِسْلام دانَتْ بِوِلایَهِ امام جائرٍ ظالم لَیْسَ مِنَ اللّه وَ انْ کانَت الرّعِیهُ عِنْدَ اللّهِ بارّهً تَقِیّهً وَ لَأَ عْفُوَنَّ عَن کلِّ رَعِیَّهٍ فِی الْإِسْلام دانَتْ بِوِلایَهِ کُلِّ امامٍ عادِلٍ مِنَ اللّهِ وَ انْ

۱– – سوره الحدید (۵۷)، الآیه ۲۵.

كانَت الرَّعِيَّهُ فی اعْمالِها ظالِمهً مُسیئهً».(۱)

و قد روی عن أمیرالمؤمنین علیه السلام انه قال: «انّ السلطان لأمین اللّه فی الأرض و مقیم العدل فی البلاد والعباد و وزعته فی الأرض».(۲) و عنه قال علیه السلام: «الظلم یدمر الدیار».(۳)

و قال أیضاً: «العدل قوام البریه».(۴) و قال اللّه تعالی: (قُلْ آمَنْتُ بِما أَنْزَلَ اللّهُ مِنْ کِتابٍ وَ أُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَیْنَکُمُ) .(۵)

یتحمّل الحاکم فی الحکومه الدینیه العبء الأکبر من المسؤولیه، و هو معرّض للاتهام أکثر من غیره. و هذا ما یوجب علیه طبعاً إغلاق أی منفذ یثیر الشبهات ضدّه، و علیه أن یتحرّک علی طریق العدل وتطبیق أحکام الشریعه الإسلامیه کاملهً غیر منقوصه.

یروی أن المسلمین فی صدر الإسلام عندما شاهدوا الخلیفه الثانی یرتدی ثوباً طویلاً اتهموه بأنه أخذ من بیت المال أکثر من سهمه، فاضطر إلی الإتیان بشاهد یدفع به هذه التهمه عن نفسه والقصه معروفه. و من الواضح أن الدافع الذی یقف وراء هذه الهواجس هو أن تسلّط الحکام علی الأموال والمقدّرات العامّه إلی جانب وجود النفس الأمّاره، یفسح المجال لهم ولبطانتهم للاستغلال والاستئثار. و هذا ما یجعل أبناء الشعب بصفتهم أصحاب هذه الأموال یعیشون دائماً مثل هذه الهواجس. و لهذا تقع علی عاتق الحُکّام والمسؤولین مهمه تبدید هذه الهواجس من خلال سلوکهم القویم الذی یبعث فی أنفس الناس الثقه والأمان.

و من الطبیعی أن هذا الکلام لایعنی أن کل المشاکل ینقطع دابرها فیما إذا أُحرزت صفه العداله، أو أن وجودها کفیل بإغلاق کل منافذ الاستغلال والاستبداد والاستئثار بمقدرات البلاد والعباد، و إنّما هذه الصفه مؤثّره کوازع داخلی و رادع ذاتی، و لابُدّ طبعاً من وجود رادع خارجی تمارسه أجهزه الرقابه و مؤسسات الإشراف الحکومی.

۱- الحرّ العاملی، إثبات الهداه، ج ۱، ص ۱۲۳، الحدیث ۱۹۳.

۲- - الآمدی، غرر الحکم، ص ۳۴۱، الحدیث ۷۷۹۷.

۳- المصدر السابق، ص ۴۵۶، الحدیث ۱۰۴۲۷.

۴- - المصدر السابق، ص ۳۳۹، الحدیث ۷۷۵۱.

۵- سوره الشوری (۴۲)، الآیه ۱۵.

و – حُسن الخُلُق

هذا الشرط ليست له معالم واضحه، و لايتّسم بالشفّافيه فی العقود والأنظمه القانونيه المدوّنه، و لكنّ له تأثيراً غير خافٍ لدی كل شعوب العالم، بل إن بعض الأُمم حكمها أشخاص بحُسن الأخلاق والسيره الحميده – رغم افتقادهم لشروط أساسيه أُخری – واستمروا فی الحكم سنوات طويله، و غدوا مثالاً و قدوات يحتذی بها نظراؤهم.

كيفيه الحكم

اشاره

القضيه المهمّه فی باب الحكومه الدينيه، هی كيف ينبغی أن تتعامل الحكومه مع الشعب.

فالحكومه التی تستمد كل كيانها وسلطتها من الشعب – والدّين الحنيف أقَرَّ صحّه هذه العمليه – عليها أن ترسم فی الخطوه الأُولی السَبُل العمليه الموصله إلی الأهداف البشريه والدينيه المطلوب من الحكومه تحقيقها. و يمكن إيجاز ذلك بأن الفارق الأساسی الذی يميّز الحكومه الدينيه عن غيرها من الحكومات، هو دأبها و حرصها علی مداراه أبناء الشعب، و توفير حياه آمنه لهم، واحترام شخصيات المواطنين، والشعور بالمسؤوليه إزاءهم. جاء فی روايه عن الإمام الصادق عليه السلام يقارن فيها بين حكومه بنی أُميه و حكومه أهل البيت عليهم السلام: «اَما عَلِمْتَ انّ امارهَ بَنی اُمَيّه كانَتْ بِالسَّيْفِ وَالْعَسْفِ وَالْجَوْر، و انّ امامَتَنا بِالرِّفْقِ وَالتَّأَلُّفِ وَالْوقارِ وَالتّقِيّهِ و حُسْنِ الخِلْطَهِ وَالْوَرَعِ وَالْاِجْتِهاد؛ فَرَغِّبُوا النّاسِ فی دينِكُم وَ فی ما انْتُم عَلَيْه».(۱)

إذا كان الإنسان فی حياته الفرديه يحتاج إلی نظام، و لايمكنه دون ذلك أن يكون علی تقوی أو تديّن صحيح، فهو فی حياته الاجتماعيه أحوج إلی ذلك. و انطلاقاً من هذه الرؤيه يوصی أميرالمؤمنين عليه السلام ولديه الحسن والحسين عليهما السلام بقوله: «اوصيكُما وَ جميعَ ولدی وَ اهْلی وَ مَنْ بَلَغَهُ كِتابی بِتَقْوَی اللّهِ وَ نَظْمِ امْرِكُم».(۲) كلام الإمام هذا يعبّر بكل جلاء عن

۱– الحرّ العاملی، وسائل الشيعه، الباب ۱۴ من أبواب الأمر والنهی، ج ۱۶، ص ۱۶۵، الحديث ۹.

۲– – الشريف الرضی، نهج البلاغه، الكتاب ۴۷، ص ۴۲۱.

يقينه بـأن المجتمع المبنى على التقوى لاـيمكن أن يتحقّق من غير وجود نظم وتخطيط منهجى، و ليس هناك مروق على التقوى الاجتماعيه أسوأ من الفوضى وضياع النظم الاجتماعى.

والفوضـى بطبيعتها مدخل للكثير من المعاصـى والآثام. لذلك يُفضل الحاكم الفاجر على حاله الفوضـى.(۱) و لابـدّ طبعاً من أن يكـون النظم الاجتمـاعى مبنيـاً على أُسـس و ركـائز و أهـداف منطقيه لكى يتبلـور قـوامه. و نحن نعرض هنـا على بسـاط البحث مجموعه من هذه الأهداف؛ لكى تتوضح فى ضوء ذلك طبيعه السلوك الذى يتوخّاه أبناء الأُمّه من الحاكم الدينى.

أ – صيانه الحريّات الفرديه والإجتماعيه

بما أنّ الغايه من وجود الحكومه هى تنظيم شؤون المجتمع، و لهـذا يحق لها التـدخّل فقط فى الأُمور الاجتماعيه التى لايوجد من يتصـدّى لها، و لكن لايحق لها التدخل فى الشؤون الشخصـيه للأفراد أو فى الشؤون الاجتماعيه التى تتولاها جهه غير حكوميه، و أوكلت مهمه الإشـراف عليهـا إلى الآـخرين، إلّاإذا كان فيها ما يتعارض مع ضـرورات اجتماعيه حكوميه، وتثبت بالأدله المنطقيه ضروره تصدّى الحكومه لها.

و انطلاقـاً من هـذه الرؤيه يجب أن يكـون النـاس أحراراً فى مجالاـت مثـل الزراعه، والصـناعه، والتجـاره، والمسـكن، والملبس، والأُسـره، والتعليم، والسـفر، والتجمّعـات، والأـحزاب، والصـحف، و وسائل الإعلام، و ما شابه ذلك، إلّاإذا كانت هناك ضـروره تستدعى تدخّل الدوله.

من الواضـح أن المصالـح الاجتمـاعيه والفرديه تقتضـى أن يكون الناس أحراراً فى شؤون حياتهم، والحكومه ملزمه بمساعـدتهم ورعايتهم، و إلّافإنّ روح الإبداع والانتاج تضـمحل، و لكن ينبغى أن تقوم الدوله بدورها عند الضـروره و معالجه حالات التزاحم والتعارض.(۲)

إذاً، تدخّل الدوله فى مثل هذه الحالات يأتى من باب الاضطرار «الضّرورات تتقدّر بقدرها».

۱- – الآمدى، غُرَر الحِكَم، ص ۴۶۴، الحديث ۱۰۶۷۲.

۲- للاطلاع على مزيد من المعلومات فى هذا المضمار راجع: دراسات فى ولايه الفقيه، ج ۲، ص ۲۵-۳۰.

إنَّ أیَّ نوع من الإـکراه و منع النـاس من نیـل حقوقهم و حریّاتهم الفردیه والاجتماعیه یتعارض مع المیول والتوجهات الطبیعیه، و یناقض روح الـدّین؛ لأن الـدّین یتطابق مع الفطره. جاء فی روایه معتبره أنّ الإمام جعفر الصادق علیه السـلام قال: «اَلمؤمِنُ اعْظَمُ حُرْمَهً مِنَ الْکَعْبَهِ».(۱)

ب – المساواه أمام القانون

من عوامل ضـعف و انهیار الحکومات و انحطاط الدول هو التمایز بین الناس فی تطبیق القانون. فأصحاب القوّه یُسْتثنون عاده مِن شمول القوانین. و غالباً ما یحظی ذووهم و أقاربهم و أصدقاؤهم بتسهیلات لایحصل علیها سائر الناس. و من الطبیعی أن مثل هذا السـلوک یؤدّی إلی فقدان ثقه الشـعب بالحکومه، و ینتهی بها إلی الانهیار والسـقوط. نقل عن رسول اللّه صـلی الله علیه و آله و سلم أنه قـال: «اَیُّهَا النّاسُ! انَّما اهْلَکَ الَّذینَ قَبْلَکُمْ انَّهُمْ کانُوا اذا سَـرِقَ فیهمُ الشَّریف تَرَکُوه وَ اذا سَـرِقَ فیهِمُ الضَّعیفُ اقامُوا عَلَیْهِ الْحَدّ؛ وَ ایْمُ اللّه، لَوْ انَّ فاطِمَهَ بِنْتَ مُحَمّدٍ سَرَقَتْ لَقطعْتُ یَدَها»(۲) و کتب علی بن أبی طالب علیه السلام إلی أحد عماله ما یلی: «وَاللّهِ لَوْ انَّ الْحَسَنَ وَالحُسَـیْنَ فَعَلا ـ مِثْلَ الَّذی فَعَلْتَ مـا کانَتْ لَهُما عِنْـدی هوادَهٌ وَ لا ظَفِرا مِنّی بإرادهٍ، حَتّی آخُـذَ الْحقَّ مِنهما وَ ازیلَ الْباطلَ عَنْ مَظْلَمَتِهِما».(۳) و کتب علیه السـلام أیضاً فی عهده إلی مالک الأشتر حدیثاً عن رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم، و هذا الحدیث بلغ فی کتب الفریقین حد التواتر (التواتر الإجمالی علی الأقل) و هو أنه قال: «فَإنّی سَـمِعْتُ رَسُولَ اللّه صلی الله علیه و آله و سلم یَقولُ فی غَیْرِ مَوْطِنٍ: لَنْ تُقَدَّسَ امّهٌ لایُؤخَذُ لِلضَّعیفِ فیها حَقُّه مِنَ الْقَوِیّ غَیْر مُتتعتِعٍ».(۴)

لاشکّ فی أنّ فقدان القیم فی مجتمعٍ یُعزی سببه إلی انعدام القیم فی نظامه الاجتماعی.

و معنی ذلک أنه إن کان هناک ظلم، و یشعر الضعفاء بعدم الأمان، أو یعجزون عن استیفاء

۱- الصدوق، الخصال، باب الواحد، ص ۲۷، الحدیث ۹۵.

۲- – صحیح مسلم، کتاب الحدود، حد السرقه، ج ۱۱، ص ۱۸۶.

۳- – الشریف الرضی، نهج البلاغه، الکتاب ۴۱، ص ۴۱۴.

۴- الشریف الرضی، نهج البلاغه، الکتاب ۵۳، ص ۴۳۹.

حقوقهم، فالسبب يعود إلى افتقار ذلك المجتمع إلى القيم الدينيه والإنسانيه. و مثل هذا المجتمع خالٍ من القدسيه.

ج – الإشراف العام على المسؤولين

النظام الاجتماعى يتطلّب إشرافاً متبادلاً بين المسؤولين والمواطنين على سلوك بعضهما الآخر. أى إضافه إلى الاطلاع على آراء و توجُّهات كل منهما، يجب أن يكون هناك أيضاً إشراف عام و دائم على الأعمال والأولويات، و إصرار على تطبيق القانون.

فى العصور التى كانت فيها وسائل الاتصال محدوده، كان الإشراف، و مراقبه أعمال المسؤولين متعذّراً، إلّاعن طريق الرسائل والعيون أو المسافرين الذين يشاهدون بعض الأحداث هنا و هناك، إلّاأن ذلك لم يمنع من الدعوه إلى أن يمارس أبناء الأُمّه حق الرقابه والإشراف على ممارسات المسؤولين.

أما فى عصرنا الحاضر فقد تطوّرت وسائل الاتّصال، و تأثّرت علاقات الناس مباشره بمعطيات هذا التطوّر؛ و أصبح بالإمكان الإطّلاع على ما يجرى فى أقصى بقاع العالم بكل سهوله، و إبداء الآراء بشأنها.

و بناءً على ذلك تكون أفضل وسائل الاتصال فى حقل الإشراف والرقابه هى وسائل الإعلام العامّه – التى لاتخلو من الآفات طبعاً، و تستعمل أحياناً فى أُمور مخالفه للشرع والعقل والعرف – إذ إنّ فوائدها لايمكن تجاهلها، و من جمله هذه الوسائل هى الصحف التى تؤدّى أهم الأدوار فى ثبات و إصلاح سيره الحكومات والأنظمه السياسيه والاجتماعيه.

و هناك أيضاً وسائل إعلام أُخرى كالإذاعه والتلفاز والشبكات الفضائيه، والإنترنت، والهاتف، فضلاً عن السينما والمسرح والنتاجات الثقافيه والفنيه، و كلّها تقوم بدور لايُستهان به فى نقل المعلومات بسرعه، مقارنه مع ما كانت عليه الأُمور فى الماضى. و هذا ممّا يوفّر فرصاً واسعه للاتصال المستمر والإشراف الدقيق. من المعروف أنه كلّما ازدادت الرقابه والإشراف على مسؤولى الأُمور الاجتماعيه، تضيق عليهم سبل التخلّف، و تكثر الأعمال القانونيه والحميده، و كلّما ضعف الإشراف تزداد المخالفات والفساد واستغلال السلطه.

فی عصر نزول الوحی کان الإسلام یشجع إلی حدٍّ بعید علی استقاء التجارب من سیره الماضین، من أجل أن تتبلور للمسلمین أُمّه وسط فی کل المجالات الفکریه والعلمیه:

(لِتَکُونُوا شُهَداءَ عَلَی النّاسِ) .(۱)

و أوضح شاهد علی هذا، هو سرد قصص الأنبیاء؛ إذ إنَّ القرآن حین عرض تاریخ و قصص الأُمم السالفه، دعا المسلمین إلی التأمل والتدبّر فیه، واستقاء العبر من تواریخ الغابرین. فقد أشار فی سوره الحشر إلی تاریخ یهود المدینه الذین کانوا قد أُخرجوا من وطنهم، ثم قال: (فَاعْتَبِرُوا یا أُولِی الْأَبْصارِ) .(۲)

و فی أقوال المعصومین علیهم السلام تأکیدات کثیره و متکرره حول لزوم الوعی و فهم القضایا الاجتماعیه. فهذه دعوه یوجّهها الإمام الحسین علیه السلام إلی علماء الدّین الذین یلفّهم الصمت و لایبدر منهم أی نقد لإساءات الحُکّام، یقول فیها: «وَ قَدْ تَرَوْنَ عُهودَ اللّهِ مَنْقوضَهً فَلا تَفْزَعُون وَ انْتُمْ لِبَعْضِ ذِمَمِ آبائِکُمْ تَفْزَعُونَ».(۳)

و کان علیه السلام قد استعرض فی صدر هذه الخطبه ما قصّه القرآن حول الأحبار والرهبان، قائلاً: إن اللّه قد ذمَّ عمل علماء بنی اسرائیل لعدم قیامهم بواجباتهم فی الأمر بالمعروف والنهی عن المنکر: «و انّما عابَ اللّهُ ذلکَ عَلَیْهِم لِاَنَّهُمْ کانُوا یَرَوْنَ مِن الظَّلَمهِ الّذینَ بَیْنَ اظْهُرِهِم الْمنکَر وَالْفَساد فَلا یَنْهَوْنَهُمْ عَنْ ذلک».(۴)

کان اطلاع الإمام الحسین علیه السلام علی المظالم والانحرافات قد حدا به إلی أن تکون خطبته هذه زاخره بالتقریع والمذمّه، و نقل الکثیر من وقائع و ظروف المجتمع الإسلامی إلی علماء الدّین، لیستحثّهم علی تحمل مسؤولیاتهم إزاء القضایا الاجتماعیه.

و قال أمیرالمؤمنین علیه السلام فی خطبته المعروفه باسم القاصعه: احْذَرُوا مَا نَزَلَ بِالْأُمَمِ قَبْلَکُمْ مِنَ الْمَثُلاتِ بِسُوءِ الْأَفْعَالِ وَذَمِیمِ الْأَعْمَالِ فَتَذَکَّرُوا فِی الْخَیْرِ وَالشَّرِّ أَحْوَالَهُمْ وَاحْذَرُوا أَنْ تَکُونُوا أَمْثَالَهُمْ فَإِذَا تَفَکَّرْتُمْ فِی تَفَاوُتِ حَالَیْهِمْ فَالْزَمُوا کُلَّ أَمْرٍ لَزِمَتِ الْعِزَّهُ بِهِ شَأْنَهُمْ وَزَاحَتِ الْأَعْدَاءُ لَهُ عَنْهُمْ وَمُدَّتِ الْعَافِیَهُ بِهِ عَلَیْهِمْ وَانْقَادَتِ النِّعْمَهُ لَهُ مَعَهُمْ وَ وَصَلَتِ الْکَرَامَهُ عَلَیْهِ

۱- سوره البقره (۲)، الآیه ۱۴۳.

۲- سوره الحشر (۵۹)، الآیه ۲.

۳- الحرّانی، تُحف العقول، ص ۲۳۸.

۴- المصدر السابق، ص ۲۳۷.

حَبْلَهُمْ مِنَ الِاجْتِنَابِ لِلْفُرْقَهِ وَاللُّزُومِ لِلْأَلْفَهِ وَالتَّحَاضِّ عَلَيْهَا وَالتَّوَاصِي بِهَا وَاجْتَنِبُوا كُلَّ أَمْرٍ كَسَرَ فِقْرَتَهُمْ وَأَوْهَنَ مُتَّتَهُمْ مِنْ تَضَاغُنِ الْقُلُوبِ وَ تَشَاحُنِ الصُّدُورِ وَ تَدَابُرِ النُّفُوسِ وَ تَخَاذُلِ الْأَيْدِي.(۱)

و جاء فی عهد أمیرالمؤمنین إلی مالک الأشتر: ثُمَّ تَفَقَّدْ أَعْمَالَهُمْ وَابْعَثِ الْعُيُونَ مِنْ أَهْلِ الصِّدْقِ وَالْوَفَاءِ عَلَيْهِمْ فَإِنَّ تَعَاهُدَكَ فِي السِّرِّ لِأُمُورِهِمْ حَدْوَهٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِعْمَالِ الْأَمَانَهِ وَالرِّفْقِ بِالرَّعِيَّهِ وَتَحَفَّظْ مِنَ الْأَعْوَانِ فَإِنْ أَحَدٌ مِنْهُمْ بَسَطَ يَدَهُ إِلَى خِيَانَهٍ اجْتَمَعَتْ بِهَا عَلَيْهِ عِنْدَكَ أَخْبَارُ عُيُونِكَ اكْتَفَيْتَ بِذَلِكَ شَاهِداً فَبَسَطْتَ عَلَيْهِ الْعُقُوبَهَ.(۲)

الملاحظه الأُخری هی إشراف کل واحد من أبناء الشعب علی السلوک الاجتماعی لولاه الأُمور، و هو ما یتجسّد عاده علی شکل أحزاب و جمعیات سیاسیه و اجتماعیه و نقابیه.

و کل هذه الأُمور یجب أن تجری بأسالیب مستساغه، و تحت إشراف قنوات رسمیه و قانونیه، لکی لاتکون منفذاً للفوضی والتدخل الاعتباطی فی شؤون الآخرین.

د – الرضا العام

یجب أن تحرص الحکومه علی أن یؤدّی سلوکها إلی کسب رضا الشعب، و أن لاتتعدی القوانین فی هذا السیاق. فقد ورد فی ما کتبه أمیرالمؤمنین علی بن أبی طالب علیه السلام فی عهده إلی مالک الأشتر: «وَلْيَكُنْ احَبُّ الأُمور اَلَيْكَ اوْسَطها فِي الْحَقّ و اعَمَّها فِي الْعَدْل وَ اجْمَعَها لِرِضَى الرَّعِيَّه، فَإِنَّ سُخْطَ الْعامَّهِ يُجْحِفُ بِرِضَى الْخاصَّه وَ انَّ سُخْطَ الْخاصَّه يُغْتَفَرُ مَعَ رِضَى الْعامَّه... وَ انّما عِمادُ الدّين وَ جماعُ المُسلِمينَ وَالعدّه لِلْاَعْداء، الْعامّهُ مِنَ الْاُمّه، فَلْيَكُنْ صَغْوُكَ لَهم وَ مَيْلُكَ مَعَهُمْ».(۳)

و تضمّنت مقبوله عمر بن حنظله سؤالاً عُرض علی الإمام الصادق علیه السلام حول ما یکون فیه اختلاف بین الروایات، فأجاب علیه السلام: یُنظر إلی الروایه المُجمع علیها بین الأصحاب فیؤخذ بها، ویُترک الشاذ عن المشهور بین الأصحاب؛ لأن المُجمع علیه بین الأصحاب

۱- الشریف الرضی، نهج البلاغه، الخطبه ۱۹۲، ص ۲۹۶ و ۲۹۷.

۲- المصدر السابق، الکتاب ۵۳، ص ۴۳۵ و ۴۳۶.

۳- المصدر السابق، الکتاب ۵۳، ص ۴۲۹.

لایُستراب به.(۱)

و لیس مراد الإمام الصادق هنا هو أن الروایه المشهوره لاریب فی صحّتها، بل المراد إنّها أکثرُ مدعاه للاطمئنان العرفی والاجتماعی من الروایه غیر المشهوره، و هذا یعنی إنّها فی الحد الذی یوثق به دون تردّد.

و إذا کان هذا المعیار مقبولاً فی ما یخص أصل حکم اللّه، فلابّد أن یکون هذا المنطق مقبولاً فیما یخص عمل الحکومه أیضاً. و کل سلوک یخالف الفهم العام للعلماء و عرف العقلاء. فهو سلوک غیر منطقی.

و علی أیه حال، ینبغی العمل فی ما یتعلّق بشؤون الناس وفقاً لِما یرتضون، و ذلک لأنّ ضرر الاستبداد و فرض آراء الحکام علی الناس - مهما کانت تلک الآراء صحیحه - أکثر بکثیر من أن یسیر الناس أنفسهم فی طریق ثم یدرکون خطأهم. ففی الحاله الأخیره یسیرون علی طریق التکامل، و أما فی الحاله الأُولی فتعنی التوقّف عن المسیر.

ه - التساهل

کل من أدرک إلی حدٍّ ما حقیقه الإنسان، واستوعب ما یکتنفها من نقص أو کمال، لابد و أن یعلم بوقوع کثیر من المخالفات والأخطاء - رغم کل الوصایا والإرشادات والأحکام الشرعیه والقانونیه - حتی بات من المتیقّن أنه لایوجد شخص - عدا المعصومین علیهم السلام - مصون من الخطأ.

استطاع رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم إرساء بناء اجتماعی سلیم و تربیه شخصیات تفتخر بها الإنسانیه - فی مجتمع غارق بالفساد - بسبب ما کان یتّصف به من الصبر والرأفه والدعوه إلی شریعه سمحاء. یقول القرآن: (فَبِما رَحْمَهٍ مِنَ اللّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَ لَوْ کُنْتَ فَظًّا غَلِیظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِکَ) ، (۲) و (وَ ما أَرْسَلْناکَ إِلاّ رَحْمَهً لِلْعالَمِینَ) ، (۳) و (وَ إِنَّکَ لَعَلی خُلُقٍ عَظِیمٍ) .(۴)

۱- الکُلینی، الکافی، ج ۱، ص ۶۸، الحدیث ۱۰.

۲- - سوره آل عمران (۳)، الآیه ۱۵۹.

۳- سوره الأنبیاء (۲۱)، الآیه ۱۰۷.

۴- سوره القلم (۶۸)، الآیه ۴.

من يتصدّون لمنصب قياده المسلمين يجب أن يقتدوا بأخلاق النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم والأئمه المعصومين عليهم السلام. و كل من يحمل رذيله أخلاقيه أو صفه سيّئه أو خصله قبيحه غير جدير بمناصب اجتماعيه. و مجرّد وجود واحده من هذه السيّئات فى شخصٍ ما يكفى لإثبات عدم كفاءته لتسلّم منصب اجتماعى مهم.

و من الصفات الحسنه التى ينبغى أن يتحلّى بها الحاكم الإسلامى هى صفه التغاضى والتغافل عن أخطاء الناس و عيوبهم. روى عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنه قال: «نِصْفُ الْعاقِلِ احْتِمالٌ وَنِصْفُهُ تَغافُلٌ».(۱) و قال فى موضع آخر: «لا عَقْلَ كَالتَّجاهل».(۲) و ينبغى أن لايتّصف الحاكم بسوء الظن فى الناس: «لاإيْمانَ مَعَ سُوءِ ظَنٍّ».(۳) و من القبيح أن يرى الحاكم أنه أفضل من غيره و أن رأيه يرجح على آراء الآخرين: «شَرُّ النّاسِ مَنْ يَرى انَّهُ خَيْرُهُمْ».(۴) و يُفترض أيضاً أن يتّصف بالحلم، و ذلك لعلمه أنه «لا خَيْرَ فى عَقْلٍ لايُقارِنُهُ حِلْمٌ».(۵) و قال أميرالمؤمنين عليه السلام: «بالاحتمال والحلم يكون الناس أنصاراً و أعواناً».(۶)

و روى عن الإمام على بن موسى الرضا عليه السلام عن آبائه عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنه قال:

قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم: «اَلمؤمِنُ هَيِّنٌ لَيِّنٌ سَمْحٌ لَهُ خُلْقٌ حَسَنٌ، وَالْكافِر فظٌّ غَليظٌ لَهُ خُلْقٌ سَيِّيءٌ وَ فيه جبريه».(۷)

الأخلاق الفاضله تقتضى التغاضى إلى أبعد حدٍّ ممكن عن عيوب الأفراد و نواقصهم.

و أن نحرص على التغافل إلى الحد الذى لايؤدّى إلى الإخلال بالنظم الاجتماعى العام.

و – حفظ المصلحه العامّه داخلياً و خارجياً

قد يكون المسؤولون الحكوميون – بغض النظر عن المكانه الاجتماعيه الناجمه عن

۱– – الآمدى، غُرَر الحِكَم، ص ۲۴۵، الحديث ۵۰۲۶.

۲– المصدر السابق، ص ۵۳، الحديث ۴۳۲.

۳– – المصدر السابق، ص ۲۶۴، الحديث ۵۶۸۹.

۴– – المصدر السابق، الحديث ۷۰۸۲.

۵– المصدر السابق، ص ۲۸۶، الحديث ۶۴۱۶.

۶– المصدر السابق، ص ۲۸۷، الحديث ۶۴۴۹.

۷– الحرّ العاملى، وسائل الشيعه، الباب ۱۰۶ من أبواب أحكام العشره، ج ۱۲، ص ۱۵۹، الحديث ۴.

المنصب الحكومی - أصحاب عزّه واعتبار. و من بعد تسلّم المنصب الحكومی يبقی اهتمامهم منصبّاً علی مكانتهم الفرديه، و يحصل أحياناً تضارب و تعارض بين المصلحه والاعتبار الفردی أو الفئوی من جهه، و بين المصلحه التی يتطلبها المنصب الحكومی من جهه أُخری، بحيث أنه إذا أراد حفظ اعتباره الشخصی، لايتمكن من أداء مسؤوليته الاجتماعيه علی نحو صحيح و كامل، فيضطر علی أثر ذلك أن لايقف بوجه باطل و لايصمد أمام سلطه أعلی. و فی مثل هذه الحاله إذا رجّح المصلحه العامّه قد يفشل فی الحفاظ علی مكانته و اعتباره الفردی، أو قد يفقد منصبه.

و مما ينبغی أن لايغيب عن الأذهان أنّ المنصب الحكومی عباره عن ميثاق يُبرم بين أصحاب السلطه و بين الشعب. و يجب فی كل الأحوال إعطاء الأولويه للمصلحه العامّه علی المصلحه الفرديه والفئويه للحُكّام، و إلّاففی ذلك خيانه للأُمّه، و خيانه الأُمّه عقابها شديد عند اللّه. روی عن رسول اللّه صلی الله عليه و آله و سلم: «اِنَّ مِنْ اخْوَنِ الخِيانهِ، تجارهُ الْوالی فی رَعِيتِهِ».(۱) و قال أميرالمؤمنين عليه السلام: «اِنّ هذِهِ الإمارَه أمانهٌ، فَمَنْ جَعَلَها خيانهً فَعَلَيْهِ لَعْنَهُ اللّهِ الی يَوْمِ الْقِيامه».(۲)

و علی صعيد العلاقات الخارجيه يجب التعامل بمزيد من الحرص والدقّه عند إبرام العقود، و أن تكون المصلحه العامّه فوق كل اعتبار. و لايفترض بالمسؤولين أن يجنوا لأنفسهم منافع و أرباحاً عن هذا الطريق. و يجب أن لايستغلوا ما كان منهم مَرْضيّاً عند الشعب من مواقف سياسيه يوماً ما، ثم بدّلوا و حالوا عنها و انقضی تاريخ صلاحيتها، ليكسبوا بها مصالح شخصيه بما يُلحق الضرر بالأُمّه. و من لم يجد فی نفسه القدره علی تلبيه هذه المتطلّبات، عليه أن لايُقحم نفسه فی مناصب حكوميه. روی عن الإمام الصادق عليه السلام:

«مَنْ وُلِّیَ شَيْئاً مِنْ امورِ المسْلِمينَ فَضَيَّعَهُم، ضَيَّعَهُ اللّهُ تَعالی».(۳)

۱- - المُتّقی الهندی، كنز العمال، ج ۶، ص ۲۷، الحديث ۱۴۶۹۸.

۲- القاضی النعمان، دعائم الإسلام، ج ۲، ص ۵۳۱، الحديث ۱۸۹۰.

۳- الصدوق، ثواب الاعمال وعقاب الاعمال، ص ۳۰۹، الحديث ۱.

ز – اجتناب إثاره التوتّر

إحدى الآفات المرافقه للسلطه، الغرور والتكبّر. فبعض الأشخاص الذين يتّصفون بضيق الأُفق، بمجرد أن يتسلَّموا منصباً حتى يستحوذ عليهم شعور بالتفوّق على غيرهم، يدفعهم إلى الاستهانه بالآخرين و خاصه معارضيهم.

و من الطبيعى أنّ الاستهانه بالمعارضين السياسيين، واتّخاذ مواقف حادّه إزاءهم من قبل السلطه – سواء بالقول أو بالفعل – يدفع أُولئك المعارضين و أنصارهم إلى اتخاذ مواقف متطرّفه شديده ضد السلطه، تفضى فى نهايه المطاف إلى إثاره التوتر و خلق الأزمات بين الحكومه والشعب.

أما الذين يتّصفون بسعه الفِكر و بُعد الأُفق من المسؤولين السياسيين فلا يثيرون التوتر والأزمات؛ لأنهم يتعاملون مع الآخرين بالمداراه و حسن الخلق انطلاقاً من التعاليم الشرعيه التى تحظر أيه نظره تستهين بالآخرين و كرامتهم وتثير مشاعرهم.

و هذا ما ينبغى أن يؤخذ بنظر الاعتبار فى العلاقات الخارجيه، لأن أى نوع من الاستهانه بمقدساتهم يثير مشاعرهم و سخطهم، وربّما يدفعهم إلى اتخاذ مواقف مماثله،(۱) و هذا مما قد يسوق البلد إلى الدخول فى صراعات، و هو ما تأباه الشريعه قطعاً.

قد تنشأ الصراعات والحروب من كلمه يتفوّه بها بعض أركان السلطه، أو من سلوك طائش يبدر من أحد منهم. جاء فى الحديث: «رُبَّ فِتْنَهٍ اثارَها قَولٌ»(۲) و قيل أيضاً:

«كَمْ مِنْ دَمٍ سَفَكَهُ فَمٌ».(۳)

مِن المؤكّد أن مساعى الحُكّام فى البلد الإسلامى إذا كانت فى سياق السعى نحو التعايش السلمى فإن مثل هذه الأُمور لاتحصل و لا تؤدى إلى إثاره التوتّر.

۱– – مثلما دعا القرآن الكريم (فى الآيه ۱۰۸ من سوره الأنعام) إلى عدم سبّ من يدعون من دون اللّه فيسبّوا اللّه جهلاً.

۲– – الآمدى، غُرَر الحِكَم، ص ۲۱۳، الحديث ۴۱۵۲.

۳– المصدر السابق، الحديث ۴۱۵۸.

ح – الاقتصاد فی النفقات

الأموال العامّه أمانه فی أیدی الحُکّام، لکن هذا لایعنی استباحه التصرّف بها خارج ما تملیه الالتزامات الشرعیه. و توفیر متطلبات الشعب مسؤولیه کبری ینوء بحملها المسؤولون الحکومیون، و یُحاسبون علیها حساباً عسیراً فی الدنیا والآخره. و لکلٍّ من صفه البخل أو التبذیر فی إنفاق بیت المال تبعات و انعکاسات سلبیه لاتُعوّض.

کتب أمیرالمؤمنین فی عهده إلی مالک الأشتر لَمّا ولّاه مصر: وَ لَاتُدْخِلَنَّ فِی مَشُورَتِکَ بَخِیلاً یَعْدِلُ بِکَ عَنِ الْفَضْلِ وَ یَعِدُکَ الْفَقْرَ وَ لَاجَبَاناً یُضْعِفُکَ عَنِ الْأُمُورِ وَ لَاحَرِیصاً یُزَیِّنُ لَکَ الشَّرَهَ بِالْجَوْرِ فَإِنَّ الْبُخْلَ وَالْجُبْنَ وَالْحِرْصَ غَرَائِزُ شَتَّی یَجْمَعُهَا سُوءُ الظَّنِّ بِاللَّهِ.(۱) و روی عن الإمام الصادق علیه السلام أن عیسی بن مریم علیه السلام قال: داویت المرضی فشفیتهم بإذن اللّه و أبرأت الأکمه والأبرص بإذن اللّه و عالجت الموتی فأحییتهم بإذن اللّه، و عالجت الأحمق فلم أقدر علی إصلاحه فقیل: یاروح اللّه، و ما الأحمق؟ قال: المعجب برأیه و نفسه، الذی یری الفضل کُلّه له لا علیه، و یوجب الحق کُلّه لنفسه و لایوجب علیها حقاً، فذاک الأحمق الذی لا حیله فی مداواته.(۲) و هم المراد من السفهاء فی هذه الآیه: (وَ لاـ تُؤْتُوا السُّفَهاءَ أَمْوالَکُمُ الَّتِی جَعَلَ اللّهُ لَکُمْ قِیاماً) . (۳) الذین لو تسلّطوا علی الأموال والأنفس، زادوا خساراً. یستطیع تلبیه المتطلبات الاقتصادیه للناس من لدیه قدره علی التخطیط، و یتّصف بحسن التدبیر، و هذه الصفات لاتتوفر إلّافیمن یتحلّی بفضائل بیّنها الإمام الباقر علیه السلام، و هی فهم الدّین، والصبر، والجَلَد فی الشدائد، والقدره علی التخطیط الاقتصادی.(۴)

ط – حفظ حقوق الأقلّیات

من أصعب المهام فی العلاقات الاجتماعیه، رعایه حقوق الأقلیّات القومیه، والدینیه،

۱– – الشریف الرضی، نهج البلاغه، الکتاب ۵۳، ص ۴۳۰.

۲– – المجلسی، بحارالانوار، ج ۶۹، ص ۳۱۹ و ۳۲۰.

۳– – سوره النساء (۴)، الآیه ۵.

۴– الکُلینی، الکافی، ج ۱، ص ۳۲، الحدیث ۳۲.

والسیاسیه. فتعالیم الدّین الحنیف تؤکّد بصراحه علی وجوب رعایه حقوق الأقلّیات، و تری أنّ فی تجاهلها دلاله علی عدم التمسّک بأحکام الشریعه. من الصور المشرقه التی قدّمها الإسلام أنه ساوی بین الناس و أزال التمایز الاقتصادی والسیاسی والثقافی، ودحض موجبات التفاخر القومی، حتی بلغ الحال بأمیر المؤمنین علیه السلام أن بادر فی بدایه حکمه إلی إلغاء الامتیازات التی منحها الخلفاء السابقون لبعض الأفراد والفئات، و أعاد إقرار المساواه بین الناس من جدید.

فی ما یتعلّق باحترام حقوق الأقلّیات الدینیه، تُعتبر مواثیق النبیّ وعهوده مع المسیحیین والیهود من الأدلّه الساطعه علی ذلک. کما کانت سیره المسلمین معهم علی مرّ الزمن سیره إنسانیه. فقد جاء فی العهد الذی أبرمه النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم مع نصاری نجران، ما یلی:

«لا یُغیّر ما کانوا عَلَیه وَ لایغیّر حَقٌّ مِنْ حُقوقِهم وَ امثلِتِهم».(۱)

و جاء أیضاً فی وثیقه النبی صلی الله علیه و آله و سلم مع یهود المدینه: إنّ یهود بنی عوف أُمّه مع المؤمنین، للیهود دینهم و للمسلمین دینهم، مواليهم و أنفسهم إلّامن ظلم و أثم، فإنه لایُوتغ إلا نفسه و أهل بیته، و إن لیهود بنی النجار مثل ما لیهود بنی عوف، و إن لیهود بنی الحارث مثل ما لیهود بنی عوف، و إن لیهود بنی ساعده مثل ما لیهود بنی عوف، و إن لیهود بنی جشم مثل ما لیهود بنی عوف، و إن لیهود بنی الأوس مثل ما لیهود بنی عوف، و إن لیهود بنی ثعلبه مثل ما لیهود بنی عوف، إلا من ظلم و أثم.(۲)

أما بالنسبه إلی الأقلّیات السیاسیه التی تظهر بین المسلمین و تحمل اتجاهات سیاسیه مختلفه، فالأمر واضح و هو التساوی فی الحقوق، حتی أن علماء الدّین لم یبحثوا هذا الموضوع کثیراً بسبب وضوحه. و فی سیره المعصومین علیهم السلام و أقوالهم کثیر مما یؤید هذا المعنی.

کتب أمیرالمؤمنین علیه السلام فی عهده إلی مالک الأشتر حول رعایه حقوق الناس ما یلی:

«فَاِنَّهُمْ صِنْفان، امّا اخٌ لَکَ فِی الدّینِ وَ إِمّا نَظیرٌ لَکَ فِی الْخَلْق».(۳)

۱- البلاذری، فتوح البلدان، ص ۷۶.

۲- ابن هشام، السیره النّبویه، ج ۲، ص ۱۴۹.

۳- الشریف الرضی، نهج البلاغه، الکتاب ۵۳، ص ۴۲۷.

و معنی هذا الکلام أن الحاکم ملزم برعایه حقوق الآخرین سواء اتفقوا معه فی الرأی أم لا.

هذا فضلاً عما ورد من أحادیث فی ذمّ الإساءه إلی الناس(۱) أو التصرف بأموالهم و مصادره حقوقهم.(۲) جاء فی روایه عن الإمام الصادق علیه السلام قال: إنّ اللّه لایؤوی خائناً. فسأله الراوی:

و من الخائن؟ قال: «مَنِ ادَّخَرَ عَنْ مُؤمِنٍ درهَماً اوْ حَبسَ عَنْهُ شَیْئاً مِنْ امْرِ الدُّنْیا».(۳)

جاء فی حدیث معتبر عن الإمام الصادق علیه السلام انه قال: «إذا کان یوم القیامه نادی منادٍ:

أین الصدود لأولیائی؟ فیقوم قوم علی وجوههم لحم فیُقال: هؤلاء الذین آذوا المؤمنین و نصبوا لهم و عاندوهم و عنّفوهم فی دینهم ثم یؤمر بهم إلی جهنّم. قال أبوعبداللّه علیه السلام: کانوا واللّه الذین یقولون بقولهم: و لکنهم حبسوا حقوقهم و أذاعوا علیهم سرّهم».(۴)

و جاء فی حدیث معتبر آخر عن الصادق علیه السلام انه قال: «مَنْ حَبس حَقَّ المُؤمِنِ اقامَهُ اللّهُ عزَّوَجلَّ یَومْ القِیامَه خَمْسمِأه عام عَلی رِجْلَیْهِ حَتّی یَسیلَ عَرَقُهُ اوْ دَمُهُ وَ یُنادی مُنادٍ مِنْ عِنْدِ اللّهِ: هذا الظّالِمُ الَّذی حَبسَ عَنِ اللّهِ حَقَّهُ. قال: فَیُوبّخُ اربعینَ یوماً ثُمَّ یُؤمَرُ بِه الَی النّار».(۵)

و بغض النظر عن سیره أمیرالمؤمنین علیه السلام ازاء المعارضین الذین رفعوا عقیره مخالفته علانیه و علی شکل تکتّلات و جماعات، و لکنه لم یحرمهم من حقوقهم و لم یقطع عنهم عطاءهم من بیت المال و لم یسلبهم شیئاً من حریّه الرأی والعمل، هناک أدله أخری علی ضروره صیانه حقوق الأقلیات، منها عهده إلی مالک الأشتر، حیث جاء فیه:

«سمعت رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم یقول: ان اللّه لایُقدس أُمّه لایأخذ الضعیف فیها حقه من القوی غیر متعتع». و هذا الحدیث منقول عن طریق الفریقین باسناد مختلفه.(۶)

۱- – الصدوق، معانی الاخبار، باب معنی الغایات، ص ۱۹۵ و ۱۹۶، الحدیث ۱.

۲- – الحرّ العاملی، وسائل الشیعه، الباب ۱ من أبواب کتاب الغصب، ج ۲۵، ص ۳۸۵.

۳- الصدوق، الخصال، باب الثلاثه، ص ۱۵۱، الحدیث ۱۸۵.

۴- الحر العاملی، وسائل الشیعه، الباب ۱۴۵ من أبواب الأحکام العشره، ج ۱۲، ص ۲۶۴ و ۲۶۵، الحدیث ۲ و ۳.

۵- الکلینی، الکافی، ج ۲، ص ۳۶۷، الحدیث ۲.

۶- المتقی الهندی، کنز العمال، ج ۳، الأحادیث ۵۵۴۴، ۵۵۴۹، ۵۵۸۷، ۵۵۸۸، ۵۵۹۰، ۵۵۹۱، ۵۶۰۶ و ۵۶۱۱.

و قد ورد مضمون هذا الحديث فی حديث بسند صحيح عن الإمام الصادق عليه السلام انه قال:

«ما قَدِّسَتْ أمّهٌ لَمْ تَأْخُذْ لِضعيفِها مِنْ قَوِيّها بِحَقِّهِ غَيْرَ مُتَّضِع».(۱)

و قد أُشير فی موضعه إلی أربعه عشر حقاً من حقوق المعارضين مسنده بالأدلّه سواء كان معارضين فی المعتقد أم معارضين سياسيين، و سواء كانوا يقرّون أصل الحكم الدينی أو يرفضونه، وسواء كانوا يقرّون أو يرفضون أهليه الحُكّام.

هذه الحقوق - بعضها مشترك يبن المؤيّد والمُعارض - عباره عما يلی:

۱ - حق حريّه البيان والتعبير عن الرأی فی شتّی مجالات الحياه.

۲ - حق تأسيس الجمعيات والتنظيمات، و يشترط فی هذين الحقين عدم المساس بحقوق الآخرين.

۳ - حق الاطلاع علی قرارات السلطات الحاكمه و أسرارها، عدا الأسرار العسكريه فی وقتها.

۴ - حق الحصول علی الحقوق المشروعه، أی يجب علی السلطه الحاكمه اتخاذ التدابير الكفيله بحصول الأفراد الضعفاء فی خارج السلطه - سواء كانوا من المعارضين أم من المؤيدين - علی حقوقهم.

۵ - حق استيفاء الحقوق المشروعه و عدم المماطله من قبل السلطه.

۶ - حق المعامله العادله البعيده عن التمييز.

۷ - حق رعايه الكرامه الإنسانيه.

۸ - حق حمايه النفس، والمال، والكرامه، والعمل، من أی تهديد.

۹ - حق الحصانه من الملاحقه القضائيه لمجرد مخالفه السلطه.

۱۰ - حق ستر العيوب و عدم كشفها.

۱۱ - حق العفو والتسامح إزاء الاشتباهات.

۱۲ - حق اللّقاء الخاص مع الحكّام دون حجّاب.

۱- الطوسی، تهذيب الأحكام، ج ۶، ص ۱۸۰، الحديث ۳۷۱.

۱۳ – حق الحصول على الحقوق الاجتماعيه والمدنيه. و لافرق فى هذا المضمار بين المسلم و غيره، أو الشيعى و غيره و هذه الطائفه من الحقوق تثبت لكل فرد من بعد قبوله القواعد الاجتماعيه، وسلب أى واحد من هذه الحقوق يتطلّب دليلاً.

۱۴ – حق المعارضين فى ما يتعلّق بالمحاكم والسجون. هذا طبعاً مع ملاحظه عدم مشروعيه سجن المعارضين السياسيين الذين يمارسون نشاطهم السياسى ضدّ النظام بشكل غير مسلّح، إذ لم تكن لهذا العمل سابقه فى عهد النبى صلى الله عليه و آله و سلم و فى عهد أميرالمؤمنين عليه السلام.

الأحكام السياسيه

اشاره

فى الدّين الإسلامى أحكام تُعنى بالحياه السياسيه والاجتماعيه للمسلمين، و فيه تعاليم تهتم بتحسين و توثيق العلاقات فى ما بينهم؛ فتروّج لبعض الأعمال و تحثّ عليها، أو تذم أعمالاً أُخرى و تنهى عنها. و هذه الأحكام والتعاليم تتعاطى مع الصعيدين الفردى، والاجتماعى.

أ – الواجبات السياسيه والاجتماعيه الفرديه

اشاره

قسمٌ من الأحكام السياسيه – الاجتماعيه فى الإسلام يهتم بالواجبات الفرديه، و ليس للتحوّلات الاجتماعيه تأثير فى كيفيه أدائها. أى أن كل فرد مكلّف بأداء ذلك العمل بمفرده على النحو الصحيح، سواء واكبه الآخرون فيه أم لا. و هناك قسم آخر من الأحكام يهتم بالواجبات الفرديه، و لكنَّه يتأثر بالتحولات الاجتماعيه، و لإقبال الناس عليه أو إعراضهم عنه تأثير فى لزوم أو عدم لزوم أدائه.

نتناول فى هذا القسم بيان الأحكام التى يُنظر إليها فى جميع الأحوال كواجبات فرديه، و لايشترط قيام الفرد بها بالتزام الآخرين بها.

صلاه الجماعه، والجمعه والعیدین

العباده بحدّ ذاتها أمر فردی تتحقق بقصد القربه إلی المعبود تعالی و بالنیّه الصحیحه. و أما الحکم بالتجمع لأدائها فقد شُرّع لأجل الحیاه الاجتماعیه، والفوائد المترتّبه علی تجمع الناس.

و فضلاً عن التکلیف العام للمسلمین بالتکتّل واجتناب الفرقه، فإن کل مسلم ملزم بأن یرسّخ فی ذاته دواعی التلاحم والتآزر مع الآخرین، و خاصّه أبناء دینه. لزوم المشارکه فی صلاه الجمعه والعیدین عند إقامتها مع مراعاه سائر شروطهما، و حتی التأکید علی المشارکه فی صلاه الجماعه، فریضه فردیه تماماً، و کل فرد مکلّف بأدائها بنفسه، و لایمکن إیکالها إلی الغیر، والحقیقه هی إنّ أی حکم غیر کفائی (عینی) فی الإسلام یشمل کل المسلمین؛ و حتی إذا کان واجباً اجتماعیاً و سیاسیاً، فالجانب الفردی منه یحظی باهتمام الشارع المقدّس أیضاً. والصلوات المذکوره تدخل فی عداد هذه الواجبات والفرائض.

إنّ ضروره تطرّق إمام الجمعه إلی مشاکل المسلمین فی خطبتی صلاه الجمعه، واعتبار هاتین الخطبتین حزءاً من الصلاه، لایدع مجالاً للشک فی أنّ صلاه الجمعه ذات جانب سیاسی أیضاً.

جاء فی مضمون روایه عن الإمام الرضا علیه السلام: إنّ الخطبه جُعلت یوم الجمعه؛ لأن الجمعه مشهد عام؛ فأراد أن یکون للأمیر سبب إلی موعظتهم و ترغیبهم فی الطاعه، و ترهیبهم من المعصیه، و توقیفهم علی ما أراد من مصلحه دینهم و دنیاهم، و یخبرهم بما ورد علیهم من الآفاق من الأهوال التی لهم فیها المضرّه والمنفعه.(۱)

علی الإمام طبعاً أن یحذّر الناس من الظلم، و یوقظ فیهم روح مقارعه الظلم و عدم الخنوع له، و ینبّه المسلمین بکل شجاعه إلی وظائفهم الفردیه والاجتماعیه.

و إذا تحقق هذا التجمع الضروری بکل شروطه، یستطیع أن یکوّن عائقاً صلداً أمام حکّام الجور، و قوّه هائله تحمی المظلومین، و تضمن الحضور الدائم للناس فی میدان الحیاه الاجتماعیه.

۱- الحرّ العاملی، وسائل الشیعه، الباب ۲۵ من أبواب صلاه الجمعه، ج ۷، ص ۳۴۴، الحدیث ۶.

الحجّ، تجمع عبادی – سیاسی دولی

لعلّ الحضور فی زمان مُعیّن لم تکن ضرورته مکشوفه للجمیع یوم شرّع الدّین فریضه الحج، و لکن فی عصر الاتصالات یمکن إدراک مدی بُعد نظر الشریعه و عمق تدبیرها.

فالیوم لاتستطیع أیه قوه، حشد مثل هذه الجموع الغفیره من الناس بمثل هذا التنوّع القومی واللُّغوی. و لولا القیود والموانع التی تضعها السلطات السیاسیه لکانت أعداد المشارکین فی هذا الحشد، أکبر من الأعداد الحالیه بکثیر، و لکان لها تأثیر حاسم فی رسم مستقبل المسلمین.

و من المؤسف أن هذه القدرات بقیت مهمله و معطله علی مدی قرون متمادیه بسبب تجاهل بعض ولاه أُمور المسلمین، و ظلّت قیمه هذه الفریضه الإلهیه خافیه علی المسلمین.

و رغم أن وسائل الاتصال الحدیثه فی عالم الیوم قد تغلغلت داخل کل بیت بکل سهوله، غیر أنّها لم تستطع قط أن تضع بین أیدی المسلمین فرصه تضاهی موسم الحج من حیث تأثیره الثقافی.

إنَّ إهمال ولاه أُمور المسلمین و تجاهلهم لهذه الفریضه لایعتبر مدعاه لعدم نهوض المسلمین بواجباتهم الفردیه للاتصال بحجّاج الشعوب الأُخری، و فهم مشاکلهم والتعرف علی ما لدیهم من طاقات و قدرات، و بسط روح الأُخوّه والتضامن معهم. فعلی کل مسلم أن یعتبر نفسه ملزماً باستثمار هذا التجمّع العظیم لإیجاد مزید من التفاهم مع أبناء الشعوب الإسلامیه؛ لأن الغایه الأساسیه من تشریع الحج – بعد عباده اللّه – هی الترابط والتفاهم بین المسلمین.

روی هشام بن الحکم عن الإمام جعفر الصادق علیه السلام أنه صرّح بأنّ اللّه أمر المسلمین بالحج لمصلحه دینهم و دنیاهم، فجعل فیه الاجتماع من الشرق والغرب، لیتعارفوا ولیحصلوا علی منافع تجاریه و ماذیه، و لیتذکروا الأفکار الدینیه... فذلک علّه الحج.(۱)

۱- الحرّ العاملی، وسائل الشیعه، الباب ۱ من أبواب وجوب الحج، ج ۱۱، ص ۱۴، الحدیث ۱۸.

الأمر بالمعروف والنهی عن المنکر

من أهم التعالیم السیاسیه الاجتماعیه فی الإسلام، مسأله الأمر بالمعروف والنهی عن المنکر، التی تُعتبر کما قال أمیرالمؤمنین علیه السلام: کل أعمال البر فی مقابلها کقطره فی بحر لُجّیٍّ.(۱) و مفاد هذا الحکم الإلهی تحمل المسؤولیه الاجتماعیه المفروضه علی جمیع المسلمین، و إلقاء المسؤولیه علی کل واحد منهم إزاء سلوک الآخرین.

والحقیقه هی أن الدور التربوی للمجتمع و مسؤولیته، قد جعل بالنحو الذی یدفع کل فرد للنهوض بدوره؛ لکی یغدو السلوک الصحیح والمحمود اتّجاهاً عاماً یسیر علیه الجمیع، و لکی یُجابَه السلوک المنکر والقبیح بردود فعل رادعه من قبل المجتمع لتزول موجبات وقوعه.

تصوّر البعض أن «المعروف» و «المنکر» یقعان فی مصاف الأحکام الواجبه والمحرّمه، ظناً أن الأمر بالمعروف والنهی عن المنکر بیان للأحکام و إلزام للناس بها. غیر أنّ المعروف یجب أن یکون کل الناس علی معرفه بحسنه. و هذا یستدعی - إن لم یکن الحکم قد وصل إلی هذه المرحله - توفیر المتطلّبات الکفیله بمعرفه الناس له و وعیهم بهذا الحکم.

للأمر بالمعروف والنهی عن المنکر مراحل، نلخّصها فی ما یلی:

المرحله الأُولی: هی أن یستنکر المسلم بقلبه أی عمل قبیح، و ینبغی أن یظهر هذا الاستنکار فی وضعه و سلوکه الظاهری، لکی یتنبّه فاعل المنکر إلی قبح عمله و یشاهد تأثیره السلبی و یکفّ عنه.

و علی العکس من ذلک ینبغی إظهار الارتیاح إزاء الأعمال الحسنه، لیکون فی ذلک تشجیعاً لفاعل الخیر والمعروف علی الاستزاده منه.

أمّا المرحله الثانیه: فهی التصریح بالکلام عن الرضا أو السخط إزاء المعروف أو المنکر؛ و هذا یتضمن الترحیب بفعل المعروف و فاعله، سواء بالقول أو الکتابه. و فی مقابل ذلک

۱- - الشریف الرضی، نهج البلاغه، الحکمه ۳۷۴، ص ۵۴۲.

إظهـار الرفض والاسـتنكار بالكلام لكل فعل قبيح. و هـذه المرحله قـد لايقـدر عليها جميع الناس. و كل إنسان مكلّف فى هـذا المجال على قدر طاقته.

فى هـذه المرحله يمكن توظيف جماعـات سياسـيه واجتماعيه كالأحزاب والمنظَّمات والنقابات المهنيه والثقافيه و وسائل الإعلام العـامّه لأـداء ما عليها من مسؤوليه فى هـذا المضـمار. فالواجب يحتم على كل مسـلم أن ينهض بواجبه الـدينى والاجتماعى على أفضل نحو ممكن. و إذا كان تأسـيس النقابات والجمعيات والأحزاب يساعد على أداء هذا العمل بشـكل أفضل، فعليهم المبادره إلى تأسيس مثل هذه التنظيمات.

و من أعظم ثمار توسـيع هذه المسؤوليه الاجتماعيه هى مشاركه كل المسـلمين فى تقرير مصـيرهم، بحيث يكون فى ذلك رادع يمنع كل من تسوّل له نفسه تجاوز حدوده القانونيه.

و انطلاقاً من هذه الرؤيه جاء فى كلام الإمام على بن موسى الرضا عليه السلام:

«لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْروفِ وَ لَتنهُنَّ عَنِ الْمنكَر اوْ لَيُسْتَعْمَلُنَّ عَلَيْكُمْ شِرارُكُمْ فَيَدْعُو خِيارُكُمْ فَلا يُسْتَجابُ لَهم».(۱)

الأـمر بـالمعروف والنهى عن المنكر يعنى منـح تخويـل رسـمى لكـل من يمارس دور الرقابه والإشـراف. و على الرغم من تأكيد الشـرع والعقل على هذا العمل، إلّاأن الأفراد يتنصّـلون عاده عن هذه المسؤوليه و يتملّصون منها خشيه ما ينجم عنها من متاعب و مخاطر، و لكن يوجد فى كل عصر من ينهض بها بكل جرأه و إقدام.

و قـد دعا القرآن الكريم إلى تحمل أعباء هذه المسؤوليه: (وَ لْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّهٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ أُولئِـكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) . (۲) و لابـد من التنبيه إلى أن فريضه الأـمر بالمعروف والنهى عن المنكر فريضه عامه، أى أنها واجب يقع على كل مسلم بعينه، و لكن إذا نهض بها من يفى بالغرض ينتفى حكمها عن الآخرين.

الملاحظه الأُخرى هى أنّ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر يشترط فيه التأثير. فلو

۱- الحرّ العاملى، وسائل الشيعه، الباب ۱ من أبواب الأمر والنهى، ج ۱۶، ص ۱۱۸، الحديث ۴.

۲- - سوره آل عمران (۳)، الآيه ۱۰۴.

أدّى هذا العمل إلى عناد المقابل و إصراره على فعله، أو قد لايؤثر فيه هذا العمل، أو إذا كان فيه خطر أو ضرر على أحد، ينتفى حكمه كذلك.

أمّا الحالات المهمّه التى فيها مساس بالدين أو تحريف، له فلابّد من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر حتى و إن كان فى ذلك خطر أو ضرر على النفس والمال.

المرحله الثالثه: و هذه المرحله من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من اختصاص الحكومه الصالحه التى تتوفر فيها الشروط. و هو ما سيأتى بحثه لاحقاً.(۱)

رعايه القوانين الاجتماعيه

على كل مسلم يعيش فى أى مجتمع أن يلتزم بالقوانين والتقاليد السائده هناك. و إذا كانت تلك القوانين تتعارض مع أحكام الإسلام فعليه اجتناب ذلك المجتمع جهد الإمكان.

و إذا كان حضوره ضرورياً فى الوسط الاجتماعى فعليه أن يتجنّب مخالفه أحكام الإسلام دون أن يظهر معارضته لتلك القوانين الاجتماعيه.

فى المجتمعات الإسلاميه التى تُدار شؤونها وفقاً لأحكام الإسلام لايجوز التخلّف عن أحكام الإسلام.

يُنظر إلى القوانين الاجتماعيه و كأنها اتفاقيات و معاهدات متبادله بين الدول والشعوب. و إذا لم يكن هناك إشكال شرعى فى أصل العقد يصبح العمل بها بعد إقرارها ملزماً للجانبين.

أما بالنسبه إلى من يرغب فى الإقامه أو السفر أو اكتساب الجنسيه فى بلاد غير إسلاميه، فعليه الاطّلاع على قوانينهم مسبقاً؛ فإذا وجد فيها ما يتعارض مع الإسلام بشكل صريح، و لم تكن هناك ضروره ملحّه لوجوده فى تلك البلاد، عليه الامتناع عن الذهاب إليها. و إذا لم يكن هناك ما يتعارض مع أحكام الإسلام بشكل صريح، أو كان هناك تعارض جزئى، فلا إشكال فى ذهاب المسلم إلى تلك البلاد.

۱- راجع: البند «و» من المورد الخامس من الوظائف السياسيه والاجتماعيه، ص ۴۷۴ و ۴۸۰ فى هذا الكتاب.

التقيّه والكتمان

أحكام الإسلام ليست كلّها على درجه واحده من حيث الوجوب أو من حيث الحُرمه.

فبعضها على النحو الذى يأمر اللّه العباد بتنفيذها أو الامتناع عنها فى كل الظروف والأحوال، و هى ما يُعبر عنها ب «الواجبات المؤكّده» أو «المحرّمات المؤكّده». أما البعض الآخر من الأحكام فهى أدنى منها من حيث التأكيد، بل هناك تساهل فيها.

الإنسان له قيمه عليا و كرامه ساميه، فقد جاء فى روايه صحيحه عن الإمام الصادق عليه السلام إن حرمه المؤمن أعظم عند اللّه من حرمه الكعبه.(۱) و جاء فى الأثر أيضاً: إن حرمه مال المؤمن كحرمه دمه، و لعرضه أيضاً مثل هذه الحرمه.

هناك حقيقه لابدّ من الالتفات لها، و هى أن أحكام الإسلام شُرّعت كلّها من أجل سعاده الإنسان فى الدنيا والآخره. و هذا يعنى أنها تتطابق مع الفطره. ولو حصل تعارض بين حفظ نفس المؤمن و شخصيّته و حفظ أحكام الدّين، أو كان العمل بالأحكام مدعاه للمخاطره بالنفس والعرض، فهنا يكون حفظ النفس والعرض مقدّم.

جاء فى روايه عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «اِنّ التقيهَ دينى و دينُ آبائى»(۲) و مفاد هذه الروايه واضح، و هو أن التأكيد على العمل بالحكم يُلغى فى حاله وجود خطر يهدد كرامه المسلم أو نفسه، و لكنّ التقيه ربّما لاتعنى أحياناً أداء أو عدم أداء حكم، بل تعنى الكتمان و حفظ السرّ؛ أى عدم إفشاء الأسرار التى تؤدى إلى الإضرار بماله و نفسه و أموال و أنفس غيره. بل لاتعنى التقيه فى حالات كثيره ترك واجب و فعل محرّم، و إنّما التكتم فى أداء الواجبات و عدم المجاهره. غير أن هذا يتوقف عند حدود معيّنه؛ إذ لايجوز لأحد أن يبيح لنفسه قتل برىء لمجرّد الخوف من القتل فيما لو امتنع عن تنفيذ أوامر الجائرين. و هذه الحالات تدخل فى عِداد حقوق الناس. والتقيه تجوز، بل تجب فى بعض الموارد فى حق اللّه، عندما تتحقق شروطها.

۱- – الصدوق، الخصال، باب الواحد، ص ۲۷، الحديث ۹۵.

۲- – الحرّ العاملى، وسائل الشيعه، الباب ۲۴ من أبواب الأمر والنهى، ج ۱۶، ص ۲۱۰، الحديث ۲۴.

و مما ینبغی أن یؤخذ بنظر الاعتبار فی هذه الأمور والأحوال هو ترتیب الأولویات و تقدیم الأهم علی المهم.

و هناک نوع آخر من التقیه، و هو ما یسمّی بتقیه المداراه التی تعنی مراعاه الظرف الاجتماعی والمذاهب الإسلامیه والأوضاع الدولیه. و هو ما سیأتی شرحه لاحقاً فی قسم الواجبات السیاسیه.

المشارکه فی الحیاه الاجتماعیه و عدم العزله

من الحالات التی تسود بین الأفراد أحیاناً هی نزعه العزله والانزواء أو الرهبانیه، و هو ما نهی عنه الإسلام و دعا إلی المشارکه فی میادین الحیاه الاجتماعیه. فقد نهت روایات کثیره لدینا عن الرهبانیه والجلوس فی کَنَف العزله حتی بذریعه العباده.

جاء فی القرآن (وَ لا تَنْسَ نَصِیبَکَ مِنَ الدُّنْیا) (۱) و جاء فی روایه: «لا رهبانیهَ فِی الْاِسْلام».(۲) و جاء فی روایه أُخری: «وَ رَهبانیهُ امّتی الجَهاد فی سبیل اللّه».(۳) و قال القرآن فی النصاری: (وَ رَهْبانِیَّهً ابْتَدَعُوها ما کَتَبْناها عَلَیْهِمْ) .(۴)

کُنا قد أشرنا فی بحث الأمر بالمعروف والنهی عن المنکر إلی أنّ هذا الحکم یدعو إلی ضروره الإشراف والرقابه الاجتماعیه المستمرّه لکل أبناء الشعب فی ضوء ما تملیه مسؤولیتهم الشرعیه، و من یعتزل الحیاه الاجتماعیه یعطّل هذا الجانب من أحکام اللّه، و هی أحکام علی درجه عالیه من الأهمیه.

ب – الواجبات السیاسیه – الاجتماعیه العامه للمسلمین

اشاره

بعض الأحکام الدینیه شُرّعت – بغض النظر عمّا فیها من مسؤولیه علی المسلمین

۱– – سوره القصص (۲۸)، الآیه ۷۷.

۲– – القاضی النعمان، دعائم الإسلام، ج ۲، ص ۱۹۳، الحدیث ۷۰۱.

۳– النوری، المیرزا حسین، مستدرک الوسائل، باب ۶۰ من أبواب الدفن، ج ۲، ص ۴۰۱، الحدیث ۴۲.

۴– سوره الحدید (۵۷)، الآیه ۲۷.

کأفراد - کقوانین إجتماعیه، و أوکلت مهمه النهوض بها إلی المجتمع الإسلامی و إلی ولاه الأمور فیه.

الشؤون التی تتطلب تنظیماً و إداره، لاتقع علی عاتق المسلمین کأفراد، و إنما یجب أن تقوم بها الدوله نیابه عن عموم الناس، و منها مثلاً الشؤون الثقافیه، والاقتصادیه، والسیاسیه، والعسکریه، والأمنیه، والقضائیه. والاهتمام ینصبّ هنا علی الجانب الاجتماعی من هذه الأحکام و دورها فی الاستقرار السیاسی، و لایُعنی بحقوق و واجبات کل واحد من أفراد المجتمع.

نأتی فی ما یلی علی بحث الأحکام السیاسیه و واجبات عموم المسلمین تفصیلاً.

۱ - الشؤون الثقافیه

المراد بالشؤون الثقافیه هنا: الأعمال ذات الاتجاه الثقافی التی تحظی باهتمام الشریعه المقدسه. و نأتی هنا علی ذکر القطّاعات المهمه منها:

أ - التعلیم والتربیه العامّه

تقع مهمه التخطیط لتعلیم و تربیه أبناء المجتمع وتطویرها علمیاً وثقافیاً علی عاتق الدوله و ولاه الأمر فیها، و یجب علی المعنیین بذل أقصی ما یمکن من الجهود فی هذا المجال «طلب العلم فریضه علی کلّ مسلم».(۱) و قد بیّن القرآن الکریم أن واجب الأنبیاء تعلیم و تربیه الأُمّه: (وَ یُعَلِّمُهُمُ الْکِتابَ وَ الْحِکْمَهَ) .(۲)

و هناک تأکید شرعی علی طلب العلم حتی و إن کان فی مناطق قاصیه مثل الصین «اُطْلُبوا الْعِلْمَ وَلَوْ بِالصّین».(۳)

عملیه التخطیط للتعلیم والتربیه یُفترض أن تکون بالنحو الذی یُعطی أکبر قدر من

۱- - الکُلینی، الکافی، ج ۱، ص ۳۰، الحدیث ۱.

۲- سوره الجمعه (۶۲)، الآیه ۲.

۳- الحرّ العاملی، وسائل الشیعه، الباب ۴ من أبواب صفات القاضی، ج ۲۷، ص ۲۷، الحدیث ۲۰؛ المجلسی، بحارالأنوار، ج ۱، ص ۱۷۷، الحدیث ۵۵.

الاهتمام والاعتبار الاجتماعی، للعلم والتقنیه، و یرفع المکانه الاجتماعیه للعلماء والباحثین فوق مکانه الحکام، إذ قیل: «العلماء حکّام علی الملوک».(۱)

ب – الدعوه إلی الدّین

الدّین عباره عن مجموعه من الأحکام والمعتقدات التی یتوقف قبول تفاصیلها أحیاناً علی فهم الأُمور الدقیقه فی العلم والحکمه، و بعض الأحکام شُرّعت لمنع التجاوز علی حقوق الغیر. و کل من یروم الدعوه إلی شیء، لایذهب عاده إلی غوامضه أو الأُمور المعقّده فیه، بل یرکِّز علی الجوانب البسیطه والقریبه إلی الأذهان والمحبّبه إلی النفوس.

عند الدعوه إلی الدّین و إلی شریعه الإسلام ینبغی الإبتداء بما تمتاز به شریعه المصطفی علی غیرها من الشرائع، و عرض الأوجه المشترکه فی موضعها. والحقائق الشرعیه تکون مقبوله عند الناس حین تُقدّم لهم علی انها قوانین قطعیه لا مناص منها و تؤدّی إلی بناء مجتمع متکامل أخلاقیاً، و سیاسیاً، و اقتصادیاً و اجتماعیاً. و لایصح طبعاً التر کیز علی الأحکام القاسیه التی شُرّعت لمنع الظلم والعدوان – و هی طبعاً لازمه أحیاناً – إذ انها قد تکون سبباً لعدم قبول الدّین عند الناس، و بهذا یکون هذا الأسلوب ناقضاً لغرض الدعوه.

یصف القرآن الکریم و مضات من الشریعه المحمدیه علی النحو التالی: (الَّذِینَ یَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِیَّ الْأُمِّیَّ الَّذِی یَجِدُونَهُ مَکْتُوباً عِنْدَهُمْ فِی التَّوْراهِ وَ الْإِنْجِیلِ یَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَ یَنْهاهُمْ عَنِ الْمُنْکَرِ وَ یُحِلُّ لَهُمُ الطَّیِّباتِ وَ یُحَرِّمُ عَلَیْهِمُ الْخَبائِثَ وَ یَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَ الْأَغْلالَ الَّتِی کانَتْ عَلَیْهِمْ) .(۲)

تؤکد الأحادیث الشریفه علی منهج الترغیب: «رَغِّبوا النّاسَ فی دینکم».(۳) و من أعظم الآثام التی قد یقترفها المرء، تنفیر الناس من الدّین بسبب سوء الدعوه إلیه.

ها هو القرآن الکریم یلخّص لنا ببیان جمیل، المنهج المناسب فی الدعوه إلی الدّین:

۱– المجلسی، بحارالأنوار، ج ۱، ص ۱۸۳، الحدیث ۹۲.

۲– سوره الأعراف (۷)، الآیه ۱۵۷.

۳– – الصدوق، الخصال، باب السبعه، ص ۳۵۵، الحدیث ۳۵.

(ادْعُ إِلی سَبِیلِ رَبِّکَ بِالْحِکْمَهِ وَ الْمَوْعِظَهِ الْحَسَنَهِ وَ جادِلْهُمْ بِالَّتِی هِیَ أَحْسَنُ) .(۱)

من البدیهی إنّ أفضل أسالیب الدعوه و أکثرها تأثیراً هو أن یکون ولاه الأمر - علی اعتبار أنهم علی رأس المتصدین لقضیه الدعوه - أنفسهم أُناساً صالحین و یسلکون النهج القویم فی أداء مسؤولیاتهم الاجتماعیه و واجباتهم القانونیه. قال الإمام جعفر الصادق علیه السلام:

«کُونُوا دُعاهَ النّاسِ بغیر الْسِنَتِکُمْ».(۲)

والحکومه التی تحکم باسم الدّین تبرز فیها هذه الخصائص علی نحو أوضح. قال الإمام الصادق علیه السلام: «انَّ الحَسَن من کلِّ احدٍ حَسَنٌ وَ إنّه مِنْکَ احْسَن لِمکانِکَ مِنّا، وَ انَّ القبیحَ مِن کُلِّ احدٍ قَبیحٌ وَ إنّه مِنْکَ اقْبَح».(۳)

هذا البیان یظهر أن الحکومه الدینیه تتحمل مسؤولیه کبری و شاقّه، و إنّ أدنی خطأ یصدر منها قد تکون له آثار وخیمه تسیء إلی صورتها الشرعیه.

یقع علی عاتق المتصدّین لزمام الأُمور من الحکّام المسلمین أن یکرّسوا وسائل الإعلام، و کل وسائل الاتصالات الحدیثه والواسعه فی عالم الیوم، من أجل النهوض بما علیهم من واجبات شرعیه، و فی اتجاه الدعوه إلی الدّین، و فی ضوء ما تملیه الأولویات القانونیه والمنطقیه.

ج - العلاقات الثقافیه الدولیه

العلاقات الدولیه فی عالم الیوم تخضع للنهج الذی یسیر علیه حُکّام البلدان فما یریده أو ما لایریده الحّکام هو الذی یؤدِّی إلی بناء أو قطع العلاقات بین الدول، و تضع الشعوب أحیاناً فی مواجهه بعضها الآخر. و هذه الأُمور تخضع فی الشریعه الإسلامیه إلی مصلحه عموم أفراد المجتمع الإسلامی. فإذا کانت المصلحه تقتضی إیجاد علاقات مع دوله، علی الحکام أن یستجیبوا لهذه المصلحه و یقیموا علاقات معها. و أما إذا کان ضرر تلک العلاقات أکثر من فائدتها، فعلیهم أن لایُقدموا علیها. و لابد من التنبیه طبعاً إلی أنّ مصلحه عموم

۱- سوره النحل (۱۶)، الآیه ۱۲۵.

۲- المجلسی، بحارالأنوار، ج ۶۷، ص ۳۰۹.

۳- المصدر السابق، ج ۴۷، ص ۳۴۹ و ۳۵۰.

المجتمع الإسلامی حین تؤخذ بنظر الاعتبار، فذلک لا یعنی إلحاق الضرر بحقوق شعوب أخری أو أناس آخرین.(۱)

أما علی الصعید الثقافی، فإنّ وجود العلاقات مفید عاده باستثناء حالات قلیله تستدعی قطع العلاقات الثقافیه بین المسلمین و شعوب أُخری. والتبادل العلمی والثقافی شیء مطلوب علی الدوام فی الشریعه المحمدیه، و لاینبغی منعه إلّافی حالات الضروره؛ لأن الإسلام یقوم علی منطق رصین و لایخشی مواجهه الأفکار الأُخری.

و من جمله واجبات الدوله الإسلامیه، تعریف المسلمین بعلوم وثقافات شعوب الدول الأُخری، و تسویق الفکر الإسلامی و فنون المسلمین إلی تلک الشعوب. فمن المعروف أن الشعوب الأُخری لدیها علوم کثیره ینبغی الاطّلاع علیها. فقد قیل: «اَعْلَمُ النّاسِ مَنْ جَمَعَ عِلْمَ النّاسِ الی عِلْمِهِ».(۲)

هناک مکوّنات من حضارات و ثقافات الدول الأُخری لایمکن نقلها، کالآثار والأبنیه التاریخیه. و هذا ما یستدعی طبعاً اطّلاع المسلمین علیها لاستقاء العِبَر منها امتثالاً لِما أمر به القرآن من السیر فی الأرض والنظر فی تواریخ الأُمم.

و علی المسؤولین المعنیین أن یطلعوا علی تجارب الأُمم الأُخری و ینقلوها إلی المسلمین للاستفاده منها.

د – الکُتُب و وسائل الإعلام

علی الدوله الإسلامیه و مسؤولیها العمل علی توفیر المستلزمات الکفیله بالارتقاء بالمجتع الإسلامی إلی قمّه التطوّر العلمی والفنّی، و فسح المجال أمام التبادل الثقافی والنقد والانتقاد. و عدم منع شیء منها إلّاحین تکون تأثیراته السلبیه – حسب رأی أهل الاختصاص – أکثر من الإیجابیّات.

و أما إذا اختلفت آراء ذوی الاختصاص المسلمین حول مدی ضررها أو نفعها بحیث

۱– راجع: رساله الحقوق (باللغه الفارسیه)، ص ۱۵ و ۳۲–۳۹.

۲– الصدوق، من لایحضره الفقیه، ج ۴، ص ۳۹۵، باب النوادر، الحدیث ۵۸۴۰.

لم يحصل اطمئنان برجحان ضررها على نفعها، لايحق للحكومه شرعاً حرمان المجتمع من تلك النتاجات الثقافيه، أو من وسائل الإعلام التى تنقلها، و فى هذه الحاله تترك القضيه إلى الوجدان الفردى للمسلم ليتعامل معها وفقاً لتكليفه الشخصى، و يجتنب ما فيها من آثام و أضرار، و يأخذ منها ما يمكن أن ينفعه فى تطوير ذاته و ما يؤدى إلى سعادته و كماله.

ينبغى أن يعلم أبناء الشعب والمسؤولون والعلماء أنّ الكثير من مشاكل المسلمين ناجمه عن النظره الضيّقه، و عدم الاطّلاع على مدى الفوائد والأضرار التى تنطوى عليها التقنيات الحديثه والمنتجات الصناعيه الجديده. و نظراً إلى أنها ذات قابليات متفاوته، و هى بمثابه سيف ذى حدّين، و يمكن الاستفاده منها على نحو السلب والإيجاب، فالأنظار تتركز عاده على أضرارها و تتجاهل منافعها.

و إذا كان تجاهل الحكام المسلمين لأمثال هذه الأُمور سبباً لتخلّف الشعوب الإسلاميه، رغبه منهم فى اتّباع السبيل الأقل متاعباً حسب الظاهر، فإنّ هذا التجاهل يؤدّى إلى حجب التطوّر والمدنيه عن المجتمع، والمسؤوليه فى ذلك تقع على عاتق الحكام؛ لأن مثل هذا العمل يثبّط عزائم العلماء المسلمين، و يسىء إلى سمعه الإسلام.

والملاحظه الأُخرى التى ينبغى أن تؤخذ بنظر الاعتبار، هى أنّ منع نشر كتاب أو مقاله غالباً ما يكون سبباً لتشجيع المنشورات السريّه أو توزيع ذلك الكتاب بالخفيه، ممّا يدعو إلى المزيد من الإقبال عليه والولع به والحرص على اقتنائه والاطّلاع عليه، خاصه فى الظروف الحاليه حيث سهّلت وسائل الطباعه الحديثه كل صعب. والمنع فى مثل هذه الحاله يوهن الحق؛ لأن التظاهر بالمظلوميه يفضى إلى المزيد من إشاعه الباطل و ترويجه، و يعمى المنطق والاستدلال. و أفضل الحلول لمثل هذه الحالات هو الارتقاء بالمستوى الفكرى والثقافى لأبناء الشعب. عن طريق النقد و تبادل الآراء بأُسلوب المنطق والاستدلال.

٢ – الشؤون الاقتصاديه

أثبتت التجارب البشريه أنّ الدوله غير ناجحه فى إداره الشؤون الاقتصاديه، و يجب أن لاتتدخل فيها مباشره، و واجبها الأساسى فى هذا الحقل هو الإشراف، و تشريع القوانين و

تنفیذها فی سبیل تحسین الوضع الاقتصادی للشعب. والشؤون المالیه ینبغی أن تسیر فی ظل التنافس الاقتصادی السلیم. و کثیراً ما یؤدی تدخّل السلطات و أصحاب النفوذ فیها إلی خلق مشاکل عدیده، إلّاإذا کان ذلک لمنع الفساد الاقتصادی و رعایه ضمانات العمل والاستثمار وفقاً لرأی علماء الاقتصاد و مفاد قوانین العمل.

الإسلام بصفته دین الفطره، یؤکّد علی ضروره النشاط الطبیعی فی الإنتاج و توزیع الثروه والخدمات، و یدعو المسؤولین إلی رعایه المعطیات الطبیعیه للشؤون الاقتصادیه، و یحذّر من المشاریع غیر المدروسه.

و بالإضافه إلی عملیه التبادل التجاری الطبیعی، فإنّ بعض القضایا المالیه الکبیره تقع علی عاتق المسؤولین، و هو ما یعنی أن الکثیر من الثروات الطبیعیه خاضعه للدوله الإسلامیه.

و نحن نستعرض فی ما یلی - بإیجاز - القطاعات الاقتصادیه الخاضعه للدوله الإسلامیه.

أ - الأنفال

ذکرنا فی فصل الاقتصاد، أنّ بعض ما یتعلق بعموم الناس من الأموال یُسمّی «الأنفال».

و ذُکرت مصادرها. والأنفال فی الحقیقه هی من الثروات الطبیعیه والأموال العامّه التی تکون تحت تصرّف الدوله الإسلامیه. و ینبغی الاستفاده منها بشکل صحیح و مفید لکل المجتمع.

العائدات التی یدرّها إیجار واستثمار هذه الأموال، یعد جزءاً من بیت المال و یجب إنفاقه فی مظانّه. و علی المسؤولین التخلّی عن النظره الضیّقه و عدم فرض قیود فی هذا المجال، بل علیهم ممارسه دور الإشراف، و تفویض أمر الاستفاده من هذه المصادر إلی ذوی الخبره لکی لاتضمحلّ دواعی الجهد والکدح والنشاط.

و حتی إذا فُوّض أمر الاستفاده منها إلی الأفراد، فإنّ الدوله هی صاحبه القرار العملی لتوجیهها و إدارتها بما یصب فی مصلحه الأُمّه.

ب – المباحات العامّه

و هی الأشیاء الموجوده فی الطبیعه و لاتعود ملکیّتها إلی شخص معین. جاء فی حدیث نبوی شریف: «الناسُ شُرَکاء فی ثَلاثَه: النّارِ وَالماءِ وَالْکَلاِ».(۱) و یبدو أن المراد من النار، الطاقه الحراریه، و لکن هناک احتمال قوی بأنَّ المراد منها هو مصدر الحراره؛ أی الوقود.

و علی هذا فإنّ مسؤولیه إدارتها تقع علی عاتق الدوله تفادیاً لِما قد یقع بین الناس المستفیدین منها من تعارض فی المصالح. و من الطبیعی أن تقع مهمّه حمایه البیئه أیضاً علی عاتق الدوله التی یجب أن تشرّع القوانین التی تتکفل بالحفاظ علی الغابات والمراتع والمیاه والجبال والهواء النقی والبحار، و منع إهدارها.

هذه المباحات ملک لجمیع الناس و لایجوز أن تکون حکراً علی فئه معیّنه؛ لأن هذا یتعارض مع ما تدعو إلیه الشریعه المحمدیه.

لقد تحوّلت حمایه البیئه الیوم إلی قضیه دولیه، و هکذا الحال بالنسبه إلی المصادر المشترکه خاصه ما یتعلّق بالمیاه والبحار والنفط والغاز؛ لأن هذه المصادر غدت سبباً لصراعات مدمّره. و علی الدول الإسلامیه أن تسعی إلی الالتزام بالمعاهدات والاتفاقیات الدولیه، مع الحفاظ علی مصالح شعوبها و حمایه الحقوق الإنسانیه والطبیعیه لشعوبها.

ج – الضرائب

کل دوله مکلّفه بالقیام بمجموعه من الخدمات إضافه إلی حمایه أمن شعوبها ضد أی تهدید داخلی أو خارجی. و هی تنفق علی هذه الأُمور من الضرائب التی تستوفیها من العائدات العامّه. فهی تفرض الضرائب بنسبه مئویه معیّنه علی الدخل الفردی، و تقرّر تعرفه معیّنه علی الصادرات والواردات، سواء بشکل مباشر أو غیر مباشر.

والإسلام لایعارض هذا العمل و لکن یشترط فیه العداله و رعایه حقوق دافعی الضرائب.

۱- – النوری، المیرزا حسین، مستدرک الوسائل، الباب ۴ من أبواب إحیاء الموات، ج ۱۷، ص ۱۱۴، الحدیث ۲.

د – الخمس والزكاه

بعض الضـرائب ذكرتها المصادر الدينيه صراحه، و من أشهرها الخمس والزكاه. و أساس تشريع هاتين الفريضتين الماليّتين هو ما يقتضـيه الإنفاق على بعض الشؤون الاجتماعيه، كالاهتمام بشؤون الفقراء والمساكين و أبناء السبيل و حتى بعض الأعمال الخيريه التى يعود نفعها على جميع المسلمين.

تنفق أموال الخمس والزكاه فى زمان غياب الإمام المعصوم عليه السـلام تحت إشراف المجتهد الجامع للشرائط، فى الموارد التى عيّنتها الشـريعه. و لابُـدّ طبعاً من وضع نظام لاسـتلام و دفع هذه الضـرائب، و تركها إلى المكلّفين لايفى بالغرض الذى ترمى إليه الشريعه.

ه – الأوقاف العامّه

الدوله الإسـلاميه هى المسؤوله شـرعاً عن الأوقاف العامّه و إدارتها. و مع أن الأوقاف يجب أن تنفق وفقاً لإراده الواقف، و لكنها مما ينطبق عليه الصدقه الجاريه، و يجب على الدوله إنفاق عائداتها فى تلك الموارد و بناءً على ما تقتضيه مصالح المسلمين.

العلاقات الاقتصاديه الدوليه

فى هـذه الظروف التى تقاربت فيها حياه الناس بشـكل لافت للنظر، حيث تطوّرت واتّسـعت سـبل و وسائل النقل إلى حدٍّ بعيد، و كثرت الاتفاقيات والمعاهدات الاقتصاديه الدوليه، تعاظم تبعاً لذلك دور الحكومات فى ضـمان مصالح أبناء الشعب بالعداله؛ إذ أن العلاقات السياسـيه والثقافيه البنّاءه تعود على الشـعب بفوائد اقتصاديه هائله، والعكس صـحيح أيضاً. و هذا ما يسـتدعى العمل من أجل تعزيز العلاقات الـدوليه برؤيه شـموليه، و عـدم اللُّجوء إلى قطعها أو إضـعافها؛ لأن الناس من سـنخ واحد و بحاجه ملحّه للتعايش السلمى.

و على الدوله أن تحرص على حفظ حقوق الشعب – مع عدم الإضرار بسائر الشعوب –

فی العقود والاتفاقیات الاقتصادیه الدولیه، مع الحرص علی مشارکه القطاعات غیر الحکومیه والاهتمام بالمتطلبات الضروریه لعموم الشعب.

و فی هذا المجال ینبغی إعطاء الأولویه لحریّه التجاره، و فسح المجال أمام الصادرات والواردات، هذا طبعاً إلی جانب رعایه الاستقلال والسیاده الوطنیه و حمایه المنتج والمستهلک.

و علی الدوله أیضاً أن تحول دون تسلط الأجانب علی اقتصاد البلاد انطلاقاً من قاعده نفی السبیل المستقاه من قوله تعالی (وَ لَنْ یَجْعَلَ اللّهُ لِلْکافِرِینَ عَلَی الْمُؤْمِنِینَ سَبِیلًا) .(۱)

و من الواضح أنّ الوضع المعقّد للتجاره العالمیه فی عصرنا الراهن یتطلب خبره لایجیدها إلّاالمختصّون فی حقل الاقتصاد والسیاسه. و علی أصحاب القرار فی الدوله الإسلامیه أن یستفیدوا من أصحاب هذه الاختصاصات لمعرفه السُبُل الصحیحه والسیر علیها.

لاشکّ فی أنّ التشدد فی العلاقات الاقتصادیه الدولیه، أو التساهل فی العقود، یؤدی عاده إلی إهدار حقوق الشعوب و تضییع مصلحه الناس. و هؤلاء ینالهم سخط اللّه. جاء فی حدیث شریف: «مَنْ وُلِّیَ شَیْئاً مِنْ امُورِ المسْلِمین فَضَیَّعَهُمْ، ضَیَّعَهُ اللّه».(۲)

العداله الاقتصادیه

للدوله دور مهم فی تحقیق العداله الاجتماعیه والتوازن الاقتصادی والمساواه؛ و ذلک لأنّ مصادر الثروات العامّه بیدها. والقرارات التی تتّخذ عاده فی المجال الاقتصادی تؤدّی إلی إثراء البعض علی نحو یُساهم فی حصول فوارق طبقیه شاسعه، و تؤدّی فی الوقت ذاته إلی إفقار البعض إلی أدنی درجات الفقر.

من المعروف أن الإسلام یعارض تکدیس الثروه والفوارق الطبقیه، و لکنّ بعض

۱- سوره النساء (۴)، الآیه ۱۴۱.

۲- الصدوق، ثواب الاعمال وعقاب الاعمال، ص ۳۰۹، الحدیث ۱.

الضرورات الاجتماعيه تمنع القيود. و توزيع الثروات والمقدّرات العامّه مهمّه دقيقه، و تحتاج إلى تدبير سليم من قبل المسؤولين. و ينبغى - طبعاً - ترجيح رضا العامّه على رضا الخواص.

و يجب بطبيعه الحال مراعاه الاختلاف فى القدرات والاستعدادات؛ لأنّ هذه الظاهره طبيعيه و معقوله، و تتماشى مع العدل والانصاف. فليس المراد من العداله الاجتماعيه النظر إلى الاستعدادات بعين واحده و تجاهل الاختلاف فى الطاقات والقدرات. و مع ذلك لابُدّ من الانتباه إلى عدم فرض رغبات و ميول غير عادله على المجتمع تحت ذريعه هذه المتطلّبات الصحيحه.

يمكن من خلال الحسابات الصحيحه والإحصائيات الدقيقه استشراف النتائج التى تتمخّض عن القرارات والإجراءات السياسيه، والاقتصاديه والثقافيه، و معرفه مدى تطابقها أو عدم تطابقها مع الأهداف والغايات المنشوده. فالقرار الصحيح يؤثّر إيجابياً فى حركه المجتمع، و أدنى خطأ يُرتكب فى هذا المجال تظهر تأثيراته. هذا يستدعى طبعاً الوقوف بوجه استمرار و تراكم القرارات الخاطئه، تلافياً لوقوع المزيد من الخسائر.

جاء فى حديث عن الإمام الباقر عليه السلام: «ما اوْسَعَ الْعَدْلَ، انَّ النّاسَ يَسْتَغْنُونَ اذا عُدِلَ فيهِم وَ تُنْزِلُ السّماءُ رِزْقَها وَ تُخْرِجُ الأرضُ بَرَكَتَها بِاِذْنِ اللّهِ تَعالى».(۱)

تجدر الإشاره إلى أنّ الشعوب الإسلاميه مرّت بعهود من الظلم والتمييز أدت إلى ظهور طبقات تفصلها فوارق شاسعه من الفقر والغنى. والمتصدّون العادلون لايتسنّى لهم ادّعاء تطبيق العداله دون أخذ الماضى بنظر الاعتبار.

المجتمع الذى أُرسيت فيه ركائز كل أنواع التمييز، و ظهرت فواصل طبقيه عميقه بين شرائحه، إذا أُريد تطبيق العداله فيه، لابُدّ من معرفه الأسباب الجذريه والتعويض عمّا فات.

و أحياناً تتطلب الحاجه توجيه المقدّرات إلى مناطق عاش الناس فيها فى فقر و حرمان مريرين.

۱- الصدوق، من لايحضره الفقيه، ج ۲، ص ۵۳، باب الخراج والجزيه، الحديث ۱۶۷۷؛ الكُلَينى، الكافى، ج ۳، ص ۵۶۸، الحديث ۶؛ الطوسى، تهذيب الأحكام، ج ۴، ص ۱۳۶، الحديث ۳۸۰.

و یتعیّن فی هذا المضمار توخّی الدقّه و أخذ المصلحه العامّه بنظر الاعتبار، لکی لاتتخذ إجراءات ظالمه تحت ذریعه إعاده الحق إلی أصحابه. و إذا کانت مدّه التمییز قد طالت و بات من المتعذر معرفه أصحاب الأموال الأصلیین، ینبغی إزاله الحرمان عن أبناء المجتمع عن طریق الترکیز علی تخصیص المزید من الثروات العامّه للمحرومین.

أوصی أمیرالمؤمنین علیه السلام مالکاً الأشتر فی عهده إلیه: «ثُمَّ اللّهَ اللّهَ فِی الطَّبَقَهِ السُّفْلی مِنَ الّذینَ لاحیلَهَ لَهمْ مِنَ الْمَساکینِ وَالمحْتاجین وَ اهْلِ الْبُؤسی وَ الزّمنی... وَاجْعَلْ لَهُمْ قِسْماً مِنْ بَیْتِ مالکَ وَ قِسْماً مِنْ غَلّاتِ صَوافِی الْاِسْلامِ فی کُلِّ بَلَدٍ فَاِنَّ لِلْاَقْصی مِنْهُمْ مثلَ الّذی لِلْاَدْنی...».(۱)

و بالإضافه إلی واجب الدوله فی التخطیط من أجل رعایه عموم الشعب و إداره دفّه البلاد، علیها أیضاً أن تأخذ بنظر الاعتبار الضعفاء الذین یعجزون عن تأمین لقمه العیش لأنفسهم و لأُسرهم، و أن تحوطهم بمزید من الرعایه: «وَ تَفَقَّدْ امورَ مَنْ لایَصِلُ اِلَیْک مِنْهُمْ مِمَّنْ تَقْتَحِمُهُ الْعُیُون وَ تَحْقِرُهُ الرّجال فَفَرِّغْ لِاُولئک ثِقَتَک مِنْ اهْلِ الْخشیَهِ وَالتَّواضُع»(۲)

أی علی مسؤولی الدوله أن یبذلوا للفقراء من الجهد والرعایه ما یُعذرون به أمام اللّه یوم القیامه «ثُمَّ اعْمَلْ فیهِمْ بِالإعْذارِ اِلَی اللّهِ یَوْمَ تَلْقاه».(۳)

و قال علیه السلام أیضاً فی موضع آخر: «اِنَّ السُّلْطانَ لَمَامینُ اللّهِ فِی الأرض وَ مُقیمُ الْعَدْلِ فِی الْبِلادِ وَالْعِبادِ وَ وَزعتُهُ فِی الأرض».(۴)

۳ – الشؤون السیاسیه

أ – الوحده والأخوّه الإسلامیه

یؤکد القرآن کثیراً علی وحده الأُمّه الإسلامیه، و یأمر بها، کما فی قوله تعالی:

(وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللّهِ جَمِیعاً وَ لا تَفَرَّقُوا) (۵) و فی هذه الآیه أمر بالوحده و نهی عن الفرقه.

۱- الشریف الرضی، نهج البلاغه، الکتاب ۵۳.

۲- – المصدر السابق.

۳- المصدر السابق.

۴- الآمدی، غُرَر الحِکَم، ص ۳۴۱، الحدیث ۷۷۹۷.

۵- – سوره آل عمران (۳)، الآیه ۱۰۳.

الأحكام الشرعيه إما أن يؤمر بها و إما أن يُنهى عنها، و تُترك لوازمها للمكلَّف؛ أى أنّ المكلَّف يعلم بالعمل الذى يؤمر بالامتناع عنه، و لكن فى ما يخص الوحده التى ضدّها الفرقه ورد التصريح بكلا الأمرين. فقد ورد التصريح بوجوب الوحده من جهه و حرمه الفرقه من جهه أُخرى. و لعلّ هذا الأمر قد جاء من أجل إغلاق الباب أمام أى ذريعه للتهرّب من قضيه الوحده. و لعل النظره إلى الواقع الذى يعيشه المسلمون اليوم، والفرقه المريره التى نشأت بينهم منذ أربعه عشر قرناً، والأضرار التى لحقت بهم من جرّاء ذلك، يمكن أن تكشف لنا عن السر الكامن وراء كل هذا التأكيد الإلهى على قضيه الوحده.

ب – حوار الأديان

أمر القرآن الكريم النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم بدعوه أهل الكتاب إلى الالتفاف حول رايه التوحيد فى العباده: (قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ تَعالَوْا إِلى كَلِمَهٍ سَواءٍ بَيْنَنا وَ بَيْنَكُمْ أَلاّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَ لا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَ لا يَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أَرْباباً مِنْ دُونِ اللّهِ) . (۱) و فى هذا الأمر لم يرد ذكر نبوّه محمد صلى الله عليه و آله و سلم رغم أهميّتها و قطعيتها، لكى لاتكون هناك كلمه اختلاف، تؤدّى إلى فشل الوحده فى الخطوه الأُولى.

و على المسلمين نبذ كل ما يدعو إلى الاختلاف وسوء الظن، والالتفاف حول كلمه «سواء» و جعلها قاعده للوحده، و اجتناب كل قول أو فعل يؤدّى إلى الفرقه.

لعلّ أهم سبيل عملى للوحده هو الاعتراف باختلاف الآراء، والابتعاد عن الإساءه إلى البعض الآخر، والتأكيد على المشتركات. و يحق طبعاً لعلماء جميع الأديان والفرق طرح و جهات نظرهم، و لكن من الأفضل طبعاً أن يجرى بحث مواطن الاختلاف من خلال البحث والنقاش فى أجواء علميه، من أجل التوصّل إلى وفاق واتّفاق فى الآراء. ثم يُطرح ذلك فى الأوساط الأُخرى. و فى حاله بقاء اختلاف الآراء، يبقى كل واحد متشبّثاً بما لديه من أدلّهٍ و حجج يراها صائبه.

۱- – سوره آل عمران (۳)، الآيه ۶۴.

ج – التعايش السلمى

على المتصدّين لإداره شؤون الدوله الإسلاميه الحفاظ على الاستقرار والتعايش السلمى، والابتعاد عن التوتر و إثاره الصراعات بين الناس، إضافه إلى معامله أتباع الأديان الأُخرى بالحُسنى، بل يعاملون بالحسنى كل الناس. يصرّح القرآن الكريم: (لا يَنْهاكُمُ اللّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقاتِلُوكُمْ فِى الدِّينِ وَ لَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَ تُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) (۱) و يأمر النبى صلى الله عليه و آله و سلم بما يلى: (وَ إِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَها وَ تَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ) . (۲) و عن الصادق عليه السلام «افُش السَّلام فى العالَم».(۳)

و على هذا الأساس يجب أن تكون كلمات وسلوك جميع الحكّام المسلمين دقيقه، و تأخذ بنظر الاعتبار ما يمكن أن يتمخّض عنها من نتائج على الصعيد العالمى. و عليهم الاحتراز من كل كلام يثير التوتر و يمهّد لوقوع الحرب والعداوات أو يؤدى إلى تضييق الخِناق على المسلمين، و خاصه فى الأماكن التى يشكل فيها المسلمون أقليه. و ينبغى تقديم توضيح منطقى و معقول لأى سوء فهم ينتج عن بعض الأقوال والمواقف حفاظاً على الاستقرار. و إذا كان اهمال المسؤولين سبباً فى إثاره الأديان والمذاهب الأخرى و أدّى إلى وقوع خسائر ماديه و معنويه، فالمسؤوليه الشرعيه تقع على عاتق اولئك المسؤولين. قال أميرالمؤمنين عليه السلام: «كُلُّ انسانٍ مُؤاخَذٌ بِجنايَهِ لِسانِهِ وَ يَدِهِ»(۴) و قال فى موضع آخر:

«رُبَّ فِتْنَهٍ اثارَها قَوْلٌ».(۵)

الذين يشغلون مناصب حكوميه مهمّه يجب أن يكونوا ممّن يزنون الكلام، و إذا يَدَر منهم خطأ عليهم المسارعه إلى تلافيه فى أسرع وقت.

لقد كانت النزعات القوميه والأنانيه أهم أسباب الحروب التى شهدتها البشريه. و قد

۱– – سوره الممتحنه (۶۰)، الآيه ۸.

۲– سوره الأنفال (۸)، الآيه ۶۱.

۳– الحر العاملى، وسائل الشيعه، الباب ۳۴ من أبواب جهاد النفس، ح ۱۵، ص ۲۸۴، الحديث ۷.

۴– – الآمدى، غُرَر الحِكَم، ص ۲۱۳، الحديث ۴۱۵۷.

۵– المصدر السابق، الحديث ۴۱۵۲.

نهی الإسلام عن کل هذه النوازع. إنّ الدعوه التی أطلقها نبی الإسلام صلی الله علیه و آله و سلم للأدیان التوحیدیه و دعاها فیها الی التضامن والوحده، أبرز دلیل علی لزوم التعایش السلمی بین أبناء البشریه. و هذه الدعوه لازالت باقیه علی قوّتها. و علی أتباعه ان یشمروا عن سواعد العزم علی هذا السبیل.

من الواضح أنّ التعایش السلمی یعنی الاعتراف بالآخر والاحترام المتبادل. أما الفوارق الموجوه بین الناس فهی من أجل التعارف فحسب(۱) و هذا یعنی إمکانیه التعایش السلمی رغم وجود الفوارق والاختلافات. إنّ الصوره السلبیه التی تُکرّس فی بعض المجتمعات و تظهر أن دین اللّه لایحتوی علی رساله سوی رساله الحروب و إراقه الدماء، لاتنسجم طبعاً مع حقیقه دین اللّه، و لاتقوم علی أی اساس علمی و منطقی.

و استناداً إلی ما سبق ذکره، إضافه إلی کثره أدلّه لزوم العدل والإنصاف بشأن کل أبناء العالم، فإنَّ أی إقدام یرمی إلی العبث بالاستقرار مخالف للعقل والشرع. و لایحق لمسلمٍ الإقدام علی أعمال عدائیه ما لم یکن هناک من یقومون بمثل هذه الأعمال العدائیه ضدّه.

والسبیل الوحید المتاح لهم هم الدعوه إلی أفکارهم و آرائهم بالحق.

د – المعاهدات الدولیه

من الجائز، بل من الواجب أحیاناً عقد الاتفاقیات والمعاهدات بین المسلمین والدول الأُخری بناءً علی ما فیها من منافع و مکتسبات، مثلما کان رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم یتعاقد مع المشرکین، مثلاً. و من الأهداف التی تسعی إلیها الحکومه عاده بسط الأمن و توفیر الأجواء المناسبه للتجاره الدولیه بما یحفظ مصالح الشعوب. والإسلام یؤید هذا المسعی أیضاً و یدعو إلیه.

و من الواضح أن الاتفاقیات مع البلدان الأُخری یجب أن لایکون فیها مَساس بکرامه المسلمین، امتثالاً لقوله تعالی: (وَ لِلّهِ الْعِزَّهُ وَ لِرَسُولِهِ وَ لِلْمُؤْمِنِینَ) . (۲) قال الإمام

۱- – سوره الحجرات (۴۹)، الآیه ۱۳.

۲- – سوره المنافقون (۶۳)، الآیه ۸.

الصادق علیه السلام: «اِنَّ اللّهَ تَبارَکَ وَ تَعالی فَوَّضَ الَی الْمؤمِن کُلَّ شَیْ ءٍ الّا اذْلالَ نَفْسِهِ».(۱)

الاتفاقیات التی تضمن مصالح بلد معین و لکنّها تضر بشعب آخر أو تنطوی علی ظلم فادح له، لاترضاها الشریعه المحمدیه، و یجب اجتنابها. قال تبارک و تعالی فی آیه الإحسان - التی ذکرناها فی المبحث السابق - و فی قوله: (لا یَنْهاکُمُ اللّهُ عَنِ الَّذِینَ لَمْ یُقاتِلُوکُمْ فِی الدِّینِ وَ لَمْ یُخْرِجُوکُمْ مِنْ دِیارِکُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَ تُقْسِطُوا إِلَیْهِمْ إِنَّ اللّهَ یُحِبُّ الْمُقْسِطِینَ * إِنَّما یَنْهاکُمُ اللّهُ عَنِ الَّذِینَ قاتَلُوکُمْ فِی الدِّینِ وَ أَخْرَجُوکُمْ مِنْ دِیارِکُمْ وَ ظاهَرُوا عَلی إِخْراجِکُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ) (۲) و یُستفاد من هاتین الآیتین و من الآیات السابقه والتالیه لها، و من آیات أُخری أیضاً، أنَّ الإحسان یشمل کل الناس، و لایستثنی منه إلّاالمحاربون الذین یقاتلون المسلمین، و من یمارسون الظلم ضد المسلمین.

ه - تقیه المداراه

یستطیع المتصدّون لإداره الشؤون الاجتماعیه التغاضی وقتیاً عن بعض الفروع الجزئیه للأحکام رعایه لمبدأ الوحده بین المسلمین، أو تفادیاً لِما یمکن أن یقع بینهم من سوء فهم للتعالیم الدینیه. و هذا هو ما یُسمّی بتقیه المداراه، و هو یُعدّ من المباحث المهمه فی السیاسه الاجتماعیه فی الإسلام.

یعمل بالتقیه عاده فی مقابل جهات أقوی أو فی حالات الضرر البالغ، و لکنها تکون أحیاناً بمثابه نوع من ضبط النفس رعایه لمصالح ذات نطاق أوسع و بما له صِله بالمذاهب الإسلامیه. و فی ضوء ذلک إذا تبیّن للدوله الإسلامیه من خلال القنوات المختصّه أنّ العمل ببعض الأحکام یعود علی الأُمّه الإسلامیه أو علی الإسلام بأضرار لا تُعوّض، یمکنها، بل ینبغی علیها التغاضی مؤقتاً عنها. خاصه إذا کانت الأوضاع الداخلیه أو الدولیه تؤدی إلی إثاره الفوضی والسخط، و إلی زعزعه مرتکزات الدّین و ثقه الناس بالحکومه الدینیه فیما إذا أصرت الحکومه علی بعض الأعمال الشرعیه أو القرارات الحکومیه الداخلیه.

۱- - الکُلینی، الکافی، ج ۵، ص ۶۳، الحدیث ۳.

۲- - سوره الممتحنه (۶۰)، الآیتان ۸-۹.

جاء فی روایه عن الإمام الباقر علیه السلام أنه قال: «التّقیهُ فی کُلِّ شَیْ ءٍ یَضْطَرُّ الَیْهِ ابْنُ آدَم، فَقَدْ احَلَّهُ اللّهُ لَهُ».(۱) و روی عن الإمام الصادق علیه السلام: «اِنَّ تِسْعَهَ اعْشارِ الدّینِ فِی التّقیه وَلادینَ لِمنْ لا تَقیّهَ لَهُ».(۲) و قال «کلّما تَقَارَبَ هذا الأمر کانَ أشدّ للتقیه».(۳)

و جاء فی روایه إنّ الإمام الصادق علیه السلام حذّر هشام بن الحکم من الإتیان بعمل یکون سبباً للملامه أو مدعاه للإساءه لأهل البیت، قال الإمام فی هذه الروایه: «... صَلُّوا فی عَشائرِهِم وَ عودوا مَرضاهُم وَ اشهَدوا جنائزهُم وَ لایَسبِقوَنَکُم إلی شَیءٍ مِنَ الخَیر؛ فَأنتُم أولی بِه مِنهُم. وَاللّهِ ما عبداللّه بِشَیءٍ أحَبّ إلَیه مِنَ الخَبَأ. فقال الرّاوی قُلتُ: وَ ما الخَبَأ؟ قال علیه السلام: التقیه».(۴)

لابد أیضاً من الالتفات إلی أنّ ما ینبغی أن یؤخذ بنظر الاعتبار، مصالح العالم الإسلامی علی الصعید الدولی؛ و ذلک لأن الکثیر من الساسه فی العالم أو المفکّرین غیر المسلمین قد وقعوا تحت تأثیر السلوک المغلوط لبعض المسلمین علی مدی التاریخ - من قبیل الممارسات الدمویه القاسیه التی کانت ترتکب فی أیام الدوله العثمانیه والصفویه، أو فی أیام بنی أُمیه و بنی العبّاس، أو ما یُقترف الیوم من جرائم باسم الإسلام - و هو ما یحملهم علی تکوین صوره غیر واقعیه عن الإسلام و أحکامه. و لعلّهم لا ذنب لهم فی هذا التصوّر.

و لهذا فإنَّ واجب قطاع الإعلام فی الدوله الإسلامیه هو إراءه صوره دقیقه وصحیحه عن الإسلام، من أجل تبدیل أیه دوافع لمعارضه أحکام الإسلام، و لکی لاتتکون لدی علماء العالم صوره سیّئه عن أحکام الإسلام النیّره.

و هذا بطبیعه الحال طریق طویل و شاق. و إذا کان هذان العاملان یحولان دون اتّخاذ الطُرق الصحیحه للوصول إلی هذه الغایه، فسوف تطول مدّه وجوب التقیه، و تمتد حاله الاضطرار للعمل بالأحکام الثانویه والمتطابقه مع المصالح العامّه للمسلمین. و مسؤولیه ذلک تقع علی عاتق أُولئک الذین یتوانون عن وضع الخطط الطویله المدی، و یکتفون

۱- - الکُلینی، الکافی، ج ۲، ص ۲۲۰، الحدیث ۱۸.

۲- المصدر السابق، ج ۲، ص ۲۱۷، الحدیث ۲.

۳- المصدر السابق، ج ۳، ص ۲۲۰، الحدیث ۱۷.

۴- المصدر السابق، ج ۲، ص ۲۱۹، الحدیث ۱۱؛ الحرّ العاملی، وسائل الشیعه، ج ۱۶، ص ۲۱۹، الحدیث ۲.

بالخطط القصيره المدى، و فى ذلك يتبجّح بعض الأفراد بالقول: إننا نطبق أحكام الإسلام و لا نبالى لِما يقوله الآخرون، و لكن عدم المبالاه لانعكاسات السلوك الاجتماعى ليست دليلاً على الكمال والتقوى. إذ من واجبات المسلمين ملاحظه تأثير سلوكهم فى المجتمعات الأُخرى. و عليهم أن يجذبوا الآخرين إلى الإسلام بحسن سلوكهم.

و من الضرورى أيضاً التنبيه إلى أن السلوك العنيف لبعض المسلمين فى الماضى والحاضر لايتطابق مع القيم الدينيه، و لا مع سنّه النبى صلى الله عليه و آله و سلم أو سيره الأئمه المعصومين عليهم السلام. و مثل هذه الأعمال لاتتماشى مع الأحكام الأوليه للإسلام. و فى هذه الحالات لايصل الدور إلى الأحكام الثانويه و لزوم التقيه، و يجب اجتنابها على أيّه حال.

و – الإصلاح بين الناس فى السياسه الخارجيه والداخليه

يتعيّن على المسؤولين فى الدوله الإسلاميه الالتزام بمتطلبات التصدّى للمناصب الاجتماعيه، و أهم تلك المتطلبات قيامهم بدور الحَكَم فى الوسط الاجتماعى. فالقرارات التى تُتخذ شبيهه إلى حدٍّ ما بالتحكيم الذى تؤدّى فيه العداله إلى استقرار السلطه و ثباتها، و أما الظلم فيه فيؤدّى إلى زعزعه السلطه. «اَلحيفُ يَدْعُو الَى السَّيْفِ».(۱)

تبرز عاده فى الوسط الاجتماعى اختلافات فئويه، و قوميه، و سياسيه و غيرها. و على المسؤولين أن يؤدّوا فيها دور الحَكَم المحايد، كالأب الذى يسعى إلى إقامه الحق بين أبنائه بعيداً عن جرح مشاعر أحدٍ منهم، و يحاول التوفيق بينهم و إصلاح ذات بينهم. و هكذا الحال أيضاً على صعيد الصراعات بين الدول، إذ يجب السعى لحل الاختلافات عن طريق السلوك المنطقى، و بالنحو الذى يعكس الوجه الحقيقى للدوله الإسلاميه، التى تُعتبر فى الواقع الترجمان الأصيل للروح الإسلاميه التى أوجزها القرآن بالآيه الشريفه (وَ ما أَرْسَلْناكَ إِلاّ رَحْمَهً لِلْعالَمِينَ) .(۲)

الدوله الإسلاميه ترحّب بإحلال السلام والمحبّه بين شعوب العالم، و تعتبر ذلك جزءاً

۱- الشريف الرضى، نهج البلاغه، الحكمه ۴۷۶، ص ۵۵۹.

۲- سوره الأنبياء (۲۱)، الآيه ۱۰۷.

من أهدافها. و فی الوقت ذاته تعتبر دعم المظلومین و إحقاق حقوقهم المشروعه جزءاً من سیاستها القائمه علی العداله.

إن الإصلاح بین الناس دعوه قرآنیه، و هو مما أکدت علیه روایات کثیره.

ز – الاستقلال التام

یجب أن تتمتع الدوله الإسلامیه بالاستقلال التام فی جمیع قراراتها، بما یخدم مصالحها الداخلیه والخارجیه، و لاتسمح بأن یُفرض علیها شیء خارج المسار الطبیعی. والتدبیر الصائب للمسؤولین قادر علی منع الکثیر من القرارات الاضطراریه، و إبقاء طریق الاستقلال مفتوحاً علی مصراعیه و لایوقع الشعب فی ما لایرغب فیه.

إنَّ القدره علی التحلیل و کشف متطلّبات الأُمور، والحِسّ السیاسی واستشراف الوقائع یمکن أن یرسم معالم الشخصیه المستقله للحاکم الإسلامی. و یجب أن لاتکون أفعال الدوله الإسلامیه بمثابه ردود أفعال علی الواقع الذی یخلفه الآخرون، بل یجب أن یکون لها دور فاعل یؤثر فی الواقع، و أن ترسم سیاستها قبل وقوع الحوادث.(۱) فکل من تفوته الفرص التاریخیه و لایستثمرها فی حینها، یجد نفسه فی اتخاذ القرار فاقداً لاستقلاله.

۴ – الشؤون العسکریه والأمنیه

من ضرورات الحیاه الاجتماعیه وجود قوات مسلّحه لمجابهه الحوادث المحتمله والدفاع عن ثغور البلاد ضد أی عدوان خارجی. و وجود قوی الأمن، للحفاظ علی الأمن الداخلی.

لقد أکّد الإسلام علی الاهتمام بهذه الأُمور، حین أقر الأسالیب التی کانت سائده فی المجتمعات السابقه، و قدّم إرشادات للاستفاده المثلی من تلک الأسالیب. و لاشکّ فی أنّ الالتزام بهذه القیم والمبادیء یساعد علی تحقیق أهداف الدوله الإسلامیه و تمییز المجتمع الدینی عن غیره.

۱- – عن علی علیه السلام: «کلّ شیء طلبته فی وقته فقد فات وقته» ابن أبی الحدید، شرح نهج البلاغه، ج ۲۰، ص ۳۲۳، الحدیث ۷۰۰.

أ – تأسیس و إداره القوات المسلّحه

دعا القرآن الکریم صراحه إلی إعداد القوّه العسکریه: (وَ أَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّهٍ وَ مِنْ رِباطِ الْخَیْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللّهِ وَ عَدُوَّکُمْ وَ آخَرِینَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ یَعْلَمُهُمْ) . (۱) و هذه الدعوه تبدو ردَّ فعل طبیعی لایغمض عینیه عن الواقع فی عالم یحتکم فیه کل شیء إلی القوّه و إلی السلاح.

و رغم أن الدّین یتطلّع إلی بناء عالم یخلو من الصراعات والحروب، و هو بطبیعه الحال عالم لایحتاج إلی کثیر من إعدادات القوّه العسکریه، و لکن هذا العالم الملیء بالقوی العسکریه المجهّزه بأحدث الأسلحه المدمّره، لایمکن للعالم الإسلامی أن یتوانی أو یتهاون فی تجهیز نفسه بالقوّه العسکریه اللازمه للدفاع عن کیانه و عن کرامه المسلمین.

و أما علی الصعید الداخلی للدوله الإسلامیه فلابُدّ أیضاً من وجود قوّه قادره علی ردع الظالمین و حمایه المظلومین. و ظالما کان هناک تعدٍّ علی حقوق الآخرین، فلابّد من وجود قوّه مسلحه تردع الظالمین عن التعدّی علی المظلومین.

من المعروف أن الواجب الأساسی للدوله بسط الأمن الاجتماعی والاقتصادی والسهر علی أموال الناس و أرواحهم، و لابُدّ طبعاً أن تکون لدی الدوله الإسلامیه الوسائل المناسبه للنهوض بهذه المهمه.

ب – الجهاد والدفاع

سبق – عند الحدیث عن أهداف الحکومه – أنّ إحدی الضرورات التی دفعت الإنسان إلی إقامه الدوله والحکومه هی الحاجه إلی الدفاع عن المجتمع و مصالحه ضدَّ أی عدوان.

و انطلاقاً من هذه الرؤیه أقرّ الإسلام مبدأ الدفاع والجهاد الدفاعی، لکی یکون توازن القوی سبباً لإزاله أو تقلیل احتمالات التفکیر بالهجوم والعدوان علی الغیر. و إذا کان هناک عدو

۱– – سوره الأنفال (۸)، الآیه ۶۰.

غاشم فلابّد أن يواجه مقاومه من أجل أن تكون كلفه العدوان غاليه، فيصدّه ذلك عن التفكير فى العدوان.

و قد قَسّم الفقهاء، الجهاد، إلى نوعين: ابتدائى و دفاعى، و لكن بعد إمعان النظر فى هذا الموضوع يمكن القول: إنّ الجهاد فى كل الأحوال دفاعى؛ أى لمنع الظلم و لأجل الدفاع عن الحق. و قد حدثت بعض الوقائع التى يوحى ظاهرها بأن جبهه الحق هى التى بدأت بالهجوم والعدوان، و لكنَّ حقيقه الحال هى أن مواقفها لم تكن إلّادفاعاً عن القيم الإنسانيه، و عن حقوق الناس المسحوقين تحت عجله الظلم. و هذا من أكثر الأساليب منطقيه. جاء فى القرآن الكريم: (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَ إِنَّ اللّهَ عَلى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * اَلَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاّ أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللّهُ وَ لَوْ لا دَفْعُ اللّهِ النّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوامِعُ وَ بِيَعٌ وَ صَلَواتٌ وَ مَساجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللّهِ كَثِيراً وَ لَيَنْصُرَنَّ اللّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ) (۱)

و قال تعالى فى آيه أُخرى: (وَ لَوْ لا دَفْعُ اللّهِ النّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَ لكِنَّ اللّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعالَمِينَ) .(۲)

الغايه من تشريع الجهاد هو الدفاع ضدّ من يعتدى على حقوق الناس ويُربك الأمن. و ما حصل فى صدر الإسلام فى زمان رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم من معارك مثل معركه بدر، إنّما كان دفاعاً تأخّر عن حينه بضع سنين بسبب الافتقار للقوه الدفاعيه. كان المسلمون قبل ذلك قد أخرجوا من ديارهم و هاجروا من مكّه و بقيت أموالهم فيها بسبب شدّه الضغوط التى واجهوها من المشركين. واستطاعوا فى معركه بدر استعاده قسمٍ منها بما غنموه من المعتدين.

ولو أنّ شعباً مظلوماً كالشعب الفلسطينى أُتيحت له فرصه استعاده أرضه - حتى و إن كان ذلك بعد عشرات السنين من اغتصابها - فإنّ عمله هذا يُعتبر جهاداً دفاعياً و ليس هجومياً. و هناك كلام لأميرالمؤمنين عليه السلام يقول فيه: «فإنّ الحق القديم لايبطله شىء»،(۳)

و يمكن جعله قاعده لهذا العمل.

۱- سوره الحج (۲۲)، الآيتان ۳۹-۴۰.

۲- سوره البقره (۲)، الآيه ۲۵۱.

۳- - ابن أبى الحديد، شرح نهج البلاغه، ذيل الخطبه ۱۵، ج ۱، ص ۲۶۹.

و نحن إذا نظرنا من هذه القاعده و هی أن الحق لایبطل علی مرّ الزمان، سنلاحظ أن الأعمال العسکریه التی قام بها النبیّ، و غزواته و سراياه، لم تکن إلاّ ـ دفاعاً عن المظلومین ولإزاله العراقیل التی وضعها المشرکون علی طریق المسلمین، أو علی طریق من یریدون اعتناق الإسلام، حرصاً علی توفیر السبیل أمامهم لاختیار معتقدهم بحریّه.

ج – السلام والأمن

إذا توفرت سبل أُخری لاستحصال حقوق المسلمین من غیر الطرق العسکریه، ینبغی اغتنامها و دراسه إمکانیه الاستفاده منها، و لکن ینبغی أن لایکون ذلک سبباً للفتور والتهاون، بل یجب الاحتفاظ بالقوّه العسکریه الکافیه للدفاع.

یدعو القرآن الکریم بصراحه إلی السلام و نبذ الحرب: (وَ إِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَها وَ تَوَکَّلْ عَلَی اللّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِیعُ الْعَلِیمُ) . (۱) قال الإمام الصادق علیه السلام فی بیانه لمعنی حدیث منقول عن رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم: إذا حاصر جیش المسلمین قوماً من المشرکین، ثم برز أحدهم فقال: أعطونی الأمان حتی أُحدِّث أمیرکم و أناظره، فأعطاه أحد المسلمین الأمان وجب حتی علی کبار قاده الجیش الالتزام بذلک الأمان.(۲)

د – تأمین الطرق والحدود والمدن فی زمان الصلح

من الواجبات المهمّه للحکومه حراسه حدود البلد، و مراقبه تحرُّکات القوات المسلّحه للبلد المجاور، هذا إضافه إلی ضبط الأمن علی الطرق و فی المدن.

الیوم یتولّی جهاز الشرطه بسط الأمن الاجتماعی و کسب ثقه الشعب و محاربه الجریمه. طبعاً لیس هناک مجتمع یخلو من المخالفات والجرائم. و یتولی هذا الجهاز أیضاً تنفیذ الأحکام القضائیه. والشریعه المقدّسه لاتمانع من اتّباع هذا الأُسلوب، و إنّما تقرّ ما یرتضیه العقلاء.

۱– – سوره الأنفال (۸)، الآیه ۶۱.

۲– الحرّ العاملی، وسائل الشیعه، الباب ۲۰ من أبواب جهاد العدو، ج ۱۵، ص ۶۷، الحدیث ۱.

روی عن الإمام علی علیه السلام أنه قال: «اَقِمِ النّاسَ عَلی سُنَّتِهِمْ وَ دینِهِمْ... وَ تَعاهَدْ ثُغُورَهُمْ وَ اطْرافَهُمْ».(۱)

و لکن رغم کل ذلک ینبغی أن لایغیب عن الأذهان أنّ نجاح عمل القوات المسلحه و قوی الأمن یتوقف علی تعاون الشعب، و مسایرتهم له. و هذا ما یدعوهم إلی الابتعاد عن أسالیب الظلم والشدّه والتدخل فی الشؤون الشخصیه للأفراد، مع التغاضی عن الهفوات و عدم الخوض فی الصراعات الحزبیه والفئویه.

ه – الأمن والمخابرات

من الأجهزه التی تمارس بها الحکومه دورها و إشرافها علی طریق تحقیق أهداف المجتمع، هو جهاز الأمن والمخابرات. و هو طبعاً من الأجهزه الحسّاسه التی تتوقف ثقه الشعب بالحکومه أو عدمها علی کفاءتها و حسن أدائها. و من المعروف أن تطوّر وسائل الاتصال عقّد مهمه ضبط الأمن. و من الطبیعی إنّ کل شعب لدیه أسرار یجب أن تبقی طیّ الکتمان؛ لِما لها من أهمیه فی تقدّم البلد أو تخلّفه، سواء کانت من نوع الأسرار العسکریه أو الاقتصادیه أو العلمیه أو السیاسیه أو التقنیه.

فی العصر الذی نعیش فیه یحتل الأمن مکانه مهمه. ویُفترض بالمجتمع الإسلامی أن لاینسی موقعه فی هذا التنافس والصراع. و علی الحکومه الإسلامیه بصفتها ممثلاً عن شعبها ان تهتم بالأمن آخذه بنظر الاعتبار دوره فی استقرار البلد أو إثاره الاضطرابات فیه.

و ان تستفید من التجارب البشریه فی الجانب الإیجابی والمشروع منها.

لقد دعا الإسلام منذ مطلع ظهوره و إقامه دولته فی مدینه النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم إلی الأخذ بأسالیب حفظ الأمن التی کانت متّبعه فی ذلک الوقت. و هذا ما یلاحظ وجوده فی الآثار المتبقیه منذ ذلک الوقت، مثل کلمات العیون، و «العین» والشرطه، والعرفاء، و ما إلی ذلک، التی تشیر إلی أجهزه الأمن والاستخبارات.

۱- الآمدی، غُرَر الحِکَم، ج ۲، ص ۲۱۵، الحدیث ۲۴۱۹.

و من أهم الضرورات التی تدعو فی الوقت الحاضر إلی وجود أجهزه الأمن والاستخبارات هی:

۱ – وجود جهاز مرکزی لجمع المعلومات الأمنیه والاهتمام بالجانب الأمنی و مکافحه عمل الأجهزه الأمنیه المضادّه.

۲ – الإشراف الأمنی علی القوات المسلّحه فی ضوء ما یمکن أن یحصل من مؤامرات عسکریه وسوء استغلال للسلاح، و ما قد یحصل من تحرّکات تزعزع أمن البلاد. و ینبغی أن یقتصر دورها هنا علی جمع المعلومات، و أما بقیه الأمور فتترک لمسؤولی البلاد.

۳ – مکافحه النشاط الأمنی الأجنبی المعادی والمضاد لمصالح المجتمع الإسلامی فی داخل و خارج البلد.

فی العهود الماضیه کانت مهمه مراقبه أعمال الولاه و عمّال الدوله توکل إلی وکلاء سریین (العیون) و إلی الأجهزه الأمنیه، و لکن هذه المهمّه أصبحت تؤدّی فی العصر الحدیث من قبل وسائل الإعلام بسبب ما تتصف به من سرعه نقل المعلومات.

و نظراً إلی ما یتسم به عمل الأجهزه الأمنیه من سریّه لذلک تصعب مراقبته. و هذا ما یجعله معرّضاً لکثیر من الإنحرافات کالخیانه، والتقاریر الکاذبه، واختلاق التُهم للآخرین.

و لهذا یجب أن یکون لمؤسسات الدوله إشراف دقیق و رقابه صارمه علی الأجهزه الأمنیه، مع وضع تشریعات رادعه فی هذا المجال. إذ کلّما کان تدخل هذه الأجهزه فی شؤون البلد أقل، یستتب الأمن فی البلد أکثر. و فی مثل هذه القضایا ینبغی الاکتفاء بما هو ضروری منها، و لایجوز ان یُسمح لجماعه بالاطلاع علی جمیع أسرار الناس و استغلالها.

و لعل قول رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم – کما جاء فی احدی الروایات –: «إنّ العرافه حَقٌّ وَ لابُدَّ لِلنّاسِ مِنَ العُرَفاءِ و لکنَّ العُرَفاءَ فی النّار»،(۱) ینم عن مدی خطوره هذا العمل، و سبب اخفاق بعض العاملین فی هذا الحقل فی إنجاز واجباتهم الشرعیه والقانونیه، و تخطّیهم الحدود المرسومه لهم. و انطلاقاً من ذلک یفترض توخّی أقصی درجات الدقّه فی تفویض

۱– – سنن أبی داود، باب فی العرافه، ج ۳، ص ۱۳۲، الحدیث ۲۹۳۴.

المسؤوليات الأمنيه إلى الأفراد بالنحو الذى لايؤدّى إلى هتك الحرمات والإساءه إلى الناس، و بالتالى إلى التشكيك فى مشروعيه النظام.

روى عن أميرالمؤمنين عليه السلام انه قال: «إيّاكَ انْ تَكُونَ... شُرطياً اوْ عَريفاً... فَانَّ نَبِيَّ اللّهِ خَرَجَ ذاتَ لَيْلَهٍ فَنَظَر الَى السَّماء فَقال: اما انَّها السَّاعَهُ الّتى لاتَرَدّ فيها دَعْوهٌ الّا دَعْوَهُ عريفٍ... اوْ شُرطى...».(۱) و كل هذه الأحاديث تدل على مدى حساسيه عمل الأجهزه الأمنيه والمنزلقات التى تحفّ به.

و على أيه حال فإنَّ وجود مثل هذا الجهاز ضرورى لحفظ الأمن، و لكن ينبغى الاكتفاء فيه بما تمليه الضروره. و يجب طبعاً منع هذا الجهاز من التجسُّس على الحياه الخصوصيه للناس، كما ينبغى أن لايدخل فيه إلّا من تتوفر فيهم الأهليه الأخلاقيه والإنسانيه، و لايكون منفذاً يستغله المفسدون للإساءه إلى أبناء الشعب.

و على هذا الأساس لابُدّ أن يقتصر عمل هذا الجهاز على الشؤون الأمنيه الداخليه منها والخارجيه، و لاتفوّض إليه صلاحيات قضائيه؛ لأن القضاء و مقدّماته من الأُمور التى يجب أن تجرى فى العلن. بينما عمل الأجهزه الأمنيه يقوم على مبدأ الكتمان. و يفترض أيضاً أن تكون صلاحيات و مجالات عمل هذا الجهاز محدده، و يخضع لإشراف دقيق من قبل أجهزه حكوميه، و تكون عليه رقابه من قبل وسائل الإعلام والمؤسسات الشعبيه، عدا الأسرار العسكريه فى مدّه معيّنه. و عندئذ يكون هذا الجهاز مفيداً للدوله الإسلاميه.

۵ – الشؤون القضائيه

للقضاء فى الدوله الإسلاميه أهميه فائقه؛ و يعزى سبب هذه الأهميه إلى وجود خلافات قد تقع بين أبناء الشعب، أو بينهم و بين مسؤولين حكوميين، و يتعيّن على القضاء الحكم فيها. فالقضاء فى حقيقته يمثّل حلقه وصل بين الشعب والحكومه؛ لأنه يمارس سلطته بواسطه قوّه الدوله و مؤسّساتها، و هو بذلك يُظهر استقلاله عن الحُكّام والمسؤولين فى

۱- – الحر العاملى، وسائل الشيعه، الباب ۱۰۰ من أبواب ما يُكتسب به، ج ۱۷، ص ۳۱۵، الحديث ۱۲.

الدفاع عن حقوق الشعب أمام السلطه و رجال الحكم.

فی الماضی کان هذا المنصب فی ید السلاطین و رؤساء الحکومات، و لکن التجربه البشریه أثبتت أنّ تقسیم السلطات یُقلل من مساوىء الحکم. و لهذا یفترض ان یکون هذا الأمر إلی القضاه و ان یکون مستقلاً عن عمل الحکومه.

الکثیر من الفقهاء لایجیزون تصدّی غیر المجتهد الجامع للشرائط لمنصب القضاء، و هذا موافق للاحتیاط أیضاً. و ینبغی أن یکون القضاء أیضاً فی ید من لایدخل فی تنافس مع أبناء الشعب فی القضایا الاجتماعیه أو السیاسیه، و أن لایکون من ذوی المیول والاتجاهات الحزبیه والفئات السیاسیه.

و أفضل السبل لاختیار مسؤولی القضاء الرجوع إلی آراء ذوی النظر فی الشؤون الحقوقیه والقضائیه أو الرجوع إلی الرأی العام.

أ – القضاء و شروطه

مهمّه القضاء أصعب المهام و أکثرها تعرّضاً للمحاسبه یوم القیامه؛ لأنّ أدنی ظلم یرتکبه القاضی یؤاخذ علیه أمام اللّه. و قد وردت فی الأحادیث تأکیدات کثیره علی آداب المحاکمات والعداله فی سلوک القاضی. و من ذلک أن الإمام الصادق علیه السلام قال فی تصنیف القضاء: إنّ القضاه أربعه؛ ثلاثه فی النار و واحد فی الجنّه: رجل قضی بجور و هو یعلم، فهو فی النار. و رجل قضی بجور و هو لایعلم فهو فی النار، و رجل قضی بالحق و هو لایعلم فهو فی النار، و رجل قضی بالحق و هو یعلم فهو فی الجنّه.(۱)

إنّ صعوبه هذه المهمه جَعَل الکثیر من الفقهاء العظام یتردّدون فی التصدّی لها؛ لأنّ إجراء الکثیر من أحکام اللّه یختص بزمان وجود الإمام المعصوم علیه السلام.

یقوم أساس القضاء فی الإسلام علی مبدأ تحقیق العداله والدقه فی حقوق الناس، مع تفویض الکثیر من الصلاحیات للقاضی للعفو فی ما یخص حق اللّه، أو منع إثبات الجرم.

۱- الحرّ العاملی، وسائل الشیعه، الباب ۴ من أبواب صفات القاضی، ج ۲۷، ص ۲۲، الحدیث ۶.

ففی ما یخص اللّه یجب علی القاضی تفهیم المتّهم بالعقوبه التی تتربّص به فیما لو اعترف بالذنب. و أمّا الإجراءات المعقّده لإثبات بعض الذنوب فهی نابعه من عدم رغبه الإسلام فی إثبات الجرم والمعاقبه علیه؛ لأنه یُفضل فی مثل هذه الحاله أن یتوب المجرم بنفسه، و لیس من الضروری أن یتحمل القاضی مشقّه تطهیره من الذنب. أما بالنسبه إلی حقوق الناس فقد وردت أقوال کثیره فی الحَثّ علی العفو عن المجرم و أن یصفح ذوو الحق عنه، و لکن إذا أصرّ صاحب الحق علی تنفیذ العقوبه لایمکن للقاضی التغاضی عن إحقاق حق الناس.

جهاز القضاء یجب أن یکون علی النحو الذی لایفقد فیه أحدٌ الأمل بأخذ حقّه، و لایشعر فیه المجرمون بالأمان من العقاب. و ینبغی أن لایحمل جهاز القضاء أیه توجهات سیاسیه أو فئویه تجعل حکم القاضی معروفاً سَلَفاً.

و من الأفضل، بل من اللازم فی القضایا الصعبه والمعقّده، أن لایتحمل قاضٍ واحد عبء الحکم فیها، و إنّما تقوم جماعه من الحقوقیین بالتشاور و تطبیق المصادیق علی القوانین و إصدار الحکم. روی عن أمیرالمؤمنین علیه السلام أنه سأل رسول اللّه صلی الله علیه و آله و سلم: «قُلْتُ: یا رَسُولَ اللّه، انْ عَرَضَ لی امْرٌ لَمْ یَنْزِلْ فیهِ قَضاءٌ فی امْرِه وَ لا سُنّهٌ، کَیْفَ تَأْمُرُنی؟ قال: تَجْعَلُونَهُ شوری بَیْنَ اهْلِ الفِقْهِ وَالْعابِدینَ مِنَ المؤمِنین و لاتَقْضی بِرأیٍ خاصّهٍ».(۱)

و جاء فی حدیث نبوی شریف: «شرارُ امّتی مَنْ یَلی الْقَضاءَ، إنِ اشْتَبَهَ عَلَیْهِ لَمْ یُشاوِرْ وَ إنْ اصابَ بَطِرَ وَ إنْ غَضِبَ عَنَّفَ».(۲)

و من المؤکّد أنّ شمولیه أدلّه المشوره یمکن أن تشمل الشؤون القضائیه أیضاً. أما الشروط والحالات الأُخری فقد أشبعتها الکتب الفقهیه بحثاً. و یمکن لمن یشاء الرجوع إلیها للاطّلاع علی مزید من المعلومات.

ب – کیفیه القضاء

لا ینبغی عند التحرّی والاستنباط دفع المتهم إلی الإقرار تحت الترهیب أو الترغیب أو

۱- المُتّقی الهندی، کنز العمال، ج ۵، ص ۸۱۲، الحدیث ۱۴۴۵۶.

۲- المصدر السابق، ج ۶، ص ۹۳، الحدیث ۱۴۹۹۰.

التعزیر؛ لأن الإقرار الناجم عن هـذه الأسالیب غیر معتبر، و لایجوز شـرعاً الاسـتناد إلیه. نقل الإمام جعفر الصادق علیه السـلام عن أمیرالمؤمنین علیه السـلام أنه قال: «مَنْ اقَرَّ عِنْـدَ تَجْریـدٍ اوْ حَبْسٍ اوْ تَخْویفٍ اوْ تَهدیـدٍ فَلا حَـدَّ عَلَیْه»،(۱) أی لیس لإقراره اعتبار شرعی. و هنـاک أحـادیث معتبره داله علی هـذا، والفقهاء کلّهم متفقون علیه. و حتی الإقرار فی جلسه المحاکمه یجب أن یکون خالیاً من هذه العوامل، و إن جاء تحت تأثیر أی منها فلا اعتبار له.

یجب أن یـأتی إقرار المتّهم فی حاله من السـکینه لأجل أن یکون له اعتبار. و إقرار المتهم یُقبل فی ما یخُصّه هو فقط و لایسـری إقراره علی غیره. و لمثل هذا الإقرار اعتبار فی حدود وجود القرینه.

و أمّا الشهود فیجب أن یکونوا عدولاً، و أن لاتکون لهم مصلحه فی الحکم، و یجب أن یکون هناک شاهد مع القسم علی الأقل فی بعض الموارد، أو شاهـدان فی بعض الأحکام (أو أربعه شـهود عـدول علی الزنا - مثلاً - بشـروط خاصّه) لکی یکون هناک إثبات شرعی.

و فی القسـامه یجب أن یقسم خمسـون شـخصاً لیثبت الجُرم، والاکتفـاء بمـا دون الخمسـین مع تکرار القسم من قبـل الأشـخاص الموجودین، موضع إشکال.

والبیّنه الشـرعیه، و إن کانت فی أُمور خاصّه کشـهاده الشهود العدول والقسامه، و لکن کل ما یؤدی إلی کشف الحقیقه و یتّضح أن لاـ خطأ فیه و مفیـد للعلم کطبع الأصابع و تحلیل الـدم و ما شابه ذلک، یمکن للقاضـی أن یتّخـذه مسـتنداً لحکمه، و إن کان اعتبار علم القاضی فی بعض الأُمور - خاصّه الجنسیه - موضع إشکال.

و یجب أن تکون المحاکمات علنیه، و لایجوز أن تجری فی أماکن یتعذر وصول الناس إلیها کالمعتقلات السـریّه، أو الزنزانات، أو الغرف المغلقه. و یجب أن تتوفر للمتّهم إمکـانیه الاعتراض و إیصال صوته إلی الآخرین حین التحرّی والاسـتنطاق، و إذا کان ذلک یجری فی أماکن مجاوره للأماکن العامّه تتقلّص احتمالات الضـغط علی المتّهم. و لهذا یفترض بالدوله الإسـلامیه و جهاز القضاء فیها توفیر الظروف التی تتیح للمتهم مزیداً من السکینه

۱- - الطوسی، تهذیب الأحکام، ج ۱۰، ص ۱۴۸، الحدیث ۵۹۲؛ الکُلینی، الکافی، ج ۷، ص ۲۶۱، الحدیث ۶.

والاستقرار. كما يجب على الأجهزه القضائيه توفير الأمن للشهود بأی نحو ممکن، لکی لایکون خوفهم علی حیاتهم سبباً فی عدم کشفهم عن الحقائق. و علی صعید آخر ینبغی اتخاذ کل ما مِن شأنه منع شهاده الزور.

یجب علی جهاز القضاء أن لایجعل مبدأ عمله إثبات تحقق الجرم، ثم محاوله إثبات ذلک بأی نحو ممکن. بل ینبغی أن ینظر بحیادیه إلی وقوع الجُرم أو عدمه، و أن یدرس الأدله والشواهد والقرائن، و فی حاله عدم ثبوت الجرم شرعاً و قانوناً، یجعل الأصاله لبراءه المتّهم.

والملاحظه الجدیره بالذکر هنا، هی أنّ بعض الاجراءات السائده الیوم فی العالم لإظهار الحق و تحقیق العداله، لم تکن معروفه فی النظام القضائی الإسلامی، و لکن بما أنها تصبّ فی مسار العداله و تساهم فی تقلیص احتمالات خطأ القاضی، فمن الضروری اتّباعها فی جهاز القضاء مثل وجود محامٍ عن المتهم، و حضور هیئه إنصاف فی المحاکم، و حق الطعن فی الحکم أو ما یُسمّی بالتمییز، و عدم قطعیه الحکم فی المرحله الأُولی، و مسائل من هذا القبیل. و بما أنّ العداله هی أساس القضاء و غایته القصوی، لذلک یجب الاستفاده من أیّه وسیله تساعد علی تحقیق هذا الهدف. و تجدر الإشاره إلی أنّ بعض هذه الأسالیب یمکن استنباطها من المصادر الإسلامیه.

ج – الحدود والتعزیرات

فی أحکام الإسلام الجزائیه نوعان من العقوبات. نوع بیّنته الشریعه المقدّسه و شرحت حدوده کمّاً و کیفاً، و هو ما یُعرف باسم الحدود. و نوع آخر لم تبیّن بوضوح کمیّته و کیفیّته، و إنّما عیّنت السقف الأعلی له، و ترکت جزئیات و تفاصیل العمل به إلی الحاکم، و هو ما یُسمّی بالتعزیر.

والحدود إما أن تکون من موارد حق اللّه، مثل حدّ شرب الخمر، أو من موارد حق الناس، مثل حدّ المحاربه و حدّ السرقه، أو ما یجتمع فیه کلا الأمرین کبعض العقوبات المقرره لجرائم الفساد الأخلاقی. و هناک تعزیرات لکلا هاتین الحالتین. و یمکن للقاضی المجتهد الجامع للشرائط اعتماد رأیه فی هذه الأُمور.

فی الحدود الشرعیه یُعتبر أی زیاده أو تهاون خارج حدود الصلاحیات تخلّفاً.

والمتخلّف عن القانون تجب معاقبته. و فی موارد الشبهه، یجب توخّی الدقّه والاحتیاط لکی لایُطمس حقٌّ. قال النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم: «إدرأوا الحدودَ بِالشّبهات».(۱)

و ممّا ینبغی ملاحظته أیضاً أن العقوبات المقرّره للجرائم الموجبه للحدّ، ذات طابع ردعی، و قد جُعلت طریقه إثباتها بالنحو الذی یندر تحققه، و علی فرض تحققها فإنَّ حالات سقوط العقوبه کثیره أیضاً فیها.

والملاحظه الأُخری التی تُستشف من الأحادیث، هی أنّ الغایه من التعزیرات إصلاح الفرد والمجتمع و عدم تکرار الجُرم. و یُفهم من ذلک ما یلی:

أوّلاً: إنّها لاتنحصر فی الجَلْد والسجن و إنّما تشمل کل عقوبه تحقق هذه الغایه.

ثانیاً: لَمّا کان تنفیذ العقوبه نوعاً من التصرّف فی شؤون إنسان آخر، فهذا التصرّف یکون ذا مشروعیه فیما إذا کانت الشریعه قد أجازت ذلک.

ثالثاً: نوع التعزیر و کیفیه إجرائه یجب أن لایکون مدعاه للإساءه إلی الشخص و انتهاک کرامته، أو یتعارض مع القیم الأخلاقیه السائده فی المجتمع. و انتهاک الکرامه من العناوین العرفیه والمتغیّره، و تختلف تبعاً لاختلاف الزمان والمکان و عادات الشعوب.

د – القصاص

وضع القصاص فی الشریعه لرعایه حق الناس، و لمنع وقوع المزید من الخسائر، و تقلیل الجریمه إلی أدنی حدٍّ ممکن. فی الکثیر من موارد حق الناس وُضِعت العقوبات وفقاً للقانون الفطری والطبیعی و هو قانون المقابله بالمثل. و فی بعض الحالات یحثّ الشرع أصحاب الحق علی اختیار عقوبه أخف و أقل من الجریمه، کالامتناع عن القصاص فی حالات قتل النفس، والاکتفاء بالدیه.

القصاص یجب أن یکون علی ید صاحب الحق، و لایجوز لجهاز القضاء أن یبادر إلی

۱- الحرّ العاملی، وسائل الشیعه، ج ۲۸، ص ۴۷، الباب ۲۴، الحدیث ۴.

تطبیق العقوبه؛ لأنه فی مثل هذه الموارد قد لایملک الإنسان القدره أحیاناً علی اتّخاذ قرار القتل، مما یؤدّی بالنتیجه إلی حقن الدماء، أو ربّما یُعفی عن القاتِل أو تؤخذ منه دیه، و لکن لو کُلّف جهاز القضاء بأداء هذا العمل و أخذ علی عاتقه تنفیذ حکم القصاص، فسوف تنتفی الغایه من تشریع هذا الحکم، و هذا لایتساوق طبعاً مع ما تبتغیه الشریعه المقدّسه، و یؤدی إلی إراقه مزید من الدماء.

القصاص حق لولیّ دم من یُقتل أو یُجرح فی وضع عادی، و فی ظروف آمنه و مستقره، من غیر سبب شرعی أو قانونی. و فی مثل هذه الحاله یُقتصُّ من الفاعل فی حالتی القتل أو الجرح، و لکن فی الظروف غیر الآمنه کالحروب والصراعات المسلّحه لو قُتل أو جُرح شخص، ثم تبیّن بعد انتهاء الحرب والصراع أن شخصاً معیّناً هو الذی ارتکب تلک الحادثه، فلا یمکن تنفیذ القصاص فیه هنا؛ لأن من یذهب إلی میدان الحرب یُعرّض نفسه للقتل.

و حکم القصاص ینطبق علی أجواء الحیاه العادیه الآمنه، و لاینطبق علی ساحه المعرکه.(۱)

و علی أیّه حال فإنّ مِن الأفضل أن یعفو أولیاء الدم أو یأخذوا الدیّه.

ه – الدیّات

عیّنت الشریعه المقدّسه مبالغ مالیه کدیّات للحالات المختلفه، و قد وردت تفاصیلها فی الکتب الفقهیه والحقوقیه. و هناک فوارق فی مبالغ الدیّات تبعاً للحالات، فهناک مثلاً فارق بین دیه الرجل و دیه المرأه. و یبدو أن سبب ذلک یعود إلی الدور الاجتماعی لکلٍّ منهما، و إلی عبء المسؤولیه التی تقع علی عاتق کل منهما، و لا صله لذلک بالشخصیه والمنزله الحقیقیه لکلٍّ منهما.

و – المرحله الثالثه من الأمر بالمعروف والنهی عن المنکر

و من الوظائف الأُخری للحکومه، تنفیذ المرحله الثالثه من مراحل الأمر بالمعروف

۱- – للإطلاع علی مزید من المعلومات فی هذا المجال راجع: دراسات فی ولایه الفقیه، ج ۲، ص ۷۹۶.

والنهی عن المنکر. ذکرنا قبل هذا إنّ الأمر بالمعروف والنهی عن المنکر یجری فی ثلاث مراحل. و فی مرحلتی الإنکار بالقلب واللسان یقع علی کل الناس و علی کل المسؤولین واجب مشترک. أما المرحله الثالثه، فهی مما لایستطیع الناس التدخّل فیها مباشره. ولو تدخل فیها الأفراد و انتهت الأُمور إلی ضرب و جرح و قتل، فهذا بحدّ ذاته من أکبر المنکرات وربّما یؤدّی إلی الفوضی والفَلَتان. و هذا طبعاً خطر ماحق یهدد أساس النظام.

و عندما تؤخذ کل جوانب هذا الموضوع بنظر الاعتبار، یلاحظ أن الشریعه المقدّسه أوکلت هذه المهمه إلی الحکّام الصالحین و لایمکن الإقدام علی أمر من هذا القبیل إلا بأمرهم و بالتنسیق معهم.

ز – الردّه و حکم المرتد

فی بدایه قیام الدوله الإسلامیه (فی مدینه النبیّ)، حیکت مؤامره کان الهدف منها زعزعه معتقدات الداخلین حدیثاً فی الإسلام. والمخطّط الذی رسمته تلک المؤامره هو أن یأتی جماعه إلی النبی صلی الله علیه و آله و سلم و بعدما یطرحون عدداً من الأسئله یتظاهرون بأنهم قد آمنوا برساله النبیّ واعتنقوا الإسلام، و فی آخر النهار یختلقون بعض الأسباب والمبرّرات التی یثیرون فیها الشکوک، و یزعمون أنّ الإسلام دین ناقص، و ذلک بغیه تثبیط عزائم المسلمین و إثاره الشکوک فی نفوسهم. و قد نبّه اللّه تعالی فی القرآن الکریم النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم إلی ذلک.(۱)

و کانت هذه الواقعه والقضایا المشابهه التی حصلت لاحقاً سبباً لتشریع حکم الردّه فی الإسلام. و هو حکم کان معروفاً لدی الأُمم السابقه أیضاً.

لهذا الحکم طابع ردعی، والغرض الأساسی من تشریعه درء أیّه محاوله للاستهانه بالأدیان والشرائع السماویه. أما الشروط التی وُضعت لهذا الحکم، و موضوع الحکم – کالجحود والإنکار والقصد والإراده و تناسب الحکم والموضوع – فتظهر أنّ الغایه التی کان النبیّ یرمی إلیها مِن وراء تشریع هذا الحکم الشدید هی إجهاض أیه محاوله للتآمر و

۱– – سوره آل عمران (۳)، الآیه ۷۲.

إیجاد الفساد. و کان الرد علی ذلک بأسلوب المجابهه الثقافیه.

ینطبق حکم المرتد علی من یحاول غرس بذور الشک عمداً، فی حین أنه مؤمن بذلک (وَ جَحَدُوا بِها وَ اسْتَیْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَ عُلُوًّا) ، (۱) و غرضه التآمر علی المجتمع الإسلامی. و هذا یعنی أن المرتد هو من یبذل جهداً لتغییر الرکائز العقائدیه للمسلمین بهدف صدّ الناس عن الرقی والتکامل المعنوی، و إفشاء الفساد بدلاً من ذلک.

و بعباره أُخری: إنّ معیار حکم المرتد لیس تغییر الاعتقاد القلبی، و ذلک لأن العقیده تابعه عاده لمقدّماتها، و خارجه عن إراده الفرد، و إنّما المعیار فی ذلک محاوله الإفساد.

و یبدو أن الفوارق بین حکم المرتد الملّی والمرتد الفطری(۲) مردّها إلی هذا الجانب؛ و ذلک لأن المرتد الملّی یُحتمل أن تؤثر فیه معتقداته السابقه والتقالید القدیمه التی نشأ علیها.

و لهذا فقد أُتیحت له فرصه أکثر. أما بالنسبه إلی المرتد الفطری، فلیست له مثل هذه الخلفیّه، و لذا هناک احتمال أکثر بالجحود والإنکار و انعدام الدافع المقبول.

و لکن لو أن أحداً لم یتوصّل إلی حقائق الدّین، أو أثّرت فیه استدلالات خصوم الدّین، و أثارت فی نفسه شکوکاً فی أحکامه الضروریه أو فی الأُصول الاعتقادیه، من غیر أن تکون لدیه نیّه فی التآمر أو زعزعه إیمان أحد، و قد خرج من الدّین ظناً منه بإمکانیه البحث عن الحقیقه خارج دائره الدّین، و أخذ بالتعبیر عن مخالفته للدین عن طریق الاستدلال والنقاش العلمی فحسب، فهو لیس مصداقاً لحکم المرتد؛ و ذلک لأنّنا فی زمان غیبه المعصومین علیهم السلام، و کثره الاختلافات بین المسلمین فی الکثیر من المعتقدات والأحکام، و تداخل الحق والباطل، و لبس ثوب الإسلام بالمقلوب (۳)- حسب تعبیر أمیرالمؤمنین علیه السلام - یصبح من العسیر علینا - نحن الناس العادیین - فهم حقائق الدّین والشریعه، و لایمکن أن یترک الناس شؤون حیاتهم و یتفرّغوا لکشف حقائق الدّین، هذا

۱- - سوره النمل (۲۷)، الآیه ۱۴.

۲- - المراد من المرتد الملی هو أن یرتد عن الإسلام شخص لم یکن مسلماً بالولاده ثم اسلم لاحقاً ثم ارتد بعد ذلک. أما المرتد الفطری فهو من وُلِد علی الإسلام، و بعد البلوغ یرتد عن الإسلام.

۳- - «لُبِسَ الإسلام لُبْس الفَرْو مقلوباً.» الشریف الرضی، نهج البلاغه، الخطبه ۱۰۸، ص ۱۵۷ و ۱۵۸.

فضلاً عن عدم وجود ضمانه بالتوصل - بعد بذل كل الجهود - إلى أصل الدّين و عدم الانحراف عن الحق.

و انطلاقاً من ذلك إذا جاء تغيير العقيده على أثر شبهه، ثم طالب المرتد بالإجابه عن تلك الشبهه، لابُدّ من تلبيه طلبه، و لايمكن إجراء حكم الردّه عليه. و كذلك الحال إذا كان الشخص جاهلاً و جاءت ردّته من غير بصيره مثلما كان إسلامه من غير بصيره.

إضافه إلى ذلك يبدو أن حكم المرتد أو حكم الناصبى كان فى الأساس حكماً سياسياً و ولائياً، و تؤخذ بنظر الاعتبار فيه ظروف الزمان والمكان. نذكر على سبيل المثال أنه جاء فى كتاب الإمام الرضا عليه السلام إلى المأمون: «لا يَحِلُّ قَتْلُ احَدٍ مِنَ النُصّابِ والْكُفّار فى دارِ التّقيه الاّ قاتلٌ أو ساعٍ فى فَسادٍ».(۱)

ح - الإساءه إلى النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم والتجديف

كل من يتطاول على القيم الدينيه والمعتقدات الصحيحه للمسلمين أو ينشر ما يسىء إلى النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم و أهل بيته عليهم السلام، يُدان من جانبين:

الأوّل: إنّ السَبَّ والإساءه لاتصدر إلّاممّن يفتقرون إلى العِلم والعقل؛ أى من الجَهَله؛ و ذلك لأن إيذاء الغير والإساءه إلى الآخرين عمل قبيح، فما بالك بالإساءه إلى الرموز الدينيه و إلى المقدّسات.

الثانى: كل من يسىء إلى معتقدات الناس، فمعنى ذلك أنه أقحم نفسه فى معترك الصراع مع الأكثريه و إثاره مشاعرهم. و من حق المجتمع فى مثل هذه الحاله أن يُقدم على ردع ذلك الشخص.

و فى ما يخص حكم التجديف والسَبّ والإساءه إلى المقدّسات، لابُدّ من تسليط الضوء على الأُمور التاليه:

۱- الحُرّ العاملى، وسائل الشيعه، الباب ۲۶ من أبواب جهاد العدو، ج ۱۵، ص ۸۲، الحديث ۹؛ و فى عيون اخبار الرضا عليه السلام، ج ۲، ص ۱۲۴، وردت كلمه «لايجوز»، بدلاً من كلمه «لايحل».

۱ – کلمه «سب» ذات میزه خاصّه، و هو أخصّ من الإهانه؛ فالسبُّ شتم صریح و لایشمل کل قول و لا حتی کل إهانه. فقد یُعتبر بعض الکلام أو السلوک مهیناً و لکنه لایُعتبر سبّاً، و إن کان السبَّ یُعتبر إهانه.

۲ – حکم السبّ یختص بسب النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم والسیّده فاطمه علیها السلام والأئمه المعصومین علیهم السلام والأنبیاء علیهم السلام.

۳ – یتوقف إجراء حکم السبّ علی ما یلی:

أوّلاً: أن یکون عن اختیار، لا عن إکراه.

ثانیاً: أن یصدر فی حاله عادیه و لیس فی حاله هیاج أو ضغط نفسی أو جنون آنیّ.

و عند الشک یجب عدم إجراء الحدّ، تطبیقاً لقاعده «الحدود تُدْرَأ بِالشّبهات».(۱)

ثالثاً: أن یثبت السبّ بالبیّنه الشرعیه أو الإقرار فی محکمه صالحه، و لیس تحت الإکراه والخوف.

رابعاً: أن لاتنتج عن إجراء الحکم من قبل المحکمه الصالحه عواقب سلبیه مهمّه.

۴ – المقصود من الإساءه کل قول أو فعل ینطوی علی إهانه أو تحقیر أو استهزاء أو اعتداء علی حرمه إنسان. و لابُدّ أن یثبت للقاضی قصد الإهانه. و لیس من سبیل إلی ذلک سوی إقرار المتّهم نفسه بحریّه تامه. کما ینبغی أن یؤخذ العرف فی ذلک المجتمع بنظر الاعتبار، أی أن یُعتبر ذلک العمل إساءه فی عرف ذلک المجتمع.

۵ – کلمه مقدّسات: مشتقّه من کلمه «قدس» و تعنی الطهاره والتنزیه. والمراد من مقدّسات الإسلام الأُمور التی تُعتبر بحد ذاتها طاهره و منزهه من النواقص والعیوب، و لا اختلاف بین المسلمین فی قدسیّتها. و لابُدّ طبعاً أن یکون الشخص الذی صدرت منه الإهانه عالماً بقدسیه ذلک الأمر.

۶ – إذا ثبت السبّ بالإقرار فی المحکمه الصالحه، یجوز للحاکم الإسلامی العفو عنه.

و کل الأنواع الأُخری من الإساءه تخضع تعزیراتها لظروف الزمان والمکان، و نوع الإساءه و

۱– الحرّ العاملی، وسائل الشیعه، الباب ۲۴ من أبواب مقدمات الحدود، الحدیث ۴.

شدّتها، و يتراوح التعزير عليها بين الوعظ والتغاضى والتخويف والتهديد إلى المراتب العليا من التعزير. و تشخيص ذلك بيد الحاكم الشرعى. و بناءً على ذلك يمكنه العفو عنه استناداً إلى بعض الاعتبارات. روى عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنه قال: «ربّ ذنبٍ مقدارُ العُقُوبَهِ عَليه اعلامُ المذنِبِ بِه».(۱)

۷ - لايجوز فى الإسلام سبّ مقدّسات أى دين و مذهب، حتى و إنّ كان محرّفاً أو باطلاً.

ورد هذا فى بيان صريح دعانا إليه القرآن الكريم: (وَ لا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ فَيَسُبُّوا اللّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ) .(۲)

و هنا لابُدّ من التنبيه إلى ملاحظه و هى: إنّ النهى عن الإهانه والإساءه يجب أن لايتخذ سيفاً يُشهَر ضد أى نقد أو نقاش علمى. و لابُدّ أن تبقى أبواب البحث والنقد العلمى فى المجتمع الإسلامى مفتوحه فى كل المجالات. ولو أن شخصاً فى المجتمع الإسلامى أثار تساؤلاً أو نقداً، فعلى العلماء والباحثين المسلمين تقديم إجابه منطقيه صحيحه، مثلما كان عليه الحال فى السيره العمليه للأئمه المعصومين.

ط - السجن والسجناء

ترى الشريعه الإسلاميه لزوم سجن المجرمين فى حالات خاصه، و تجيز ذلك فى موارد معدوده. واستناداً إلى قول الإمام على عليه السلام: «اَلسِّجْنُ أَحَدُ الْقَبْرَيْن».(۳) يجب عدم الاستهانه بحكم السجن أو إصدار هذا الحكم على أحد من غير مسوّغات شرعيه. أى أن التعزير بالحبس يجب أن يقتصر على الحالات الضروريه، والحرص على تطبيق أنواع التعزيرات الأُخرى بدلاً منه كالغرامات الماليه مثلاً.

الحكم بالحبس يكلّف خزينه الدوله أموالاً طائله. و هذا الحكم يتضمن أيضاً حكماً على بيت المال بدفع النفقات للمجرم. و هذا لايتناسب طبعاً مع تعزير و معاقبه المجرم. كما

۱- الآمدى، غُرَر الحِكَم، الحديث ۵۳۴۲.

۲- سوره الأنعام (۶)، الآيه ۱۰۸.

۳- - الآمدى، غُرَر الحِكَم، ص ۴۷۹، الحديث ۱۱۰۲۶.

أن عقوبه السجن تقترن عاده بمعاقبه أَسره المجرم أيضاً، و هذا يتنافى مع العداله طبعاً.

و على هـذا الأسـاس يجب اتبـاع أسـاليب تجعل الضـرر موجهاً نحو المجرم وحـده، و أن تكون ذات قوّه رادعه تمنع المجرم من تكرار جريمته، خاصه حين يفقد السجن دوره الإصلاحى، و يتحوّل إلى مركز لتعليم الجريمه و إيجاد العصابات الخطيره.

و لامنـاص من القول: إنّ السـجن فى شـكله الحـالى ليس له أساس دينى، و لاجـذور له فى تاريـخ صـدر الإسـلام. والسـجن فى الإسلام على أنواع ثلاثه:

١ - أن يكون السجن حدّاً على المجرم فى الحالات الموجبه للحد.

٢ - أن يكون السـجن تعزيراً على الجرائم التى يسـتطيع فيها حاكم الشـرع الواجد للشـرائط تعزير المجرم بالجلد أو السجن. و فى هذه الحالات يتعين أن يكون عدد الجلدات أقل من الحدّ، و مدّه السـجن يجب أن تتناسب أيضاً مع التعزير بالجلد الذى هو أقل من الحد.

و تعيين مـدّته بيـد أهل الاختصاص. و بما أن الغايه الأساسـيه من التعزير - كما أوضـحنا من قبل - هى تنبيه و إصـلاح المجرم و ليس الانتقام منه بدافع الحقد، لهذا فانَّ التعزير لاينحصـر فى عقوبتى السجن والجَلْد، و إنّما له مراتب تبدأ عاده بالتوبيخ والتهديد إلى أن يصل الـدور فى آخر المطاف إلى الجَلْد أو السـجن. و قـد كان هـذا النوع من العقوبات شائعاً فى المجتمعات السابقه، و لكن هناك فى الوقت الحاضر أساليب أخرى أكثر تأثيراً فى إصلاح نفوس المجرمين، و يجب اتّباعها طبعاً.

السـجن فى الحالتين الآنف ذكرهما (الحـد والتعزير) يجب أن يكون من بعد ثبوت الجرم فى المحكمه الصالحه التى يتصدّى لها المجتهد العادل الواعى. و لايجوز قبلها سجن المتّهم أبداً.

٣ - سـجن التحرّى؛ و هو أن يُحبس المتهم قبـل إثبـات الجرم إلى أن يتم التحقيق والتحرّى. والـذى يُسـتفاد من الأحاديث و من فتاوى الفقهاء ان القدر المتيقّن لهذا النوع من السجن يقتصر على تُهمه القتل و لايتعدى السبعه أيّام.

جاء فى حديث ان الإمام الصادق عليه السلام قال: «إنّ النبى صلى الله عليه و آله و سلم كان يحبس فى تهمه الدم

ستّه أيّام، فإن جاء أولياء المقتول بثبت، و إلّاخلّى سبيله».(۱) و يمكن أن يُستنبط من ذلك أيضاً جواز حبس المتهم فى حالات الاعتداء على الحقوق المهمه الأخرى، فيما اذا كان يُحتمل فيها هُروب المتّهم.

و على أساس ذلك يجوز حبس المتّهمين فى الحالات التى يحصل فيها طمس واضح لحقوق الآخرين، و تكون للتهمه صله بجرائم كبرى كالقتل، مع مراعاه جميع الجوانب القانونيه و ضمن المدّه المحدده، و لكن لايجوز حبس أحد مدّه طويله لمجرّد كونه متّهماً، حتى و ان كانت التهمه ثقيله. و يجب فى مثل هذه الحالات إطلاق سراح المتّهم بضمانه تتناسب مع حجم الجريمه. و يجب أن نعلم بأن ما يرتجيه الإسلام من مسؤولى الشؤون القضائيه هو الاهتمام والسعى لإحقاق الحق و ليس إحقاق الحق نفسه. و من الطبيعى ان فرار متهم من قبضه العداله أفضل من مكوث برىء فى السجن خلافاً لمقتضيات الحق والعداله و حرمانه من حقوقه الأساسيه.(۲) جاء فى الحديث: «مَنْ حَبس حَقَّ المؤمن...

ثُمَّ يُؤمَرُ بِه الَى النّار».(۳)

و أما بالنسبه إلى حقوق السجين فى الحالات التى توجب السجن، فهى من الأُمور التى أكّد عليها الإسلام و منها: صيانه كرامته و حقوقه الإنسانيه، و تلبيه متطلباته و حاجاته الماديه والمعنويه، كالجوانب الصحيه والمأكل المناسب والأشياء الضروريه، و توفير متطلبات المقابله مع السجناء. و من الضرورى أيضاً أن يهتم المسؤولون الجدد فى جهاز القضاء بأوضاع و أحوال السجناء القُدامى. كما أنّ على الحكومه الضمان فى حاله التقصير أو التفريط فى حقوق السجناء. و ينبغى أيضاً الاهتمام بشؤونهم الدينيه، و أن يكون له محامٍ يتولّى مهمه الدفاع عنه، و غير ذلك.(۴)

۱- – الحر العاملى، وسائل الشيعه، باب ۱۲ من أبواب دعوى القتل، ج ۲۹، ص ۱۶۰، الحديث ۱.

۲- – راجع فى هذا المجال: دراسات فى ولايه الفقيه، ج ۲، ص ۴۸۱ و ۴۸۲.

۳- الصدوق، ثواب الاعمال و عقاب الاعمال، باب عقاب من منع مؤمناً شيئاً، ص ۲۸۶، الحديث ۱؛ الكلينى، الكافى، ج ۲، ص ۳۶۷، الحديث ۲.

۴- وردت دراسه السجن والسجناء بالتفصيل فى كتاب دراسات فى ولايه الفقيه، ج ۲، ص ۴۲۱ فما بعدها.

ان ملاقاه الأسره والأصدقاء أمر معقول و مؤثّر فی ما یتعلّق بالغایه من سجن المجرم.

و یجب أن تکون فی حدٍ معقول و مؤثر فی ایجاد العاطفه لدی المجرم و إصلاحه. و قد حثّت بعض الأحادیث المسؤولین علی إحضار السجناء إلی صلاه الجمعه. و ینبغی طبعاً أن لایکون ذلک علی نحو یسیء إلی کرامه السجناء و یفضحهم أمام الناس. کما یفترض أن یکون برضاهم و عدم ارغامهم علی ذلک.

ی – العفو عن المحکومین

یمکن للدوله الإسلامیه فی بعض الظروف العفو عمّن حکم بسبب عدم رعایه حق اللّه، أو العفو عمّن حُرموا من الحقوق الفردیه أو الاجتماعیه. و إزاله الحرمان عنهم، بل هناک حالات أُخری – ورد تفصیلها فی کتب الفقه – یمکن فیها العفو حتی عن المحکومین بسبب التعدّی علی حق الناس.

فی ما یتعلق بالعفو العام، قد یقول قائل: إنّ مثل هذا العفو قد یشمل أشخاصاً لایستحقّون، و لا هم جدیرین به، و لهذا یجب عدم إصدار مثل هذا العفو، و لکن ینبغی أن لاننسی أنّ هناک أُناساً یجب أن یتحرّروا من قیود الحرمان.

جاء فی حدیث معتبر عن الإمام الباقر علیه السلام قال فیه: «النّدامَهُ عَلَی الْعَفْوِ افْضَل وَ ایْسَر مِنَ النّدامَهِ عَلَی الْعُقُوبه».(۱)

و هذا ما یستدعی طبعاً أن یُقدم المسؤولون کل عدّه سنوات علی إصدار عفو عام، و یستثنی من ذلک، المحکومون علی جرائم الحق الخاص التی لها مدّعٍ خاص. فهذا العمل یشیع العفو والتسامح فی المجتمع الإسلامی. و حتی فی ما یخص حالات حق الناس ینبغی توفیر الأرضیه لإحقاق حقوق المتضررین، بما یتیح الفرصه أمام إطلاق سراح السجناء.

۱- الحرّ العاملی، وسائل الشیعه، الباب ۱۱۲ من أبواب أحکام العشره، ج ۱۲، ص ۱۷۰، الحدیث ۴.

الأحكام فی خدمه الأهداف

اشاره

وردت فی الأحادیث و فی أقوال الأعلام تأکیدات علی ضروره نظم الأمر من أجل تحقیق أهداف الدّین، أو حتی من أجل بناء حیاه سلیمه. و کل الأدیان متفقه علی القول إنّ عدم الالتزام بأحکام الدّین یقود إلی الضلال والحیره والابتعاد عن الأهداف الحقیقیه للخلقه. والشریعه وضعت سبلاً أفضل لبلوغ الغایه. و هذا یعنی أن الأحکام بمثابه سبل لبلوغ الغایه، و لاتُعتبر بنفسها غایه.

من المعاییر فی کل عصر و زمان - للکشف عن الأحکام الاجتماعیه - هو أن تکون متناسبه مع المصالح الاجتماعیه والکمال المعنوی. و هذا یعود إلی القول بفطریه الأحکام الإلهیه.

والأساس فی فروع الأحکام هو انسجام کل حکم مع سائر الأحکام والمعتقدات. و إن کان هناک أی تعارض فهو دلیل علی عدم تطابقه مع الشرعیه، و عدم شرعیه ذلک الحکم.

أ - ضروره الانسجام فی الأحکام الاجتماعیه

فی کل نظام اجتماعی، محور النظم هو قوانین ذلک المجتمع. و إذا کان هناک أی تناقض أو تعارض فیها، فلابّد أن تحلّ بالنظم الاجتماعی حاله من الاضطراب و فقدان الاستقرار.

الدّین یقدّم لبنی الإنسان أحکاماً و تعالیم قائمه علی الفطره، و لذلک لایمکن أن یتّصف بالتعارض و عدم الانسجام فی منظومته الذاتیه؛ و ذلک لأنَّ الاختلال و فقدان النظم یتعارض مع الفطره. نقل أمیرالمؤمنین علیه السلام عن النبیّ صلی الله علیه و آله و سلم أنه قال: «اِذا اتاکُمُ الْحدیثُ مُتجاوباً مُتفاوتاً، فما یُکذّب بعضُه بَعضاً، فَلَیْسَ مِنّی وَ لَمْ اَقُلْهُ وَ انْ قیلَ قَدْ قالَهُ، وَ اذا اتاکُمُ الْحدیثُ یُصَدّقُ بَعْضُهُ بَعْضاً فَهُوَ مِنّی وَ أنَا قُلْتُهُ».(۱)

۱- الطبرسی، مشکاه الأنوار، ص ۱۵۳.

و روی عن الإمام الرضا علیه السلام أنه قال: «... إنّا عَنِ اللّهِ وَ عَن رَسولِهِ نُحَدّث وَ لانَقُولُ قالَ فلانٌ وَ فلانٌ فَیتناقَضُ کلامُنا. انَّ کَلامَ آخِرِنا مثلُ کلامِ اوّلِنا وَ کَلامُ اوَّلِنا مُصَدِّقٌ لِکَلامِ آخِرِنا فَاِذا اتاکُمْ مَنْ یُحَدِّثُکُمْ بِخِلافِ ذلِک فَرُدُّوهُ عَلَیْه».(۱)

و جاء فی القرآن الکریم: (وَ لَوْ کانَ مِنْ عِنْدِ غَیْرِ اللّهِ لَوَجَدُوا فِیهِ اخْتِلافاً کَثِیراً) .(۲)

و فی ضوء ما ذکر ینبغی أن یؤخذ انسجام الأحکام الشرعیه بنظر الاعتبار.

و یتعیّن أن یُعاد النظر بالأحکام الفقهیه و آراء الفقهاء والقوانین الموجوده استناداً إلی هذا المعیار.

ب – طریقیه الأحکام الشرعیه

القوانین وسیله لبلوغ الأهداف؛ سواء کانت قوانین إلهیه أم بشریه، و لکن أحیاناً ینحصر الطریق إلی الهدف بمورد واحد لا غیر. و فی هذه الحاله تکون أهمیه الطریق بقدر أهمیّه الهدف. والظاهر أنّ الأحکام العبادیه من هذا النوع، و هی الطریق الوحید للوصول إلی الهدف و أدنی تخلّف فیها ینفی أو یقلّص بشدّه إمکانیه بلوغ الهدف. أما الأحکام غیر العبادیه فتابعه للمصالح والمفاسد الذاتیه، و لیست ذات معاییر لایمکن إدراکها؛ و ذلک لأنها شُرّعت من أجل الارتقاء بمستوی حیاه الإنسان.(۳) و إن کانت آثارها و تبعاتها الأُخرویه موضع نظر الشارع أیضاً.

لیس لدینا دلیل قاطع علی أن جمیع الأحکام غیر العبادیه فی الإسلام ثابته، و لاتتأثر موضوعاتها بظروف الزمان والمکان و لاتتغیّر تبعاً لها، و أنّها قد شُرّعت کطریق وحید للوصول إلی الغایه، بل ان قبول بعض المستجدّات کالمعاطاه فی العقود والمعاملات أو الإقرار بتغیّر موضوعات بعض الأحکام کالنحت والتصویر، والاستناد إلی بیّنه علمیه و عرفیه إلی جانب الأدلّه الشرعیه فی کشف الجرائم و ما شابه ذلک من الأمور من قبل الفقهاء،

۱- رجال الکشّی، سیره المغیره بن سعید، ص ۲۲۴ و ۲۲۵، الحدیث ۴۰۱.

۲- سوره النساء (۴)، الآیه ۸۲.

۳- – راجع: دراسات فی ولایه الفقیه، ج ۲، ص ۴۳۸.

یدل علی أنَّ موضوعات مثل هذه الأحکام تتغیر تبعاً للتحوّلات الاجتماعیه و متغیّرات الزمان والمکان، و بالنتیجه تتغیر أحکامها بما یتناسب مع تلک التغییرات.

و بعباره أُخری، عندما نأخذ بالعقل کواحد من أدلّه الأحکام الشرعیه، و نعتبر سیره العقلاء - إذا لم یُحرز ردعها من قبل الشارع - حجّه فی هذا السیاق، فإنّ أیَّ أسلوب عقلانی یضمن تنفیذ مقصود الشارع یُعتبر شرعیاً، و کل هذه الأُمور تدلّ علی طریقیه الأحکام الشرعیه فی أمور غیر عبادیه (أی کَوْنها وسیله) و لیس موضوعیّتها (أی کَوْنها هدفاً و غایه).

کلمه الشرع والشریعه: تعنی فی الأساس النهر أو الشرعه التی تتفرّع من نهر أکبر أو من طریق أوسع بحیث تنتفع منها مناطق خاصه. و فی الاصطلاح، الطریق أو الرافد الذی یستقی ماءه من الشرعه الواسعه أو الینبوع العظیم لدین اللّه. و لهذا جاء فی القرآن الکریم:

(لِکُلٍّ جَعَلْنا مِنْکُمْ شِرْعَهً وَ مِنْهاجاً) .(۱)

یُعزی اختلاف الشرائع - بغض النظر عن الخصائص الزمانیه والمکانیه - إلی کمال الشرائع المتأخره مقارنه بالشرائع المتقدّمه. و هذا یعنی بطبیعه الحال أن الشریعه المحمدیه أکمل من سائر الشرائع: (الْیَوْمَ أَکْمَلْتُ لَکُمْ دِینَکُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَیْکُمْ نِعْمَتِی وَ رَضِیتُ لَکُمُ الْإِسْلامَ دِیناً) .(۲)

و قال اللّه عزّوجلّ فی کتابه الکریم: (قُلْ فَأْتُوا بِکِتابٍ مِنْ عِنْدِ اللّهِ هُوَ أَهْدی مِنْهُما أَتَّبِعْهُ إِنْ کُنْتُمْ صادِقِینَ) . (۳) یبدو أن هذه الآیه تبیّن ضروره اتّباع أفضل الأسالیب لتحقیق أهداف الدّین. و لاینبغی طبعاً التخلّی عن الطرق والأسالیب الشرعیه لمجرد توهّم العثور علی أسلوب أفضل، و إنّما یجب تنقیح المناط - حسب إصطلاح الفقهاء - بشکل قطعی، و اتّخاذ مناط و ملاک منصوص و موثوق بشأن الایصال إلی مقصود الشرع باسلوب جدید یؤیده العقلاء.

۱- سوره المائده (۵)، الآیه ۴۸.

۲- سوره المائده (۵)، الآیه ۳.

۳- - سوره القصص (۲۶)، الآیه ۴۹.

ج – الأهداف النهائیه هی الأحکام السیاسیه والاجتماعیه

الهدف النهائی للشریعه الإسلامیه المقدّسه – کما أشرنا من قبل – غایه الإنسان نحو طریق السعاده فی الدنیا والآخره. والحیاه السعیده هی تلک الحیاه التی تقترن بالأمن، والرفاه، والرقی. والطریق الوحید للسعاده هو العداله. والنظم والعداله یؤدیان إلی الأمن والرفاه والرقی فی الدنیا والآخره.

ان الإیمان بالنظم الکامل والعداله المطلقه للّه تعالی فی یوم الحساب والقیامه، والعمل الصالح، یکون فیه الأمان من العذاب الإلهی، و مدعاه لدخول جنّات عدن. ففی الحیاه الدنیا یؤدّی الالتزام بالقوانین والاعتدال فی القول والعمل إلی تحقیق الاستقرار الفکری والعملی فی کل مجالات الحیاه و یجلب الرفاه الاجتماعی و یفتح أمام الإنسان سبیل التقدّم المعنوی والعلمی.

فی الکثیر من آیات القرآن الکریم، حین یأتی ذکر الأحکام، تُبین عاده معطیاتها والآثار والنتائج الإیجابیه لها. و أفضل دلیل علی الأهداف الأساسیه لدین اللّه هو ما یأتی علی تبیانه من نتائج الأحکام الاجتماعیه، کالخیر، والأمن، والعداله، والرفاه، والرقی. نقرأ فی القرآن الکریم: (فَلْیَعْبُدُوا رَبَّ هذَا الْبَیْتِ * اَلَّذِی أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَ آمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ) . (۱) و جاء فی ما یخصّ القضاء: (... وَ إِنْ حَکَمْتَ فَاحْکُمْ بَیْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللّهَ یُحِبُّ الْمُقْسِطِینَ) .(۲)

***

یضم هذا الکتاب بین دفّتیه لمحات من مختلف جوانب الدّین الإسلامی الحنیف.

و لایخفی علی ذوی الحِجا أنّ المواضیع التی جاءت فیه تستلزم مزیداً من البسط

۱– – سوره قریش (۱۰۶)، الآیتان ۳–۴.

۲– سوره المائده (۵)، الآیه ۴۲.

والتفصيل، بيد أننا أرتأينا الاكتفاء بهذا القدر منها لِما فيها من تناسب مع الشريحه المتوسطه من أبناء المجتمع.

و كلّنا نأمل طبعاً أن يسعى العلماء والباحثون المسلمون إلى تبيين معالم الدّين، و تسليط الأضواء على مختلف جوانبه على النحو الذى يرتجيه هذا الدّين من أبنائه، و خاصه من الدُعاه إليه، و أن يكثّفوا جهودهم و يكرّسوا طاقاتهم من أجل تنوير الأُمّه بما يزخر به هذا الدّين من قيم و أحكام، و ما يدعو إليه من فضائل و مكارم أخلاق، و ما ينشدُه لأتباعه من رقى وسمو فى شتّى ميادين الحياه.

و لايفوتنا أن نشير إلى أنَّ الغايه من هذا الكتاب - كغيره من الكتب المشابهه - هو أن يتزود القارىء منها بما يعينه على العمل الصالح.

نسأل كُلَّ مَنْ تقع عيناه على هذه السطور أن يدعو لنا بالخير والمغفره.

وَالْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ العالَمينَ

وَ صَلَّى اللّهُ عَلى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ الطّاهِرينَ

المصادر

۱ – إثبات الهداه بالنصوص والمعجزات، محمّد بن الحسن المعروف بالحرّ العاملی، مع تعلیقات أبی طالب التجلیل التبریزی، مطبعه العلمیه، قم.

۲ – الاحتجاج، أبو منصور احمد بن علی الطبرسی، تحقیق ابراهیم بهادری والشیخ محمّد هادی به، منشورات اسوه، مجلّدان، الطبعه الأُولی.

۳ – الاختصاص، أبو عبداللّه محمّد بن محمّد بن النعمان المعروف بالشیخ المفید، تحقیق علی اکبر الغفاری، مؤسسه النشر الإسلامی، التابعه لجماعه المدرّسین، قم.

۴ – اختیار معرفه الرجال، المعروف برجال الکشّی، أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسی، تحقیق حسن المصطفوی، جامعه مشهد، ۱۳۴۸ ه. ش.

۵ – اخلاق ناصری، الخواجه نصیرالدین الطوسی، تحقیق مجتبی مینوی و علی رضا حیدری، طهران، شرکت سهامی منشورات خوارزمی، ۱۳۶۰ ه. ش.

۶ – ارشاد القلوب، أبو محمّد الحسن بن محمّد الدیلمی، منشورات الشریف الرضی، قم.

۷ – الارشاد فی معرفه حجج اللّه علی العباد، أبو عبداللّه محمّد بن محمّد بن النعمان معروف بالشیخ المفید، مؤسسه آل البیت علیهم السلام، قم.

۸ – اسد الغابه فی معرفه الصحابه، عزالدین أبوالحسن علی بن الکرم، المعروف بابن الأثیر، طهران، ناصر خسرو، پاساژ مجیدی.

۹ – الاعتقادات، أبو جعفر محمّد بن علی بن الحسین المعروف بالشیخ الصدوق، تحقیق غلام رضا المازندرانی، نشر محقق قم، ۱۴۱۲ ه.

۱۰ – إعلام الوری بأعلام الهدی، امین الاسلام أبو علی الفضل بن الحسن المعروف بالطبرسی، مؤسسه آل البیت علیهم السلام، قم، الطبعه الأُولی.

۱۱ – الأمالی، أبو جعفر محمّد بن علی بن الحسین المعروف بالشیخ الصدوق، مؤسسه البعثه، قم، الطبعه الأُولی.

۱۲ – الإمام الصادق حیاته و عصره، محمّد أبو زهره، دارالفکر العربی، القاهره، ۱۹۹۳ م.

۱۳ – الإمامه والسیاسه المعروف بتاریخ الخلفاء، أبو محمّد عبد اللّه بن مسلم بن قتیبه الدینوری، تحقیق علی شیری، منشورات الشریف الرضی، الطبعه الاُولی، ۱۴۱۳ ه.

۱۴ – بحارالأنوار الجامعه لدرر أخبار الأئمه الأطهار، محمّد باقر المجلسی، مؤسسه الوفاء، بیروت، الطبعه الثانیه، ۱۴۰۳ ه.

۱۵ – البرهان فی تفسیر القرآن، السیّد هاشم الحسینی البحرانی، دارالکتب العلمیه، قم.

۱۶ – بصائر الدرجات فی فضائل آل محمّد صلی الله علیه و آله و سلم، أبو جعفر محمّد بن الحسن الصفار القمی، تحقیق المیرزا محسن کوچه باغی التبریزی، مکتبه آیه اللّه النجفی المرعشی، قم.

۱۷ – تاریخ الطبری، المعروف بتاریخ الامم والملوک، أبو جعفر محمّد بن جریر، دارالکتب العلمیه، بیروت، الطبعه الثانیه، ۱۴۰۸ ه.

۱۸ – ترتیب کتاب العین، خلیل بن احمد الفراهیدی، تحقیق مهدی المخزومی و ابراهیم السامرائی، منشورات اسوه، الطبعه الاُولی، ۱۴۱۴ ه.

۱۹ – تحف العقول عن آل الرّسول صلی الله علیه و آله و سلم، حسن بن علی بن الحسین الحرّانی، مؤسسه الأعلمی للمطبوعات، بیروت، الطبعه الخامسه، ۱۳۸۹ ه.

۲۰ – تصحیح الاعتقاد، أبو عبداللّه محمّد بن محمّد بن النعمان المعروف بالشیخ المفید، مطبوع ضمن مصنفات المفید، ج ۵، طبع مؤتمر الألفیه العالمیه للشیخ المفید، ۱۴۱۳ ه.

۲۱ – تصنیف غرر الحکم و درر الکلم، عبدالواحد بن محمّد التمیمی الآمدی، تحقیق مصطفی درایتی، مکتب الاعلام الاسلامی، الطبعه الاُولی.

۲۲ – تفسیر العیاشی، أبوالنضر محمّد بن مسعود العیاشی، مؤسسه البعثه، قم، الطبعه الاُولی، ۱۴۲۱ ه.

۲۳ – تفسیر القمی، أبوالحسن علی بن ابراهیم القمی، تحقیق السیّد طیب الموسوی الجزائری، مکتبه الهدی، ۱۳۸۷ ه.

۲۴ – تفسیر نور الثقلین، عبد علی بن جمعه العروسی الحویزی، تحقیق السیّد هاشم رسولی المحلاتی، طبعه مطبعه العلمیه، قم.

۲۵ – التوحید، أبو جعفر، محمّد بن علی بن الحسین المعروف بالشیخ الصدوق، مؤسسه النشر الإسلامی التابعه لجماعه المدرّسین، قم.

۲۶ – تهذیب الأحکام، أبو جعفر محمّد بن الحسن بن علی الطوسی المعروف بالشیخ الطوسی، تحقیق و تعلیق علی اکبر الغفاری، مکتبه الصدوق، طهران، الطبعه الاُولی، ۱۳۷۶ ه. ش.

۲۷ – ثواب الاعمال و عقاب الاعمال، أبو جعفر محمّد بن على بن الحسين، المعروف بالشيخ الصدوق، تحقيق على أكبر الغفارى، مكتبه الصدوق، طهران.

۲۸ – جامع احاديث الشيعه، الشيخ اسماعيل المعزى الملايرى، مطبعه مهر قم، ۱۴۱۷ ه.

۲۹ – جامع السعادات، المولى محمّد مهدى النراقى، مع تعليقات السيّد محمّد كلانتر، مطبعه النجف، النجف الاشرف، ۱۳۸۳ ه، افسيت مؤسسه مطبوعات اسماعيليان قم.

۳۰ – جامع الاخبار أو معارج اليقين فى اصول الدين، محمّد بن محمّد السبزوارى، تحقيق علاء آل جعفر، منشورات مؤسسه آل البيت عليهم السلام، الطبعه الأُولى، ۱۴۱۴ ه.

۳۱ – الجامع الصحيح، أو سنن الترمذى، أبو عيسى محمّد بن عيسى بن سوره، تحقيق كمال يوسف الحوت، دارالفكر، بيروت.

۳۲ – جواهر الكلام فى شرح شرايع الاسلام، محمّد حسن النجفى، دار احياء التراث العربى، بيروت، ۱۹۸۱ م.

۳۳ – الخصال، أبو جعفر محمّد بن على بن الحسين المعروف بالشيخ الصدوق، تحقيق على أكبر الغفارى، مؤسسه النشر الإسلامى التابعه لجماعه المدرّسين، قم.

۳۴ – دراسات فى ولايه الفقيه و فقه الدوله الاسلاميه، حسين على المنتظرى، المركز العالمى للدراسات الاسلاميه، الطبعه الثانيه، ۱۴۰۹ ه.

۳۵ – درس هايى از نهج البلاغه (= دروس من نهج البلاغه)، حسين على المنتظرى، نشر سرايى، طهران، الطبعه الأُولى، ۱۳۸۰ ه. ش.

۳۶ – الدرّ المنثور فى التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطى، تحقيق الشيخ نجدت نجيب، مع مقدمه بقلم عبدالرزاق المهدى، دار احياء التراث العربى، بيروت.

۳۷ – دعائم الاسلام و ذكر الحلال والحرام، أبو حنيفه النعمان بن محمّد التميمى، تحقيق آصف بن على اصغر الفيضى، دارالمعارف، مصر، الطبعه الثانيه.

۳۸ – دلائل الصدق، محمّد حسن مظفر، دارالمعلّم للطباعه، القاهره، الطبعه الثانيه، ۱۳۹۶ ه.

۳۹ – ديدگاهها، البيانات والآراء الصادره عن آيه اللّه العظمى المنتظرى، المجلد الأوّل، الطبعه الثانيه، ۱۳۸۱ ه. ش.

۴۰ – رساله الاستفتاءات، طبقاً لفتاوى آيه اللّه العظمى المنتظرى، نشر سايه، طهران، مجلّدان؛ المجلد الأول: الطبعه الثالثه، ۱۳۸۴ ه. ش؛ المجلد الثانى: الطبعه الأُولى، ۱۳۸۳ ه. ش.

۴۱ – رساله توضیح المسائل، طبقاً لفتاوای آیه اللّه العظمی المنتظری، مع اصلاحات و اضافات، نشر تفکر، طهران، الطبعه العشرون.

۴۲ – رساله الحقوق، حسین علی المنتظری، منشورات سرایی، طهران، الطبعه الاُولی، ۱۳۸۳ ش.

۴۳ – روح المعانی فی تفسیر القرآن العظیم، أبوالفضل شهاب الدین السیّد محمود آلوسی بغدادی، تحقیق السیّد محمود شکری آلوسی، منشورات جهان، طهران.

۴۴ – سنن ابن ماجه، الحافظ أبو عبداللّه محمّد بن یزید القزوینی، تحقیق محمّد فؤاد عبد الباقی، دار احیاء التراث العربی، ۱۳۹۵ ه.

۴۵ – سنن أبی داود، أبو داوود سلیمان بن الاشعث السجستانی، تحقیق محمّد محیی الدین عبدالحمید، دار احیاء السنه النبویه، بیروت.

۴۶ – السنن الکبری، أبوبکر احمد بن الحسین بن علی البیهقی، مع کتاب الجوهر النّقی، دارالمعرفه، بیروت.

۴۷ – السیره النبویه، أبو محمّد عبدالملک بن هشام بن ایوب، منشورات ایران، مطبعه مهر قم، ۱۳۶۳ ه. ش.

۴۸ – شرح غرر الحکم و درر الکلم، جمال الدین محمّد الخوانساری، منشورات جامعه طهران، ۱۳۷۳ ه. ش، تحقیق المحدّث الاُرموی.

۴۹ – شرح نهج البلاغه، عزالدین عبدالحمید المعروف بابن ابی الحدید، مکتبه آیه اللّه النجفی المرعشی، الطبعه الثانیه.

۵۰ – الشفاء، ابن سینا، مع مقدمه ابراهیم مدکور، منشورات ناصر خسرو، طهران، مطبعه آرمان، الطبعه الاُولی، ۱۳۶۳ ه. ش.

۵۱ – الصحاح، تاج اللغه و صحاح العربیه، أبو نصر اسماعیل بن حماد الجوهری الفارابی، تحقیق احمد عبدالغفور العطّار، دارالعلم للملایین، بیروت، الطبعه الرابعه، ۱۴۰۷ ه.

۵۲ – الصحیح، المعروف بصحیح البخاری، أبو عبداللّه محمّد بن اسماعیل بن ابراهیم، تحقیق الشیخ عبدالعزیز بن عبداللّه بن باز، دارالفکر، بیروت، ۱۴۱۹ ه.

۵۳ – الصحیح، المعروف بصحیح مسلم، أبوالحسین مسلم بن الحجاج بن مسلم القشیری النیسابوری، مع شرح النووی، دارالکتاب العربی، بیروت، ۱۴۰۷ ه.

۵۴ – الصحیفه السجادیه الکامله، الإمام زین العابدین علیه السلام، مؤسسه النشر الاسلامی، التابعه لجماعه المدرّسین قم، الطبعه الثالثه، القطع الجیبی.

۵۵ – الصواعق المحرقه، احمد بن حجر الهیتمی المکی، مع تعلیقات عبدالوهاب عبداللطیف، مکتبه القاهره، الطبعه الثانیه، ۱۳۸۵ ه.

۵۶ – علل الشرایع، أبو جعفر محمّد بن علی بن الحسین المعروف بالشیخ الصدوق، دارالحجه للثقافه، الطبعه الاُولی، ۱۴۱۶ ه.

۵۷ – عوالی اللئالی العزیزیه، محمّد بن علی بن ابراهیم الاحسائی المعروف بابن أبی جمهور، مع مقدمه بقلم آیه اللّه السیّد شهاب الدین النجفی المرعشی، تحقیق آقا مجتبی العراقی، مطبعه سیدالشهداء، قم، الطبعه الاُولی، ۱۴۰۳ ه.

۵۸ – عیون اخبار الرضا، محمّد بن علی بن الحسین المعروف بالشیخ الصدوق، تحقیق سید مهدی الحسینی اللاجوردی، الناشر رضا مشهدی، الطبعه الثانیه.

۵۹ – الغدیر فی الکتاب والسنه والادب، عبدالحسین احمد الامینی النجفی، دارالکتاب العربی، بیروت، الطبعه الرابعه، ۱۳۹۷ ه.

۶۰ – فتوح البلدان، أبوالحسن البلاذری، مع تعلیقات رضوان محمّد رضوان، منشورات ارومیه، قم، ۱۴۰۴ ه.

۶۱ – فرائد السمطین فی فضائل المرتضی، ابراهیم بن محمّد بن المؤید الحمّویی الخراسانی، تحقیق محمّد باقر محمودی، مؤسسه محمودی، بیروت، الطبعه الاُولی، ۱۴۰۰ ق.

۶۲ – الفقه علی المذاهب الاربعه، عبدالرحمن الجزری، داراحیاء التراث العربی، ۱۴۰۶ ه.

۶۳ – القاموس المحیط، مجدالدین محمّد بن یعقوب الفیروزآبادی، مؤسسه نوری.

۶۴ – قصص الانبیاء، السیّد نعمه اللّه الجزائری، مکتبه آیه اللّه النجفی المرعشی، قم، ۱۴۰۴ ه.

۶۵ – قصص الأنبیاء، قطب الدین سعید بن هبه اللّه الراوندی، مؤسسه البحوث فی الروضه الرضویه المقدّسه، ۱۴۰۹ ه.

۶۶ – الکافی، محمّد بن یعقوب الکلینی، تحقیق علی أکبر الغفاری، دارالکتب الاسلامیه، ایران.

۶۷ – کتاب الغیبه، أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسی، تحقیق الشیخ عبداللّه الطهرانی والشیخ علی احمد ناصح، مؤسسه المعارف الإسلامیه، قم، الطبعه الاُولی، ۱۴۱۱ ه.

۶۸ – کامل الزیارات، جعفر بن محمّد بن جعفر بن موسی بن قولویه القمی المعروف بابن قولویه، مکتبه الصدوق، طهران، الطبعه الأُولی، ۱۳۷۵ ه. ش.

۶۹ – الکتاب المقدس، العهد القدیم والعهد الجدید، طبعه عام ۱۸۹۵ م.

۷۰ – الکشاف عن حقائق غوامض من التنزیل، جارالله محمود بن عمر الزمخشری، مکتب الاعلام الاسلامی، قم، الطبعه الأُولی، ۱۴۱۴ ه.

۷۱ – کشف الریبه عن احکام الغیبه، زین الدین الجبعی العاملی الشامی، تحقیق علی الخراسانی، مطبعه سیدالشهداء علیه السلام، قم، الطبعه الأُولی، ۱۴۰۳ ه.

۷۲ – کشف المحجّه لثمره المهجه، السیّد بن طاووس، النجف، مطبعه الحیدریه، ۱۳۷۰ ه.

۷۳ – کشف المراد فی شرح تجرید الاعتقاد، الخواجه نصیرالدین الطوسی، تحقیق حسن حسن زاده الآملی، مؤسسه النشر الإسلامی التابعه لجماعه المدرّسین، قم، الطبعه الخامسه.

۷۴ – کمال الدین و تمام النعمه، أبو جعفر محمّد بن علی بن الحسین المعروف بالشیخ الصدوق، تحقیق علی أکبر الغفاری، مؤسسه النشر الإسلامی التابعه لجماعه المدرّسین قم، الطبعه الثالثه.

۷۵ – کنز العمال فی سنن الاقوال والافعال، المتقی بن حسام الدین الهندی، مؤسسه الرساله، بیروت، ۱۳۹۹ ه.

۷۶ – لسان العرب، أبوالفضل جمال الدین محمّد بن مکرم الافریقی المصری المعروف بابن منظور، دار صادر، بیروت، الطبعه الأُولی، ۱۹۹۷ م.

۷۷ – مبانی فقهی حکومت اسلامی (= الأسس الفقهیه للحکومه الاسلامیه)، حسین علی المنتظری، ترجمه و تقریر محمود صلواتی و أبوالفضل شکوری، نشر تفکر، طهران.

۷۸ – مثنوی معنوی، جلال الدین محمّد البلخی المولوی، تحقیق نیکلسون، طبعه مهارت، منشورات بهزاد.

۷۹ – مثنوی معنوی، جلال الدین محمّد البلخی المولوی، تحقیق و تصحیح و تعلیقات محمّد استعلامی، کتابفروشی زوار، طهران، الطبعه الثانیه، ۱۳۶۹ ه. ش.

۸۰ – مجمع البیان فی تفسیر القرآن، أبو علی الفضل بن الحسن المعروف بالطبرسی، المکتبه الاسلامیه، طهران.

۸۱ – مجموعه ورّام أو تنبیه الخواطر و نزهه النواظر، أبوالحسین ورّام بن أبو فراس المالکی الاشتری، مکتبه فقیه، قم.

۸۲ – المحاسن، أبو جعفر احمد بن محمّد بن خالد البرقی، تحقیق السیّد جلال الدین الحسینی، دارالکتب الاسلامیه، قم، الطبعه الثانیه.

۸۳ – المحجه البیضاء فی تهذیب الاحیاء، محمّد محسن بن المرتضی المعروف بالمولی محسن الفیض الکاشانی، تحقیق علی أکبر الغفاری، مؤسسه النشر الإسلامی التابعه لجماعه المدرّسین، قم، الطبعه الثانیه.

۸۴ – المراجعات، السیّد شرف الدین، تحقیق و تعلیق حسین الراضی، بیروت، الطبعه الثانیه، ۱۴۰۲ ه.

۸۵ – مروج الذهب و معادن الجوهر، أبوالحسن علی بن الحسین المعروف بالمسعودی، دارالفکر، بیروت.

۸۶ – مسالک الافهام، زین الدین بن علی العاملی المعروف بالشهید الثانی، مؤسسه المعارف الإسلامیه، الطبعه الأُولی، ۱۴۱۶ ه.

۸۷ – مستدرک الوسائل، المیرزا حسین النوری الطبرسی، تحقیق مؤسسه آل البیت علیهم السلام، قم، و طبعت منه حتی الآن تسعه مجلدات بعنوان الخاتمه.

۸۸ – المسترشد فی امامه امیرالمؤمنین علیّ بن ابی طالب علیه السلام، محمّد بن جریر بن رُستم الطبری الآملی، تحقیق احمد المحمودی، مؤسسه کوشانپور للثقافه الاسلامیه، الطبعه الأُولی.

۸۹ – المسند، احمد بن حنبل، الطبعه الأُولی، بیروت، دار صادر.

۹۰ – مصباح الشریعه و مفتاح الحقیقه، المنسوب الی الامام جعفر الصادق علیه السلام، ترجمه و شرح حسن المصطفوی، نشر انجمن اسلامی حکمت و فلسفه ایران، طهران، ۱۳۶۰ ه. ش.

۹۱ – معانی الاخبار، أبو جعفر محمّد بن علی بن الحسین المعروف بالشیخ الصدوق، تحقیق علی أکبر الغفاری، مؤسسه النشر الإسلامی التابعه لجماعه المدرّسین، قم.

۹۲ – مفردات الفاظ القرآن، الحسین بن محمّد بن المفضل المعروف بالراغب الاصفهانی، تحقیق صفوان عدنان داوودی، دارالقلم، دمشق، الدار الشامیه، بیروت، الطبعه الأُولی، ۱۴۱۶ ه.

۹۳ – المقالات والفرق، سعد بن عبداللّه ابی خلف الاشعری القمی، تحقیق محمّد جواد شکور، مرکز منشورات علمی و فرهنگی، مجلّد واحد، الطبعه الثانیه، ۱۳۶۰ ه. ش.

۹۴ – مقدمه ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمّد بن خلدون، دار احیاء التراث العربی، بیروت، ۱۴۰۸ ه.

۹۵ – مکارم الاخلاق، أبو نصرالحسن بن الفضل الطبرسی، مؤسسه النشر الإسلامی التابعه لجماعه المدرّسین، قم.

۹۶ – المکاسب المحرّمه، الشیخ مرتضی الأنصاری، تبریز، الطبعه الحجریه.

۹۷ – الملل والنحل، الشهرستانی، نشر مطبعه حجازی، ۱۳۶۸ ه. ش.

۹۸ – مناقب آل أبی طالب، أبو جعفر محمّد بن علی بن شهر آشوب السروی المازندرانی، دارالأضواء، بیروت، الطبعه الثانیه، ۱۴۱۲ ه.

۹۹ – من لا یحضره الفقیه، محمّد بن علی بن الحسین بن بابویه القمی المعروف بالشیخ الصدوق، تحقیق السیّد حسن الموسوی الخرسان، دارالتعارف، بیروت، ۱۴۰۱ ه.

۱۰۰ – منیه المرید فی ادب المفید والمستفید، زین الدین بن علی العاملی المعروف بالشهید الثانی، تحقیق رضا مختاری، مکتب الاعلام الاسلامی، الطبعه الأُولی، ۱۴۰۹ ه.

۱۰۱ – المیزان فی تفسیر القرآن، السیّد محمّد حسین الطباطبائی، مؤسسه الاعلمی، بیروت.

۱۰۲ – نصیحه الملوک، محمّد بن محمّد بن محمّد الغزالی الطوسی، تعلیق و تحقیق جلال الدین همائی، منشورات بابک، ۱۳۶۱ ه. ش.

۱۰۳ – النهایه فی غریب الحدیث والأثر، مجدالدین أبوالسعادات المبارک بن محمّد الجزری المعروف بابن الاثیر، تحقیق طاهر احمد الزاوی و محمود محمّد الطناحی، المکتبه العلمیه، بیروت.

۱۰۴ – نهج البلاغه، أبوالحسن محمّد بن ابی احمد الحسنی المعروف بالشریف الرضی، شرح صبحی الصالح، مؤسسه دارالهجره، ایران، الطبعه الأُولی، ۱۴۰۷ ه.

۱۰۵ – نهج الفصاحه، أبوالقاسم پاینده، سازمان منشورات جاویدان، الطبعه الخامسه عشر، ۱۳۶۰ ه. ش.

۱۰۶ – الوافی، محمّد محسن بن المرتضی، المعروف بالمولی محسن الفیض الکاشانی، مکتبه الإمام امیرالمؤمنین علیه السلام، اصفهان، الطبعه الأُولی.

۱۰۷ – وسائل الشیعه، محمّد بن الحسن المعروف بالحرّ العاملی، تحقیق مؤسسه آل البیت علیهم السلام، الطبعه الثانیه.

(باسمه تعالی)

دروس سماحه آیه اللّه العظمی المنتظری، متوفّره بأقراص ممغنطه (CD

۱ – مجموعه آثاره و فیها خمسون مجلّداً من کتبه المطبوعه (قرص واحد CD)

۲ – دروس من نهج البلاغه، ۱۹۵ درساً صوتیاً (عشره أقراص CD)

۳ – دروس من نهج البلاغه، ۱۹۵ درساً مصوراً (اربعه و ستون قرصاً CD)

۴ – دروس الخارج فی الفقه (المکاسب المحرمه)، ۵۶۵ درساً صوتیاً (سته اقراص CD)

۵ – دروس بحث الخارج فی الفقه (کتاب الزکاه)، ۷۲۲ درساً صوتیاً (سبعه اقراص CD)

۶ – العروه الوثقی (صلاه المسافر)، ۲۴ درساً صوتیاً (قرص واحد CD)

۷ – العروه الوثقی (صلاه المسافر)، ۲۴ درساً مصوراً (اثناعشر قرصاً CD)

۸ – دروس الفلسفه (منظومه الحکمه، امور عامه)، ۱۱۹ درساً صوتیاً (قرص واحد CD)

۹ – دروس الفلسفه (منظومه الحکمه، امور عامه)، ۱۱۹ درساً مصوراً (مائه و تسعه عشر قرصاً CD)

۱۰ – دروس الفلسفه (منظومه الحکمه، الالهیات)، صوتیاً (الدرس متواصل) (قرصان CD)

۱۱ – دروس الفلسفه (منظومه الحکمه، الالهیات)، مصوراً (الدرس متواصل) (عشرون قرصاً CD)

۱۲ – دروس بحث الخارج فی الفقه (سبّ المؤمن)، ۱۰ دروس صوتیه (قرص واحد CD)

۱۳ – دروس بحث الخارج فی الفقه (سبّ المؤمن)، ۱۰ دروس مصوّره (سته اقراص CD)

۱۴ – من المبدأ إلی المعاد (نص الکتاب مقروءاً) (قرص واحد CD)

۱۵ – الروضه من الکافی، ۱۱۹ درساً صوتیاً (سته اقراص CD)

۱۶ – الروضه من الکافی، ۱۱۹ درساً مصوراً (ثمانیه و اربعون قرصاً CD)

۱۷ – مراسیم صلاه عید الفطر من عام ۲۰۰۵ إلی عام ۲۰۰۷ (ثلاثه اقراص CD)

۱۸ – دروس الاخلاق (جامع السعادات، صوتیاً (الدرس متواصل) (قرصان CD)

۱۹ – دروس الاخلاق (جامع السعادات)، مصوراً (الدرس متواصل) (مائه قرصاً CD)

۲۰ – اسوه فی الثبات – صوتی و مصوّر (قرص واحد CD)

ص:۵۴۱

مسرد بمؤلّفات المرجع الدینی الأعلی سماحه آیه اللّه العظمی المنتظری

الصادره باللغه الفارسیه:

۱ - درسهایی از نهج البلاغه (۳ مجلّدات) (= دروس من نهج البلاغه - ثلاثه مجلّدات) ۱۱۵۰۰ تومان

۲ - خطبهٔ حضرت فاطمهٔ زهرا علیها السلام (= خطبه السیده فاطمه الزهراء علیها السلام) ۳۰۰۰ تومان

۳ - از آغاز تا انجام (در گفتگوی دو دانشجو) (= من المبدأ إلی المعاد - فی حوار بین طالبین) ۱۵۰۰ تومان

۴ - إسلام دین فطرت (= الإسلام دین الفطره) ۶۰۰۰ تومان

۵ - موعود ادیان (= موعود الأدیان) ۴۰۰۰ تومان

۶ - مبانی فقهی حکومت إسلامی (۸ مجلّدات) (= الأسس الفقهیه للحکومه الإسلامیه - ثمانیه مجلّدات) ۲۵۰۰۰ تومان

جلد اول: دولت و حکومت (= المجلد الاول: الدوله والحکومه) ۲۵۰۰ تومان

جلد دوم: امامت و رهبری (= المجلد الثانی: الإمامه والقیاده) ۲۵۰۰ تومان

جلد سوم: قوای سه گانه، امر به معروف، حسبه و تعزیرات (= المجلد الثالث: السلطات الثلاث: الامر بالمعروف، والحسبه، والتعزیرات) ۳۰۰۰ تومان

جلد چهارم: احکام و آداب ادراهٔ زندانها و استخبارات (= المجلد الرابع: أحکام و آداب اداره السجون والاستخبارات) ۲۵۰۰ تومان

جلد پنجم: احتکار، سیاست خارجی، قوای نظامی و اخلاق کارگزاران حکومت إسلامی (= المجلد الخامس: الاحتکار، والسیاسه الخارجیه، والقوات المسلّحه و اخلاق المسؤولین فی الحکومه الإسلامیه) ۲۵۰۰ تومان

جلد ششم: منابع مالی حکومت إسلامی (= المجلد السادس: المصادر المالیه للحکومه الإسلامیه) ۳۰۰۰ تومان

جلد هفتم: منابع مالی حکومت إسلامی، فیء، انفال (= المجلد السابع: المصادر المالیه للحکومه الإسلامیه، الفیء، الانفال) ۴۵۰۰ تومان

جلد هشتم: احیاء موات، مالیات، پیوست ها، فهارس (= المجلد الثامن: احیاء الموات، الضرائب، الملحقات، الفهارس) ۴۵۰۰ تومان

۷ – رسالهٔ توضیح المسائل (= رساله توضیح المسائل) ۲۰۰۰ تومان

۸ – رسالهٔ استفتائات (۳ مجلّدات) (= رساله الاستفتاءات – ثلاثه مجلدات) ۹۰۰۰ تومان

۹ – رسالهٔ حقوق (= رساله الحقوق) ۵۰۰ تومان

۱۰ – احکام پزشکی (= الاحکام الطبیه) ۱۵۰۰ تومان

۱۱ – احکام و مناسک حج (= أحکام و مناسک الحج) ۲۰۰۰ تومان

۱۲ – احکام عمرهٔ مفرده (= احکام العمره المفرده) ۵۰۰ تومان

۱۳ – معارف و احکام نوجوان (= معارف و أحکام الشباب) ۱۵۰۰ تومان

۱۴ – معارف و احکام بانوان (= معارف و احکام النساء) ۲۰۰۰ تومان

۱۵ – استفتائات مسائل ضمان (= استفتاءات فی مسائل الضمان) (غیر متوفّر)

۱۶ – جلوه های ماندگار (= تجلّیات باقیه) ۳۰۰۰ تومان

۱۷ – حکومت دینی و حقوق انسان (= الحکومه الدینیه و حقوق الإنسان) ۱۵۰۰ تومان

۱۸ – مجازات های اسلامی و حقوق بشر (= العقوبات الإسلامیه و حقوق الإنسان) ۱۵۰۰ تومان

۱۹ – مبانی نظری نبوت (= الأسس النظری للنبوه) ۱۰۰۰ تومان

الکتب الصادره باللغه العربیه:

۲۰ – دراسات فی ولایه الفقیه و فقه الدوله الاسلامیه (أربعه مجلدات) ۱۱۰۰۰ تومان

۲۱ – کتاب الزکاه (أربعه مجلدات) ۱۰۰۰۰ تومان

۲۲ – دراسات فی المکاسب المحرمه (ثلاثه مجلدات) ۱۲۰۰۰ تومان

۲۳ – نهایه الاصول ۳۲۰۰ تومان

۲۴ – نظام الحکم فی الاسلام ۴۰۰۰ تومان

۲۵ – البدر الزاهر (فی صلوه الجمعه والمسافر) ۲۵۰۰ تومان

۲۶ - کتاب الصوم ۴۵۰۰ تومان

۲۷ - کتاب الحدود ۵۰۰ تومان

۲۸ - الخمس والانفال ۴۵۰۰ تومان

ص:۵۴۳

۲۹ – التعلیقه علی العروه الوثقی ۷۰۰ تومان

۳۰ – الاحکام الشرعیه علی مذهب اهل البیت علیهم السلام ۱۵۰۰ تومان

۳۱ – مناسک الحج والعمره ۲۵۰ تومان

۳۲ – مجمع الفوائد ۲۵۰۰ تومان

۳۳ – من المبدأ الی المعاد (فی حوار بین طالبین) ۱۵۰۰ تومان

۳۴ – الأفق أو الآفاق (فی مسأله الهلال) ۱۰۰۰ تومان

۳۵ – منیه الطالب (فی حکم اللحیه والشارب) ۵۰۰ تومان

۳۶ – رساله مفتوحه (ردّاً علی دعایات شنیعه علی الشیعه و تراثهم) ۵۰۰ تومان

۳۷ – موعود الأدیان ۴۰۰۰ تومان

۳۸ – الإسلام دین الفطره ۶۰۰۰ تومان

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِی الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ۹

عنوان المكتب المركزی

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلی، الرقم ۱۲۹، الطبقة الأولی.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكترونی : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزی ۰۳۱۳۴۴۹۰۱۲۵

هاتف المكتب فی طهران ۸۸۳۱۸۷۲۲ ـ ۰۲۱

قسم البيع ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹شؤون المستخدمين ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹.

مركز القائمية للبحوث والتحريات الكمبيوترية
اصبهان
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاءِ من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹